فرانك هربرت

ترجمة
محمد سلامة المصري

كثيب
DUNE



كثيب DUNE

تأليف

فرانك هربرت

ترجمة

محمد سلامة المصري

المحتويات:

- كلمة المترجم
- فصول الرواية
- الملاحق
- عن الترجمة الثانية المختلسة

في هذه النسخة:

- الترجمة الأصلية (قبل تعديلات دار النشر الإماراتية)
- استعادة الهوامش والفقرات المحذوفة

رابط نسخة دار النشر (كتاب إلكتروني على أمازون):

https://www.amazon.com/dp/B07KJKW4WY

صورة الغلاف:

للتواصل مع المترجم:

SalamaCast@gmail.com

@ArabicSalama

كلمة المترجم

لم يكن نقل رواية (كثيب) للعربية سهلا.
فلـ (فرانك هربرت) طريقة مميزة في الكتابة، تجعل ترجمة الأفكار ونقل الأسلوب اللغوي عملية مرهقة.
ففي العصر الحديث اعتدنا على أن تكون روايات "أفضل المبيعات" مكتوبة بأسلوب سهل وواضح، يشبه مثلا أسلوب مايكل كرايتن أو ستيفن كينج، دون تشبيهات بلاغية معقدة أو ألفاظ معجمية مهجورة.
وحتى بالنسبة للكلاسيكيات فإن أسلوب آرثر كونان دويل البسيط (في قصص شرلوك هولمز) وأسلوب برام ستوكر الحيوي (في دراكيولا) يجعل هذه الأعمال أكثر رواجا عند عامة الناس، على عكس أسلوب إدجار آلان بو مثلا، بجمله الصعبة وبتعبيراته المقتبسة من اللاتينية والفرنسية.
في العادة يتوقع جمهور الخيال العلمي أن يكون تركيز المؤلف منصبا على الأفكار فقط، لا على الأسلوب اللغوي.. ونادر أن نرى مؤلفا يدمج ببراعة بين الأمرين.
فإسحق أزيموف مثلا يكاد يهمل التعبيرات الأدبية البلاغية إهمالا تاما، ويعامل قصصه على أنها وسيلة لنقل أفكاره العلمية، خصوصا وأنه في الأساس باحث أكاديمي. بينما Ray Bradbury يكاد يقترب في قصصه العلمية من مستوى الكتابة الشعري أو الفلسفي.
وأظن أن Philip K Dick و Arthur C Clarke يقعان في منطقة وسيطة بين الطرفين.
أما فرانك هربرت فهو أقرب لـ راي برادبري، خصوصا عندما ينقل الأفكار الداخلية للشخصيات.. لكن في حوارات شخصياته يستخدم لغة شديدة الحيوية وذات إيقاع طبيعي.
ومن الخصائص العجيبة لأسلوب هربرت في الرواية جمعه بين تصوير دقيق للبيئة والأحداث يقترب من السينمائية، وبين غوص في أفكار الشخصيات واستخدام مونولوجات داخلية عميقة تكاد تجعل التصوير السينمائي لهذه الفقرات مستحيلا!

***

بعد حل معضلات لغة فرانك هربرت (سواء في معاني الأفكار أو الاستخدامات اللغوية الإنجليزية غير المألوفة أو التشبيهات البلاغية المبتكرة) ظهرت مشكلة الكلمات الغريبة التي استخدمها المؤلف لإثراء جو الخيال العلمي للرواية.
لكن القارئ العربي يمتاز على باقي قراء العالم في هذه المسألة، حيث أن قسما كبيرا من هذه الكلمات مأخوذ من اللغة العربية مباشرة!
أي أن القارئ الإنجليزي الذي يقرأ الرواية في لغتها الأصلية يواجه صعوبات لن يضطر القارئ العربي لمواجهتها.
فعندما نقرأ كلمة مثل Ilm (علم) أو Ijaz (إعجاز) فإننا نفهم المقصود منها في الحال، لكن الجمهور الأصلي للرواية سيضطر للبحث عن معناها في معجم المصطلحات المرفق بها، أو في قواميس خارجية إن أراد المزيد من الشرح.
لكن تبقى مسألة الكلمات غير العربية التي اخترعها المؤلف من عنده، ولا توجد في اللغة الإنجليزية.
فما هو الـ Servok مثلا، أو الـ Shigawire أو الـ Solido؟!
فهنا كان يجب نقل الكلمة كما هي أحيانا، أو إيجاد مقابل عربي يكون مفهوما. وهي في الحقيقة عملية ممتعة، وتجعل الشخص يتعجب من قدرة هربرت على ابتكار الكلمات الغريبة والتي تكاد تقترب من قدرة Lewis Carroll في قصيدة الجابرووكي!

***

بالنسبة لأسلوب الترجمة فاعتقادي الشخصي هو أن الجملة - لا الكلمة - هي أصغر وحدة بناء في الترجمة الأدبية. أي يجب نقل معنى الجملة الذي أراده المؤلف بدقة، بالاستعانة بالكلمات التي استخدمها، وعدم الاكتفاء بالترجمة الميكانيكية الركيكة التي تضع كلمة مكان كلمة وكأن المترجم هو برنامج كمبيوتر!
(وكمثال للترجمات الميكانيكية الكارثية يمكن أن أحيل القارئ للترجمة العربية لرواية "نريد أن نتحدث عن كيفين"، تأليف ليونِل شرايفر، إذ تم تشويهها تشويها تاما، بدءا بأول كلمة في العنوان! لكن المقام هنا - في هذه الكلمة القصيرة - لا يصلح للنقد التفصيلي)
وبالإضافة لما سبق فيجب أن تحمل الجملة العربية - قدر الإمكان - نفس التأثير النفسي الذي أراد المؤلف الأصلي إحداثه في القارئ.. فيظهر التهكم في مواضع التهكم، والجدية في مواضع الجدية، وهكذا.

***

أنا من القلة التي أعجبت بالمكائد السياسية في ثلاثية حرب النجوم الثانية (الـ Prequels) وتعقيداتها، ولهذا فإن إعجابي بـ (كثيب) يعتبر مفهوما.. فهي رواية الـ "منتات" والـ "بني-جيزيرت" وتوازنات القوى بين الإمبراطور والنبلاء.
(بالإضافة إلى أن تأثر جورج لوكاس بالرواية هو حقيقة معروفة. وأظن أن أكثر رواية من روايات عالم حرب النجوم تأثرا بأسلوب رواية Dune هي رواية Darth Plagueis، تأليف James Luceno، والتي تحكي الخطط والمكائد التي وصل بها السِث للسلطة)
لكن Dune لا تقتصر على السياسة فحسب، بل هي نتاج حقبة الستينيات في أمريكا، وبالتالي تشير ضمنيا لثقافة عقاقير الهلوسة - السايكاديليك - التي كانت منتشرة وقتها، ولحركة حماية البيئة والعودة للطبيعة.. بالإضافة لهوس الناس بالأبطال السياسيين ككينيدي وغيره، وانقيادهم للشخصيات الكاريزمية. وتهتم الرواية أيضا بالنظريات الاجتماعية والتاريخية، خصوصا أفكار توينبي عن العلاقة بين العوامل البيئية الصعبة وقوة الحضارة، وإن كانت نظرياته محل شك أكاديمي الآن. ويبدو أيضا أن فرانك هربرت تأثر بكتابات ابن خلدون الاجتماعية وخصوصا كلامه عن الثقافة البدوية وعن المهدوية. وربما نرى في الرواية تأثرا بتاريخ قبيلة كتامة ودورها في صعود الدولة الإسماعيلية وانتشارها حتى استولت على مصر. وفيها أيضا إشارات للعلاقة بين الغرب وبترول العرب (رغم نشر الرواية قبل أزمة 1973)، وللجدل الشهير حول تأثر الشخص بصفاته الوراثية Nature في مقابل تأثره بالتربية Nurture.
كل هذه الثيمات تحتاج لكتاب كامل لبحث خيوطها الموجودة بالرواية وبباقي روايات السلسلة:

كثيب (1965) Dune

كثيب: المسيح (1969) Dune Messiah

كثيب: الأبناء (1976) Children of Dune

كثيب: الإمبراطور الإله (1981) God Emperor of Dune

كثيب: الهراطقة (1984) Heretics of Dune

كثيب: بيت الراهبات (1985) Chapterhouse: Dune

إن كثيب كثيفة وغنية بالأفكار، بعضها خاطئ وبعضها صحيح، لكنها أكثر من مجرد رواية.
ولا يمكن أن أختم هذه الكلمة المختصرة دون تقديم الشكر لأمي التي ساعدتني خلال الـ 4 شهور التي استغرقتها الترجمة، وتحملت نقاشاتي خلال عملية البحث عن أنسب المعاني الموافقة لمراد المؤلف.

* * *

الفصل الأول

"عند ابتداء الأمور يجب أن يحرص المرء أشد الحرص على أن تكون الموازين صحيحة.
كل أخت من الـ بِني-جيزيرِت تعلم هذا.
ولهذا - كي تبدأ دراستك لحياة المؤدِّب Muad'Dib - احرص أولا على أن تحدد زمانه:
مولود في السنة الـ 57 من حكم الإمبراطور الباديشي شدّام الرابع.
وانتبه انتباها خاصا وأنت تحدد مكانه: كوكب أرّاكِس.
ولا تنخدع بحقيقة أنه وُلد على كالادان وعاش عليه أول خمس عشرة سنة من حياته!
فأرّاكس - ذلك الكوكب الشهير باسم (كَثيب) - سيظل مكانه للأبد"

من كتاب "دليل المؤدِّب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

في الأسبوع الأخير السابق على رحيلهم إلى أرّاكِس، وعندما وصلت ضوضاء وعشوائية التحضيرات النهائية حدا لا يطاق، جاءت عجوز شمطاء لزيارة أم الصبي بولس.

كانت الليلة حارة في قلعة كالادان.. ذلك البناء الحجري القديم الذي خدم كبيت آل أتريديز على مدار ستة وعشرين جيلا.. وها هي الآن يحيطها جو العَرَق البارد المعتاد منها قبل كل تغير في الطقس.

أُدخلت المرأة العجوز عبر الباب الجانبي المؤدي للممر المقنطر المجاور لحجرة بولس، وسُمح لها أن تقف للحظة تحدق فيه وهو مستلقٍ على سريره.

على الضوء الضعيف المنبعث من مصباح خافت، مضاد للجاذبية، معلق في الهواء قرب الأرضية، تمكن الصبي من رؤية شبح أنثوي كبير يقف على بابه، متقدما خطوة أمام أمه. كان ظِل المرأة العجوز كظل ساحرة.. الشعر كخيوط عنكبوت مجدولة، وعليه قلنسوة تحيط بملامح يخفيها الظلام.. والعينان كجواهر لامعة.

قالت العجوز: "أليس حجمه ضئيلا بالنسبة لعمره يا جيسيكا؟"

أزّ صوتها ورن، كآلة باليسِت موسيقية غير موزونة الأوتار.

أجابت أم بولس بصوتها ذي الرنين الناعم: "سيدتي الموقرة، آل أتريديز معروفون بتأخرهم في النمو"

قالت العجوز في أزيز: "هكذا سمعت فعلا.. هكذا سمعت. لكنه في الخامسة عشرة بالفعل"

"أجل، سيدتي الموقرة"

قالت المرأة العجوز: "إنه مستيقظ ويستمع إلينا"

ثم ضحكت قائلة: "وغد صغير ماكر.. لكن منصب الإمارة محتاج للمكر. خصوصا إن كان حقا هو الكويزاتس هاديراك"

من وسط الظلال المحيطة بسريره فتح بولس عينيه بمقدار شق صغير، وعلى الفور بدا وكأن بيضتي طائر - عيني العجوز - قد اتسعتا وزاد بريقهما وأخذتا تحدقان فيه مباشرة.

قالت العجوز: "نم جيدا أيها الوغد الماكر الصغير.. فغدا ستحتاج كل قدراتك وأنت تواجه الـ جوم-جبار Gom Jabbar على يدي"

ثم ذهبت، دافعةً أمه للخارج، ومغلقة الباب بصوت مكتوم.

رقد بولس، مستيقظا، يتساءل: ما معنى جوم-جبار؟
على الرغم من كل الاضطراب المصاحب لفترة الانتقال هذه فإن العجوز تظل أغرب شيء رآه!
سيدتي الموقرة؟!..
وتلك الطريقة التي خاطبت بها أمه باسمها المجرد، جيسيكا، وكأنها تخاطب خادمة وضيعة القدر لا ليدي من سيدات البِني-جيزيرت، محظية دوق، وأم وريث المنصب!
تساءل في حيرة: هل هذا الجوم-جبار هو شيء من أراكس يتعيّن علي أن أعرفه قبل أن نصل هناك؟
تحركت شفتاه بكلماتها الغريبة: جوم-جبار. كويزاتس هاديراك.
وجب عليه مؤخرا تعلم الكثير من الأشياء.. فأراكس سيكون مكانا مختلفا تماما عن كالادان لدرجة أن عقله دار من كم المعلومات الجديدة.
أرّاكس. كثيب. كوكب الصحراء.
كان ظوفر حواط - خبير حروب الاغتيالات عند أبيه الدوق - قد شرح له الأمر:
ظل الخصم اللدود لآل أتريديز، آل هاركونِن، على أراكس لثمانين سنة يحكمونه بتوكيل إقطاعي جزئي من شركة شوم CHOAM، للتنقيب عن البهار.. المزيج المضاد للشيخوخة.
أما الآن فآل هاركونن سيرحلون وسيحل محلهم آل أتريديز، بتوكيل إقطاعي كامل.. مما يعد نصرا واضحا لصالح الدوق ليتو.
إلا أن هذا النصر الظاهري - وكما أخبره حواط - يحوي الهلاك القاتل. فالدوق ليتو محبوب وسط عائلات كبار النبلاء المكونة لمجلس الـ لاندسراد.
"والرجل المشهور المحبوب يثير غيرة أصحاب السلطة" كما قال حواط.
أراكس.. كثيب.. الكوكب الصحراوي.
غاب بولس في النوم، فرأى في أحلامه كهفا أراكسيًا، وأشخاصا صامتين يتحركون حوله في الضوء الخافت المنبعث من مصابيح كرات الإنارة. كان المكان مهيبا وكأنه كاتدرائية، وسمع صوتا ضعيفا لقطرات ماء تتساقط برتابة.
حتى وهو داخل الحلم كان متأكدا من أنه سيتذكره عندما يستيقظ. فدائما ما كان يتذكر أحلامه النبوئية.
تلاشى الحلم.
قام فوجد نفسه في دفء سريره، يفكر.. ويفكر.
دنيا قلعة كالادان هذه، بلا لهو ولا رفاق من سنه، ربما لا يستحق وداعها الشعور بالتعاسة.
كان معلمه، الدكتور يُوي، قد ألمح إلى أن قواعد النظام الطبقي - الـ Faufreluches - ليست مطبقة بصرامة على أراكس.
يؤوي الكوكب قوما يعيشون على أطراف الصحراء، بلا قائد Caid ولا باشار Bashar يحكمهم. قوم يتحركون بحرية وسط الرمال ويقال لهم الـ فريمِن، لم يحصهم أي إحصاء إمبراطوري رسمي.
أرّاكس.. كثيب.. كوكب الصحراء.
أحس بولس بتوتره، فقرر أن يمارس أحد دروس العقل/جسد التي علمته أمه إياها.
ثلاثة أنفاس سريعة أثارت رد الفعل المطلوب، فهوى في حالة من الوعي الطافي.

تركيز الإدراك.. تمديد الشريان الأورطي.. تجنب آلية الإدراك المشتتة.. التحكم في الإدراك إراديا.. إثراء الدم وتغذيته ثم فيضانه السريع في أجزاء الجسد المتوترة.
لا ينال المرء أساسيات الغذاء والأمن والحرية بالغريزة وحدها. إدراك الحيوان لا يتعدى حدود اللحظة الراهنة، ولا يفهم أن فريسته قد تتعرض للانقراض. الحيوان يقوم بالإهلاك لا بالإنتاج. متع الحيوان تقتصر على المستويات الحسية وتتجنب نفاذ البصيرة. أما الإنسان فيحتاج لمخطط وقاعدة يرى الكون على أساسها.
تركيز الإدراك إراديا يؤدي لتكوين هذا المخطط. صحة البدن تتبع مسار الدم والأعصاب تبعا للإدراك العميق لاحتياجات الخلايا. كل الأشياء/الخلايا/الكائنات مؤقتة.. وتشتهي تحقيق استمرارية التدفق فيها.
مرارا وتكرارا تم استرجاع الدرس داخل وعيه الطافي.

عندما لمس الفجر نوافذ بولس بأشعة صفراء شعر بها عبر جفنيه المغلقين، ففتحهما، وأخذ يستمع لتجدد الصخب الأهوج في القلعة وهو ينظر لسقف حجرة نومه ونمط عوارضه الخشبية المألوفة.
فُتح باب الردهة وطلت عبره أمه، بشعر كبرونز متدرج، ممسوك من أعلى بشريط أسود. وجهها بيضاوي لا يكشف عن مشاعرها، وعيناها الخضراوان تشع منهما نظرة حزينة.
قالت: "استيقظت؟.. هل نمت جيدا؟"
"أجل"
دقق فيها من رأسها لقدميها فلمح أثر التوتر في كتفيها وهي تختار له ما سيرتديه من رفوف خزانة الملابس.
لو كان الناظر أي شخص آخر لفاته الانتباه للتوتر، لكنها دربته على طريقة البني-جيزيرت: ملاحظة أدق التفاصيل.
استدارت تحمل له سترة شبه رسمية. كانت مزينة فوق جيب الصدر بصقر آل أتريديز الأحمر.
"اسرع وارتدِ ملابسك.. السيدة الموقرة في الانتظار"
قال بولس: "لقد حلمت بها مرة. من هي؟"
"كانت معلمتي في مدرسة البني-جيزيرت، والآن هي 'كاشفة الحقيقة' التابعة للإمبراطور.
وأمر آخر يا بولس..."، ترددت للحظة.
"... عليك أن تقص عليها ما تراه في أحلامك"
"سأفعل. هل هي سبب أننا حصلنا على أراكس؟"
"'الحصول' ليس الوصف المناسب"
نفضت ذرات تراب من أحد السراويل وعلقته مع السترة جوار سريره على حامل الملابس.
"لا تجعل السيدة الموقرة تنتظر"
اعتدل من رقاده، جامعا ذراعيه حول ركبتيه: "ما هو الجوم-جبار؟"
ومرة أخرى كشف تعليمها الذي علمته إياه ترددها شبه الخفي.. خانتها أعصابها لا إراديا وانكشف له شعورها بالخوف.
عبرت الحجرة إلى النافذة وفتحت الستائر على الجانبين. نظرت لحدائق النهر وجبل سيوبي خلفها. قالت: "ستعرف ما هو الجوم-جبار.. قريبا جدا"
سمع الخوف في صوتها وتعجب له.
ثم قالت دون أن تستدير ناحيته: "السيدة الموقرة تنتظر في حجرتي الصباحية. من فضلك أسرع"

جلست السيدة الموقرة جايس هيلين موهيَم على كرسي موشى بالزينة، تراقب قدوم الأم والابن.
على جانبيها كانت نوافذ تطل على الانحناء الجنوبي للنهر والمزارع الخضراء المملوكة لآل أتريديز، لكنها تجاهلت المنظر. هذا الصباح شعرت بثقل سنين عمرها، وأن رداءة المزاج تغمرها.
ألقت باللوم على تعب رحلة السفر، وعلى التعامل مع البغضاء في نقابة الفضاء وأساليبهم السرية. لكن المهمة كانت تحتاج الاهتمام الشخصي وحضور بني-جيزيرت تتمتع بالنظر الثاقب.
فحتى هي، كاشفة الحقيقة التابعة للإمبراطور الباديشي ذاته، لا يمكنها التهرب من المسؤولية عندما يستدعي الواجب حضورها.
فكرت السيدة الموقرة: اللعنة على هذه الجيسيكا!.. يا ليتها كانت أنجبت لنا بنتا كما أمرناها أن تفعل!
توقفت جيسيكا على بعد ثلاث خطوات من الكرسي. انحنت انحناءة بسيطة مع نفض جانب تنورتها بيدها اليسرى احتراما.
أما بولس فقدم الانحناءة القصيرة التي علمه إياها معلم الرقص.. تلك المستخدمة في المواقف التي 'لا تعرف فيها رتبة الشخص الذي أمامك'.
هذا التفصيل الدقيق لم يغب عن انتباه السيدة الموقرة. فقالت: "إنه لصبي حذر يا جيسيكا"
أحاطت يد جيسيكا بكتف بولس بقوة للحظة. تدفق الخوف نابضا عبر راحة يدها، ثم نجحت في ضبط مشاعرها.
"هكذا علمناه أيتها الموقرة"
تساءل بولس في نفسه: مم هي خائفة؟!
تفرست العجوز في الصبي بنظرة سريعة ثاقبة. الوجه بيضاوي كأمه جيسيكا لكن تقاسيمه العظمية أقوى. الشعر أسود في أسود كشعر الدوق، لكن الحاجبين موروثان من الجد للأم، والذي لا يمكن التصريح باسمه.
أما هذا الأنف الرفيع الازدرائي وهاتان العينان الخضراوان ونظرتهما المباشرة فهم من الدوق الكبير الراحل، الجد للأب.
فكرت السيدة الموقرة: كان رجلا يقدّر الأثر القوي لمظاهر الثقة بالنفس.. حتى في موته.
ثم قالت: "التعليم شيء، والمادة الخام شيء آخر. سنرى"
ثم صوبت العينان العجوزتان نظرة صارمة ناحية جيسيكا.
"اتركينا. وآمرك بالبدء في استحضار 'تأمل الطمأنينة'"
رفعت جيسيكا يدها عن كتف بولس، "أيتها الموقرة، أنا..."
"جيسيكا! تعلمين أن الأمر يجب أن يتم"
رفع بولس رأسه لأمه، حائرا.
شدت جيسيكا جسدها في استقامة، قائلة: "أجل.. بالطبع"
أعاد بولس نظره للسيدة الموقرة. الأدب، بالإضافة لرهبة أمه الواضحة من هذه العجوز، يدفعانه للتصرف بحرص. ومع ذلك شعر بالغضب يتملكه بسبب إحساس الخوف المشع من أمه.
"بولس.."، سحبت جيسيكا نفسا عميقا، "هذا الاختبار الذي أنت موشك أن تدخله.. هام بالنسبة لي"
رفع رأسه نحوها قائلا: "اختبار؟"
قالت: "تذكر أنك ابن دوق" ثم دارت حول نفسها وأسرعت خارجة من الحجرة وتنورتها تطير من ورائها. وانغلق الباب خلفها بقوة.
واجه بولس العجوز، متمالكا غضبه: "هل تؤمر الليدي جيسيكا بالانصراف هكذا، وكأنها مجرد خادمة؟!"

تراقصت ابتسامة على جوانب الفم العجوز المجعد. أومأت قائلة: "الليدي جيسيكا كانت خادمتي بالفعل أيها الصغير، لأربع عشرة سنة في المدرسة. وخادمة جيدة أيضا. والآن، **تعال هنا في الحال!**"

شعر بالأمر كسوط يهوي على جسده. ووجد نفسه يطيع دون تفكير.

فكر: تستخدم ضدي قدرة الصوت الإقناعي!

توقف عندما أشارت له، قريبا من ركبتيها.

سألته: "ترى هذا؟"، ومن بين طيات ردائها رفعت مكعبا معدنيا أخضر اللون، طول جانبه حوالي الـ 15 سنتيمتر. أدارته فرأى أن أحد الجوانب كان مفتوحا.. أسود ومخيف بشكل غير مفهوم. لا يدخل هذه الفتحة السوداء أي ضوء على الإطلاق.

قالت: "ضع يدك اليمنى في الصندوق"

أصيب بولس بخوف مفاجئ. بدأ يتراجع لكن قالت العجوز: "هل هكذا تطيع أمك؟"

رفع عينيه لعينيها اللامعتين.

وببطء - شاعرا بالإكراه وغير قادر على مواجهته - وضع يده في الصندوق.

في البداية شعر بالبرودة والسواد يعانقان يده، ثم بالمعدن الأملس يلمس أصابعه.

وخزات كما لو أن يده قد أصابها الخدر.

ملأت ملامح المرأة العجوز نظرة افتراسية. رفعت يدها اليمنى بعيدا عن الصندوق ووضعتها قريبة من جانب عنق بولس.

لمح لمعان شيء معدني في يدها فهم بأن يستدير ناحيته.

قالت بعنف واقتضاب: "توقف!"

إنها تستخدم قدرة 'الصوت' مرة أخرى!

أعاد انتباهه لوجهها.

قالت: "على عنقك أضع الآن الجوم-جبار.. أي الخصم الذي لا يُقهر. إبرة على طرفها نقطة سم! إن سحبتَ يدك فسيصيبك هذا السم"

حاول أن يبتلع لعابه. كان حلقه جافا. لم يستطع أن يلفت انتباهه بعيدا عن الوجه المشقق، والعينين اللامعتين، واللثة الباهتة المحيطة بأسنان كمعدن الفضة تبرق كلما تكلمت.

قالت: "ابن دوق يجب أن يعرف السموم. عادات زماننا، أليس كذلك؟ المسكي للتسميم في الشراب. الأُوماس للتسميم في الطعام. سريعة المفعول، وبطيئة المفعول، وما بينهما. وها هو سم جديد لتتعلمه.. الجوم-جبار. يقتل 'الحيوانات' فقط"

طغى الكبرياء على خوف بولس، فسألها بحدة: "تجرؤين على التلميح أن ابن دوق.. هو حيوان؟"

قالت: "دعنا نقل أني ألمح إلى احتمالية كونك إنسانا. اثبت مكانك! أحذرك من محاولة التملص.. أنا عجوز فعلا لكن يدي قادرة على غرس هذه الإبرة في عنقك قبل أن تنجح في الفرار"

همس: "من أنتِ؟.. كيف خدعتِ أمي كي تتركني وحيدا معك؟.. هل أنت من الهاركونن؟"

"الهاركونن؟ حاشا!.. والآن اصمت"

مس عنقه إصبع جاف، وقاوم الصبي غريزته التي ألحت عليه أن يقفز بعيدا.

قالت: "جيد.. تجاوزت الاختبار الأول. والآن سأخبرك كيف سيسير الأمر في بقية الاختبار. القاعدة الوحيدة هي كالتالي: دع يدك في الصندوق، تعيش.. اسحبها منه، تموت"

أخذ نفسا عميقا كي يهدئ اضطرابه: "لو صرختُ فسيحيطك الخدم في ثوانٍ وسمتوتين"
"الخدم لن يتجاوزوا أمك التي تقف الآن حارسة خارج هذا الباب.. تأكد من هذا. أمك نجت من هذا الاختبار، والآن دورك. عليك أن تشعر بالفخر، فنادر جدا أن نعرّض الصبيان الذكور لهذا الاختبار"
قلل الفضول من خوف بولس لحد معقول. أحس بالصدق في نبرة المرأة، لا يمكن إنكار هذا. لو أمه فعلا واقفة تحرس هذا الباب.. لو هذا فعلا اختبار - أو أيا كان وصفه - فقد دخله بالفعل، وحبسته في الأسر تلك اليد الموضوعة على عنقه.
الجوم-جبار.
تذكر ابتهال الاستعاذة من الخوف الذي علمته أمه إياه.. أحد طقوس البني-جيزيرت:
"يجب ألا أخاف. الخوف قاتل للعقل. الخوف هو الموت الأصغر المفضي للفناء النهائي. سأواجه خوفي. سأسمح له بالمرور من حولي ومن خلالي. وحينما ينتهي مروره سأنظر بعيني الداخلية إلى مساره. وحيثما مر لن يكون هناك شيء. أنا فقط من سيبقى"
شعر بالهدوء يعود إليه، فقال: "ابدئي إذن، أيتها المرأة العجوز"
قالت بحدة: "امرأة عجوز؟!.. تمتع بالشجاعة. هذا لا يمكن إنكاره. حسنا، سنرى أيها السيد!"
مالت مقتربة، وخفضت صوتها حتى كاد يكون همسا: "ستشعر بألم في هذه اليد الموضوعة داخل الصندوق. ألم. لكن إن سحبتَ اليد فسألمس عنقك فورا بالجوم-جبار! سيأتيك الموت سريعا وكأنه سقوط فأس الجلاد. لو سحبت يدك فسيقضي عليك الجوم-جبار. فهمت؟"
"ماذا في الصندوق؟"
"الألم"
شعر بوخز متزايد في يده فزم شفتيه بقوة. تساءل في حيرة : كيف يمكن لهذا أن يكون اختبارا؟!
تحول الوخز لحكة.
قالت العجوز: "سمعت عن الحيوانات التي تقضم أحد أرجلها كي تهرب من شَرك الصياد؟ هذه حيلة حيوانية. أما الإنسان فسيظل واقعا في الشرك، متحملا الألم، متظاهرا بالموت كي يتحين الفرصة لقتل صياده والتخلص من تهديد الصياد لإخوانه ولجنسه"
تحولت الحكة لشعور خفيف بالاحتراق والسخونة. سألها: "لم تفعلين هذا؟"
"كي أحدد هل أنت إنسان أم لا. ابق صامتا"
جمع بولس يده اليسرى في شكل قبضة مع تزايد الشعور بالاحتراق في يده الأخرى.
تزايد باطراد. سخونة فوق سخونة فوق سخونة.
فوق سخونة.
شعر بأظفاره تجرح راحة يده الحرة. حاول تحريك أصابع يده المحترقة لكن لم يستطع.
همس: "إنها تحرق"
"صمتا!"
أخذ الألم ينبض صاعدا لذراعه. تجمع العرق على جبينه. كل نسيج يصرخ به أن يسحب اليد من حفرة الحريق هذه.. لكن ماذا سيفعل في الجوم-جبار؟
دون أن يدير رأسه حاول أن يحرك عينيه كي يرى تلك الإبرة الشنيعة الموضوعة على رقبته. شعر أن تنفسه لهاث. حاول أن

يبطئه لكن لم يفلح.
ألم!
فرغ عالمه من كل شيء سوى تلك اليد المغموسة في العذاب، والوجه العجوز على بعد بوصات منه، يحدق فيه.
شفتاه جافتان لدرجة أنه واجه صعوبة في فصلهما عن بعضهما.
الاحتراق! الاحتراق!
ظن أنه يشعر بالجلد يتجعد مسودّا فوق هذه اليد المتألمة.. اللحم ينضج ويتساقط ولا يبقى إلا عظام محترقة.
ثم توقف!
كما لو أن زرا تم إطفاؤه.. توقف الألم.
شعر بولس بذراعه اليمنى تهتز، وبالعرق يغرق جسده.
تمتمت العجوز: "هذا يكفي. يا واحد الكل! Kull Wahad.. لا فتاة احتملت هذا القدر أبدا من قبل. يبدو أني في قرارة نفسي كنت أتمنى أن تفشل"
تراجعت بظهرها ساحبة الجوم-جبار بعيدا عن عنقه: "اخرج يدك من الصندوق أيها الإنسان الشاب وانظر إليها"
قاوم رعدة دبت فيه، ودقق النظر في الفراغ المظلم الذي تقبع فيه يده بإرادتها الحرة. ذكرى الألم منعته من أي حركة. أخبره المنطق أنه سيسحب من هذا الصندوق عضوا مشوها ومحترقا.
أمرته بحدة: "افعلها!"
سحب اليد بحركة عنيفة ونظر إليها في اندهاش.
ولا أثر واحد. لا علامة باقية للعذاب على اللحم.
رفعها.. قلبها.. حرك الأصابع.
قالت: "ألم عن طريق الحث العصبي. فليس من المعقول طبعا أن نأتي ونقوم بتشويه من يُحتمل أنهم فعلا أناس. هناك من هم مستعدون للتضحية بالغالي للحصول على سر عمل هذا الصندوق"، ثم أعادته لطيات ثوبها.
قال: "لكن الألم..."
ردت بازدراء: "مجرد ألم. الإنسان باستطاعته التحكم القسري بأي عصب في جسده"
شعر بولس بألم يده اليسرى، فأرخى الأصابع المضمومة، ونظر لأربع علامات دامية حيث جرحت الأظافر راحة اليد.
أرخى يده على جانبه ونظر للعجوز: "فعلتِ هذا بأمي في السابق؟"
سألته: "هل سبق لك أن غربلت الرمل في غربال؟"
الانحراف المفاجئ الذي سببه سؤالها صدم عقله، ورفعه لمستوى انتباه أعلى.
رمال عبر غربال. أومأ بالإيجاب.
"نحن - البني جيزيرت - نغربل البشر لنجد الإنسان"
رفع يده اليمنى، مجبرا نفسه على تذكر الألم.
"وهذه هي المسألة كلها؟.. ألم؟"
"بل مراقبتي لك أثناء الألم أيها الصغير. الألم مجرد محور يدور عليه الاختبار. أمك أخبرتك عن طرقنا في المراقبة والملاحظة.. بإمكاني أن أرى آثار دروسها بادية عليك. اختبارنا هو المحنة والمراقبة"
سمع نبرة الصدق في صوتها، فقال: "بالفعل، تقولين الحقيقة"

نظرت إليه. إنه يستطيع تمييز الصدق! هل يمكن أن يكون هو المنتظر؟ حقا المنتظر؟
أطفأت الإثارة داخلها فورا، مذكرة نفسها بأن "الأمل يعيق الملاحظة".
قالت: "يمكنك أن تميز عندما يؤمن الناس بصدق ما يقولونه؟!"
"يمكنني"
وفي صوته بدا بوضوح تأكده من هذه القدرة بالتجريب المتكرر.
عندما سمعت هذا قالت: "ربما تكون الكويزاتس هاديراك.. اجلس يا أخي الصغير. هنا عند قدمي"
"أفضل أن أقف"
"أمك جلست عند قدمي قديما"
"أنا لست أمي"
"إنك تكرهنا بعض الشيء، أليس كذلك؟". نظرت ناحية الباب ثم نادت: "جيسيكا!"
انفتح الباب بسرعة ووقفت جيسيكا تحدق بعينين جامدتين في الغرفة.. جمودا سرعان ما ذاب عندما رأت بولس، وارتسم شبح ابتسامة على ثغرها.
قالت العجوز متسائلة: "هل توقفتِ عن كرهي يا جيسيكا؟"
أجابت جيسيكا: "أحبك وأكرهك في نفس الوقت. الكره منبعه آلام لا يجب أن أنساها أبدا، أما الحب..."
".. فحقيقة بديهية"، أكملت العجوز، لكن بصوت رقيق. "بإمكانك أن تدخلي الآن، لكن ابقي صامتة. اغلقي هذا الباب وتأكدي من أن أحدا لن يقاطعنا"
دخلت جيسيكا وأغلقت الباب ووقفت وظهرها إليه.
فكرت في نفسها: ابني نجا.. ابني حي.. وإنسان. كنت متأكدة. لكن.. نجا!
الآن يمكنني أن أحيا.
خلفها شعرت بالباب، صلبا وملموسا. كل شيء في الحجرة كان حاضرا ويملأ حواسها..
ابني عاش.
نظر بولس لأمه. لقد صدقت العجوز فيما قالته!
شعر بالرغبة في الابتعاد والتفكير وحيدا في معنى هذه التجربة التي مر بها، لكنه كان يعلم أنه لا يستطيع الخروج قبل أن يؤذن له. لقد هيمنت العجوز عليه. وصحيح فعلا ما قالتاه.. أمه مرت فعلا بهذا الاختبار. بالتأكيد وراءه غاية رهيبة. كان الألم والخوف رهيبين. وهو يفهم 'الغايات الرهيبة'.
يعرف أنها تتقدم مقتحمة، على عكس كل التوقعات. يعرف أنها واجبة في نفسها.
شعر بولس أن "غاية رهيبة" قد وُضعت على كاهله لكن لم يدرك بعد طبيعة هذه الغاية.
قالت العجوز: "يوما ما أيها الصغير قد تضطر لأن تقف خارج باب مثل هذا.. وإنه لأمر ثقيل فعله"
نظر بولس لأسفل، لليد التي شعرت بالألم، ثم لأعلى، للسيدة الموقرة.
نبرة صوتها حملت شيئا مختلفا تماما عن أي صوت مر به في وجوده كله. كانت الكلمات تبرز في لمعان. في مضاء كمضاء الشفرة الحادة. شعر وكأن أي سؤال سيوجهه لها سيحمل له إجابة ستحمله من عالم الجسد إلى عالم أعظم مكانة.
سألها: "لماذا تقومين باختبار لتحديد ما إذا كان الشخص إنسانا أم لا؟"
"كي أحررك"

"تحررينني؟"
"قديما نقل البشر تفكيرهم إلى الآلات، ظانين أن هذا سيحرر البشرية. لكن لم يؤدِ هذا إلا لاستعبادهم على يد بشر آخرين يملكون الآلات"
قال بولس مقتبسا: "لا تصنع آلة تحاكي عقل البشر"
قالت: "بالنص من الجهاد البتلري Butlerian Jihad والإنجيل الكاثوليكي البرتقالي. لكن كان على النص أن يقول: (لا تصنع آلة هي صورة مزيفة من عقل 'الإنسان'). هل فحصت الـ مِنتات Mentat الموظف عندكم؟"
"لقد درست على يد ظوفر حواط"
قالت: "إن الثورة الكبرى نزعت العكاز. أجبرت العقل الإنساني على أن يتطور. ظهرت مدارس لتدريب المهارات الإنسانية"
"مدارس بني-جيزيرت؟"
أومأت بالإيجاب.
"الآن بقيت جماعتان رئيسيتان من هذه المدارس القديمة: البني-جيزيرت ونقابة الفضاء.
نقابة السفر الفضائي - كما نظن - تركز تركيزا شبه تام على الحسابات الرياضية. أما البني-جيزيرت فلهم وظيفة أخرى"
قال: "السياسة"
قالت العجوز: "يا واحد الكل!" ووجهت نظرة حادة صوب جيسيكا.
قالت جيسيكا: "لم أخبره أيتها الموقرة!"
عادت السيدة الموقرة بانتباهها إلى بولس، وقالت: "لقد استنتجتَ هذا بنجاح بناء على قدر ضئيل من المعلومات! مثير للإعجاب فعلا. بالفعل.. السياسة. مدرسة البني-جيزيرت الأصلية كان يوجهها هؤلاء الذين رأوا الحاجة إلى وجود استمرارية في الشؤون البشرية. ورأوا أنه يستحيل تحقيق هذه الاستمرارية دون فرز ذوي الطباع الحيوانية بعيدا عن ذوي الطباع الإنسانية.. لغرض تحسين النسل"
وفجأة فقدت كلمات العجوز بريقها في نفس بولس.
شعر بأنها تهين داخله شيئا كانت أمه وصفته مرة بأنه 'غريزة الصواب'.
لم يكن الأمر هو أنها تكذب عليه مثلا، فمن الواضح أنها تؤمن بما تقول.. إنما الأمر كان أعمق من هذا. شيء مرتبط بـ "غايته الرهيبة".
قال: "لكن أمي أخبرتني أن كثيرا من بني-جيزيرت المدارس لا يعلمن نسبهن"
قالت: "شجرة العائلة محفوظة دائما في سجلاتنا. وأمك متأكدة أنها إما من نسل امرأة من البني-جيزيرت أو أنها من سلالة كانت مقبولة المعايير"
"إذن لماذا لا يتم إخبارها من كان أبواها؟"
"البعض يعرفن. الكثيرات لا تعرفن. فربما كنا نريد - في بعض الحالات على سبيل المثال - أن تتناسل الفتاة مع أحد أقاربها المقربين، بغرض تقوية إحدى الصفات الوراثية السائدة في عائلتهم. عندنا الكثير من مثل هذه الأسباب"
ومجددا شعر بولس بأن غريزة الصواب داخله قد أهينت. قال: "تحمِّلن أنفسكن مسؤولية أكبر من اللازم"
حدقت فيه السيدة الموقرة متسائلة في نفسها: هل أسمع في صوته نبرة انتقاد؟!
قالت: "إنه حمل ثقيل"

شعر بولس أن صدمة الاختبار تزول عنه شيئا فشيئا. نظر لها نظرة قوية قائلا: "تقولين أني.. ربما أكون هذا الـ 'كويزاتس هاديراك'.. ما هو؟ جوم-جبار في صورة إنسان؟"

قالت جيسيكا: "بولس! لا يجب أن تتكلم بهذه الصورة مع..."

قالت العجوز: "دعيني أتعامل مع الأمر بنفسي يا جيسيكا. اسمع الآن أيها الصغير. هل سمعت عن عقار كاشف الحقيقة؟"

أجاب: "يتناوله الشخص لتحسين قدرته على كشف الأكاذيب. أمي أخبرتني"

"وهل سبق وشاهدت إغشاءة الحقيقة؟"

هز رأسه نفيا: "لا"

"العقار خطير، لكنه ينير البصيرة. عندما تتناول إحدى كاشفات الحقيقة العقار يمكنها أن تنظر لأماكن كثيرة في ذاكرتها.. ذاكرة جسدها. نرى الكثير من طرقات الماضي. لكن الطرقات المؤنثة فقط"

وحلت نبرة أسف على صوتها.

".. ويبقى ركن لا تستطيع أي 'كاشفة حقيقة' أن تراه. ننفر منه.. نرهبه.

يقال أن رجلا سيأتي يوما ما وسيجد في منحة العقار بصيرته الداخلية. سينظر حيث لا نستطيع النظر.. سيرى الماضي الذكوري والأنثوي معا"

"الكويزاتس هاديراك الذي تنتظرونه؟"

"أجل. من يستطيع أن يوجد في عدة أماكن في ذات الوقت.. الكويزاتس هاديراك[1]. رجال كثيرون جربوا العقار.. كثير جدا. لكن لم ينجح منهم أحد"

"جربوا وفشلوا كلهم؟"

هزت رأسها قائلة: "لا.. جربوا وماتوا"

---

1 بالعبرية: قافز الطريق. في الصوفية الباطنية اليهودية هو "من تُطوى له الأرض فيسافر بسرعة خارقة" وكأنه في بلدين في نفس الوقت. (المترجم)

الفصل 2

"محاولة فهم المؤدب دون فهم أعدائه الألداء - آل هاركونن - هي كمحاولة إدراك مفهوم الحقيقة دون إدراك مفهوم الزيف.. أو محاولة رؤية النور دون فهم معنى الظلام.
أي أنها شيء مستحيل"

من كتاب "دليل المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

في أحد الأركان شبه المظلمة دارت الكرة، بتضاريسها الكوكبية البارزة، تحت تأثير تلك اليد السمينة ذات الخواتم البراقة.
كانت الكرة مستقرة على حامل حر موضوع قرب أحد حوائط حجرة خالية من النوافذ. على الحوائط الأخرى ظهرت تشكيلة متعددة الألوان من اللفائف وأشرطة الميكروفيلم وبكرات الوثائق. مصدر الضوء في الحجرة كان عبارة عن عدة مصابيح مستديرة، ذهبية اللون، معلقة في 'مجالات طاقة' قابلة للتحريك.
في منتصف الحجرة استقر مكتب بيضاوي، سطحه العلوي مصنوع من قطعة خشب إلاكة Elacca متحجرة قرنفلية اللون، وحوله عدة مقاعد مضادة للجاذبية.
كان يحتل اثنين من هذه المقاعد فتى ورجل.
كان عمر الفتى ذي الشعر الأسود يقترب من السادسة عشرة.. وجهه مستدير وعيناه عابستان. أما الرجل فكان نحيفا، قصيرا، وذي ملامح أنثوية ناعمة.
صوب الاثنان نظرهما للكرة وللرجل الذي يديرها في الظلام.
من مكان الكرة ارتفع صوت ضحكة، وجلجل الصوت العميق الضاحك قائلا:
"ها هو يا بايتر.. أكبر مصيدة في التاريخ.. والدوق متجه نحو فكيها. أليس أمرا رائعا أقوم أنا - البارون فلاديمير هاركونن - بفعله؟"
قال الرجل: "بالتأكيد يا بارون". كانت نبرات صوته غنائية، وكأنها صادرة عن آلة موسيقية.
هبطت اليد السمينة على الكرة بقوة، فأوقفت دورانها، وهنا ركزت كل الأنظار بالحجرة على السطح الكروي بعد ثباته.
كانت من تلك النوعية من الكرات التي يتم صنعها خصيصا للأثرياء من هواة جمع التحف، أو لأصحاب السلطة في الإمبراطورية الذين يحكمون كواكب بأكملها.
تفاصيلها كانت تشير لدقة صنع تناسب المقام الإمبراطوري. فخطوط الطول ودوائر العرض كانت عبارة عن أسلاك رفيعة مصنوعة من البلاتين.. والقطبان عبارة عن قطع بيضاء صغيرة بلون اللبن مصنوعة من أجود أنواع الألماس.
تحركت اليد السمينة تتحسس التفاصيل الدقيقة للسطح، وقال صاحب الصوت العميق المجلجل:
"انظر وافحص بنفسك يا بايتر، وأنت أيضا يا عزيزي فايد-راوثا. من 60 درجة شمالا وحتى 70 درجة جنوبا. تلك التموجات الفاتنة. ألا يذكركما لونها بحلاوة الكراميل؟
ولا يظهر إطلاقا أي لون أزرق.. لا بحيرات ولا أنهار ولا بحار. وهذان القطبان الجليديان الجميلان.. انظر لحجمهما الصغير! هل يمكن لأحد ألا يتعرف على هذا المكان الفريد؟ أراكس. موقع ممتاز مناسب لانتصار لا مثيل له"

ارتسمت ابتسامة على شفتي بايتر: "ويا له من أمر مؤثر فعلا أن يظن الإمبراطور الباديشي - حتى هذه اللحظة - أنه قد منح الدوق كوكب البهار الذي كان تابعا لك!"
زمجر البارون قائلا: "هذه جملة خاطئة وبلا معنى، تقولها كي تشوش على تفكير الصغير فايد-راوثا. لا حاجة لتشويش ابن أخي بمعلومات خاطئة"
تحرك الفتى العابس في مقعده باضطراب.. سوّى تجعيدة في الرداء الجلدي الأسود المشدود الذي يرتديه، وجلس مستقيما. من الباب الذي خلفه صدر صوت دقة خافتة.
قام بايتر من مقعده واتجه للباب. فتحه بمقدار ضئيل يكفي بالكاد لتسلم أسطوانة الرسالة المقدمة إليه، ثم أغلقه.
فك اللفافة وفحص المكتوب، ثم قهقه ضاحكا مرة بعد الأخرى.
سأله البارون: "ما الأمر؟"
"الأحمق أرسل لنا رده يا بارون"
قال البارون: "ومتى فوت أحد الأتريديين فرصة استغلال الأحداث لإظهار موقفه السياسي؟.. ماذا قال؟"
"كتب رده بأسلوب فظ يا بارون. يخاطبك باسمك المجرد، هاركونن، بلا ألقاب ولا أي شيء. ولا حتى 'أخي مسيو هاركونن'"
رد البارون مزمجرا بنفاد صبر: "اسمي له وقع مميز وجيد على أية حال. أخبرني ماذا قال عزيزي ليتو؟"
"يقول: عرضك لعقد لقاء مرفوض. فكثيرا ما نرى منك الخيانة، وهذا معروف للجميع"
قال البارون متسائلا في إلحاح: "وماذا أيضا؟"
"يقول: والـ كانلي Kanly لا زال فنا له معجبون في الإمبراطورية. ثم كتب توقيعه: الدوق ليتو حاكم أراكس"
وبدأ بايتر يضحك: "يقول 'حاكم أراكس'!.. المفارقة الساخرة أكبر من قدرتي على التحمل"
قال البارون: "اسكت يا بايتر"، وعلى الفور توقف الضحك وكأن البارون ضغط على زر إغلاق.
"يقول 'كانلي'؟.. يستخدم تلك الكلمة التراثية القديمة المشيرة للثأر والانتقام كي يؤكد لي أنه يعني فعلا ما يقول"
قال بايتر: "لقد عرضت مقدمات الصلح، وبهذا تكون قد أطعت الأعراف ظاهريا"
قال البارون: "تتكلم أكثر من اللازم يا بايتر، على غير عادة المنتات أمثالك"
وفكر في نفسه قائلا: يجب أن أتخلص قريبا من هذا المنتات. فقد كاد نفعه يقترب من نهايته.
وحدق في بايتر، المنتات واضع الخطط ومدبر الاغتيالات، وفي أبرز ملامحه التي ينتبه إليها أولا كل من ينظر إليه: العينان، أزرق في أزرق، بلا أي بياض فيهما.
ارتسمت على وجه بايتر ابتسامة خاطفة، لكنها بدت كقناع مخيف تحت عينين كهاتين.
"لكن يا بارون إنها خطة انتقام لذيذة! خيانة فاتنة! أن تجعل ليتو يستبدل بحكم كالادان حكم كوكب كئيب، ودون أن تترك أمامه بديلا، حيث أن الأمر صادر من الإمبراطور. فعل دعابي شديد الهزل هذا الذي قمت به"
بصوت بارد قال البارون: "فمك متدفق اليوم يا بايتر"
"لأني سعيد يا بارون. أما أنت ف.. سعادتك تشوبها الغيرة"
"بايتر!"
"لا تنكر يا بارون. أليس ما يؤلمك هو أنك عجزت عن التفكير في خطة ممتازة كهذه بمفردك؟"
"بايتر، يوما ما سآمر بإعدامك خنقا!"

"هذا لا شك فيه يا بارون! لكن الأفعال الحسنة لا تذهب عبثا، أليس كذلك؟"
"هل كنت تتعاطى مخدر السيموتا أو تمضغ الفيريتا يا بايتر؟!"
رد بايتر: "الكلام الصريح دون خوف أثار دهشتك يا بارون؟"، ثم رسم على وجهه تعبيرا كاريكاتيريا يتظاهر بالحزن، قائلا: "الأمر وما فيه يا بارون هو أني - كمنتات - أعلم متى سترسل من يقتلني. ستمتنع عن قتلي طالما أنا مفيد لك.. قتلي قبل هذا سيعتبر إضاعة لفوائدي. فأنا أعلم الدرس الذي علمه لك ذلك الكوكب: 'لا للتبذير'، صحيح؟"
استمر البارون في التحديق في بايتر.
مال فايد-راوثا بضيق على أحد جانبي مقعده.
يا لهذين الأحمقين المتجادلين! لا يبدأ حوار بين عمي ومنتاته إلا وينتهي بجدال. هل يظنان أنه لا شاغل لي سوى الاستماع لجدالهما العقيم؟!
قال البارون: "فايد.. أخبرتك عندما دعوتك إلى هنا أن تستمع جيدا وتتعلم. هل تتعلم؟"
أجاب الفتى بنبرة حاول أن تبدو خانعة: "أجل يا عمي"
قال البارون: "أحيانا أتعجب من أمر بايتر. فأنا عندما أتسبب في الألم أفعل هذا للضرورة، أما هو.. أكاد أقسم أنه يستمتع فعلا بإيلام الآخرين. عن نفسي فأنا أشعر بالشفقة على الدوق ليتو المسكين. دكتور يُوي سيتحرك ضده قريبا، وبهذا سينتهي كل آل أتريديز من الوجود. سيدرك ليتو أي يد هي التي وجهت فعلة الطبيب المطاوع لنا.. وهذا الإدراك سيكون ذا وقع رهيب عليه"
قال بايتر متسائلا: "تتحدث عن الشفقة، لكن لماذا لم تأمر الطبيب على سبيل المثال أن يغرز خنجر Kindjal بين ضلوع الدوق؟ طريقة بسيطة وهادئة"
قال البارون: "كي يعلم الدوق أني أنا من أحاط به وتسبب في هلاكه. والأسر النبيلة الأخرى يجب أن تعلم أيضا. معرفتهم بما فعلته ستصيبهم بالذهول. وهكذا سيتركون لي مجالا سياسيا أوسع فيما بعد للحركة بحرية. فطريقتي للقضاء على الدوق ضرورية كما هو واضح، حتى إن لم أكن أحبها"
تهكم بايتر قائلا: "مجالا للحركة؟! على العكس، الإمبراطور بدأ يحترز منك بالفعل، وعينه تراقبك يا بارون. فخطواتك السياسية جريئة أكثر من اللازم. يوما ما سيرسل الإمبراطور فيلقا أو اثنين من جنوده الساردوكار إلى كوكبنا هنا، جيدي برايم، فتكون تلك هي لحظة النهاية للبارون فلاديمير هاركونن"
قال البارون: "سيعجبك أن ترى شيئا كهذا يا بايتر، أليس كذلك؟.. ستستمتع بمشهد قوات الساردوكار وهي تسلب قلعتي هذه وتنهب مدني. ستشعر بمتعة حقيقية"
رد بايتر هامسا: "وهل هذا يحتاج سؤالا يا بارون؟"
قال البارون: "كان يجب أن تكون باشارا عسكريا، فأنت محب للدماء والألم أكثر من اللازم. ربما تسرعتُ عندما وعدتك بما وعدتك به من غنائم أراكس"
خطا بايتر خمس خطوات غريبة ومتقطعة في أنحاء الحجرة، ثم توقف خلف فايد-راوثا مباشرة.
ساد المكان جو من التوتر، ورفع الفتى رأسه ناظرا لبايتر بتقطيبة قلقة.
قال بايتر: "لا تعبث مع بايتر يا بارون. لقد وعدتني بالحصول على الليدي جيسيكا. لقد وعدتني بها!"
سأله البارون: "لم تريدها يا بايتر؟ للتعذيب؟"
نظر له بايتر في صمت ولم يسرع برد.

نقل فايد-راوثا مقعده المقاوم للجاذبية مبتعدا به جانبا وقال: "عمي، هل يلزم أن أبقى هنا؟ لقد قلت أنك سـ..."
قال البارون: "عزيزي فايد-راوثا بدأ يتململ". تحرك ناحية الركن المظلم، قريبا من الكرة. "الصبر يا فايد"
ثم عاد وصب اهتمامه على المنتات قائلا: "وماذا عن الدوق الصغير، الولد بولس، يا عزيزي بايتر؟"
تمتم بايتر: "الفخ سيحيط به أيضا يا بارون"
قال البارون: "ما عن هذا أسأل. فأنت - كما تتذكر جيدا - كنت قد توقعت أن تلك 'الساحرة' التابعة للبني-جيزيرت ستنجب للدوق بنتا. لقد كنت مخطئا في توقعك يا منتات، أليس كذلك؟"
أجاب بايتر، وقد بدا الخوف في صوته لأول مرة خلال الحوار، قائلا: "لكني غالبا لا أخطئ يا بارون. اعترف لي بهذا على الأقل.. أخطائي قليلة. وأنت نفسك تعلم أن هؤلاء البني-جيزيرت يجبن بنات في المعتاد.. حتى رفيقة الإمبراطور لم تجب له سوى إناث"
قال فايد: "عمي، لقد أخبرتني أن حضوري سيفيدني بشيء مهم سـ..."
قال البارون مقاطعا: "يا لابن أخي هذا! يتطلع لأن يحكم كبارون من بعدي لكنه يعجز حتى عن أن يحكم نفسه"
اهتز البارون وهو يتكلم، واقفا وسط الظلال بجانب نموذج الكوكب: "حسنا إذن يا فايد-راوثا هاركونن. لقد أحضرتك هنا على أمل أن أعلمك شيئا من الحكمة. هل انتبهت جيدا لمنتاتنا المميز؟ بالتأكيد قد تعلمت شيئا من حواري معه"
"لكن يا عمي أنا..."
"منتات شديد الكفاءة هذا البايتر، ألا توافقني في هذا يا فايد؟"
"نعم، لكن..."
"فعلا. لكنه يستهلك الكثير من البهار! يتناوله وكأنه يتناول حلوى! انظر لعينيه. من يراه قد يظن أنه قادم مباشرة من بين العمال العاملين على أراكس.
بايتر كفء بالفعل، لكنه لا زال خاضعا لتقلبات المزاج ولنوبات انفجار في المشاعر.
بايتر كفء، لكنه قد يخطئ أحيانا"
تكلم بايتر في ضيق وبصوت منخفض: "هل استدعيتني هنا يا بارون كي تعيق كفاءتي بهذا الانتقاد؟"
"أعيق كفاءتك؟! تعرفني بدرجة أفضل من هذا يا بايتر. كل ما أريده هو أن يفهم ابن أخي ما بالمنتات من قصور وعيوب"
تساءل بايتر في حدة: "هل تجهز بديلا لي من الآن بالفعل؟"
"بديلا لك؟! وأنى لي بمنتات آخر تكون له نفس مهاراتك ومكرك؟"
"ستجده في نفس المكان الذي وجدتني فيه يا بارون"
قال البارون بعد تأمل: "ربما يجب أن أفعل هذا فعلا. فأنت مؤخرا تبدو غير متزن إلى حد ما.. وكميات البهار التي تأكلها!"
"هل متعي تكلف الكثير يا بارون؟ هل تعترض عليها؟"
"عزيزي بايتر، متعك هي ما يربطك بي، فكيف يمكن أن أعترض على شيء كهذا؟ كل ما أريده هو أن يدرك ابن أخي هذه الصفة فيك"
قال بايتر: "إذن أنا الآن معروض للفرجة؟ هل تريد مني أن أرقص؟ هل أؤدي شيئا من مهامي المتعددة أمام 'المبجل' فايد_راو..."
قال البارون: "بالضبط. يتم استعراضك الآن، فاصمت"
نظر لفايد فرأى شفتي ابن أخيه الممتلئتين والممطوطتين - تلك الصفة الموروثة من جينات الهاركونن - وقد التوت قليلا،

كعلامة على أن الفتى يشعر بالتسلية من الموقف.
"ما أمامك هو منتات يا فايد. تم تدريبه وتهيئته عقليا كي يؤدي مهاما معينة. لكن لا يجب إغفال حقيقة أنه لا زال قابعا في جسده البشري. وهذا عائق خطير، حتى أني أظن أحيانا أن القدماء كانوا على حق عندما اعتمدوا على الآلات المفكرة"
زمجر بايتر معترضا: "كانت مجرد ألعاب بالمقارنة بقدراتي. أنت نفسك يا بارون كان سيمكنك أن تتفوق على هذه الآلات"
قال البارون: "ربما"، وأخذ نفسا عميقا ثم تجشأ.
"والآن يا بايتر اعرض أمام ابن أخي الملامح العامة لخطتنا ضد عائلة أتريديز. أدِ وظيفتك كمنتات أمامنا لو سمحت"
"لكن يا بارون لقد نصحتك في السابق ألا تأتمن فتى صغيرا على مثل هذه المعلومات. فما لاحظته فيه هو..."
قاطعه البارون: "أنا من يقرر هذا. وأنا الآن أصدر لك أمرا يا منتات: أرنا واحدة من وظائفك المتعددة"
قال بايتر: "فليكن"، ونصب قامته ووقف في اعتدال ووقار، كما لو كان يرتدي قناعا آخر، لكن هذه المرة كان القناع يحيط بجسده كله.
"في غضون بضعة أيام، بالحساب المعياري، ستصعد عائلة الدوق ليتو، وكل التابعين لها، على متن إحدى سفن نقابة الفضاء. ستوصلهم النقابة إلى مدينة أراكين، لا مدينة قرطاج التي كنا نحكم منها.. حيث أن المنتات التابع للدوق سيقرر - في حسبة عقلية سليمة فعلا - أن الدفاع العسكري عن أراكين أسهل"
قال البارون: "استمع بانتباه يا فايد، ولاحظ الخطط المتداخلة في خطط والمتشابكة في خطط أخرى!"
أومأ فايد-راوثا برأسه، وفكر: هذا هو الكلام المناسب. الوحش العجوز يشاركني أسراره أخيرا! واضح أن عزمه مستقر فعلا على أن يجعلني خليفته.
قال بايتر: "هناك عدة احتمالات للانحراف في الخطة. فمع أن توقعاتي العقلية تميل إلى أن آل أتريديز سيذهبون فعلا لأراكس، إلا أننا لا يجب أن نتجاهل احتمالية أن الدوق تعاقد مع نقابة الفضاء كي تنقله لمكان آمن، بعيدا عن المنظومة كلها. فآخرون في ظروف مشابهة سابقة اختاروا أن يتحولوا لعائلة هاربة، آخذين أسلحتهم الذرية ودروعهم لكوكب بعيد عن الإمبراطورية"
قال البارون: "كرامة الدوق أكبر من أن تسمح له بهذا"
قال بايتر: "لكنه لا زال أحد الاحتمالات. وعلى أية حال فالمحصلة النهائية بالنسبة لنا ستظل كما هي"
قال البارون بصوت هادر: "لا، لن تكون نفس المحصلة!.. يجب أن أراه ميتا وأن أقضي تماما على نسله"
قال بايتر: "وهذا هو الاحتمال الأرجح بالفعل. فعندما تقرر إحدى عائلات النبلاء أن تنفصل وتهرب يكون هذا مصحوبا بتحضيرات معينة. والدوق لا يبدو أنه يفعل أيا من هذه التحضيرات"
قال البارون: "حسنا. استمر إذن يا بايتر"
"في مدينة أراكين سيسكن الدوق وأسرته في قصر الإقامة، والذي كان حتى وقت قريب منزلا للكونت فينرنج وزوجته"
ضحك البارون قائلا: "السفير المبعوث إلى المهربين"
سأل فايد: "المبعوث إلى ماذا؟!"
قال بايتر: "عمك يمزح. فهو يطلق على الكونت فينرنج لقب 'سفير مبعوث للمهربين' ليشير لاهتمام الإمبراطور بعمليات التهريب التي تحدث على أراكس"
نظر فايد لعمه متسائلا في حيرة: "لم؟"
قال البارون بحدة: "لا تكن غبيا يا فايد. فطالما نقابة الفضاء باقية فعليا خارج سلطة الإمبراطور وقدرته على التحكم فكيف

نتوقع ألا يكون على علاقة بالمهربين؟ كيف سيمكنه إذن تحريك الجواسيس ومن يقومون بعمليات الاغتيال؟"
نطق فم فايد كلمة 'أوه!' خافتة كعلامة على فهمه للأمر.
قال بايتر: "وضعنا في القصر عدة خطط لتشتيت انتباههم. فستكون هناك مثلا محاولة لقتل الصبي ولي العهد، ابن الدوق الأتريدي. محاولة ربما تنجح"
قال البارون معترضا: "بايتر! لقد أكدت لي أن..."
قال بايتر مقاطعا: "ما قلته هو أن الحوادث تقع، فقد يموت الصبي فعلا أثناء تظاهر عميلنا بقتله. فالمحاولة يجب أن تبدو حقيقية قدر الإمكان"
قال البارون: "خسارة! الولد له جسد صغير وجميل. لكن ربما يكون أخطر من أبيه.. خصوصا لما تلقاه من تدريب على يد أمه 'الساحرة'. امرأة ملعونة!
حسنا. استمر من فضلك يا بايتر"
"سيستنتج حواط حينئذ أننا زرعنا عميلا عندهم. المتهم الواضح أمامه سيكون دكتور يوي، والذي هو فعلا عميلنا. لكن حواط قام بالتحقيق في خلفية يوي وعلم أن الطبيب متخرج من مدرسة 'صك' Suk وخاضع لبرمجة عقلية إمبراطورية، وهؤلاء - كما يقال - يؤتمنون تماما ويصلحون أن يكونوا أطباء للإمبراطور ذاته.
تلك التهيئة العقلية لها سمعة حسنة للغاية. ومن المفترض أنها في أقوى حالاتها لا يمكن نزعها، ومحاولة نزعها ستؤدي لقتل الطبيب الخاضع لها. إلا أنه وكما قال أحد الأشخاص: أعطني الرافعة المناسبة وسأتمكن من تحريك كوكب بأكمله. وقد وجدنا الرافعة التي نجحت في تحريك الدكتور"
سأل فايد: "كيف؟". أثار هذا الموضوع شغفه للغاية.. فالجميع يعلمون أنه يستحيل إفساد البرمجة العقلية الإمبراطورية!
قال البارون: "سأخبرك في وقت آخر. أكمل يا بايتر"
قال بايتر: "بدلا من يوي سنضع في طريق حواط متهمة أخرى مثيرة للاهتمام. غرابة وجرأة توجيه الاتهام لها سيجعلها محط انتباه حواط"
قال فايد متسائلا: "متهمة؟"
قال البارون: "الليدي جيسيكا ذاتها!"
قال بايتر: "أليست فكرة عبقرية؟ سينشغل عقل حواط تماما باحتمالية صدق هذه التهمة لدرجة أن الانشغال سيعيق مهامه كمنتات. بل وربما حاول قتلها أيضا"، وهنا ظهر العبوس على وجه بايتر وأكمل قائلا: "لكن لا أظنه سينجح في تحقيق هذا"
قال البارون: "ولا تريد له أن ينجح.. صحيح؟"
قال بايتر: "لا تشتت أفكاري. عندما ينشغل حواط بأمر الليدي جيسيكا سننشغل تفكيره بأمور إضافية أيضا.. قلاقل وشغب في مدن الحاميات العسكرية، وأشياء من هذا القبيل. لكنها ستخمد في النهاية، مما سيجعل الدوق يظن أن الأمور قد استتبت له. وعندما تحين اللحظة المناسبة سنبعث ليوي ونهبط بقوتنا الرئيسية.. الـ..."
قال البارون: "هيا، أخبره بكل شيء"
"سنهبط معززين بفيلقين من الساردوكار متنكرين في زي الهاركونن"
قال فايد-راوثا منبهرا: "ساردوكار!"
وارتسمت في عقله صورة القوات الإمبراطورية التي توقع الرهبة في النفوس.. القتلة بلا رحمة.. الجنود ذوي الولاء المتعصب للإمبراطور الباديشي.

قال البارون: "هل ترى لأي مدى أثق فيك يا فايد؟ لا يجب أن يصل ولو مجرد تلميح بهذا لأي أسرة من أسر كبار النبلاء، وإلا سيتحالف اللاندسراد كله ضد الإمبراطور وتسود الفوضى"
قال بايتر: "النقطة الهامة هنا هي كالآتي: حيث أن عائلة هاركونن قبلت باستخدامها كي تقوم بـ 'العمل القذر' نيابة عن الإمبراطور فنكون بذلك قد نلنا موقعا مميزا وأفضلية حقيقية. هي أفضلية خطرة بلا شك لكن إن تم استغلالها بحذر ستأتي لآل هاركونن بثروة هائلة تفوق ما لدى أي عائلة نبيلة أخرى"
قال البارون: "لن تصدق مقدار الثروة التي نتحدث عنها يا فايد. تفوق كل ما يمكن أن تحلم به وتتخيله. يكفي أننا سنحصل على مقعد إداري دائم في شركة شوم"
أومأ فايد-راوثا برأسه. فالثروة هي كل شيء. وشركة شوم هي مفتاح الثروة. كل عائلة نبيلة تغترف من خزائن الشركة كل ما يمكنها الحصول عليه، بسلطة مقعدها الإداري. تلك المقاعد والأسهم كانت المؤشر الفعلي على القوة السياسية في الإمبراطورية.. تنتقل عبر التصويت بين نبلاء مجلس اللاندسراد، كقوة موازية لقوة الإمبراطور وأتباعه.
قال بايتر: "قد يحاول الدوق ليتو الفرار إلى حثالة الفريمن القاطنين في أطراف الصحراء.. وقد يحاول أن يرسل أسرته إلى هناك، ساعين لأمان متوهم.. لكن هذا الطريق مسدود بواسطة أحد العاملين في خدمة الإمبراطور: خبير البيئة الكوكبية، كاينز. ربما تتذكره"
قال البارون: "فايد يتذكره. هيا استمر"
قال بايتر ساخرا: "ليس منظرك جميلا ولعابك يسيل بهذه الطريقة يا بارون"
صاح البارون: "قلت لك استمر.. هذا أمر"
هز بايتر كتفيه وأكمل قائلا: "لو تحققت الأمور كما هو مخطط لها فسيحصل آل هاركونن على حصة إقطاعية من أراكس خلال سنة معيارية. عمك سيحق له توزيع هذا الإقطاع. وكيله الشخصي سيحكم أراكس"
قال فايد: "المزيد من الأرباح!"
قال البارون: "بالفعل"، وفكر في نفسه: هذا هو العدل. فنحن من روضنا أراكس. ولم يفلت من قبضتنا سوى حثالة الفريمن قليلي العدد المختبئين على أطراف الصحراء، وبعض المهربين ممن لا خطر منهم والذين ارتبطوا بالكوكب ارتباطا يقترب من ارتباط العمالة المحلية.
قال بايتر: "وستعلم عائلات النبلاء أن من قضى على آل أتريديز هو البارون. سيعلمون"
قال البارون بصوت هامس: "نعم.. سيعلمون"
قال بايتر: "وأجمل ما في الأمر هو أن الدوق نفسه سيعلم أيضا. بل ويعلم الآن بالفعل، إذ يشعر بالفخ المنصوب له"
قال البارون: "صحيح أن الدوق يعلم"، وبدت في صوته لمحة حزن. "يعلم في قرارة نفسه. شيء مؤسف فعلا"
وهنا سار البارون مبتعدا عن كرة أراكس. وبدت ملامح جسده واضحة عندما خرج من بين الظلال: سمينا بدرجة هائلة ومقززة. ومن تحت ثنايا ردائه الأسود تكاد تبدو النتوءات البارزة التي تكشف أن كل هذه الدهون محمولة جزئيا بأجهزة مقاومة للجاذبية، ملاصقة لجسده.
ففي حين أنه يزن فعلا 200 كيلو معياري إلا أن قدميه لا تتحملان من هذا الوزن أكثر من 50.
قال البارون في صوت كالقعقعة: "أنا جائع"، وحك شفتيه الناتئتين بيد مكتظة.. ثم نظر لفايد-راوثا بعينين تحيط بهما الدهون وقال: "اجعلهم يرسلوا لنا طعاما يا عزيزي، فسنأكل قبل أن ننام"

الفصل 3

"هكذا تكلمت القديسة عاليا Alia ذات السكين:
على كل سيدة موقرة أن تجمع بين إغواء المحظية وجلالة الإلهة العذراء المتعالية، وأن تحافظ على هاتين الصفتين في حالة شد وجذب ما دامت تتمتع بشبابها. وعندما يذهب الشباب والجمال ستجد أن المكان الواقع بين الصفتين قد تحول من توتر حالة الشد والجذب إلى ينبوع براعة ودهاء"

من كتاب "المؤدِّب: تعليقات عائلية"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

وجهت السيدة الموقرة سؤالها لجيسيكا قائلة: "والآن أخبريني.. كيف سيمكنك تبرير ما فعلتيه؟"
في قلعة كالادان، في يوم مرور بولس بمحنة الاختبار، كانت الشمس موشكة على الغروب، والمرأتان بمفردهما في حجرة جيسيكا الصباحية.. أما بولس فقد كان منتظرا في الحجرة الملاصقة.. حجرة التأمل المعزولة صوتيا.
وقفت جيسيكا في مواجهة النوافذ الجنوبية، غارقة في أفكارها. لم تنتبه لما أمام ناظريها من ألوان المساء المنحدرة على المرج والنهر. سمعت سؤال السيدة الموقرة لكن كأنها لم تسمعه.
تذكرت اختبارا آخر حدث قبل سنوات طويلة. فتاة نحيلة - ذات شعر برونزي وجسد عذبته بوادر البلوغ - دخلت مكتب السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم، المشرفة العليا في مدرسة البني-جيزيرت على كوكب والاش 9.
نظرت جيسيكا ليدها اليمنى وحركت الأصابع، متذكرة الألم والرعب والغضب.
همست: "يا لبولس المسكين"
قالت العجوز في صوت آمر وقاطع: "جيسيكا! لقد وجهت لك سؤالا"
"ما الـ...؟ أوه"
استعادت جيسيكا انتباهها بسرعة وتركت ذكريات الماضي. استدارت بوجهها ناحية السيدة الموقرة المعطية ظهرها للحائط الحجري الواصل بين النافذتين الغربيتين، وقالت: "ماذا تريدين مني أن أقول؟"
رددت العجوز بنبرة استهزاء قاسية: "ماذا أريد منك أن تقولي؟!"
انفجرت جيسيكا قائلة: "نعم أنجبت ابنا! ما المشكلة؟"
كانت تعلم أنها تساق لهذه المشاعر الغاضبة عن قصد.
"أمرناكِ أن تنجبي لآل أتريديز بنات فقط"
ردت جيسيكا بصوت فيه مناشدة: "لكنه شيء كان يعني له الكثير"
"وغرورك جعلك تظنين أن الكويزاتس هاديراك قد يولد لك!"
رفعت جيسيكا ذقنها قائلة: "شعرت بإمكانية حدوث هذا"
قالت العجوز في حدة: "كل ما شغلك هو رغبة خليلك الدوق في ابن، في حين أن رغباته لا أهمية لها، وصلتها بهذا الشأن هامشية. فابنة من نسل آل أتريديز كان سيمكن تزويجها لوريث آل هاركونن، وبذلك يتم رأب الصدع. أما فعلتك فعقدت الأمور بدرجة خطيرة. يمكن أن نخسر كلا السلالتين بهذه الطريقة!"

جابهت جيسيكا النظرة الصارمة المصوبة إليها من العينين العجوزتين وقالت: "لستن معصومات من الخطأ"
تمتمت العجوز قائلة: "ما حدث قد حدث. يجب أن نفكر في الحاضر"
قالت جيسيكا: "قد أقسمت ألا أندم على قراري هذا أبدا"
ردت السيدة الموقرة بسخرية: "شيء نبيل فعلا. لا ندم؟.. سنرى إذن عندما تصبحين هاربة ومطاردة، ويتم الإعلان عن مكافأة لمن يستطيع القضاء عليك، والجميع متحالفين ضدك سعيا لقتلك وقتل ابنك"
بدا الشحوب على وجه جيسيكا وقالت: "ألا يوجد بديل؟"
"بديل؟! هل هذا سؤال تسأله واحدة من البني-جيزيرت؟!"
"إنه مجرد استفسار عما تريه لك قدراتك.. ما تتوقعين حدوثه في المستقبل"
"ما أراه في المستقبل هو نفس ما كان يحدث في الماضي، إنك يا جيسيكا على علم تام بالنمط الذي يسود شؤوننا. السلالة العرقية تدرك أنها ليست خالدة وتخشى أن يحدث ركود في انتشار صفاتها الوراثية. هذه غريزة تجري فيها مجرى الدم.. الرغبة في مزج السلالات الجينية دون خطة ضابطة. وما البيت الإمبراطوري وشركة شوم وكل العائلات النبيلة إلا مجرد ركام يحركه السيل في طريقه"
تمتمت جيسيكا: "شوم!.. لا أستبعد أنهم قد قرروا بالفعل كيف سيوزعون غنائم أراكس فيما بينهم"
قالت العجوز: "شركة شوم هي المؤشر الحقيقي في زماننا على اتجاه رياح السلطة. فالإمبراطور وأصدقاؤه يتحكمون اليوم في 59,65 % من الأصوات الإدارية في الشركة. لا شك أنهم يشمون رائحة الأرباح القادمة. وستزيد هذه النسبة بالتأكيد عندما ينضم للإمبراطور آخرون ممن يتوقعون أيضا هذه الأرباح. هذا هو النمط التاريخي المتكرر يا فتاة!"
قالت جيسيكا بتهكم: "هذا ما كان ينقصني الآن بالفعل.. درس في التاريخ!"
"لا تستظرفي يا فتاة! تعرفين كما أعرف تماما طبيعة القوى التي تحيط بنا. لحضارتنا قائمة على ثلاثة أعمدة: البيت الإمبراطوري في حالة توازن مقابل اتحاد عائلات كبار النبلاء المكون لمجلس اللاندسراد.. وبينهما نقابة السفر، باحتكارها اللعين لوسائل السفر الفضائي. وفي السياسة يعتبر البناء الهيكلي ثلاثي القوائم أقل الأنظمة استقرارا. وما يزيد الأمر سوءا على سوء هو تعقيدات تلك الثقافة المجتمعية التجارية المبنية على نظام إقطاعي قد أدار ظهره لأغلب العلوم!"
ردت جيسيكا بنبرة تهكم لاذعة: "وكأنها قطع صغيرة عديمة القيمة تتحرك مع التيار. هذه القطعة هي الدوق ليتو، وتلك القطعة هي ابنه، وهذه الـ..."
"كفاك هراء يا بنت! انضمامك لمشروعنا كان مع علمك التام بالطبيعة الدقيقة للمسار الخطر الذي ستسيرين فيه"
هنا نطقت جيسيكا كلمات الاقتباس: "أنا من البني-جيزيرت.. هدفي الوحيد في الوجود هو أن أخدم"
قالت العجوز: "صدقتِ. وكل ما يمكن أن نأمل فيه الآن هو أن نمنع الأمور من الانفجار والتطور إلى نار تحرق كل شيء، وأن ننقذ ما يمكننا إنقاذه من السلالات الرئيسية الهامة"
أغلقت جيسيكا عينيها وشعرت بالدموع تكاد تنفجر من تحت الأجفان. حاولت مقاومة الاضطراب الداخلي.. الاهتزاز الخارجي.. الأنفاس المتقطعة.. النبض غير المنتظم.. راحة اليد المتعرقة.
بعد انقضاء عدة لحظات قالت: "سأدفع ثمن غلطتي"
"وابنك سيدفع معك أيضا"
"سأحميه قدر استطاعتي"
ردت العجوز بحدة: "حماية؟! تعرفين جيدا الضعف الكامن في هذا. احمِ الابن أكثر من اللازم فإذا به يكبر ليصبح ضعيفا،

غير قادر على تحقيق أي شيء عظيم"
أدارت جيسيكا ظهرها بعيدا، ونظرت عبر النافذة إلى ظلمة الليل التي بدأت في الانسدال: "هل حقيقي أن كوكب أراكس على هذه الدرجة من السوء؟"
"سيء إلى حد كبير.. لكن السوء لا يعم كل شيء فيه. بعثاتنا الإرسالية الوقائية زارته قديما ويسرت الأمور إلى حد ما"
ثم نهضت السيدة الموقرة وقامت بتسوية طية ظهرت على ثوبها، وقالت: "استدعي الولد.. فيجب أن أرحل قريبا"
"ضروري أن ترحلي؟"
بدا العطف على نبرة العجوز وهي تقول: "جيسيكا يا فتاتي، لكم كنت أود أن أنوب عنك في تحمل متاعبك وآلامك، لكن لكل واحدة منا مسارها الخاص"
"أعرف"
"أنت غالية عليّ كواحدة من بناتي، لكن لا يمكن أن أسمح لهذا بأن يؤثر على واجبي"
"أتفهم الـ.. ضرورة"
"كلانا يعلم ما فعلتيه، ودافعك لفعله.. لكن شفقتي عليك تجبرني أن أصارحك: الأمل ضئيل جدا في أن يكون ولدك هو فعلا الهدف المنشود الذي تسعى إليه البني-جيزيرت. فلا ترفعي آمالك أكثر من اللازم"
هزت جيسيكا الدموع من جانبي عينيها. كانت حركة تعبر عن الغضب داخلها: "تجعليني أشعر وكأني عدت فتاة صغيرة، أقف مرددة درسي الأول: لا ينبغي أبدا لإنسان أن يخضع لحيوان"
خرجت الكلمات منها بصعوبة. اهتز جسدها بنشيج بلا دموع، ثم قالت في صوت منخفض: "لقد كنت أشعر بوحدة شديدة"
قالت العجوز: "علينا أن نجعل اختباراتنا تشمل هذا الأمر.. فالأناس الحقيقيون دائما ما يعيشون شاعرين بالوحدة. والآن هيا، استدعي الغلام. فمع أن يومه كان طويلا ومخيفا إلا أن الوقت الذي مر يكفي لأن يفكر ويتذكر.. وأحتاج لأن أسأله باقي الأسئلة بخصوص تلك الأحلام التي يراها في منامه"
أومأت جيسيكا وذهبت لباب حجرة التأمل وفتحته: "بولس، تعال إلى هنا من فضلك"
ظهر بولس. تقدم لكن ببطء مقصود، وكأنه يعاند. نظر لأمه وكأنه ينظر لشخص لا يعرفه.. وعندما نظر للسيدة الموقرة كانت عيناه تنضحان بالحذر، لكنه أومأ لها برأسه الإيماءة المعتاد تقديمها لمن يستوون معك في المرتبة الاجتماعية.
سمع أمه تغلق الباب خلفه.
قالت العجوز: "أيها الشاب.. دعنا نعود لموضوع الأحلام هذا"
"ماذا تريدين؟"
"هل تحلم كل ليلة؟"
"الأحلام التي تستحق التذكر لا تأتيني كل ليلة. يمكنني تذكر كل حلم رأيته، لكن بعضها يستحق التذكر وبعضها لا"
"وكيف تستطيع التمييز بينها؟"
"أعرفها بالفطرة"
وجهت العجوز لجيسيكا نظرة سريعة ثم عادت بوجهها لبولس: "وبماذا حلمت بالأمس؟ هل كان حلما يستحق التذكر؟"
"أجل"، وأغلق بولس عينيه: "رأيت في الحلم كهفا كبيرا.. وماء.. وفتاة.. نحيفة للغاية وعيناها واسعتان. لون عينيها أزرق، بلا أي بياض فيهما. أتحدث إليها وأخبرها عنك.. عن مقابلة السيدة الموقرة على كالادان"

فتح بولس عينيه.
"الشيء الذي تقوله لهذه الفتاة.. بشأن لقائي بك.. هل حدث اليوم؟"
فكر بولس في الأمر ثم قال: "أجل. أخبرها أنك حضرتِ وطبعتيني بـ 'طابع غرابة'"
كررت العجوز بصوت مبهور: "طابع غرابة!"، ومجددا وجهت نظرة لجيسيكا ثم أعادت انتباهها لبولس.
"أصدقني القول يا بولس.. هل كثيرا ما ترى في أحلامك أشياء تتحقق فعلا فيما بعد.. كما رأيتها بالضبط؟"
"أجل. وقد حلمت بهذه الفتاة من قبل"
"تعرفها إذن؟"
"بل سأعرفها"
"أخبرني عنها"
أغلق بولس عينيه مجددا: "أراني وإياها في مكان صغير تحيط به بعض الصخور. الظلام يكاد يحل، لكن الجو حار. من خلال فتحة بين الصخور أستطيع رؤية مساحات رملية. أنا وهي ننتظر.. ننتظر كي أذهب وأقابل أشخاصا ما. تشعر بالخوف، لكنها تحاول إخفاء خوفها عني.. أما أنا فسأكون شاعرا بالإثارة. ثم إذا بها تقول: أصول Usul.. موطنك.. أخبرني عن الماء على موطنك"
فتح بولس عينيه وأكمل قائلا: "أليس هذا غريبا؟ فموطني اسمه كالادان! ولم أسمع أبدا عن كوكب اسمه أصول!"
استحثته جيسيكا قائلة: "هل لهذا الحلم بقية؟"
قال بولس: "أجل. لكن ربما كانت تدعوني أنا باسم أصول! هذه الفكرة خطرت على بالي الآن"، ثم عاد وأغلق عينيه.
"تطلب مني أن أخبرها عن المياه. أمسك يدها وأقول لها أني سأتلو عليها قصيدة. وبالفعل أخبرها بالقصيدة، لكن اضطر إلى أن أفسر لها معاني بعض كلماتها.. كلمات مثل: شاطئ، وأمواج، وطحالب، ونورس"
سألت السيدة الموقرة: "أي قصيدة؟"
فتح بولس عينيه وقال: "مجرد واحدة من قصائد جيرني هاليك الغنائية.. يلقيها في المناسبات الحزينة"
ومن خلفه جاء صوت جيسيكا قائلا:
"أتذكر دخانا مالحا صاعدا من نار موقدة على الشاطئ
وظلالا تحت أشجار الصنوبر
قوية.. صافية.. راسخة
وطيور النورس جاثمة على حافة اليابس
الأبيض على الأخضر
ثم من بين الصنوبر تأتي الريح
فتميل لها الظلال
وتنشر النوارس أجنحتها
وترتفع
وتملأ السماء بصياحها
وأسمع الرياح تهب عبر شاطئنا
والأمواج المتكسرة

ثم أدرك أن نارنا قد أحرقت الطحالب"
قال بولس: "هذه هي"
حدقت العجوز في بولس: "أيها الشاب.. بصفتي مشرفة من مشرفات البني-جيزيرت فإن هدفي هو الكويزاتس هاديراك.. الذكر الذي سيمكنه فعلا أن يصبح كواحد منا. أمك ترى إمكانية تحقق هذه الاحتمالية فيك، لكنها تنظر للأمر بعين أم. أنا أيضا أرى فيك احتمالية.. لكن مجرد احتمالية لا أكثر"
ثم صمتت. فهم بولس أنها أرادت منه أن يتكلم، لكنه حافظ على صمته وانتظر أن تكمل.
بعد لحظات قالت: "حسنا، كما تحب. شخصيتك عميقة.. أسلّم لك بهذا"
سأل: "هل يمكن أن أذهب الآن؟"
قالت جيسيكا: "ألا تريد أن تسمع ما لدى السيدة الموقرة من معلومات عن الكويزاتس هاديراك؟"
"لقد قالت أن من حاولوا أن يصبحوه.. ماتوا"
قالت السيدة الموقرة: "لكن في إمكاني أن أساعدك ببعض التلميحات عن أسباب فشلهم"
فكر بولس في نفسه: تتحدث عن تلميحات! واضح أنها لا تعرف شيئا مؤكدا.
ثم قال: "لمحي إذن"
"هكذا بلا أي احترام؟!"، ابتسمت في سخرية، وتشابكت تجاعيد الوجه العجوز: "حسنا إذن.. من يخضع يتحكم"
شعر باندهاش. فما تتكلم عنه بسيط وبدائي للغاية ويختص بفكرة التجاذب الداخلي للمعاني. هل تظن أن أمه لم تعلمه شيئا؟
"هذا تلميح؟!"
"لسنا هنا كي نتلاعب بالكلمات أو نتجادل حول المعاني. شجرة الصفصاف تخضع للرياح، فتنمو، إلى أن تصبح يوما ما عدة أشجار صفصاف.. جدارا يصد الرياح. فهذا هو غاية الصفصاف"
ثبت بولس نظره عليها. عندما قالت 'غاية' شعر بالكلمة تصدمه، وبفكرة وجود 'غاية رهيبة لحياته' تعود لتسيطر عليه مرة أخرى.
وفجأة شعر بالغضب تجاهها. يا لها من شمطاء مشعوذة، حمقاء فمها مليء بالتفاهات.
قال: "تظنين أنه يمكن أن أكون هذا الكويزاتس هاديراك، وتتكلمين عني طويلا، لكن لم تتفوهي بكلمة واحدة عما يمكن أن نفعله كي نساعد أبي. لقد سمعتك وأنت تتحدثين مع أمي!.. تتحدثين وكأن أبي قد مات بالفعل. إنه لم يمت بعد!"
قالت العجوز متذمرة: "إن كان هناك شيء يمكن فعله لإنقاذه لكنا فعلناه. أما أنت فربما يمكننا تخليصك. شيء مشكوك فيه، لكنه محتمل. أما أبوك فلا شيء له. وعندما تتعلم أن تتقبل هذا الأمر كحقيقة ستكون قد تعلمت درسا حقيقيا من دروس البني-جيزيرت"
رأى بولس كيف هزت هذه الكلمات أمه. حملق في العجوز. كيف تسمح لنفسها أن تقول شيئا كهذا عن أبيه؟ لم هي واثقة لهذه الدرجة مما تقوله؟ شعر بعقله يغلي من شدة استيائه.
نظرت السيدة الموقرة لجيسيكا: "أرى من العلامات الواضحة على تصرفاته أنك كنت تعلميه طريقتنا. لو كنتُ مكانك لفعلت نفس الشيء ولتجاهلت القواعد التي تمنع هذا"
أومأت جيسيكا إيجابا.
قالت العجوز: "أنصحك إذن أن تتجاهلي الترتيب المعتاد للدروس. فسلامته تتطلب أن يتمكن من استخدام 'الصوت'. عنده قدر أولي لا بأس به لكن أنا وأنت نعلم جيدا أنه يحتاج المزيد. إنه في أمس الحاجة لأن يتقنه"

اقتربت من بولس ثم هبطت ببصرها إليه: "وداعا أيها الإنسان الشاب. أرجو أن تنجو. لكن حتى إن لم تستطع النجاة، فسننجح نحن في تحقيق هدفنا في النهاية"

ألقت نظرة أخيرة على جيسيكا، وفي لحظة ساد تفاهم مشترك بين المرأتين، ثم أسرعت العجوز خارجة من الحجرة، وحفيف ردائها يصاحبها، دون أن تلق ولو نظرة واحدة أخرى للخلف.

الحجرة بمن فيها كانوا قد فارقوا محور اهتمامها بالفعل.

لكن جيسيكا استطاعت استراق لمحة خاطفة لوجه السيدة الموقرة وهي تبتعد.. ورأت دموعا على الوجنتين المجعدتين!

أرهبتها هذه الدموع أكثر من أي كلمة أو إشارة تبادلتها معها اليوم.

الفصل 4

"مر عليك في قراءتك أن المؤدب لم يكن له أقران من عمره يلهو معهم، إذ كانت المخاوف كبيرة. لكن كان له معلمون رائعون مرافقون له.
منهم جيرني هاليك، المحارب والشاعر الغنائي، (ستغني بعض قصائده فيما بعد وأنت تقرأ هذا الكتاب).
وكان منهم أيضا ظوفر حواط، المنتات العجوز، خبير الاغتيالات، والذي ألقى الرعب في قلب الإمبراطور الباديشي ذاته.
ومنهم دنكن أيداهو، مدرب المبارزة، والذي أصله من آل جِناز.
ومنهم دكتور ويلينجتون يُوي.. اسم يكلله سواد الخيانة لكنه كان متألقا بالمعارف العلمية.
والليدي جيسيكا، والتي دربت ابنها على أساليب البني-جيزيرت.
و - بالطبع - الدوق ليتو، والذي ينسى الناس دائما صفاته الأبوية المميزة"

من كتاب "المؤدب: تاريخ للأطفال"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

تسلل ظوفر حواط داخلا حجرة التدريب في قلعة كالادان، ثم أغلق الباب بهدوء.
وقف في مكانه للحظة، شاعرا بتقدمه في السن، وبأنه مرهق وكأن عاصفة قد جلدت جسده.
أحس بالألم في رجله اليسرى في موضع ذلك الجرح الذي أصابه أثناء عمله في خدمة الدوق القديم.
فكر: ثلاثة أدواق خدمتهم حتى الآن من آل أتريديز.
نظر عبر الحجرة الكبيرة - المضاءة بأشعة الظهيرة المتدفقة عبر فتحات الإنارة العلوية - فرأى الفتى جالسا وظهره للباب، مستغرقا في دراسة أوراق وخرائط منثورة على سطح منضدة مصنوعة من خشب الـ إل Ell.
كم مرة سيتحتم علي أن أخبر هذا الفتى ألا يجلس أبدا معطيا ظهره للباب؟
تنحنح حواط.
ظل بولس منكبا على قراءته.
مر ظل سحابة على فتحات الإنارة العلوية. تنحنح حواط مجددا.
اعتدل بولس وتكلم دون أن يستدير: "أعلم. أنا جالس وظهري للباب"
غالب حواط ابتسامة، ومشى عبر الحجرة في خطوات واسعة.
رفع بولس نظره للعجوز الأشيب الذي توقف بقرب أحد أركان المنضدة. كانت عينا حواط كنبعين يتدفقان انتباها في وجه أسمر مليء بالتجاعيد.
قال بولس: "سمعتك وأنت قادم من الردهة.. وسمعتك وأنت تفتح الباب"
"ما يصدر عني من أصوات يمكن أن يحاكيه آخرون"
"عندها كنت سأدرك الفرق"
فكر حواط: غير مستبعد أن يفعلها. لا شك أن أمه 'الساحرة' قد دربته تدريبا عميقا. يا ترى ما رأي مَدرستها الغالية في هذا؟ ربما لهذا السبب أرسلوا المشرفة العجوز إلى هنا.. كي يزجروا جيسيكا - سيدتنا 'العزيزة' - حتى تستقيم.

سحب حواط مقعدا مقابل بولس، وجلس مواجها الباب. فعل هذا عن قصد.
مال في المقعد للوراء وأخذ يفحص الحجرة.
بدت فجأة لعينيه مكانا غريبا، إذ انتقلت أغلب معداتها لأراكس بالفعل. بقيت طاولة تدريب، ومرآة مبارزة بمناشيرها الكريستالية الساكنة، وجوارها دمية التدريب على الهدف.. مرقعة ومبطنة.. تشبه أحد جنود المشاة القدماء.. مشوه ومسحوق بعد أهوال الحروب.
فكر حواط: مثلي.
سأله بولس: "ظوفر، فيم تفكر؟"
نظر حواط للفتى: "كنت أفكر في أننا كلنا سنسافر من هنا قريبا، وعلى الأرجح لن نرى هذا المكان مجددا أبدا"
"وهل يشعرك هذا بالحزن؟"
"الحزن؟ هراء. مفارقة الأصحاب تثير الحزن، أما الأماكن فمجرد أماكن ليس إلا"
ألقى نظرة على الخرائط الموضوعة على المنضدة وأكمل قائلا: "وأراكس أيضا مجرد مكان آخر"
"هل أرسلك أبي لتمتحن ثباتي؟"
عقد ظوفر حاجبيه.. يتمتع الفتى ببصيرة نافذة.
أومأ إيجابا. "ما تفكر فيه الآن هو: من الأفضل لو كان قد أتى بنفسه. لكنك تعلم انشغاله. سيأتي في وقت لاحق"
"كنت أدرس موضوع عواصف أراكس"
"آه.. العواصف"
"تبدو سيئة للغاية"
"كلمة 'سيئة' تعتبر أقل مما ينبغي. فهذه العواصف تتراكم قوتها بالتدريج لسيرها عبر 6 أو 7 آلاف كيلو متر من الأراضي المنبسطة.. وتتغذى بكل ما يمكن أن يزيدها قوة: قوى كوريولِس، وعواصف أخرى، وكل ما يملك ولو حتى مقدار ضئيل من الطاقة. تصل سرعاتها أحيانا لـ 700 كيلو متر في الساعة، محملة بكل الأشياء الحرة التي تجدها في طريقها: رمال، غبار.. كل شيء. يمكنها أن تنزع اللحم عن العظام وأن تفتت العظام لبقايا متشظية"
"ولم لا يستخدمون أجهزة التحكم في الطقس؟"
"أراكس له مشاكله الخاصة. فالتكاليف أعلى، وستكون هناك حاجة للصيانة وما شابه. والنقابة تطلب سعرا هائلا مقابل أقمار صناعية تتحكم في الطقس، وعائلة أبيك ليست من العائلات الكبرى الغنية يا فتى. أنت تعلم هذا"
"هل سبق وأن رأيت الفريمن؟"
فكر حواط: عقل الولد مشتت اليوم في كل اتجاه.
ثم قال: "احتمال[2]. إذ لا فروق كبيرة بينهم وبين سكان منطقتي الوادي والحوض. كل فرد فيهم يرتدي تلك الأثواب الفضفاضة المتطايرة، وفي حال وجودهم في أي مكان مغلق تظهر رائحتهم الشديدة المتصاعدة للسماء. سببها هو تلك البذلات التي يرتدونها. يطلقون عليها: بذلات التقطير. وظيفتها إعادة استخدام ماء الجسم"
ابتلع بولس ريقه، وانتبه فجأة لرطوبة فمه، متذكرا حلما رآه عن العطش. فكرة وجود ناس حاجتهم للماء شديدة لدرجة اضطرارهم لتدوير رطوبة الجسد صدمته بشعور جارف بالقحط والهلاك.
قال: "الماء نادر هناك؟"

2 التعبير في الأصل الإنجليزي هو Like as not، ومعناه: Likely أي "على الأرجح". (المترجم)

هز حواط رأسه إيجابا، مفكرا: ربما بدأت أنجح في توصيل الفكرة له.. إفهامه أهمية النظر لطبيعة هذا الكوكب كعدو. من الجنون الذهاب إلى هناك دون استقرار هذا التحذير في أذهاننا.

نظر بولس لأعلى، لفتحات الإنارة السماوية، مدركا أن السماء بدأت تمطر قبل قليل. رأى انتشار البلل على الـ ميتا-زجاج الرمادي. قال: "الماء"

قال حواط: "ستتعلم الانتباه الشديد لشأن الماء. بصفتك ابن دوق فلن تفتقر إليه أبدا، لكن سترى الضغوط الناتجة عن العطش في كل مكان حولك"

بلل بولس شفتيه بلسانه، عائدا بذاكرته ليوم مر عليه منذ أسبوع، وللاختبار الذي تعرض له على يد السيدة الموقرة.

هي أيضا قد ذكرت شيئا عن الحرمان من الماء.

قالت: "سترى سهول الموت الجنائزية، البرية القاحلة الفارغة التي لا يعيش فيها شيء.. لا شيء إلا البهار ودود الرمال العملاق. ستضمخ أسفل عينيك بالسواد كي تقلل تأثير وهج الشمس. المسكن سيصير معناه: تجويف يقيك الريح ويخفيك عن الأنظار. ستصبح قدماك هما مركوبك، بلا طائرة ثوبتر ولا عربة ولا ظهر حيوان"

ما أثر في بولس أكثر من كلماتها كان نبرة صوتها المتهدجة ونغمتها الرتيبة.

قالت: "عندما تعيش على أراكس - أستعيذ من اسمه! - ستجد الأرض خالية. سيكون القمران صديقيك، والشمس عدوك" وساعتها شعر بولس بأمه تقترب منه، تاركة مكانها كحارس على الباب. نظرت للسيدة الموقرة وسألتها: "ألا ترين أي بارقة أمل أيتها الموقرة؟"

قالت العجوز: "بالنسبة للأب فلا" وأشارت لجيسيكا بالصمت ثم عادت تنظر لبولس. "احفر هذا في ذاكرتك يا غلام: كل كوكب يقوم على أربعة أشياء"، ورفعت أربعة أصابع ضخمة المفاصل.

"معرفة الحكيم، عدل العظيم، صلوات الصالح، وبسالة الشجاع. لكن كلها تصبح لا شيء... " وأغلقت أصابعها في قبضة وأكملت "دون حاكم متمكن من فن الحكم. اجعل هذا قاعدة علمية لتعاليمك!"

مر أسبوع منذ ذلك اليوم مع السيدة الموقرة. كلماتها بدأت الآن فقط تتحول لاستيعاب تام. في هذه اللحظة، وهو جالس في حجرة التدريب مع ظوفر حواط، شعر بولس بضربة خوف.. حادة ومؤلمة.

نظر لوجه المنتات العابس والحائر الجالس أمامه.

سأله حواط: "أين كان عقلك سارحا هذه المرة؟"

"هل قابلت السيدة الموقرة؟"

"تلك الساحرة الكاهنة القادمة من البلاط الإمبراطوري؟" واشتعلت عينا حواط ببريق الاهتمام: "قابلتها"

"إنها...". تردد بولس، وأدرك عجزه عن إخبار حواط بالحادثة. كبحته موانع عميقة.

"حسنا؟ ماذا فعلتْ؟"

أخذ بولس نفسين عميقين. "لقد قالت شيئا"، وأغلق عينيه مستعيدا الكلمات. وعندما تكلم خرج صوته - دون وعي منه ولا قصد - محاكيا نبرة العجوز:

"عليك يا بولس أتريديز.. سليل الملوك.. ابن الدوق.. أن تتعلم كيف تحكم. إنه شيء لم يفلح أي من أسلافك في تعلمه"

فتح بولس عينيه وقال: "أغضبني هذا الكلام، فقلت: أبي يحكم كوكبا بأكمله! فأجابت: إنه يضيع منه.

فقلت: أبي سيحصل في مقابله على كوكب أشد ثراء، فقالت: هذا أيضا سيضيع منه.

أردت أن أجري لأحذر أبي، لكنها قالت أنه تم تحذيره بالفعل، على لسانك ولسان أمي، وكثير من الناس"

تمتم حواط: "صحيح فعلا"
قال بولس بحدة: "لم سنذهب إذن؟!"
"لأن الإمبراطور أمر بهذا. ولأنه لا زال هناك أمل على الرغم مما قالته تلك الساحرة الجاسوسة.
أخبرني ماذا انبثق أيضا من 'ينبوع الحكمة العتيق' هذا؟"
نظر بولس ليده اليمنى المضمومة في قبضة تحت المنضدة. ببطء استطاع أن يجبر العضلات على الاسترخاء.
لقد وضعتْ عليّ قيدا من نوع ما! كيف؟
قال بولس: "طلبت مني أن أخبرها كيف يحكم الحاكم، فقلت: على المرء أن يلقي الأوامر. فقالت أنه علي تصحيح بعض الدروس السيئة التي تعلمتها"
فكر حواط: لقد أصابت بدقة في هذا.
ثم أومأ لبولس كي يكمل.
"قالت أنه على الحاكم أن يتعلم كيف يقنع الآخرين، لا أن يجبرهم. وقالت أن عليه أن يقوم بتقديم أفضل قهوة كي يجتذب حوله أفضل الرجال"
سأل حواط: "وكيف - في ظنها - نجح أبوك في اجتذاب رجال مثل دنكن وجيرني إذن؟"
هز بولس كتفيه: "ثم قالت أنه على الحاكم الجيد أن يتعلم لغة كوكبه، وأنها تتغير من كوكب لآخر.
فظننتُ أنها تقصد أن الناس على أراكس لا يتكلمون اللغة الجالاكية.. لكنها أخبرتني أن هذا ليس مقصودها إطلاقا، وأنها تقصد 'لغة' الصخور والأشياء النامية.. اللغة التي لا تسمعها بأذنيك فقط. فأخبرتها أن هذا هو ما يطلق عليه دكتور يوي اسم: لغز الحياة"
قهقه حواط: "وماذا كان رد فعلها على هذا؟"
"أظنها غضبت. قالت أن لغز الحياة ليس مسألة تحتاج حلا، بل واقعا نعيشه. فاقتبست لها القانون الأول للمنتات: العمليات الجارية لا يمكن فهمها عن طريق إيقافها. الفهم يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع تدفق مجرى العملية.. يجب أن يسايرها ويتدفق معها. وبدا أن هذا المعنى قد أرضاها"
فكر حواط: يبدو أنه نجح في تخطي المسألة ونسيان خوفه، لكن واضح أن تلك الساحرة العجوز قد أرهبته. لم فعلت هذا يا ترى؟
قال بولس: "ظوفر، هل سيكون أراكس على درجة السوء التي قالتها؟"
أجبر حواط نفسه على الابتسام وقال: "لا شيء يمكن أن يكون بهذا السوء. انظر لأولئك الفريمن على سبيل المثال.. القوم الصحراويين المنفصلين عن الدولة. بالتقدير الأولي التقريبي يمكنني أن أخبرك أن عددهم أكبر بكثير جدا مما يظنه البلاط الإمبراطوري. الناس يستطيعون العيش هناك يا فتى.. عدد هائل من الناس"
وضع حواط أحد أصابعه القوية جوار عينه وقال: "... ويكرهون الهاركونن كراهية لا حد لها. لا تتبس بكلمة من هذا لأحد يا فتى. أخبرتك فقط لأنك مستشار لأبيك"
قال بولس: "أبي كلمني عن كوكب سالوسا سيكوندس. هل تعلم شيئا يا ظوفر.. يبدو لي أنه يشبه أراكس. ربما ليس على نفس الدرجة من السوء لكن قريبا منها"
قال حواط: " لا نعلم أشياء مؤكدة عن حال سالوسا سيكوندس اليوم.. كل ما نعلمه هو بعض المعلومات عما كان عليه حاله قديما. لكن بالنظر لما هو معروف بالفعل فرأيك سليم بهذا الشأن"

"هل سيساعدنا الفريمن؟"
نهض حواط: "احتمال. سأغادر اليوم لأراكس. وأثناء هذه الفترة اعتن بنفسك، من أجل خاطر شيخ عجوز يحبك.. حسنا؟.. وتعال هنا كفتى مطيع واجلس مواجها الباب. ليس السبب هو أني أظن أن خطرا ما سيهددك هنا بالقلعة، لكنها مجرد عادة أريد منك أن تتعود عليها"
نهض بولس على قدميه ودار حول المنضدة وقال: "سترحل اليوم؟"
"أنا اليوم، وأنت ستتبعني غدا. لقاؤنا القادم سيكون على تراب عالمك الجديد"
أمسك ذراع بولس اليمنى من أعلاها وقال: "لا تشغل الذراع التي تستخدم بها السكين بشيء، واجعل درع الطاقة الخاص بك مضبوطا على أقصى قوة"
ترك الذراع وربت على كتف بولس، ثم استدار وأسرع ناحية الباب.
صاح به بولس: "ظوفر!"
استدار حواط، واقفا أمام الردهة المفتوحة.
قال بولس: "لا تجلس وظهرك لأي باب"
ارتسمت ابتسامة واسعة على الوجه العجوز المتغضن: "لن أفعل يا فتى. تأكد من هذا"
وذهب، مغلقا الباب خلفه بهدوء.
جلس بولس حيث كان حواط يجلس، ورتب الأوراق.
يوم واحد إضافي لي هنا. نظر للحجرة حوله.
سنرحل. فكرة المغادرة صارت واقعية وملموسة فجأة، أكثر من أي وقت مضى.
تذكر شيئا آخر قالته العجوز عن أن أي كوكب هو مجموع عدة أمور: الناس، التراب، الأشياء النامية، الأقمار، المد والجزر، الشموس..
هذه المحصلة المجهولة تسمى 'الطبيعة'.. محصلة مبهمة بلا أي معنى حاضر. وتساءل: "وما هو الحاضر؟"

انفتح الباب المواجه لبولس بعنف، وتدحرجت عبره كومة بشرية قبيحة، تحمل أمامها عدة أسلحة.
قال بولس: "ما الأمر يا جيرني هاليك؟ هل أصبحتَ مدرب الأسلحة الجديد؟"
أغلق هاليك الباب بركلة من كعبه، وقال: "أعرف أنك تفضل لو أني قادم للهو واللعب"
ونظر فاحصا الحجرة من حوله، ملاحظا أن رجال حواط قد أمّنوها في وقت سابق، وفحصوها بدقة، بقدر يلائم أهمية وريث دوق.. فالإشارات الرمزية الخفية التي تركوها كانت في كل مكان.
راقب بولس الرجل الدميم المتمايل وهو يبدأ العمل ويتجه مائلا نحو طاولة التدريب بما يحمله من الأسلحة. ورأى آلة الباليست ذات الأوتار التسعة معلقة من كتف هاليك، والأعواد تتخلل الأوتار بقرب اللوح الذي توضع عليه الأصابع.
ألقى هاليك الأسلحة على طاولة التدريب ونسقها في صفوف: السيوف والمغارز والخناجر.. الصواعق بطيئة الطلقات، وأحزمة دروع الطاقة.
التوت الندبة الظاهرة على فكه - من أثر سوط نبتة الإنكفاين - عندما استدار وابتسم من موقعه في الحجرة.
قال هاليك: "ولا حتى 'صباح الخير' منك أيها العفريت الصغير؟.. وأي شوكة نخست بها حواط العجوز؟ لقد مر بي في الردهة مسرعا كمن يجري ليحضر جنازة ألد أعدائه"

ابتسم بولس. من بين كل رجال أبيه كان هاليك أحبهم لقلبه. كان يعرف تغيرات مزاجه، وسلوكه المازح.. وكان يعتبره كصديق لا مجرد محارب أجير.

أدار هاليك الباليست على كتفه وبدأ يضبط أوتارها: "إن لم ترد الكلام فلا داع للكلام"

نهض بولس وتقدم عبر الحجرة قائلا بصوت مرتفع: "جيرني، أفي وقت القتال تأتي مستعدا بالموسيقى؟"

قال هاليك: "إذن كل ما سنراه منك اليوم هو استهزاء بكبار السن؟" ضرب وترا على الآلة ثم أومأ راضيا.

قال بولس: "أين دنكن أيداهو؟ أليست وظيفته هي تدريبي على الأسلحة؟"

قال هاليك: "دنكن ذهب ليقود الموجة الثانية الراحلة لأراكس. كل ما تبقى لك الآن هو جيرني المسكين، والذي سأم من القتال ويريد تدليل نفسه ببعض الألحان"

ضرب وترا آخر، واستمع له مبتسما: "وقد تم اتخاذ قرار بيننا في مجلس، أنه بما أنك مقاتل سيء فعلينا تعليمك حرفة الموسيقى كي لا تذهب حياتك كلها هباء"

قال بولس: "في هذه الحالة ربما سيكون عليك إذن أن تغني لي معزوفة، كي أرى الطريقة السيئة في العزف والتي يجب أن أتجنبها!"

ضحك هاليك: "هاهاه"، وبدأ في إلقاء المقطوعة المسماة 'البنات الجلاسيات'. وانتقلت أعواده على الأوتار بسرعة كلمح البصر وهو يغني قائلا:

"يا للبنات الجلاسيات

يملن مقابل اللآلئ

والأراكسيات مقابل الماء

أما إن اشتهيت نساء مشتعلات كالنيران

فعليك ببنات كالادان!"

قال بولس: "ليس سيئا، بالنظر ليدك التي تستخدم العود بحركات مضطربة. لكن إن سمعتك أمي تغني فسوقا كهذا في القلعة فستأمر بتعليق أذنك على السور الخارجي كزينة"

شد جيرني أذنه اليسرى قائلا: "وستكون زينة سيئة أيضا، لأن أذناي جرحتا عدة مرات وأنا أستمع عبر ثقوب الباب لفتى صغير أعرفه، وهو يتمرن على أداء أغاني غريبة على آلته الموسيقية"

قال بولس: "يبدو أنك نسيت شعورك عندما كنت تجد الرمل موضوعا على سريرك"

وانتزع من الطاولة أحد أحزمة الدروع وربطه على وسطه وقال: "إذن، هيا نتعارك"

اتسعت عينا هاليك في دهشة مفتعلة: "آه! كانت يدك إذن هي من ارتكبت هذا الجرم! دافع عن نفسك اليوم يا سيدي الصغير. دافع عن نفسك"

والتقط سيفا وضرب به الهواء: "فأنا شيطان غاضب يسعى للانتقام"

أمسك بولس السيف الآخر وأداره في يده، ووقف في وضع الاستعداد، واضعا إحدى القدمين للأمام. ورسم على ملامحه الوقار، في تقليد مضحك لدكتور يوي.

قال بولس بصوت منغم: "أي أحمق هذا الذي أرسله لي أبي كي يدربني على الأسلحة!.. لقد نسى هذا الغبي جيرني هاليك الدرس الأول للمقاتل المتسلح والمتدرع"

ضغط زر الطاقة الموضوع على وسطه، وشعر بالوخز على جلده نتيجة لمجال الطاقة الدفاعي وهو يحيط بجبهته ويهبط لظهره.

وسمع تغير الأصوات الخارجية إلى الصوت المعدني الأجوف المفلتر، المعتاد عند استخدام الدروع.
قال: "في القتال الذي يتم فيه ارتداء الدروع يتحرك المرء بسرعة عند الدفاع وببطء عند الهجوم. فالهجوم هدفه الوحيد هو إيقاع الخصم في فخ اتخاذ خطوة خاطئة، مما يجعله عرضة لهجوم قاتل وخفي. الدرع يصد الضربات السريعة ويسمح بمرور خنجر مدفوع ببطء"
أسرع بولس بضربة سيف سريعة، متظاهرا بهجوم سريع، ثم استعاده للوراء وجهزه لطعنة بطيئة مضبوطة زمنيا بحيث تقتحم دفاع الدرع الذي لا يَعقل.
راقب هاليك الحركة، وتراجع في اللحظة الأخيرة، تاركا الشفرة الحادة تمر بعيدا عن صدره.
"السرعة ممتازة.. لكنك تركت المجال مفتوحا لحركة ماكرة مضادة بطرف مدبب"
تراجع بولس، متكدرا.
قال هاليك: "ربما يجب عليّ أن أضربك على مؤخرتك عقابا على هذا الإهمال"
رفع من الطاولة خنجرا مشهرا وأمسكه عاليا: "سلاح كهذا في يد عدو يمكن أن يقتلك!.. أنت تلميذ جيد لم أر أفضل منه، لكن حذرتك من قبل أنه حتى أثناء اللعب لا تسمح لشخص بأن يقترب منك وهو يحمل الموت في يده"
قال بولس: "أظن أني لست في المزاج المناسب للمبارزة اليوم"
"مزاج؟" ونم صوت هاليك عما يشعر به من غضب عارم، حتى بعد مرور الصوت عبر مرشح الدرع.
"ما صلة المزاج بالأمر؟.. الشخص يقاتل عندما تستدعي الضرورة، مهما كان مزاجه!.. المزاج هذا يكون للماشية أو لممارسة الحب أو لعزف الموسيقى.. لا للقتال"
"آسف يا جيرني"
"لستَ آسفا بما فيه الكفاية!"
قام هاليك بتفعيل درعه، وربض مشهرا خنجره في يده اليسرى ورافعا السيف باتزان في يمناه.
"والآن احمِ نفسك بحق!"
وقفز عاليا لأحد الجوانب، ثم للأمام، في هجوم محموم.
تراجع بولس، محاولا صد الهجوم. شعر بفرقعة مجال الدرع حين تصادمت حوافه مع الدرع الآخر فتنافرا. شعر جلده بالوخز الكهربي الناتج عن هذا التلامس.
سأل نفسه: ماذا حدث لجيرني؟.. إنه لا يفتعل هذا الهجوم!
حرك بولس يده اليسرى وأسقط مغرزه من الغمد المحيط بمعصمه إلى راحته.
زمجر هاليك بصوت خشن: "ظهر لك احتياجك لسلاح إضافي، صحيح؟"
تساءل بولس في نفسه: هل هجومه علي ناتج عن خيانة؟.. لا يمكن أن يكون جيرني خائنا!
انتقل القتال في أرجاء الحجرة. هجوم ودفاع.. حركة وحركة مضادة. بدأ الهواء الموجود داخل فقاعتي درعيهما يفسد نتيجة للهاثهما، ولم تستطع حواجز تبادل الهواء المسامية على أطراف الفقاعة استبداله من الهواء الخارجي بسرعة كافية.
مع كل تلاقي جديد بين الدرعين كانت رائحة الأوزون تزداد.
استمر بولس في التراجع، لكنه أخذ يوجه تراجعه ناحية منضدة التدريب.
فكر: لو تمكنت من جعله يستدير بقرب المنضدة فسأريه خدعة جيدة.
خطوة واحدة إضافية يا جيرني.

وأخذ جيرني الخطوة.
صد بولس هجوما قادما من أسفل. استدار، ورأى سيف هاليك يصطدم بحافة المنضدة.
اندفع بولس جانبا وطعن بالسيف عاليا وبالمغرز على ياقة هاليك.
ثم أوقف الحد على بعد بوصة من شريان الرقبة.
وهمس: "هل هذا هو ما تريده؟"
قال جيرني لاهثا: "انظر لأسفل يا فتى"
أطاعه بولس، فرأى خنجر هاليك طاعنا من تحت حافة المنضدة، وطرفه يكاد يلمس منطقة ما بين نخذيه.
قال هاليك: "كنت ستنضم لي في الموت. لكن أعترف أنك قاتلت بصورة أفضل عندما ضغطت عليك. بدا وقتها وكأن 'مزاجك' كان مواتيا"
وكشر عن ابتسامة ذئبية، فتموجت ندبة السوط على فكه.
قال بولس: "تلك الطريقة التي هجمت بها علي.. هل كنت مستعدا فعلا لأن تجرحني؟"
سحب هاليك الخنجر واعتدل: "بالطبع، لو كنتَ قاتلت ولو درجة واحدة أقل من إمكاناتك. كنت سأخدشك بجرح ممتاز.. ندبة تتذكرها دائما. لن أسمح لتلميذي المفضل أن يسقط فريسة أمام أول صعلوك هاركوني يقابله"
أوقف بولس تفعيل درعه واستند إلى المائدة ليلتقط أنفاسه: "أستحق هذا يا جيرني، لكن لو كنت قد جرحتني كان أبي سيغضب. لا أرضى أن تعاقب بسبب إخفاقي"
قال هاليك: "إخفاقك هذا كان سيعتبر إخفاقا لي أيضا. ولا تخشَ من ندبة أو ندبتين يصيبانك أثناء التدريب. أنت محظوظ لأن ندوبك قليلة. أما بخصوص والدك فالدوق كان سيعاقبني فقط إن لم أجعل منك مقاتلا من الطراز الأول. وكنت سأعتبر فاشلا إن لم أوضح لك خطأ فكرة 'المزاج' هذه التي طرأت عليك فجأة"
اعتدل بولس وأعاد مغرزه لغمد معصمه.
قال هاليك: "فما نفعله هنا ليس لهوا في الحقيقة"
أومأ بولس برأسه. أحس بالعجب من النبرة الجدية غير المعتادة التي بدت في تصرفات هاليك، والواقعية الشديدة.
نظر لندبة السوط المصنوع من نبتة إنكفاين السامة، بلونها الذي يشبه الشمندر، والظاهرة على فك الرجل. وتذكر قصة حدوثها، وكيف أن من تسبب بها هو رابان الملقب بالوحش، في حفرة عبيد على كوكب آل هاركونن، جيدي برايم.
وفجأة حل على بولس شعور بالخجل لشكه - ولو للحظة - في هاليك.
وفي التو خطر له أن هذه الندبة رافقها ألم عندما حدثت.. ألم ربما يقترب في شدته من الألم الذي تسببت فيه سيدة موقرة. نحا هذه الفكرة عن ذهنه بقوة إذ ارتجف لها عالمه.
قال بولس: "يبدو أني كنت آمل في بعض اللهو اليوم فعلا. فالأمور هنا مؤخرا صارت جادة أكثر من اللازم"
أدار هاليك وجهه بعيدا كي يخفي عواطفه. حرق عينيه شيء من الدموع.
كان داخله ألم، كبثرة ترمز لكل ما بقي له من أمس ضائع قد اقتصه الزمن.
وفكر هاليك: سيضطر هذا الصغير لأن يصبح رجلا عما قريب. سيضطر عاجلا لأن يقرأ في عقله تلك 'الاستمارة'.. عقد الحذر الوحشي.. وأن يُدخل الجملة المطلوبة في سطرها المناسب الذي يقول: من فضلك اذكر بيانات قريبك لاستخدامها في حالة الوفاة.
تكلم هاليك دون أن يستدير مواجها له: "شعرت برغبتك في اللهو اليوم يا فتى، ولا شيء يفوق رغبتي في مشاركتك إياه.

لكن هذه التدريبات لا يمكن أن تكون لهوا بعد الآن. فغدا نرحل لأراكس. أراكس حقيقي. خطر آل هاركونن حقيقي"
لمس بولس جبهته بنصل سيفه المرفوع رأسيا.
استدار هاليك فرأى التحية، ورد عليها بإيماءة.
أشار لدمية التدريب: "والآن سنركز التدريب على تحسين توقيتك. دعني أراك تنتصر على هذا الشيء المشؤوم. سأتحكم فيها من هنا حيث يمكنني أن أرى ما يحدث بوضوح. وأنبهك إلى أني سأجرب حركات دفاعية جديدة اليوم. هذا تحذير لن يعطيه لك خصم حقيقي"
مط بولس جسده ووقف على أطراف أصابعه كي يجدد نشاط عضلاته. شعر بالكآبة لإدراكه المفاجئ أن حياته صارت مليئة بالتغيرات السريعة.
عبر الحجرة إلى مكان الدمية، وبطرف سيفه ضرب المفتاح الموضوع على صدرها وأحس بحقل الطاقة الدفاعي الخاص بها يجبر نصله على الابتعاد.
صاح هاليك: "استعد!"، وبدأت الدمية الهجوم.
فعّل بولس درعه، وبدأ في حركات الصد والرد.
راقبه هاليك وضغط على أزرار التحكم. بدا وكأن عقله انفصل جزأين: جزء منتبه لمتطلبات التمرين على القتال وآخر هائم في أفكاره.
فكر: أنا شجرة التدريب المثمرة. كلي مشاعر وقدرات مدربة جيدا، محفورة داخلي.. حاملة ثمارا تنتظر من يلتقطها.
ولسبب ما تذكر أخته الصغيرة. وجهها الفاتن واضح في عقله. لكنها ميتة الآن.. في بيت دعارة لخدمة جنود آل هاركونن.
كانت تحب زهور البانسيه.. أم كانت زهرات الربيع؟.. لم يستطع أن يتذكر.
ضايقه عجزه عن التذكر.
صد بولس ضربة سددتها الدمية ببطء، وهوت يده اليسرى بضربة مضادة.
فكر هاليك: يا للشيطان البارع الصغير!.. وركز انتباهه على حركات يد بولس المتداخلة.
لقد كان يتدرب ويتعلم بمفرده. هذه الحركات ليست من أسلوب دنكن، وبالتأكيد لست أنا من علمه إياها.
هذه الخاطرة لم تفلح إلا في الإضافة لحزن هاليك. يبدو أن داء المزاج قد أصابني.
وبدأ يتساءل إن كان قد حدث في السابق أن استمع الفتى بخوف لخفقان هاليك الليلي الدامع على الوسادة.
تمتم: "لو كانت الأمنيات أسماك لألقينا كلنا الشباك"
كان تعبيرا سمعه من أمه، ولطالما استحضره كلما أحس بسواد كآبة الغد يطبق عليه.
ثم فكر في غرابة أنه سيذهب بهذا التعبير لكوكب لم يعرف أبدا لا بحارا ولا أسماكا.

الفصل 5

يُوي
الاسم الأول: ويلينجتون. حياته: من 10082 حتى 10191 بالسنين المعيارية.
طبيب من أطباء مدرسة "الصك"، (تخرج سنة 10112)
زوجة: وانا ماركوس، من البني-جيزيريت، (حياتها: 10092 حتى 10186؟ دقة المعلومة محل شك)
مشهور بصفته الشخص الذي خان الدوق ليتو أتريدين.
(انظر أيضا: قائمة الكتب، الملحق 7 عن البرمجة العقلية الإمبراطورية، قسم: الخيانة)

من كتاب "معجم المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

على الرغم من أنه سمع الدكتور يوي داخلا حجرة التدريب، ولاحظ الوقار المتعمد في خطواته، إلا أن بولس ظل متمددا على طاولة التمرين ووجهه لأسفل، نائما على بطنه كما تركه المدلك.
كان شاعرا باسترخاء لذيذ بعد جلسة التدريب مع جيرني هاليك.
قال يوي بصوته الهادئ الحاد: "تبدو مرتاحا"
رفع بولس رأسه فرأى الرجل النحيل يقف على بعد خطوات منه. في نظرة سريعة رأى كلا من الملابس السوداء المجعدة، الرأس المضلعة بشفتيها الأرجوانيتين وشاربها المتدلي، الوشم الذي على شكل ماسة والمرسوم على الجبهة ليشير للبرمجة العقلية الإمبراطورية التي تلقاها صاحبه، الشعر الأسود الطويل المجموع في حلقة فضية على الكتف الأيسر ليشير لتخرج صاحبه من مدرسة "الصك" الطبية.
قال يوي: "قد يسعدك أن تعلم أنه لا وقت لدينا اليوم للدروس المعتادة. فوالدك سيحضر إلى هنا بعد قليل"
اعتدل بولس جالسا.
"إلا أني رتبت الأمور بحيث يكون معك شاشة عارض ميكروفيلم وعليه عدة دروس خلال رحلة سفرك لأراكس"
"أوه"
شرع بولس في ارتداء ملابسه. كان يشعر بالإثارة لأن والده سيحضر، فقد أمضيا سويا وقتا قليلا للغاية منذ أمرهم الإمبراطور بأن يتسلموا إقطاع أراكس.
اقترب يوي من منضدة خشب الإل، مفكرا: كم تضخمت عضلات الفتى خلال تلك الشهور الماضية. يا لها من خسارة! خسارة محزنة أن تضيع بلا فائدة. لكن لا يجب أن أتردد الآن. فما أفعله هو بهدف التيقن من أن حبيبتي وانا لن يؤذيها وحوش آل هاركونن بعد الآن.
انضم له بولس عند المنضدة وهو يزرر صديريته. "ماذا سأدرس خلال الرحلة؟"
"الـ... الكائنات الأرضية التي تعيش على أراكس. يبدو أن الكوكب قد فتح ذراعيه لأنواع حياتية أرضية معينة. ليس واضحا كيف حدث هذا. يجب أن أبحث عن الخبير البيئي الكوكبي عندما نصل - يسمى دكتور كاينز - وأن أعرض عليه المساعدة في دراسة الأمر"

فكر يوي في نفسه: ما هذا الذي أقوله؟ أمارس الخداع حتى على نفسي.
سأله بولس: "هل سيكون هناك شيء بخصوص الفريمن؟"
"الفريمن؟".. نقر يوي بأنامله على المنضدة، ثم رأى بولس يحدق في تلك الحركة العصبية فسحب يده.
قال بولس: "ربما لديك شيء بخصوص السكان الأراكسيين"
قال يوي: "نعم، بالطبع. الشعب يفترق لفرقتين رئيسيتين: الفريمن، ويشكلون مجموعة واحدة متحدة، والأخرى تضم سكان مناطق الوادي والحوض والغور. هناك زيجات مشتركة بين الفرقتين حسب ما وصلني. نساء قرى الغور والحوض يفضلن أن يتزوجن رجالا من الفريمن، والرجال في هذه القرى يفضلون اختيار زوجات من الفريمن. عندهم مقولة نصها: التحضر يأتي من المدن، أما الحكمة فمن الصحراء"
"هل عندك صور لهم؟"
"سأبحث لك عن بعضها. أكثر الملامح المثيرة للاهتمام بالطبع هي عيونهم.. زرقاء بالكامل، بلا أي بياض فيها"
"طفرة؟"
"لا. الأمر متعلق بتشبع الدم بمزيج البهار"
"بالتأكيد يتحلى الفريمن بالشجاعة كي يتمكنوا من العيش على حافة تلك الصحراء"
قال يوي: "بالتأكيد، كل التقارير تشير لهذا. إنهم يؤلفون قصائد لسكاكينهم. نساؤهم في نفس قوة الرجال. حتى أطفال الفريمن عنيفون وخطرون. لا شك عندي أنه لن يُسمح لك بالاختلاط بهم"
حدق بولس في يوي، ووجد في هذه اللمحات التي سمعها عن طبيعة الفريمن كلمات قوية سيطرت على انتباهه كله.
آه لو استطعنا اجتذابهم كحلفاء!
سأل بولس: "والديدان؟"
"ماذا؟"
"أريد أن أدرس المزيد عن ديدان الرمال العملاقة"
"آه، بالطبع. عندي ميكروفيلم عن عينة صغيرة، لا تتعدى 110 متر طولا و 22 متر عرضا. أمسكوها في دوائر العرض الشمالية. هناك شهود موثوق فيهم شاهدوا ديدان يصل طولها لأكثر من 400 متر، بل وهناك أدلة على وجود ديدان أكبر من هذا"
نظر بولس للخريطة مخروطية المسقط المنشورة على المنضدة والتي تظهر عليها دوائر العرض الشمالية لكوكب أراكس.
"مناطق الحزام الصحراوي والقطب الجنوبي مكتوب جوارها أنها غير صالحة للسكنى. هل السبب هو الديدان؟"
"والعواصف"
"لكن يمكن تغيير أي مكان وجعله صالحا للمعيشة"
قال يوي: "إن كان هذا ملائما من الناحية الاقتصادية. أما أراكس ففيه الكثير من المخاطر المكلفة"
فتل شاربه المتدلي وأكمل: "والدك سيأتي قريبا. لكن قبل أن أذهب لدي هدية من أجلك.. شيء عثرت عليه أثناء حزم حقائبي"
ووضع شيئا على المنضدة بينهما.. أسود اللون، مستطيل، لا يتعدى حجمه حجم ظفر إبهام بولس.
نظر بولس للشيء. لاحظ يوي كيف أن الفتى لم يتناوله بيده، وفكر: يا له من شخص حذر.
"إنه نسخة قديمة جدا من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي، مصنوعة من أجل المسافرين عبر الفضاء. ليس ميكروفيلم، بل مطبوع

فعلا على ورق نسيجي مصنوع من خيوط دقيقة. به عدسة تكبير خاصة ونظام شحنة كهروستاتيكية"
التقطه يوي شارحا بطريقة عملية: "الشحنة تحافظ على الكتاب مغلقا وتضغط الغلافين بين قفل زنبركي. اضغط على الحافة هكذا فتتنافر الصفحات التي اخترتها عن بعضها البعض وينفتح الكتاب"
"إنه صغير للغاية"
"لكن فيه 1800 صفحة. عندما تضغط على الحافة هكذا ستتحرك الشحنة متقدمة صفحة للأمام مع كل ضغطة أثناء القراءة. لا تلمس الصفحات الفعلية أبدا بأصابعك. النسيج الخيطي رقيق جدا"
أغلق الكتاب وناوله لبولس: "جربه"
راقب يوي بولس وهو يتعامل مع أداة ضبط الصفحات، وفكر: أفعل هذا كي يرتاح ضميري قليلا. أعطيه راحة الدين قبل أن أخونه. وهكذا يمكنني أن أقول لنفسي أنه سيذهب حيث لن أستطيع الذهاب.
قال بولس: "أعتقد أنه مصنوع قبل زمن كتب الميكروفيلم"
"إنه قديم فعلا. اجعله سرا بيننا، اتفقنا؟ فأبواك قد ينظران إليه كشيء أثمن من أن يعطى لفتى صغير"
فكر يوي: فأمه ستتساءل بلا شك عن دوافعي وراء إعطائه شيئا كهذا.
أغلق بولس الكتاب وقال: "حسنا، ما دام غاليا لهذه الـ..."
قال يوي: "لا ترفض رغبة عجوز مثلي. فقد تم إعطاؤه لي وأنا صغير"
وفكر: يجب أن أستميل عقله أيضا كما استملت حبه للأشياء.
"افتحه على الكلمة Kalima رقم 467، حيث يرد النص القائل: من الماء تبدأ الحياة كلها. توجد ثلمة ضئيلة على حافة الغلاف كعلامة على الموضع المقصود"
تحسس بولس الغلاف فشعر بوجود ثلمتين، منهما واحدة أقل عمقا من الأخرى. ضغط على هذه فانفتح الكتاب منشورا على راحة يده، وانزلقت عدسة المكبر نحو المكان المطلوب.
قال يوي: "اقرأها بصوت عال"
بلل بولس شفتيه بلسانه وقرأ: "تفكر في حقيقة أن الأصم لا يستطيع السماع. أي صمم إذن يسري علينا جميعا؟ أي حواس نفتقد بحيث نعجز عن أن نرى أو نسمع عالما آخر يحيط بنا؟ ماذا يوجد حولنا بحيث لا نـ..."
صاح يوي: "توقف!"
قطع بولس القراءة، وحدق فيه.
سأله بولس: "هل ثمة مشكلة؟"
قال يوي: "أعتذر. تلك كانت.. الفقرة المفضلة لدى زوجتي المتوفاة. ليست الفقرة التي قصدتُ أن تقرأها. إنها تعيد لي ذكريات.. مؤلمة"
قال بولس: "كان هناك ثلمتان"
فكر يوي: بالطبع!. وانا وضعت علامة على فقرتها. أصابعه حساسة أكثر من أصابعي ولهذا وجد علامتها. كانت مجرد صدفة لا غير.
قال يوي: "قد تجد الكتاب مثيرا للاهتمام. فبه الكثير من الحقائق التاريخية بالإضافة لفلسفة أخلاقية جيدة"
نظر بولس للكتاب الصغير الموضوع في راحته.. يا له من شيء ضئيل. ومع ذلك فيه شيء غامض.. تأثرت نفسه عندما قرأ فيه. شعر بأن شيئا ما يحرك "غايته الرهيبة".

قال يوي: "سيكون والدك هنا في غضون دقائق. ضع الكتاب جانبا ثم اقرأه فيما بعد على راحتك"
لمس بولس حافته كما أراه يوي، فأغلق الكتاب نفسه. قام بإخفائه في سترته.
للحظة، عندما صاح به يوي، خشي بولس أن الرجل كان سيطلب استرجاع الكتاب.
قال بولس بنبرة رسمية: "أشكرك على هديتك يا دكتور يوي. سيظل سرا بيننا. وإن كان لديك طلب يمكن أن أنفذه لك فأرجوك لا تتردد في السؤال"
قال يوي: "لا أ.. لا أحتاج شيئا"
وفكر: لماذا أقف هنا معذبا نفسي؟ ومعذبا هذا الصغير المسكين.. دون حتى أن يعلم.
أواه.. اللعنة على هؤلاء الهاركونن الوحوش. لم اختاروني أنا لتنفيذ عملهم البغيض؟

الفصل 6

كيف نباشر دراسة والد المؤدب؟ فالدوق ليتو أتريديز كان رجلا ذا دفء فائق وبرودة مذهلة.
إلا أن الكثير من المعلومات تفتح أمامنا الطريق لفهم هذا الدوق: حبه الراسخ لامرأته البني-جيزيرت، الأماني التي تمنى تحققها في ابنه، الإخلاص الذي خدمه به رجاله.
تراه هنا رجلا أوقعه القدر في مصيدته.. شخص وحيد، نوره معتم بالمقارنة ببريق عظمة ابنه.
لكن بالرغم من ذلك فعلى المرء أن يسأل: أليس الأبناء سوى امتداد للآباء؟

من كتاب "المؤدب: تعليقات عائلية"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

راقب بولس أباه وهو يدخل حجرة التدريب، وشاهد الحراس يتخذون مواقعهم بالخارج. أغلق أحدهم الباب.
كالعادة، شعر بولس في أبيه بـ "حضور" طاغ.. إنه شخص منتبه للحظة بشكل دائم.
كان الدوق طويلا، بشرته بلون الزيتون. وجهه النحيل حاد الزوايا قد قلل من حدته وجود العينين العميقتين الرماديتين.
رداءه كان عبارة عن بذلة عمل، سوداء اللون، تزينها على الصدر شارة نبالة على شكل صقر أحمر. طوّق خصره النحيل حزام درع طاقة فضي تبدو عليه علامات الاستخدام المتكرر.
قال الدوق: "منغمس في الدراسة يا بني؟"
عبَر الحجرة متجها صوب منضدة خشب الإل، وألقى نظرة على الأوراق الموضوعة عليها، ثم على نواحي الحجرة. في النهاية أعاد نظره لبولس.
كان يشعر بالتعب.. يملؤه ذلك الألم الناتج عن إخفائه المستمر لإرهاقه.
عليّ أن أستغل كل فرصة راحة متاحة أثناء رحلتنا لأراكس. فعلى أراكس لن يكون هناك مجال للراحة.
قال بولس: "ليس بدرجة كبيرة. فكل شيء الآن تغلب عليه حالة من الـ.."، وقطع جملته وهز كتفيه.
"فعلا. على أية حال سنرحل غدا. سيهدأ الحال عندما نستقر في بيتنا الجديد، ونضع كل هذه الفوضى وراء ظهورنا"
أومأ بولس، وفجأة سيطرت عليه ذكرى كلمات السيدة الموقرة: "... أما الأب فلا شيء له"
قال بولس: "أبي، هل سيكون أراكس خطرا بالدرجة التي يتحدث عنها الجميع؟"
أرغم الأب نفسه على الإتيان بإشارة مطمئنة لا مبالية، وجلس على ركن من أركان المنضدة، وابتسم.
انبثق في ذهنه خيط حواري متكامل محتمل.. ذلك النمط من الحوارات التي اعتاد استخدامها مع رجاله قبل المعارك لتبديد أوهام الخوف فيهم. لكن تجمد ذلك الخيط الحواري قبل أن ينطق به، إذ قاومته فكرة واحدة محددة.
إنه ابني.
فقال معترفا: "سيكون خطرا"
قال بولس: "أخبرني حواط أن للفريمن مكانا في خططنا"
وتساءل بولس في نفسه محتارا: لم لا أستطيع إخباره بما قالته لي العجوز؟ كيف نجحتْ في عقد لساني هكذا؟
لاحظ الدوق الاضطراب البادي على ابنه، فقال: "حواط - كالعادة - ينظر للفرصة السانحة. لكن هناك المزيد. فأنا أنظر

أيضا لـ اتحاد الأشراف للارتقاء التجاري.. شركة شوم. فبإعطائي أراكس فإن جلالته مجبر على إعطائنا حصة إدارية في شوم. وهذا مكسب إضافي خفي"

قال بولس: "شوم تتحكم في البهار"

قال الدوق: "وأراكس بما فيه من بهار هو سبيلنا لدخول شوم. فالبهار ليس كل ما نتعامل شوم فيه"

"هل حذرتك السيدة الموقرة؟". انفجرت الجملة من بولس. ضم قبضتيه بقوة، شاعرا براحتيه يغمرهما العرق.

يا للجهد الذي تطلبه النطق بهذا السؤال!

قال الدوق: "حواط أخبرني أنها أرهبتك بتحذيرات عن أراكس. لا تدع مخاوف امرأة تغشى عقلك. فلا توجد امرأة تقبل بتعرض أحبابها للخطر. اليد المحركة لهذه التحذيرات هي يد أمك. انظر لهذا كعلامة على حبها لنا"

"وهل هي على علم بموضوع الفريمن؟"

"أجل، وتعلم أكثر من هذا بكثير"

"مثل ماذا؟"

فكر الدوق: الحقيقة قد تكون أسوأ مما يتخيله، لكن حتى الحقائق الخطرة لها فائدة إن تم تدريبك كي نتعامل معها. وإن كان هناك مجال لم نبخل فيه بشيء خلال تدريبنا لابني فهو كيفية التعامل مع الحقائق الخطرة.

لكن هذه المصارحة يجب أن تتم تدريجيا.. فهو لا زال صغيرا.

قال الدوق: "لا يكاد يفلت شيء من قبضة شوم. أخشاب، حمير، خيول، بقر، لحاء شجر، أسمدة، أسماك قرش، وبر الحيتان. الأشياء المألوفة والغريبة، النثريات والنوادر.. حتى أرزنا الكلاداني الضعيف. وكل ما يمكن أن تنقله سفن النقابة: مصنوعات كوكب إكاز الفنية، آلات كوكبي ريشيس وإكس. لكن كل هذا يذبل بالمقارنة بالمزيج.

حفنة بهار يمكن أن تشتري بيتا على كوكب توبيل. فالبهار لا يمكن تصنيعه، بل يلزم التنقيب عنه على أراكس.

البهار فريد، وله خصائص تقاوم الشيخوخة فعلا"

"والآن نحن نتحكم فيه؟"

"بدرجة ما. لكن الشيء المهم الانتباه له هو كل تلك العائلات النبيلة المعتمدة على أرباح شوم. انظر للمقدار الهائل من تلك الأرباح والذي يعتمد على هذا المنتج الواحد.. البهار. والآن تخيل ماذا سيحدث إن قلل شيء ما من معدل إنتاج البهار"

قال بولس: "من كان قد خزن كميات من المزيج سيحقق أرباحا مهولة، أما الآخرون فسيكونون في مهب الريح!"

سمح الدوق لنفسه بلحظة رضا عميق، ناظرا لابنه ومفكرا: يا لها من ملاحظة ثاقبة ومدروسة بدقة.

أومأ وقال: "آل هاركونن يخزنون منذ أكثر من عشرين سنة"

"إذن يريدون لإنتاج البهار أن يتراجع، وأن يتم لومك على هذا"

قال الدوق: "يريدون تقليل شعبية اسم آل أتريديز. انظر لعائلات مجلس اللاندسراد التي تعتبرني - بدرجة ما - قائدا لها .. المتحدث غير الرسمي باسمها. كيف نتوقع أن يكون رد فعلهم إن أصبحتُ مسؤولا عن تقليل دخلهم بقدر كبير؟ فالشخص - في النهاية - يضع أرباحه في المقام الأول.. وليذهب الميثاق العظيم للجحيم! فالمرء لا يسمح لآخر بأن يتسبب في إفقاره".

وارتسمت ابتسامة تعيسة على فم الدوق: "سيشيحون بأنظارهم مهما فُعِل بي"

"حتى لو تمت مهاجمتنا بالأسلحة الذرية؟"

"لن يحدث شيء بهذا القدر من التمادي الصريح. لن يخرقوا الميثاق صراحةً. لكن قد يستخدمون كل ما هو دون ذلك. بل ربما يلجؤون للتغبير، والقليل من تسميم التربة"

"لم إذن نخطو نحو هذه المصيدة؟"
عبس الدوق في وجه ابنه: "بولس! معرفة مكان المصيدة هو أولى خطوات تجنبها. الأمر - يا بني - يشبه المبارزة، لكن على نطاق أوسع.. خدعة داخل خدعة داخل خدعة.. تبدو وكأنها بلا نهاية. المهمة المطلوبة هي أن نكتشف الخدعة. فبمعرفتنا أن الهاركونن يخزنون المزيج يمكن أن نسأل سؤالا آخر: من أيضا يقوم بالتخزين؟.. وهكذا نحصل على قائمة بأسماء أعدائنا"
"من؟"
"عائلات نبيلة معينة كنا نعلم بكراهيتها لنا، وأخرى كنا نظنها صديقة لنا. لن نشغل أنفسنا بهم حاليا، إذ هناك طرف آخر أكثر أهمية: إمبراطورنا الباديشي 'العزيز'"
جاهد بولس كي يبلل حلقه الجاف بريقه: "ألا يمكنك أن تدعو اللاندسراد للاجتماع، وتفضح..."
"ونكشف أمام أعدائنا أننا على علم باليد التي تمسك السكين؟ لا يا بولس. فالآن نحن نرى السكين. من يدري إلى أي يد أخرى يمكن أن تنتقل فيما بعد؟ إن وضعنا هذا الأمر أمام اللاندسراد فكل ما سيحدث هو أنه سيسبب سحابة من الاضطراب. فالإمبراطور سينكر الأمر. ومن سيستطيع ساعتها أن يعارضه؟ كل ما سنجنيه ساعتها هو المزيد من الوقت لكن سنكون قد عرضنا أنفسنا لخطر الفوضى، ولن نعلم من أين سيأتي الهجوم التالي"
"كل العائلات ستبدأ حينئذ في تخزين البهار"
"خصومنا بدؤوا مبكرا.. صعب التقدم عليهم الآن"
قال بولس: "الإمبراطور.. هذا يعني الساردوكار أيضا"
قال الدوق: "متنكرين في زي الهاركونن بلا شك. لكنهم يظلون نفس الجنود، بقدراتهم القتالية الرهيبة"
"وكيف يمكن للفريمن أن يساعدونا في مواجهة جنود ساردوكار؟"
"هل كلمك حواط عن سالوسا سيكوندس؟"
"الكوكب السجن التابع للإمبراطور؟ لا"
"ماذا إن كان أكثر من مجرد كوكب يستخدم كسجن يا بولس؟ هناك سؤال لا تسمع أحدا يسأله أبدا فيما يخص قوات الساردوكار الإمبراطورية: من أين يأتون؟"
"من الكوكب السجن؟"
"بديهي أن يأتوا من مكان ما"
"لكن حصة المجندين التي يفرضها الإمبراطور على الـ..."
"هذا هو ما يراد لنا أن نصدقه.. أن الساردوكار ليسوا إلا أفراد التجنيد الإجباري الذين يتم تقديمهم للإمبراطور لكن بعد أن دربهم تدريبا ممتازا منذ الصغر. بين الحين والآخر نسمع همسات تتكلم عن كوادر التدريب الإمبراطورية، لكن توازن حضارتنا يظل كما هو:
القوات العسكرية التابعة لعائلات مجلس اللاندسراد النبيلة من جهة، وعلى الجهة الأخرى الساردوكار والمجندين الداعمين لهم. لاحظ يا بولس.. 'الداعمين' لهم. أما الساردوكار في المعادلة فيظلون الساردوكار"
"لكن كل تقرير يذكر سالوسا سيكوندس يقول أن س س هو كوكب جحيمي رهيب!"
"بلا شك. لكن إن كنت تريد تخريج رجال صلدين أقوياء وشرسين، فما هي الظروف البيئية التي ستضعهم فيها؟"
"لكن كيف يمكن للإمبراطور أن يجعل رجالا كهؤلاء مخلصين له؟"
"هناك طرق مجربة: العب على وتر إحساسهم اليقيني بتميزهم، أو على الهالة التي تحيط بوجود ميثاق سري خاص بينهم، أو

على روح الترابط الأخوي بينهم بعد أن تشاركوا في المعاناة. فالولاء يمكن تحقيقه. وهذه الطرق تم استخدامها بنجاح عدة مرات على عوالم عديدة"

أومأ بولس، مركزا انتباهه على وجه أبيه. وشعر بأن تصريحا ما على وشك أن يقال.

قال الدوق: "خذ أراكس على سبيل المثال. عندما تخرج بعيدا عن المدن وقرى الحاميات فستجد أن المكان رهيب بنفس درجة مكان مثل سالوسا سيكوندس"

اتسعت عينا بولس: "الفريمن!"

"قد نجد فيهم قوات محتملة لا يقلون في القوة والخطورة عن الساردوكار. استخدامهم سيحتاج صبرا وسرية، وثروة لتجهيزهم بأسلحة مناسبة. لكن الفريمن موجودون، وثروة البهار أيضا متاحة. هل أدركت الآن لماذا قبلنا أن نذهب لأراكس مع علمنا بوجود المصيدة المعدة لنا؟"

"وهل لا يعلم الهاركونن بشأن الفريمن؟"

"آل هاركونن نظروا للفريمن باحتقار. وصادوهم كنوع من الرياضة، ولم يهتموا حتى بمجرد إحصاء عددهم. فنحن نعلم سياسة الهاركونن تجاه سكان الكواكب: انفق عليهم أقل ما يمكن"

تحرك الدوق فلمعت الخيوط المعدنية في شارة رمز الصقر المطرزة على صدر الأب.

"هل فهمت؟"

قال بولس: "إذن نحن نتفاوض الآن فعلا مع الفريمن"

قال الدوق: "لقد أرسلت بعثة يقودها دنكن أيداهو. رجل فيه كبرياء وقوة هذا الدنكن، لكنه محب للحق. أظن أن الفريمن سيعجبون به. وإن حالفنا الحظ سيحكمون علينا قياسا عليه. 'دنكن رجل الأخلاق'"

قال بولس: "دنكن ذو الأخلاق، وجيرني الباسل"

قال الدوق: "أحسنت تلقيبهم"

وفكر بولس: جيرني أحد تلك الأعمدة التي قالت السيدة الموقرة أن العالم يقوم عليها: بسالة الشجاع.

قال الدوق: "أخبرني جيرني أن أداءك في تدريب السلاح اليوم كان جيدا"

"ما قاله لي يختلف عن هذا"

قهقه الدوق ضاحكا: "توقعت فعلا أن جيرني ممن يقتضبون في تقديم الثناء. أخبرني أنك تتمتع بانتباه دقيق لـ - كما قال بالحرف - الفرق بين حافة النصل وطرفه"

"يقول جيرني أن القتل بالطرف ليس فيه فن، وأن الاستخدام الصحيح يجب أن يكون بالحافة"

زمجر الدوق: "جيرني رومانتيكي"

الكلام عن القتل مع ابنه لم يشعره بالارتياح.

"ما أتمناه هو ألا تضطر أبدا لقتل أحد، لكن إن استدعت الضرورة فافعلها بأي طريقة تستطيعها.. طرف أو حافة"

ونظر لكُوّات المَنْوَر التي كانت قطرات المطر تنقرها.

لما رأى بولس الاتجاه الذي صوب إليه أبوه النظر فكر في هذه السماوات الممطرة.. شيء - كما تقول كل التقارير - لا يحدث أبدا على أراكس.

التفكر في السماء انتقل بذهنه للتفكير في الفضاء البعيد.

فسأل: "هل سفن النقابة كبيرة حقا؟"

نظر له الدوق: "كدت أنسى أن هذه ستكون مرتك الأولى للسفر بين الكواكب.
أجل، كبيرة. سنستقل حاملة هايلاينر بسبب طول الرحلة. وهذا النوع ضخم للغاية. كل فرقاطاتنا الحربية ووسائل مواصلاتنا لن تشغل سوى ركن صغير بها. لن نشمل سوى جزء صغير من سجل حمولاتها"
"ولن يسمح لنا بمغادرة فرقاطاتنا؟"
"هذا جزء من الثمن الذي ندفعه مقابل ضمان النقابة لأماننا. يمكن أن يوجد جوارنا سفن تابعة للهاركونن دون أن نخشى منها شيئا. فالهاركونن أعقل من أن يقوموا بفعل يعرض صلاحيات التنقل الممنوحة لهم للخطر"
"سأتابع شاشاتنا محاولا رؤية أحد ملاحي النقابي"
"لن تستطيع. ولا حتى وكلاؤهم استطاعوا رؤيتهم. النقابة حريصة على الاحتفاظ بسريتها بنفس درجة حرصها على احتكارها لوسائل السفر. بولس، لا تقم بفعل قد يعرض امتيازات تنقلنا للخطر"
"هل تظن أنهم يؤثِرون التخفي لكونهم تحولوا جسديا ولم يعودوا.. يشبهون البشر؟"
هز الدوق كتفيه: "من يدري؟.. الأمر لغز مستبعد أن نقوم بحله. عندنا مشاكل حالية أهم.. أنت أحدها"
"أنا؟"
"أمك أرادت أن أكون أنا من يخبرك يا بني. إذ يبدو أنك تملك قدرات منتات"
حدق بولس في أبيه للحظة عاجزا عن الكلام، ثم قال: "منتات؟ أنا؟ لكن أنا..."
"حواط يتفق معنا يا بني. الموضوع حقيقي فعلا"
"لكن كنت أظن أن التدريب كي يكون المرء منتاتا يجب أن يبدأ أثناء الطفولة، وأنه لا يجب إخبار الطفل بهذا مبكرا كي لا تتم إعاقة الـ..."
قطع حديثه فجأة. كل ملابسات حياته تركزت في ذهنه في عملية حسابية سريعة.
قال: "آه.. الآن فهمت"
قال الدوق: "يأتي يوم في حياة المنتات المحتمل يلزم فيه إخباره بما تعرض له من تهيئة.. بحيث لا يصبح تدريبه يتم رغما عنه، بل سيكون عليه أن يختار طواعية أن يستمر في التدريب أو يهجره. البعض يمكنهم الاستمرار، لكن البعض لا يستطيعون. الوحيد القادر على الحكم على هذا هو المنتات المحتمل نفسه"
حك بولس ذقنه. كل تلك التدريبات الخاصة التي تلقاها من حواط وأمه.. تمارين الذاكرة، تركيز الانتباه، التحكم في العضلات، شحذ الحواس، دراسة اللغات والفوارق الدقيقة لنبرات الصوت..
كل هذا تجمع في عقله فجأة وانتظم مكونا فهما جديدا.
قال أبوه: "يوما ما يا بني ستكون الدوق. الدوق-منتات سيكون شخصا لا يشق له غبار. هل تستطيع أن تتخذ القرار الآن.. أم تريد المزيد من الوقت؟
وبلا أي تردد في إجابته قال بولس: "سأستمر في التدريب"
تمتم الدوق: "لا يشق له غبار فعلا". وشاهد بولس ابتسامة الفخر المرتسمة على وجه أبيه.
صدمت هذه الابتسامة بولس. فملامح الدوق الدقيقة بدت وكأنها على صورة جمجمة.
أغلق بولس عينيه، شاعرا بـ 'الغاية الرهيبة' تعاود الظهور داخله.
فكر: ربما كوني منتات هو تلك الغاية المستقبلية الرهيبة.
لكن حتى وهو غارق في تفكيره كان فهمه الإدراكي الجديد ينفي هذا.

الفصل 7

"أثمر برنامج البعثات الإرسالية الوقائية - الذي تزرع به طائفة البني جيزيرت نواة الأساطير الدينية في المجتمعات - ثمرته المتكاملة مع حالة الليدي جيسيكا وأراكس.
لطالما رأينا الحكمة في زرعنا لبذور النمط النبوئي في ربوع الكون المعلوم لتوظيفه فيما بعد لحماية أفراد البني جيزيرت.. لكن لم نر حالة مثالية مماثلة لهذه، إذ ظهر فيها التوافق التام بين الشخص والتجهيز.
فالأساطير التنبؤية قد استقرت في بيئة مجتمع أراكس لدرجة تبنيه للمصطلحات حرفيا، بما فيها مصطلحات: 'سيدة موقرة'، 'كانتو وريسبوندو'، وأغلب كلمات الشريعة Shari-a العامة النبوئية. ومن شبه المسلم به الآن أن تقديرنا كان يبخس بشدة الحجم الحقيقي لقدرات الليدي جيسيكا الكامنة"

من "تحليل الأزمة الأراكسية"، تأليف الأميرة إيرولان
للتداول الخاص فقط، أرشيف ب ج، ملف رقم: AR81088587
=====

في أركان قصر مدينة أراكين الكبير تكومت - حول الليدي جيسيكا - 'حياتهم' كلها، مشحونة على شكل حزم موزعة في الأماكن المفتوحة من الردهة..
صناديق، حقائب، كراتين.. بعضها تم تفريغه جزئيا.
كانت تسمع أصوات الحمالين القادمين من مكوك نقابة الفضاء وهم يوصلون شحنة جديدة ويضعونها في المدخل.
وقفت جيسيكا في منتصف ردهة القصر. استدارت حول نفسها ببطء ناظرة لما فوقها ويحيط بها من نقوش مظللة، وزوايا ونوافذ محفورة بعمق ككوات في الجدران. تلك الردهة العملاقة المفارقة لطراز زمانها ذكرتها بقاعة الأخوات بمدرسة البني-جيزيرت التي درست بها. لكن قاعة المدرسة كان تأثيرها النفسي في نفس الرائي يبعث على الإحساس بالطمأنينة. أما هنا فالحجارة تدعو للاكتئاب.
فكرت: اقتبس المهندس من تصاميم تاريخية مغرقة في القدم كي يأتي بأفكار تلك الحوائط المدعومة والستائر غامقة اللون. السقف المقبب ارتفع فوقها لمسافة طابقين على دعامات ضخمة، لم تشك أنها جُلبت إلى أراكس عبر الفضاء بتكاليف باهظة. فلا يوجد أي كوكب من كواكب تلك المنظومة النجمية تنمو به أشجار تصلح لعمل مثل هذه الدعامات. ربما ليست إلا خشبا مقلدا. لكن لا يبدو الأمر كذلك.
هذا القصر كان مقر الحكم في عهد الإمبراطورية القديمة. التكاليف لم تكن محل اهتمام وقتها.
كان هذا قبل فترة آل هاركونن ومدينتهم الكبيرة المسماة قرطاج.. تلك المدينة ذات الذوق التصميمي السيئ والسوقي، والتي تبعد عن هنا حوالي 200 كيلو متر في اتجاه الشمال الشرقي، عبر منطقة الأرض المتكسرة. كان اختيارا حكيما من ليتو أن يجعل هذا المكان مقر حكمه. الاسم، أراكين، ذو وقع جيد ويوحي بأن له تاريخ. بالإضافة إلى أن هذه المدينة أصغر وبالتالي يسهل 'تعقيمها' من جواسيس الخصوم والدفاع عنها عسكريا.
مجددا سمعت جيسيكا ضوضاء الصناديق التي يتم شحنها إلى المدخل. تنهدت.
أمام أحد الصناديق الموجودة على يمينها وقفت لوحة والد الدوق. أحاطت بها لفائف التغليف كما لو كانت شرائط تزيين

بالية. يد جيسيكا اليسرى كانت لا تزال قابضة على قطعة من هذه اللفائف. جوار اللوحة كان هناك رأس ثور أسود مثبتة على لوح مصقول. بدت الرأس كجزيرة مظلمة في بحر واسع. استقر اللوح على الأرض، أما خطم الثور اللامع فكان موجها لأعلى في اتجاه السقف كما لو كان الحيوان مستعدا لشن هجوم على هذه الردهة واسعة الأرجاء التي يتردد فيها الصدى لاتساعها.

تساءلت جيسيكا في نفسها عن الدافع الخفي الذي جعلها تفك حزم هذين الشيئين أولا قبل باقي الأشياء.. الرأس واللوحة. شعرت في قرارة نفسها بأن هذا الفعل له دلالة رمزية ما. لم تشعر بمثل هذا الخوف وعدم الثقة بالنفس منذ ذاك اليوم الذي اشتراها فيه رجال الدوق وأخذوها من مدرستها.

الرأس واللوحة. تسببا في تعميق إحساسها بالاضطراب. ارتعدت، ونظرت للنوافذ المشقوقة طوليا فوق رأسها. كان النهار لم ينتصف بعد، وفي هذه الأقاليم بدت السماء سوداء وذات لون قاتم.. أكثر سوادا من سماء كالادان ذات اللون الأزرق الهادئ.

فجأة أوجعتها نبضة ألم ناتج عن الحنين للوطن. كم هو بعيد كالادان.

"ها نحن هنا!"

كان الصوت صادرا من الدوق ليتو.

التفتت فرأته قادما بخطوات سريعة من الرواق المقبب المؤدي لقاعة الطعام. زيه الأسود المخصص للعمل - بشارة النبالة على صدره: الصقر الأحمر - بدا متربا ومجعدا.

قال: "ظننت أنك تهتِ في هذا المكان الشنيع"

قالت: "إنه بيت كئيب". نظرت له من رأسه لقدميه، وللبشرة السمراء التي ذكّرتها بأشجار الزيتون وبشمس ذهبية منعكسة على مياه البحر الزرقاء. في عينيه الرماديتين ظهر بعض السواد بلون الدخان، لكن الوجه كان كحيوان مفترس: نحيفا، مليئا بالزوايا والمساحات الحادة.

انقبض صدرها بخوف مفاجئ منه. فقد أصبح - منذ قراره بأن ينفذ أمر الإمبراطور - شخصا شرسا يدفع الآخرين للعمل بقسوة.

قالت: "المدينة كلها تعطي انطباعا بالكآبة"

قال موافقا لها: "إنها بلدة صغيرة متربة ومتسخة من مدن الحاميات العسكرية. لكن سنقوم بتغيير هذا"

نظر حوله في أرجاء الردهة: "هذه حجرات عامة للمناسبات الرسمية. قبل قليل ألقيت نظرة سريعة على بعض الغرف العائلية في الجناح الجنوبي، ووجدتها أفضل بكثير"

تقدم خطوة مقتربا منها، لامسا ذراعها، متأملا بإعجاب مظهرها النبيل ووقفتها التي يطل منها الجلال.

ومجددا سأل نفسه عن أسلافها المجهولين. عائلة نبيلة هاربة ربما؟ أحد أفراد العائلة الإمبراطورية المغضوب عليهم؟

كانت تبدو أكثر فخامة وملكية من سلالة الإمبراطور ذاته.

تحت تأثير تحديقه استدارت نصف استدارة، فبدت ملامحها الجانبية. لاحظ أنه لا يوجد ملمح معين ومحدد يرتكز عليه جمالها. الوجه بيضاوي محاط بتاج من الشعر بلون البرونز البراق. عيناها متسعتان، وبلون خضرة وصفاء سماء كالادان في الصباح. الأنف دقيق، والفم متسع. الجسد جيد لكن فيه هزال.. طويل وتغلب النحافة على انحناءاته.

تذكر أن زميلاتها الأخوات في المدرسة كانوا يسمونها بالنحيفة، حسب ما أخبره رجاله الذين ذهبوا لشرائها. لكن هذا الوصف سطحي أكثر من اللازم. فقد أعادت لسلالة آل أتريديز جمالا ملكيا.

أسعده أن بولس يشبهها أكثر.
سأل: "أين بولس؟"
"في مكان ما بالبيت يتلقى دروسه من يوي"
قال: "غالبا في الجناح الجنوبي. فأظن أني سمعت صوت يوي هناك لكن لم يكن عندي وقت لأنظر بنفسي"
ثم نظر لها في تردد وقال: "جئت لهذه الردهة لمجرد تعليق مفتاح قلعة كالادان في قاعة الطعام"
حبست أنفاسها ومنعت نفسها من مطاوعة رغبتها في ضمه. تعليق المفتاح.. يا له من فعل فيه 'نهائية' وختام. لكن ليس الوقت ولا المكان مناسبين للمواساة الشعورية.
قالت: "رأيت رايتنا تعلو البيت أثناء دخولنا"
ألقى نظرة على لوحة والده: "أين كنتِ ستعلقين هذه؟"
"في مكان ما هنا بالردهة"
"لا"
كانت نبرة الكلمة حاسمة وقاطعة، مما أخبرها بأن الجدال لن يؤدي لنتيجة، وأن طريقة الإقناع الوحيدة هي استخدام قدراتها لخداعه. لكن عليها أن تحاول الجدال على أية حال، على الأقل لتذكير نفسها أنها لن تسمح لنفسها أبدا بخداعه.
قالت: "سيدي، لو يمكن أن تس..."
"الإجابة لا زالت: لا. في أغلب الأمور أخضع لرأيك على نحو مخجل، لكن ليس في هذا الموضوع. لقد قدمت لتوي من قاعة الطعام حيث يو..."
"سيدي! أرجوك!"
قال: "الاختيار هو بين هضمك للطعام وبين فخري بأسلافي يا عزيزتي. سيتم تعليقهما في قاعة الطعام"
تنهدت: "أجل يا سيدي"
"وبإمكانك أن تستأنفي عادتك السابقة بتناول الطعام في حجراتك كلما سنحت الفرصة. أما مكانك على طاولة الطعام في القاعة فيجب أن تكوني فيه خلال المناسبات الرسمية على الأقل"
"شكرا لك يا سيدي"
"ولا تبدئي بهذا الأسلوب الجاف والتعامل البارد! كوني ممتنة لكوني لم أتزوجك يا عزيزتي. حيث لو كنا زوجين لكان واجبك سيحتم عليك أن تشاركيني الأكل على مائدة القاعة كل وجبة"
أومأت إيجابا ولم تتحرك ملامح وجهها.
قال: "حواط وضع جهاز شمام السموم الخاص بنا فوق مائدة الطعام بالفعل. وهناك آخر محمول في حجرتك"
قالت: "إذن لقد كنت تتوقع حدوث هذا الـ.. خلاف"
"إني أفكر في راحتك أيضا يا عزيزتي. تعاملت مع بعض الخدم. محليون، لكن حواط فحصهم أمنيا. كلهم من الفريمن. سيؤدون الغرض إلى أن يفرغ رجالنا من مهامهم الأخرى"
"وكيف يمكن أن نطمئن لأي شخص يعيش هنا؟"
"يمكن أن نطمئن لكل من يكره الهاركونن. يمكنك أيضا أن تحتفظي برئيسة الخدم كما هي دون تغيير: الشادوت ميبس"
قالت جيسيكا: "شادوت.. هل هو لقب فريمني؟"
"قيل لي أن معناه هو: الغارفة من البئر. معنى له دلالات هامة عند الناس هنا. لا يظهر عليها أنها من فئة الخدم، لكن

حواط يمدحها بشدة بناء على التقرير الذي قدمه دنكن. وكلاهما مقتنع أنها تريد أن تخدمنا.. أن تخدمك أنت على وجه الخصوص"
"أنا؟"
قال: "علم الفريمن أنك من البني-جيزيرت. يؤمنون هنا بأساطير متعلقة بالبني-جيزيرت"
فكرت جيسيكا: البعثات الإرسالية. لم يسلم منها مكان.
سألت: "هل يعني هذا أن مهمة دنكن نجحت؟.. هل سيصبح الفريمن حلفاء لنا؟"
قال: "لا شيء مؤكد. في رأي دنكن فإنهم يرغبون في مراقبة أفعالنا أولا لفترة من الزمن. لكنهم وعدوا بالفعل أن يتوقفوا عن الإغارة على القرى الحدودية خلال فترة هدنة. وهذا ربح هام في الحقيقة. فحواط أخبرني أن الفريمن كانوا شوكة عميقة في ظهر الهاركونن، وأن الأرقام الحقيقية للخسائر التي سببوها لهم كانت سرا حرص آل هاركونن على منعه من الانتشار. فالإمبراطور كان سيستاء من الهاركونن إن أدرك هشاشة جيشهم"
قالت جيسيكا في تأمل وهي تعود لموضوع الشادوت ميبس: "مدبرة المنزل من الفريمن.. بالتأكيد ستكون عيناها كاملة الزرقة"
قال: "لا تدعي مظهر هؤلاء الناس يخدعك. ففيهم قوة عميقة ونشاط صحي مفيد. أظنهم سيكونون كل ما يلزمنا هنا"
قالت: "إنها مقامرة خطرة"
قال: "لا داع لأن نتجادل في هذا الموضوع مجددا"
أجبرت نفسها على الابتسام: "لقد ارتبطنا بالأمر وكان ما كان، لا شك في هذا"
ثم شرعت في خطوات منظومة تهدئة النفس: النفسان العميقان، التفكير الطقوسي.. وقالت: "عندما أوزع الحجرات هل أحجز لك شيئا معينا؟"
قال: "عليك أن تدربيني يوما ما على فعل هذا! تلك الطريقة التي تزيحين بها جانبا كل ما يقلقك وتركزين على الأمور العملية. بالتأكيد هي شيء في طبيعة البني-جيزيرت"
قالت: "هو شيء في طبيعة الأنثى"
ابتسم وقال: "حسنا. موضوع توزيع الحجرات: احرصي على أن يكون لي مكتب كبير المساحة جوار حجرة نومي. فالأعمال الورقية هنا ستفوق ما كانت عليه في كالادان. وحجرة حرس بالطبع. هذا يكفي. ولا تشغلي بالك بتأمين البيت، فرجال حواط فحصوه بدقة"
"لا شك عندي في دقتهم"
نظر لساعة معصمه: "وتأكدي من ضبط كل ساعاتنا بحيث توافق التوقيت الأراكسي المحلي. عينت أحد التقنيين ليهتم بالأمر، وسيأتي بعد قليل"
أزاح خصلة شعر كانت تغطي جبهتها: "يجب أن أعود لمهبط المركبات الطائرة. فالمكوك الثاني سيصل في أية دقيقة الآن وعليه ضباط الاحتياط في قواتنا"
"ألا يمكن لحواط أن يقابلهم يا سيدي؟ فالتعب يبدو عليك"
"ظوفر العزيز مشغول أكثر مني. فكما تعلمين هذا الكوكب لا زال مليئا بمكائد تركها الهاركونن. بالإضافة إلى أنه يتوجب علي أن أقنع بعض عمال التنقيب عن البهار بألا يرحلوا. فالقانون يسمح لهم بهذا عندما يتم تغيير المسؤول عن الإقطاعية. وخبير البيئة هذا - الذي عينه الإمبراطور واللاندسراد كقاضي تحكيم فترة التغيير - لا يمكن رشوته.. وسمح للعمال بالاختيار.

حوالي 800 يد مدربة نتوقع أن ترحل على متن مكوك البهار، وهناك سفينة من سفن نقابة الفضاء واقفة في وضع انتظار"
"سيدي..."، قطعت جملتها فجأة، مترددة.
"أجل؟"
فكرت: لن يمكنني إقناعه بالعدول عن شيء يفعله بغرض تأمين هذا الكوكب لنا.. وأرفض أيضا أن أستخدم حيلي الإقناعية عليه.
قالت: "متى تريد الغداء؟"
فكر: ليس هذا ما كانت تنوي قوله. آه يا عزيزتي جيسيكا، أتمنى لو كنا في مكان آخر، بعيدا عن هذا المكان الرهيب.. وحدنا، نحن الاثنان فقط، بلا هموم.
قال: "سأتناول الطعام في حجرة الضباط في الساحة. لا تتوقعي عودتي إلا في وقت متأخر. وسأرسل عربة حراسة لبولس. أريده أن يحضر اجتماع الاستراتيجية معي"
تنحنح وكأنه على وشك أن يقول شيئا آخر، ثم بلا مقدمات استدار وابتعد متجها نحو المدخل، حيث كانت المزيد من الصناديق يتم شحنها للمكان. ووصلها صوته من هناك، آمرا وفيه ازدراء، كطريقته المعتادة في الكلام مع الخدم عندما يكون متأخرا على شيء.
"الليدي جيسيكا في القاعة الكبرى. انضمي لها هناك في الحال"
وانغلقت البوابة الخارجية بصوت مرتفع.
استدارت الليدي جيسيكا وواجهت لوحة والد ليتو. الفنان الشهير 'ألبي' هو من رسمها، عندما كان الدوق الكبير في منتصف عمره. بدا فيها وهو في ثياب مصارعي الثيران، الماتادور، برداء وردي اللون متدل من ذراعه الأيسر. كان الوجه شابا، لا يكاد يكبر ليتو الآن بكثير.. وبذات الملامح الصقرية ونظرة العين الرمادية.
جمعت قبضتيها على جانبيها بقوة وحدقت في اللوحة.
همست: "اللعنة عليك! اللعنة! اللعنة!"
"بماذا تأمرين يا ابنة النبلاء؟"
كان الصوت صوت امرأة.. رفيعا وقويا.
التفتت جيسيكا فرأت امرأة ذات شعر أشيب وجسد معقود، مرتدية ثوبا فضفاضا بلون ملابس العبيد البنية.
ظهر على المرأة نفس الملامح المجعدة والبشرة الجافة التي ظهرت على كل أفراد العامة الذين قدموا لآل أتريديز التحية هذا الصباح خلال قدومهم من المطار.
فكرت جيسيكا: كل فرد من السكان المحليين الذين رأتهم على هذا الكوكب بدت عليه علامات الجفاف الشديد وسوء التغذية. إلا أن ليتو يقول أنهم أقوياء ومفعمون بالحيوية.
بالإضافة طبعا للعينين.. تلك الزرقة العميقة القاتمة التي لا يبدو فيها أي بياض.. توحي بالسرية والغموض.
أجبرت جيسيكا نفسها على عدم التحديق.
هزت المرأة رأسها في إيماءة رسمية مهذبة وقالت: "أدعى الشادوت ميبس، يا ابنة النبلاء. بماذا تأمرين؟"
قالت جيسيكا: "ناديني بـ 'سيدتي'، فلستُ من سلالة نبيلة. أنا المحظية المرتبطة بالدوق ليتو"
ردت المرأة بنفس الإيماءة الغريبة وحدقت في جيسيكا، ثم سألت في استفهام ماكر:
"إذن.. هناك زوجة؟"

"لا يوجد الآن ولا في أي وقت مضى. أنا.. رفيقة الدوق الوحيدة.. أم وريثه"
أثناء نطقها بهذه الكلمات كانت جيسيكا تضحك في قرارة نفسها من الكبرياء الظاهر في هذا الرد.
سألت نفسها: ما تلك الجملة التي كان القديس أغسطين يقولها؟.. 'العقل يأمر الجسد فيطيع، لكن يأمر العقل نفسه فيواجه مقاومة'.
نعم.. أواجه الكثير من المقاومة الداخلية مؤخرا. أحتاج لأن أختلي بنفسي لفترة في سكون.
وهنا سمعت صيحة غريبة قادمة من الطريق خارج البيت. تكررت: "سو-سو-سوك! سو-سو-سوك!"، ثم "إيخوتيه! إيخوتيه!.. ثم مجددا: "سو-سو-سوك!"
سألت جيسيكا: "ما هذا؟ سمعته عدة مرات ونحن نمر بالطرقات صباح اليوم"
"مجرد بائع ماء يا سيدتي. لكن لن تحتاجي لأن تشغلي بالك بهم. الصهريج هنا يسع 50 ألف لتر، ونحرص على أن يكون ممتلئا على الدوام"
نظرت لثوبها وقالت: "بل ولا أحتاج حتى لارتداء بذلة التقطير هنا"، ضحكت: "... وها أنا ذا حية لم أمت!"
ترددت جيسيكا. فهي تريد أن تستفسر من هذه المرأة الفريمنية عن المزيد من الأشياء، لاحتياجها لمعلومات تتصرف على هداها.. لكن الأهم حاليا هو تنظيم فوضى هذه القلعة.
لكنها شعرت بالقلق لمعرفة أن الماء هنا يعتبر من علامات الثراء.
قالت جيسيكا: "زوجي أخبرني بلقبك.. الشادوت. تعرفت على الكلمة. كلمة قديمة للغاية"
سألت ميبس: "تفهمين اللغات القديمة؟"، وانتظرت الإجابة بتحفز غريب.
قالت جيسيكا: "اللغات هي أول ما نتعلمه البني-جيزيرت. أعرف البوتاني جِب والشاكوبسا.. كل لغات الصيد"
هزت ميبس رأسها: "كما تقول الأسطورة بالضبط"
سألت جيسيكا نفسها: لم أنا مستمرة في لعب هذه المسرحية المزيفة؟
لكن أساليب البني-جيزيرت مراوغة وفيها إثارة.
قالت جيسيكا: "وأعرف الطقوس المظلمة وشرائع الأم العظمى"
وقرأت في أفعال وتعبيرات ميبس إشارات واضحة وأخرى دقيقة تكشف عما تفكر فيه.
قالت جيسيكا بلسان الشاكوبسا: "ميسيسز بريجا. أندرال تيرا برال! ترادا سيك بوساكري ميسيسز بيراكري"
تراجعت ميبس خطوة للوراء وكأنها مستعدة للهرب من المكان.
قالت جيسيكا: "أعرف الكثير من الأمور. أعرف مثلا أنك أنجبتِ أطفالا، وفقدتِ أحبابا، وتخفيتِ في خوف، وارتكبتِ أفعالا عنيفة وستقدمين على مثلها في المستقبل. أمور كثيرة أعرفها"
قالت ميبس في صوت خافت: "لم أقصد أية إساءة يا سيدتي"
قالت جيسيكا: "تذكرين الأسطورة وتطلبين إجابات. احترسي من الإجابات التي قد تجديها. فأنا أعلم أنك جئتِ مستعدة للإقدام على عمل عنيف، بسلاح تخفينه الآن في صدارك"
"سيدتي أنا..."
قالت جيسيكا: "هناك احتمال - مع أنه ضئيل - أن تنجحي في إسالة دمي وقتلي. لكن لو حدث هذا فستكونين قد جلبتِ دمارا أكبر مما يمكن لأشنع مخاوفك أن تتخيله. فهناك - لعلمك - أشياء أسوأ بكثير من الموت.. حتى بالنسبة لشعب بأكمله"
تضرعت ميبس: "سيدتي!"، وبدا وكأنها على وشك أن تركع على ركبتيها. "السلاح كان مرسلا كهدية لك، في حالة أن

استطعتِ البرهنة على أنك فعلا 'المنتظَرة'"
قالت جيسيكا: "وكأداة موتي إن اتضح أني لست هي"
وانتظرت في حالة الاسترخاء الظاهري التي تجعل متدربات البني-جيزيرت مخيفات في أي قتال.
وفكرت: الآن سنرى إلى أي من الكفتين سيميل القرار.
ببطء مدت ميبس يدها في فتحة ثوبها وأخرجت غمدا غامق اللون. برز منه مقبض أسود منحوتة فيه تجاويف عميقة لموضع الأصابع.
أمسكت الغمد في يد والمقبض في الأخرى وسحبت، كاشفة عن نصل في بياض اللبن.
رفعته لأعلى.
بدا النصل وكأنه يلمع ويبرق بنوره الذاتي.
كان ذا حدين، كخناجر الـ Kindjal وطول النصل حوالي 20 سنتيمتر.
قالت ميبس: "هل تعرفين ما هذا يا سيدتي؟"
أدركت جيسيكا أن الشيء لا يمكن أن يكون سوى سكين الكريسنايف الأراكسي ذي السمعة الخرافية.. النصل الذي لم يخرج أبدا بعيدا عن الكوكب، والذي لم يعرفه الآخرون إلا عن طريق تناقل الإشاعات المظنون أنها مبالغات.
قالت: "إنه كريسنايف"
قالت ميبس: "لا تقولي الاسم ببساطة هكذا، فله احترامه. هل تعرفين دلالته؟"
فكرت جيسيكا: هذا السؤال محمل بمغزى ما. ها هو السبب الذي دفع هذه الفريمنية لأن تطلب أن تكون خادمتي.. أن تسأل هذا السؤال على وجه الخصوص.
إجابتي قد تؤدي لإشعال الموقف باللجوء للعنف، أو.. ماذا؟
ما تطلبه مني هو إجابة: معنى السكين.
اسمها في لغة الشاكوبسا يعني 'الظل'. السكاكين في لغة الشاكوبسا تسمى 'صانع الموت'.
بدأ يظهر عليها التململ.. يجب أن أسرع بالإجابة الآن. فالتأخير قد لا يقل خطورة عن تقديم إجابة خاطئة.
قالت جيسيكا: "إنها صانع الـ..."
صوتت ميبس: "إيييه!"
كان الصوت يدل على الحبور والحزن في نفس الوقت. اهتزت مضطربة بقوة حتى أن الضوء انعكس من السكين في جميع أرجاء المكان.
انتظرت جيسيكا، متحفزة. كان مرادها هو أن تصف السكين بأنها صانع الموت ثم تضيف النطق القديم للكلمة، لكن جميع حواسها الآن حذرتها من الإكمال.. كل تدريبات الانتباه العميقة التي علمتها أن تكشف المعاني المضمرة في أدق حركات العضلات والملامح.
الكلمة المفتاحية الهامة هنا كانت.. 'صانع'.
صانع؟
صانع.
لكن ميبس كانت لا تزال ممسكة بالسكين وكأنها مستعدة لاستخدامه.
قالت جيسيكا: "وهل ظننتِ أني أنا - التي تعلم الطقوس والأسرار الدينية للأم العظمى - لا أعرف الصانع؟"

أنزلت ميبس السكين: "سيدتي، عندما يكون المرء قد عاش حالما بالنبوءة لمدة طويلة فإن لحظة الحقيقة تكون صادمة"
فكرت جيسيكا في النبوءة..
الشريعة العامة النبوئية..
واحدة من البني-جيزيرت، من البعثات الإرسالية، هبطت هنا قبل عدة قرون. ميتة الآن بلا شك، لكن هدفها تحقق: أساطير الحماية الاحتياطية تم زرعها وسط هؤلاء الناس تحسبا ليوم تحتاج إحدى البني-جيزيرت استغلالها.
وها هو اليوم قد أتى.
أعادت ميبس السكين للغمد وقالت: "هذا النصل لم تتم معالجته يا سيدتي. ابقيه قريبا منك. فإن ظل بعيدا عن اللحم لأكثر من أسبوع فسيبدأ في التحلل. هو لك الآن.. إحدى أسنان شَي-خلود.. طوال حياتك"
مدت جيسيكا يدها اليمنى ثم قررت القيام بمقامرة خطرة:
"ميبس، لقد أغمدتِ هذا النصل دون أن تدمي به أحدا"
شهقت ميبس وقذفت في يد جيسيكا بالسكين المغمود، وشقت الثوب البني وهي تنتحب: "خذي ماء حياتي!"
سحبت جيسيكا النصل من غمده.
يا للمعانه!
وجهت الطرف ناحية ميبس فرأت رعبا يفوق رهبة الموت على وجه المرأة.
تساءلت جيسيكا في نفسها: هل الطرف مسموم؟
أمالت الطرف واستخدمت حافة النصل لشق جرح رقيق فوق ثدي ميبس الأيسر.
انبثقت دفعة دم غليظ ثم توقفت في الحال.
فكرت جيسيكا: تجلط فائق السرعة.. طفرة تمنع هدر الماء؟
أغمدت النصل وقالت: "زرري ثوبك يا ميبس"
أطاعت ميبس وهي ترتجف. حدقت العينان الخاليتان من البياض في جيسيكا.
تمتمت ميبس: "أنتِ واحدة منا. أنتِ المنتظرة"
صدر من المدخل صوت توصيل شحنة أخرى، نخطفت ميبس السكين المغمود بسرعة وأخفته في صدار جيسيكا.
زمجرت قائلة: "من يرى هذا السكين إما أن يتم تطهيره أو قتله!.. تعلمين هذا يا سيدتي"
فكرت جيسيكا: أعلمه الآن منك!
رحل حمالو الشحنة دون أن يتطفلوا على ردهة القصر.
اعتدلت ميبس وقالت: "غير الأطهار الذين وقع بصرهم على سكين كريسنايف لا يجب أن يرحلوا عن أراكس أحياء. لا تنسي هذا أبدا يا سيدتي. فقد تم ائتمانك على كريسنايف"
أخذت نفسا عميقا: "والآن على الأمر أن يأخذ مجراه. لا يمكن التعجيل به"
نظرت للصناديق المرصوصة والأشياء المكومة حولهم: "وأمامنا هنا الكثير من العمل لتمضية الوقت"
ترددت جيسيكا.
'على الأمر أن يأخذ مجراه'.
إنها عبارة اصطلاحية محددة مأخوذة من مخزون أدعية البعثات الإرسالية، تشير لـ 'قدوم السيدة الموقرة كي تحرركم'.
فكرت جيسيكا: لكني لست برتبة سيدة موقرة.

ثم انتبهت فجأة. يا أمنا العظمى!.. لقد زرعوا هذه الجملة بالذات هنا! هو إذن - بلا شك - مكان شنيع للغاية.
قالت ميبس بنبرة عملية: "أي الأعمال ترغبين في أن أقوم بها أولا يا سيدتي؟"
الحس الغريزي أخبر جيسيكا أن ترد بنفس النبرة. قالت: "لوحة الدوق الكبير الموضوعة هناك.. يجب تعليقها على أحد جانبي قاعة الطعام. رأس الثور توضع على الجدار المقابل للوحة"
خطت ميبس ناحية الرأس: "بالتأكيد كان حيوانا ضخما إن كانت رأسه هكذا. يجب أن أنظفه أولا يا سيدتي، أليس كذلك؟"
"لا"
"لكن على قرنيه تراب متكتّل"
"ليس ترابا يا ميبس. إنه دم والد دوقنا. هذان القرنان تم رشهما بمثبت شفاف اللون بعد بضعة ساعات من قتل هذا الحيوان للدوق الكبير"
وقفت ميبس وقالت متعجبة: "آه!"
قالت جيسيكا: "إنه مجرد دم. وفوق ذلك فهو دم قديم. اطلبي من أحدهم أن يساعدك في التعليق، فهذان الشيئان الشنيعان ثقيلان"
قالت ميبس: "هل ظننتِ أن الدم ضايقني؟.. أنا من الصحراء ورأيت من الدماء الكثير"
قالت جيسيكا: "فعلا، واضح لي أنك فعلتِ"
قالت ميبس: "وبعضه كان دمي أنا. أكثر بكثير مما تسبب فيه خدشك الصغير هذا"
"أكنت تحبين أن أجرحك بشكل أعمق؟"
"أوه لا! ماء الجسد قليل أساسا، ولا داع لهدر الكثير منه في الهواء. لقد فعلتِ الشيء الصحيح"
انتبهت جيسيكا للدلالات العميقة التي حملتها تلك الكلمات وطريقة نطقها.
'ماء الجسد'
ومجددا شعرت بالضيق لتلك الأهمية الفائقة للماء على أراكس.
قالت ميبس: "على أي جانب من جانبي قاعة الطعام يجب أن أضع كل واحدة من هاتين التحفتين يا سيدتي؟"
فكرت جيسيكا: عملية جدا هذه الميبس. وقالت: "احكمي بنفسك يا ميبس. لا فرق بين الأمرين"
"كما تريدين يا سيدتي". ركعت ميبس وبدأت تفك الأغلفة واللفائف من الرأس.
قالت في دندنة: "قتلتَ دوقا عجوزا يا هذا؟"
سألتها جيسيكا: "هل أستدعي أحد الحمالين ليساعدك؟"
"سأتصرف يا سيدتي"
فكرت جيسيكا: أجل، ستتصرف فعلا. واضح أن هذا المخلوق الفريمني متصف بهذه الصفة فعلا: القدرة على التصرف.
شعرت جيسيكا بغمد السكين باردا تحت صدارها، وفكرت في تلك السلسلة الطويلة من خطط البني-جيزيرت والتي صنعت لنفسها هنا حلقة أخرى.
بفضل هذا التخطيط استطاعت هي أن تنجو الآن من أزمة قاتلة.
ميبس كانت قد قالت: لا يمكن التعجيل به.
لكن هذا المكان يشعرها بوجود إيقاع سريع منطلق يملؤها بالتشاؤم من القادم.

ولن تفلح كل تحضيرات البعثات الإرسالية ولا تأمينات حواط التي تنظر بشك لكل ركن من أركان كومة الحجارة هذه في أن تطرد هذا الشعور.

قالت جيسيكا: "عندما تنتهين من تعليق هذين اشرعي في تفريغ هذه الصناديق. أحد المسؤولين عن الحمولة يقف عند المدخل ومعه كل المفاتيح ويعرف أين يجب وضع كل شيء. خذي منه المفاتيح والقائمة. ولو عندك أية أسئلة فسأكون في الجناح الجنوبي"

قالت ميبس: "حاضر يا سيدتي"

ابتعدت جيسيكا مفكرة: على الرغم من أن حواط قد قام بتأمين هذا المسكن إلا أن هناك شيئا ما خطأ بالمكان. أشعر بهذا. سيطرت عليها رغبة طارئة في رؤية ابنها. بدأت تسير ناحية الباب المقبب المؤدي لممر قاعة الطعام والأجنحة العائلية.

أسرعت وأسرعت حتى كادت تجري.

وخلفها توقفت ميبس لبرهة عن إزالة اللفائف من حول رأس الثور، ونظرت للظهر المبتعد وتمتمت:

"إنها فعلا من كنا ننتظرها. يا لها من مسكينة"

الفصل 8

تقول الأغنية: "يوي! يوي! يوي!.. الموت مليون مرة لا يكفي كعقاب ليوي"

من كتاب "المؤدب: تاريخ للأطفال"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

كان الباب مواربا. دخلت جيسيكا عبره لحجرة ذات جدران صفراء اللون. على يسارها وجدت أريكة منخفضة مغطاة بجلد طبيعي أسود، وخزانتي كتب فارغتين، وقارورة ماء معلقة وقد تراكمت الأتربة على جوانبها المنتفخة.
على يمينها وقفت عدة خزانات أخرى فارغة تحيط بجانبي باب آخر، ومكتب قادم من كالادان، وثلاثة مقاعد.
بقرب النوافذ المواجهة لجيسيكا مباشرة وقف دكتور يُوي، مديرا لها ظهره، وانتباهه كله مركز على ما يدور في الخارج.
تقدمت جيسيكا داخلةً الحجرة بخطوة أخرى صامتة.
لاحظت أن رداء يوي كان مجعدا وبه لطخة بيضاء قرب المرفق الأيسر كما لو كان قد استند إلى جدار طبشوري.
بدا - من الخلف - كعصا نحيفة لا يغطيها لحم بل ملابس سوداء أوسع من اللازم.. صورة هزلية مهيئة للحركة.. دمية ساكنة تنتظر أن يشدها محرك الدمى بخيوطه.
الجزء الوحيد فيه الذي بدت عليه الحياة هو هذا الرأس المضلع، بشعره الأسود الطويل المجموع - عند الكتف - في الحلقة الفضية التي ترمز لـ 'مدرسة الصك'. استدار الرأس قليلا، متابعا حركة ما تحدث في الخارج.
نظرت مجددا في أرجاء الحجرة فلم تر لابنها أثرا. لكنها تعلم أن هذا الباب المغلق على يمينها يؤدي لحجرة نوم كان بولس قد أظهر إعجابه بها.
قالت: "صباح الخير يا دكتور يوي. أين بولس؟"
أومأ كما لو كان يشير لشيء يقع خارج النافذة، وتكلم بطريقة لا مبالية وكأنه غارق في أفكاره، دون أن يستدير ناحيتها:
"ابنك شعر بالإرهاق يا جيسيكا، فأرسلته للحجرة المجاورة كي يرتاح"
ثم شد قامته فجأة واستدار سريعا بحيث اضطرب شاربه فوق شفتيه الأرجوانيتين: "اعذريني يا سيدتي! كنت مستغرقا في أفكاري فلم.. أنا.. لم أقصد أن أسقط الحواجز الرسمية بيننا متكلما بعفوية دون ألقاب"
ابتسمت ورفعت له يدها اليمنى. للحظة خشت أن ينحني راكعا.
"ويلينجتون، أرجوك لا تفعل"
"أن أستخدم اسمك هكذا دون.. أن..."
قالت: "نعرف بعضنا البعض منذ 6 سنوات. حان الوقت لإسقاط تلك الرسميات بيننا.. عندما نكون على انفراد"
جازف يوي بإظهار ابتسامة رفيعة على وجهه، وفكر: أظن أن الحيلة نجحت. فالآن ستعتبر أن أي تصرف غريب يصدر مني هو عائد لشعوري بالإحراج. لن تبحث بعمق عن أسباب أخرى طالما تظن أنها تعرف الإجابة بالفعل.
قال: "يبدو أني كنت غارقا في أفكاري. عندما أشعر بالحزن لحالك فإني أفكر فيكِ كـ 'جيسيكا' فقط"
"حزن لحالي؟ لم؟"
هز يوي كتفيه. كان مدركا منذ زمن طويل أن جيسيكا لا تتمتع بكامل قدرة كشف الأكاذيب، على عكس ما كانت عليه

حبيبته وانا. لكنه على أية حال كان يتجنب الكذب أمام جيسيكا قدر الإمكان. هذا أسلم.
"هذا المكان حاله كما ترين يا سيـ.. يا جيسيكا"
تلعثم في نطق الاسم للحظة ثم أكمل بإقدام: "قاحل تماما بالمقارنة بكالادان. والشعب! نسوة المدينة اللاتي مررنا بهن في طريقنا إلى هنا كن ينتحبن تحت أغطية وجوههن. وتلك الطريق التي كانوا ينظرون بها لنا!"
عقدت ذراعيها أمام صدرها، محتضنة نفسها، متحسسة سكين الكريسنايف الموضوعة في صدارها.. النصل المصنوع من سن دودة الرمال، إن صحت التقارير التي تقول هذا.
"كل ما في الأمر هو أننا غرباء عنهم. بتغير الناس تتغير العادات. كل معرفتهم المسبقة كانت بالهاركونن"
نظرت للنوافذ وراءه: "بم كنت تحدق؟"
عاد ينظر للنافذة وقال: "الناس"
اقتربت جيسيكا من مكانه ونظرت لليسار، ناحية مدخل البيت، حيث كان يتجه نظر يوي.
عشرون نخلة تمر وقفت متراصة على شكل خط.. التربة أسفلهن نظيفة وقاحلة. يفصلهن سياج عن الطريق الذي يمر به أفراد يرتدون أروابا.
لاحظت جيسيكا وجود وميض خفيف في الهواء الواقع بينها وبين الناس.. درع طاقة منزلي محيط بالبيت.
أخذت تدقق في ذلك الزحام المار بالطريق، متسائلة: لم وجدهم يوي باعثين على ذلك التفكير العميق؟
وفجأة ظهر لها النمط المتكرر، فوضعت يدها على وجنتها مندهشة. يا لتلك الطريقة التي كان المارة ينظرون بها للنخيل!
رأت فيها مشاعر حسد، وبعض الكره.. بل وبعض الأمل أيضا. كل فرد منهم قلب نظره في تلك النخلات بتعبير ثابت وقوي.
سألها يوي: "هل تدرين فيم يفكرون؟"
قالت: "أوتدعي قدرتك على قراءة العقول؟"
قال: "هذه العقول على الأقل. إنهم ينظرون لتلك النخلات ويفكرون قائلين: 'تساوي مئة منا'. هذا هو ما يفكرون فيه"
نظرت له بتقطيبة حائرة: "لماذا؟"
قال: "إنها نخلات تمر. كل واحدة تحتاج 40 لتر ماء يوميا. الإنسان يحتاج 8 لترات فقط. فالنخلة الواحدة تساوي خمسة رجال. وحيث أنها 20 نخلة فالمجموع هو 100 رجل"
"لكن بعض هؤلاء الناس ينظرون للنخلات نظرة أمل"
"يأملون أن يسقط منها بعض التمر.. لكنه ليس موسم الإثمار"
قالت: "إننا ننظر لهذا المكان بعين ناقدة أكثر من اللازم. فيوجد هنا أمل كما يوجد خطر. البهار يمكن أن يجعلنا أثرياء. وبخزانة أموال سمينة سيكون باستطاعتنا أن نحول حال هذا الكوكب كما نشاء"
وضحكت في نفسها ضحكة صامتة: أحاول إقناع من؟ هو أم نفسي؟
تغلبت الضحكة على قيودها فخرجت. ضحكة ضعيفة وبلا أي قدر من المرح.
قالت: "أما الأمان فلا يمكن شراؤه بالمال"
استدار يوي كي يخفي تعابير وجهه عنها. آه لو أمكنني أن أكره هذه الأسرة بدلا من أن أحبهم!
كانت جيسيكا تشبه وانا حبيبته في الكثير من تصرفاتها.
لكن تلك الفكرة حملت معها - عندما خطرت على باله - قسوة وقيودا، زادا من عزمه على تنفيذ هدفه.

فللهاركونن طرق تعذيب منحرفة وماكرة. وانا قد لا تكون قد ماتت بعد. ينبغي أن يتيقن.
قالت جيسيكا: "لا تقلق بشأننا يا ويلينجتون. فالمشكلة مشكلتنا لا مشكلتك"
تظن أني قلق عليها!
رمش بعينه كي يمنع الدموع.
وبالطبع أنا قلق عليها أيضا. لكن لا مفر أمامي من أن أسعى كي أقف أمام هذا البارون الأسود بعد أن تنجح مهمته، وأن أقتنص فرصتي الوحيدة لأوجه له ضربتي وهو في أضعف حالاته.. في لحظة افتخاره بالانتصار.
تنهد.
قالت: "هل سيستيقظ بولس لو ألقيتُ عليه نظرة؟"
"كلا على الإطلاق. لقد أعطيته منوما"
سألت: "هل بدأ يتأقلم مع التغيير؟"
"أجل.. إلا أنه يشعر بالإرهاق من وقت لآخر. يحس بالإثارة. لكن أي فتى في الخامسة عشر سيشعر أيضا بالإثارة في مثل هذه الظروف"
خطا ناحية الباب وفتحه: "إنه هنا"
تبعته جيسيكا، وأطلت برأسها داخل الحجرة المظلمة.
كان بولس راقدا على سرير صغير ضيق، إحدى ذراعيه تحت غطاء خفيف والأخرى ملقاة على رأسه.
على النافذة المجاورة للسرير كانت ستائر مشققة بالعرض، فنسجت على الوجه والغطاء ظلالا بذات الشكل.
أدامت جيسيكا النظر في ابنها، ناظرة للشكل البيضاوي للوجه الذي يشبهها. أما الشعر فكان كشعر الدوق.. أشعث وبلون الفحم. أهداب طويلة أخفت تحتها عينين بلون الليمون.
ابتسمت جيسيكا وبدأت تشعر بمخاوفها تتراجع.
سيطرت عليها فجأة فكرة الآثار الجينية البادية في ملامح ابنها.. فمنها كانت العينان وخطوط الوجه، لكن من ناحية الأب بدأت تظهر ملامح حادة ولمسات معينة، كما يبرز النضوج من مرحلة الطفولة.
نظرت لملامح الفتى على أنها نتاج تقطير مزجي فاتن ظهر من عدة أنماط عشوائية.. عدد لا نهائي من طوابير المصادفات التقت في تلك العقدة.
جعلتها تلك الفكرة راغبة في أن تركع جوار السرير وتأخذ ابنها في ذراعيها، لكن وجود يوي جعلها تحجم عن هذا.
تراجعت وأغلقت الباب بلطف.
عاد يوي للنافذة، غير قادر على أن يحتمل رؤية تلك الطريقة التي نظرت بها جيسيكا لابنها.
سأل نفسه: لم لم تنجب لي وانا أي أطفال؟ أعلم كطبيب عدم وجود أي عائق طبي يمنع الأمر. هل البني-جيزيرت هم السبب؟
ربما أمروها ألا تفعل لدافع ما. أي دافع يا ترى؟ فأنا متأكد من حبها لي.
ولأول مرة طرأت على ذهنه احتمالية أنه جزء من خطة كبيرة معقدة وملتوية يعجز عقله عن استيعابها.
وقفت جيسكا جواره وقالت: "نوم الأطفال يتميز بالاستغراق في غفلة لذيذة"
رد تلقائيا: "أتمنى لو كان الكبار البالغون يستطيعون أن يهنؤوا بنوم كهذا"
"أجل"

تمتم: "في أي مراحل حياتنا نفقد تلك القدرة؟"
نظرت له وانتبهت للنبرة الغريبة، لكن عقلها كان لا يزال منصبا على بولس.. مفكرة في الصعوبات الجديدة المضافة لتدريبه هنا، وللاختلافات التي طرأت على حياته. حياة مختلفة كثيرا عن تلك التي كانوا قد خططوا لها في السابق.
قالت: "نحن - فعلا - نفقد شيئا ما مع التقدم في العمر"
ألقت نظرة ناحية اليمين على منحدر تل يحمل فوقه شجيرات خضراء ورمادية تثنيها الرياح. أوراقها مغبرة وأغصانها كمخالب جافة.
والسماء المعتمة شبه السوداء - كلطخة حبر - مرفوعة فوق المنحدر.. ونور شمس أراكس - بلون اللبن - يعطي المشهد لمسة فضية، ويشبه سكين الكريسنايف المخفاة في صدارها.
قالت: "السماء معتمة للغاية"
قال: "السبب جزئيا هو قلة الرطوبة في الجو"
قالت في حدة فجائية: "الماء! كلما نظر المرء في أي مكان هنا سيرى آثار قلة الماء!"
قال: "إنه سر أراكس الغامض"
"لماذا الماء قليل هكذا؟ فهناك صخور بركانية موجودة بالفعل.. ودستة مصادر أخرى يمكنني تعديدها. وهناك جليد قطبي. يقولون أنه لا يمكن الحفر في الصحراء، حيث أن العواصف والمد والجزر الرملي يفسدان الأدوات بمعدل أسرع من معدل استبدالها. هذا إن لم تكن الديدان قد التهمتها أولا بالفعل. وعلى أية حال لم يجدوا أثرا لأي ماء في الصحراء أصلا. لكن اللغز يا ويلينجتون.. اللغز الحقيقي هو الآبار التي تم حفرها هنا، في مناطق الوديان والأحواض. هل قرأت عنها؟"
قال: "تبدأ هزيلة ثم تتوقف"
"لكن هذا هو اللغز يا ويلينجتون. فالماء كان موجودا. ثم يجف ويتوقف، ولا يعود للبئر مجددا أبدا. إلا أنه إن تم حفر حفرة أخرى قريبة فالنتيجة تتكرر: قطرات هزيلة ثم توقف. ألم يثير هذا الأمر فضول أحد في السابق؟"
قال: "إنه أمر مثير للفضول فعلا. هل تشتبهين في وجود كائن حي يسبب هذا؟ لو شيء كهذا موجود فعلا ألم يكن سيظهر بالفعل في عينات التربة العميقة؟"
"أي شيء هذا الذي كان سيظهر؟ نبتة فضائية غريبة من كوكب آخر.. أو حيوان مثلا؟ من سيستطيع التعرف على شيء كهذا؟"
عادت بنظرها للتل المنحدر. "الماء يتم إيقافه. شيء ما يسده. هذا هو ما أشتبه فيه"
قال: "ربما السبب معروف بالفعل. فآل هاركونن حجبوا مصادر كثير من المعلومات الخاصة بأراكس. ربما هناك دافع لإخفاء هذا الأمر"
سألت: "أي دافع يا ترى؟ ثم هناك أيضا موضوع رطوبة الجو. يوجد مقدار ضئيل منها، لكنه على الأقل موجود. إنها المصدر الرئيسي للماء هنا، يحصل الناس عليه بجمعه من مصائد الرياح والمرسبات. فمن أين يأتي يا ترى؟"
"من جليد القطبين؟"
"الهواء البارد لا يحمل من الرطوبة إلا قدرا ضئيلا للغاية يا ويلينجتون. هناك أمور محجوبة خلف غطاء هاركوني في الموضوع وتستحق الفحص الدقيق. وليست كلها أمور متعلقة بالبهار بشكل مباشر"
قال: "نحن بالفعل قابعون خلف حجاب آل هاركونن. ربما لو..."
قطع كلامه فجأة منتبها للطريقة الفاحصة التي كانت تنظر له بها. "ما الأمر؟"

قالت: "الطريقة التي تنطق بها كلمة هاركونن. حتى صوت الدوق نفسه لا يحمل كل هذا الكم من الكراهية المسمومة وهو ينطق بهذا الاسم الكريه. لم أكن أعلم أن عندك أسباب شخصية لكرههم يا ويلينجتون"

فكر: يا للأم العظمى! لقد أثرت شكوكها! علي الآن أن أستخدم كل خدعة علمتني وانا إياها. هناك حل واحد لا غير: أن ألتزم الصدق قدر ما أستطيع.

قال: "لا تعلمين أن زوجتي.. وانا الحبيبة..."

واهتز، غير قادر على التغلب على عائق ما في حلقه. ثم قال: "إنهم..."

رفضت الكلمات أن تخرج منه.

شعر بالهلع. أغلق عينيه بقوة شاعرا بضيق مؤلم في صدره أعجزه عن الشعور بأي شيء آخر، إلى أن لمست يد كتفه في رفق.

قالت جيسيكا: "اغفر لي. لم أقصد أن أعيد فتح جرح قديم"

وفكرت: يا لهؤلاء الحيوانات! زوجته كانت من البني-جيزيرت. أستطيع أن أرى علامات ذلك واضحة عليه. وواضح أن الهاركونن قتلوها. ها هو ضحية أخرى مسكينة ارتبط مع آل أتريديز في عصبة ثأر Cherem تجمعها الكراهية.

قال: "آسف. أعجز عن الكلام في الأمر"

وفتح عينيه، سامحا لنفسه بالغرق في مشاعر الأسى الداخلية.

على الأقل كان هذا الأسى حقيقيا لا كاذبا.

درست جيسيكا ملامحه. الوجنتان المرتفعتان بزاوية لأعلى.. العينان الضيقتان الداكنتان بشكلهما الذي يشبه اللوز.. لون البشرة الزبدي.. الشارب المفتول المعلق كإطار صورة يحني حول شفتين أرجوانيتين وذقن صغيرة.

تجاعيد الوجنتين والجبهة بدت لها كعلامة على الحزن بقدر ما هي في نفس الوقت علامة على السن.

شملها شعور عميق بالعطف عليه.

قالت: "ويلينجتون.. آسفة أننا أحضرناك لمثل هذا المكان الخطر"

قال: "لقد جئت طواعية"

وتلك أيضا كانت حقيقة لا كذبة.

"لكن هذا الكوكب بأكمله هو عبارة عن مصيدة هاركونية. بالتأكيد تعلم هذا"

قال: "القضاء على الدوق ليتو سيحتاج لأكثر من مجرد مصيدة"

وهذه أيضا كانت جملة حقيقية صادقة.

قالت: "ربما علي أن أثق في قدراته بدرجة أكبر.. فهو واضع خطط ممتاز"

قال: "لقد تم انتزاع جذورنا من تربتها. لهذا السبب نشعر بالارتباك"

قالت: "وما أسهل قتل النبتة عند انتزاعها من تربتها.. خصوصا عندما تضعها في تربة أخرى معادية لها"

"وهل نحن متأكدون بالفعل من أن التربة معادية لنا؟"

قالت: "حدثت أعمال شغب على الماء عندما علم الناس عدد الأفراد الذين جاء بهم الدوق وأضافهم لعدد السكان السابق. لم تتوقف إلا عندما أدرك الناس أننا سنقوم بتركيب مصائد رياح جديدة ومكثفات إضافية كي توازن هذا الحمل الزائد"

قال: "الماء هنا بالكاد يكفي لإعاشة البشر. والشعب يعلم أنه إن جاء عدد زائد وشرب من كمية الماء المحدودة الموجودة فإن الأسعار سترتفع وسيموت شديدو الفقر. لكن الدوق حل المسألة. فأعمال الشغب هذه لا تعني بالضرورة وجود عداء دائم ضدنا"

قالت: "والحرس. حراس في كل مكان. ودروع. أينما تنظر ترى لمعانها. لم نكن نعيش بهذه الطريقة على كالادان"
قال: "أعطِ لهذا الكوكب فرصة"
لكن جيسيكا ظلت تحدق في النافذة بعينين ثابتتين:
"أشم رائحة الموت في هذا المكان. حواط أرسل فرقا كاملة من العملاء كي يسبقونا إلى هنا للاستطلاع. هؤلاء الحرس الواقفون بالخارج هم رجاله التابعون له. الحمالون تابعون له. كميات كبيرة من المال تم سحبها من الميزانية دون توضيح السبب. مقدارها يدل على أنها لشيء واحد فقط لا غير: رشاوي لذوي المناصب الكبيرة"
هزت رأسها: "أينما حل ظوفر حواط فالموت والخداع يتبعانه"
"تعيبين عليه"
"أعيب؟ لا، بل أمدحه. الموت والخداع هما أملنا الوحيد الآن. لكني لن أخدع نفسي فيما يخص الطرق التي يتبعها ظوفر"
قال: "عليكِ أن.. تشغلي نفسك. لا تسمحي بوجود وقت فراغ تسيطر فيه عليك تلك المشاعر السوداوية"
"أشغل نفسي! ألا تعلم ما الذي يستهلك أغلب وقتي يا ويلينجتون؟ أنا سكرتيرة الدوق. مشغولة بدرجة كبيرة حتى أني أعلم كل يوم شيئا جديدا يزيد من مخاوفي. أشياء لا يدرك هو نفسه أني أعلمها"
زمت شفتيها وقالت بصوت خافت: "أتساءل أحيانا لأي مدى أسهم تدريبي - كبني جيزيرت مدربة على الأعمال الإدارية - في اختياره لي"
"ماذا تقصدين؟". وجد نفسه مندهشا للنبرة التشاؤمية، وللمرارة التي لم تظهر منها أمامه من قبل قط.
سألت: "ألا تظن يا ويلينجتون أن سكرتيرة مرتبطة بالشخص برباط الحب ستصبح مأمونة الجانب بدرجة أكبر؟"
"جيسيكا، تلك الفكرة لا تستحق مجرد التفكير فيها"
صدر الرد من شفتيه تلقائيا. فلا شك إطلاقا في حقيقة مشاعر الدوق ناحية محظيته. يكفي مجرد أن نراه وهو يتابعها ببصره كي نعلم صدق مشاعره.
تنهدت: "معك حق. فكرة لا معنى لها فعلا"
ومجددا احتضنت نفسها، ضاغطة سكين الكريسنايف الموضوعة في غمدها على بشرتها، ومفكرة في ذاك العمل غير المكتمل الذي ترمز له السكين.
قالت: "قريبا سيتم سفك الكثير من الدماء. لن يهدأ الهاركونن إلا بموتهم أو بالقضاء على الدوق. لا يستطيع البارون أن ينسى حقيقة أن ليتو له صلة قرابة بالعائلة الإمبراطورية، حتى إن كانت صلة بعيدة، في حين أن ألقاب آل هاركونن الرسمية جاءت عن طريق شرائها بأموالهم المكتسبة من شوم. لكن ما يسمم عقله فعلا ويسيطر على تفكيره هو علمه أن أحد أسلاف آل أتريديز قد حكم بالنفي على أحد أسلاف آل هاركونن - بعد معركة كورّين - لما أظهره الهاركوني من جبن"
تمتم يوي: "العداء القديم"
وللحظة عابرة شعر بلمسة كراهية تشتعل داخله. فالعداء القديم قد حبسه في مصيدته، وقتل حبيبته وانا أو فعل فيها شيئا أسوأ من القتل: تركها في يد معذبي الهاركونن إلى أن ينفذ زوجها المطلوب منه.
العداء القديم أوقعه في مصيدته، وهذه الأسرة هي جزء من هذا الشيء المسموم.
المفارقة هنا هي أن تزدهر تلك المأساة المميتة على أراكس.. المصدر الوحيد في الكون لمزيج البهار، مطيل الحياة، وواهب الصحة.
سألته: "بم تفكر؟"

"أفكر في حقيقة أن الديكاجرام الواحد من البهار يباع بـ 620000 سولاريس في السوق العام الآن. تلك ثروة يمكن أن تشتري الكثير من الأشياء"
"حتى أنت استطاع الجشع أن يصيبك يا ويلينجتون؟"
"ليس جشعا"
"ماذا إذن؟"
هز كتفيه: "عبثية الأمر. هل تتذكرين أول مرة تذوقتِ فيها البهار؟"
"كان طعمه يشبه القرفة"
قال: "لكن لا يتكرر طعمه أبدا. فهو كالحياة.. يرينا وجها جديدا في كل مرة نتناوله. يقول البعض أن البهار طعمه في الجسد هو رد فعل إدراكي. فالجسد عندما يدرك أن مادة ما مفيدة له يقوم بجعل طعمها شهيا، ومسببا للبهجة. و - كالحياة - لا يمكن اصطناعه أو تخليق مادة مطابقة له تماما"
قالت: "أظن أن التصرف الحكيم كان أن نهرب.. أن نأخذ عائلتنا بعيدا عن متناول الإمبراطورية"
علم أنها لم تكن تستمع لما يقول، فركز على كلماتها وتساءل: فعلا.. لِم لَم تجعله يفعل هذا؟ بإمكانها - عمليا - أن تجعله يقوم بأي فعل ترغب فيه.
نطق بالأمر سريعا لكونه حقيقة ولكونه أيضا طريقة لتغيير الموضوع: "هل ستعتبرينها وقاحة مني.. يا جيسيكا.. إن وجهت لك سؤالا شخصيا؟"
ضغطت نفسها مقتربة من إفريز النافذة وقد شعرت بنبضة قلق فجائية غير مفهومة. "بالطبع لا. فأنت.. صديقي"
"لماذا لم تجعلي الدوق يتزوجك؟"
التفتت رافعة رأسها ومحملقة: "أجعله يتزوجني؟ لكن..."
قال: "ما كان لي أن أسأل.. أعتذر"
"لا"، هزت كتفيها. "هناك سبب سياسي جيد. فطالما ظل الدوق غير متزوج فسيحتفظ بعض نبلاء العائلات الأخرى بأمل في عقد تحالف معه عبر المصاهرة. و..."
تنهدت: "حث الناس.. إجبارهم على تنفيذ رغباتك.. يجعلك في النهاية تتخذ موقفا تشاؤميا كئيبا تجاه البشرية. إنه أسلوب يقلل من قيمة كل ما يلمسه. إن جعلته بطرق البني-جيزيرت الإقناعية يقوم بـ .. هذا.. فلن يكون ناتجا عن اختياره الحر"
تمتم: "هذا شيء يشبه ما كانت وانا تقوله"
وتلك الجملة أيضا كانت حقيقية صادقة.
فجأة وضع يده على فمه، مبتلعا لعابه في حركة متشنجة. كاد أن يقترب جدا من مرحلة الاعتراف، وأوشك أن يفضح سر دوره الذي ينوي فعله!
تكلمت جيسيكا فمرت اللحظة وتكسرت.
"بالإضافة إلى أن الدوق يا ويلينجتون هو في الحقيقة شخصان اثنان. واحد منهما أحبه حبا جما. فاتن ومداعباته ذكية ويراعي الآخرين.. ورقيق.. كل ما يمكن لامرأة أن تتمناه. أما الآخر ف.. بارد وقاس وآمر وأناني.. صلب ووحشي كرياح الشتاء. هذا الثاني هو صنيعة أبيه"
التوت قسمات وجهها: "أتمنى لو كان هذا العجوز قد مات فور ولادة دوقي!"
وفي الصمت الذي حل بينهما دخل نسيم للمكان عبر فتحة التهوية، وسمعا صوت تحريكه للستائر.

ثم فجأة أخذت نفسا عميقا وقالت: "ليتو معه حق.. هذه الغرف أجمل من تلك الموجودة بأقسام البيت الأخرى"
واستدارت فاحصة الحجرة ببصرها: "اسمح لي بالانصراف يا ويلينجتون. أريد إلقاء نظرة أخرى على هذا الجناح قبل أن أقوم بتوزيع الحجرات على أصحابها"
أومأ: "بالطبع"
وفكر: آه لو هناك طريقة أستطيع بها الامتناع عن القيام بما أنا مضطر للقيام به.
أرخت جيسيكا ذراعيها جانبا وتقدمت لباب الردهة. وقفت هناك للحظة، مترددة، ثم خرجت.
فكرت: طيلة حديثنا كان يخفي شيئا ما.. يمتنع عن البوح به. لحرصه على مشاعري، بلا شك. رجل طيب حقا.
ترددت مرة أخرى وكادت تعود لتواجه يوي وتستخلص منه ما يخفيه.
لكن هذا سيسبب له الإحراج، وسيخيفه أن يدرك سهولة قراءة ملامحه وتصرفاته.
علي أن أضع المزيد من الثقة في أصدقائي.

الفصل 9

"لاحظ العديدون السرعة التي تعلم بها المؤدب ضرورات الحياة على أراكس.
البني جيزيرت - بالطبع - يعلمن جيدا السبب الذي تقوم عليه تلك السرعة. لكن للآخرين - من غير البني جيزيرت - يمكن أن نصرح بالآتي: نجح المؤدب في التعلم بسرعة لأنه تم تدريبه منذ الصغر على كيفية التعلم.
وأول هذه الدروس على الإطلاق كان أن يثق ثقة أساسية في قدرته الذاتية على التعلم.
فإنه مما يسبب الصدمة فعلا أن نرى ذاك العدد الهائل من البشر الذين لا يؤمنون بقدرتهم على التعلم.. ناهيك عن العدد الأكبر الذي يعتقد أن التعلم صعب.
أما مؤدب فقد كان يدرك أن كل خبرة نمر بها تحمل معها درسها الخاص"

من كتاب "بشرية المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

رقد بولس على السرير متظاهرا بالنوم. كان إخفاء حبة المنوم - التي أعطاه دكتور يوي إياها - في راحة يده أمرا سهلا.. والتظاهر بابتلاعها كان سهلا أيضا.
كتم بولس ضحكة. حتى أمه ظنته نائما.
كان قد أوشك على القفز من السرير وسؤالها السماح له باستكشاف البيت، لكن أدرك أنها لم تكن ستوافق. فالأمور لا زالت لم تستقر بعد.
كلا، هكذا أفضل.
فلو تسللت دون أن أطلب الإذن فلن أكون - حرفيا - قد عصيت أية أوامر.
وعلى أية حال فإني سأظل داخل حدود البيت، آمنا.
كان قد سمع أمه ويوي يتحدثان في الحجرة الأخرى. لم يتبين كلماتهما.
تقريبا كانت عن البهار.. وآل هاركونن. تأرجحت المحادثة بين علو وهبوط كالأمواج.
انتقل انتباه بولس للعارضة الخشبية المنحوتة التي تشكل ظهر السرير. كانت عارضة مزيفة كزينة ومعلقة على الجدار، وتخفي الأزرار التي تتحكم في وظائف الحجرة.
على الخشب بدا شكل سمكة طائرة وتحتها خطوط موجية بنية اللون وسميكة.
كان يعلم أنه لو ضغط على العين الظاهرة للسمكة فستضاء في الحجرة المصابيح المعلقة المضادة للجاذبية. وأن أحد الأمواج - لو تم تدويرها - تتحكم في التهوية.
موجة أخرى كانت مسؤولة عن تغيير درجة الحرارة.
بهدوء اعتدل بولس في سريره جالسا. على يساره وقفت خزانة كتب طويلة، مستندة إلى الحائط، يمكن إزاحتها جانبا فتظهر خلفها خزانة ملابس، بها - على أحد جانبيها - أدراج.
مقبض الباب المؤدي إلى الردهة كان على شكل عصا الدفع في طائرات الأورنيثوبتر.
كما لو أن هذه الحجرة تم تصميمها خصيصا كي تجذبه إليها.

الحجرة وهذا الكوكب كله.
فكر في كتاب الميكروفيلم الذي أراه يوي إياه، بعنوان 'أراكس: مراكز اختبار عمليات الإنبات الصحراوي التابعة لجلالة الإمبراطور'.
كان كتابا قديما، من الفترة السابقة على اكتشاف البهار. ومضت الأسماء متطايرة بالتتابع في عقل بولس.. كل اسم مصحوب بصورته التي كانت مطبوعة على نبضات الكتاب التذكرية:
الساجوارو، شجيرة الحمار، نخيل التمر، زهرة فيربينا الرمال، زهرة بريمروز المساء، الصبار البرميلي، شجيرة البخور، شجرة الدخان، الشجيرة الزيتية.. الثعلب القطي، صقر الصحراء، الفأر الكنغري..
أسماء وصور. أسماء وصور من الماضي الأرضي للإنسان.. كثير منها لم يعد يوجد في أي مكان آخر بالكون سوى هنا على أراكس.
أشياء كثيرة جدا عليّ تعلمها.
البهار..
وديدان الرمال.
أُغلق باب في الحجرة الأخرى، وسمع بولس صوت خطوات أمه مبتعدة في الردهة.
كان يعلم أن دكتور يوي سيبحث عن شيء ليقرأه وسيظل جالسا بالحجرة الأخرى.
الآن هو الوقت المناسب للاستكشاف.
قام بولس من السرير واتجه لباب خزانة الكتب المؤدي لخزانة الملابس، لكن توقف عندما سمع صوتا خلفه، فاستدار.
كانت عارضة السرير الخشبية المنحوتة تنضغط للوراء متراجعة، فوق الموضع الذي كان نائما فيه قبل لحظات.
تجمد بولس واقفا في مكانه.. وسكونه هذا أنقذ حياته!
من خلف العارضة انزلق جهاز 'صياد متتبع' صغير، لا يزيد طوله عن الخمسة سنتيمترات.
تعرف عليه بولس في التو.. سلاح شائع مستخدم للاغتيال، درسه كل أطفال العائلات النبيلة منذ الصغر.
كان عبارة عن شظية معدنية، كالحيوان المفترس المتربص، تتحكم فيها يد وعين شخص ما يختفي في مكان قريب. يمكنها أن تخترق الجسد المتحرك وتشق طريقها ملتهمة القنوات العصبية إلى أن تصل لأقرب عضو حيوي.
ارتفع المتتبع في الهواء، ودار في الحجرة هنا وهناك.
برقت في عقل بولس المعلومات المرتبطة بالموقف، بما فيها نقاط ضعف أجهزة الصياد المتتبع:
مجاله المضاد للجاذبية مضغوط في حجم صغير مما يشوه قدرة عين الجهاز على إرسال صورة واضحة. وحيث أن النور في الحجرة خافت ولن ينعكس على الهدف فيكشفه فإن المتحكم في الجهاز سيضطر للاعتماد على الحركة..
أي سينتبه لمكان أي شيء متحرك.
دروع الطاقة في استطاعتها أن تبطئ من حركة المتتبع الهجومية، مما قد يتيح لبولس وقتا لتدمير الجهاز.. لكنه كان قد خلع درعه ووضعه على السرير.
مسدسات الليزر يمكنها أن تقضي على المتتبع وتسقطه أرضا، لكنها غير مستخدمة بكثرة، لغلو سعرها ولأنها مشهورة باحتياجها الدائم للصيانة.. بالإضافة لخطر احتمالية حدوث انفجار ناري ذري إن تقاطع شعاع الليزر مع حقل طاقة درع نشيط.
الأتريديز يعتمدون بشكل أساسي على دروعهم وذكائهم.

وقف بولس في تلك اللحظة في سكون متخشب، عالما أنه لا يملك أمام هذا التهديد سوى ذكائه.
ارتفع الصياد المتتبع لنصف متر آخر. تموج عبر خيوط الضوء المتقطعة القادمة عبر ستائر النافذة، عابرا إياها هنا وهناك، خلال تجوله في أركان الحجرة الأربعة.
فكر: يجب أن أحاول إمساكه في قبضتي. حقل المجال المضاد للجاذبية سيجعل جزءه السفلي زلقا. علي أن أشدد قبضتي كي لا يهرب مني.
هبط الشيء مسافة نصف متر، ومال لليسار ثم دار في دائرة حول السرير.
كان يصدر عنه صوت همهمة خافتة.
تساءل بولس: من يتحكم في هذا الشيء؟ بالتأكيد شخص قابع في مكان قريب.
باستطاعتي أن أنادي يوي لينقذني لكن الشيء سينقض عليه في اللحظة التي يفتح فيها الباب.
سمع صرير باب الردهة خلفه، ثم صوت طرقة.
ثم انفتح الباب.
انطلق 'الصياد المتتبع' كالسهم قريبا من رأسه، متجها صوب الحركة.
في سرعة خاطفة مد بولس يده لأسفل، ملتقطا هذا السلاح القاتل. تلوّى في يده وأصدر طنينا، لكن عضلاته أطبقت على الشيء خيفة أن يهرب.
وباستدارة ودفعة عنيفتين ضرب مقدمة الشيء في السطح المعدني للباب.
شعر بتحطمه وبتهشم العين الموضوعة في مقدمة الشيء.. وانطفأ المتتبع في يده.
لكنه ظل قابضا عليه، كي يتيقن تماما.
رفع بولس بصره فالتقى بنظرة محدقة.. عين الشادوت ميبس تامة الزرقة.
قالت: "والدك أرسل يستدعيك. في ردهة القصر رجال جاؤوا ليرافقوك"
أومأ بولس. ركز وعيه وعينيه على هذه المرأة الغريبة، في ثوبها الفضفاض ذي اللون البني المشير لطبقة العبيد.
أما هي فكانت تنظر للشيء الذي يقبض عليه في يده.
قالت: "لقد سمعت عن مثل هذه الأشياء. كان هذا الشيء سيقتلني، أليس كذلك؟"
اضطر لابتلاع لعابه قبل أن يستطيع الكلام.
"أنا.. الشيء كان يستهدفني أنا"
"لكنه كان قادما تجاهي"
"لأنك كنتِ تتحركين"
وتساءل: من هذه المخلوقة؟
قالت: "إذن لقد أنقذت حياتي"
"لقد أنقذتُ حياتنا نحن الاثنين"
قالت: "يبدو أنه كان في وسعك أن تتركه يهاجمني، وتفلت أنت بجلدك"
سألها: "من أنتِ؟"
"الشادوت ميبس، كبيرة الخدم"
"كيف علمتِ أن مكاني هنا؟"

"أمك أخبرتني. قابلتها على السلالم المؤدية للغرفة العجائبية في نهاية الردهة"
أشارت ليمينها: "لا زال رجال أبيك ينتظرون"
فكر: هم رجال حواط بالتأكيد. علينا أن نجد من كان يتحكم بهذا الشيء.
قال: "اذهبي لرجال أبي. أخبريهم أني أمسكت بـ صياد متتبع في البيت، وأن عليهم الانتشار في المكان والبحث عمن كان يتحكم به. وأخبريهم أن يغلقوا كل منافذ البيت وما يحيط به من ساحة في الحال. سيفهمون المطلوب وكيفية التصرف. لا شك أن المتحكم في الجهاز غريب عنا"
وتساءل في نفسه: هل يمكن أن تكون هي؟
لكنه كان مدركا أنها ليست الشخص المطلوب.. فقد كان هناك من يتحكم بالمتتبع بالفعل عندما دخلت الحجرة.
قالت ميبس: "قبل أن أنفذ أوامرك أيها الشاب يجب أن أزيح شيئا قد طرأ بيننا. لقد أثقلتني بـ 'عبء ماء' لست متأكدة من رغبتي في الوفاء به. لكننا - نحن الفريمن - نؤدي ما علينا من ديون.. سواء كانت ديون سوداء أو بيضاء. إنه من المعلوم لنا وجود خائن في وسطكم. لا نعرف من هو بالتحديد، لكننا متأكدون من وجوده. ربما يده هي من كانت توجه قاطع اللحم هذا"
استوعب بولس الكلام في صمت. خائن!
وقبل أن يتكلم كانت المرأة الغريبة قد التفتت وأسرعت خارجة من الباب.
فكر في أن يناديها كي تعود، لكن شخصيتها وأسلوبها أخبراه بأنها ستستاء من هذا. فقد أخبرته بالفعل بما تعرفه ثم ذهبت لتنفذ أوامره. ولن تمضي دقيقة حتى يزدحم البيت كله برجال حواط.
عاد عقله للتفكر في أجزاء أخرى من تلك المحادثة العجيبة.. 'غرفة عجائبية'.
نظر ليساره حيث كانت قد أشارت.
"نحن الفريمن'. إذن هكذا هم الفريمن.
توقف للحظة كي يسمح للومضة العقلية التذكرية أن تسجل ملامح وجهها في ذاكرته: ملامح مجعدة يبدو عليها الجفاف، بنية قاتمة اللون، بعينين زرقاوين ليس فيهما أي بياض.
ربط الاسم بالملامح: الشادوت ميبس.
استدار في الحجرة وهو لا يزال قابضا على جهار المتتبع المهشم، والتقط حزام درع الطاقة الخاص به من السرير بيسراه، وعلقه على وسطه وربطه، ثم جرى متجها لنهاية الردهة ناحية اليسار.
كانت قد ذكرت أن أمه هنا في مكان ما..
ذكرت سلالم و.. غرفة عجائبية.

الفصل 10

من أين استمدت الليدي جيسيكا قوتها في وقت محنتها؟ تأمل جيدا هذه الحكمة الموجودة عند البني-جيزيرت وربما ستتمكن من فهم الأمر:
أي درب تسلكه بدقة متناهية سعيا للوصول لنهايته لن يقودك لنهايته ولا لأي مكان محدد.
يكفي أن تتسلق جزءا من الجبل لتتأكد من أنه جبل.. أما من قمة الجبل فلن تستطيع رؤية الجبل نفسه"

من كتاب "المؤدب: تعليقات عائلية"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

في الطرف النهائي للجناح الجنوبي وجدت جيسيكا سلما معدنيا يصعد ملتويا واصلا لباب بيضاوي الشكل.
ألقت نظرة على الردهة خلفها ثم عادت ببصرها للباب.
تساءلت: بيضاوي؟ يا له من تصميم غريب لباب داخلي.
عبر النوافذ الموجودة تحت السلم الحلزوني الملتوي أمكنها رؤية شمس أرّاكس البيضاء عظيمة الحجم وهي تتحرك ناحية غروبها المسائي. ظلال طويلة اخترقت الردهة وكأنها طعنات نصال.
أعادت انتباهها للسلم، فرأت - في ضوء جانبي خافت - بقعا من التراب الجاف ملتصقة بقوائم السلم المعدنية.
وضعت جيسيكا إحدى يديها على الحاجز وبدأت تصعد. كان ملمس الحاجز باردا تحت راحتها المنزلقة.
توقفت عند الباب فلم تر عليه أي مقبض.. لكن في الموضع الذي كان يجب أن يكون فيه مقبض رأت منطقة غائرة بعض الشيء.
قالت لنفسها: لا يمكن أن يكون من تلك الأقفال التي تفتح بوضع راحة اليد. فأقفال راحة اليد تكون مبرمجة لتناسب شكل وخطوط يد شخص واحد فقط معين.
لكنه كان يبدو فعلا كقفل يفتح براحة اليد. وهناك طرق لفتح أي قفل من هذا النوع.. كما تعلمت في المدرسة.
ألقت نظرة خلفها كي تتأكد من عدم وجود من يراقبها، ووضعت راحة يدها على المكان المنخفض في الباب.
ضغطة رقيقة كي ينبعج شكل خطوط اليد، ثم لفة معصم. أدارته في لفة أخرى.. ثم مسح الراحة بحركة ملتوية على السطح.
شعرت بالقفل ينفتح.
لكن سمعت خطوات أقدام مسرعة قادمة من الردهة تحتها. نزعت جيسيكا يدها بعيدا عن الباب واستدارت فرأت ميبس تقترب من أسفل السلم.
قالت ميبس: "في ردهة القصر الكبيرة رجال يقولون أن الدوق أرسلهم كي يحضروا السيد الصغير بولس. معهم شارة ختم الدوقية والحارس يعرفهم وتأكد من شخصيتهم"
ألقت نظرة على الباب ثم على جيسيكا.
دار بخاطر جيسيكا: حريصة ميبس هذه. علامة جيدة على إتقانها للعمل.
قالت: "ستجدينه في خامس حجرة من طرف الردهة هذا.. حجرة النوم الصغيرة. إن واجهتك صعوبة في إيقاظه فنادي على الدكتور يوي الموجود في الحجرة المجاورة. قد يحتاج بولس لحقنة منبهة من أثر المنوم"

ومن جديد حدقت ميبس في الباب البيضاوي بنظرة ثاقبة، وبدا لجيسيكا أن تعبيرات الوجه كانت تحمل بغضا ما. لكن قبل أن تتمكن جيسيكا من سؤالها عن الباب وما يخفي وراءه كانت ميبس قد استدارت مبتعدة بسرعة ناحية الردهة.

فكرت جيسيكا: حواط قد أمّن هذا المكان.. لا يمكن أن أجد هنا شيئا شديد الفظاعة.

دفعت الباب فدار على محوره للداخل كاشفا غرفة صغيرة لها باب بيضاوي آخر في الاتجاه المقابل. كان للباب الآخر عجلة فتح.

قالت لنفسها: إنها غرفة معادلة ضغط معزولة هوائيا!

نظرت لأسفل فرأت دعامة باب ساقطة على أرض الغرفة الصغيرة. كانت الدعامة تحمل علامة حواط الشخصية.

خطر لها أن أحدهم استخدم الدعامة لإسناد الباب والحفاظ عليه مفتوحا، ثم ارتطم بها عن غير قصد، دون أن يدرك أن الباب الخارجي للغرفة له قفل يغلق براحة اليد.

خطت فوق العتبة إلى داخل الحجرة الصغيرة.

سألت نفسها: لم توجد غرفة معادلة ضغط داخل بيت؟

وفجأة خطرت ببالها فكرة وجود كائنات غريبة تم عزلها في مناخ خاص يناسبها.

مناخ خاص!

شيء منطقي على أراكس. فهنا حتى أشد النبتات تحملا للجفاف - القادمة من الكواكب الأخرى - تحتاج لأن تُروى.

بدأ الباب الموجود خلفها ينغلق بالتدريج، فلحقته وأسندته بالعصا التي تركها حواط كي يظل مفتوحا.

ثم عادت مجددا لتواجه الباب الداخلي ذي العجلة الدوارة، ولاحظت وجود نقش باهت محفور في الجزء المعدني فوق المقبض. تعرفت على الكلمات المكتوبة باللغة الجالاكية، والتي تقول:

"يا أيها الإنسان، هنا ستجد قطعة مبهجة من مخلوقات الرب، فقف أمامها وتعشّق في كمال خليلك الأعلى"

عالجت جيسيكا العجلة بقوة، فدارت يسارا وانفتح الباب الداخلي. داعبت وجنتها نسمة هواء رقيقة اضطرب لها شعرها. شعرت بتغير في الهواء، وأنه مفعم برائحة قوية. فتحت الباب على أقصى اتساع له وأطلت، فرأت خضرة كثيفة وشمسا صفراء تتدفق خلالها.

سألت نفسها: شمس صفراء؟!.. إذن الزجاج يعمل كمرشح يقوم بالفلترة.

عبرت متخطية العتبة فانزلق الباب منغلقا خلفها.

قالت بصوت منبهر: "إنها صوبة زجاجية لنباتات كوكب مائي"

في كل مكان حولها وجدت نباتات مغروسة في أوعية، وشجيرات مشذبة. تعرفت على ميموسا السنطة وسفرجل مزهر وسونداجي وبليتيسينتا عطرية مخضوضرة ونبتة أكارسو مخططة بالأبيض والأخضر.. وورود.

حتى الورد كان موجودا!

انحنت لتشم عطر زهرة ضخمة وردية اللون، ثم اعتدلت وفحصت الغرفة.

انتبهت حواسها لصوت رتيب.

شقت طريقا بيدها بين أوراق الشجر المتداخلة فيما يشبه الغابة، واخترقت ببصرها لمنتصف الغرفة، فرأت نافورة منخفضة صغيرة ذات حواف محززة. كان الصوت المزعج الرتيب عبارة عن خيط ماء متقوس، ناعم وملفوف، يتساقط على دفعات فيطرق إناءا معدنيا.

أدخلت جيسيكا نفسها في حالة التطهير الذهني السريعة، وشرعت في فحص دقيق ومنهجي لمحيط الغرفة.

كانت مساحتها على ما يبدو تقترب من 10 أمتار مربعة. وبالنظر لموقعها في أعلى نهاية الردهة ولاختلافات دقيقة أخرى بادية في تصميمها استنتجت أن الغرفة أضيفت لسطح هذا الجناح بعد إتمام البناء الأصلي بفترة طويلة.
توقفت عند الطرف الجنوبي للغرفة، أمام الزجاج المرشح الممتد بالعرض، وحدقت في المكان حولها. كل شبر متاح في الغرفة كان مزدحما بنباتات أجنبية قادمة من مناخ مائي.
صدر صوت حفيف قادم من بين الخضرة. توترت للحظة ثم لمحت جهاز سيرفوك ميكانيكي بسيط - يعمل أوتوماتيكيا حسب توقيت محدد - وتخرج منه خراطيم وأنابيب على هيئة أذرع.
ارتفع أحد الأذرع وانبثقت منه رشة رطوبة خفيفة بللت وجنتيها. تراجع الذراع لمكانه الأصلي فنظرت جيسيكا للشيء الذي تم ريه: شجرة سرخس.
الماء بكل مكان في هذه الغرفة.. وعلى كوكب يعتبر الماء فيه هو سائل الحياة النادر.
إسراف مائي شديد بلا مبالاة لدرجة أن الأمر صدم هدوءها الداخلي.
ألقت نظرة على الشمس ذات اللون الأصفر المفلتر. كانت منخفضة ومعلقة في السماء بقرب خط أفق مسنن، فوق تلال جرف تُكوّن جزءا من المرتفع الصخري الهائل المعروف باسم الجدار الجبلي.
فكرت: مرشحات زجاجية.. كي تقوم بتحويل الشمس البيضاء لشيء مريح أكثر ومألوف. من يا ترى بنى شيئا كهذا؟ ليتو؟ ليس غريبا عليه أن يفاجئني بهدية كهذه، لكن الوقت المتاح له لم يكن ليكفي. وقد كان مشغولا بمعضلات أهم.
تذكرت التقرير الذي ورد فيه أن العديد من المنازل الأراكسية يتم غلقها بأبواب ونوافذ عازلة بغرض الحفاظ على الرطوبة الداخلية وإعادة تدويرها. ليتو قال أن بيتنا هذا يتجاهل هذه الاحتياطات عن قصد، كمؤشر على السلطة والثراء.. أبوابه ونوافذه غير معزولة إلا ضد دخول الغبار السائد بالخارج.
لكن هذه الغرفة هي تجسيد لتصريح ذي مغزى أكبر بكثير من مجرد عدم وجود عوازل رطوبة على الأبواب الخارجية للبيت. فحسب تقديرها فإن غرفة الترويح هذه تستهلك من الماء ما يكفي لسد حاجة ألف شخص على أراكس.. بل وربما أكثر.
سارت جيسيكا موازية للنافذة واستمرت بالتحديق في الغرفة. أظهرت حركتها لبصرها سطحا معدنيا بقرب النافورة، في ارتفاع المناضد المعتاد. ولمحت عليه لوح كتابة أبيض وقلم مخفيين جزئيا تحت ورقة شجر متدلية مروحية الشكل. عبرت نحو المنضدة ولاحظت وجود علامة حواط عليها، وقرأت الرسالة المكتوبة على اللوح:
"إلى الليدي جيسيكا..
أتمنى أن يهبك هذا المكان متعة تعادل ما وهبها لي. أرجو أن تسمحي لهذه الغرفة بالاستمرار، لتصبح تذكرة بدرس تعلمناه كلانا من نفس المعلمين: الوجود بقرب الأشياء المشتهاة يغري المرء بالانغماس الزائد فيها. على هذا الدرب يتربص الخطر.
مع أطيب تمنياتي،
مارجوت ليدي فينرنج"
هزت جيسيكا رأسها متذكرة أن ليتو أشار للوكيل الإمبراطوري السابق - الذي كان يسكن هذا البيت - باسم: الكونت فينرنج. لكن الرسالة المخفية في الكلمات تطلبت منها الانتباه الفوري، خاصة وأنها صيغت بطريقة تخبرها أن الكاتبة كانت واحدة من البني-جيزيرت.
خاطرة مُرة عبرت بشكل خاطف في ذهن جيسيكا: تزوج الكونت محظيته.
لكن حتى وهذه الخاطرة تمر بذهنها كانت بالفعل قد انحنت باحثة عن الرسالة المخفية.

لا شك أنها موجودة هنا بمكان ما. فالرسالة الظاهرية احتوت على العبارة المشفرة التي يحتم على كل بني جيزيرت أن تقولها لأي من زميلاتها عندما تستدعي الظروف، إن لم يكن هناك أمر صريح من المدرسة يمنع هذا..

عبارة: على هذا الدرب يتربص الخطر.

تحسست جيسيكا ظهر الرسالة، حكت السطح بحثا عن نقاط بارزة كأكواد. لم تجد شيئا.

تحسست أصابعها جانب لوح الكتابة. لا شيء.

أعادت اللوح للمكان الذي وجدته فيه، شاعرة بالحاجة للإسراع.

تساءلت في نفسها: ربما اتجاه وضع اللوح؟

لكن حواط فحص هذه الغرفة قبلها وبالتأكيد قام بتحريك اللوح. نظرت لورقة الشجر التي تعلو اللوح.

الورقة! تحسست بإصبعها السطح الباطني للورقة، وحول الحواف والساق.

وجدتها!

شعرت أصابعها بالنقاط الكودية البارزة بعض الشيء. كانت تكوّن فقرة، فقرأتها:

"ابنك ودوقك في خطر داهم. تم تصميم حجرة نوم بحيث ينجذب إليها ابنك. الـ هـ أغرقوها بمصائد موت مقصود أن تُكتشف بحيث يبقى واحد صعب اكتشافه"

كبحت جيسيكا الرغبة في أن تجري مفزوعة صوب ابنها.. يجب أن تعلم كل ما في الرسالة أولا.

أسرعت أناملها متحسسة النقاط.

"لا أدري طبيعة الخطر بالتفصيل، لكنه متعلق بسرير ما. أما الخطر الذي يواجه الدوق فمتعلق بخيانة أحد الرفاق الموثوق فيهم أو الضباط المعاونين. الـ هـ يخططون لجعلك هدية لأحد أتباعهم. حسب ما أعلم فإن هذه الصوبة آمنة. اعذريني لعدم قدرتي على إعطائك المزيد من المعلومات، فمصادر معلوماتي محدودة حيث أن الكونت زوجي ليس ممن يتلقون الرشاوي من الـ هـ.

تمت كتابة هذا في عجلة.

م ف"

أزاحت جيسيكا الورقة جانبا واستدارت كي تسرع لبولس.

في هذه اللحظة انفتح باب غرفة معادلة الضغط بعنف. قفز بولس عبره ممسكا شيئا ما في يمناه، ثم أغلق الباب خلفه بقوة. رأى أمه فأزاح أوراق الشجر متجها إليها. ألقى نظرة على النافورة ثم غمس يده - والشيء الذي تقبض عليه - تحت الماء المتساقط.

"بولس!" أمسكته من كتفه محدقة في اليد: "ما هذا؟"

رد بنبرة هادئة لكنها شعرت بالجهد الذي يبذله كي يحافظ على الهدوء الظاهري: "صياد متتبع. أمسكته في حجرتي وهشمت أنفه، لكن أردت التيقن من أنه انطفأ. سيحرق الماء أسلاكه"

قالت بنبرة آمرة: "أغرقه بالكامل تحت الماء"

أطاعها.

قالت على الفور: "اسحب يدك، ودع الشيء في الماء"

أخرج يده ونفض الماء عنها، ونظر للشيء المعدني الساكن في ماء النافورة. كسرت جيسيكا ساق إحدى النباتات ونخست الشيء الفضي القاتل.

ميت.
رمت الساق في الماء ونظرت لبولس. فحصت عيناه الغرفة بنظرة باحثة مدققة تعرفت عليها.. طريقة البني-جيزيرت.
قال: "يمكن لهذا المكان أن يكون خافيا لأي شيء"
قالت: "عندي من الأسباب ما يجعلني أعتقد أنه آمن"
"حجرتي أيضا كان من المفترض أنها آمنة. حواط قال..."
ذكّرته: "الشيء كان جهاز صياد متتبع. هذا يعني أن شخصا من داخل البيت كان يتحكم فيه. مجال أشعة التحكم في المتتبعات محدود. ربما تم تهريب الشيء خفية إلى هنا بعد تأمين حواط للمكان"
لكنها فكرت في الرسالة التي حملتها ورقة الشجر: "... خيانة أحد الرفاق الموثوق فيهم أو الضباط المعاونين"
بالتأكيد ليس حواط هو المقصود. لا يمكن أن يكون هو المقصود.
قال: "رجال حواط يفتشون البيت في هذه اللحظة. هذا المتتبع كاد أن يصيب تلك المرأة العجوز التي جاءت لتوقظني"
قالت جيسيكا: "الشادوت ميبس" متذكرةً لقاءهما على السلم.
"أبوك استدعاك كي ت..."
قال بولس: "يمكن لهذا الأمر أن ينتظر. لم تظنين أن هذه الغرفة آمنة؟"
أشارت للرسالة وشرحت له أمرها.
شعر بالارتياح بعض الشيء.
لكن جيسيكا ظلت متوترة الأعصاب في باطنها، مفكرة: صياد متتبع! يا للأم الرحيمة!
كل ما تدربت عليه من أساليب تهدئة أفلح بالكاد في منعها من الدخول في نوبة اضطراب هيستيري.
قال بولس بلهجة تقريرية: "الهاركونن هم الفاعلون بالطبع. سيلزم أن ندمرهم"
سمعا طرقات على باب الغرفة المعزولة.. الطرقة السرية المتعارف عليها، علامة جنود حواط.
صاح بولس: "ادخل"
انفتح الباب على اتساعه وأطل منه رجل طويل يرتدي زي آل أتريديز الرسمي وشارة حواط على قبعته.
قال: "ها أنت هنا يا سيدي. مدبرة المنزل قالت أنك ستكون هنا"
نظر في أنحاء الغرفة ثم قال: "وجدنا تجويفا حجريا مبنيا في القبو وقبضنا على رجل داخله. كان معه لوح مفاتيح يتحكم في جهاز المتتبع"
قالت جيسيكا: "أريد أن أشارك في عملية الاستجواب"
"آسف يا سيدتي. اضطررنا للتعامل معه بعنف أثناء القبض عليه. إنه ميت"
سألت: "لا شيء يرشدنا لهويته؟"
"لم نجد شيئا حتى الآن يا سيدتي"
قال بولس: "هل كان من السكان المحليين الأراكسيين؟"
أومأت جيسيكا معجبة بذكاء السؤال.
قال الرجل: "ملامحه محلية. ومن هيئته يبدو أنه تم وضعه في التجويف الحجري منذ أكثر من شهر، وأمروه بأن يظل هناك منتظرا قدومنا. الحائط الحجري والملاط اللذان خرج عبرهما في القبو كانا في مكانهما الطبيعي عندما فحصنا المكان بالأمس. أراهن بسمعتي على صحة هذا"

قالت جيسيكا: "لا أحد يشكك في إتقانك لعملك"
"أنا أشكك فيها يا سيدتي. كان علينا أن نستخدم مجسات صوتية في القبو"
قال بولس: "أتوقع أنكم تقومون بهذا الآن"
"نعم يا سيدي"
"ارسل لأبي وأخبروه أننا سنتأخر"
"في الحال يا سيدي"، وألقى نظرة على جيسيكا. "أوامر حواط أنه في مثل هذه الظروف يجب حراسة السيد الصغير في مكان آمن"
مرت عينه مجددا على أنحاء الغرفة: "ما حال هذا المكان؟"
قالت: "عندي أسباب تجعلني أراه مكانا آمنا. أنا وحواط فحصناه"
"إذن سأضع حرسا بالخارج يا سيدتي، إلى أن نفحص البيت مرة أخرى"
انحنى ولمس قبعته معطيا التحية لبولس، ثم تراجع وأغلق الباب خلفه.
كسر بولس الصمت المفاجئ قائلا: "أليس من الأفضل أن نعيد فحص البيت فيما بعد بأنفسنا؟ عيناك قد تلاحظان أشياء يعجز الآخرون عن ملاحظتها"
قالت: "هذا الجناح كان المكان الوحيد الذي لم أكن فحصته. أجّلته للنهاية لأن..."
قال: "لأن حواط اهتم بفحصه بنفسه"
رمته بنظرة سريعة، متسائلة. قالت: "هل تشك في حواط؟"
"لا. لكنه بدأ يشيخ. مسؤولياته زادت جدا. يمكن أن نريحه بنزع بعض الحمل عن عاتقه"
قالت: "لن يؤدي هذا إلا لشعوره بالإهانة ولإعاقة كفاءته. لن تنجح ولو حشرة في التسلل لهذا المكان بعد أن يعرف بما حدث. سيشعر بعار شديـ..."
قال: "يجب أن نأخذ احتياطاتنا الخاصة"
قالت: "حواط خدم ثلاثة أجيال من آل أتريديز بشرف. يستحق منا كل احترام وثقة.. أضعافا مضاعفة"
قال بولس: "عندما يتضايق أبي من شيء فعلتيه فإنه يقول: بني-جيزيرت!، وكأنها سبة"
"وما الذي أفعله ويضايق والدك؟"
"عندما تجادلين معه"
"أنت لست أباك يا بولس"
وهنا فكر بولس: الأمر سيسبب لها القلق لكن ينبغي أن أخبرها بما قالته هذه الميبس، بشأن وجود خائن بيننا.
سألته جيسيكا: "ما الذي تكتمه؟ ليس هذا من عادتك يا بولس"
هز كتفيه وحكى لها حواره المتبادل مع ميبس، فاتجهت أفكار جيسيكا للرسالة المكتوبة على ورقة الشجر. اتخذت قرارا سريعا وأرت الورقة لبولس وأخبرته بالرسالة التي تحملها.
قال: "يجب إخبار أبي بهذا على الفور. سأقوم بتشفيرها ثم إرسالها عبر اللاسلكي"
قالت: "لا. عليك أن تنتظر حتى تراه وجها لوجه بمفرده. يجب ألا يعلم بشأنها سوى أقل القليل"
"تقصدين أنه علينا ألا نثق في أحد؟"
قالت: "هناك احتمالية أخرى. تلك الرسالة ربما أريد لها أن تصلنا. من نقلوها لنا ربما يؤمنون بصحة ما فيها، لكن ربما كان

الهدف الوحيد وراءها هو إيصالها لنا"
تجمد وجه بولس بتعبير ثابت كئيب: "كي يزرعوا الشك وعدم الثقة بين صفوفنا.. كي يضعفونا بهذه الطريقة"
قالت: "ينبغي أن تخبر والدك على انفراد وأن تحذره بخصوص هذه الاحتمالية"
"فهمت"
استدارت لجانب الزجاج المرشح الممتد طولا وعرضا ونظرت خارجه ناحية الجنوب الغربي حيث توشك شمس أراكس على الغروب.. كرة صفراء فوق التلال.
استدار بولس مثلها وقال: "أنا أيضا لا أظن الخائن هو حواط. هل هناك احتمال أنه يوي؟"
قالت: "لكنه ليس من الضباط ولا المرافقين. ويمكنني أن أؤكد لك أنه يكره الهاركونن بنفس شدة كرهنا لهم"
ركز بولس انتباهه على التلال، مفكرا: ولا يمكن أن يكون جيرني.. ولا دنكن.
هل يمكن أن يكون الخائن أحد الضباط الصغار؟ مستحيل. كلهم من عائلات ظلت وفية لنا طوال أجيال.. ولأسباب قوية.
حكت جيسيكا جبهتها، شاعرة بالإرهاق. الأخطار هنا كثيرة للغاية!
نظرت للمنظر الطبيعي المشوب بصفرة المرشح، ودققت فيه. ما وراء الأراضي الدوقية امتدت ساحة تخزين محاطة بسور عالٍ.. بها خطوط ممتدة مكونة من صوامع تخزين البهار، وحولها أبراج حراسة بدت بقوائمها كعناكب أصابها الفزع المفاجئ.
أمكنها أن ترى على الأقل 20 ساحة تخزين بصوامعها الممتدة على طول تلال الجدار الجبلي.. وعبر منطقة الحوض امتدت صوامع أخرى بشكل متقطع.
ببطء، دفنت الشمس المرشحة نفسها تحت الأفق، ووثبت النجوم.
رأت نجما منهم لامعا، قريبا جدا من خط الأفق لدرجة أن تلألؤه كان واضحا وله إيقاع منضبط.. بقعة ضوئية وامضة. ومضة. ومضة. ومضة. ومضة. ومضة.
تحرك بولس جانبها في الغرفة المعتمة بلون الغسق. لكن جيسيكا ركزت على هذا النجم اللامع، وأدركت أنه منخفض أكثر من اللازم.. وأنه بالتأكيد قادم من تلال الجدار الجبلي ذاته.
أحدهم يبعث بإشارة ما!
حاولت أن تقرأ الرسالة لكنها كانت مشفرة بكود لم يمر عليها في دراستها.
اشتعلت أضواء أخرى في الساحة التي أسفل التلال.. أضواء صغيرة صفراء موزعة في الظلمة الزرقاء.
أحدها على اليسار بدأ ضوؤه يزداد، وأخذ يومض ردا على ضوء التلال.. بسرعة شديدة.. انبثاق، لمعان، فوميض!
ثم اختفى.
وفي الحال انطفأ ذاك النجم المزيف الذي كان ظاهرا بين التلال.
إشارات متبادلة أثارت فيها هواجس قلقة.
سألت نفسها: لم كانوا يستخدمون إشارات ضوئية للتواصل عبر منطقة الحوض؟ لماذا لم يستخدموا شبكة الاتصالات؟
وكانت الإجابة واضحة: شبكة الاتصالات بلا شك خاضعة الآن لمراقبة رجال الدوق ليتو.
استخدام إشارات ضوئية له معنى واحد: أن الرسائل يتم تبادلها بين أعدائه.. بين عملاء تابعين لآل هاركونن.
صدرت طرقات من الباب خلفهما وجاء صوت رجل حواط قائلا: "كل شيء آمن يا سيدي وسيدتي. حان وقت توصيل السيد الصغير إلى أبيه"

الفصل 11

"يقال أن الدوق ليتو تعامى عن رؤية أخطار أراكس.. وأنه سار بلا هدى إلى أن سقط في الحفرة.
لكن أليس من الأدق أن نقترح أنه عاش لفترة طويلة وسط أخطار عظيمة مما أدى لفشله في تقدير شدة التغير الذي طرأ على هذه الأخطار؟
أو أنه ربما قرر التضحية بنفسه عامدا كي يعيش ابنه حياة أفضل؟
فكل الأدلة تشير إلى أن الدوق لم يكن رجلا يسهل خداعه"

من كتاب "المؤدب: تعليقات عائلية"، تأليف الأميرة أيرولان
=====

اتكأ الدوق ليتو أتريديز على حاجز شرفة في برج التحكم، بالمطار الكائن خارج حدود مدينة أراكين.
قمر الليلة الأول - المدوّر كعملة فضية - بدا معلقا عاليا فوق الأفق الجنوبي. لمعت تحته الحدود المسننة لتلال الجدار الجبلي - وكأنها ثلج مجفف - من خلال غيمة غبار.
على يساره تألقت أنوار أراكين عبر تلك الغيمة.. صفراء وبيضاء وزرقاء.
أخذ يفكر في تلك المنشورات الممهورة بتوقيعه والتي تم نشرها على كل المناطق العامرة بالسكان في أنحاء الكوكب:
"إمبراطورنا الباديشي المعظّم كلفني بتملك هذا الكوكب وبأن أنهي كل النزاعات"
الصيغة الطقسية الرسمية للجملة أشعرته بشيء من الوحشة. هل هناك من انخدع بهذه الصياغة القانونية السخيفة؟
بالتأكيد الفريمن لم ينخدعوا. ولا أسر صغار النبلاء التي تحكم في التجارة الداخلية على أراكس، والتي لا يكاد يوجد بينها من لا يدين بالولاء للهاركونن.
لقد حاولوا قتل ابني!
كان من الصعب كبح جماح الغضب.
رأى أضواء عربة متحركة قادمة من أراكين إلى ساحة المطار. تمنى أن تكون هي عربة الحرس والجنود التي ستحضر بولس. أزعجه تأخرهم على الرغم من إدراكه أن سببه هو الإجراءات الحذرة التي يتخذها الضباط المعاونون لحواط.
لقد حاولوا قتل ابني!
نفض رأسه كي يصرف عنها الأفكار الغاضبة، وعاد ببصره للساحة حيث تراصت حول حدودها خمسة من فرقاطاته وكأنها أعمدة ضخمة حارسة. لا بأس من التأخر ما دام منبعه الحذر.
ذكّر نفسه بأن الضابط كان من الممتازين. واحد من الموضوعين على قوائم الترقية في المستقبل.. ووفي بشكل مطلق.
"إمبراطورنا الباديشي المعظّم..."
آه لو وقع بصر سكان هذه الحامية - متدهورة الحال - على الرسالة السرية التي بعثها الإمبراطور لـ 'دوقه النبيل'..
تلميحاته الضمنية المزدرية للرجال والنساء المحليين ولتلك الأشياء التي يغطون بها وجوههم:
"... وكيف نتوقع غير هذا من همج يعتبرون أغلى أمانيهم هو أن يعيشوا بعيدا خارجين على الأمان والنظام اللذين يوفرهما النظام الطبقي؟"

شعر الدوق في تلك اللحظة أن أعز أحلامه هو أن يقضي تماما على كل الاعتبارات الطبقية وألا ينشغل أبدا بهذا النظام المقيت.
نظر لأعلى وتخلل بصره سحابة الغبار، متجها للنجوم غير المتلألئة، وخطر له: حول واحد من هذه الأنوار الصغيرة يدور كالادان.. لكن بصري لن يقع على موطني مرة أخرى أبدا.
الحنين لكالادان سبب له ألما مفاجئا في صدره. أحس بأن هذا الشعور لم ينبع من داخله، بل وكأنه يصدر من كالادان، مشتاقا إليه.
لم يفلح في إقناع نفسه بأن هذه الأرض الأراكسية القاحلة صارت موطنه، وشك في إمكانية أن يتغير هذا الشعور فيما بعد.
فكر: يجب أن أخفي مشاعري.. لمصلحة الولد. فلا مفر من واقع أن هذا هو الموطن الوحيد المتوفر له الآن. قد أنظر أنا لأراكس على أنه جحيم دخلته قبل موتي، أما هو فعليه أن يجد هنا شيئا يجذبه ويلهمه.
بالتأكيد هناك شيء ما.
سيطرت عليه موجة إحساس بالأسى لحاله، لكن سرعان ما نفر منها وطردها عن باله. ولسبب ما وجد نفسه يسترجع بيتين من قصيدة كان جيرني هاليك يكررها كثيرا:
"تتذوق رئتاي هواء الزمان
الذي يهب على الرمال المتساقطة"
فكر الدوق: ستجد الكثير من الرمال المتساقطة هنا يا جيرني.
فالأقاليم الوسطى القاحلة الممتدة وراء تلك التلال - التي غمرها القمر بنوره فأشبهت بياض الثلج - كانت صحراء..
صخور مجدبة، وكثبان رملية، وغبار يهب.. صحراء جرداء جافة غير مستكشفة، وعلى أطرافها هنا وهناك - وربما تتناثر داخلها أيضا - توجد تجمعات من الفريمن.
لو أمكن وجود شيء باستطاعته تأمين مستقبل لسلالة آل أتريديز فالفريمن غالبا هم هذا الشيء.
هذا على فرض أن الهاركونن لم ينجحوا في نشر عدوى خططهم المسمومة بين الفريمن أيضا.
لقد حاولوا قتل ابني!
تردد اهتزاز معدني صاخب في أرجاء البرج، اضطرب له حاجز الشرفة تحت ذراعيه.
نزلت أمام عينيه الستائر الواقية من شرارات المحركات الصاروخية، فحجبت عنه المنظر.
فكر: هناك مكوك قادم للهبوط. حان الوقت لنزولي والاستعداد للعمل.
استدار ناحية السلالم التي خلفه واتجه لقاعة التجمع الكبيرة، محاولا في نزوله الحفاظ على هدوئه، كي يهيئ ملامحه للقاء المرتقب.
لقد حاولوا قتل ابني!
كان الرجال يتدفقون بالفعل من الساحة عندما وصل للقاعة ذات القبة الصفراء.
على أكتافهم كانوا يحملون حقائبهم الفضائية، يسودهم الهرج والضوضاء كما لو كانوا طلبة عائدين من فترة إجازة.
"يا صاح! أتشعر بهذا تحت قدميك؟ هذه جاذبية يا رجل"
"ما نسبة الجاذبية G التي يسحبنا بها هذا الكوكب؟ أشعر أني ثقيل"
"تساوي بالضبط تسعة أعشار وحدة جذب"
وامتلأت القاعة بتراشق كلمات من هذا القبيل.

"هل نظرت جيدا لحفرة الجحيم هذه ونحن في طريقنا للهبوط؟ أين تلك الغنائم التي قيل أنها بهذا الكوكب؟"
"الهاركونن أخذوها معهم!"
"الحقوني بحمام ساخن وسرير ناعم!"
"ألم تسمع بعد أيها الأحمق! لا يُسمح بالاغتسال هنا. ستمسح مؤخرتك بالرمل!"
"اكتم فمك.. الدوق هنا!"
هبط الدوق من مدخل السلم ودخل المكان فوجده صامتا فجأة.
في مقدمة الحشد خطا جيرني هاليك خطوات سريعة، واضعا حقيبته على أحد كتفيه، وفي يده الأخرى أمسك عنق الباليست ذات التسعة أوتار. كانت يداه طويلة الأصابع وضخمة الإبهام، قادرة على تأدية حركات دقيقة تخرج من الآلة أنغاما عذبة.
راقب الدوق هاليك متأملا تلك الكومة القبيحة بإعجاب.. ملاحظا العينين الثاقبتين كشظايا الزجاج، وما فيهما من بريق حكمة البدائيين.
ها هو رجل نجح في أن يعيش على هامش النظام الطبقي لكنه نجح في الوقت ذاته أن يطيع كل قواعده.
ما هذه الكلمة التي وصفه بها بولس؟
جيرني الباسل.
انتشر شعر هاليك الأشقر - الذي يشبه القش - بلا نظام فوق المناطق الصلعاء من رأسه.
فمه ملتو في ابتسامة ساخرة محببة، وندبة سوط الإنكفاين بدت بامتداد فكه وكأنها تتحرك من تلقاء نفسها. أحاط به جو من التلقائية والمقدرة والعزم. اقترب من الدوق وانحنى.
قال ليتو: "جيرني"
"سيدي"
أشار بالآلة الموسيقية ناحية الرجال الواقفين في القاعة: "هذه آخر دفعة منهم. كنت أفضل أن آتي مع الدفعة الأولى لكن..."
قال الدوق: "أبقينا لك بعض الهاركونن لتصطادهم. تنح معي جانبا يا جيرني كي يمكننا تبادل الحديث"
"تحت أمرك ياسيدي"
انتقلا إلى فجوة بقرب ماكينة بيع ماء من التي تستخدم عملات مخصوصة، في حين كان الرجال يتحركون في أرجاء القاعة في ضجر.
ألقى هاليك حقيبته في أحد الأركان، وإن أبقى قبضته ممسكة بالباليست.
سأله الدوق: "كم رجل يمكنك أن تعطيهم لحواط الآن؟"
"هل ظوفر في مأزق يا مولاي؟"
"لم يفقد إلا عميلين اثنين، أما رجال الاستطلاع العاملين عنده فقد أعطوه معلومات ممتازة عن كل منظومة آل هاركونن هنا. لو أقدمنا على التحرك بسرعة فيمكن أن نقوم بتأمين أنفسنا بقدر كافي.. وأن نحقق مجال حرية الحركة الذي نحتاجه. إنه يريد كل ما بإمكانك أن توفره له من رجال.. من نوعية الرجال الذين لا يترددون في الإقدام على بعض أعمال السكاكين"
قال هاليك: "يمكنني أن أعطيه 300 من أفضل رجالي. إلى أين أرسلهم؟"

"للبوابة الرئيسية. أحد وكلاء حواط هناك ينتظرهم"
"هل أذهب لأنفذ هذا في التو يا مولاي؟"
"بعد قليل.. فأمامنا مسألة أخرى. سيقوم مدير المطار بتأخير انطلاق المكوك من هنا حتى الفجر بذريعة ما. حاملة الهايلانر التابعة لنقابة الفضاء - والتي قدمنا هنا على متنها - ستستمر في طريقها عائدة، ومن المفترض أن المكوك سيلاقي سفينة تقوم بشحن حمولة بهار"
"البهار الذي صار ملكنا يا مولاي؟"
"أجل. لكن المكوك سيحمل أيضا بعض عمال التنقيب عن البهار الذين كانوا يعملون عند النظام السابق. اختاروا أن يمارسوا حقهم القانوني في ترك الخدمة عند حدوث تغير في ملكية الإقطاع، وقاضي تحكيم فترة التغيير سمح لهم بهذا. إنهم عمال ذوو قيمة هامة يا جيرني، 800 تقريبا. قبل أن يقلع المكوك عليك أن تقنع بعض هؤلاء الرجال بالعمل عندنا"
"ما شدة 'الإقناع' التي تريدها يا مولاي؟"
"أريدهم أن يتعاونوا معنا طواعية يا جيرني. فإنهم يملكون خبرات ومهارات نحن في حاجة إليها. وحقيقة أنهم قرروا المغادرة تشير إلى أنهم ليسوا جزءا من ماكينة مكائد الهاركونن. حواط يظن أنه من المحتمل أن تم زرع بعض العملاء وسطهم، لكنه يحسب أن كل ظل يختفي فيه قاتل ما"
"لا يمكن إنكار أن حواط اكتشف فعلا - على مر تاريخه - عدة ظلال من هذا النوع يا مولاي"
"وبعضها فشل في اكتشاف ما تخفيه. لكن أظن أن زرع جواسيس في هذا الحشد المغادر هو أمر يفوق قدرة الهاركونن على التخيل"
"ربما يا مولاي. وأين هؤلاء الرجال الآن؟"
"تحت في الطابق السفلي، في قاعة انتظار. أقترح أن تنزل لهم وتعزف مقطوعة أو اثنتين كي تلين نفوسهم، ثم ابدأ في ممارسة الضغط. يمكن أن تعرض مناصب قيادية على المناسبين. واعرض زيادة في الأجور بنسبة 20% مقارنة بما كانوا يتلقونه من الهاركونن"
"لا أكثر يا مولاي؟ فأنا أعلم معايير الأجور المعتادة عند الهاركونن. وبالنظر إلى أن الرجال يضعون في جيوبهم الآن أموال نهاية الخدمة وشهوة التجوال تسيطر عليهم.. فإن 20% يا مولاي لن تمثل حافزا كافيا يحثهم على البقاء"
قال ليتو بنفاد صبر: "إذن لك حرية التصرف في بعض الحالات الخاصة الاستثنائية. لكن تذكر أن الخزانة ليست بلا قعر. حاول قدر الإمكان ألا تتجاوز الـ 20 بالمائة. ما نحتاجه على وجه الخصوص هو قائدو مركبات البهار، وكشافو الطقس، وعمال الكثبان.. أي شخص له خبرة عملية في العمل في الصحراء"
"فهمتك يا مولاي. وكما يقال: سيأتون كلهم للعنف، ووجوههم متجهة إلى الشرق، فيجمعون الأسرى كالرمل"[3]
قال الدوق: "اقتباس مؤثر للغاية. دع أحد الضباط يتولى قيادة فريقك. واجعله يعطيهم تدريبا قصيرا عن الانضباط في التعامل مع الماء هنا، ثم اجعلهم يخلدون للنوم في المعسكرات المجاورة للساحة. موظفو ساحة المطار سيرشدونهم. ولا تنس إرسال الرجال لحواط"
"ثلاثمائة من نخبة الرجال يا مولاي"، والتقط حقيبته. "أين أقدم لك تقريري بعد إتمامي لما علي من مهام؟"
"أحتل قاعة اجتماعات بالأعلى هنا. وسنعقد فيها اجتماع هيئة أركان الحرب. أريد تنظيم خطة انتشار كوكبي جديدة، بحيث تتقدمها الفرق المدرعة"

---

3 سِفر حبقوق 1: 9 (المترجم)

توقف هاليك فجأة بعد أن كان شرع في الابتعاد، وصوب النظر لليتو: "وهل نتوقع حدوث مثل هذا النوع من الاضطرابات يا مولاي؟ لقد كنت أظن أن هناك قاضي تحكيم يشرف على الأمور هنا"

قال الدوق: "أتوقع حدوث معارك صريحة وأخرى سرية. دماء كثيرة ستسفك هنا قبل أن تستقر لنا الأمور"

قال هاليك مقتبسا: "فإن الماء الذي تأخذه من النهر يتحول دما على اليابسة"[4]

أطلق الدوق تنهيدة: "عد بسرعة يا جيرني"

"حسنا يا سيدي"، وتموجت ندبة السوط من أثر ابتسامته: "ها أنا كالحمار الوحشي في البرية أخرج إلى عملي"[5]

ثم التفت وأسرع لمنتصف القاعة. توقف للحظة كي ينقل ما تلقاه من أوامر، ثم أسرع مارا عبر حشد الرجال.

هز ليتو رأسه وهو ينظر لظهر الرجل المبتعد. هاليك مصدر دائم لإثارة العجب.. فرأسه مليئة بالأغاني والاقتباسات والعبارات البلاغية.. وقلبه قلب قاتل عندما يحين وقت التعامل مع الهاركونن.

وما هي إلا لحظات حتى كان ليتو يسير بتمهل في مسار مائل، متجها صوب المصعد، يرد على تحية الجنود بحركة يد تلقائية بسيطة.

وقع بصره على أحد جنود قسم نشر البروباجاندا، فتوقف كي يلقي عليه رسالة من الضروري إشاعتها بين الرجال عبر القنوات المعتادة. فمن جاؤوا ومعهم نساؤهم سيرغبون في أن يتأكدوا من أن النساء في أمان، وأن يعلموا أين يمكن أن يجدوهن بالتحديد. أما الآخرون فيجب أن يعلموا أن التوزيع السكاني هنا يبدو أن كفته تميل بحيث أن عدد النساء أكبر من عدد الرجال.

وخبط رجل البروباجاندا على ذراعه، كعلامة سرية يعلم الرجل منها أن هذه الرسالة يجب أن تكون لها الأولية القصوى وأن تنشر في الحال. ثم استمر في طريقه عابرا القاعة.

أومأ لبعض الرجال وابتسم لآخرين، وتبادل المزاح مع أحد الضباط برتبة ملازم أول.

فكر: على القائد أن يظهر دائما واثقا من نفسه. فآمالهم كلها معلقة بك في حين أنك في مقعد حرج ولا يظهر ذلك عليك أبدا.

أطلق تنهيدة ارتياح عندما ابتلعه المصعد داخله وأصبح بإمكانه أن يستدير ويواجه الباب الجامد.

لقد حاولوا قتل ابني!

---

4 سفر الخروج 4: 9 (المترجم)

5 سفر أيوب 24: 5 (المترجم)

الفصل 12

"فوق باب الخروج بمطار مدينة أراكين كان يوجد نقش محفور بطريقة غير احترافية، كما لو أن صانعه استخدم في كتابته أداة بدائية.. وقد قُدِّر للمؤدب أن يراه ويكرره كثيرا.
أول مرة رآه فيها كانت خلال ليلته الأولى على أرّاكس، عندما تم إحضاره لمقر القيادة الدوقي كي يشارك في أول اجتماع يعقده أبوه لكامل هيئة أركان الحرب.
كانت كلمات النقش عبارة عن رجاء موجه للمغادرين لأراكس، لكن كان لها وقع ودلالة كئيبة في عين فتى نجا لتوه بالكاد من محاولة قتل.
كانت الكلمات تقول: 'يا من رأيت ما نعانيه هنا، لا تنسنا في دعائك'"

من كتاب "دليل المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

قال الدوق: "النظرية الحربية برمتها هي عبارة عن المخاطرات المحسوبة. لكن عندما يتعلق الأمر بالمخاطرة بأسرتك فإن عنصر الحساب تغمره.. اعتبارات أخرى"
كان مدركا لحقيقة أنه لا يستطيع كتمان غضبه بالقدر الكافي، فاستدار ومشى ذهابا وإيابا في خط موازٍ للطاولة الطويلة.
كان الدوق وبولس بمفردهما بقاعة الاجتماعات بمبنى ساحة المطار. كادت القاعة أن تكون فارغة، ليس فيها من الأثاث سوى الطاولة الطويلة وما حولها من مقاعد قديمة الطراز ثلاثية الأقدام، ولوح عليه خريطة، وجهاز عارض ضوئي، بروجيكتور، على أحد طرفيها. وجلس بولس إلى الطاولة بقرب الخريطة.
كان قد قص على أبيه تفاصيل حادثة 'الصياد المتتبع'، ونقل له معلومة أن من يهدده هو خائن وسطهم.
توقف الدوق في مقابل بولس وخبط بيده على الطاولة: "حواط قال لي أن هذا البيت آمن!"
تكلم بولس بتردد: "كنتُ غاضبا أيضا.. في البداية. وألقيت اللوم على حواط. لكن التهديد جاء من مصدر خارج البيت. كانت فعلة بسيطة وماهرة ومباشرة. وكانت ستنجح لولا التدريب الذي تلقيته منك ومن آخرين كثر.. بما فيهم حواط نفسه"
سأل الدوق بحدة: "هل تدافع عنه؟"
"أجل"
"لقد بدأ يتقدم في العمر. هذه هي خلاصة الأمر. يجب أن يتم ع..."
قال بولس: "إنه حكيم وذو خبرة طويلة. كم غلطة تستطيع أن تتذكر صدورها من حواط؟"
قال الدوق: "من المفترض أن أكون أنا من يدافع عنه، لا أنت"
ابتسم بولس.
جلس ليتو على رأس الطاولة ووضع يده على يد ابنه: "لقد.. نضجت في الفترة الأخيرة يا بني"
ورفع يده قائلا: "هذا أمر يسعدني"، وبادل ابنه الابتسام.
"حواط سيعاقب نفسه. سيغضب من نفسه - لوقوعه في هذا الخطأ - بقدر يفوق أي غضب يمكن أن نصبه عليه"
نظر بولس ناحية النوافذ المظلمة الواقعة وراء لوح الخريطة، وحدق في سواد الليل.

انعكست أضواء القاعة من حاجز شرفة بالخارج، فرأى حركة ما وأدرك أنها شبح حارس يرتدي زي آل أتريديز الرسمي.
أعاد بولس بصره للجدار الأبيض القائم خلف أبيه، ثم لسطح الطاولة اللامع، فرأى قبضتيه منقبضتين بشدة.
انفتح الباب المقابل لأبيه مصدرا صوتا مفاجئا. خطا عبره ظوفر حواط، باديا عليه التقدم في السن وتغضن الوجه أكثر من أي وقت مضى. سار بمحاذاة الطاولة ثم توقف في انتباه عسكري أمام ليتو.
قال: "سيدي.." موجها بصره لنقطة فوق رأس ليتو، ".. علمتُ لتوي بفشلي وأني خيبت أملك فيّ.. وأصبح من الواجب أن أتقدم باستقالتي..."
قال الدوق: "اجلس وتوقف عن التصرف كالحمقى"، وأشار للمقعد المقابل لبولس.
"إن كنتَ قد أخطأت في شيء ما فهو في إعطائك للهاركونن تقديرا أكبر مما يستحقونه. فعقولهم البسيطة تفتقت عن خدعة مماثلة لها في البساطة. ولم نكن قد وضعنا في حسباننا الاحتياط للخدع البسيطة. بالإضافة إلى أن ولدي قد أجهد نفسه بالفعل في إقناعي بحقيقة أن نجاته من هذه المكيدة عائد بنسبة كبيرة للتدريب الذي تلقاه على يدك. وفي هذه النقطة لم تفشل"
وخبط على ظهر المقعد الفارغ قائلا: "قلت لك: اجلس"
غاص حواط في مقعد. "لكن..."
قال الدوق: "لا أريد أن أسمع المزيد في هذا الأمر. الحادثة مرت. وأمامنا مشاغل أخرى هامة. أين الآخرون؟"
"طلبت منهم أن ينتظروا بالخارج إلى أن أقـ..."
"استدعهم"
نظر حواط في عيني ليتو. "مولاي، أنا..."
قال الدوق: "إني أعلم تماما من هم أصدقائي الحقيقيون يا ظوفر. استدعِ الرجال"
ابتلع حواط ريقه: "على الفور يا سيدي". دار في مقعده ونادى عبر الباب المفتوح: "جيرني، أدخلهم"
قاد هاليك طابور الرجال إلى داخل الحجرة، وبدت على ضباط هيئة أركان الحرب ملامح جادة صارمة، في حين أن المساعدين الأصغر في السن وأصحاب التخصصات كان يسودهم جو من التلهف. ترددت في القاعة أصوات جر أقدام لحظات إذ شرع الرجال في احتلال المقاعد.
انبعثت حول الطاولة رائحة خفيفة لشراب الراشاج المنبّه.
قال الدوق: "هناك قهوة متوفرة لمن يرغبون"
دار ببصره فيهم مفكرا: إنه طاقم جيد. ليسوا سيئين إطلاقا لمثل هذا النوع من الحروب.
انتظر حتى تم إحضار وتقديم القهوة من الحجرة المجاورة، ملاحظا التعب البادي على بعض الوجوه. ثم لم يلبث قليلا حتى ارتدى قناع الكفاءة الهادئ، واعتدل واقفا جاذبا انتباههم بنقرة أصابع على الطاولة.
قال: "حسنا أيها السادة.. يبدو أن حضارتنا غارقة تماما في تمسكها بسلوكيات الاحتلال لدرجة أننا نعجز عن مجرد تنفيذ أمر إمبراطوري بسيط دون أن تطل تلك الأساليب القديمة برأسها"
ترددت ضحكات جافة على امتداد الطاولة، وأدرك بولس أن أباه قد تفوه بالشيء المناسب تماما وفي النبرة المناسبة تماما كي تحسن الحالة المزاجية للحاضرين.
حتى لمسة الإرهاق في صوته كانت هي اللمسة الصحيحة المطلوبة.
قال الدوق: "أرى أنه علينا في البداية أن نعرف من ظوفر إن كانت عنده أية إضافات لتقريره بشأن الفريمن. ظوفر؟"
نظر حواط لأعلى وقال: "عندي بعض الشؤون الاقتصادية سأتوسع في الكلام عنها بعد تقديم تقريري العام يا مولاي، لكن

ما يمكن أن أقوله الآن هو أنه يتأكد لي أكثر وأكثر أن الفريمن هم فعلا ذلك الحليف الذي نحتاجه. فهم الآن يراقبون أفعالنا كي يتيقنوا قبل وضع ثقتهم فينا، لكن تعاملاتهم معنا تبدو حسنة النية. فقد أرسلوا لنا هدايا.. بذلات تقطير من صنع أيديهم، وخرائط لمناطق صحراوية معينة تحيط بالمعاقل التي تركها الهاركونن"

هبط ببصره إلى الطاولة: "تقاريرهم الاستخباراتية قد ثبت أنها موثوق فيها تماما، وساعدتنا بشكل كبير في تعاملاتنا مع قاضي التحكيم. وبالإضافة لهذا فقد أرسلوا أيضا بعض الأشياء الصغيرة.. مجوهرات لليدي جيسيكا، خمر مصنوع من البهار، حلوى، ونباتات طبية. رجالي يفحصون هذه الأشياء الآن، ولا يبدو أنها تحوي أية مكائد"

قال رجل يجلس عند طرف الطاولة: "إنك معجب بهؤلاء القوم يا ظوفر، أليس كذلك؟"

أدار حواط وجهه ناحية السائل: "دنكن أيداهو يقول أنهم يستحقون الإعجاب"

ألقى بولس نظرة على أبيه ثم على حواط، ثم غامر بسؤال: "عندك أية معلومات جديدة عن تعداد الفريمن؟"

نظر حواط لبولس: "حسب تقدير أيداهو - بالاعتماد على كميات الطعام التي يتم استهلاكها وأدلة أخرى - فإن المجمع الكهفي الذي زاره يأوي حوالي 10 آلاف شخص تقريبا، في المجمل. قائدهم أخبره أنه يحكم 'سياتش' مكون من 2000 مأوى. وعندنا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أن هناك عدد كبير من أمثال هذه المجموعات التي تسكن في سياتشات. وكلهم يدينون بولائهم لشخص يدعى 'ليات'"

قال ليتو: "هذه معلومة جديدة"

"قد أكون مخطئا في الأمر يا مولاي. بعض الأشياء قد تشير إلى أن ليات هو اسم معبود محلي"

تنحنح أحد الرجال الجالسين إلى الطاولة وسأل: "وهل أصبح من المؤكد أنهم يتعاملون مع المهربين؟"

"قافلة تابعة للمهربين خرجت من هذا السياتش حينما كان أيداهو هناك، حاملة معها حمولة ثقيلة من البهار. كانوا يستخدمون حيوانات لحمل البضاعة وصرحوا بأن أمامهم رحلة سير ستستغرق 18 يوما"

قال الدوق: "يبدو أن المهربين قد ضاعفوا من عدد عملياتهم خلال فترة الاضطراب هذه، وهو أمر يستلزم منا التفكير فيه بحرص. لا يجب أن نقلق أكثر من اللازم لوجود فرقاطات غير مرخصة تعمل على نقل البضائع من هذا الكوكب.. فهو أمر متوقع الحدوث دائما. لكن أن نتركهم هكذا خارج دائرة مراقبتنا فهو أمر سيء"

قال حواط: "عندك خطة بخصوص هذا الأمر يا مولاي؟"

نظر الدوق لهاليك: "جيرني، أريد منك أن تكون على رأس وفد.. سفارة إن صح التعبير.. وأن تتواصل مع رجال الأعمال الأحرار غير الخاضعين للقيود هؤلاء. أخبرهم أني سأتجاهل عملياتهم طالما أعطوني ضريبة دوقية مقدارها العُشر. حسب تقدير حواط فإن تقديم الرشاوي واضطرارهم لتأجير مقاتلين لحماية عملياتهم كان يكلفهم أربعة أضعاف هذا المبلغ بالفعل"

قال حواط: "وماذا لو علم الإمبراطور بهذا؟ فهو - يا سيدي - غيور للغاية على أرباحه من شوم"

ابتسم ليتو: "سنأخذ ضريبة العُشر هذه صراحة باسم شدام الرابع ونضعها في حسابه، لكن في نفس الوقت نخصمها - قانونيا - من ضريبتنا التي نقدمها له. دع الهاركونن يعترضون على هذا إن استطاعوا! وبهذا سنكون أيضا قد قضينا ماليا على العديد من الأثرياء المحليين الذين أصابتهم التخمة بتعاونهم من نظام آل هاركونن. لا رشاوي ومحسوبية بعد الآن!"

التوى وجه هاليك في ابتسامة: "ضربة ماكرة جميلة يا سيدي. أتمنى لو أمكنني رؤية وجه البارون عندما يعلم بها"

التفت الدوق ناحية حواط: "ظوفر، هل حصلت على دفاتر الحسابات تلك التي ذكرتَ أن بإمكانك شراؤها؟"

"أجل يا سيدي. ويتم فحصها الآن بدقة. لكني قمت بإلقاء نظرة سريعة عليها ويمكنني تقديم تقدير تقريبي أولي"

"قدمه إذن"

"كان يدخل للهاركونن من هنا ما قيمته 10 مليار سولاريس أرباحا كل 330 يوم معياري"
انتشرت شهقة مكتومة عبر الطاولة. حتى المساعدين الشباب - الذين كانوا يبدو عليهم فيما قبل بعض الملل - اعتدلوا في جلستهم وتبادلوا نظرات مندهشة.
تمتم هاليك قائلا: "سيرضعون من فيض البحار، ومن الكنوز المدفونة في الرمال"[6]
قال الدوق: "الأمر كما ترون يا سادة. فهل لا زال هنا من يعتقد بسذاجة أن آل هاركونن قد انتقلوا وتركوا كل هذا بهدوء لمجرد أن الإمبراطور أمر بهذا؟"
اهتزت أغلب الرؤوس، وتعالت الهمهمات المؤيدة لكلامه.
قال ليتو: "سنضطر لأخذ هذه المكاسب بحد السيف"
واستدار ناحية حواط: "من المناسب في هذه النقطة أن تخبرنا بتقريرك عن المعدات. كم تركوا لنا من زاحفات الرمال والحاصدات ومصانع معالجة البهار وباقي المعدات الداعمة لعمليات التنقيب؟"
قال حواط: "المجموعة كاملة، كما ورد في قائمة الجرد الإمبراطورية التي قام بالتفتيش عليها قاضي التحكيم يا سيدي"
وأشار لأحد مساعديه كي يناوله مجلدا ما، وفتحه على الطاولة أمامه.
"لكنهم نسوا أن يذكروا أن العدد الصالح للتشغيل من الزاحفات هو أقل من النصف، وأن ما يقترب من ثلثها فقط له حاملات طائرة تنقله جوا لمواقع التنقيب عن البهار في الصحراء.. وأن كل ما تركه لنا الهاركونن موشك على التوقف والتفكك. سنكون محظوظين إن استطعنا أن نجح في تشغيل ولو نصف المعدات، وأسعد حظا إن ظل ربعها صالحا للعمل بعد 6 شهور من الآن"
قال ليتو: "كنا نتوقع هذا بدرجة كبيرة. ما الإحصاء الدقيق لعدد المعدات الأساسية؟"
نظر للمجلد أمامه: "حوالي 930 حاصدة ومصنع يمكن إرسالها للعمل في غضون عدة أيام. وحوالي 6250 طائرة أورنيثوبتر مخصصة للمسح الجوي والاستكشاف ومراقبة الطقس. أما الحاملات الطائرة فأقل من الألف بقليل"
قال هاليك: "ألن يكون من الأرخص أن نعيد فتح المفاوضات مع النقابة للحصول على تصريح لوضع إحدى الفرقاطات في مدار حول الكوكب لتقوم بدور أقمار الطقس الصناعية؟"
نظر الدوق لحواط: "لا جديد عندك بهذا الشأن يا ظوفر؟"
قال حواط: "علينا حاليا أن نبحث عن بدائل أخرى. فوكيل نقابة الفضاء لم يكن يجري معنا مفاوضات حقيقية. بل كان يريد إفهامي بوضوح - من منتات لمنتات - أن السعر المطلوب أعلى من قدراتنا على الدفع وسيظل أعلى من قدراتنا مهما رفعنا القدر الذي نعرضه. مهمتنا هي أن نعرف السبب وراء هذا قبل أن نفاتحهم في الموضوع مجددا"
أحد مساعدي هاليك الجالسين عند طرف الطاولة استدار في مقعده وقال بحدة: "هذا ليس عدلا!"
نظر الدوق للرجل: "عدل؟ ومن منا طلب أن تتم معاملتنا بعدل؟ نحن من يصنع عدلنا بأيدينا. سنصنعه هنا، على أراكس.. فإما أن نفوز أو نموت. هل أنت نادم يا سيد على ارتباطك بنا؟"
حدق الرجل في الدوق ثم قال: "لا يا مولاي. أينما توجهتَ فأنا تابع لك. اعذرني على هذه الحدة، لكن..."، وهز كتفيه: "كلنا تمر عليه أوقات يشعر فيها بالمرارة"
قال الدوق: "أما المرارة فأنا أتفهم حدوثها. لكن دعنا لا نأسف على العدل طالما لا زلنا نملك أذرع والحرية لاستخدام هذه الأذرع. هل هناك آخر بينكم يشعر بالمرارة؟ إن كان هناك فليتكلم. هذا المجلس ودي ومسموح لأي شخص بأن يصرح بما

6 سفر التثنية 33: 19 (المترجم)

بداخله"
تململ هاليك وقال: "أظن أن ما يثير الضيق يا مولاي هو عدم وجود متطوعين انضموا لنا من أسر النبلاء الأخرى. فهم يلقبونك بـ 'ليتو العادل' ويعدونك بصداقتهم الأبدية لكن طالما لم تكلفهم هذه الصداقة شيئا في المقابل"
قال الدوق: "إنهم غير واثقين بعد لمن سيكون الفوز في هذه المعركة. أغلب الأسر النبيلة تضخمت ثرواتها عن طريق الابتعاد عن المخاطرات قدر الإمكان. لا يمكن أن نلومهم تماما على هذا.. كل ما نستطيعه هو أن نحتقرهم"
ونظر لحواط: "كنا نناقش مسألة المعدات. هل يمكنك أن تعرض بالبروجيكتور الضوئي صورا لبعض الأمثلة كي يتعرف الرجال على طبيعة هذه الماكينات؟"
أومأ حواط، وأعطى إشارة لأحد المساعدين المسؤولين عن تشغيل البروجيكتور الضوئي.
ظهرت على سطح الطاولة صورة هولوجرام ثلاثي الأبعاد على بُعد ثلث المسافة من مكان جلوس الدوق. بعض الرجال الجالسين بعيدا عند طرف الطاولة الآخر وقفوا ليشاهدوا بوضوح.
مال بولس للأمام، محدقا في الماكينة.
بالمقارنة بصور الأشخاص الصغيرة الظاهرة حولها بدا أن طول الماكينة حوالي 120 مترا، وعرضها 40 مترا.
وبشكل عام كان لها هيكل طويل يشبه الحشرات، وتتحرك على قضبان عريضة مستقلة.
قال حواط: "هذه تسمى حاصدة مصنعية. اخترنا للعرض هنا واحدة بحالة جيدة. وهناك أيضا واحدة من طراز جر قديم جاءت بصحبة أول فريق إمبراطوري من خبراء البيئة الكوكبية، ولا زالت تعمل.. وإن كنت لا أدري كيف لا زالت تعمل، أو لماذا"
قال أحد المساعدين: "لو ما تقصده هي الماكينة المسماة 'ماريا العجوز' فمكانها الطبيعي هو في متحف. أظن أن الهاركونن تركوها مستمرة كنوع من العقوبة.. تهديد مستمر معلق دائما فوق رؤوس عمالهم: كن مطيعا وإلا نقلناك للعمل على ماريا العجوز"
تصاعدت الضحكات حول الطاولة.
لم يشترك بولس في موجة المرح، وركز انتباهه على الصورة المعروضة وعلى السؤال الذي شغل ذهنه.
أشار للصورة الظاهرة على الطاولة وقال: "ظوفر، هل هناك ديدان رمال كبيرة بما فيه الكفاية بحيث يمكنها ابتلاع هذه الماكينة كلها؟"
حل الصمت المفاجئ على الطاولة. أطلق الدوق سبة غير مسموعة، ثم فكر: لا.. عليهم فعلا أن يواجهوا واقع الأمور هنا.
قال حواط: "في المناطق الصحراوية العميقة توجد ديدان يمكنها أن تبتلع هذا المصنع مرة واحدة. أما هنا في المنطقة القريبة من الجدار الجبلي - حيث تتم أغلب عمليات التنقيب - فيوجد العديد من الديدان القادرة على تعطيل هذا المصنع ثم التهامه على مهل فيما بعد"
سأل بولس: "ولم لا نحيط الماكينة بدروع طاقة؟"
قال حواط: "حسب ما ورد في تقرير أيداهو، فإن استخدام الدروع في الصحراء يمثل خطورة. فمجرد وجود ولو درع بحجم الجسد الإنساني سيؤدي لاستدعاء كل دودة تعيش على بعد مئات الأمتار من مكانك. يظهر أن الدروع تجعلهم يدخلون في نوبة قتل مجنون. الفريمن هم من نقلوا لنا هذه المعلومة ولا يوجد سبب يجعلنا نشكك فيها. فأيداهو لم ير أي دليل على وجود دروع في السياتش"
سأل بولس: "على الإطلاق؟"

قال حواط: "سيكون من الصعب إخفاء وجود شيئ كهذا بين عدة آلاف من قاطني المكان. فقد تركوا لأيداهو كامل الحرية في زيارة كل مكان في السياتش. ولم ير أية دروع ولا أي دليل على استخدامهم لها"
قال الدوق: "شيء محير"
قال حواط: "أما الهاركونن فلا شك في استخدامهم للكثير من الدروع هنا. فهناك مخازن تصليح في كل قرية من قرى الحاميات، وكشوف حساباتهم تظهر فيها نفقات ثقيلة خاصة باستبدال الدروع وقطع غيارها"
سأل بولس: "هل من الممكن أن الفريمن عندهم طريقة ما لتحييد الدروع وإبطال أثرها؟"
قال حواط: "لا أظن. بالطبع الأمر ممكن نظريا.. يقال أن استخدام شحنة مضادة استاتيكية هائلة الحجم من المفترض أن ينجح في هذا، لكن لم يسبق لأحد إطلاقا أن قام بتجريب هذا فعليا"
قال هاليك: "لو كان هناك شيء كهذا لكنا سمعنا عنه قبل الآن. فالمهربون لهم صلات قوية بالفريمن، ولو كان لمثل هذا الجهاز وجود لكانوا قد حصلوا عليه. ولما كانوا ترددوا في تسويقه للكواكب الأخرى"
قال ليتو: "لا يعجبني عدم وجود إجابة واضحة لمسألة بهذه الأهمية. ظوفر، أريدك أن تضع حل هذه المسألة على قائمة أولوياتك"
"نعمل على الموضوع بالفعل يا سيدي". تنحنح ثم قال: "لكن أيداهو قال شيئا إضافيا. قال أن رد فعل الفريمن عند رؤيتهم لدرع طاقة يكون واضحا. فالدروع تثير فيهم الابتسام"
قطب الدوق جبينه وقال: "الموضوع الذي نناقشه الآن هو معدات التنقيب عن البهار"
أعطى حواط إشارة لمساعده الجالس عند البروجيكتور. اختفت الصورة الهولوجرامية للحاصدة وظهر بدلا منها صورة لجهاز مجنح طغى بحجمه على صور الأشخاص المجاورة له.
قال حواط: "هذه حاملة طائرة. وهي باختصار ثوبتر ضخمة، ومهمتها الوحيدة هي توصيل المصنع للمناطق الرملية الغنية بالبهار، ثم أن تقوم بإنقاذ المصنع عندما تظهر دودة رمال. ودائما ما تظهر الديدان. فعملية حصاد وجمع البهار هي باختصار عملية دخول ثم خروج بأكبر قدر ممكن الحصول عليه"
قال الدوق: "شيء متوافق تماما مع أخلاق الهاركونن"
انفجرت الضحكات المرتفعة فجأة.
ظهرت صورة أورنيثوبتر بدلا من الحاملة الطائرة.
قال حواط: "طائرات الأورنيثوبتر هذه هي الطراز المألوف. إضافة تعديلات متعددة عليها يعطيها مجالا أوسع للطيران. تم التدقيق بشدة أثناء غلق فتحات المكونات الهامة لحمايتها من الرمال والغبار. لا تغطى منها بدروع طاقة إلا طائرة واحدة من كل 30 طائرة.. غالبا تمت إزالة مولد طاقة الدرع لتخفيف الوزن والحصول على مجال طيران أكبر"
تمتم الدوق: "لا يعجبني موضوع عدم التركيز على الدروع هذا"
وفكر: هل هذا هو سر خطة الهاركونن؟ هل يعني هذا أننا لن نستطيع الهرب على متن فرقاطات محمية بدروع لو انقلبت الأمور ضدنا؟
هز رأسه بعنف كي ينفض عنه تلك الأفكار، وقال: "دعنا نخلص إلى التقدير المتاح. ما حجم أرباحنا المتوقعة؟"
قلب حواط صفحتين في مذكرته: "بعد تقييم الإصلاحات والمعدات الصالحة للتشغيل استطعنا حساب تقدير مبدئي لتكاليف التشغيل. وبالطبع الرقم يعتمد على افتراضات منقوصة لترك هامش أمان مناسب"
وأغلق عينيه في شبه إغشاءة كعادة المنتات، وقال: "في عهد الهاركونن كان حد مصاريف الصيانة والأجور هو 14%.

وسنكون محظوظين إن استطعنا في البداية أن نجعلها 30%. وبحساب عوامل إعادة الاستثمار ونسب النمو - بما في ذلك النسبة التي ستأخذها شركة شوم والتكاليف العسكرية - فإن هامش ربحنا سيهبط إلى نسبة ضئيلة هي 6 أو 7%، إلى أن نتمكن من استبدال المعدات المستهلكة. ساعتها سيمككنا أن نرفعها إلى مكانها الطبيعي: 12 أو 15%"

فتح عينيه: "إلا لو كان سيدي يرغب في تبني أساليب آل هاركونن"

قال الدوق: "هدفنا هو إنشاء قاعدة كوكبية قوية ودائمة. فعلينا أن نعمل على بقاء نسبة كبيرة من السكان سعداء.. خاصة الفريمن"

وافقه حواط: "الفريمن على وجه الخصوص"

قال الدوق: "تفوقنا على كالادان اعتمد على القوة البحرية والجوية. أما هنا فعلينا خلق شيء أحب أن أطلق عليه: قوة الصحراء. هذا قد يشتمل أيضا على القوة الجوية، لكن هناك احتمال ألا يشتمل عليها. ألفت انتباهكم مثلا لعدم وجود دروع طاقة على طائرات الثوبتر"

وهز رأسه. "اعتمد الهاركونن على قدوم عناصر بشرية من الكواكب الأخرى لتحل محل موظفيهم الرئيسيين كل فترة، لكننا لا نجرؤ على اللجوء لهذا. إذ أن كل دفعة جديدة ستأتي وضمنها حصة من العملاء المحرضين مثيري المشاكل"

قال حواط: "إذن سيتحتم علينا أن نقنع بهامش ربح أقل وبناتج حصاد أقل. إنتاجنا في أول موسمين سيقل بمقدار الثلث عن متوسط ما كان ينتجه الهاركونن"

قال الدوق: "هذه هي خلاصة الأمر. كما توقعنا بالضبط. سيلزم أن نتحرك بسرعة في تعاملنا مع الفريمن. أريد أن يكون عندي خمس كتائب كاملة من جنود الفريمن قبل تاريخ أول تدقيق حسابات ستقوم به شوم"

قال حواط: "لكنها فترة زمنية قصيرة يا مولاي"

"ليس عندنا وقت كاف، كما تعلم جيدا. ففي أول فرصة متاحة سيهجم علينا الساردوكار - مع الهاركونن - متنكرين في أزياء الهاركونن. ما توقعاتك لعدد الجنود الذين سيتم شحنهم إلى هنا يا ظوفر؟"

"4 أو 5 كتائب في المجمل يا مولاي. لا أكثر. حيث أن أسعار نقل الجنود التي تأخذها نقابة الفضاء عالية كما هو معروف"

"إذن نخمس كتائب فريمن بالإضافة لقواتنا سيؤديان المطلوب. دعنا نأسر بعض أفراد الساردوكار ثم نعرضهم أمام مجلس اللاندسراد وسترى أن الأمور ستختلف كثيرا.. سواء حققنا أرباحا مالية أم لا"

"سنبذل ما في وسعنا يا مولاي"

نظر بولس لأبيه ثم لحواط. وفجأة بدا له واضحا تقدم المنتات في العمر، وأن العجوز قد خدم ثلاثة أجيال من آل أتريديز. إنه في أرذل العمر. بدا سنه واضحا في البريق الرطب للعينين البنيتين.. في الوجنتين المجعدتين والمتأثرتين بالتعرض لمناخ المناطق غير المعتادة.. في الانحناءة المستديرة للكتفين.. وفي الشفتين الرفيعتين الملونتين ببقع تشبه لون التوت البري، من أثر شراب السافو.

فكر بولس: أمور كثيرة معتمدة على رجل واحد مسن.

قال الدوق: "نحن حاليا في حرب اغتيال، لكنها لم تصل بعد لأقصى مداها. ظوفر، ما حالة ماكينة عملاء الهاركونن هنا؟"

"قضينا على 259 من رجالهم الرئيسيين يا سيدي. لم يتبق سوى ثلاث خلايا تابعة للهاركونن.. في مجملها لا يبدو أنها تزيد على 100 شخص"

قال الدوق: "هؤلاء العملاء التابعون للهاركونن والذين قضيت عليهم.. هل كانوا يمتلكون ثروات؟"

"أغلبهم كان ثريا يا سيدي.. من طبقة المقاولين رجال الأعمال"

قال الدوق: "أريدك أن تقوم بتزييف توقيع كل واحد منهم على استمارات مبايعة. وقدم نسخا منها لقاضي التحكيم. سيكون موقفنا قانونا هو أنهم بقوا على الكوكب دون أن يعلنوا ولاءهم الحقيقي. قم بمصادرة ممتلكاتهم.. خذ كل شيء.. اطرد عائلاتهم، وجردهم من ممتلكاتهم. واحرص على أن يحصل الإمبراطور على نسبته، العشرة بالمائة. إذ يجب أن يبدو الأمر كله قانونيا"

ابتسم ظوفر، كاشفا عن أسنان مبقعة بالأحمر تحت الشفتين القرمزيتين.

"حركة جديرة بجدك نفسه يا سيدي. يخجلني أن لم أفكر فيها أولا"

ظهرت تقطيبة على وجه هاليك من طرف الطاولة، وعبوس عميق مندهش على وجه بولس. أما الآخرون فكانوا يبتسمون ويهزون رؤوسهم موافقين.

فكر بولس: إنها حركة خاطئة. سيتسبب هذا في إجبار الآخرين على المقاومة أكثر، إذ لن يستفيدوا شيئا من الاستسلام.

كان يعلم أن قواعد الكانلي لا تعيق استخدام هذه الأساليب المسرفة، لكن هذه الحركة كانت من النوع الذي قد يدمرهم حتى لو جاءت لهم بمكسب.

قال هاليك مقتبسا: "كنت نزيلا في أرض غريبة"[7]

حدق بولس فيه وقد تعرف على الاقتباس ومصدره في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي، وتساءل: هل جيرني أيضا يتمنى أن ينتهي عهد الخطط اللئيمة؟

نظر الدوق للظلام خارج النافذة وعاد ببصره لهاليك: "جيرني، كم عدد من أقنعت من هؤلاء العمال بالبقاء معنا؟"

"286 في المجمل يا مولاي. أظن أن علينا قبول هذا واعتبار أنفسنا محظوظين. كلهم يعمل في تخصصات مفيدة"

"لا أكثر من هذا؟" زم الدوق شفتيه ثم قال: "حسنا.. قم بنشر خبر أن..."

قاطعه اضطراب قادم من عند الباب. عبر دنكن أيداهو أمام الحارس الواقف هناك وأسرع بموازاة الطاولة ثم انحنى مقتربا من أذن الدوق.

أشار له الدوق بالابتعاد وقال: "تكلم بصوت عال يا دنكن. فكما ترى هذا اجتماع وضع استراتيجية"

فحص بولس أيداهو، ملاحظا الحركات الناعمة التي تشبه القط، وردود الفعل السريعة التي جعلته أستاذ أسلحة صعب تقليده. استدار وجه أيداهو الدائري الأسمر ناحية بولس. لم تُظهر عينا ساكن الكهوف هذا أي لمحة تكشف تعرفه عليه، لكن رأى بولس بوضوح أن قناع الهدوء يخفي تحته مشاعر مثارة.

نظر أيداهو للجالسين إلى الطاولة وقال: "لقد اشتبكنا مع مجموعة من مرتزقة الهاركونن المتنكرين كفريمن. الفريمن أنفسهم هم من أرسلوا لنا رسولا ليحذرونا من المجموعة المزيفة. لكن خلال الهجوم اكتشفنا أن الهاركونن كانوا قد كمنوا للرسول الفريمني، وجرحوه جرحا بالغا. مات أثناء قيامنا بإحضاره إلى هنا لعلاجه على يد أطبائنا. كنت قبلها قد توقفت لمساعدته قدر استطاعتي لما رأيت حالته السيئة، وفاجأته وهو يحاول إلقاء شيء ما بعيدا"

نظر أيداهو لليتو: "سكين يا سيدي. سكين لم تقع عيناك على مثلها"

سأل أحدهم: "كريسنايف؟"

قال أيداهو: "بلا شك. بيضاء كاللبن وتلمع بنور له نفس اللون"

أدخل يده في ردائه وأخرج غمدا يبدو منه مقبض أسود.

"دع هذا النصل في غمده!"

---

7 سفر الخروج 2: 22 (المترجم)

صدر الصوت من الباب المفتوح الموجود في طرف القاعة.. صوت مدوٍ وثاقب أوقفهم جميعا محدقين.
وقف بالباب شخص طويل يرتدي ثوبا، ويمنعه سيفا الحارسين المتقاطعان من الدخول. كان جسده مختفيا بالكامل تحت ثوب مدبوغ بلون أصفر خفيف إلا من شق في قلنسوته ولثام أسود تظهر منه عينان زرقاوان بالكامل.. بلا أي بياض فيهما.
همس أيداهو: "دعه يدخل"
قال الدوق: "دعوا الرجل يمر"
تردد الحارسان للحظة، ثم خفضا سيفيهما.
ولج الرجل القاعة ووقف في مقابل الدوق.
قال أيداهو: "هذا ستيلجار، رئيس السياتش الذي زرته.. زعيم من حذرونا من المجموعة المزيفة"
قال ليتو: "مرحبا بك يا سيدي. لم حذرتنا من إخراج هذا النصل من غمده؟"
ألقى ستيلجار نظرة على أيداهو وقال: "أنت اتبعت عادات وطقوس التطهر والشرف بيننا، فأسمح لك برؤية نصل الرجل الذي صادقتَه"، ثم مر بصره على الآخرين في القاعة. "لكني لا أعرف هؤلاء الآخرين. هل ستسمح لهم بتدنيس سلاح شريف؟"
قال الدوق: "أنا الدوق ليتو. هل تسمح لي برؤية هذا النصل؟"
قال ستيلجار: "سأسمح لك بأن تكتسب الحق في إزالته من غمده"
وعندما تعالت همهمات معترضة من حول الطاولة رفع يدا نحيفة، سوداء، متعرقة، وقال: "أذكركم بحقيقة أن هذا النصل يخص رجلا كان صديقا لكم"
وفي لحظة الصمت والانتظار التي حلت فحص بولس الرجل، شاعرا بهالة السلطة التي كانت تشع منه. لقد كان زعيما.. أحد قادة الفريمن.
تمتم رجل يجلس في منتصف القاعة في مقعد مواجه لبولس: "ومن يكون هو حتى يخبرنا بما يحق لنا فعله على أراكس؟"
قال الفريمني: "يقال أن الدوق ليتو أتريديز يحكم برضا المحكومين. لهذا يجب علي أن أخبركم بالطريقة التي تسير بها الأمور عندنا. يقع قدر من المسؤولية على من رأوا سكين كريسنايف"
وألقى نظرة سوداء على أيداهو. "يصبحون ملكنا. ولا يحق لهم أن يرحلوا عن أراكس أبدا دون إذن منا"
شرع هاليك وعدد من الآخرين في القيام من مقاعدهم، وعلى ملامحهم تعبيرات غاضبة.
قال هاليك: "الدوق ليتو هو من يقرر إن كـ..."
قال ليتو: "لحظة من فضلك"
كبحت نبرة الهدوء في صوته غضبهم. فكر: لا يجب أن يخرج هذا الأمر عن السيطرة.
وجه كلامه للفريمن: "سيدي، إني أحترم وأقدر الكرامة الشخصية لأي رجل يحترم كرامتي. أنا بالفعل مدين لكم، ودائما أسدد ديوني. إن كانت أعرافكم تقول أن يظل هذا السكين في غمده هنا إذن هذا هو ما سيحدث.. بأمري أنا. وإن كانت هناك أي طريقة إضافية يمكننا بها أن نكرم الرجل الذي مات في خدمتنا فما عليك إلا أن تذكرها"
حدق الفريمني في الدوق ثم أزاح لثامه جانبا في بطء، كاشفا أنفا رفيعا وفما بشفتين ممتلئتين تحيط بهما لحية شديدة السواد. ثم انحنى بتعمد على طرف الطاولة، وبصق على سطحها اللامع.
اندفع الرجال المتجمعون حول الطاولة واقفين فجأة على أقدامهم، لكن صوت أيداهو تردد عاليا في أرجاء القاعة قائلا: "توقفوا!"

وفي هذا السكون الفجائي المشحون قال أيداهو: "نشكرك يا ستيلجار على هدية ماء جسدك. ونقبلها بالروح السمحة التي تم تقديمها بها"

وبصق أيداهو على الطاولة أمام الدوق.

ثم وجه كلامه إلى الدوق بشكل جانبي: "تذكر يا مولاي ندرة الماء هنا. كان هذا علامة على الاحترام"

غاص ليتو عائدا لمقعده ولمح عيني بولس والابتسامة المرحة المرسومة على وجه ابنه، وشعر بارتخاء متدرج في حالة التوتر حول الطاولة إذ بدأ رجاله يستوعبون الأمر.

نظر الفريمني لأيداهو قائلا: "لقد أثبت جدارتك في سياتشي يا دنكن أيداهو. هل تربطك بدوقك رابطة ولاء؟"

قال أيداهو: "إنه يطلب مني الانضمام تحت إمرته يا مولاي"

سأل ليتو: "هل يقبل وجود ولاء مشترك؟"

"هل تريدني أن أذهب معه يا مولاي؟"

قال ليتو: "ما أريده هو أن تقرر الأمر بنفسك"، ولم يستطع إخفاء نبرة الاستعجال والأهمية في صوته.

نظر أيداهو للفريمني نظرة فاحصة. "هل تقبلني تحت هذه الشروط يا ستيلجار؟ ستأتي أوقات سيتحتم علي فيها أن أعود كي أخدم الدوق"

قال ستيلجار: "إنك بارع في القتال وقد قمت بأقصى ما يمكنك لمساعدة صديقنا"

نظر لليتو: "فليكن الأمر هكذا: ليحتفظ أيداهو بالكريسنايف التي يمسك بها، كعلامة على أن ولاءه صار تابعا لنا. يجب أن يتم تطهيره طبعا وأن تراعى الطقوس، لكنه أمر سهل القيام به. سيكون من الفريمن وفي نفس الوقت جنديا لآل أتريديز. هناك سابقة لمثل هذا: ف ليات يخدم سيدين"

سأل ليتو: "دنكن؟"

قال أيداهو: "أفهم يا مولاي"

قال ليتو: "إذن تم الاتفاق على الأمر"

قال ستيلجار: "ماؤك أصبح ملكا لنا يا دنكن أيداهو. جسد صديقنا سيبقى مع دوقك. ماؤه ملك لآل أتريديز. هذا ميثاق يربط بيننا"

تنهد ليتو وألقى نظرة على حواط فالتقت عينه بعين المنتات. أومأ حواط، وبدا على وجهه الرضا.

قال ستيلجار: "سأنتظر في الأسفل، حيثما يودع أيداهو أصدقاءه. كان اسم صديقنا الميت توروك. تذكروا هذا عندما يحين وقت انطلاق روح توروك. أنتم أصدقاء لتوروك"

وبدأ ستيلجار يستدير مبتعدا.

قال ليتو: "هلا بقيت معنا قليلا؟"

التفت الفريمني وهو يثبت لثامه في مكانه بحركة بسيطة، ويضبط تحته شيئا ما.

لمح بولس شيئا يبدو كأنبوب رفيع قبل أن يستقر اللثام في مكانه.

قال الفريمني متسائلا: "وهل هناك سبب كي أبقى؟"

قال الدوق: "نرغب في أن تشرفنا ببقائك"

قال الفريمني: "الشرف يستدعي أن أكون في مكان آخر قريبا"

وألقى نظرة أخرى على أيداهو، ثم استدار وخطا مارا بين حرس الباب.

قال ليتو: "لو باقي الفريمن مثله فسيخدم كل فريق منا صاحبه جيدا"
قال أيداهو بصوت جاف: "إنه عينة جيدة يا مولاي"
"هل تفهم ما عليك فعله يا دنكن؟"
"أنا سفيرك إلى الفريمن يا مولاي"
"الكثير متوقف عليك يا دنكن. سنحتاج على الأقل خمس كتائب من هؤلاء القوم قبل أن يهجم علينا الساردوكار"
"سيحتاج هذا الكثير من العمل يا مولاي. فالفريمن قوم مستقلون بطبيعتهم"
تردد أيداهو ثم قال: "وهناك أمر آخر يا مولاي. أحد المرتزقة الذين هاجمناهم كان يحاول أن يحصل على هذا النصل من صديقنا الفريمني الميت. قال جندي المرتزقة أن الهاركونن يعرضون مكافأة قدرها مليون سولاريس لأي شخص يتمكن من إحضار ولو سكين كريسنايف واحد"
ارتفعت ذقن ليتو في حركة دهشة واضحة: "ولم يحتاجون واحدا لهذه الدرجة؟"
"السكين يصنع من أحد أسنان دود الرمال، وهو علامة على الفريمن يا مولاي. وباستخدامه يمكن لأي شخص ذي عيون زرقاء اللون أن يتسلل إلى أي سياتش في الكوكب. ولو لم أكن معروفا عندهم لكانوا سيفتشوني أنا أيضا. لا أبدو كواحد من الفريمن لكن..."
قال الدوق: "بايتر دي فرايز"
قال حواط: "إنه رجل ذو مكر شيطاني يا سيدي"
أدخل أيداهو السكين المغمود تحت ردائه.
قال الدوق: "احرس هذا السكين"
"أفهم يا سيدي"
ربت على جهاز الإرسال الملحق بحزام أدواته: "سأرسل تقريري في أقرب وقت ممكن. ظوفر يعلم كود الاتصال الخاص بي. استخدموا شفرة المعارك"
أدى التحية واستدار على عقبه وأسرع لاحقا بالفريمني، وسمعوا خطوات أقدامه تدوي في الممر.
تبادل الدوق وحواط نظرة متفاهمة، وابتسما.
قال هاليك: "أمامنا الكثير لنفعله يا مولاي"
قال ليتو: "وأنا قد عطلتك عن عملك"
قال حواط: "معي التقرير الخاص بمقرات القواعد الطليعية. هل أؤجله لوقت آخر يا مولاي؟"
"هل سيستغرق الأمر وقتا طويلا؟"
"تقديم ملخص لن يستغرق كثيرا. يقال في أوساط الفريمن أنه كان يوجد أكثر من 200 مقر من تلك القواعد الطليعية تم إنشاؤها على أراكس خلال فترة محطات اختبار عمليات الإنبات الصحراوي. ومن المفترض أنها مهجورة كلها الآن. لكن هناك تقارير تقول أنه تم إغلاقها بإحكام قبل هجرانها"
سأل الدوق: "وبها معدات؟"
"حسب ما قالته التقارير التي وصلتني من دنكن"
سأل هاليك: "وأين مواقعها؟"
قال حواط: "الإجابة على هذا السؤال تكون دائما: ليات يعلم"

تمتم ليتو: "أي: الرب يعلم"
قال حواط: "ربما ليس هذا هو المعنى يا مولاي. فقد سمعت بنفسك ستيلجار وهو يستخدم الاسم. هل من الممكن أنه كان يعني شخصا حقيقيا؟"
قال هاليك: "جملة 'يخدم سيدين'.. تبدو لي وكأنها اقتباس ديني"
قال الدوق: "وأنت أدرى بهذه المسائل"
ابتسم هاليك.
قال ليتو: "قاضي التحكيم.. خبير البيئة التابع للإمبراطور، المسمى كاينز.. ألن يكون على علم بمواقع هذه القواعد؟"
قال حواط في لهجة تحذيرية: "مولاي.. كاينز هذا هو موظف عند الإمبراطور"
قال ليتو: "وهو على مسافة بعيدة جدا عن مكان الإمبراطور. إني أريد هذه القواعد. ستكون ممتلئة على آخرها بمواد يمكننا أن نستولي عليها وأن نستخدمها في تصليح معدات شغلنا"
قال حواط: "مولاي! هذه القواعد لا زالت تابعة قانونا لإقطاع جلالته الإمبراطور"
قال الدوق: "المناخ هنا رهيب بما يكفي لأن يدمر أي شيء. يمكن أن نلقي باللوم على المناخ. تواصل مع كاينز هذا وعلى الأقل اعرف إن كانت القواعد موجودة فعلا أم لا"
قال حواط: "الاستيلاء عليها عمل خطير. فقد كان دنكن واضحا بخصوص نقطة معينة: هذه القواعد - أو فكرة وجود هذه القواعد - لها دلالة عميقة عند الفريمن. فربما شعر الفريمن بنفور منا إن أخذنا هذه القواعد"
نظر بولس لوجوه الرجال من حوله، ورأى تركيزهم الشديد في متابعة كل كلمة تقال. بدا عليهم الانزعاج العميق من طريقة تفكير أبيه.
قال بولس في صوت منخفض: "استمع لكلامه يا أبي.. فما يقوله سليم"
قال حواط: "مولاي، حتى لو كانت هذه القواعد قادرة على إمدادنا بمواد تساعدنا في إصلاح كل المعدات المتروكة لنا فستظل في غير متناول يدنا، لأسباب استراتيجية. سيكون من التهور أن نقدم على الأمر دون جمع قدر أكبر من المعلومات. كاينز لديه سلطة تحكيم في المنازعات من البلاط الإمبراطوري. لا يجب أن ننسى هذا. والفريمن يذعنون له"
قال الدوق: "قم بالأمر بأسلوب لطيف إذن. ما أريد أن أعرفه هو إن كانت تلك القواعد موجودة فعلا"
تراجع حواط في مقعده وخفض بصره: "كما تريد يا مولاي"
قال الدوق: "حسنا إذن. نحن الآن مدركون لما نحن مقبلون عليه.. العمل. تدربنا عليه. عندنا خبرة فيه. نعرف المكاسب المتوقعة، والبدائل واضحة لنا بما فيه الكفاية. وكلكم يعلم واجباته المحددة"
ونظر لهاليك: "جيرني، اهتم أولا بموضوع المهربين هذا"
قال هاليك بصوت منغم: "سأذهب للمتمردين الذين في الأرض القاحلة يقيمون"[8]
قال الدوق: "يوما ما سأجد هذا الرجل عاجزا عن الإتيان باقتباس، وسيبدو ساعتها كما لو كان عاريا"
ترددت الضحكات حول الطاولة، لكن لاحظ بولس فيها قدرا من الافتعال.
التفت الدوق لحواط: "قم بتجهيز مقر قيادة إضافي للاستخبارات والاتصالات بهذا الطابق يا ظوفر. وحينما تنتهي من إعداده أريد أن أراك"
نهض حواط، ودار ببصره في المكان كما لو كان يطلب العون، ثم استدار مبتعدا، يقود موكب الحاضرين لخارج القاعة.

---

8 مزمور 68: 6 (المترجم)

تحرك الآخرون في تعجل، واحتكت مقاعدهم بالأرضية، وقد تجمعوا في روابط صغيرة مضطربة.
فكر بولس وهو ينظر لظهور آخر المغادرين: انتهى الاجتماع في حالة اضطراب. في السابق كانت اجتماعات أركان الحرب تنتهي واضحة المعالم ومحددة. أما هذا الاجتماع فبدا أنه انتهى بالتدريج، بشكل هزيل متقطع، وقد أصابه الإرهاق نتيجة لقلة كفاءته.. وفوق كل هذا فإنه انتهى بجدال أيضا.
ولأول مرة سمح بولس لنفسه بأن يفكر في احتمالية الهزيمة. لم يخطر له هذا من جراء شعوره بالخوف أو بسبب تحذيرات السيدة الموقرة العجوز، بل بسبب تقديره الشخصي للموقف.
فكر: إن أبي يشعر باليأس. الأمور لم تعد تسير على هوانا إطلاقا.
وحواط. تذكر بولس كيف تصرف المنتات العجوز أثناء الاجتماع. ترددات خفية.. علامات اضطراب.
كان حواط قلقا بشدة من أمر ما.
قال الدوق: "الأفضل أن تبقى هنا باقي الليلة يا بني. فالفجر قريب على أية الحال. وسأبلغ أمك"
نهض على قدميه، ببطء، وبحركة متخشبة. "لم لا تجمع بعض هذه المقاعد جوار بعض وتمدد عليها لترتاح قليلا"
"لا أشعر بتعب شديد يا سيدي"
"كما تحب"
جمع الدوق يديه خلف ظهره وراح يسير ذهابا وإيابا جوار الطاولة.
فكر بولس: وكأنه حيوان أسير في قفص.
قال: "هل ستناقش مع حواط احتمالية وجود خائن؟"
توقف الدوق في الجهة المقابلة لابنه، وتكلم وهو ينظر للنوافذ المظلمة: "لقد ناقشنا - أنا وهو - الاحتمالية مرات عديدة"
قال بولس: "المرأة العجوز بدت متأكدة للغاية مما تقول. والرسالة التي وجدتها أمي ت..."
قال الدوق: "تم اتخاذ الاحتياطات المناسبة"
ونظر حوله في أرجاء القاعة، فلاحظ بولس في عيني أبيه نظرة الطريدة في البرية.
"ابق هنا. هناك بعض الأمور بخصوص مقرات القيادة أرغب في مناقشتها مع ظوفر"
واستدار، مسرعا لخارج القاعة، مع إيماءة قصيرة لحراس الباب.
حدق بولس في الموضع الذي كان يشغله أبوه قبل لحظات. كان الموضع فارغا حتى من قبل أن يغادر الدوق القاعة.
وتذكر تحذير المرأة العجوز: "... أما الأب فلا شيء له"

الفصل 13

"في ذلك اليوم الذي سارت فيه عربة المؤدب وأسرته في طرقات أراكين لأول مرة، تذكّر بعض أفراد الشعب - الواقفون على جانب الطريق - الأساطير والنبوءات القديمة.. فتشجعوا وصاحوا: 'المهدي!'
لكن صيحاتهم تلك كانت سؤالا أكثر من كونها تصريحا.. حيث أن ظنهم - في ذلك الوقت - كان مجرد رجاء.. أمل في أنه هو المنتظَر المسمى 'لسان الغيب'.. الصوت القادم من العالم الخارجي.
وكان انتباههم منصبا أيضا على الأم، حيث سمعوا أنها من البني-جيزيرت، وكان واضحا لهم أنه يمكن اعتبارها 'لسان غيب' آخر"

من كتاب "دليل المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

وجد الدوق ظوفر حواط وحيدا في الحجرة الجانبية التي أرشده الحارس إليها.
من حجرة مجاورة كانت تصدر أصوات رجال يقومون بتركيب أجهزة اتصالات، لكن هنا كان المكان هادئا لحد كبير.
دار الدوق ببصره في المكان، وقام حواط من أمام المنضدة المزدحمة بالأوراق التي كان يجلس إليها.
بالإضافة للمنضدة كان بالحجرة ذات الحوائط الخضراء ثلاثة مقاعد مضادة للجاذبية، يبدو أن حرف الـ هـ الهاركوني تم نزعه منها على عجل، تاركا وراءه بقعة يختلف لون طلائها عما حولها.
قال حواط: "مقاعد مسلوبة، لكنها آمنة تماما. أين بولس يا مولاي؟"
"تركته في قاعة الاجتماعات. أتمنى أن ينال بعض الراحة إن تركته في المكان بمفرده دون أن يشتته وجودي"
أومأ حواط وخطا نحو الباب المؤدي للحجرة المجاورة، وأغلقه، كاتما ضوضاء الكهرباء الاستاتيكية وفرقعات الشرر الإلكتروني.
قال ليتو: "ظوفر، يشغلني أمر مخازن البهار الاحتياطية التابعة لكل من الإمبراطور وآل هاركونن"
"سيدي؟"
زم الدوق شفتيه: "المخازن في العادة عُرضة للفساد"
رفع يده لمقاطعة حواط قبل أن يبدأ في الكلام: "تجاهل ما يكنزه الإمبراطور من مخزون. أما إن تعرض الهاركونن للإحراج فسيشعر بشماتة خفية فيهم. وعلى أية حال هل يستطيع البارون أن يعترض عند تدمير شيء لا يمكنه أصلا الاعتراف علانية بامتلاكه؟"
هز حواط رأسه: "لكن لا يمكننا حاليا الاستغناء إلا عن عدد قليل من رجالنا"
"استخدم بعض رجال أيداهو. وربما هناك بعض الفريمن ممن قد يبتهجون لخروجهم في رحلة لكوكب آخر. غارة على كوكب جيدي برايم الهاركوني.. إنه هجوم جانبي له فوائد تكتيكية يا ظوفر"
"كما تريد يا سيدي". استدار حواط فلمح الدوق علامات قلق عصبي على وجه العجوز. فكر: ربما يظنني غير واثق فيه. بالتأكيد نما إلى علمه أنه وصلتني تقارير خاصة بشأن وجود خونة. الأفضل أن أهدئ مخاوفه تلك في الحال.
قال: "ظوفر، حيث أنك من القلة التي أثق فيها ثقة تامة فإن هناك أمر آخر أرغب في مناقشته معك. كلانا يعلم حرصنا

الدائب على منع اختراق أي خونة لصفوفنا.. لكن عندي تقريران جديدان بهذا الشأن"
استدار حواط وحدق فيه.
أعاد ليتو سرد المعلومات التي جاءه بها بولس.
وبدلا من أن تستحضر تلك التقارير في حواط تركيزه المنتاتي الشديد فإنها لم تفلح إلا في زيادة قلقه.
تفرس ليتو في الرجل العجوز ثم قال بعد لحظات: "إنك تكتم عني أمرا ما يا صديقي القديم. كان عليّ أن أنتبه لهذا لما رأيتك مضطربا للغاية أثناء الاجتماع. ما هذا الأمر شديد الخطورة لدرجة إحجامك عن التصريح به أمام باقي الحضور؟"
انطبقت شفتا حواط - المصبوغتان بلون مشروب السافو - بشدة، وتحولتا لخط مستقيم متزمت تشع منه خطوط تجاعيد صغيرة. ظلا على تزمتهما المتجعد وهو يقول: "سيدي، لا أدري الطريقة المناسبة لمفاتحتك في هذا الموضوع"
قال الدوق: "لقد أصابتنا ندوب كثيرة دفاعا عن بعضنا البعض يا ظوفر.. تعلم تماما أنه يمكنك مفاتحتي في أي موضوع بلا خوف"
استمر حواط في التحديق به، مفكرا: هذه هي الحال التي أحب أن يكون عليها دائما. إنه رجل شريف يستحق مني كل ذرة ولاء وطاعة. لماذا يتحتم علي أن أسبب له الألم؟
استعجله ليتو قائلا: "تكلم"
هز حواط كتفيه. "إن الأمر يخص قصاصة رسالة. أخذناها من جاسوس هاركوني. كان يراد توصيلها لعميل اسمه باردي. عندنا أسباب قوية لاعتقاد أن باردي هذا كان كبير شبكة عملاء الهاركونن السريين. الرسالة.. إنها شيء قد تكون له عواقب خطيرة أو لا عواقب إطلاقا. فهي محتملة لتفسيرات متعددة"
"وما هذا المحتوى الحساس الذي انطوت عليه هذه الرسالة؟"
"مجرد قصاصة من رسالة يا سيدي. غير مكتملة. كانت مسجلة على شريط ميكروني مصحوب بكبسولة تدمير كالعادة. نجحنا في إيقاف تأثير الحمض قبل أن يمحوها بالكامل، فلم تبق سوى قطعة جزئية. إلا أن هذه القطعة الباقية لها مدلولات واضحة"
"وهي؟"
حك حواط شفتيه: "إنها تقول:
'...يتو لن يرتاب في الأمر أبدا. وعندما تفاجئه الضربة من يد يحبها فإن صدمة معرفته بمصدرها وحدها ستكفي لتدميره'
الرسالة كانت مختومة بختم البارون ذاته، وقد تأكدت من صحة الختم"
قال الدوق: "واضح إلى من تتجه شكوكك"، وصار صوته فجأة باردا.
قال حواط: "أحب لي أن أقطع ذراعي من أن أتسبب لك في ألم. سيدي، ماذا لو..."
قال ليتو: "الليدي جيسيكا"، وشعر بالغضب يتملكه. "ألم تستطع انتزاع الحقيقة كاملة من هذا الباردي؟"
"للأسف لم يكن باردي على قيد الحياة عندما اعترضنا سبيل الرسالة. أما الجاسوس الحامل لها فأنا على يقين من أنه لم يكن يعلم محتوى ما يحمله"
"فهمت"
هز ليتو رأسه في قوة مفكرا: يا له من موضوع مقزز. لا يمكن أن يكون حقيقيا. فأنا أعرف امرأتي جيدا.
"سيدي، لو..."
صاح الدوق: "لا! بالتأكيد في الأمر خطأ ما يـ..."
"لا يمكننا تجاهل المسألة يا سيدي"

"إنها معي منذ 16 سنة! أتيحت لها فرص لا حصر لها كي.. أنت بنفسك فحصت أمر المدرسة والمرأة!"
رد حواط بمرارة: "أحيانا تفوتني بعض الأشياء"
"أقول لك أن الأمر مستحيل! فالهاركونن يرغبون في إفناء سلالة آل أتريديز.. بما في ذلك بولس أيضا. وقد حاولوا مرة بالفعل. هل يمكن أن تتآمر امرأة ضد ابنها؟"
"ربما لا تتآمر ضد ابنها. ومحاولة الاغتيال بالأمس قد تكون خدعة ماكرة"
"لا يمكن أن تكون خدعة"
"مولاي، نحن نفترض أنها لا تعرف نسبها.. لكن ماذا لو كانت تعرفه فعلا؟ ماذا لو كانت يتيمة على سبيل المثال، وكان من تسبب في يتمها هو أحد آل أتريديز؟"
"إذن لكانت أقدمت على فعلتها منذ زمن طويل. سم في شرابي.. طعنة أثناء نومي. من أتيحت له فرص مناسبة أكثر مما أتيح لها؟"
"ما يهدف له الهاركونن هو تدميرك يا سيدي. فمرادهم ليس القتل فقط. ففي قواعد الكانلي هناك مستويات دقيقة للتمييز بين الأمرين. قد يكون هذا انتقاما بارعا لا مثيل له"
هوت كتفا الدوق لأسفل. أغلق عينيه، وبدا وكأنه شيخ متعب.
فكر: لا يمكن أن يكون هذا حقيقيا.. فالمرأة قد فتحت لي قلبها.
سأل: "وأي طريقة أفضل لتدميري من زرع الشك داخلي تجاه المرأة التي أحب؟"
قال حواط: "وهو تفسير خطر لي فعلا. لكن..."
فتح الدوق عينيه وحدق في حواط، مفكرا: دعه يشك. فالشك هو مهنته، لا مهنتي. ربما لو بدا أني أصدق فقد يجعله هذا متهاونا في عمله.
همس الدوق: "وماذا تقترح؟"
"في هذه المرحلة أقترح مراقبة دائمة يا سيدي. يجب أن نضعها تحت الملاحظة طوال الوقت. وسأحرص على أن يتم الأمر دون انتباهها له. أيداهو هو الاختيار المثالي لهذه المهمة. ربما في غضون أسبوع أو اثنين يمكن أن نستدعيه. هناك شاب كنا ندربه ضمن جنود أيداهو يمكنه أن يكون البديل المثالي لإرساله للفريمن. موهوب في الشؤون الدبلوماسية"
"لا تفسد علاقتنا التي نبنيها مع الفريمن"
"بالطبع يا مولاي"
"وماذا عن بولس؟"
"ربما يجب أن ننبه الدكتور يوي"
أدار ليتو ظهره لحواط: "سأترك هذا الأمر بين يديك"
"سأتعامل معه بحرص وسرية يا سيدي"
فكر ليتو: على الأقل يمكنني الاعتماد على هذا.
وقال: "سأتمشى قليلا. إن احتجتني في شيء فسأظل داخل حدود المكان. ويمكن للحارس أن..."
"سيدي، قبل أن تذهب، معي ميكروفيلم عليك أن تقرأه. عبارة عن تحليل مبدئي تقريبي عن ديانة الفريمن. وكما تذكر كنتَ قد طلبت مني أن أجمع تقريرا عنها"
توقف الدوق، وتكلم دون أن يستدير: "ألا يمكن للأمر أن ينتظر؟"

"بالطبع يا سيدي. لكنك كنت قد استفسرت عن الكلمة التي كانوا يصيحون بها. إنها 'المهدي'!.. وقد وجهوها للسيد الصغير. عندما..."

"لبولس؟"

"أجل يا سيدي. فعندهم هنا أسطورة.. نبوءة.. تقول أن قائدا سيأتي لهم، وسيكون ابنا لبني-جيزيرت، وسيقودهم للحرية الحقيقية. الأسطورة تتبع النمط المألوف لأساطير المسيح المنتظَر"

"ويظنون أن بولس هو هذا الـ.. الـ..."

"يأملون فقط يا سيدي"، ومد يده بكبسولة قصاصة ميكروفيلم.

تناولها الدوق ودفعها في أحد جيوبه: "سأنظر لها لاحقا"

"بالطبع يا سيدي"

"أما في هذه اللحظة فإني أحتاج وقتا لـ.. للتفكير"

"أجل يا سيدي"

أخذ الدوق نفسا عميقا وتنهد، ثم خطا مسرعا عبر الباب. مال يمينا هابطا للردهة، ثم بدأ يسير - ويداه خلف ظهره - غير منتبه أين يسير. كانت هناك ممرات وسلالم وشرفات وردهات.. وناس قدموا له التحية وانزاحوا جانبا كي يوسعوا له الطريق.

بعد فترة عاد لقاعة الاجتماعات، فوجدها مظلمة، ووجد بولس نائما على الطاولة ورداء أحد الحراس ملقى فوقه، وقد اتخذ حقيبة صغيرة كوسادة. سار الدوق بهدوء عابرا القاعة حتى وصل للشرفة المطلة على ساحة المطار. كان أحد الحراس واقفا في ركن الشرفة، فوقف منضبطا في حركة انتباه عسكري عندما تعرف على الدوق على الضوء الخافت المنعكس من الساحة.

تمتم الدوق: "استرح"

واتكأ على المعدن البارد لحاجز الشرفة.

هبط على منطقة الحوض الصحراوي ذلك السكون الذي يسبق طلوع الفجر.

رفع بصره فرأى النجوم أمامه كشال مزين بالترتر وملقى على خلفية زرقاء داكنة.

وفي مكان منخفض عند الأفق الجنوبي كان قمر الليلة الثاني يطل عبر غيامة غبار رقيقة..

كان قمرا مشككا ينظر له بنور ساخر.

وأمام ناظري الدوق انخفض القمر تحت تلال الجدار الجبلي، ناشرا نوره الأبيض عليها وكأنه ثلج. وفي شدة الظلام المفاجئ شعر بارتعاشة. ارتجف.

وتصاعد الغضب مسيطرا عليه.

فكر: هذه هي آخر مرة يطاردني فيها الهاركونن ويعيقونني ويحاولون افتراسي. فليسوا إلا أكوام روث لها عقول عمدة قرية! هنا سأقف مواجها لهم.

وفكر - بلمسة حزن - : علي أن أدير حكمي بالعين والمخلب.. كالصقر وسط ضعاف الطيور.

وعن دون قصد مسحت يده شعار الصقر المعلق على ردائه.

ناحية الشرق نبت من الليل خط طويل مضيء بلون رمادي، ثم تحول لشكل صدفة بحرية براقة بحيث طغت على ضوء النجوم. ثم جاءت حركة الفجر، البطيئة، التي تستحق في روعتها أن تُدق لها الأجراس، وشقت لنفسها طريقا بين الأفق المتكسر. كان المشهد على درجة من الجمال سيطرت على كل انتباهه.

فكر: بعض الأشياء ترغم المرء على الإعجاب بها.

لم يمكنه تصور وجود أي شيء هنا على نفس درجة جمال هذا الأفق الأحمر المتكسر وتلك التلال الأرجوانية الملونة بلون المُغرة.

ووراء ساحة المطار - حيث ندى الليل الخفيف يعطي لمسة الحياة لبذور أراكس المسرعة - رأى أشباه البِرك الصغيرة مكونة من أزهار حمراء، ويخترقها خط واضح من البنفسج.. وكأنه آثار أقدام عملاقة.

قال الحارس: "إنه صباح جميل يا مولاي"

"هو حقا كذلك"

وأومأ الدوق مفكرا: ربما سيعجبني هذا الكوكب مع مرور الوقت. ربما سيصبح وطنا صالحا لولدي.

ثم رأى الأشخاص المقتربين من حقول الزهور، يمسحونها باستخدام آلات غريبة تشبه المناجل.

جامعو الندى.

الماء هنا وصلت به الندرة لدرجة أن الندى ذاته يجب أن يُجمع.

وفكر الدوق: ويمكن أن يكون مكانا بشعا أيضا.

الفصل 14

"أشد لحظات الاستنارة المعرفية التي تمر على المرء هي تلك اللحظة التي يدرك فيها أن أباه ليس إلا مجرد إنسان، من لحم ودم"

من كتاب "أقوال المؤدِّب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

قال الدوق: "بولس، ما أفعله بغيض إلى نفسي، لكن لا مفر منه"
كان واقفا جوار جهاز "شمام السموم" النقال الذي تم إحضاره لغرفة الاجتماعات كي يفحص طعام الإفطار. ارتخت أذرع مجسات الجهاز على المائدة، فظهر لبولس وكأنه جسد حشرة غريبة ماتت قبل لحظات.
كان انتباه الدوق مشدودا ناحية النوافذ، وهو ينظر إلى الساحة المخصصة لهبوط الطائرات، بأتربتها المثارة المرتفعة إلى سماء الصباح.
أمام ناظري بولس كانت شاشة عارض عليها قصاصة ميكروفيلم قصيرة تتحدث عن طقوس الفريمِن الدينية، تم جمعها بواسطة أحد الخبراء العاملين تحت إمرة حواط.
شعر بولس بانزعاج عندما رأى الأجزاء التي تشير إليه.
'المهدي! Mahdi'.. 'لسان الغيب! Lisan al-Gaib'
يمكنه أن يغلق عينيه فيسترجع بسهولة ذكرى صيحات الجموع. هذا إذن هو أملهم المنشود؟
وتذكر الكلمة التي قالتها السيدة الموقرة.. كويزاتس هاديراك.
أحيت هذه الذكريات داخله شعوره السابق بوجود "غاية رهيبة" لحياته. وشعورا آخر لم يفهمه.. شعوره بأن عالم هذا الكوكب الغريب مألوف له بالفعل!
قال الدوق: "إنه شيء بغيض"
"ماذا تعني يا سيدي؟"
التفت ليتو ونظر إلى ابنه. "يظن الهاركونن أنهم قادرون على خداعي وجعلي أفقد الثقة في أمك. لا يعلمون أن ثقتي فيها تفوق حتى ثقتي في نفسي!"
"لا أفهم ما تقصده يا سيدي"
وهنا نظر ليتو مرة أخرى من النافذة. الشمس البيضاء التي وصلت لأقصى ارتفاع في مسارها اليومي.. الضوء ينساب كاللبن عبر سحب الغبار والتي - بدورها - تحاول تسلق صخور الجدار الجبلي الحامي للساحة وأن تدخل عبر فراغاته.
أخبر الدوق بولس بمحتوى الرسالة الغامضة المعثور عليها. تكلم ببطء كي يتحكم في الغضب الذي يشعر به.
قال بولس: "لا يعلمون أن ثقتك في أمي تقترب من درجة ثقتك فيّ أنا، بل وتفوقها"
قال الدوق: "لكن يجب أن يقتنع خصومنا أنهم نجحوا في خداعي، وأني على هذه الدرجة من الحماقة. يجب أن تبدو هذه التمثيلية حقيقية، وأن نخفي ثقتي في أمك حتى عن أمك ذاتها!"
"لكن.. لأي هدف يا سيدي؟!"
"ردود أفعال أمك يجب أن تكون طبيعية. لا شك عندي طبعا في قدرتها على التمثيل، لكن الأمر مهم ولا تجب المخاطرة

فيه. هدفي هو أن أكشف الخائن الحقيقي، ولهذا يجب أن أظهر وكأني وقعت في الخدعة وصدقت أن أمك هي الخائن. شكوكي الظاهرية قد تسبب لها بعض الألم الآن لكنها في مصلحتها على المدى البعيد"

"إذن لماذا أخبرتني يا أبي؟ فربما أفشل في التمثيل وتنكشف الخدعة"

قال الدوق: "لن يدققوا كثيرا في ردود أفعالك على هذا الأمر. وعلى أية حال يجب أن تجتهد في الحفاظ على السر"

سار مقتربا من النوافذ وتكلم دون أن يلتفت للوراء: "وهكذا سيكون بإمكانك أن تخبر أمك بحقيقة مشاعري وبثقتي فيها.. إن حدث لي شيء. اخبرها أني لم أشك فيها ولو للحظة واحدة. يهمني أن تكون أمك على علم بهذا ومتأكدة منه"

فهم بولس كلمات أبيه وما تحويه من إشارة إلى الموت، فتحدث بسرعة قائلا: "لا شيء سيحدث لك يا سيدي. الـ..."

"اصمت يا بني"

حدق بولس في ظهر أبيه، ورأى ملامح الإرهاق ظاهرة على جسده. ظاهرة في بطء حركاته وفي انحناءة رقبته وفي ارتخاء كتفيه.

"الأمر وما فيه يا أبي هو أنك تشعر بالتعب ليس إلا"

وافقه الدوق قائلا: "أنا متعب فعلا، لكن تعبي معنوي. يبدو أن التدهور الكئيب المسيطر على أسر النبلاء قد أصابني أخيرا. كم كنا أقوياء في الماضي!"

قال بولس في سرعة وغضب: "عائلتنا الحاكمة لم تتدهور!"

"متأكد؟"

التفت الدوق لينظر لابنه، وبانت الدوائر السوداء الظاهرة تحت العينين الحادتين، والالتواء الحزين الظاهر على الفم.

"أرغب في أن أعلن أمك كزوجة رسمية لي، وأن تصبح دوقة.. لكني أعرف أن امتناعي عن الزواج يعطي نبلاء العوائل الأخرى أملا في أن أتحالف مع أحدهم في المستقبل عن طريق التزوج بإحدى بناتهم"

ثم هز كتفيه وقال: "ولهذا لا..."

"أمي شرحت لي هذا الأمر"

"أعرف أيضا أن ولاء الآخرين للقائد يزيد كلما صار معروفا بثقته بنفسه.. ولهذا أحرص على أن أكون مشهورا بالثقة بالنفس"

اعترض بولس قائلا: "لكن قيادتك حكيمة وحكمك منضبط. الرجال يطيعونك طواعية ويحبونك"

قال الدوق: "لأني أملك آلة بروباجاندا إعلامية ممتازة"

ثم عاد لينظر للساحة الخارجية.

"الإمكانات المستقبلية المتوفرة لنا هنا على أرّاكس تفوق كل ظنون الإمبراطور ومخاوفه.. ومع ذلك أشعر أنه كان من الأفضل لنا أن نهرب بعيدا.. أن ننشق. أحيانا أتمنى أن نذوب بين الناس ونختفي، فيقل تعرضنا لـ..."

"أبي!"

"عندك حق.. يبدو أني متعب فعلا.

هل تعلم أننا بدأنا في استخدام فضلات البهار كمادة تصنيع، وأننا نملك بالفعل مصنعا لإنتاج الشاشات الورقية؟

"سيدي؟"

قال الدوق بتهكم حزين: "طبعا يجب أن نحرص على أن تكون الشاشات الورقية متوفرة طوال الوقت، وإلا لعجزنا عن أن نغرق القرى والمدن بمعلوماتنا وأخبارنا. الشعب يجب أن يظل مطلعا بشكل دائم على نجاحاتي في إدارة أمورهم. كيف

سيعلمون إذن بإدارتي الحكيمة إن لم نخبرهم باستمرار؟"
قال بولس: "عليك أن ترتاح قليلا"
واجه الدوق ابنه مرة أخرى وقال: "كوكب أراكس له ميزة أخرى كدت أنسى أن أخبرك بها. البهار هنا يدخل في كل شيء وكل مكان. الجميع يتنفسه ويأكله لا محالة. علمت أن هذا يؤدي لإكساب الجسم مناعة طبيعية ضد كثير من السموم المشهورة والموجودة في كتاب (دليل الاغتيال). وفي نفس الوقت فإن الاضطرار للتدقيق الشديد في استهلاك الماء وعدم الإسراف يؤديان لوضع الأغذية والأطعمة تحت مراقبة شديدة.. عمليات الخبز والاستزراع المائي والتخمير. وهكذا يستحيل مثلا أن نقضي على أعداد كبيرة من المواطنين باستخدام السموم الكيماوية، ويستحيل أيضا أن تتم مهاجمتنا بنفس الطريقة. إن أرّاكس يجبرنا ويجبرهم على أن نكون أخلاقيين"
حاول بولس أن يبدأ في الكلام لكن الدوق قاطعه قائلا: "هذه أمور أحتاج للفضفضة بها لأحد يا بني". تنهد ونظر وراء ظهره ناحية المنظر الجاف للساحة. حتى أزهار الصباح كانت قد اختفت، داسها 'جامعو الندى'، وذوت تحت وطأة الشمس.
قال الدوق: "على كالادان حكمنا باستخدام القوة البحرية والجوية، أما هنا فعلينا السعي لاقتناص قوة الصحراء. هذا هو ميراثك يا بولس. ماذا سيكون مصيرك إن حدث لي شيء؟ لن تصبحوا عائلة مختفية وذائبة، بل عائلة مضطرة لحرب العصابات.. معرضة للمطاردة باستمرار"
عجز بولس عن التفوه بشيء. لم يسبق له أن رأى أباه على هذه الدرجة من القنوط والاكتئاب.
قال الدوق: "كي نحافظ على حكمنا لأراكس تواجهنا قرارات قد تخدش احترامنا لأنفسنا". أشار بيده لخارج النافذة ناحية راية آل أتريديز بلونيها الأخضر والأسود، والتي كانت مرتخية ومعلقة على سارية العلم الموضوعة في نهاية ساحة هبوط الطائرات.
"هذه الراية الشريفة قد تتحول في المستقبل وتصبح رمزا لكثير من الأفعال الشريرة"
حاول بولس ابتلاع ريقه لكن حلقه كان جافا. كلمات والده كانت محملة بحتمية يائسة واستسلام قدري تركا الصبي شاعرا بفراغ داخل صدره.
أخرج الدوق من أحد جيوبه حبة معالجة للإرهاق، وابتلعها دون ماء.
"القوة والخوف هما أدوات الحكم. يجب أن أصدر أمرا بأن يتم التركيز في تدريبك على تكتيك حرب العصابات. في تلك القصاصة التي أمامك يطلقون عليك 'المهدي' و 'لسان الغيب'.. كإجراء اضطراري أخير ربما سيكون بإمكانك أن تستغل هذا لصالحك"
حدق بولس في أبيه.. رأى ارتخاء الكتفين يزول بالتدريج تحت تأثير حبة الدواء، لكن لم يستطع نسيان الكلمات المحملة بمشاعر الخوف والشك.
قال الدوق في تذمر: "لم تأخر الخبير البيئي هكذا؟.. ألم أخبر ظوفر أن يحضره مبكرا؟"

الفصل 15

"في أحد الأيام أمسكني أبي - الإمبراطور الباديشي - من يدي، وقادني معه.
باستخدام 'الأساليب' التي علمتني أمي إياها استطعت أن أستشعر إحساسه الداخلي بالانزعاج.
مشينا في ردهة اللوحات حتى وصلنا للصورة المجسدة التي تصور الدوق ليتو أتريدين.
لاحظت التشابه الشديد بينهما.. أبي والرجل الظاهر في الصورة. الوجه الرفيع الأنيق.. ملامح الوجه الحادة والتي تتوسطها عينان صارمتان.
وهنا قال أبي: 'ابنتي الأميرة.. كم كنت أتمنى أن عمرك كان أكبر عندما قرر هذا الرجل اختيار رفيقة له من النساء'
كان عمر أبي 71 سنة عندما قال لي هذا، والرجل الظاهر في الصورة كان قريبا منه في العمر، أما أنا فلم أكن أتجاوز الـ 14، ومع هذا أتذكر ما خطر في بالي وقتها:
إن أبي يتمنى لو أن الدوق كان ابنا له، ويأسف في سريرته لوجود تلك الاعتبارات السياسية الضرورية التي جعلتهما أعداء"

من كتاب "في بيت أبي"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

كان دكتور كاينز مأمورا بأن يخونهم، لكنه خرج من لقائه الأول بهم مهزوزا.
لطالما نظر لنفسه في السابق على أنه عالم تجريبي، لا يتأثر بالأساطير، بل يتعامل معها على أنها مجرد قصص مثيرة يمكن استخدامها كعلامات تشير للجذور الثقافية للمجتمع.. لكن النبوءات القديمة تنطبق على الصبي انطباقا مبهرا بالفعل، خصوصا ما يتصف به من 'عين لماحة' و'لهجة صادقة' وأسلوب متحفظ.
يعلم بالطبع أن النبوءة فيها مساحة مفتوحة للتأويل، خصوصا في مسألة ما إن كانت 'الأم المقدسة' ستأتي للكوكب ومعها 'المسيا/المسيح' المنتظر أم أنها ستلده هنا.. لكن - في الوقت ذاته - لا يمكن إنكار وجود توافق عجيب بين الشخص والنبوءة.
حدث اللقاء وقت الضحى، خارج المكتب الإداري الملحق بساحة المطار في مدينة أراكين. في مكان قريب كانت تقبع طائرة أورنيثوبتر عادية، تصدر عنها همهمة خافتة - وكأنها حشرة ناعسة - لكونها متروكة في وضع الاستعداد.
جوارها وقف حارس أتريدي، مشهرا سيفه، وتحيط بجسده تلك التموجات الهوائية الخفيفة المشيرة لارتدائه درع طاقة.
سخر منه كاينز في نفسه عندما رأى تموجات الدرع، وفكر: أرّاكس يخفي لهم مفاجأة بهذا الشأن!
رفع كاينز - خبير البيئة الكوكبية - إحدى يديه، مشيرا لحارسه الفريمني بالانتظار في هذا المكان، ثم أسرع هو للأمام تجاه مدخل المبنى.. تلك الفتحة المظلمة التي تحيط بها حجارة مغطاة بطبقة من البلاستيك.
فكر: كم هو مكشوف هذا المبنى المنفرد، وغير محمي! الكهوف توفر حماية أفضل بكثير من المباني.
انتبه لحركة تحدث في المدخل، فتوقف، وشغل لحظة الانتظار هذه بأن سوّى رداءه وضبط أحد أجزاء بذلة التقطير عند كتفه الأيسر.
انفتحت أبواب المدخل على مصراعيها، وبسرعة خرج منها حراس أتريديون، كلهم مسلح بعدة أسلحة: صواعق بطيئة الطلقات، وسيوف، ودروع.
ومن ورائهم ظهر رجل طويل القامة، ذو وجه يشبه الصقور، وداكن البشرة والشعر. كان يرتدي عباءة جبة Jubba مزينة

على الصدر بشارة آل أتريديز، وبدا جليا - من طريقة ارتدائه إياها - أنه لم يتعود على ارتداء هذا النوع من الملابس.. إذ التصقت بأحد جانبي رِجلي بذلة التقطير التي يرتديها تحتها، وكانت حركتها مفتقدة للإيقاع الحر السريع.

جوار الرجل كان يسير فتى له نفس الشعر الأسود الداكن، لكن وجهه مستدير.

بدا الفتى صغير الحجم بالنسبة لشخص - كما كان كاينز يعلم - عمره 15 سنة. لكن هذا الجسد الصغير كانت تظهر عليه أمارات القيادة، واتزان واثق بالنفس، كما لو كان يرى ويدرك مما حوله أشياء يعجز الآخرون عن رؤيتها.

كان مرتديا نفس نوع العباءة التي يرتديها أبوه إلا أنها بدت عليه مريحة وطبيعية بحيث بدا للناظر كما لو أن الفتى تعود طوال عمره على هذه الملابس.

وقد ورد في النبوءة: سيكون المهدي مدركا لأمور لا يدركها الآخرون.

هز كاينز رأسه بقوة، مخبرا نفسه: إنهم مجرد ناس عاديون.

برفقة الاثنين جاء رجل - يرتدي مثلهم ملابس الصحراء - وتعرف عليه كاينز.. جيرني هاليك.

أخذ كاينز نفسا عميقا كي يهدئ من حدة الاستياء الذي يشعر به تجاه هاليك. كان هاليك هو من قام بتلقينه ملخص أساليب التعامل الرسمية مع الدوق وولي عهده.

"عليك أن تدعو الدوق بكلمة: سيدي، أو مولاي. لقب 'سليل النبلاء' صحيح أيضا، لكنه يستخدم عادة للمناسبات الأكثر رسمية. أما الابن فعليك أن تناديه بـ 'سيدي الصغير' أو 'سيدي'. الدوق رجل لين الجانب، لكن لا يتحمل من رفع الكلفة إلا القليل"

وفكر كاينز وهو يراقب المجموعة المتقدمة نحوه: سيعلمون في القريب العاجل من هو السيد الحقيقي على أراكس. كيف يجرؤون على إرغامي على قضاء نصف ليلة متعرضا للاستجواب على يد ذاك المنتات؟

ويتوقعون مني أيضا أن أرشدهم خلال رحلة للتفتيش على سير أعمال التنقيب عن البهار؟

لم يفت على كاينز مغزى الأسئلة التي وجهها له حواط. إنهم يريدون الحصول على مقرات القواعد التابعة للإمبراطور. وكان جليا أنهم عرفوا بشأنها عن طريق أيداهو.

أخبر كاينز نفسه: سأجعل ستيلجار يبعث برأس أيداهو لهذا الدوق.

كانت المجموعة الدوقية في هذه اللحظة على بعد خطوات قليلة، وأقدامهم - في أحذيتها الصحراوية - تسحق الرمال.

انحنى كاينز: "سيدي الدوق"

تفرس ليتو - خلال اقترابه - في الرجل الذي يقف منفردا جوار الأورنيثوبتر.

طويل، نحيف، يرتدي ملابس صحراوية: ثوب فضفاض، بذلة تقطير، حذاء منخفض. كانت قلنسوة الرجل ملقاة للخلف، ولثامها معلق على أحد الجانبين، كاشفا الشعر الطويل بلون صفرة الرمال، واللحية الخفيفة. أما العينان فكانتا بذلك اللون الذي لا يبدو له قعر: أزرق في أزرق، وفوقهما حاجبين كثيفين. أسفل محجري العينين كانت توجد بقع داكنة تلطخ البشرة.

قال الدوق: "أنت الخبير البيئي؟"

قال كاينز: "هنا نفضل اللقب القديم يا سيدي.. خبير بيئة كوكبية"

قال الدوق: "كما تحب"

ونظر لبولس: "هذا هو قاضي تحكيم فترة التغيير يا بني. المحكّم في النزاعات. الرجل الذي تم تعيينه هنا كي يتأكد من تنفيذ الأعراف والقوانين خلال المرحلة الانتقالية لتولينا للسلطة في هذه الإقطاعية"

ثم نظر لكاينز وقال: "وهذا ابني"

قال كاينز: "سيدي"
سأله بولس: "أأنت من الفريمن؟"
ابتسم كاينز: "أنا مرحب بي سواء كنت في سياتش أو قرية، يا سيدي الصغير. لكني موظف عند جلالة الإمبراطور.. خبير بيئة كوكبي تابع للإمبراطور"
أومأ بولس، معجبا بهالة القوة التي تحيط بالرجل. كان هاليك قد وجه نظر بولس ناحية كاينز من النافذة العلوية للمبنى الإداري، وقال: "الرجل الواقف هناك ومعه حرس من الفريمن.. الذي تقدم الآن مقتربا من الأورنيثوبتر"
فقام بولس عندها بفحص كاينز بسرعة باستخدام النظارة المكبرة، ملاحظا الفم المستقيم المتزمت، والجبهة الواسعة.
تكلم هاليك قائلا لبولس في أذنه: "شخص غريب نوعا ما. يتكلم بطريقة حريصة.. مقتضبة.. خالية من الزيادات والحشو.. قاطعة كشفرة موسى"
وحينها قال الدوق من خلفه: "على طريقة العلماء"
والآن، إذ يقف بولس على بعد أقدام قليلة من الرجل، شعر بالقوة المشعة من كاينز، وبتأثير شخصيته النافذ. بدا وكأنه فرد من سلالة ملكية، مولود لإصدار الأوامر.
قال الدوق: "حسب معلوماتي فإن بذلات التقطير والعباءات التي نرتديها هذه قد وصلتنا عن طريقك. أوجه لك شكري على هذا"
قال كاينز: "أرجو أن يكون مقاسها مناسبا يا سيدي. إنها من صنع الفريمن، ومطابقة قدر الإمكان للأبعاد التي أعطاني إياها رجلك هاليك"
قال الدوق: "شعرت بالحيرة عندما علمت أنك ترفض أخذنا في رحلة للصحراء إن لم نرتد هذه الملابس. إذ يمكننا أن نحمل معنا الكثير من الماء، ولا ننوي أن نبقى في الصحراء لفترة طويلة، وسيكون معنا أيضا تأمين جوي.. تلك الطائرات التي تراها محلقة فوق رؤوسنا الآن بالفعل. فلا توجد احتمالية كبيرة لأن نضطر للهبوط في الصحراء"
حدق فيه كاينز، ملاحظا البشرة الغضة المفعمة بالماء، ثم تكلم في نبرة باردة: "على أراكس لا يجب على المرء أن يتكلم أبدا عن الاحتمالات.. بل أن يخطط لكل الأحداث المتوقعة"
وهنا قال هاليك بازدراء: "عندما توجه كلامك للدوق خاطبه بـ يا سيدي أو مولاي!"
أعطى ليتو لهاليك إشارة اليد السرية المتعارف عليها بينهما والتي تخبره أن يتوقف عن هذا الكلام، ثم قال: "أعرافنا جديدة على المكان هنا يا جيرني. علينا أن نتسامح فيها بعض الشيء ونتغاضى"
"كما تريد يا مولاي"
قال ليتو: "نحن مدينون لك يا دكتور كاينز. لن ننسى هدية البذلات هذه ولا حرصك على سلامتنا"
ودون تفكير تذكر بولس اقتباسا من إنجيل الـ O.C الكاثوليكي البرتقالي، فقال: "إنما الهدايا بركات من النهر"
طنت الكلمات عالية بسبب سكون الهواء حولهم. وثب الحرس الفريمني - الذين كان كاينز قد تركهم جالسين في ظل المبنى الإداري - فجأة من وضع القرفصاء الذي كانوا عليه، أخذوا يتمتمون في إثارة واضحة.
صاح أحدهم: "لسان الغيب!"
التفت كاينز بسرعة، معطيا إشارة يد قاطعة وقصيرة، ملوحا للحرس بالابتعاد. فتراجعوا متذمرين، وجروا أقدامهم سائرين بتثاقل حول المبنى.
قال ليتو: "شيء مثير للاهتمام"

حملق كاينز بجمود في الدوق وبولس، قائلا: "معظم سكان الصحراء المحليين هنا يؤمنون بالخرافات. لا تشغل بالك بهم. لا خطر منهم"
لكنه كان يفكر في كلمات الأسطورة: تحيتهم لك ستكون بكلمات مقدسة، وهداياك ستكون بركة.
وفجأة تبلور في ذهن ليتو تقييمه لكاينز، معتمدا اعتمادا جزئيا على التقرير الشفهي الذي قدمه له حواط في نبرة حذرة ومتشككة.
إن الرجل من الفريمن.
فقد حضر كاينز مصحوبا بحرس فريمني، وهو الأمر الذي قد لا يكون سوى محاولة من الفريمن لاختبار حريتهم الجديدة في أن يزوروا المناطق الحضرية.. لكن قد بدا عليهم أنهم حرس شرفي. بالإضافة إلى أن طريقة تعامل كاينز كانت توحي بأنه رجل نخور بذاته، معتاد على الحرية، وأن لسانه وأفعاله لا يكبحها سوى شكوكه الخاصة.
كان سؤال بولس مباشرا وثاقبا.
لقد تشرب كاينز الثقافة المحلية واندمج فيها. تطبع بطباع المحليين وعاداتهم.
قال هاليك: "هلا انطلقنا في طريقنا يا مولاي؟"
أومأ الدوق. "سأقود الثوبتر الخاصة بي. يمكن لكاينز أن يجلس معي في الأمام كي يوجهني للطريق. أما أنت وبولس فاجلسا في المقاعد الخلفية"
قال كاينز: "لحظة من فضلك. لو تأذن لي يا مولاي، يجب علي أن أتأكد من أن بذلاتكم مؤمنة بشكل جيد"
شرع الدوق في الكلام لكن كاينز استمر قائلا: "إني بهذا أحرص على سلامتي بالإضافة لسلامتكما.. يا سيدي. فأنا مدرك تماما بأن حلقي أنا هو ما سيُذبح إن أصابكما أنتما الاثنان مكروه وأنتما تحت إشرافي"
قطب الدوق جبينه مفكرا: يا لها من لحظة دقيقة! فلو رفضت فقد يشعره هذا بالإهانة. وهذا الرجل قد تكون أهميته لا تقدر بثمن. لكن في نفس الوقت، هل أسمح له بالاقتراب مني متجاوزا درعي، وأن يلمس جسدي في حين أني لا أعلم عنه سوى القليل؟
مرت هذه الخواطر سريعة في عقله كالبرق ثم تلاها القرار فورا.
قال الدوق: "نحن تحت تصرفك"، ثم خطا للأمام فاتحا رداءه، فرأى هاليك قد شد جسده، واقفا في انتباه على عقبيه، وكله حذر، لكن دون أن يتحرك من مكانه.
قال الدوق: "وسيسعدني للغاية إن تفضلت بشرح وظيفة البذلة، خصوصا وأنها شيء مألوف لك للغاية وأنك تعيش لفترة طويلة مستخدما إياها"
قال كاينز: "بالطبع". وأخذ يتحسس تحت الرداء باحثا عن أربطة الإحكام الكتفية، وتكلم وهو يقوم بفحص البذلة:
"إنها باختصار عبارة عن طبقات رفيعة مضغوطة كالشطيرة.. مرشح عالي الكفاءة، ومنظومة تبادل حراري"
قام بتعديل وضبط أربطة الكتف.
"الطبقة الملامسة للبشرة هي طبقة مسامية. يمر عبرها العرق بعد أن يكون قد قام بخفض درجة حرارة الجسم.. عملية تشبه البخر الطبيعي بدرجة كبيرة. أما الطبقتان التاليتان لها ف..."
قام كاينز بشد رباط الصدر بإحكام.
"... تحويان خيوطا شعيرية لتبادل الحرارة ومرسبات ملح. فتتم استعادة الملح"
رفع الدوق ذراعيه استجابة لإشارة من كاينز، وقال: "مثير للاهتمام فعلا"

قال كاينز: "خذ نفسا عميقا"
أطاعه الدوق.
تفحص كاينز الأربطة التي تحت الإبطين، وعدّل أحدها.
قال: "حركة الجسد - خصوصا التنفس وبعض العمليات الأسموزية التناضحية - تقوم بتوفير قوة الضخ اللازمة"
قام بتوسيع رباط الصدر بعض الشيء.
"يتم توصيل الماء المستعاد إلى جيوب تجميعية، ومنها يمكنك أن تسحب الماء عبر هذا الأنبوب الموجود بشق بقرب عنقك"
ثنى الدوق ذقنه لأسفل كي ينظر إلى طرف الأنبوب، وقال: "طريقة فعالة ومناسبة. تصميم جيد"
ركع كاينز على ركبته وفحص أربطة الساق: "البول والبراز تتم معالجتهما في بطانة الفخذ"، ثم وقف وتحسس الجزء المحيط بالعنق، ورفع منه جزءا متدليا.
"في قلب الصحراء سترتدي هذا المرشح أمام وجهك، وتضع هذا الأنبوب في فتحتي الأنف بهاتين السدادتين، كي تتأكد من أن الغلق محكم. اسحب الشهيق عبر مرشح الفم، وأخرج الزفير من أنبوب الأنف. إن ارتديت بذلة مصنوعة على يد الفريمن، وبحالة جيدة، فلن تفقد من الرطوبة خلال اليوم أكثر من ملء كشتبان صغير.. حتى لو كنت في منطقة العرق Erg العظيم ذاتها"
قال الدوق: "ملء كشتبان في اليوم"
ضغط كاينز بإصبعه على حشوة الجبهة وقال: "قد تسبب هذه بعض الحكة. لو ضايقت بشرتك فأرجو أن تخبرني، إذ يمكن أن أقوم بتضييق رقعتها اللاصقة أكثر قليلا"
قال الدوق: "أشكرك"
وإذ تراجع كاينز للخلف حرك الدوق كتفيه في البذلة، ولاحظ أنها أصبحت مريحة أكثر من السابق.. محكمة واحتكاكها أقل.
انتقل كاينز ليركز على بولس: "والآن دعنا نلقي نظرة عليك يا غلام"
فكر الدوق: إنه إنسان صالح، لكن سيتحتم عليه أن يتعلم مخاطبتنا بالألقاب الملائمة.
وقف بولس في استكانة أثناء فحص كاينز لبذلته. كانت عملية ارتدائه لهذا الشيء المجعد ذي السطح الأملس غريبة الوقع على نفسه. فعقله الواعي كان متأكدا تمام التأكد من أنه لم يسبق له أبدا ارتداء بذلة تقطير..
إلا أن كل حركة كان يقوم بها أثناء ضبط الشرائط اللاصقة - تحت نظر جيرني منعدم الخبرة في هذا الأمر - بدت له طبيعية.. فطرية.
عندما قام بتضييق الصدر - كي يحصل على قوة الضخ القصوى من حركات التنفس - كان مدركا لما فعله وللدافع من ورائه. وعندما ضبط أشرطة العنق والجبهة بإحكام كان مدركا أن الدافع من وراء هذا هو منع البثور التي تنتج عن الاحتكاك.
اعتدل كاينز وتراجع للخلف وعلى وجهه تعبير حائر.
سأل: "هل ارتديت بذلة تقطير من قبل؟"
"هذه هي المرة الأولى"
"إذن أحدهم قام بضبطها لك؟"
"لا"

"أحذيتك الصحراوية تم إحكامها بأسلوب طيها للداخل عند الكاحلين. من قال لك أن تفعلها هكذا؟"
"شعرت أنها.. الطريقة الصحيحة"
"هي كذلك بالفعل"
وحك كاينز وجنته، متذكرا ما تقوله النبوءة: "سيكون عارفا بأساليبكم كما لو كان مولودا بينكم"
قال الدوق: "إننا نضيع الوقت هكذا"، ثم أشار للثوبتر المنتظرة، وقادهم إليها، مجيبا تحية الحارس بإيماءة.
صعد على متنها وربط حزام الأمان وفحص آلات وأجهزة التحكم. أصدرت المركبة صريرا إذ تسلق الآخرون إليها.
ربط كاينز حزامه وأخذ ينظر بإمعان إلى بطانة المركبة المريحة. علامات الترف والنعومة البادية على التنجيد ذي اللون الأخضر الداكن، الأجهزة البراقة، إحساس رئتيه بالهواء المرشح والنظيف بعد أن أوصدت الأبواب ودبت الحياة في مراوح التهوية.
فكر: طراوة زائدة عن الحد!
قال هاليك: "كله تمام يا مولاي"
غذى ليتو الأجنحة بالطاقة، فشعر بها تتقوس وتخفض.. مرة.. ثم ثانية.
بعد عشرة أمتار أقلعوا محلقين في الهواء، والأجنحة ترفرف بانضباط وإحكام، والنفاثات الثانوية تدفعها لأعلى في صعود منحدر ذي أزيز.
قال كاينز: "للجنوب الشرقي فيما وراء الجدار الجبلي. فقد أخبرت المشرف على عمليات التنقيب أن يركز آلاته هناك"
"تمام"
انحدر الدوق بالطائرة ناحية طائرات التأمين الجوي، فاتخذت المركبات موقعا ملائما للحراسة بالنسبة لطائرة الدوق، وانطلقوا في اتجاه الجنوب الشرقي.
قال الدوق: "تصميم وتصنيع بذلات التقطير هذه يدل على درجة عالية من الاحتراف"
قال كاينز: "يوما ما قد أريك أحد المصانع الموجودة بالسياتشات"
قال الدوق: "أتوقع أن أجده أمرا مثيرا للاهتمام. لكن وصلني أن هناك بذلات يتم تصنيعها أيضا في مدن الحاميات"
قال كاينز: "نسخ مقلدة وأقل جودة. أي مواطن أو عامل على كثيب سيرتدي بذلة من تصنيع الفريمن إن أراد الحفاظ على حياته فعلا"
"والبذلة لن تجعل الجسد يفقد من مائه سوى مقدار ملء كشتبان صغير؟"
قال كاينز: "إن تم ارتداؤها بالطريقة السليمة، وغطاء الجبهة مربوط بإحكام، وكل الأربطة مضبوطة، فإن فقد الماء الرئيسي يكون عبر راحة يديك. يمكن بالطبع ارتداء قفازات البذلة لو لم تكن تستخدم يديك في عمل دقيق، لكن أغلب الفريمن في قلب الصحراء يفركون أيديهم بعصارة أوراق الشجيرة الزيتية، حيث أنها تمنع التعرق"
ألقى الدوق نظرة لأسفل ناحية اليسار على التضاريس المتكسرة للجدار الجبلي.. صدوع ذات صخور مفتتة.. بقع صفراء وبنية تتخللها وتشقها خطوط صدعية سوداء. بدا المنظر كما لو أن هذه الأرض قد ألقاها شخص من السماء وتركها في مكانها محطمة بهذه الطريقة.
عبروا واديا ضحلا تتخلله خطوط واضحة من الرمال رمادية اللون ممتدة من فتحة أحد الأخاديد جنوبا. جرت تلك الأصابع الرملية وسط الوادي.. كدلتا جافة تبدو جلية بالمقارنة بما يحيط بها من صخور داكنة.
تراجع كاينز بظهره للوراء، مفكرا في تلك البشرات الغضة المفعمة بالماء والتي لمسها تحت بذلات التقطير. فوق أرديتهم كانوا

يرتدون أحزمة دروع، وعلى الوسط كانوا يعلقون صواعق بطيئة الطلقات، وعلى خيوط متدلية من أعناقهم كانت توجد أجهزة إرسال للطوارئ بحجم العملات. كل من الدوق وابنه حمل على معصمه خنجرا موضوعا في غمده، وبدا على الغمد علامات طول الاستعمال. ما رآه كاينز في هؤلاء القوم هو تشكيلة عجيبة تجمع بين نعومة الترف وبين القدرة على استخدام الأسلحة. رأى فيهم اتزانا غير معهود إطلاقا في آل هاركونن.

قال ليتو: "عندما تقدم تقريرك للإمبراطور بشأن عملية تغيير السلطة الحاكمة هنا، هل ستقول أننا التزمنا بالقوانين؟"

ألقى نظرة على كاينز ثم عاد ليركز بصره على الطريق.

قال كاينز: "رحل الهاركونن، فجئتم أنتم. هذا هو كل ما في الأمر"

قال ليتو: "وهل كل الأمور تمت على ما يرام؟"

ظهر توتر لحظي على كاينز، بدا في انقباض إحدى عضلات فكه.

"بصفتي خبير بيئي كوكبي وقاضي تحكيم فإني تابع مباشرة للإمبراطور.. يا سيدي"

ابتسم الدوق ابتسامة فيها شراسة: "لكن كلانا يعلم واقع الأمر"

"علي تذكيرك بأن جلالته داعم لعملي"

"فعلا؟ وما هو عملك بالضبط؟"

في الصمت القصير الذي تلا هذا فكر بولس: إنه يضغط على كاينز أكثر من اللازم.

نظر بولس لهاليك لكن المقاتل والشاعر كان مشغولا بالتحديق في التضاريس القاحلة.

قال كاينز بنبرة رسمية: "إنك - بالطبع - تشير لواجباتي كخبير كوكبي"

"بالطبع"

"غالبها متعلق بعلم الحيوان والنبات الخاص بالبيئات الجافة.. بالإضافة لبعض الأعمال الجيولوجية.. حفر في طبقات الأرض وإجراء اختبارات. فعندما تدرس كوكبا بأكمله فالفروع المحتملة لا تكاد تنتهي"

"وهل تدرس البهار أيضا؟"

التفت كاينز، ولاحظ بولس الملامح الحادة لوجنة الرجل: "سؤال مثير للاهتمام يا سيدي"

"لا يجب أن يغيب عن ذهنك يا كاينز أنها قد صارت إقطاعيتي الآن. وأساليبي تختلف عن أساليب الهاركونن. لن أعترض إن كنت فعلا تقوم بدراسة البهار، طالما أنك تطلعني على ما تصل له من معلومات"

ألقى نظرة على الخبير الكوكبي: "كان الهاركونن يعيقون أي دراسة للبهار، أليس كذلك؟"

بادله كاينز النظرة دون أن يجيب.

قال الدوق: "لك مطلق الحرية أن تتكلم بصراحة، دون خوف على حياتك"

تمتم كاينز: "إن البلاط الإمبراطوري بعيد بالفعل"

وفكر: ماذا يتوقع هذا المحتل الذي أترفه الماء؟ أيظنني أحمقا لدرجة أن أقبل أن أنضم له؟

ضحك الدوق، وإن ظل انتباهه منصبا على الطريق: "أتبين في صوتك مرارة يا سيد. ترانا وكأننا هجمنا على الكوكب بهمجنا وقتلتنا المدربين، أليس كذلك؟ وأننا نتوقع منك أن تدرك في التو اختلافنا عن الهاركونن؟"

قال كاينز: "لقد رأيتُ البروباجاندا التي أغرقتَ بها كل سياتش وكل قرية. 'أحبوا الدوق الطيب! قواتكم الـ..."

صاح هاليك: "تأدب يا هذا!"، وانتزع انتباهه بعيدا عن النافذة، ومال للأمام.

وضع بولس يده على ذراع هاليك.

قال الدوق: "جيرني!"
ونظر للخلف: "هذا الرجل عاش لفترة طويلة تحت حكم الهاركونن"
تراجع هاليك: "آه.. حسنا"
قال كاينز: "رجلك - حواط - ماكر.. لكن هدفه أثناء حديثه معي كان واضحا بما فيه الكفاية"
قال الدوق: "إذن هل ستفتح لنا هذه المقرات؟"
قال كاينز في نبرة قاطعة: "إنها أملاك خاصة بجلالة الإمبراطور"
"لكنها ليست مستخدمة"
"يحتمل أن يأمر باستخدامها فيما بعد"
"هل جلالته يتفق معك على هذا الرأي؟"
رشق كاينز الدوق بنظرة حادة: "يمكن لأراكس أن يكون جنة عدن إن أفاق حكامه قليلا من تكالبهم على البهار!"
فكر الدوق: لم يجب على سؤالي.
وقال: "وكيف يمكن لكوكب أن يصير جنة دون مال؟"
قال كاينز: "وما فائدة المال إن لم يمكنه شراء الخدمات التي يحتاجها المرء؟"
فكر الدوق: أها.. الآن فهمتك!
وقال: سنناقش هذا في وقت لاحق. أما الآن فأظن أننا مقبلون على حافة الجدار الجبلي. هل أستمر في نفس الاتجاه؟"
تمتم كاينز: "نعم، نفس الاتجاه"
نظر بولس من نافذته. من تحتهم بدأت التضاريس المشققة تتحول تدريجيا - في منحدرات متموجة - إلى سهل صخري قاحل وسلسلة صخور مسطحة حادة كالسكين. امتدت خلف سلسلة الصخور نحو الأفق كثبان رملية، وكأنها أظافر أو أهلة.. وتناثرت هنا وهناك لطخات باهتة متباعدة وبقع سوداء تشير لوجود شيء آخر غير الرمال.
ربما كانت بروزات صخرية. لم يستطع بولس أن يتأكد من هويتها بسبب تموجات الحرارة المتصاعدة في الهواء.
قال بولس: "هل توجد أية نباتات بالأسفل؟"
قال كاينز: "توجد بعض النباتات. في أقاليم دائرة العرض هذه تنتشر كائنات نطلق عليها: سارقي الماء الصغار.. تكيفت بحيث صارت تسطو على بعضها البعض للحصول على الماء، ملتهمةً بقايا الندى. بعض المناطق الصحراوية تعج بالحياة، لكنها كلها تعلمت كيف تعيش في مثل هذه الظروف القاسية. إن اضطررت لاجتياز ما تراه تحتك الآن فسيكون عليك إما أن تحاكي تلك الكائنات الحية أو تموت"
قال بولس: "تقصد أن نسرق الماء من بعضنا البعض؟". أشعلت الفكرة غضبه، وبدا ذلك الشعور في صوته.
قال كاينز: "هذا شيء يحدث أحيانا، لكنه لم يكن قصدي بالضبط. فما أقوله هو أن مناخي يتطلب أسلوب تعامل معين مع الماء. أن تكون منتبها لموضوع الماء طوال الوقت. وألا تهدر شيئا يحتوي على رطوبة"
وهنا فكر الدوق: يقول "مناخي"!
قال كاينز: "انحرف بمقدار درجتين للجنوب يا سيدي.. فهناك هبة عاصفة قادمة من اتجاه الغرب"
أومأ الدوق. كان قد انتبه بالفعل لكتلة الغبار الأصفر هذه. انحدر مائلا بالثوبتر، فرأى أجنحة طائرات التأمين المرافقة له تعكس لونا برتقاليا خفيفا لمرور الضوء عبر الجو المغبر، ثم استداروا كي يلحقوا به.
قال كاينز: "سيبعدنا هذا عن حافة العاصفة"

قال بولس: "يبدو هذا الرمل خطرا، خصوصا إن حلقنا فيه. هل هو بالفعل قادر على قطع أقوى المعادن؟"
قال كاينز: "على هذا الارتفاع فإنه ليس رملا، بل غبارا. مخاطره هي انعدام الرؤية، والاضطرابات الجوية، وانسداد فتحات الهواء"
قال بولس: "هل سنرى عملية تنقيب فعلية عن البهار اليوم؟"
قال كاينز: "احتمال كبير"
تراجع بولس في مقعده. كان قد استخدم الأسئلة - وحسه الإدراكي الفائق - كوسيلة للقيام بما تسميه أمه 'التسجيل الذهني' للشخص. الآن استوعب شخصية كاينز بالكامل.. نبرة صوته.. كل تفصيل دقيق في ملامحه أو حركاته.
استنتج من وجود طية على الكم الأيسر لرداء الرجل أنه يحمل هناك سكينا موضوعا في غمد مربوط على الذراع.
وسطه أيضا كان منبعجا بشكل غريب. يقال أن رجال الصحراء اعتادوا ارتداء كيس على شكل حزام، لوضع بعض الضروريات الصغيرة فيه. ربما كان الانبعاج ناتجا عن كيس كهذا.. إذ لا شك أنه لم ينتج عن إخفاء حزام درع طاقة.
بقرب العنق كان رداء كاينز مشبوكا باستخدام دبوس نحاسي منقوش عليه صورة أرنب. دبوس آخر أصغر في الحجم وعليه نفس النقش كان معلقا على جانب القلنسوة الملقاة للخلف على كتفيه.
انثنى هاليك مستديرا في مقعده المجاور لبولس ومد يده للمقصورة الخلفية والتقط الباليست. التفت كاينز عندما ضبط هاليك أوتار الآلة، ثم عاد بانتباهه للطريق.
قال هاليك: "أترغب في سماع شيء محدد يا سيدي الصغير؟"
قال بولس: "اختر أنت يا جيرني"
اقترب هاليك بأذنه من اللوحة الموسيقية، ثم ضرب أحد الأوتار وبدأ في الغناء الرقيق:
"آباؤنا أكلوا المَن في الصحراء
في الأرض الحارقة ذات العواصف
انقذنا يا ربنا من هذه الأرض الشنيعة
انقذنا... أوه، انقذنا
من أرض الجفاف والعطش"
نظر كاينز للدوق وقال: "يرافقك في رحلاتك عدد صغير من الحراس يا سيدي. هل كلهم متعددو المواهب هكذا؟"
قهقه الدوق: "جيرني؟ جيرني فريد من نوعه. أحبه أن يرافقني لحدة بصره. عيناه لا يفوتهما إلا أقل القليل"
عقد الخبير البيئي حاجبيه.
ودون أن يقطع هاليك نغمته إطلاقا دخل في الحوار مغنيا:
"لأني كبومة الصحراء
آه.. كبومة صحراوية أنا"
مد الدوق يده لأسفل والتقط ميكروفونا من لوحة أجهزة القيادة، وجعله يعمل بضغطة إبهام، ثم قال:
"من القائد إلى الرفقة جيم. جسم طائر في اتجاه عقرب الساعة التاسعة، القطاع ب. هل تعرف ما هو؟"
قال كاينز: "إنه مجرد طائر. بصرك حاد فعلا"
صدرت طقطقة من مكبر الصوت، ثم: "من الرفقة جيم. تم فحص الجسم باستخدام أقصى درجات تكبير الرؤية. إنه طائر كبير الحجم"

نظر بولس في الاتجاه المقصود فرأى البقعة البعيدة.. نقطة ذات حركة متقطعة. وأدرك درجة الانتباه الشديد التي يتمتع بها أبوه، وأن كل حاسة من حواسه متيقظة أتم اليقظة.
قال الدوق: "لم أكن أعلم أن طيورا بهذا الحجم يمكنها الوجود على هذا العمق داخل الصحراء"
قال كاينز: "غالبا نسر. نجح الكثير من الحيوانات في التكيف مع هذا المكان"
حلقت الأورنيثوبتر فوق مساحة صخرية مقفرة. نظر بولس للأسفل من ارتفاعهم الذي يصل لألفي متر، فرأى الظلال المعوجة التي تلقيها مركبتهم والمركبات المرافقة لهم. بدت الأرض في الظاهر مسطحة، لكن تموجات الظلال كانت دليلا على العكس.
قال الدوق: "هل سبق وأن نجح شخص في أن يعود من الصحراء ماشيا؟"
توقفت موسيقى هاليك، ومال للأمام ليسمع الإجابة.
قال كاينز: "ليس إن كان في قلب الصحراء. أما من الإقليم الثاني فقد نجح رجال في القيام بهذا عدة مرات. نجحوا عن طريق عبور المناطق الصخرية، حيث لا توجد فيها الديدان إلا نادرا"
نبرة صوت كاينز شدت انتباه بولس. شعر بحواسه الإدراكية تنتبه كما تم تدريبها على أن تفعل.
قال الدوق: "الديدان. يجب أن أرى واحدة منها في إحدى المرات"
قال كاينز: "قد ترى واحدة اليوم. فأينما وُجد البهار، ستوجد الديدان"
قال هاليك: "دائما؟"
"دائما"
قال الدوق: "هل هناك علاقة بين الديدان والبهار؟"
التفت كاينز، فرأى بولس شفتيه المزمومتين: "إنها تدافع عن المناطق الرملية الموجود بها بهار. لكل دودة منها.. منطقة نفوذ تابعة لها. أما بخصوص البهار.. فمن يدري؟ عينات الديدان التي فحصناها تجعلنا نظن أن هناك عمليات تبادل كيميائي معقدة تحدث داخل أجسادها. في أوعيتها وجدنا بقايا لحمض الهيدروكلوريك، وأحماض أخرى أكثر تعقيدا في أماكن أخرى من الجسد. سأعطيك دراستي التي كتبتها عن الموضوع"
قال الدوق: "ودروع الطاقة لا تصلح كدفاع؟"
قال كاينز في نبرة ساخرة: "الدروع! قم بتفعيل درع وأنت داخل منطقة من مناطق الديدان وستكون قد حكمت على نفسك بالهلاك. فالديدان حينئذ تتجاهل الفواصل الحدودية بين مناطق نفوذها وتأتي من مسافات بعيدة كي تهاجم الدرع. لم يسبق لشخص يرتدي درعا أن نجا من هجوم كهذا"
"وكيف أمكن إذن اصطياد عينات الديدان؟"
قال كاينز: "صدمة كهربية عالية الفولتية يتم توصيلها بشكل منفصل لكل قطاع حلقي من حلقات جسد الدودة.. الطريقة الوحيدة المعروفة التي يمكن بها قتل دودة كاملة والاحتفاظ بجسدها. يمكن أن يتم صعقها وتدميرها باستخدام المتفجرات، لكن كل قطاع حلقي له حياة منفصلة. وباستثناء الأسلحة الذرية فلا أعلم بوجود مادة مفجرة قوية بما فيه الكفاية بحيث تستطيع - بشكل كامل - تدمير دودة كبيرة الحجم. إنها مخلوقات شديدة الصلابة"
قال بولس: "ولماذا لم يتم بذل الجهد سعيا للقضاء التام عليها؟"
قال كاينز: "التكاليف باهظة. والمساحة اللازم تغطيتها واسعة"
مال بولس في الركن الذي يجلس فيه. قدرته على اكتشاف الأكاذيب، وانتباهه للتغيرات الطفيفة في النبرة، أخبراه أن

كاينز كان يكذب ويقول أنصاف حقائق.
فكر: لو هناك علاقة بين البهار والديدان فإن قتل الديدان سيؤدي للقضاء على البهار.
قال الدوق: "قريبا جدا لن يضطر أحد للرجوع من الصحراء سيرا على الأقدام. كل ما عليه هو أن يحرك مفتاح أجهزة البث هذه المعلقة في أعناقنا وستكون النجدة في الطريق. ولن يمر وقت طويل إلا وكل عمالنا يضعون واحدة من هذه. إننا نؤسس خدمة إنقاذ خاصة"
قال كاينز: "عمل جدير بالثناء"
قال الدوق: "نبرتك تشير إلى أنك غير موافق"
"غير موافق؟ بالطبع أنا موافق. لكن لن يكون لها فائدة. فالكهرباء الاستاتيكية النابعة من العواصف الرملية تغطي على الكثير من إشارات الإرسال. وأجهزة الإرسال تحترق دوائرها الكهربية. فلعلمك، تم تجريب هذا بالفعل في السابق. أراكس تأثيره سيء على الأجهزة والمعدات. وفي حالة أن دودة ما تقوم بمطاردتك فلن يكون أمامك ما يكفي من الوقت. ففي المعتاد لا يكون أمامك سوى 15 أو 20 دقيقة على الأكثر"
قال الدوق: "وبم تنصح؟"
"تطلب نصيحتي؟"
"بصفتك خبير بيئة كوكبية، أجل"
"وستتبع نصيحتي؟"
"إن وجدتها معقولة"
"حسنا يا سيدي. لا تسافر وحدك أبدا"
أبعد الدوق انتباهه عن أدوات التحكم: "هذا هو كل شيء؟"
"هذا هو كل شيء. لا تسافر وحدك أبدا"
قال هاليك: "لكن ماذا إن تسببت عاصفة في تفريقك عن رفاقك وأجبرتك على الهبوط أرضا؟ ألا يوجد أي شيء يمكنك ساعتها أن تقوم به؟"
قال كاينز: "كلمة 'أي شيء' فضفاضة للغاية"
قال بولس: "ماذا ستفعل أنت في هذه الحالة؟"
ألقى كاينز نظرة فاحصة على الفتى، ثم عاد بانتباهه للدوق: "سأحرص على التأكد من سلامة بذلة التقطير. وإن كنت خارج منطقة من مناطق الديدان أو في مكان صخري فسأبقى جوار هيكل الطائرة. أما إن كنت في منطقية رملية مفتوحة فسأبتعد عن الطائرة بأقصى سرعة ممكنة. الابتعاد لمسافة ألف متر قد يكون كافيا. ثم سأختفي تحت ردائي. الدودة ستلتهم الطائرة لكن ربما لن تراني"
قال هاليك: "ثم ماذا؟"
هز كاينز كتفيه: "سأنتظر رحيل الدودة"
قال بولس: "هذا هو كل شيء؟"
قال كاينز: "عندما ترحل الدودة يمكن للمرء أن يبدأ السير. عليك أن تسير بنعومة، وأن تتجنب الرمل الطبلي وأحواض الغبار المدِّي. اتجه إلى أقرب منطقة صخرية. يوجد الكثير من هذه المناطق. ساعتها ربما قد تنجو"
سأل هاليك: "رمل طبلي؟"

قال كاينز: "حالة انضغاط للرمال. أقل خطوة فوقها تجعلها تصدر صوتا كالطبلة. تأتي الديدان دائما إن حدث هذا"
سأل الدوق: "وحوض الغبار المدي؟"
"على مر القرون امتلأت بعض المنخفضات في الصحراء بالغبار. بعضها كبير لدرجة أن له تيارات مد وجزر. ومن يخطئ ويسير فيها عن دون قصد ستبتلعه"
تراجع هاليك للوراء واستأنف العزف على الباليست. ثم قال بعد لحظات:
"وحوش الصحراء البرية تصطاد في ذاك المكان
منتظرة مرور الأبرياء
أوه، لا تختبر آلهة الصحراء
إلا إن كنت تسعى لرثاء منعزل
مخاطر الـ..."
قطع غناءه فجأة ومال للأمام: "سحابة غبار أمامنا يا مولاي"
"أراها يا جيرني"
قال كاينز: "هذا ما كنا نبحث عنه"
مط بولس جسده لأعلى في مقعده كي ينظر أمامه فرأى على سطح الصحراء سحابة صفراء متمايلة على بعد 30 كيلو متر تقريبا.
قال كاينز: "واحدة من زاحفاتك الرملية. تقف على السطح، وهذا يعني أنها تقف على بقعة بهار. السحابة عبارة عن رمال مطرودة هوائيا بعد أن تم استخلاص البهار منها عن طريق الطرد المركزي. لا تشابهها أي سحابة أخرى على الإطلاق"
قال الدوق: "هناك طائرة تحوم فوقها"
قال كاينز: "أرى اثنين.. ثلاثة.. أربع طائرات مراقبة. مهمتهم هي رصد وجود أي علامة دودية"
سأل الدوق: "علامة دودية؟"
"موجة رملية تتحرك متجهة إلى الزاحفة. وعندهم مجسات زلزالية موضوعة على سطح التربة أيضا، حيث تتحرك الديدان أحيانا على مسافات عميقة فلا تظهر لها موجة رملية"
أدار كاينز بصره في السماء: "من المفترض وجود حاملة طائرة في مكان قريب، لكني لا أراها"
قال هاليك: "الدودة تأتي دائما إذن؟"
"دائما"
مال بولس للأمام ولمس كتف كاينز: "ما مساحة المنطقة التي تدافع عنها الدودة؟"
قطب كاينز جبينه. الصغير مستمر في إلقاء أسئلة لا ترد إلا على ذهن الكبار.
"هذا يعتمد على حجم الدودة"
قال الدوق: "ما مقدار تنوعها؟"
"الكبيرة قد تسيطر على مساحة تصل لـ 300 أو 400 كيلو متر مربع. أما الصغيرة فـ..."
قطع حديثه عندما ضغط الدوق على مكابح النفاثات. وثبت الطائرة مع تباطؤ مراوح الذيل بالتدريج ثم سكونها. استطالت الأجنحة القصيرة وانحنت متقوسة في الهواء. تحولت المركبة - مع إيقاف النفاثات الدافعة - إلى ثوبتر كاملة، وانحدر بها الدوق مائلا لأحد الجانبين، محافظا على إيقاع رتيب للأجنحة. أشار بيده اليسرى للشرق، فيما وراء زاحفة التنقيب عن

البهار.
"هل هذه علامة دودية؟"
مال كاينز على الدوق لينظر بوضوح للمكان البعيد المشار إليه.
تزاحم بولس وهاليك، ناظرين في نفس الاتجاه.. ولاحظ بولس أن الطائرات المرافقة لهم تجاوزتهم، نتيجة لتغير الاتجاه المفاجئ، ثم بدأت تستدير عائدة لهم. أمامهم كانت الزاحفة المصنعية على بعد ثلاثة كيلو مترات.
في الاتجاه الذي أشار له الدوق كانت تبدو الكثبان الرملية، هلالية الشكل، ناشرةً عند خط الأفق ظلالا متموجة، وخلالها - في خط مستقيم - ظهر شيء طويل، بارزا من الرمال، كأنه جبل متحرك. لما رآه بولس تذكر الطريقة التي يخرق فيها السمك الكبير سطح الماء عندما يكون عائما تحته مباشرة.
قال كاينز: "دودة. دودة كبيرة"
ثم رجع بظهره والتقط الميكروفون من لوحة التحكم وأدخل أرقام موجة تردد جديدة.
نظر للخريطة الظاهرة على أسطوانات موضوعة فوق رؤوسهم ثم تكلم في الميكروفون:
"إلى الزاحفة الموجودة بإحداثيات دلتا أجاكس تسعة. تنبيه: علامة دودية. الزاحفة الموجودة في دلتا أجاكس تسعة. انتبه. توجد علامة دودية. أجب من فضلك"
انتظر.
صدرت من مكبر الصوت قرقعات استاتيكية، ثم جاء صوت يقول: "من المتصل بدلتا أجاكس تسعة؟ حوّل"
قال هاليك: "يبدو من الصوت أنهم يعاملون الأمر بهدوء شديد"
تكلم كاينز في الميكروفون: "نحن رحلة جوية غير مسجلة مسبقا. موقعنا الشمال الشرقي من موقعكم، على مسافة 3 كيلو متر تقريبا. علامة دودية متجهة إلي موقعكم. الزمن المتوقع لوصولها إليكم هو 25 دقيقة"
علا صوت آخر قادما من المكبر: "هنا طائرة المراقبة المركزية. تم التأكد من رؤية العلامة. استعد لتلقي معلومة زمن الوصول" وبعد صمت قصير: "الالتقاء سيحدث في أقل من 26 دقيقة. تقديركم كان دقيقا للغاية. من الشخص الموجود على متن هذه الرحلة غير المسجلة؟ حوّل"
خلع هاليك حزام الأمان واندفع للأمام بين كاينز والدوق. "هل هذه الموجة الترددية هي موجة العمال المعتادة يا كاينز؟"
"أجل. لماذا تسأل؟"
"من سيمكنه سماعنا؟"
"طاقم العمال الموجود في هذه المنطقة فقط. بهذه الطريقة يتم تلافي تداخل الإشارات"
قرقع المكبر من جديد: "هنا دلتا أجاكس تسعة. نضع علاوة الاكتشاف في رصيد من؟ حول"
نظر هاليك للدوق.
قال كاينز: "توجد علاوة مالية يتم حسابها تبعا لحجم حمولة البهار، وتعطى لأول من قام بتنبيه الآخرين لوجود دودة تقترب. يريدون أن يعلموا مـ..."
قال هاليك: "إذن أخبرهم باسم أول من انتبه لهذه الدودة"
أومأ الدوق إيجابا.
تردد كاينز ثم رفع الميكروفون إلى فمه: "علاوة الاكتشاف من نصيب الدوق ليتو أتريديز. أكرر، الدوق ليتو أتريديز. حول"
خرج الصوت من المكبر غير واضح، وقد شوشت عليه نبضات استاتيكية: "عُلِم. شكرا"

قال هاليك آمرا: "والآن أخبرهم أن يقسموا العلاوة فيما بينهم. وقل لهم أنها رغبة الدوق"
أخذ كاينز نفسا عميقا ثم قال: "الدوق يأمر بأن يتم تقسيم العلاوة على أفراد طاقمك. هل تسمعني بوضوح؟ حول"
قال المتكلم عبر المكبر: "عُلِم. شكرا"
قال الدوق: "نسيت أن أخبرك أن هاليك موهوب أيضا في مجال العلاقات العامة"
استدار كاينز وألقى نظرة حائرة على هاليك.
قال هاليك: "بهذه الطريقة يعلم الرجال أن دوقهم مهتم بسلامتهم. والقصة ستنتشر. وقد استخدمنا تردد موجي مخصص لعمال المنطقة، فمن غير المحتمل أن يكون عملاء الهاركونن قد سمعونا"
ثم نظر لطائرات التأمين الجوي: "ثم أننا برفقة قوة عسكرية لا بأس بها. كانت المخاطرة محسوبة"
مال الدوق بالطائرة ناحية السحابة الرملية المنبعثة من الزاحفة المصنعية. "والآن ماذا سيحدث؟"
قال كاينز: "في مكان قريب توجد حاملة طائرة. ستأتي وتحمل الزاحفة جوا"
قال هاليك: "وماذا لو أن الحاملة قد أصابها العطب؟"
قال كاينز: "نفقد بعض المعدات أحيانا. اقترب من الزاحفة يا سيدي، فسيثير هذا المشهد اهتمامك"
قطب الدوق جبينه وانشغل بالتعامل مع أدوات التحكم في القيادة عندما اهتزت الطائرة لتحليقهم فوق الزاحفة.
نظر بولس لأسفل فرأى أن الرمل لا زال ينبثق من ذاك الوحش الآلي المصنوع من البلاستيك والمعدن. بدت الزاحفة كخنفساء عظيمة ملونة بالأصفر والأزرق وتمتد منها قضبان كثيرة على شكل أذرع. ورأى خرطوما ضخما ينتهي بقمع مغروس في رمل داكن أمام الزاحفة.
قال كاينز: "من لون البقعة يبدو أنها غنية بالبهار. سيستمرون في العمل حتى اللحظة الأخيرة"
غذى الدوق الأجنحة بمزيد من الطاقة، وقواها استعدادا لهبوط تدريجي منحدر، وحام في دائرة فوق الزاحفة. وبنظرة يمينه ويساره رأى رفقته التأمينية محافظة على ارتفاعها فوقه وتطير في دائرة.
فحص بولس السحابة الصفراء المنبثقة من أنابيب الطرد الموجودة على الزاحفة، ومد بصره في الصحراء ناظرا لأثر الدودة المقتربة.
قال هاليك: "أليس من المفترض أن نسمع اتصالهم بالحاملة الطائرة؟"
قال كاينز: "في العادة يخصص للحاملة تردد موجي منفصل"
قال الدوق: "أليس من الواجب توفير حاملتين مستعدتين لكل زاحفة؟ فهذه الماكينة الموجودة بالأسفل تحوي 26 رجلا، ناهيك عن ثمن الماكينة نفسها"
قال كاينز: "لكنك لا تملك ما يكفي من الـ..."
قطع كلامه عندما انفجر صوت غاضب عبر مكبر الصوت: "هل رأى أحدكم الحاملة الطائرة؟ قائدها لا يجيب"
قرقعت من المكبر ضوضاء مشوشة، ثم طغت عليها زنة حادة لإحدى الإشارات. ساد الصمت بعدها، ثم جاء الصوت الأول قائلا: "قدموا تقاريركم بالترتيب! حول"
"هنا طائرة المراقبة المركزية. آخر ما رأيته كان الحاملة وهي تحلق عاليا وتحوم في اتجاه الشمال الغربي. أما الآن فلا أراها. حول"
"هنا طائرة المراقبة الأولى: لا أراها. حول"
"هنا طائرة المراقبة الثانية: لا أراها. حول"

"هنا طائرة المراقبة الثالثة: لا أراها. حول"

صمت.

نظر الدوق للأسفل فرأى ظل طائرته وقد مر لتوه فوق الزاحفة. "توجد أربع طائرات مراقبة فقط، صحيح؟"

قال كاينز: "صحيح"

قال الدوق: "مجموعتنا مكونة من خمس طائرات، وهي أكبر من طائرات المراقبة. يمكن أن نحمل معنا 3 أشخاص إضافيين في كل طائرة. أما طائرات المراقبة فيمكنها أن تقل على متن كل واحدة منها شخصين"

قام بولس بعمل الحسبة في ذهنه: "سيتبقى ثلاثة أشخاص من الطاقم"

صاح الدوق في غضب: "لماذا لا توجد حاملتان مخصصتان لكل زاحفة؟"

قال كاينز: "عدد المعدات التي تملكها محدود"

"وهو سبب أدعى كي نحافظ على ما لدينا بالفعل!"

قال هاليك: "إلى أين ذهبت تلك الحاملة يا ترى؟"

قال كاينز: "ربما اضطرت للهبوط في مكان بعيد لا نراه"

التقط الدوق الميكروفون وتردد قائلا وهو يضع إبهامه فوق الزر: "كيف يمكن أن تفوتهم رؤية حاملة وهي تختفي؟"

قال كاينز: "لأن انتباههم يكون منصبا على مراقبة الأرض، تحسبا لظهور علامة دودية"

ضغط الدوق الزر وتكلم في الميكروفون: "دوقكم يتكلم. سنهبط ونحمل معنا طاقم دلتا أجاكس تسعة. كل طائرات المراقبة عليها تنفيذ الأمر، وأن تهبط على الجانب الشرقي، أما نحن فسنهبط على الجانب الغربي. حول"

ثم أدخل أرقام موجته الترددية المقصورة على القائد، وكرر الأمر لطائرات التغطية الجوية المرافقة له، ثم أعاد الميكروفون لكاينز.

عاد كاينز لموجة الإرسال العمالية فسمع صوتا هادرا صادرا من المكبر: "... تقريبا حمولة كاملة! معنا حمولة بهار كاملة تقريبا! لا يمكن أن نترك كل هذا لدودة ملعونة! حول"

صاح الدوق: "اللعنة على البهار!"، والتقط الميكروفون مجددا: "يمكن أن نحصل على المزيد منه فيما بعد. مركباتنا بها مقاعد تتسع لكم إلا ثلاثة. اجروا قرعة أو قرروا بأي طريقة تريدونها من سيذهب ومن سيبقى، لكنكم ستأتون معنا.. هذا أمر!"

وقذف بالميكروفون بعنف في يد كاينز، وتمتم : "آسف" حين رأى كاينز يهز إصبعا قد أصيب من جراء هذه الحركة.

قال بولس: "كم تبقى من الوقت؟"

قال كاينز: "تسع دقائق"

قال الدوق: "طائرتنا هذه أقوى من الطائرات الأخرى. إن أقلعنا باستخدام النفاثات وبالأجنحة ممتدة لثلاثة أرباع طولها فسيمكننا أن نضيف شخصا آخر لحمولتنا"

قال كاينز: "لكن هذه الرمال ناعمة"

قال هاليك: "إن حاولنا الإقلاع باستخدام النفاثات ومعنا 4 رجال كحمولة زائدة فيمكن أن تتكسر الأجنحة يا مولاي"

قال الدوق: "لن يحدث هذا لطائرة مثل هذه"

سحب أداة القيادة للخلف فانزلقت الثوبتر جوار الزاحفة. مالت الأجنحة لأعلى فكبحت الثوبتر بالتدريج إلى أن توقفت على بعد 20 مترا من الزاحفة المصنعية.

كانت الزاحفة قد سكنت، ولم يعد الرمل ينبثق من أنابيب الطرد. ولم يصدر عنها سوى أزيز ميكانيكي خافت أصبح صوته

أوضح عندما فتح الدوق باب الطائرة.
وفي الحال هجمت رائحة القرفة على أنوفهم.. ثقيلة ولاذعة.
وعلى جانب الزاحفة الآخر انحدرت طائرة مراقبة بصوت رفرفة عالية وحطت على الرمال. هبطت الطائرات المرافقة للدوق مسرعة وحطت جوار الدوق.
نظر بولس للزاحفة المصنعية فرأى أن كل الطائرات تقف جوارها كأقزام بالمقارنة بحجمها.. كبعوض جوار خنفساء مقاتلة.
قال الدوق: "جيرني، قم أنت وبولس بقذف هذا المقعد الخلفي للخارج"
وقام يدويا بتعديل الأجنحة لطول الثلاثة أرباع، وضبط زاوية ميلهم، وفحص أدوات التحكم في النفاثات.
"بحق الشيطان، لماذا لم يخرجوا حتى الآن من هذه الماكينة؟"
قال كاينز: "يأملون أن تظهر الحاملة الطائرة. لا زال أمامهم بضعة دقائق"، ونظر ناحية الشرق.
صوب الجميع أبصارهم لنفس الاتجاه، فلم يروا للدودة أثرا.. لكن الجو كان مشحونا بمشاعر قلق بالغ.
التقط الدوق الميكروفون وأدخل أرقام موجته القيادية: "فلتقم طائرتان منكم بقذف مولدات طاقة الدروع. فلو حسبنا الحمولة هكذا فسيكون بإمكانكم حمل شخص آخر إضافي. لن نترك وراءنا أي رجل ليلتهمه هذا الوحش"
ثم أدخل رقم موجة الإرسال العمالية وصاح: "هيا يا دلتا أجاكس تسعة! اخرجوا حالا! هذا أمر من الدوق! وضاعفوا السرعة وإلا سأشق هذه الزاحفة بمسدسات الليزر!"
انفتحت كوة قرب مقدمة الزاحفة المصنعية، وأخرى في الخلف، وثالثة بالأعلى. وتدحرج الرجال خارجين منها، منزلقين ومتدافعين زحفا من أعلى الرمال. كان آخر الخارجين رجل طويل يرتدي رداء عمل مرقع. قفز على أحد العوارض أولا ثم منه إلى الرمل.
علق الدوق الميكروفون على لوحة التحكم، وتدلى للخارج مستندا بقدمه على سلم الطائرة، وصاح: "ليدخل رجلان في كل طائرة من طائرات المراقبة"
بدأ الرجل ذو الرداء المرقع في تقسيم عمال الطاقم لأزواج، دافعا إياهم ناحية المركبات المنتظرة على الجانب الآخر.
صاح الدوق: "أربعة هنا! وأربعة في تلك الطائرة الأخرى!"، وأشار بإصبعه لواحدة من طائراته المرافقة الواقفة خلفه تماما. كان الجنود يجاهدون لإخراج مولد الدرع منها.
"وأربعة في تلك الطائرة الواقفة هناك!"، وأشار لطائرة أخرى كانت قد تخلصت من مولد دروعها.
"وثلاثة في كل واحدة من الطائرات الأخرى! اركضوا بسرعة يا كلاب الرمال!"
انتهى الرجل الطويل من تقسيم رجال طاقمه، وجاء متثاقلا سائرا على الرمال ويتبعه ثلاثة من رفاقه.
قال كاينز: "أسمع الدودة لكن لا أستطيع رؤيتها"
ثم سمعها الباقون أيضا. صوت شيء يزحف وينزلق.. بعيد لكنه يشتد بالتدريج.
تمتم الدوق: "يا لها من طريقة عمل فوضوية"
أخذت الطائرات من حولهم ترفرف محلقة. ذكر المشهد الدوق بموقف رآه في غابات كوكب موطنه.. خروجه المفاجئ من الغابة إلى ساحة واسعة، وطيور آكلة للجيف ترتفع محلقة مبتعدة عن جثة ثور بري.
بصعوبة اقترب عمال التنقيب عن البهار من جانب الثوبتر وبدؤوا يتسلقون لداخلها خلف الدوق. ساعدهم هاليك، ساحبا إياهم إلى المؤخرة.

صاح: "ادخلوا يا شباب. بسرعة!"
اضطر بولس للانكماش في أحد الأركان لازدحام المكان بالرجال المتصببين عرقا، وشم في العرق رائحة الخوف.
لاحظ أن اثنين من الرجال لم يحكما غلق أربطة بذلة التقطير عند منطقة العنق. احتفظ بالمعلومة في ذاكرته إلى أن يحتاجها مستقبلا. يجب أن يصدر أبوه أمرا بالتزام العمال بالقواعد الصحيحة لارتداء بذلات التقطير. فالناس يميلون للإهمال في هذه الأمور إن لم يتم التشديد عليهم.
جاء آخر رجل وهو يلهث ويقترب من المؤخرة: "الدودة! تكاد تصل إلينا! انطلقوا فورا!"
جلس الدوق في مقعده ووجهه عابس: "لا زال أمامنا ثلاث دقائق على انتهاء التقدير الزمني الأصلي. أليس هذا صحيحا يا كاينز؟"
وأغلق بابه وتأكد من إحكامه.
قال كاينز: "بالضبط يا سيدي". وفكر: إنسان هادئ فعلا هذا الدوق.
قال هاليك: "كل شيء تمام هنا يا مولاي"
أومأ الدوق، ونظر لآخر طائراته المرافقة وهي تقلع. أدار مفتاح التشغيل، وألقى نظرة إضافية على الأجنحة وأجهزة التحكم، ثم أدخل متتابعة إشعال النفاثات.
غاص الدوق وكاينز في مقعديهما عندما بدأ الإقلاع، وانضغط الجالسون في الخلف.
راقب كاينز الطريقة التي يتعامل بها الدوق مع أدوات القيادة.. برقة وثقة.
حلقت الطائرة في الهواء، وفحص الدوق لوحة القيادة، ونظر للأجنحة على يمينه ويساره.
قال هاليك: "إنها ثقيلة جدا يا مولاي"
قال الدوق: "لم نتجاوز قدرات هذه الطائرة على التحمل. هل تظن أني سأعرض حمولة مثل حمولتنا هذه للخطر يا جيرني؟"
ابتسم جيرني وقال: "لم يخطر هذا على بالي إطلاقا يا مولاي"
مال الدوق بالمركبة في منحنى كبير بحركة ناعمة، وحام فوق الزاحفة.
من ركنه الذي انحشر فيه جوار النافذة حدق بولس في الماكينة الصامتة القابعة على الرمال. كانت العلامة الدودية قد اختفت على بعد 400 متر من الزاحفة. وبدأت الرمال المحيطة بالزاحفة المصنعية تهتز.
قال كاينز: "الدودة الآن تحت الزاحفة. سترون الآن شيئا لم يره إلا القليلون"
انبعثت ذرات غبار من الرمال المحيطة بالزاحفة. بدأت الماكينة الضخمة في الانزلاق قليلا ناحية اليمين. وتكونت زوبعة رملية هائلة على جانب الزاحفة. بدأت تتحرك أسرع وأسرع، حتى امتلأ الهواء بالرمال والغبار لمسافة مئات الأمتار.
ثم شاهدوها!
ظهرت في الرمال حفرة شديدة الاتساع، ولمعت أشعة الشمس على أسنان بيضاء ظهرت فيها. حسب تقدير بولس كان قطر الحفرة على الأقل ضعف طول الزاحفة. ونظر إذ انزلقت الماكينة إلى داخل تلك الفتحة في سحابة من الرمل والغبار، ثم تراجعت الحفرة واختفت.
تمتم رجل يجلس جوار بولس: "يا للآلهة! يا له من وحش!"
زمجر آخر: "التهمت كل ما جمعناه من بهار!"
قال الدوق: "سيحاسَب شخص ما على هذه الخسارة. هذا وعد"
أحس بولس بغضب عميق بدا في صوت أبيه. وكان يشاركه نفس الشعور.. فقد كان هذا هدرا شنيعا للموارد.

وخلال الصمت الذي تلا هذا سمعوا صوت كاينز.
كان يتمتم: "بارك الصانع وماءه. بارك مجيئه وذهابه. فليطهر مروره العالم. وليحفظ العالم من أجل شعبه"
قال الدوق: "ما هذا الذي تقوله؟"
لكن كاينز ظل ملتزما الصمت.
نظر بولس للرجال المزدحمين من حوله، فوجدهم يحدقون بخوف ناظرين لكاينز من الخلف. همس أحدهم: "ليات"
استدار له كاينز عابسا، فتراجع الرجل وبدا عليه الارتباك.
بدأ شخص آخر ممن تم إنقاذهم في السعال.. سعالا جافا وخشنا. ثم شهق وقال: "اللعنة على حفرة الجحيم هذه!"
قال الرجل الطويل الذي كان آخر من خرج من الزاحفة: "لا تتحرك كثيرا يا كوس وإلا ستتسبب في زيادة سعالك"
ثم أدخل نفسه بين الرجال إلى أن أمكنه النظر لظهر الدوق: "أظنك الدوق ليتو. ندين لك بحياتنا. فقبل أن تهبط لنا كنا قد هيأنا أنفسنا على الموت هناك"
تمتم هاليك: "اسكت يا رجل ودع الدوق يركز على قيادة الطائرة"
ألقى بولس نظرة على هاليك. هو أيضا كان قد انتبه للتجاعيد العصبية الظاهرة على جانب فك أبيه. على المرء أن يخطو برفق عندما يكون الدوق في حالة غضب.
شرع ليتو في إخراج الثوبتر بالتدريج من انحدارها الدائري لكنه توقف لما رأى حركة تحدث على الرمال.
كانت الدودة قد انسحبت للأعماق، وجوار المكان الذي كانت توجد فيه الزاحفة بدا شخصان يتحركان شمالا بعيدا عن المنخفض الرملي.
كانا في سيرهما وكأنهما ينزلقان بنعومة على الرمال دون أن يثيرا أي غبار يدل على تحركهما.
صاح الدوق: "من هذا الذي أراه بالأسفل؟"
قال الرجل الطويل: "اثنان من المتسكعين كانا يصحبانا يا مولاي"
"ولماذا لم يقل أحد شيئا بشأنهما؟"
قال عامل التنقيب: "هما من اختارا أن يخاطرا بالمجيء أصلا يا مولاي"
قال كاينز: "سيدي، هؤلاء الرجال يعلمون جيدا أنه يصعب تقديم المساعدة لمن حوصروا في الصحراء في منطقة من مناطق نفوذ الديدان"
قال الدوق بحدة: "سنرسل لهما طائرة من القاعدة"
قال كاينز: "كما تحب يا سيدي. لكن الأرجح أنه عندما تصل الطائرة إلى هنا لن يوجد ما يمكن إنقاذه"
قال الدوق: "سنرسل الطائرة على أية حال"
قال بولس: "لقد كانا يقفان مجاورين تماما لمكان خروج الدودة. كيف نجحا في الهرب؟"
قال كاينز: "جوانب الحفرة تنحدر فتعطيك إيحاءا خاطئا بالمسافات"
تجرأ هاليك وقال: "إنك تهدر الوقود ببقائك هنا يا مولاي"
"حسنا يا جيرني"
أدار الدوق طائرته متجها ناحية الجدار الجبلي. تركت طائراته المرافقة الدائرة التي كانت تحوم فيها، ثم اتخذت مواقعها أعلى طائرته وعلى جانبيها.
فكر بولس فيما قاله عامل التنقيب وكاينز. شعر بأنها أنصاف حقائق وأكاذيب صريحة. فالرجلان كانا يسيران على الرمال

بثقة ونعومة، ويتحركان بطريقة واضح أنها محسوبة ويراد منها عدم تنبيه الدودة أو إحضارها مجددا من الأعماق التي تسكنها.
فكر بولس: إنهم فريمن!
من غيرهم سيكون واثقا هكذا أثناء سيره على الرمال؟
من غيرهم يمكنك أن تنسى أمره ولا تقلق بشأنه، حيث أنهم ليسوا معرضين لخطر حقيقي؟
فهم يعلمون كيف يبقون أحياء في هذا المكان! يعلمون طريقة تجنب الدودة بذكاء!
قال بولس: "ماذا كان الفريمن يفعلون على متن هذه الزاحفة؟"
التفت له كاينز لجأة.
نظر الرجل الطويل بعينين واسعتين مندهشتين.. عيون لونها أزرق في أزرق في أزرق.
"من يكون هذا الفتى؟"
تحرك هاليك بحيث حشر نفسه بين الرجل وبين بولس: "إنه بولس أتريديز.. ولي العهد الدوقي"
قال الرجل: "ولماذا يقول أنه كان هناك فريمن على متن ماكينتنا؟"
قال بولس: "إن الأوصاف تنطبق عليهما"
قال كاينز في نبرة ساخرة: "لا يمكن التعرف على الفريمن بمجرد النظر إليهم!"، ونظر للعامل: "أنت. أخبرنا من كان هؤلاء؟"
قال العامل: "أصدقاء لأحد العمال الآخرين. مجرد صديقين يسكنان إحدى القرى وقد جاءا ليشاهدا طريقة التنقيب في رمال البهار"
استدار كاينز وقال بنبرة سخرية: "يظنهم فريمن!"
لكنه كان يتذكر كلمات النبوءة: "لسان الغيب لن يخدع بالأكاذيب والحيل"
قال العامل: "غالبا هم في عداد الموتى الآن يا سيدي الصغير. لا يجب أن نسيء لسيرتهم بالكلام عنهم هكذا"
لكن شعر بولس بالتلفيق باديا في نبرات صوتهم، وأحس بالتهديد الذي جعل هاليك أيضا يتحرك بالفطرة ويضع نفسه في موضع حراسة وانتباه.
قال بولس ببرود: "يا له من مكان رهيب هذا الذي ماتوا فيه"
قال كاينز دون أن يستدير: "عندما يكتب الرب على مخلوق أن يموت في مكان معين، فإنه يجعل رغبات هذا المخلوق توجهه نحو هذا المكان"
ألقى ليتو نظرة صارمة على كاينز.
بادله كاينز النظرة، لكنه وجد نفسه مضطربا بسبب حقيقة لاحظها: هذا الدوق كان مهتما بأمر الرجال أكثر من اهتمامه بالبهار.. وخاطر بحياته وحياة ابنه كي ينقذ الرجال.. ولم يهتم كثيرا لخسارته زاحفة من زاحفات البهار.. وشعر بالغضب لوجود خطر يهدد حياة الرجال.
قائد كهذا سيتبعه رجاله في ولاء تام، وسيكون من الصعب هزيمته.
ورغما عنه، وعلى العكس من كل آرائه السابقة، اعترف كاينز لنفسه: أنا معجب بهذا الدوق.

الفصل 16

"إن العظمة هي حالة زائلة.. لا تثبت أبدا على وتيرة واحدة.. بل تقوم جزئيا معتمدة على قدرة المخيلة البشرية على خلق الأساطير. الشخص الذي يُنظر له على أنه عظيم يجب أن يكون مدركا لطبيعة الأسطورة التي هو جزء منها. وعليه أن يعكس نفس الصفات التي ألصقها الآخرون به. وعليه أن يتحلى بقدرة ممتازة على السخرية من الذات. فبهذا يمكن أن ينأى بنفسه عن الوقوع في هوة تصديق الصفات المزعومة التي يتظاهر بها. السخرية من الذات هي كل ما يتيح له أن يفهم نفسه. وبدون التحلي بهذه الصفة فإن وصول الإنسان لمقدار - ولو حتى عابر - من العظمة سيتسبب في تدميره"

من كتاب "أقوال المؤدب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

في قاعة الطعام بقصر مدينة أراكين الكبير أضيئت المصابيح المضادة للجاذبية، لتنير الليل الذي بدأ يحل على المكان.
ألقت بوهجها الأصفر لأعلى، على رأس الثور الأسود وقرنيه الداميين، وعلى اللوحة الزيتية البراقة المصورة للدوق الكبير.
وتحت هذين الطلسمين سطع بياض الكتّان محيطا بالانعكاسات المصقولة لأدوات الطعام الفضية الخاصة بآل أتريديز، والتي تم وضعها في ترتيب دقيق على امتداد المائدة الكبيرة.. وكأنها جزر أرخبيلية منتظرة أن تقوم بالخدمة، واقفة جوار كؤوس كريستالية.. وكل طاقم منها موضوع باتساق شديد أمام واحد من المقاعد الخشبية الثقيلة.
تُركت الثريا كلاسيكية الطراز غير مضاءة، وسلسلتها ملتوية لأعلى بين الظلال، حيث أُخفيت بعناية آلية جهاز 'شمام السموم'.
توقف الدوق عند المدخل ليتأكد من انتظام الترتيبات، وأخذ يفكر في 'شمام السموم' ودلالة وجود مثل هذا الجهاز في مجتمعه.
فكر: إنه جزء من نمط عام. يمكن للمرء أن يسبر غورنا إن نظر لمفردات لغتنا.. الأوصاف الدقيقة والمضبوطة المستخدمة للتفريق بين طرق دس الموت الغادر للآخرين. هل سيحاول أحدهم الليلة استخدام الشومركي.. السم الموضوع في الشراب؟ أو ربما سيستخدم الشوماس.. السم في الطعام؟
وهز رأسه في ضيق.
جوار كل طبق من الأطباق الموضوعة على المائدة الطويلة كان يوجد إبريق ماء. قدّر الدوق أن مجموع الماء الموضوع على المائدة يمكن أن يكفي أسرة أراكسية فقيرة لأكثر من عام كامل.
على جانبي الباب الذي يقف عنده كانت توجد أحواض غسل واسعة، مكسوة بقرميد مزخرف ذي ألوان صفراء وخضراء. كل حوض معه رف معلقة عليه مناشف. وكما أوضحت له مدبرة المنزل فإن العادة كانت تقتضي أن يقوم كل ضيف - أثناء دخوله - بغمس يديه في الحوض حسب المراسم الشكلية المعتادة، ثم يريق من الماء على الأرضية ما يقترب مقداره من محتوى عدة أكواب، ثم يجفف يديه باستخدام إحدى المناشف ويرمي المنشفة على بركة الماء الصغيرة التي بدأت تتكون بشكل متزايد أمام الباب. وبعد انتهاء الضيوف من الطعام فإن الشحاذين يتجمعون بالخارج كي يحصلوا على الماء المعصور من تلك المناشف.
فكر الدوق: شيء معتاد في الإقطاعيات التي يتحكم فيها الهاركونن. يحرصون على إيلام نفوس الآخرين بكل إهانة يمكن أن

تخطر على البال.
أخذ نفسا عميقا، شاعرا بسَورة الغضب تضيّق معدته.
غمغم: "حان لهذه العادة أن نتوقف!"
لمح إحدى الخادمات - واحدة من أولئك العجائز المتغضنات اللاتي أوصت بهن مدبرة المنزل - وهي واقفة عند باب المطبخ المقابل له. أشار لها الدوق برفع يده، فتحركت مبتعدة عن الظلال وأسرعت نحوه مستديرة حول المائدة.
لاحظ وجهها المتجلد الجاف وعينيها اللتين تسودهما الزرقة التامة.
"أوامر سيدي؟"، أحنت رأسها ولم تواجهه ببصرها.
أشار بيده وقال: "أزيلوا هذه الأحواض والمناشف"
"لكن.. يا ابن النبلاء.."، رفعت بصرها، وفغرت فمها دهشة.
صاح: "إني أعلم بالفعل أمر العادة!.. خذي هذه الأحواض لباب البيت الخارجي. طوال وقت تناولنا للطعام - وإلى أن نفرغ منه - يحق لكل شحاذ يطرق بابنا أن يحصل على كوب ماء كامل. مفهوم؟"
بدت على وجهها المتغضن مشاعر متداخلة .. هلع، وغضب.
وفجأة أدرك ليتو أنها كانت تنوي بيع الماء المعصور من تلك المناشف المداسة بالأقدام، معتصرةً بضعة عملات من هؤلاء البؤساء الذين سيأتون للباب متسولين.
ربما هذا الأمر أيضا كان عادة.
اكفهر وجهه وقال متذمرا: "سأعيّن حارسا كي يتأكد من أن أوامري تم تنفيذها بالحرف"
واستدار على عقبيه وأسرع الخطى عبر الممر المؤدي لردهة القصر الكبيرة.
تعاقبت الذكريات على ذهنه كما لو كانت همهمات نسوة عجائز هتم بلا أسنان.
تذكر المسطحات المائية الواسعة، والأمواج.. تذكر أياما تملؤها الأعشاب لا الرمال.. مواسم صيف متعاقبة في سرعة تسبب الدوار، مرت عليه مسرعة كأوراق الشجر تحملها الرياح العاصفة.
راحت كلها.
فكر: لقد كبر سني. شعرت بيد الفناء الباردة تمسني. والشيء الذي بعث في نفسي هذا الشعور؟ طمع امرأة عجوز.
في ردهة القصر كانت الليدي جيسيكا تقف في مركز مجموعة متنوعة من الأفراد، أمام المستوقد. أصدر أحد ألسنة اللهب فرقعة، ملقيا ومضات من ضوء برتقالي على المجوهرات وشرائط الزينة وأقمشة الملابس الباذخة.
تعرف من بين المجموعة على أحد مصنعي بذلات التقطير القادمين من مدينة قرطاج.. ومستورد للأجهزة الإلكترونية.. وتاجر ماء كان له قصر صيفي بقرب مصنعه الموجود عند القطب الجليدي.. وأحد ممثلي بنك نقابة الفضاء، كان طويلا ويبدو كتوما.. وتاجر يتخصص في قطع غيار ماكينات التنقيب عن البهار.. وامرأة نحيلة ذات ملامح صارمة، كان يقال أن خدمة 'توريد المرافقات' - التي تديرها للزبائن القادمين كزوار من الكواكب الأخرى - هي غطاء لكثير من عمليات التهريب والتجسس والابتزاز.
بدا كما لو أن أغلبية النساء الحاضرات يغلب عليهن طابع واحد مشترك.. ديكوري، ومبالغ في التأنق.. مزيج غريب يثير الشهوة الحسية ويشير لصعوبة المنال.
فكر: حتى لو لم تكن جيسيكا هي المضيفة لكانت برزت من بين أفراد المجموعة على أية حال.
لم تكن متزينة بأي حُلي، واختارت لملابسها ألوانا دافئة.. فستان طويل تكاد تقترب درجة لونه من لون لسان اللهب،

وحول شعرها البرونزي شريط ترابي اللون.
أدرك أنها فعلت هذا عامدة، كطريقة ماكرة لتوبيخه.. ردا على جفائه الذي يعاملها به مؤخرا. فقد كانت تعلم تمام العلم أنها تعجبه عند ارتدائها لهذه الألوان.. وأنه ينظر لها فيراها كخفيف دافئ اللون.
في موضع قريب وقف دنكن أيداهو، لا كعضو مختلط بالمجموعة بل كشخص يكاد أن يكون متحاشيا لهم. كان مرتديا زيا رسميا براقا، ووجهه من الصعب قراءة تعبيراته، أما شعره الأسود المجعد فممشط بعناية.
كان قد تم استدعاؤه فعاد من عند الفريمن وتلقى أوامره من حواط: "بذريعة حراستك لها، ستكون مهمتك هي أن تضع الليدي جيسيكا تحت المراقبة الدائمة"
نظر الدوق في أرجاء القاعة.
ها هو بولس في أحد الأركان، محاط بمجموعة من يافعي أسر صغار النبلاء على أراكس، ويقف بينهم - في تحفظ - ثلاثة من ضباط الحرس المنزلي. دقق الدوق في الشابات الصغيرات على وجه الخصوص.
ولي عهد الدوقية هو 'لُقطة' بالتأكيد!.. لكن بولس كان يعامل كل واحدة منهن على قدم المساواة، دون تمييز، وبتحفظ نبيل.
فكر الدوق: سيلائمه لقب الدوق. ثم انتبه - برجفة فجائية - أنها خاطرة أخرى متعلقة بالموت.
رأى بولس والده الواقف عند المدخل، فتجنب نظراته.
أدار بصره فيما حوله من تجمعات الضيوف، وفي الأيادي المحلاة بالجواهر وهي ممسكة بكؤوس المشروبات، وكيف أنها تفحصها - خلسة دون أن يلاحظ الآخرون - باستخدام أجهزة 'شمام سموم' صغيرة محمولة.
نظر بولس لكل تلك الوجوه المثرثرة فشعر فجأة بنفور عارم تجاهها. فما هي إلا أقنعة رخيصة تغطي أفكارا متقيحة.
أصوات تثرثر كي تغرق ذلك الصمت الرهيب الموجود بصدر كل واحد منهم.
فكر: إني في مزاج سيء. وتساءل: ترى ماذا سيكون تعليق جيرني على هذا؟
كان يعلم منبع مزاجه هذا. فلم يكن راغبا من البداية في حضور هذه الوليمة، لكن أباه كان مصرا في حزم:
"لك مركز اجتماعي.. ومكانة.. عليك الحفاظ عليهما. لقد كبرت بما فيه الكفاية كي تقوم بهذا. فقد كدت تكون رجلا بالفعل"
رأى بولس أباه يظهر قادما من المدخل وينظر في القاعة باحثا عن شيء، ثم يتجه نحو المجموعة المحيطة بالليدي جيسيكا.
أثناء اقتراب ليتو من المجموعة كان تاجر الماء يسأل: "هل صحيح أن الدوق سيضع أقمار تحكم بالطقس؟"
ومن خلف الرجل جاء صوت الدوق قائلا: "لم ننتهِ في تخطيطنا إلى هذه المرحلة المتقدمة بعد يا سيد"
التفت الرجل، فكشف عن وجه رقيق، مستدير، أسمر سفعته الشمس.
"أها.. الدوق هنا. لقد افتقدناك"
ألقى ليتو نظرة على جيسيكا. "كان هناك شيء علي أن أقوم به"، وعاد بانتباهه إلى تاجر الماء، وشرح له ما أمر به بشأن أحواض الغسل، مضيفا: "هذه العادة القديمة - على الأقل فيما يخصني - قد انتهت الآن بالفعل"
قال الرجل: "هل هذا أمر دوقي يا سيدي؟"
قال الدوق: "هذا متروك لـ.. ضميرك"، ثم استدار فلاحظ أن كاينز يتقدم مقتربا من المجموعة.
قالت إحدى النساء: "أظنها حركة كريمة للغاية.. أن نعطي الماء للفـ.."، لكن أحدهم أسكتها.
نظر الدوق لكاينز فلاحظ أن الخبير الكوكبي يرتدي زيا رسميا ذي لون بني داكن وطراز قديم، وعلى الكتفين شارات

الموظفين الإمبراطوريين، وعلى ياقة السترة شارة على شكل دمعة صغيرة ذهبية.
قال تاجر الماء سائلا في نبرة غاضبة: "هل يقصد الدوق أن يلمّح بانتقاد لعادتنا هذه؟"
قال ليتو: "هذه العادة تم تغييرها". أومأ لكاينز محييا، ولاحظ التقطيبة التي ارتسمت على وجه جيسيكا.
فكر: التقطيب لا يناسب جمالها، لكنه سيقوي الشائعات القائلة بوجود خلاف بيننا.
قال تاجر الماء: "بعد إذن الدوق، أريد أن أستفسر أكثر بخصوص العادات"
سمع ليتو في صوت الرجل تلك النبرة المداهنة المفتعلة التي ظهرت فجأة، وانتبه لحالة الارتقاب الصامت التي سادت المجموعة، وأن الرؤوس - في أنحاء القاعة - بدأت تلتفت إليهم.
قالت جيسيكا: "ألم يحن وقت الطعام بالفعل؟"
قال ليتو: "لكن ضيفنا عنده بعض الأسئلة". ونظر لتاجر الماء ذي الوجه المستدير والعينين الواسعتين والشفتين الغليظتين، متذكرا التقرير المختصر الذي قدمه له حواط: "... وتاجر الماء هذا هو رجل يجب أن نبقي أعيننا عليه.. لينجار بيوط.. تذكّر الاسم. كان الهاركونن يستخدمونه لكن لم يستطيعوا التحكم فيه بشكل كامل"
قال بيوط، وعلى وجهه ابتسامة: "إن العادات المتعلقة بالماء مثيرة للاهتمام. أشعر بالفضول لمعرفة ماذا تنوي أن تفعل بشأن صوبة النباتات الملحقة بهذا البيت. هل تنوي أن تستمر في التباهي بها أمام الشعب.. يا سيدي؟"
كظم ليتو غضبه وحدق في الرجل. تسارعت الأفكار في ذهنه. فقد تطلب الأمر شجاعة من الرجل كي يتحداه هكذا في قلعته الدوقية ذاتها، خصوصا وأن بيوط كان قد قام بالتوقيع بالفعل على تعهد بالولاء.
بالإضافة إلى أن فعل التحدي هذا كان يدل على أن الرجل يشعر بالثقة في قوته الشخصية. فالماء هنا هو قوة بالفعل.
خصوصا لو أن هناك ألغام - على سبيل المثال - وُضعت في مستودعات المياه بحيث تكون مهيئة للتفجير بمجرد الإشارة. بدا على الرجل القدرة على القيام بأمر كهذا. تدمير مستودعات المياه قد يقضي على أراكس. ربما هذا التهديد هو الهراوة التي كان يرفعها بيوط على رأس الهاركونن.
قالت جيسيكا: "أنا وسيدي الدوق عندنا خطط أخرى فيما يخص صوبتنا النباتية هذه" وابتسمت لليتو.
"بالتأكيد ننوي أن نحتفظ بها، لكن كوديعة لشعب أراكس ليس إلا. فما نحلم به هو أنه - يوما ما - سيمكن تغيير مناخ أراكس بدرجة كافية بحيث يصلح لإنبات مثل هذه النباتات في أي مكان مفتوح"
فكر ليتو: أحسنت!.. دع تاجر الماء يرد على هذا إن استطاع!
قال الدوق: "واضح اهتمامك بالماء وبموضوع التحكم في الطقس. نصيحتي لك هي أن تقوم بتنويع ممتلكاتك التجارية.. فيوما ما لن يعود الماء سلعة غالية على أراكس"
وفكر: يجب على حواط أن يضاعف من جهوده لاختراق منظمة بيوط هذا. وعلينا أن نبدأ حالا في إعداد مستودعات مائية احتياطية. لن أسمح لأحد بأن يرفع أي هراوة ليهددني بها!
أومأ بيوط والابتسامة لا زالت على وجهه: "حلم يستحق الإعجاب يا سيدي"، وتراجع خطوة للوراء.
جذب التعبير الظاهر على وجه كاينز انتباه ليتو. كان الرجل يحدق في جيسيكا، وبدا وكأنه منبهر.. كرجل واقع في الحب، أو في إغشاءة دينية.
وأخيرا انقهرت أفكار كاينز أمام كلمات النبوءة القائلة: "وسيشاركونكم أغلى أحلامكم".
فتكلم موجها كلامه لجيسيكا مباشرة: "هل أنتِ من سيحضر لنا مختصِر الطريق؟"
قال تاجر الماء: "دكتور كاينز! عدت أخيرا من تجوالك المتسكع مع همج الفريمن. جميل أنك شرفتنا بقدومك"

نظر كاينز لبيوط نظرة خالية من التعابير، وقال: "يقال في الصحراء أن امتلاك كميات كبيرة من الماء يمكن أن يجعل المرء يتصرف بطيش قاتل يتسبب في القضاء عليه"
قال بيوط: "عندهم الكثير من المقولات الغريبة في الصحراء"، لكن صوته فضح ما يشعر به من خوف.
خطت جيسيكا مقتربة من ليتو ووضعت يدها تحت ذراعه كي تعطي لنفسها لحظة لتستعيد هدوءها. فكاينز قد قال: "... مختصر الطريق".. وهي عبارة - في اللغة القديمة - تترجم إلى 'كويزاتس هاديراك'.
بدا أن السؤال الغريب الذي ألقاه الخبير البيئي الكوكبي قد مر على الآخرين دون أن ينتبهوا إليه، حيث أن كاينز في هذه اللحظة كان يحني رأسه قريبا من إحدى المرافقات، يستمع لدلالها العابث منخفض الصوت.
فكرت جيسيكا: الكويزاتس هاديراك. هل زرعت بعثاتنا الإرسالية هذه الأسطورة هنا أيضا؟
أججت الفكرة فيها تلك الأمنية الخفية التي تمناها لبولس. إذ يمكن فعلا أن يكون هو الكويزاتس هاديراك.
يمكن أن يكون هو.
كان ممثل بنك النقابة منهمكا في محادثة مع تاجر الماء، وارتفع صوت بيوط على همهمة المحادثات الأخرى التي تجددت في المكان، قائلا: "كثير من الناس سعوا لتغيير أراكس"
انتبه الدوق للطريقة التي طعنت فيها تلك الكلمات كاينز، وأن الخبير الكوكبي قد اعتدل فجأة عند سماعها وابتعد عن المرأة التي كانت تغازله.
في جو السكون المفاجئ تنحنح أحد أفراد الحرس المنزلي المرتدي زي جنود المشاة، وقال وهو واقف خلف ليتو: "تم تقديم الطعام يا سيدي"
صوب الدوق نظرة متسائلة ناحية جيسيكا.
قالت: "العادة هنا هي أن المضيف والمضيفة يتبعان ضيوفهما إلى المائدة" ثم ابتسمت: "هل سنغير هذه العادة أيضا يا مولاي؟"
رد في لهجة جافة: "تبدو عادة جيدة لا بأس بها. سندعها كما هي في الوقت الحالي"
فكر: يجب الحفاظ على الوهم الذي يوحي بأني أشك في خيانتها. ونظر للضيوف المارين أمامه في طوابير.. تُرى مَن منكم يصدق هذه الكذبة؟
شعرت جيسيكا بجفائه وتساءلت في نفسها عن سببه، كما فعلت على مدار الأسبوع الفائت.
فكرت: إنه يتصرف كما لو كان يتصارع مع نفسه. هل السبب هو أني أقدمت بسرعة على ترتيب حفلة العشاء هذه؟ لكنه يعلم أنه من الهام أن نبدأ في تشجيع ضباطنا ورجالنا على الاختلاط اجتماعيا مع السكان المحليين. فنحن الاثنان نعتبر أبا وأما لهم جميعا. ولا شيء يطبع هذه الحقيقة بقوة في الأذهان أكثر من هذا النوع من الاختلاط الاجتماعي.
نظر ليتو للضيوف المارين أمامه في صفوف وتذكر ما قاله ظوفر حواط عندما علم وجود نية لعقد الوليمة: "مولاي! أعترض على هذا بشدة!"
ارتسمت ابتسامة شرسة على فم الدوق.
كان موقفا عاصفا. وعندما أصر الدوق على حضور الوليمة هز حواط رأسه يمنة ويسرة وقال: "يغمرني شعور سيء تجاه هذا الأمر يا سيدي. الأمور أخذت تتحرك أسرع من اللازم على أراكس. ليس هذا من طبع الهاركونن المعتاد. ليست عادتهم على الإطلاق"
مر بولس أمام أبيه، مرافقا فتاة شابة تفوقه طولا بمقدار نصف رأس. نظر لأبيه نظرة سريعة أظهر فيها امتعاضه من الفتاة،

ثم عاد للفتاة وأومأ في أدب ظاهري موافقا إياها على شيء قالته.
قالت جيسيكا: "أبوها يقوم بتصنيع بذلات تقطير. قيل لي أن الحمقى فقط هم من سيخاطرون بارتداء واحدة من بذلاته في قلب الصحراء"
قال الدوق: "ومن هذا الرجل ذو الندوب والذي يتقدم بولس؟.. لم أتعرف عليه"
همست: "إضافة متأخرة للقائمة. جيرني قام بترتيب دعوته. هو واحد من المهربين"
"جيرني هو من رتب؟"
"استجابة لطلب مني. وافق حواط أمنيا على الأمر، لكن أظنها كانت موافقة على مضض. اسم المهرب هو تويك.. إزمار تُويك. له شأن بين زملائه المهربين. وكل الحاضرين هنا يعرفونه. فقد استضافته بيوت كثيرة على العشاء"
"ولم هو هنا؟"
قالت: "كل شخص هنا سيسأل هذا السؤال أيضا. فتويك سيبذر بذور الشك والريبة بمجرد وجوده. ووجوده سيوضح للجميع أنك جاد تمام الجد في تنفيذ أوامرك الخاصة بمنع المحسوبية والرشوة.. عن طريق تنفيذها من جانب المهربين أيضا. بدا حواط معجبا بهذه النقطة"
"لست متأكدا من إعجابي أنا بالأمر". أومأ بالتحية لزوجين مرا أمامه، ولاحظ أنه لم يبق إلا القليل من الضيوف عليه انتظار أن يتقدموه للمائدة.
"لم لم تقدمي الدعوة لبعض الفريمن؟"
قالت: "كاينز هنا"
قال: "نعم، كاينز فعلا هنا. هل رتبتِ لي مفاجآت أخرى صغيرة من هذا النوع؟"، وخطا بها للأمام ليتبعا الموكب.
قالت: "كل الأمور الأخرى معتادة تماما"
وفكرت: يا عزيزي، ألا تفهم أن هذا المهرب يتحكم في سفن فضاء سريعة، وأنه يمكن رشوته؟ فعلينا أن نستعد بخطة طارئة للهروب من أراكس إن انهارت حياتنا هنا وفشلنا.
حررت يدها من ذراعه عندما ولجا قاعة الطعام، وتركت ليتو يعينها على الجلوس في مقعدها.
خطا ناحية الجهة الأخرى من المائدة حيث سيجلس، وسحب له أحد جنود المشاة المقعد.
استقر الآخرون في أماكنهم وسط حفيف الملابس وصرير أرجل المقاعد، لكن ظل الدوق واقفا.
أعطى إشارة بيده فتراجع الحرس المنزلي - المرتدي زي جنود المشاة - خطوة للوراء، ووقفوا في وضع انتباه.
خيم على القاعة صمت مشوب بالقلق.
نظرت جيسيكا على امتداد المائدة الطويلة فرأت اضطرابا خفيفا على جانب فم ليتو، ولاحظت حمرة الغضب المتصاعدة في وجنتيه. سألت نفسها: ما الذي أغضبه؟ بالتأكيد ليس السبب هو دعوتي للمهرب.
قال ليتو: "البعض يعترض على تغييري لعادة أحواض الغسل. هذا التغيير هو طريقتي في إخباركم أن الكثير من الأمور ستتغير"
خيم على المائدة صمت محرج.
فكرت جيسيكا: يظنون أنه مخمور.
أمسك ليتو بإبريق مائه ورفعه عاليا، فانعكست عليه أشعة الضوء القادم من المصابيح المضادة للجاذبية: "بصفتي أحد الفرسان التابعين للإمبراطورية فإني أرفع لكم هذا النخب"

التقط الآخرون أباريقهم، وكل العيون مصوبة على الدوق.
وفي هذا الهدوء الذي حل فجأة انجرف أحد المصابيح الطائرة قليلا، متأثرا بتيار هواء شارد جاء من ردهة مطبخ تقديم الطعام.
تراقصت الظلال على ملامح وجه الدوق الصقرية.
صاح: "إن مكاني هنا.. وسأبقى ها هنا!"
أُجهضت حركة رفع الأباريق إلى الأفواه، إذ ظل الدوق رافعا ذراعه.
"نخبي سيكون عبارة عن واحدة من تلك المقولات الحكيمة المحببة إلى قلوبنا: التجارة سبيل التقدم! والحظ السعيد يزور الجميع!"
ثم احتسى من الماء.
حذا الآخرون حذوه، وتبادلوا بينهم نظرات متسائلة.
نادى الدوق قائلا: "جيرني!"
جاء صوت هاليك قادما من فجوة في ناحية القاعة القريبة من مكان ليتو: "أنا هنا يا سيدي"
"اعزف لنا شيئا يا جيرني"
ومن الفجوة تصاعدت نغمة رقيقة من الباليست. شرع الخدم في وضع أطباق الطعام على المائدة بعد أن سمح لهم الدوق بإشارة من يده.. أرنب صحراوي مشوي ومعه صوص السيبيدا.. أبلوميج سيراني.. شوكا مقدمة تحت الزجاج.. قهوة مصنوعة من مزيج البهار، تصاعدت معها رائحة قرفة قوية فاحت عبر المائدة.. بوت-آوي أصلي مقدم مع نبيذ كالاداني فوّار.
ومع ذلك ظل الدوق واقفا.
وإذ انتظر الضيوفُ - واهتمامهم مشتت بين الأطباق الموضوعة أمامهم والدوق الواقف - قال ليتو: "في الأيام الغابرة كان من واجبات المضيف أن يرفه عن ضيوفه بعرض مواهبه الخاصة"
وابيضت مفاصل أصابعه بسبب القوة الشديدة التي كان يقبض بها على الإبريق.
"لا أستطيع الغناء، لكني سألقي عليكم كلمات الأغنية التي يعزفها جيرني. اعتبروها نخبا آخر.. نخب لهؤلاء الذين ماتوا كي نصل نحن لهذه المكانة"
صدرت عبر المائدة أصوات حركات مضطربة.
أرخت جيسيكا بصرها، وألقت عدة نظرات على هؤلاء الجالسين قريبا منها.. تاجر الماء ذو الوجه المستدير ومعه المرأة المرافقة له.. المصرفي ممثل بنك النقابة بوجهه الشاحب وطبعه المتزمت شديد التحفظ، والذي بدا - وهو ينظر لليتو - وكأنه خيال مآتة ذو شفاه ممطوطة كأنه يصفر.. تُويك فظ الهيئة، بوجهه ذي الندوب، وقد خفض عينيه تامتي الزرقة.
قال الدوق في صوت منغم:
"حان وقت التفتيش يا أصدقاء.. يا جنود قد تأخرتم على وقت كشف معادنكم.
مقبلون على ما قُدّر لكم.. آلام ثقيلة ودولارات.
أرواحهم ترتدي قلاداتنا الفضية.
حان وقت التفتيش يا أصدقاء.. يا جنود قد تأخرتم على وقت كشف معادنكم.
كل واحد منهم نقطة في الزمن، ليس بها ادعاء فارغ ولا نفاق.
معهم يأتي إغراء الثراء.

حان وقت التفتيش يا أصدقاء.. يا جنود قد تأخرتم على وقت كشف معادنكم.
عندما ينقضي عمرنا بابتسامة سنتيح لغيرنا الثراء وإغراءه"
مط الدوق صوته وهو يلقي هذه الجملة الأخيرة، ثم تجرع جرعة كبيرة من إبريق الماء، وخبطه وهو يضعه على المائدة.
انزلق بعض الماء من الحافة وانسكب على المفرش الكتاني.
شرب الآخرون من مائهم في صمت مرتبك.
ثم رفع الدوق إبريقه مجددا، وهذه المرة أفرغ النصف الباقي من محتوياته على الأرض، مدركا أن الآخرين الجالسين على المائدة سيتحتم عليهم حسب التقاليد أن يفعلوا مثله.
كانت جيسيكا هي أول من حذا حذوه.
تجمد الزمن للحظة قبل أن يبدأ الآخرون أيضا في سكب أباريقهم. لاحظت جيسيكا كيف أن بولس - الجالس قريبا من أبيه - كان يدرس ردود الأفعال من حوله. ووجدت نفسها أيضا مهتمة بما تكشف عنه ردود أفعال ضيوفها.. خصوصا النساء.
فقد كان هذا ماءا نظيفا وصالحا تماما للشرب، وليس شيئا سبق نبذه في منشفة.
النفور من مجرد إلقائه هكذا بدا واضحا في الأيادي المرتعشة.. التأخر المتردد.. الضحكات العصبية.. ثم في الانصياع الضروري - لكن بحركات عنيفة - للأمر.
إحدى النساء وقع منها إبريقها، فأشاحت بوجهها للاتجاه الآخر بينما التقطه رفيقها من على الأرض.
لكن أكثر ما شد انتباهها هو كاينز. فقد ظهر التردد على الخبير الكوكبي ثم أفرغ إبريقه في وعاء موضوع تحت سترته.
وعندما التقت عيناه بجيسيكا ابتسم لها، ورفع الإبريق الفارغ في نخب صامت. ولم يبد عليه أي حرج إطلاقا مما فعله.
استمرت موسيقى هاليك تعم أرجاء القاعة، إلا أنها تحولت من هدوئها السابق وأصبحت مرحة ومثيرة، كما لو أنه كان يحاول تخفيف المزاج السائد.
قال الدوق: "فليبدأ العشاء"، ثم هبط غائصا في مقعده.
فكرت جيسيكا: إنه غاضب وقلق. فقدان هذه الزاحفة المصنعية أثر فيه أكثر مما يجب. لا بد أن في الأمر شيئا آخر.. فهو يتصرف كرجل يائس.
رفعت شوكتها، آملة أن الحركة ستخفي مرارتها التي حلت فجأة.
ولم لا؟ فهو بالفعل في وضع يائس.
ببطء في البداية - ثم بنشاط متزايد تدريجيا - بدأ تناول الطعام. صانع بذلات التقطير قام بإطراء جيسيكا على طاهيها ونبيذها.
قالت: "أحضرنا الاثنين معنا من كالادان"
قال وهو يتذوق الشوكا: "ممتاز! طعم ممتاز جدا! ولا توجد به ولا ذرة واحدة من مزيج البهار. فالمرء يشعر بالملل من وضع البهار في كل شيء"
نظر ممثل بنك النقابة إلى كاينز الجالس أمامه: "حسب ما بلغني يا دكتور كاينز فإن زاحفة مصنعية أخرى قد راحت ضحية للديدان"
قال الدوق: "الأخبار تنتقل بسرعة"
قال المصرفي: "إذن الأمر صحيح؟" وحول انتباهه لليتو.

قال الدوق بحدة: "بالطبع الأمر صحيح! تلك الحاملة الطائرة الملعونة قد اختفت. من غير المعقول أن يختفي شيء بمثل هذه الضخامة هكذا!"
قال كاينز: "عندما جاءت الدودة لم يكن هناك شيء كي يحمل الزاحفة بعيدا"
كرر الدوق: "لا يُعقل أن يُسمح لمثل هذا بالحدوث!"
سأل المصرفي: "ولم ير أحد إطلاقا الحاملة وهي ترحل؟"
قال كاينز: "طائرات المراقبة في العادة تبقي أعينها على الرمال. فاهتمامهم الأساسي هو اكتشاف أي علامة دودية. طاقم الحاملة الطائرة مكون عادة من أربعة رجال.. اثنين من الطيارين ويرافقهما معاونان. فإن كان واحد - أو حتى اثنين - من هذا الطاقم قد تلقى أموالا من خصوم الدوق، فـ..."
قال المصرفي: "آه، فهمت. وأنت - بصفتك قاضي التحكيم - هل ستحقق في المسألة؟"
قال كاينز: "سأدرس موقفي بحرص شديد قبل اتخاذه. وبالتأكيد لن أناقش شيئا كهذا أثناء وليمة طعام"
وفكر: يا لهذا الهيكل العظمي الباهت! فهو يعلم جيدا أني تلقيت أوامر بتجاهل مثل هذا النوع من المخالفات.
ابتسم المصرفي ثم عاد ليهتم بطعامه.
جلست جيسيكا تتذكر محاضرة تلقتها أيام دراستها في مدرسة البني-جيزيرت.
كان موضوعها هو التجسس وكشف التجسس، ألقتها سيدة موقرة سمينة ذات وجه مبتهج.. تَعارض صوتها المرح بشكل غريب مع موضوع الدرس.
"ما يجب الانتباه إليه عند دراسة أي مذهب تجسسي و/أو كاشف للتجسس هو وجود نمط رد فعلي ثابت ومتشابه بين كل المتخرجين التابعين له. فأي فرع علمي مغلق سيكون له طابع خاص مميز.. نمط يؤثر في تلاميذه.
وهذا النمط عُرضة لإمكانية التحليل والتنبؤ.
بالطبع فإن الأنماط المتعلقة بالدوافع ستكون واحدة ومشتركة بين جميع العملاء الجواسيس. أي أنه ستوجد دوافع معينة متشابهة مهما اختلفت المذاهب وتعارضت الأهداف.
ما ستدرسونه أولا هو كيفية فصل هذه العناصر بعيدا عن تحليلكن. يتم هذا أولا عن طريق النظر لأنماط الاستجواب التي ستفضح التوجه الداخلي الحقيقي لمن يقوم بطرح الأسئلة الاستجوابية. وثانيا، عن طريق الملاحظة الدقيقة لتوجهات اللغة والفكر عند هؤلاء الذين نقوم بتحليلهم.
وستجدون أنه من السهل للغاية تحديد الجذور اللغوية المطبوعة على هؤلاء الأشخاص محل الدراسة.. وهذا بالطبع عن طريق فحص درجات الصوت وأنماط الحديث"
وإذ جلست جيسيكا في هذه اللحظة إلى المائدة، مع ابنها ودوقها وضيوفها، مستمعة إلى ممثل البنك النقابي، شعرت برجفة ناتجة عن الفهم وإدراك الأمر: إن الرجل عميل هاركوني.
فأنماط حديثه كانت أنماط جيدي برايم.. صحيح أنها مخفاة بدهاء، لكن واضحة تماما لوعيها المدرَّب كما لو كان الرجل قد أفصح عن الأمر بنفسه علانية.
سألت نفسها: هل يعني هذا أن نقابة الفضاء قد اختارت الجانب المعادي لآل أتريديز؟
أفزعتها الفكرة، فأخفت مشاعرها بأن طلبت إحضار صنف طعام جديد، وإن استمرت في الإصغاء للرجل منتظرة أن يكشف عن غرضه الحقيقي.
أخبرت نفسها: سيقوم الآن بتغيير مجرى الحوار إلى شيء يبدو بريئا في الظاهر، لكن له تبعات بغيضة متعلقة به.

هذا هو نمطه.
بلع المصرفي طعامه واحتسى شيئا من النبيذ وابتسم ردا على شيء قالته له المرأة الجالسة على يمينه. بدا للحظة أنه يستمع لرجل جالس بعيدا عنه كان يشرح للدوق مسألة أن النباتات المحلية على أراكس ليس بها أشواك.
قال المصرفي، موجها كلامه إلى جيسيكا: "أستمتع بمشاهدة طيران الطيور على أراكس. كل طيورنا - بالطبع - من آكلات الجيف، وكثير منها يعيش دون شرب الماء، إذ تحولوا لشاربي دماء"
ابنة صانع بذلات التقطير - الجالسة في مكان بين بولس وأبيه على الطرف الآخر من المائدة - لوت وجهها الجميل في تقطيبة وقالت: "أوه يا سو-سو.. دائما ما تتفوه بأكثر الأشياء بشاعة"
ابتسم المصرفي: "يلقبونني بـ سو-سو لأني المستشار المالي لاتحاد بائعي الماء"، وإذ استمرت جيسيكا في النظر إليه دون تعليق، أضاف: "بسبب صياح بائعي الماء.. سو_سو_سوك!"، وقام بتقليد الصيحة بدقة حتى أن الكثير من الجالسين إلى المائدة ضحكوا.
انتبهت جيسيكا لنبرة التفاخر في صوته، لكن أكثر ما لفت انتباهها هو أن الفتاة قد تكلمت حسب دورها الملقن لها..
إنه مشهد مرتب مسبقا.
فبكلامها كانت تتيح الفرصة المناسبة للمصرفي كي يقول ما قاله.
ألقت نظرة على لينجار بيوط، فوجدت تاجر الماء الثري عابسا، مركزا على طعامه.
فاتضح لجيسيكا أن ما عناه المصرفي بكلامه هو: "أنا أيضا أتحكم بمصدر السلطة المطلق على أراكس.. الماء"
كان بولس قد لاحظ الزيف في صوت رفيق المائدة، ورأى أن أمه كانت تتابع الحوار بتركيز البني-جيزيرت.
وإرضاء لنزوة عابرة قرر أن يلعب دور الند في الحوار، وأن يطيل النقاش أكثر. فوجه كلامه للمصرفي.
"هل تقصد يا سيدي أن هذه الطيور تأكل إخوانها؟"
قال المصرفي: "إنه لسؤال غريب يا سيدي الشاب. كل ما قلته هو أن الطيور تشرب الدماء. لا يلزم أن تكون هذه الدماء هي دماء أفراد من نفس نوعها، أليس كذلك؟"
قال بولس: "لم يكن سؤالا غريبا"، ولاحظت جيسيكا في صوته أثر تدريبها له على الإجابات السريعة كالطعنات الخاطفة.
"فأغلب المتعلمين يعلمون أن أخطر منافسة يواجهها أي كائن صغير تأتي من أفراد نوعه"
وبحركة متعمدة التقط بشوكته قطعة طعام من طبق رفيقه، وأكلها.
"فإنهم يأكلون من نفس الطبق. ولهم نفس الاحتياجات الأساسية"
تصلب المصرفي ونظر إلى الدوق عابسا.
قال الدوق وهو يبتسم: "لا ترتكب خطأ النظر لابني على أنه طفل"
دارت جيسيكا ببصرها حول المائدة، فلاحظت أن بيوط عاد له ابتهاجه، وأن كلا من كاينز والمهرب كانا يبتسمان ابتسامة واسعة.
قال كاينز: "إنها قاعدة في علم البيئة، وواضح أن السيد الشاب يفهمها جيدا. الصراع بين عناصر الحياة هو صراع على مصادر الطاقة الحرة في المنظومة البيئية. والدم هو مصدر جيد للطاقة"
وضع المصرفي شوكته في طبقه وقال بنبرة غاضبة: "يقال أن حثالة الفريمن يشربون دماء موتاهم"
هز كاينز رأسه معترضا وتكلم وكأنه يلقي محاضرة: "ليس الدماء يا سيدي. بل كل ماء جسد الشخص يؤول في النهاية لقومه.. لقبيلته. وهذا شيء ضروري خصوصا عند الإقامة قريبا من منطقة السهل العظيم. فالماء هناك شديد الندرة، والجسم

الإنساني مكون من الماء بنسبة 70% من وزنه الكلي. الميت - بطبيعة الحال - لم يعد يحتاج هذا الماء"
وضع المصرفي كلتا يديه على جانب المائدة جوار طبقه، وظنت جيسيكا أنه سيدفع نفسه للخلف، ويترك المكان غاضبا.
نظر كاينز لجيسيكا: "اعذريني يا سيدتي لتفصيلي في شرح موضوع قبيح كهذا على المائدة.. لكن ما يقال لك كان معلومات خاطئة، ووجب تصحيحها"
قال المصرفي في خشونة: "لقد اختلطتَ بالفريمن لفترة طويلة ففقدت كل تهذيب وإحساس"
نظر له كاينز بهدوء، فاحصا الوجه الباهت المضطرب: "هل تتحداني يا سيدي؟"
تجمد المصرفي. بلع لعابه وتكلم في نبرة رسمية جافة: "بالطبع لا. لن أهين مضيفنا ومضيفتنا بتصرف كهذا"
سمعت جيسيكا الخوف في صوت الرجل.. ورأته في وجهه، وفي تنفسه، وفي انتفاض أحد العروق على صدغه. إن الرجل مرعوب من كاينز!
قال كاينز: "مضيفنا ومضيفتنا قادران تماما على تمييز إن كانا قد أهينا أم لا. فهم قوم شجعان يفهمون أهمية دفاع المرء عن شرفه. ويمكننا جميعا أن نشهد على شجاعتهم بالنظر لحقيقة أنهم هنا الآن.. على أراكس"
لاحظت جيسيكا أن ليتو كان مستمتعا بهذا، على عكس أغلب الباقين.
لحول المائدة كان الكثيرون يتحفزون للهرب، وأيديهم مخفاة تحت المائدة. أبرز استثناءين لهذا كانا بيوط، والذي كان يبتسم بوضوح، سعيدا لارتباك المصرفي.. والمهرب، تويك، والذي بدا أنه يراقب كاينز منتظرا إشارةً ما.
ورأت جيسيكا أيضا أن بولس كان ينظر لكاينز في إعجاب.
قال كاينز: "حسنا؟"
غمغم المصرفي: "لم أقصد أية إساءة. إن كنتَ قد شعرت بإساءةٍ ما فأرجو أن تقبل اعتذاري"
قال كاينز: "الاعتذار المقدم برحابة صدر مقبول برحابة صدر"
وابتسم لجيسيكا، واستأنف الأكل وكأن شيئا لم يحدث.
رأت جيسيكا أن المهرب أيضا قد زال توتره.
سجلت هذا في ذهنها. فالرجل كان متأهبا تمام التأهب للوثب لمساعدة كاينز. هناك ائتلاف من نوع ما بين كاينز وتويك.
عبث ليتو بشوكة الطعام، ونظر لكاينز متأملا.
فأسلوب تعامل الجيولوجي أظهر تغيرا في نظرته لآل أتريديز. فخلال رحلتهم المشتركة في الصحراء كان كاينز أكثر برودة.
أشارت جيسيكا طالبةً صنفا جديدا من الطعام والشراب. جاء الخدم ومعهم Langues de Lapins de Garenne ونبيذ أحمر وحساء فطر عيش الغراب بالزبد كطبق جانبي.
وبالتدريج استؤنفت المحادثات ببطء، لكن أحست جيسيكا بما يسود تلك المحادثات من قلق، والذي بدا في هزال محتواها..
ورأت المصرفي يأكل طعامه في صمت كئيب. فكرت: كان كاينز سيقتله دون تردد.
وأدركت أن كاينز يغلب عليه طابع المستهتر بالقتل.
كان قادرا على القتل دون تردد، واستنتجت أن هذه صفة من صفات الفريمن.
التفتت جيسيكا ناحية صانع بذلات التقطير الجالس على يسارها، وقالت: "لا يكاد تعجبي يزول كلما نظرت لأهمية الماء على أراكس"
وافقها قائلا: "إنه هام للغاية. ما اسم هذا الطبق؟ شهي جدا"
قالت: "ألسنة أرانب برية مغموسة في صلصة خاصة. وصفة شديدة القِدم"

قال: "يجب أن أحصل على هذه الوصفة"
أومأت: "سأحرص على أن يعطوها لك"
نظر كاينز لجيسيكا وقال: "القادمون الجدد لأراكس دائما ما يقللون من أهمية موضوع الحفاظ على الماء هنا. فالمرء هنا يتعامل مع قانون الحد الأدنى"
شعرت بنبرة اختبار في صوته، فقالت: "إن النمو محدود بالضرورة التي تحتمها أقل الكميات المتاحة. وطبيعي أن أقل الظروف المواتية ستتحكم في معدل النمو"
قال كاينز: "من النادر أن أجد شخصا من الأسر النبيلة يدرك طبيعة المسائل البيئية الكوكبية. الماء على أراكس هو أقل الظروف المواتية للحياة. وتذكري أن النمو في حد ذاته قد يتسبب في إيجاد ظروف غير مواتية، إن لم نعالجه بحرص شديد"
شعرت جيسيكا بأن هناك رسالة خفية في كلمات كاينز، لكن لم تستطع فهمها.
قالت: "تقول: النمو. هل تقصد أن أراكس يمكن أن تصبح له دورة مائية طبيعية ومنتظمة قادرة على دعم حياة إنسانية ذات ظروف مريحة أكثر؟"
صاح تاجر الماء: "مستحيل!"
نقلت جيسيكا انتباهها إلى بيوط: "مستحيل؟"
قال: "مستحيل على أراكس. لا تصغي لهذا الحالم. كل الأدلة المعملية ضده"
نظر كاينز لبيوط، ولاحظت جيسيكا أن المحادثات الأخرى التي كانت تدور حول المائدة قد توقفت وتركز انتباه الجميع على هذا الحوار.
قال كاينز: "الأدلة المعملية تعمينا أحيانا عن حقيقة بسيطة. هذه الحقيقة هي: نحن نتعامل في هذا الموضوع مع أمور نشأت - وتوجد بالفعل - في العراء، حيث تعيش النباتات والحيوانات حياة طبيعية"
تهكم بيوط: "طبيعية! لا شيء طبيعي على أراكس!"
قال كاينز: "على العكس. يمكن إقامة أنواع معينة من التعايشات هنا، تؤدي لاكتفاء ذاتي. كل ما على المرء هو أن يفهم حدود قدرات الكوكب والضغوط الواقعة عليه"
قال بيوط: "لن يتحقق هذا أبدا"
وفجأة فهم الدوق الأمر، واستطاع تحديد النقطة التي تغيرت عندها نظرة كاينز لهم. إنها تلك اللحظة التي تحدثت فيها جيسيكا عن الاحتفاظ بنباتات الصوبة الزجاجية كوديعة مملوكة لأراكس.
قال ليتو: "ماذا سيتطلب تحقيق نظام بيئي مكتفٍ ذاتيا يا دكتور كاينز؟"
قال كاينز: "لو استطعنا جعل 3% من العناصر النباتية الخضراء الموجودة على أراكس تشترك في إنتاج مركبات كربونية كمواد غذائية، فسنكون قد بدأنا دورة النظام"
قال الدوق: "والماء هو المشكلة الوحيدة؟". شعر بحماس كاينز، وبدأ يشاركه نفس الحماس.
قال كاينز: "الماء يفوق في الأهمية باقي المشاكل. هذا الكوكب يملك الكثير من الأكسجين دون وجود الأشياء التي تصاحبه في العادة: حياة نباتية واسعة الانتشار ومصادر كبيرة لثاني أكسيد الكربون الحر الناتج من ظواهر مثل البراكين. وهناك عمليات تبادل كيميائي غير معتادة تحدث على مساحات واسعة من السطح"
قال الدوق: "وهل عندكم مشاريع مبدئية تجريبية؟"
قال كاينز: "خلال فترة زمنية طويلة استطعنا تكوين تأثير تانزلي Tansley: تجارب على نطاق محدود يقوم بها هواة،

وبدراستها يمكن لخبراتي العلمية أن تخرج بحقائق مفيدة عمليا"
قال بيوط: "لا يوجد ما يكفي من الماء. بكل بساطة: الماء لا يكفي"
قال كاينز: "السيد بيوط خبير فيما يخص الماء"، ثم ابتسم وعاد ليصب اهتمامه على طعامه.
أشار الدوق بيده اليمنى في حركة حادة وصاح: "لا! أريد إجابة! هل هناك من الماء ما يكفي يا دكتور كاينز؟"
حدق كاينز في طبقه.
راقبت جيسيكا العواطف المتلاعبة على وجهه. فكرت: إنه يخفي بواطنه بمهارة، لكنها كانت قد "سجلته" ذهنيا بالفعل، ويمكنها أن تقرأ في ملامحه بوضوح أنه نادم على التفوه بما قال.
قال الدوق آمرا: "هل هناك ماء كافٍ؟"
قال كاينز: "ربما.. يوجد"
فكرت جيسيكا: إنه يتصنع عدم اليقين!
أما بولس فبحاسة كشف الحقيقة أمكنه إدراك الدافع الخفي.. واضطر لاستخدام كل ذرة تدريب لديه كي ينجح في إخفاء حماسته.
إذن بالفعل هناك ما يكفي من الماء! لكن كاينز لا يريد لهذه الحقيقة أن تُعرف.
قال بيوط: "خبيرنا البيئي عنده أحلام كثيرة مثيرة. فهو يشترك مع الفريمن في أحلامهم.. أحلامهم بالنبوءات وظهور مسيح منتظر"
تعالت ضحكات من مواضع متفرقة من المائدة. حفظتهم جيسيكا في ذاكرتها: المهرب.. ابنة صانع بذلات التقطير.. دنكن أيداهو.. المرأة المشرفة على الخدمة الغامضة الخاصة بتوريد المرافقات.
فكرت جيسيكا: التوترات موزعة بغرابة اليوم في هذا المكان. الكثير من الأمور تحدث وأنا غير مدركة لها. سيتحتم علي أن أطور مصادر جديدة للمعلومات.
أدار الدوق بصره بين كاينز وبيوط وجيسيكا. غمره إحساس غريب بالوحدة، وكأن شيئا هاما حدث أمامه لكنه لم ينتبه له.
تمتم: "ربما"
قال كاينز بسرعة: "ربما علينا أن نؤجل هذا النقاش لمرة قادمة يا سيدي. هناك الكثير من الأمور الت..."
قطع الخبير البيئي حديثه إذ هرع أحد الجنود المرتدين الزي الأتريدي قادما من باب الخدم. سمح له الحارس بالدخول فأسرع ناحية الدوق. انحنى الرجل وهمس بشيء في أذن ليتو.
عرفت جيسيكا من علامة القبعة العسكرية أنه من جنود حواط، وجاهدت كي تهدئ من قلقها.
وجهت الكلام لرفيقة صانع البذلات.. امرأة ضئيلة الحجم، سوداء الشعر، ذات وجه يشبه الدمى، وبعينيها انثناءة ضئيلة.
قالت جيسيكا: "إنكِ بالكاد لمستِ طعامك يا عزيزتي. هل أطلب لك شيئا معينا؟"
نظرت المرأة لصانع البذلات قبل أن تجيب قائلة: "لا أشعر بالجوع"
وبلا مقدمات قام الدوق ليقف جوار جنديه، وتكلم في نبرة آمرة جافة:
"ليبق الجميع في مقاعدهم. اعذروني، لكن أمرا ما يتطلب حضوري الفوري"
خطا جانبا وقال: "بولس، خذ مكاني على رأس المائدة كمضيف لو سمحت"
وقف بولس، وعلى الرغم من رغبته في الاستفسار من أبيه عن سبب مغادرته فإنه كان يعلم أن عليه تأدية دوره بأسلوب

النبلاء. فانتقل إلى مقعد أبيه وجلس فيه.
التفت الدوق للفجوة الجدارية التي يجلس هاليك عندها وقال: "جيرني، من فضلك اجلس مكان بولس على المائدة.. فلا يجب أن نسمح بأن يصبح عددنا هنا فرديا. عندما ينتهي العشاء قد أطلب منك أن تحضر بولس لمقر القيادة بساحة المطار. انتظر رسالة مني"
برز هاليك من الفجوة بزيه الرسمي، فبدا قبحه المتكتل متنافرا مع البذخ الأنيق المتألق في القاعة. أسند آلته الموسيقية على الحائط، وتقدم إلى المقعد الذي كان بولس يحتله من قبل، وجلس فيه.
قال الدوق: "لا داع للقلق. لكن يجب أن أطلب منكم ألا يغادر أي شخص قبل أن يقول حرسنا المنزلي أن الوضع آمن. ستكونون آمنين تماما ما دمتم هنا، وسنتعامل مع هذه المشكلة الصغيرة في أقرب وقت"
فهم بولس الكلمات المشفرة التي وردت في كلام أبيه: حرس.. آمن.. أقرب وقت.
المشكلة كانت متعلقة بالأمن، لا بأعمال عنف.
رأى أن أمه أيضا فهمت نفس الرسالة. زال توترهما.
أومأ الدوق للحاضرين إيماءة قصيرة، ثم أسرع الخطى خارجا من باب الخدم ويتبعه الجندي.
قال بولس: "من فضلكم أكملوا عشاءكم. وأظن أن الدكتور كاينز كان يناقش موضوع الماء"
قال كاينز: "هل يمكن أن نناقشه في وقت آخر؟"
قال بولس: "كما تحب"
ولاحظت جيسيكا بفخر لباقة ابنها، ونضوجه الواثق بالنفس.
التقط المصرفي إبريق مائه وأشار به ناحية بيوط: "ليس من بيننا هنا من يفوق السيد لينجار بيوط في ألفاظه المنمقة. ويكاد المرء يظن أنه يطمح لأن ينضم لمرتبة أسر كبار النبلاء. هيا يا سيد بيوط، ألقِ علينا نَخبا. وربما في جعبتك جوهرة حكمة تنفع بها الفتى الذي يجب أن يُعامل على أنه رجل"
انقبضت أصابع يد جيسيكا اليمنى على شكل قبضة تحت المائدة، ورأت إشارة يد سرية من هاليك لأيداهو، وأن الحرس المنزلي الواقف على امتداد حوائط القاعة بدأ يتحرك لمواقع التأمين الطارئ.
نظر بيوط للمصرفي نظرة مسمومة.
ألقى بولس نظرة على هاليك، وانتبه للمواقع الدفاعية التي اتخذها الحرس التابعون له، ونظر للمصرفي إلى أن قام الرجل بخفض إبريق الماء.
قال: "في إحدى المرات على كالادان رأيت جثة صياد تم إخراجها بعد غرقه. كان..."
"غرق؟"، كان المتكلم هو ابنة صانع بذلات التقطير.
تردد بولس للحظة ثم قال: "أجل. أن ينغمس في الماء إلى أن يموت. غرق"
تمتمت: "يا لها من طريقة موت غريبة!"
ابتسم بولس ابتسامة هزيلة، وعاد ليصب اهتمامه على المصرفي.
"الأمر المثير للاهتمام في هذا الرجل كان آثار الجروح على كتفيه.. والتي تسببت فيها مخالب حذاء صياد آخر. فقد كان الصياد ضمن مجموعة تركب قاربا - أي: مركبة تستخدم للانتقال فوق سطح الماء - وغرق القارب بهم.. أي غاص تحت الماء.
صياد آخر كان يساعد في عملية إخراج الجثث قال أنه رأى مثل علامات الجروح هذه عدة مرات من قبل. وأن معناها هو

أن أحد الصيادين الآخرين كان يحاول أن يقف على كتفي ذلك الرجل المسكين آملا في الوصول للسطح.. كي يتنفس"
قال المصرفي: "ولم تعتبر هذا أمرا مثيرا للاهتمام؟"
"بسبب ملاحظة قالها أبي في ذلك الوقت. قال أنه يمكن تفهم ما يفعله الرجل الذي يغرق عندما يصعد فوق كتفيك محاولا إنقاذ نفسه.. إلا عندما ترى هذا يحدث في الصالونات بين الضيوف"
وتوقف بولس لحظة كي يستوعب المصرفي المغزى المقصود، ثم قال: "ويمكن أن أضيف أنا: وعندما تراه يحدث على موائد الطعام"
وغرقت القاعة كلها في صمت مفاجئ.
فكرت جيسيكا: كان هذا تهورا منه. فقد يكون هذا المصرفي ذا سلطة تسمح له بطلب ابني للمبارزة.
لاحظت أن أيداهو كان متوثبا يستعد لتصرف سريع، والحرس المنزلي متحفزين، وجيرني هاليك بصره مركز على الرجال المقابلين له.
"هو-هو-هوووووه!"
كان صوت المهرب، تويك، وهو يضحك ملقيا رأسه للوراء دون أي قدر من التحفظ.
بين الجالسين على المائدة بدت بعض الابتسامات العصبية.
أما ابتسامة بيوط فكانت واسعة.
دفع المصرفي مقعده للوراء، وصوب النظر لبولس.
قال كاينز: "من يهاجم واحد من آل أتريديز عليه أن يكون مدركا لعواقب هذا"
قال المصرفي في لهجة حادة: "وهل من عادة الأتريديز أن يهينوا ضيوفهم؟"
قبل أن يتمكن بولس من الإجابة مالت جيسيكا للأمام وقالت: "سيدي!"
وفكرت: علينا أن نفهم لعبة هذا المخلوق الهاركوني. هل هو هنا كي يهاجم بولس؟ هل هناك من يساعده؟
قالت: "ابني يعرض ثوبا على العموم فتأتي أنت وتدعي أنه مفصل على مقاسك؟.. يا له من اكتشاف مثير للغاية"
وانزلقت يدها على رجلها لأسفل، ووضعتها على الكريسنايف المربوطة في غمد على ربلة ساقها.
استدار المصرفي ليواجه جيسيكا محدقا فيها، فانصرف بصره عن بولس الذي رأت أنه يرجع بظهره بعيدا عن المائدة ليحرر نفسه استعدادا لحدوث هجوم.
كان قد انتبه لكلمة السر: ثوب. والتي تعني: استعد للعنف.
تأمل كاينز جيسيكا بنظرة فاحصة، ثم أعطى لتويك إشارة غير ملحوظة.
وثب المهرب واقفا على قدميه ورفع إبريقه: "سأعطيكم أنا نخبا. إلى بولس أتريديز الشاب.. صبيا في مظهره، لكن رجلا في أفعاله"
سألت جيسيكا نفسها: لماذا تدخلا في الأمر؟
أخذ المصرفي يحدق في كاينز، ورأت جيسيكا الرعب يعود لوجه الوكيل البنكي.
بدأ الناس على امتداد المائدة يردون النخب.
فكرت جيسيكا: أينما يقودهم كاينز فإن الناس تتبعه. وقد أظهر أنه مؤيد لبولس.
ما سر سلطته؟.. لا يمكن أن يكون الأمر هو كونه قاضي التحكيم، فهو منصب مؤقت.
وبالتأكيد ليس لمجرد أنه موظف حكومي.

أزالت يدها من على مقبض سكين الكريسنايف، ورفعت إبريقها تحية لكاينز، الذي رد بالمثل.
فقط بولس والمصرفي (فكرت جيسيكا: سو-سوا، يا له من لقب أحمق) هما من ظلا فارغي اليد. كان انتباه المصرفي لا يزال مركزا على كاينز. أما بولس فكان يحدق في طبقه.
فكر بولس: لقد كنت أتعامل مع الأمر بطريقة صحيحة. لماذا تدخلوا؟
اختلس نظرة للذكور من الضيوف القريبين من مكانه.
استعد للعنف؟ مِن مَن؟ بالتأكيد ليس من هذا المصرفي.
تحرك هاليك في مكانه، وتكلم كما لو أنه لا يوجه الكلام لشخص معين، بل للفراغ الذي فوق رؤوس الضيوف الجالسين مقابله: "في مجتمعنا لا يجب أن يسارع الناس بالشعور بالإهانة. فهو فِعل كثيرا ما يكون انتحاريا"
ونظر لابنة صانع البذلات المجاورة له: "ألا تظنين هذا يا آنسة؟"
قالت: "أجل..بالطبع. أظن هذا فعلا. العنف يحدث أكثر من اللازم. أمر يصيبني بالغثيان. وكثيرا ما تكون الإساءة غير مقصودة أصلا، ومع ذلك يموت الناس. شيء لا معنى له"
قال هاليك: "لا معنى له فعلا"
نظرت جيسيكا للإتقان المبهر الذي أدت به الفتاة الدور، وقالت لنفسها: هذه الفتاة الصغيرة فارغة العقل ليست في الحقيقة فتاة صغيرة فارغة العقل. ثم أدركت طبيعة نمط التهديد، وفهمت أن هاليك أيضا قد أدركه.
كانت خطتهم هي استمالة بولس عن طريق الجنس.
زال توتر جيسيكا وارتخت أعصابها. فابنها غالبا كان أول من أدرك الأمر.. إذ أن تدريبه لم يغفل هذا النوع الواضح من المناورات.
وجه كاينز كلامه للمصرفي: "أظن هناك اعتذار آخر من الواجب تقديمه، أليس كذلك؟"
استدار المصرفي وواجه جيسيكا بابتسامة صفراء قائلا: "سيدتي، أخشى أني قد أسرفت في تناول نبيذكم. تقدمون مشروبات قوية على موائدكم، وأنا غير معتاد عليها"
انتبهت جيسيكا للسم الذي يبطن نبرته، وأجابت برقة: "عندما يتقابل الغرباء يجب ترك مساحة تسامح كبيرة مراعاةً للاختلاف في العادات والتعليم"
قال: "شكرا لكِ يا سيدتي"
انحنت رفيقة صانع البذلات سوداء الشعر على جيسيكا وقالت: "الدوق ذكر أننا هنا في أمان. أرجو ألا يعني هذا أن المزيد من القتال سيحدث"
فكرت جيسيكا: تم تلقينها كي تغير مجرى المحادثة إلى هذا الاتجاه.
قالت جيسيكا: "غالبا سيتضح أن الأمر عديم الأهمية. لكن هناك الكثير من التفاصيل التي تستدعي من الدوق انتباهه الشخصي هذه الأيام. ويجب أن نظل ملتزمين أقصى الحذر طالما العداء بين آل أتريديز وآل هاركونن مستمر. فالدوق أقسم ثأر الكانلي. وبالطبع لن يسمح ببقاء أي عميل هاركوني على قيد الحياة في أراكس"
وألقت نظرة على وكيل بنك النقابة.
"والأعراف المعتادة تؤيده في هذا بطبيعة الحال"
ودارت بانتباهها ناحية كاينز: "أليس هذا صحيحا يا دكتور كاينز؟"
قال كاينز: "صحيح فعلا"

سحب صانع البذلات رفيقته للوراء برفق، فنظرت له، ثم قالت: "أظن أني سأتناول شيئا الآن. أريد القليل من طبق الطيور هذا الذي قدمتموه في البداية"
أشارت جيسيكا لأحد الخدم وعادت تنظر للمصرفي: "وأنت يا سيد كنت تتكلم في السابق عن الطيور وعاداتها. الكثير من الموضوعات تثير انتباهي على أراكس. أخبرني، أين يوجد البهار؟ هل يتوغل المنقبون عنه في أعماق الصحراء؟"
قال: "أوه لا يا سيدتي. لا نعلم عن أعماق الصحراء البعيدة إلا أقل القليل. ونكاد لا نعلم شيئا إطلاقا عن المناطق الجنوبية"
قال كاينز: "هناك حكاية تقول أن بالمناطق الجنوبية توجد كمية هائلة من البهار، لكن أظنها مجرد تلفيق تخيلي قام أحدهم بتأليفه لا لغرض سوى وضعه ضمن كلمات أغنية. من وقت لآخر يتجرأ بعض منقبي البهار على الاقتحام حتى حافة الحزام الاستوائي الأوسط، لكنه أمر شديد الخطورة. فالملاحة تكون بلا هدى، والعواصف متكررة. نسبة التعرض للحوادث تزيد زيادة درامية كلما توغلت عمليات التنقيب بعيدا عن قواعد الجدار الجبلي. فالتقدم جنوبا لا يعد مربحا من الناحية الاقتصادية. أما لو كان عندنا أقمار صناعية للطقس..."
رفع بيوط بصره عن طعامه وتكلم وفمه ممتلئ: "يقال أن الفريمن يزورون تلك المناطق، وأنه يمكنهم الذهاب إلى أي مكان يريدون، وأنهم اكتشفوا نُقوع ورُشوف، حتى في المناطق الجنوبية"
قالت جيسيكا: "نقوع ورشوف؟"
قال كاينز بسرعة: "مجرد إشاعات يا سيدتي. هذه الأشياء موجودة على الكواكب الأخرى، لا على أراكس.
النقع هو مكان ينبع منه الماء على السطح أو قريبا من السطح بحيث يمكن الحصول عليه بالحفر، ويُعرف عن طريق علامات معينة. أما الرشف فهو نوع من النقع، يسحب الشخص الماء منه باستخدام قشة.. هذا ما يقال"
فكرت جيسيكا: هناك خداع في كلماته.
تساءل بولس: لماذا يكذب؟
قالت جيسيكا: "يا له من أمر مثير للاهتمام"
وفكرت: يرددون كلمة 'يقال'. يا لها من أساليب لغوية مثيرة للفضول تلك التي يستخدمونها هنا.
آه لو أدركوا ما الذي تكشفه من اعتمادهم على الخرافات.
قال بولس: "سمعت أن عندكم مقولة تقول أن التحضر يأتي من المدن، أما الحكمة فمن الصحراء"
قال كاينز: "هناك العديد من المقولات على أراكس"
وقبل أن تصيغ جيسيكا سؤالا جديدا مالت إحدى الخادمات عليها معطية لها ورقة.
فتحتها ورأت خط الدوق وعلامات الشفرة، فقرأتها.
قالت: "سيسعدكم أن تعلموا أن دوقنا يطمئنكم. الأمر الذي استدعى حضوره تم حله بالفعل. الحاملة الطائرة المفقودة تم العثور عليها. كان عميل هاركوني في طاقمها قد تغلب على الباقين وطار بالماكينة لإحدى قواعد المهربين، آملا أن يبيعها هناك. لكن كلا من الرجل والمركبة أعيدا لقواتنا"
أومأت إلى تويك شاكرة.
فرد المهرب الإيماءة.
طوت جيسيكا الورقة ووضعتها في كمها.
قال المصرفي: "يسعدني أن الأمر لم يتطلب معركة. فالشعب عنده آمال عظيمة في أن آل أتريديز سيجلبون السلم والرخاء"
قال بيوط: "وخصوصا الرخاء"

قالت جيسيكا: "هل نتناول التحلية الآن؟.. لقد جعلت الطاهي يقوم بإعداد حلوى كالادانية: أرز البونجي في صلصة الدولسا"

قال صانع البذلات: "تبدو لذيذة. هل من الممكن أن أحصل على الوصفة؟"

قالت جيسيكا: "لك أي وصفة ترغب فيها"، ووضعت جوار اسمه ملاحظة في ذهنها لتخبر بها حواط. فصانع البذلات كان متسلقا اجتماعيا يغلب على طبعه الخوف، ويمكن شراؤه.

وحولها استمرت الدردشة: "نوع القماش جميل..."، "سيأمر بصنع طاقم ليليق بالجوهرة..."، "ربما علينا أن نجرب زيادة الإنتاج في الربع المالي المقبل..."

حدقت جيسيكا في طبقها مفكرةً في الجزء المشفر من رسالة ليتو:

"حاول الهاركونن أن يهرّبوا إلى هنا شحنة مسدسات ليزر. قبضنا عليهم. لكن قد يعني هذا أنهم نجحوا في تمرير شحنات أخرى. وهو ما يعني بالتأكيد أنهم لا يهتمون بشأن الدروع. خذي الاحتياطات المناسبة"

ركزت جيسيكا عقلها على مسدسات الليزر، متسائلة.

إن الأشعة البيضاء الساخنة هذه - المكونة من ضوء تمزيقي - يمكنها أن تقطع أي مادة معروفة للإنسان، إن كانت تلك المادة غير محاطة بدرع طاقة. لم يهتم الهاركونن بحقيقة أن مجال الارتداد من الدرع سيفجر كلا من الدرع ومسدس الليزر. لماذا؟.. الانفجارات الناتجة عن تلاقي الدروع بالليزر هي مزيج خطير صعب توقع عاقبته. فيمكن أن تفوق في القوة الأسلحة الذرية، ويمكن أيضا أن تكتفي بقتل حامل المسدس وهدفه المرتدي للدرع.

العناصر المجهولة في الأمر أصابتها بالقلق.

قال بولس: "لم يخالجني أي شك في أننا سنجد الحاملة الطائرة. فعندما يهتم أبي بحل مشكلة ما، فإنه يحلها. وهذه حقيقة بدأ الهاركونن يكتشفونها"

فكرت جيسيكا: يتفاخر. لا يجب أن يتفاخر.

لا يحق للشخص أن يتفاخر ما دام سينام هذه الليلة في طابق تحت الأرض خوفا من حدوث هجوم بمسدسات الليزر.

الفصل 17

"إنه أمر لا مفر منه.. دائما ما ندفع ثمن العنف الذي ارتكبه أسلافنا"

من كتاب "أقوال المؤدب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

سمعت جيسيكا صوت الاضطراب القادم من ردهة القصر فأضاءت المصباح المجاور لسريرها.

لم تكن الساعة قد تم ضبطها بعد كي تتوافق مع الوقت المحلي.. اضطرت لطرح 21 دقيقة منها قبل أن تتمكن من تحديد الزمن الصحيح.. الثانية بعد منتصف الليل تقريبا.

كان الصوت عاليا وكلماته غير مفهومة.

تساءلت: هل هو الهجوم الهاركوني؟

هبطت من السرير وفحصت شاشات المراقبة لترى أين يوجد أفراد أسرتها في هذه اللحظة.

على الشاشة بدا بولس نائما في حجرة القبو العميقة تحت الأرض، والتي أعدوها له على عجل وحولوها لحجرة نوم.

وكان من الواضح أن الضوضاء لم تخترق الجدران وتصل لمكان نومه.

أما حجرة الدوق فلم يكن فيها أحد.. وسريره مرتب، لم يُمس.

هل لا زال في مقر القيادة بالساحة؟

لم يكونوا قد ركبوا حتى الآن أية شاشات تطل على مدخل البيت.

وقفت جيسيكا في منتصف حجرتها، مصغية.

كان أحد الأصوات يصيح بشكل غير مفهوم. سمعت شخصا ينادي طالبا حضور دكتور يُوي.

التقطت جيسيكا رداءً ووضعته على كتفيها وأدخلت قدميها في خفين، وربطت سكين الكريسنايف على ساقها.

ومن جديد سمعت صوتا ينادي على دكتور يوي.

ربطت جيسيكا حزام الرداء على وسطها وخرجت إلى الممر.. ثم صدمتها خاطرة: ماذا لو كان ليتو قد أصيب؟

تحت قدميها الراكضتين بدا وكأن الممر يمتد إلى ما لا نهاية. عبرت القنطرة الموجودة في طرف الممر وأسرعت خلال قاعة الطعام، ثم هبطت إلى ردهة القصر الكبرى لتجد المكان مضاءا بشدة، والمصابيح الجدارية المضادة للجاذبية منيرة بقوتها القصوى.

على يمينها، بقرب الباب الأمامي للقصر، رأت اثنين من الحرس المنزلي يمسكان دَنكن أيداهو بينهما، وقد تدلت رأسه للأمام.

خيم فجأة على المشهد سكون مترقب.

قال أحد أفراد الحرس المنزلي مخاطبا أيداهو بنبرة اتهام: "هل رأيت ما تسببتَ فيه؟ لقد أيقظت الليدي جيسيكا"

انتفخت الستائر الكبيرة من خلف الرجال، دلالةً على أن الباب الأمامي لا زال مفتوحا.

لم يكن هناك أي أثر للدوق أو ليُوي. على أحد الجانبين وقفت ميبس تحدق في أيداهو بنظرة باردة.

كانت مرتدية ثوبا طويلا بنيا تزينه حواف ملتفة كالحيات، وقدماها موضوعتين في حذاء صحراوي لم تعقد رباطه.

غمغم أيداهو: "إذن أيقظتُ الليدي جيسيكا.. ما المشكلة؟"، ورفع وجهه للسقف وجأر: "إني أدميتُ سيفي لأول مرة على

كوكب جرومان!"
فكرت جيسيكا: يا للأم العظمى! إنه مخمور!
كان العبوس مرتسما على وجه أيداهو الأسمر المستدير. شعره المجعد ملتف كوبر عنزة سوداء، وبه تراب ملتصق. سترته مشقوقة، كاشفةً تحتها عن القميص الذي كان يرتديه في حفلة العشاء في بداية الليلة.
خطت جيسيكا مقتربة منه.
أومأ لها أحد الحرس دون أن يحرر أيداهو من قبضته: "لم نعرف كيف نتصرف معه يا سيدتي. أثار ضجة في الخارج، رافضا الدخول. خشينا أن يأتي بعض السكان المحليين ويشاهدونه. علينا أن نتجنب مثل هذه الأشياء، حتى لا تسوء سمعتنا"
قالت جيسيكا: "أين كان؟"
"كان يرافق إحدى السيدات الشابات ليوصلها لمنزلها بعد العشاء يا سيدتي. أوامر حواط"
"أي شابة بالضبط؟"
"واحدة من العاملات في خدمة المرافقات. أتفهمين ما أقصد يا سيدتي؟"، وألقى نظرة على ميبس وقال بصوت منخفض: "دائما ما يتم تكليف أيداهو بمهام المراقبة الخاصة للسيدات"
ففكرت جيسيكا: فعلا. لكن لم هو مخمور؟
قطبت جبينها والتفتت لميبس: "ميبس، أحضري شرابا منبها. أقترح أن يكون الكافيين. ربما هناك شيء متبق من قهوة البهار"
هزت ميبس كتفيها واتجهت للمطبخ. حذاءها الصحراوي غير المربوط يخبط برتابة على الأرضية الحجرية.
أمال أيداهو رأسه المتأرجحة كي ينظر لجيسيكا بزاوية، وقال متلعثما: "قتلتُ أكثر من ثلاثمئة رجل من أجل الدوق. ما أريد أعرفه هو: لم أنا هنا؟ لا يمكن العيش تحتالأرض هنا. ولا يمكن العيش فوقالأرض هنا. أي مكان هذا؟ هه؟"
انجذب انتباه جيسيكا لصوت قادم من مدخل الردهة الجانبي. استدارت فرأت يوي مقتربا منهم، وحقيبته الطبية تتأرجح في يده اليسرى. كان بملابسه كاملة، ويبدو شاحبا، ومرهقا. بدا الوشم ماسي الشكل ظاهرا بوضوح على جبهته.
صاح أيداهو: "الدوكتر الطيب! ما أنت يا دوك؟ رجل التجبيرة والكبسولة؟"، واستدار مترنحا لينظر لجيسيكا: "أتصرف كأحمق لعين، هه؟"
عبست جيسيكا والتزمت الصمت، متسائلة في نفسها: لماذا سكر أيداهو هكذا؟ هل خدره أحد؟
قال أيداهو: "أسرفت في شرب بيرة البهار" وحاول شد قامته.
عادت ميبس وفي يدها كوب يتصاعد منه البخار، ووقفت مترددة خلف يوي. نظرت لجيسيكا فهزت هذه رأسها.
وضع يوي حقيبة عدته على الأرض وأومأ لجيسيكا بتحية، وقال: "إنها جعة البهار إذن؟"
قال أيداهو: "أفظل مشروب تذوقته ف حياتي"، وحاول أن يعتدل في وضع انتباه: "أسال سيفي الدم لأول مرة على جرومان! قتلت هاركن.. هاركون.. قتلته من أجل الدوق"
التفت يوي ونظر للكوب الذي تمسكه ميبس في يدها.
"ما هذا؟"
قالت جيسيكا: "كافيين"
أخذ يوي الكوب وقربه من أيداهو: "اشرب هذا يا فتى"
"لا هوريد شورب المزيد"
"قلت لك اشربه!"

تأرجحت رأس أيداهو ناحية يوي، وتعثر خطوة للوراء، ساحبا الحارسين معه: "سئمتو من إرظاء هذا الكون الامبراطوري يا دوك. هدي المرة سنكوم بالأمور على طريقتي أنا"

قال يوي: "بعد أن تشرب هذا. إنه مجرد كافيين"

"غالبا سيكون كبا كي الأشياء في هذا المكان! الشمس حارقة أكثر م اللازم. كل الأشياء لونها مختلف. كل شي إما خطأ أو ..."

قال يوي: "على العموم الوقت الآن ليل"، وتكلم بنبرة متعقلة: "كن فتى طيبا واشرب هذا. سيشعرك بتحسن"

"لا ريد أشعر بتحسن!"

قالت جيسيكا: "لا يمكن أن نستمر في الجدال معه طول الليل"، وفكرت: هذا الأمر يستدعي العلاج بالصدمة.

قال يوي: "لا سبب يستدعي بقاءك يا سيدتي. يمكنني تولي هذا الأمر"

هزت جيسيكا رأسها، ثم خطت للأمام وصفعت أيداهو بقوة على خده.

تعثر للخلف مع حارسيه، محملقا فيها.

قالت: "ليست هذه هي الطريقة المناسبة للتصرف في بيت دوقك"، وسحبت الكوب من يد يوي ساكبةً بعضه، ثم دفعته تجاه أيداهو: "والآن اشرب هذا! هذا أمر!"

اعتدل أيداهو فجأة ونظر لها عابسا، ثم تكلم ببطء، لافظا كل كلمة بوضوح ودقة: "لا أتلقى الأوامر من جاسوس هاركوني لعين"

تجمد يوي، ثم استدار بسرعة ناظرا لجيسيكا.

شحب وجهها، لكنها كانت تهز رأسها.. فكل شيء قد اتضح أمامها الآن.. شذرات المعاني المبتورة التي لاحظتها في كلمات وأفعال من حولها خلال تلك الأيام القليلة الماضية أصبح في الإمكان تفسيرها الآن. شعرت بنفسها واقعة في قبضة غضب يكاد يفوق قدرتها على الاحتمال. تطلب الأمر استحضار أعمق تدريبات البني-جيزيرت كي تنجح في تهدئة نبضها والتنفس بسلاسة. وحتى بعد هذا كان لا زال بإمكانها الإحساس بشعلة الغضب تتراقص داخلها.

دائمًا ما كان يتم تكليف أيداهو بمهام المراقبة الخاصة للسيدات!

ألقت نظرة على يوي فخفض الطبيب عينيه.

قالت بنبرة آمرة: "كنت على علم بهذا الكلام؟"

"سمعت.. إشاعات يا سيدتي. لم أرغب في تحميلك المزيد من الهموم"

قالت بحدة: "حواط!.. أريد إحضار ظوفر حواط أمامي في الحال!"

"لكن يا سيدتي..."

"في الحال!"

فكرت: لا شك أن حواط هو السبب. لو أتى مثل هذا الاتهام من أي مصدر آخر لكانوا أهملوه في الحال وما ألقوا له بالا.

هز أيداهو رأسه وغمغم: "أتجرع الشيء اللعين كله مرة واحدة"

نظرت جيسيكا للكوب في يدها ثم قذفت فجأة بمحتوياته على وجه أيداهو.

أمرت قائلة: "احبسوه في إحدى حجرات الضيوف بالجناح الشرقي، ودعوه ينام حتى يفيق من هذه الحالة"

نظر لها الحارسان بغم. تجرأ أحدهما وقال: "ربما من الأفضل أن نأخذه لمكان آخر يا سيدتي. يمكن أن نـ..."

قالت جيسيكا بحدة: "لكن مطلوب منه أن يكون هنا!.. عنده وظيفة يجب أن يؤديها هنا" وتقطرت المرارة من صوتها: "فهو

ماهر في مراقبة السيدات"
ابتلع الحارس ريقه.
قالت آمرة: "هل تعلم أين الدوق الآن؟"
"في مقر القيادة يا سيدتي"
"هل حواط معه؟"
"حواط بالمدينة يا سيدتي"
قالت جيسيكا: "ستقوم بإحضار حواط أمامي في التو. سأكون في حجرة الاستقبال الخاصة بي عندما يصل"
"لكن يا سيدتي..."
قالت: "لو لزم الأمر فسأتصل بالدوق. أرجو ألا يكون هذا ضروريا. لا أرغب في إزعاجه بهذا الأمر"
"حاضر يا سيدتي"
دفعت جيسيكا بالكوب الفارغ إلى يد ميبس، فرأت النظرة المتسائلة في العينين تامتي الزرقة: "يمكنك العودة لسريرك يا ميبس"
"متأكدة أنك لن تحتاجيني؟"
ابتسمت جيسيكا ابتسامة حزينة: "متأكدة"
قال يوي: "ربما يمكن لهذا الأمر أن ينتظر للغد. يمكن أن أعطيكِ منوما و..."
قالت: "بل ستعود لحجرتك وتدعني أتعامل مع هذا الأمر بطريقتي"، وربتت على ذراعه كي تمتص الحدة من نبرتها الآمرة: "إنها الطريقة الوحيدة للتعامل مع هذا الموضوع"
وعلى الفور استدارت، ورأسها مرفوعة عاليا، وسارت بشموخ عبر البيت حتى وصلت لحجراتها.
حوائط باردة.. ممرات.. باب مألوف.
دفعت الباب بقوة فانفتح. أسرعت داخلة، ثم أغلقته خلفها في عنف.
وقفت جيسيكا في المكان تحدق في نوافذ حجرة الاستقبال المغطاة بمجال الطاقة الدرعي.
حواط! هل يمكن أن يكون هو الشخص الذي اشتراه الهاركونن؟.. سنرى.
اقتربت جيسيكا من المقعد الكبير، قديم الطراز، ذي الغطاء المطرز المصنوع من جلد حيوان الشلاج، ونقلته لموضع جديد بحيث يواجه الباب مباشرة. تركز انتباهها فجأة على الكريسنايف الموضوعة في غمد على ساقها. حلت رباط الغمد وأعادت ربطه على ذراعها، ثم اختبرت عملية إسقاط النصل منه بسرعة.
ومرة أخرى أدارت نظرها في الحجرة، واضعة كل شيء بدقة في ذاكرتها تحسبا لأي طارئ: الشيزلونج الموجود في الركن، المقاعد مستقيمة الظهر الموضوعة بامتداد الجدار، المنضدتان المنخفضتان، آلة القانون الموسيقية الواقفة جوار الباب المؤدي لحجرة نومها.
انبعث من المصابيح المضادة للجاذبية ضوء باهت وردي اللون. خفضت شدته وجلست في المقعد الكبير، وأخذت تربت على التنجيد، معجبة بالثقل والفخامة اللذين يضفيهما هذا المقعد على الموقف.
فكرت: والآن فليأتِ. سنرى ماذا سيحدث.
وجهزت نفسها على طريقة البني-جيزيرت المعتادة عند الانتظار.. مراكمةً الصبر.. موفرةً قوتها.
صدرت من الباب دقة في زمن أبكر مما كانت نتوقع، ودلف حواط للحجرة بعد إذنها له.

راقبته من مقعدها دون أن تتحرك، فرأت ما في حركاته من جيشان ناتج عن تعاطيه لمشروب الطاقة المنتاتي.. ورأت ما يختفي تحت هذا من إرهاق.
برقت عينا حواط الرطبتان العجوزتان، وبدت بشرته المتجلدة باهتة الصفار في ضوء الحجرة.. وعلى كُم الذراع التي يستخدم بها سكينه بدت بقعة واسعة ومبللة.
شمت منها رائحة الدم.
أشارت جيسيكا لأحد المقاعد مستقيمة الظهر وقالت: "أحضر هذا المقعد واجلس أمامي"
انحنى حواط وأطاعها.
فكر: يا لهذا الأحمق المخمور المسمى أيداهو!
تأمل وجه جيسيكا متسائلا: كيف سيتمكن من إنقاذ هذا الموقف؟
قالت جيسيكا: "لقد تأخرنا كثيرا في المصارحة وتوضيح الأمور فيما بيننا"
"ما الذي يشغل بال سيدتي؟". وجلس واضعا يديه على ركبتيه.
قالت بنبرة قاطعة: "لا تلعب معي دور المغفل!.. إن لم يكن يوي قد أخبرك بالفعل بسبب استدعائي لك فبالتأكيد أحد جواسيسك المزروعين بين خدمي قد فعل. ألا يمكن أن نكون صرحاء مع بعضنا في هذه النقطة على الأقل؟"
"كما تريدين يا سيدتي"
قالت: "أولا ستجيبني على سؤال واحد. هل أنت عميل للهاركونن؟"
كاد حواط يثب من مقعده، ووجهه مسود من أثر الغضب الشديد. قال: "أتجرؤين على إهانتي هكذا؟"
قالت: "اجلس. فقد أهنتني بنفس الشيء"
وببطء عاد وغاص في المقعد.
أما جيسيكا فقرأت العلامات الظاهرة على هذا الوجه الذي كانت تعرفه جيدا، ثم أطلقت نفس ارتياح عميق.
ليس حواط هو الخائن.
قالت: "الآن أعلم تماما أنك على ولائك السابق لدوقي الحبيب. ولهذا فأنا مستعدة لأن أصفح عن إهانتك لي"
"وهل هناك شيء يستحق الصفح؟"
عبست جيسيكا وسألت نفسها: هل ألعب ورقتي الرابحة؟ هل أخبره بابنة الدوق التي أحملها في أحشائي طوال تلك الأسابيع الماضية؟..
لا. فليتو نفسه لا يعلم. إن علم بهذا فستتعقد حياته أكثر، وسيتشتت في وقت عليه أن يركز فيه على نجاتنا. سيحين وقت استخدام هذا الأمر فيما بعد.
قالت: "أي كاهنة كاشفة للكذب كان سيمكنها حل هذه المسألة، لكن للأسف ليس عندنا أي كاشفة أكاذيب شهدت بصلاحيتها الهيئة العليا"
"فعلا كما قلتِ. ليس في متناول يدنا واحدة من كاهنات كشف الأكاذيب الموثوق فيهن"
سألت: "هل هناك خائن في وسطنا؟.. لقد درست رجالنا بدقة شديدة. ترى من يمكن أن يكون؟
ليس جيرني. وبالطبع ليس دنكن. والضباط التابعون لهما ليسوا موضوعين في مناصب استراتيجية تستحق اعتبارهم خطرا. ولست أنت الخائن أيضا يا ظوفر. ولا يمكن أن يكون بولس. وأعلم تماما أنه ليس أنا. إذن هل هو دكتور يوي؟ هل أستدعيه الآن وأختبر صدقه؟"

قال حواط: "تعلمين أنها ستكون حركة بلا معنى. فهو مبرمج عقليا في الكلية الطبية العليا، وهذا أمر أنا متأكد منه تمام التأكد"
قالت جيسيكا: "بالإضافة إلى أن زوجته كانت بني-جيزيرت قتلها آل هاركونن"
قال حواط: "هذا إذن هو ما حدث لها؟ لم أكن أعلم مصيرها"
"ألم تسمع نبرة الكره في صوته عندما ينطق اسم الهاركونن؟"
قال حواط: "تعلمين أن أذني غير حساسة لهذه الأشياء"
قالت: "ما الذي أثار هذه الشكوك الدنيئة حولي؟"
قطب حواط جبينه: "سيدتي تضع خادمها في موقف محرج.. فولائي أولا هو للدوق"
قالت: "وبسبب هذا الولاء أنا مستعدة للصفح عن كثير من الأمور"
"ومن جديد أسأل: وهل هناك ما يستحق الصفح؟"
سألت: "إذن وقفت اللعبة بيننا في وضع تعادُل[9]؟"
هز كتفيه.
قالت: "إذن دعنا نناقش أمرا آخر في الوقت الحالي. دنكن أيداهو، المقاتل المثير للإعجاب، من يقدّر الجميع قدراته في مجال الحراسة والمراقبة. أسرف الليلة في شرب شيء يدعى جعة البهار. ووردتني تقارير تقول أن آخرين من رجالنا مولعون بهذا الشراب المسكر. هل هذا صحيح؟"
"عندك تقاريرك بالفعل يا سيدتي"
"فعلا عندي. ألا ترى أن هذا الشرب هو عَرَض لمرضٍ يا ظوفر؟"
"سيدتي تتكلم بالألغاز"
قالت في حدة: "استعمل قدراتك كمنتات لفهم الأمر! ما المشكلة التي يعاني منها دنكن والآخرون؟ يمكنني أن أخبرك في ثلاث كلمات.. إنهم بلا وطن"
صوب إصبعا للأرضية وقال: "أراكس. هذا هو وطنهم"
"أراكس عنصر مجهول بالنسبة لهم! كالادان كان موطنهم، لكننا اقتلعناهم منه. إنهم بلا وطن. ويخشون أن الدوق سينهزم ويُخيّب ثقتهم فيه"
امتعض وقال: "لو صدر مثل هذا الكلام من أحد الرجال لكان عقاب..."
"توقف عن هذا يا ظوفر! هل يعتبر الأمر انهزامية أو خيانة إن قام طبيب بتشخيص المرض بصورة صحيحة؟ هدفي الوحيد هو علاج المرض"
"الدوق أوكل مثل هذه الأمور لي"
قالت: "لكنك تفهم أني بطبيعة الحال مهتمة بتطور هذا المرض. وربما توافقني على أني أتمتع بقدرات معينة تصلح لمثل هذه الأمور"
تساءلت: هل سأضطر لصدمته بقوة؟.. إنه محتاج لشيء يهزه.. شيء يكسر روتينه.
قال حواط: "اهتمامك يمكن تفسيره بعدة تفسيرات"، وهز كتفيه.
"إذن فقد أصدرت حكمك ضدي بالفعل؟"
"بالطبع لا يا سيدتي. لكن ليس بإمكاني أن أجازف مخاطرا في الأمر، خصوصا وأن الموقف متأزم كما تعلمين"

9 في الأصل: Stalemate، من مصطلحات الشطرنج. (المترجم)

قالت: "لقد فاتك الانتباه لشيء عرّض حياة ابني للتهديد في هذا البيت.. مَن أخذ هذه المخاطرة؟"
اسود وجهه: "لقد عرضت استقالتي على الدوق"
"وهل عرضت استقالتك علي أنا.. أو على بولس؟"
والآن بدا غضبه واضحا.. يظهر في تسارع التنفس، وانتفاخ فتحتي الأنف، ونظرته الثابتة. رأت وريدا ينبض على جبينه.
قال بكلمات مقتضبة: "أنا رجل الدوق المخلص"
قالت: "لا يوجد خائن. التهديد عبارة عن شيء آخر. ربما هو أمر متعلق بأسلحة الليزر. ربما سيخاطرون بتهريب بعض مسدسات الليزر سرا ومعها آليات توقيت مصوبة إلى دروع الطاقة المنزلية. ربما سيـ..."
قال: "ومن سيمكنه بعد حدوث الانفجار أن يتأكد إن كان ناتجا عن أسلحة ذرية أم لا؟.. لا يا سيدتي، لن يخاطروا بالقيام بأمر خارق للقانون بهذه الدرجة. فالإشعاع يستمر أثره. الدليل صعب محوه. كلا. سيحافظون على أغلب الأعراف القانونية. المسألة بلا شك هي وجود خائن"
قالت بتهكم: "أنت رجل الدوق المخلص. هل ستتسبب في تدميره وأنت تحاول إنقاذه؟"
أخذ نفسا عميقا: "لو أنك بريئة فسأقدم لك اعتذاري في خضوع تام"
قالت: "انظر لنفسك يا ظوفر. إن البشر يعيشون في أفضل حال حينما يعرف كل منهم مكانته المناسبة.. عندما يعرف موقعه في النظام العام للأمور. لو تدمر الموقع فسيتدمر الشخص. أنت وأنا يا ظوفر - من بين جميع هؤلاء الذين يحبون الدوق - كلانا في أنسب مكان يمكن منه تدمير الآخر. ألا أقدر مثلا على أن أهمس بشكوك حولك في أذن الدوق ليلا؟ عندما تكون مقاومته لهذه الهمسات في أضعف حالاتها يا ظوفر؟ هل يجب أن أوضح لك ما أقصد بالتفصيل؟"
زمجر: "هل تهددينني؟"
"بالطبع لا. بل أوضح لك أن هناك من يشن هجوما علينا باستغلال الترتيب الأساسي لحياتنا. إنه هجوم ماهر.. شيطاني. ما أقترحه هو إبطال مفعول هذا الهجوم عن طريق إعادة ترتيب حياتنا بحيث لا ندع فيها شقا ينفذ منه هذا النصل"
"تتهمينني بأني أهمس بشكوك لا أساس لها من الصحة؟"
"نعم.. لا أساس لها"
"وهل ستردين عليها بهمساتك الخاصة المضادة؟"
"حياتك أنت هي المغموسة في الهمس والمكائد يا ظوفر، لا حياتي"
"إذن تشككين في قدراتي؟"
تنهدت.
"ظوفر، أريد منك أن تفحص دور عاطفتك الخاصة في هذا الأمر. إن الإنسان الطبيعي هو حيوان بلا منطق. تعاملك بالمنطق مع كل الأمور هو صفة غير طبيعية، لكن مسموح لها بالبقاء لأنها مفيدة. إنك صورة مجسدة للمنطق.. منتات. لكن حلولك للمسائل - في واقع الأمر - هي إسقاط لها خارج كينونتك.. حيث يمكن فحصها وتدويرها والتدقيق فيها من جميع الجوانب"
قال دون أن يحاول إخفاء الازدراء في صوته: "أتظنين أنك ستعلمينني مهنتي؟"
قالت: "كل ما هو موجود خارج ذاتك فسيمكنك رؤيته وتطبيق منطقك عليه. لكن حسب طبيعة البشر فإننا عندما نواجه معضلات شخصية - تلك الأمور الشخصية العميقة التي يصعب جدا إخراجها من ذاتنا وفحصها بالمنطق - فإننا نتخبط، ونلوم كل الأشياء باستثناء هذا الشيء الحقيقي العميق الذي يأكلنا من الداخل"

قال منزعجا: "إنك تحاولين عن قصد أن تهزي ثقتي في قدراتي كمنتات. إن كنتُ وجدت أحد رجالنا يحاول القيام بشيء كهذا ويسعى لتخريب أحد أسلحة ترسانتنا لما ترددت في اتهامه والقضاء عليه"
قالت: "المنتات المتميز ينظر باحترام صحي لاحتمالية أن تكون حساباته بها هامش خطأ"
"لم أنكر هذا أبدا!"
"إذن شغل عقلك لدراسة هذه الأعراض التي رآها كلانا: حالة سكر بين الرجال. شجارات. يتناقلون بينهم الإشاعات والمبالغات عن أراكس. يتجاهلون أبسط قواع..."
قال: "سأم وبطالة لا غير. لا تحاولي تشتيت انتباهي بجعل شيء بسيط يبدو غامضا"
حدقت فيه، مفكرة في جنود الدوق في ثكناتهم يحكّون أسفهم وأحزانهم ببعضها البعض بحيث يكاد يمكنك شم الشحنة الكهربية في المكان، كعازل سلك محترق.
فكرت: بدؤوا يصبحون مثل رجال الأسطورة السابقة على عصر نقابة الفضاء.. رجال السفينة الضائعة الباحثة عن النجوم، أمبوليروز.. قابضين على أسلحتهم دوما، في سأم.. يحثون هائمين.. دائما جاهزين ودائما غير مستعدين.
قالت: "لماذا لم تستغل قدراتي بشكل تام في خدمتك للدوق؟ هل تخشى أن أصبح منافسة لك على منصبك؟"
نظر لها في قوة والعينان العجوزتان تشتعلان: "عندي علم ببعض الأشياء التي تم تدريبكم عليها يا بني-جيزيرت، أيتها الـ..."
ثم قطع كلامه وبدا عليه العبوس.
قالت: "قلها.. هيا. أيتها الساحرات"
قال: "عندي علم بالتدريب الحقيقي الذي يعطى لكُن. رأيت أثره ظاهرا في بولس. لم أنخدع بما تقوله مدرستكن للعامة: أن وجودكن غرضه الخدمة فقط"
فكرت: يجب أن تكون الصدمة قاسية.. ويكاد يكون مهيئا لتلقيها.
قالت: "إنك تصغي لي باحترام خلال الاجتماعات، لكن نادرا ما تأخذ بنصيحتي. لماذا؟"
قال: "لأني لا أثق في دوافعك كبني-جيزيرت. فقد تظنين أن باستطاعتك سبر غور الناس.. أو إرغام الشخص على فعل ما تأمرين بـ..."
قالت في غضب: "ظوفر، يا أيها الأحمق المسكين!"
عبس، دافعا نفسه للوراء في المقعد.
قالت: "مهما كانت الإشاعات التي سمعتها عن مدرستي فإن الحقيقة أكبر منها بكثير. لو كنت أرغب في تدمير الدوق.. أو تدميرك.. أو أي شخص آخر في متناول يدي، لما استطعتَ منعي"
وفكرت: لماذا أدع الكبرياء يخرج مني هذه الكلمات؟ ليست هذه هي الطريقة التي تم تدريبي عليها. ليست هذه هي الطريقة التي يجب أن أصدمه بها.
أدخل حواط يده خلسة تحت ردائه حيث كان يحتفظ بقاذف صغير للسهام المسمومة.
فكر: إنها لا ترتدي أي درع.
هل ما تقوله هو مجرد تبجح متفاخر؟
بإمكاني في هذه اللحظة أن أقتلها.. لكن آه من العواقب لو كنتُ مخطئا في حكمي عليها.
رأت جيسيكا حركة يده المقتربة من جيبه، وقالت: "دعنا ندعو ألا يصبح العنف ضروريا أبدا بيننا"
وافقها قائلا: "دعاء قيّم"

قالت: "وفي هذه الأثناء فإن المرض مستمر في الانتشار بيننا. ولهذا يجب أن أسألك مجددا: أليس من الراجح افتراض أن الهاركونن زرعوا هذا الشك كي يجعلوا كلا منا عدوا للآخر؟"
قال: "يبدو أننا عدنا لحالة التعادل، كما في الشطرنج"
تنهدت مفكرة: يكاد يكون مستعدا لتلقي الصدمة.
قالت: "أنا والدوق نعتبر والدين روحيين لشعبنا. المركز الذ..."
قال حواط: "لكنه لم يتزوجك رسميا"
أجبرت نفسها على الهدوء، مفكرة: إجابة سريعة قوية فعلا.
قالت: "لكنه يرفض الزواج بأخرى، ولن يفعل طالما أنا على قيد الحياة. وكما قلت فإننا والدان روحيان لرجالنا. كي يتفتت هذا النظام الطبيعي لأمور حياتنا.. كي نتشوش ونتمزق ونضطرب.. أي هدف يا ترى سينجذب له الهاركونن؟"
بدأ يدرك الاتجاه الذي سيأخذه كلامها، فانخفض حاجباه في تقطيبة.
سألت: "الدوق؟.. هو هدف مغرٍ فعلا، لكن لا يوجد من بيننا من يفوقه في حجم الحراسة، إلا باستثناء بولس ربما. أنا؟ بالتأكيد أنا هدف مغرٍ، لكنهم يعلمون بلا شك أن واحدة من البني-جيزيرت لن تكون هدفا سهلا. بالإضافة إلى أن هناك هدف متوفر وأفضل بالفعل. شخص تخلق أمامه مهامه - بحكم الضرورة - نقطة عمياء رهيبة. شخص يُعتبر الشك عادة طبيعية له كالتنفس. شخص يبني حياته كلها على تقصي التلميحات والألغاز"
ورفعت يدها اليمنى بسرعة خاطفة ناحيته وقالت: "أنت!"
بدأ حواط يثب قائما من مقعده.
قالت في قوة: "لم أسمح لك بالانصراف يا ظوفر!"
كاد المنتات المسن يسقط في مقعده. خانته عضلاته بسرعة كالبرق.
ابتسمت ابتسامة خالية من المرح.
قالت: "والآن أصبحت تعلم شيئا عن التدريب الحقيقي الذي يدربوننا عليه"
حاول حواط أن يبتلع ريقه في حلقه الجاف. كان الأمر الذي وجهته له كأمر ملكي، واجب النفاذ.. منطوق بنبرة وبأسلوب عجز تماما عن مقاومتهما. أطاعها جسده قبل أن يستطيع التفكير في الأمر. ما كان يمكن لشيء أن يعيق استجابته.. لا المنطق ولا سَورة الغضب. لا شيء إطلاقا.
كي تقوم بما قامت به فإن هذا يشير لمعرفة شاملة ودقيقة عن الشخص المأمور.. قدرة عميقة على السيطرة لم يحلم حتى بإمكان وجودها.
قالت: "أخبرتك من قبل أنه علينا أن يَفهم أحدنا الآخر. ما قصدته هو أنه عليك أن تفهمني. إذ أني أفهمك بالفعل. وها أنا أخبرك أن وفاءك للدوق هو الشيء الوحيد الذي يضمن سلامتك مني"
حدق فيها، ورطب شفتيه بلسانه.
قالت: "إن كنتُ أرغب في دمية لكان الدوق تزوجني. ولربما ظن ساعتها أنه يفعل هذا بمحض إرادته"
نكس حواط رأسه ثم صوب بصره لأعلى عبر رموشه الخفيفة.
التحكم القاسي بالنفس هو فقط ما جعله يحجم عن استدعاء الحارس. التحكم، وخوفه من أن هذه المرأة لن تسمح بشيء كهذا.
اقشعر جلده عندما تذكر كيف تحكمت فيه.

في لحظة التردد تلك كان بمقدورها أن تسحب سلاحا وتقتله به!
تساءل متعجبا: هل كل إنسان عنده مثل هذه النقطة العمياء؟ هل يمكن لأي شخص منا أن ينفذ أمرا صدر له قبل أن يستطيع مقاومته؟
أذهلته الفكرة. من سيستطيع الوقوف أمام شخص يملك قوة كهذه؟
قالت: "ما رأيته هو لمحة خاطفة للقبضة التي يغطيها قفاز البني-جيزيرت. قليلون هم من يقع بصرهم عليها ويبقون أحياء. بالإضافة إلى أن ما قمتُ به يعتبر هينا علينا. فلم تر كامل ترسانة أسلحتي بعد. فكر في هذا جيدا"
قال: "ولماذا لستِ منشغلة في هذه اللحظة بتدمير خصوم الدوق في أماكنهم؟"
قالت: "وماذا تريد مني أن أدمر؟ هل تريدني أن أجعل دوقنا ضعيف الشخصية، معتمدا علي للأبد؟"
"لكن بقوة كهذه يـ..."
قالت: "القوة سلاح ذو حدين يا ظوفر. فما يدور في خلدك الآن هو: كم هو سهل علينا أن تجعل أحد الأشخاص سلاحا وتلقيه ليصيب الخصم في مقتل. وهذا صحيح يا ظوفر.. يمكن أن أصيبهم في مقتل. لكن ما الذي سأحققه من وراء هذا؟ لو قام عدد كبير منا - نحن البني جيزيرت - بهذا، ألن يؤدي هذا الأمر لإثارة الشكوك حولنا؟.. لا نريد هذا يا ظوفر. لا نرغب في تدمير أنفسنا"
وأومأت: "إننا فعلا نعيش كي نخدم فقط"
قال: "لا يمكن أن أجيبك. تعلمين أني لا أستطيع إجابتك"
قالت: "لن نتفوه بكلمة عما حدث هنا لأي شخص. فأنا أفهمك يا ظوفر"
"سيدتي..."، ومن جديد حاول العجوز أن يرطب حلقه الجاف.
وفكر: تملك قدرات عظيمة.. أجل. لكن ألن يجعلها هذا أداة أكبر قوة ورهبة في يد الهاركونن؟
قالت: "يمكن أن يتدمر الدوق على يد أصدقائه بنفس السرعة التي يمكن أن يتدمر بها على يد أعدائه. أثق في أنك الآن ستسبر غور هذا الشك وتنهيه"
قال: "إن اتضح أنه لا أساس له"
كررت في تهكم: "إن"
قال: "إن"
قالت: "إنك لعنيد"
قال: "بل حذر.. ومدرك احتمال وجود هامش خطأ"
"إذن سأطرح عليك سؤالا آخر. كيف تفسر أنك واقف أمام شخص آخر، وأنت مقيد ومعدوم الحيلة، والآخر يمسك سكينا على حلقك.. إلا أنه يمتنع عن قتلك، ثم يحررك من قيودك ويعطيك السكين كي تستعملها كما تريد؟"
رفعت نفسها من المقعد وأدارت له ظهرها: "يمكن أن تذهب الآن يا ظوفر"
قام المنتات العجوز. تردد، وزحفت يده مقتربة من السلاح الموضوع تحت ردائه.
ذكره هذا بحلبة مصارعة الثيران وبوالد الدوق (والذي كان يتمتع بالشجاعة، مهما كانت مساوئه الأخرى) وبيوم قديم من أيام الحلبة. كان الحيوان الأسود الهائج واقفا هناك، رأسه منحنية، ساكنا ومشوشا، والدوق الكبير مديرا ظهره للقرنين، قاذفا الرداء بأناقة على ذراعه، بينما تمطر عليه الهتافات من المدرجات.
فكر حواط: أنا الثور وهي مصارع الثيران، الماتادور.

سحب يده بعيدا عن السلاح وألقى نظرة على العرق الذي يلمع في راحته الخالية.
وعرف أنه مهما كانت الحقائق التي ستتضح في النهاية فإنه لن ينسى أبدا هذه اللحظة، ولن يفقد إحساسه بالإعجاب الفائق تجاه الليدي جيسيكا.
وبهدوء استدار وغادر الحجرة.
هبطت جيسيكا ببصرها بعيدا عن الانعكاس الظاهر في النوافذ، واستدارت، وحدقت في الباب المغلق.
وهمست: "الآن سنرى جدية في العمل"

الفصل 18

"هل نتصارع مع الأحلام؟
هل نتعارك مع الظلال؟
هل تسير وكأنك نائم؟
انقضى العمر وضاع
سُرقت منك حياتك.
تلكأتَ منشغلا بالتفاهات.
فأصبحتَ ضحية لفعلتك الحمقاء"

رثاء جيمِس، قيل على السهل الجنائزي.
من كتاب "أغاني المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

وقف ليتو في بهو بيته يدقق في ورقة على ضوء مصباح وحيد من المصابيح المضادة للجاذبية.
كان الفجر لا يزال باقيا عليه عدة ساعات، وأحس بالإرهاق يحل عليه.
لم تمض سوى لحظات على مجيء مبعوث من الفريمن حاملا هذه الورقة للحرس الخارجي، في نفس الوقت الذي كان الدوق قادما فيه من مقر قيادته.
كان نص الورقة يقول: "عمود دخان نهارا، وعمود نار ليلا"[10]
وكانت بلا توقيع.
تساءل متعجبا: ما معنى هذا؟
كان المبعوث قد رحل دون انتظار إجابة، وقبل أن يمكن استجوابه. ذاب في الليل كما لو كان ظلا دخانيا.
دفع ليتو بالورقة في أحد جيوب ردائه، ناويا أن يريها لحواط فيما بعد.
أزاح خصلة شعر من على جبينه، وأطلق تنهيدة. مفعول الحبات المعالجة للإرهاق بدأ يقل. فقد مر يومان طويلان منذ وليمة العشاء، ومر أكثر من يومين منذ آخر مرة ذاق فيها النوم.
بالإضافة لكل المشاكل العسكرية كانت هناك تلك الجلسة المقلقة التي أمضاها مع حواط، حيث قدم له فيها تقريره عن لقائه بجيسيكا.
تساءل: هل أقوم بإيقاظ جيسيكا؟ فلم يعد هناك داع للعبة السرية معها بعد الآن.
أم ما زال هناك داع؟
سحقا ولعنة على دنكن أيداهو هذا!
هز رأسه. لا، ليس دنكن هو الملام. كان خطأ مني ألا أصارح جيسيكا منذ البداية. علي أن أقوم بهذا الآن، قبل أن تتدهور الأمور أكثر.

10 سفر الخروج 13: 21 (المترجم)

أشعره اتخاذ هذا القرار بتحسن، فأسرع من البهو وعبر الردهة الكبرى إلى الممرات المؤدية للأجنحة الأسرية.
عندما وصل للمكان الذي يتشعب فيه الممر ويؤدي لمنطقة الخدم، توقف.
من مكان داخل ممر الخدم جاء صوت أنين غريب.
وضع ليتو يسراه بقرب زر حزام درع الطاقة والتقط خنجره بيمناه.
بعث النصل في نفسه إحساسا بالثقة، إذ قد أصابه هذا الصوت الغريب برعدة.
انساب الدوق في ممر الخدم، لاعنا الإضاءة غير الكافية.
كان المكان مضاءا بمصابيح صغيرة مضادة للجاذبية وموزعة بحيث يكون بين كل واحد والآخر قرابة الـ 8 أمتار.. ومضبوطة على أقل درجات الإضاءة.
ابتلعت الجدران الصخرية السوداء الضوء ولم تعكس منه الكثير.
ظهرت من وسط الظلمة كومة باهتة اللون تفترش الأرضية.
تردد ليتو وكاد يقوم بتشغيل درعه، لكنه امتنع.. كي لا يعيق الدرع حركته وسمعه.. ولأن شحنة مسدسات الليزر التي عثروا عليها أثارت المخاوف في نفسه.
سار بصمت مقتربا من الكومة الرمادية، وأدرك أنها جسد بشري. رجل مقلوب على وجهه.
قلبه ليتو بقدمه، وخنجره مشهر في يده، ثم انحنى مقتربا منه في الضوء الخافت كي يرى وجهه.
إنه المهرب، تويك.. وعلى صدره بقعة رطبة.
حدقت العينان الميتتان للأمام، في الفراغ.
لمس ليتو البقعة.
دافئة.
سأل ليتو نفسه: كيف يمكن أن يوجد هذا الرجل هنا، مقتولا؟.. من قتله؟
كان الأنين هنا أعلى درجة، وصادرا من ممر آخر جانبي، في نهاية هذا الممر، يؤدي للحجرة المركزية التي وضعوا فيها مولدات دروع الطاقة الرئيسية للبيت.
بيد على زر الحزام والأخرى متحفزة بالخنجر دار الدوق حول الجثة وتقدم في الممر، وأطل من الركن لينظر لحجرة مولدات الدروع.
على الأرض امتدت كومة رمادية أخرى على بعد خطوات، وعلم على الفور أنها كانت مصدر الأنين.
زحف الجسم نحوه ببطء مؤلم.. لاهثا، مغمغما.
هدّأ ليتو انقباضة خوفه المفاجئ وانطلق في الممر، وركع جوار الجسم الزاحف.
كانت ميبس، مدبرة المنزل الفريمنية. شعرها مبعثر حول وجهها، وملابسها مضطربة.
لمعت بقعة سوداء داكنة ممتدة من ظهرها إلى جانبها.
لمس كتفها فرفعت نفسها على مرفقيها، ورأسها ملقاة للخلف كي تستطيع النظر إليه. كانت العينان عبارة عن فراغ أسود ومظلم.
شهقت قائلة: "إنه يو.. قتل... حارس... أرسلت... استدعاء... تويك... الهرب... سيدتي. أنت... أنت... هنا... لا"
ثم ارتمت للأمام، وارتطمت رأسها بصوت مكتوم على الأرض الحجرية.
تحسس ليتو صدغها باحثا عن نبض، فلم يجد.

نظر للبقعة. شخص ما طعنها في الظهر. من؟

تسارعت الأفكار في ذهنه. هل كانت تعني أن شخصا قتل أحد الحرس؟

وتويك.. هل أرسلت جيسيكا تستدعيه؟ لماذا؟

شرع في الاعتدال. حاسة سادسة نبهته. أسرعت يده لتضغط على زر درع الطاقة.. لكن الوقت كان قد فات.

صدمة مخدرة ضربت جانب ذراعه. شعر بألم في هذا الموضع، ورأى سهما صغيرا خارجا من كم الرداء، وشعر بالشلل ينتشر من هذا الموضع إلى باقي ذراعه.

رفْع رأسه والنظر للممر الممتد أمامه استلزما منه جهدا مؤلما.

كان يوي واقفا عند الباب المفتوح لحجرة المولدات. انعكس على وجهه ضوء أصفر يخرج من مصباح منفرد لامع معلق في الهواء فوق الباب.

من خلفه حل سكون على الحجرة.. ولم يكن يصدر عن المولدات أي صوت.

فكر ليتو: يوي! لقد خرب مولدات الدروع المنزلية! صرنا فريسة سهلة لأي هجوم!

بدأ يوي يسير مقتربا منه، وهو يضع قاذف السهام في جيبه.

أدرك ليتو أنه لا زال قادرا على الكلام، فقال لاهثا: "يوي! كيف؟"

ثم وصل الشلل لساقيه فانزلق هابطا على الأرض وقد استند ظهره إلى الجدار الصخري.

بدت نظرة حزينة على وجه يوي وهو يركع منحنيا ليمس جبهة ليتو. وجد الدوق أن باستطاعته الإحساس باللمسة، لكنه كان إحساسا بعيدا.. ضعيفا.

قال يوي: "المادة التي يحملها السهم انتقائية التأثير. يمكنك أن تتكلم، لكن لا أنصح بذلك"

ألقى نظرة على الردهة ثم عاد وانحنى على الدوق، ونزع السهم الصغير ورماه جانبا.

بدا صوت صلصلة السهم على أحجار الأرضية خافتا وبعيدا في أذني الدوق.

فكر ليتو: لا يمكن أن يكون الخائن هو يوي. إنه مبرمج عقليا.

همس ليتو: "كيف؟"

"آسف يا دوقي العزيز، لكن هناك أمور تفوق هذا في قوتها"، ولمس الوشم ماسي الشكل الموجود على جبهته.

"أنا نفسي أشعر بغرابة للأمر.. إنه تجاوز يتعدى على الجزء الضميري الناري.. لكني أرغب في قتل شخص. أجل، أرغب في الأمر فعلا. ولن يعوقني شيء عن تنفيذ هذا"

هبط ببصره ناظرا للدوق: "أوه، لست أنت المقصود يا دوقي العزيز. بل البارون هاركونن. أرغب في قتل البارون"

"بار..ون.. هار..."

"أرجوك أن تصمت يا دوقي المسكين. فوقتك لا يتسع لهذا. ذلك الضرس الذي زرعته في فمك بعد تعثرك وأنت في ناركال.. يجب أن أضع مكانه ضرسا آخر. بعد لحظات سأغيّبك عن الوعي وأستبدل هذا الضرس"

فتح يده وحدق في شيء فيها: "نسخة مطابقة للأصل تماما، ولُبها الداخلي مصمم بعناية كي يبدو وكأنه عصب. سيفوت أمره على آلات التفتيش المعتادة.. حتى لو قاموا بعملية مسح سريعة. لكن إن ضغطت بفكك عليه بقوة فسينفلق الغلاف. وعندما تنفخ الهواء من فمك بسرعة فستملأ الهواء حولك بغاز سام.. شديد الفتك"

حدق ليتو في يوي، ناظرا للجنون المسيطر على عيني الرجل.. العرق الممتد على الحاجب والذقن.

قال يوي: "لقد كنتَ ميتا على أية حال يا دوقي المسكين. لكنك ستستطيع الاقتراب من البارون قبل موتك. سيظن أن

المخدر سيمنعك من القيام بأي محاولة هجومية عليه أثناء احتضارك. وستكون فعلا مخدرا.. ومقيدا. لكن الهجمات قد تأتي في أشكال غريبة. وعندها ستتذكر الضرس. الضرس يا دوق ليتو أتريديز. ستتذكر الضرس"

انحنى الطبيب المسن مقتربا أكثر وأكثر حتى طغى وجهه وشاربه المتدلي على مجال رؤية ليتو المحدود.

تمتم يوي: "الضرس"

همس ليتو: "لماذا؟"

هبط يوي على ركبته جوار الدوق: "لقد عقدتُ صفقة شيطان Shaitan مع البارون.. ويجب أن أتأكد أنه أنجز قسمه المنوط به فيها. عندما أراه سأتأكد. عندما سيقع بصري عليه سأعرف. لكن لن أتمكن من الوقوف في حضرته إلا بعد تقديمي للثمن. وأنت الثمن يا أيها الدوق المسكين. وسأتأكد عندما أراه. فحبيبتي وانا المسكينة قد علمتني الكثير من الأشياء، وأحدها هو أن أتعرف على الحقيقة اليقينية عندما يكون الضغط العصبي شديدا. لا أستطيع القيام بهذا في كل الأوقات، لكن عندما سأنظر للبارون سأتأكد"

حاول ليتو أن ينظر للضرس الموضوع في يد يوي. شعر بأن ما يحدث هو كابوس.. لا يمكن أن يكون واقعا.

ارتفعت شفتا يوي الأرجوانية في تكشيرة عابسة: "لن يسمحوا لي بالاقتراب كثيرا من البارون، وإلا لكنت قمت بهذا بنفسي. بل سيحتجزونني على مسافة آمنة. أما أنت.. آه، أنت يا سلاحي الحبيب! سيرغب في الاقتراب منك.. ليتبجح أمامك.. ليتباهى بانتصاره بعض الشيء"

وجد ليتو نفسه مشدوها وبصره منجذب لعضلة على يسار فك يوي. كانت العضلة تلتوي كلما تكلم الرجل.

اقترب يوي أكثر: "وأنت يا دوقي الطيب.. يا دوقي العزيز.. سيكون عليك تذكر هذا الضرس"

وأمسك الشيء بين إبهامه وسبابته: "فلن يبقى لك غيره"

تحرك فم ليتو دون أن يصدر عنه صوت، ثم قال: "أرفض"

"كلا! يجب ألا ترفض. لأنه في مقابل هذه الخدمة الصغيرة سأقدم لك شيئا في المقابل. سأنقذ ابنك وامرأتك. لا يوجد من يستطيع القيام بهذا سواي. يمكن نقلهم لمكان لا يقدر أي هاركوني على الوصول إليهم فيه"

همس ليتو: "كيف.. تنقذ.. هم؟"

"بجعل الأمر يبدو وكأنهم قد ماتوا.. وتهريبهم سرا وسط قوم يشرعون سكاكينهم كلما سمعوا اسم آل هاركونن. قوم يكرهون الهاركونن كراهية شديدة لدرجة أنهم سيحرقون مقعدا لمجرد أن هاركوني جلس عليه.. ويرشون أرضا بالملح لمجرد أن هاركوني سار عليها"

مس فك ليتو: "هل فقدت الإحساس في فكك؟"

أدرك الدوق أنه عاجز عن الإجابة. شعر - شعورا ضعيفا - بأن شيئا يسحب منه، ورأى يد يوي تصعد ومعها خاتم الدوقية.

قال يوي: "من أجل أن أعطيه لبولس. ستغيب عن الوعي بعد قليل. وداعا يا دوقي المسكين.. فعندما نلتقي مجددا لن يتسع الوقت للحديث"

انتشرت البرودة لأعلى عبر فك ليتو، ثم وجنتيه. الردهة المظلمة ضاقت أمام ناظره حتى صارت نقطة، وشفتا يوي الأرجوانيتان في مركزها.

قال يوي في هسيس: "تذكر الضرس!.. الضرس!"

الفصل 19

"يجب أن يكون هناك علم يدرس حالة عدم الرضا. يحتاج الناس إلى أن يتعرضوا للأوقات العصيبة وللاضطهاد كي تنمو فيهم القدرات الروحانية"

من كتاب "أقوال المؤدب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

استيقظت جيسيكا في ظلام، فأصابها السكون المحيط بها بهاجس مقلق.

لم تفهم سبب هذه البلادة المسيطرة على عقلها وجسدها. جرت على امتداد أعصابها قشعريرة خوف.

أرادت أن تعتدل وتشعل إضاءةً ما، لكن شيئا ما أعاق قرارها.

أما فمها فشعرت فيه بـ... غرابة.

طم.. طم.. طم.. طم.

كان صوتا مكتوما، لم تتبين مصدره في الظلام. مكان ما.

تكثف زمن طويل في لحظة الانتظار، وحفيف حركات يشبه وخز الإبر.

بدأت تشعر بجسدها بالتدريج، وأدركت وجود أربطة تقيد المعصمين والكاحلين، وأن فمها مكمم.

كانت ملقاة على جانبها، ويداها مقيدتين من خلفها.

اختبرت أربطة القيود فأدركت أنها مصنوعة من ألياف الكريمسكيل التي ستضيق أكثر كلما حاولت نزعها.

وفي هذه اللحظة تذكرت.

كانت هناك حركة في ظلام حجرة نومها، ثم خبط وجهها شيء مبلل ولاذع، فملأ فمها إذ قيدتها أيدٍ ما.

لما لهثت حينئذ - ساحبة نفسا واحدا فقط - شعرت بالمادة المخدرة التي يحويها البلل.

تراجع الوعي، تاركا إياها لتغرق في هاوية سوداء مرعبة.

فكرت: قد حدث الأمر إذن.

كم كان سهلا إخضاع بني-جيزيرت مثلها. كل ما تطلبه الأمر هو الخيانة.

كان حواط محقا.

أرغمت نفسها على الامتناع عن محاولة نزع القيود.

فكرت: ليست هذه حجرتي. لقد أخذوني لمكان آخر.

وفي بطء سيطرت على انتظام هدوئها الداخلي.

انتبهت لرائحة عرقها سيء المذاق، بما يحويه من عناصر كيميائية يفرزها الخوف.

سألت نفسها: أين بولس؟.. ابني، ماذا فعلوا به؟

الهدوء.

أجبرت نفسها على الهدوء، متبعةً الأساليب القديمة المعتادة.

لكن الهلع ظل مطلا برأسه من مكان قريب.

ليتو؟ أين أنت يا ليتو؟
أحست بأن الظلام ينقشع. بدأ الأمر بمجرد ظلال، ثم انفصلت الأبعاد عن بعضها، فصارت أشواك وعي جديدة.
بياض.. خط ظاهر تحت باب.
أنا على الأرض.
ناس تسير. انتقل لها الإحساس بهذا عبر الأرضية.
اعتصرت جيسيكا ذكرى الهلع وأبعدتها. يجب أن أبقى هادئة، منتبهة، ومستعدة.
قد لا تتاح لي سوى فرصة واحدة.
ومجددا أجبرت الهدوء الداخلي على الانتشار.
انتظمت دقات قلبها المضطربة، مُشَكِلةً الزمن.
قامت بالعد العكسي.
كنت غائبة عن الوعي لساعة تقريبا.
أغلقت عينيها وركزت انتباهها على خطوات الأقدام المقتربة.
أربعة أشخاص.
حسبت الفروق في خطواتهم.
يجب أن أتظاهر بأني لا زلت غائبة عن الوعي.
استرخت على الأرضية الباردة، مختبرة درجة استعداد جسدها. سمعت بابا يفتح، وشعرت عبر جفنيها بالضوء وقد تزايد.
اقتربت أقدام. هناك شخص يقف أمامها.
قعقع صوت عميق قائلا: "إنك مستيقظة. لا تحاولي التظاهر"
فتحت عينيها.
كان البارون فلاديمير هاركونن يقف أمامها. ومن حوله تعرفت على شكل حجرة القبو التي كان بولس قد نام فيها، ورأت سريره في أحد الجوانب.. فارغا.
أحضر الحراس عدة مصابيح مضادة للجاذبية، ووزعوها بقرب الباب المفتوح. وخلف الباب كان بالممر نور براق آلم عينيها.
رفعت بصرها إلى البارون. كان يرتدي رداء أصفر قد انتفخت تحته مضادات الجاذبية المحمولة.
كانت الخدود السمينة تشبه وجنات ملائكة الكروبيم الطفولية.. تحت عينين في سواد العناكب.
قال بصوت كالهزيم: "كان المخدر موقتا. كنا نعلم بدقة متى ستفيقين من تأثيره"
سألت نفسها متعجبة: كيف أمكنهم هذا؟.. سيلزمهم معرفة وزني بالضبط، ومعدل الأيض عندي، و..
يوي!
قال البارون: "من المؤسف أن نضطر لإبقائك مكممة. كان يمكن أن نجري حوارا شيقا"
فكرت: لا يمكن أن يكون الفاعل سوى يوي. لكن كيف؟
ألقى البارون نظرة خلفه ناحية الباب: "ادخل يا بايتر"
لم يكن قد سبق لها رؤية الرجل الذي دخل ووقف جوار البارون، لكن الوجه - وصاحبه - كانا معروفين لها..
بايتر دي فرايز، المنتات والقاتل المغتال.
دققت في ملامحه.. تقاسيم الوجه الصقرية.. عينان بزرقة الحبر، واللتان قد تشيران إلى أنه مولود على أراكس، إلا أن

تفاصيلَ دقيقة في حركته ووقفته أخبرتها أن هذا ليس صحيحا. بالإضافة إلى أن بشرته كانت مشبعة بالماء.
كان طويلا، نحيفا، وبه شيء يوحي بالتخنث.
قال البارون: "كم هو من المؤسف ألا نستطيع التحاور يا سيدتي العزيزة جيسيكا.. لكني على علم بقدراتك"، ونظر للمنتات: "أليس هذا صحيحا يا بايتر؟"
قال الرجل: "ما تقوله صحيح يا بارون"
كان الصوت صادحا، غنائي النبرة. وأثار في عمودها الفقري شعورا بالبرودة.
لم يسبق لها أبدا أن سمعت صوتا باردا كهذا الصوت.
في أذن من تدربت على أساليب البني-جيزيرت فإن الصوت كان يصرخ قائلا: قاتل!
قال البارون: "عندي مفاجأة لبايتر. يظن أنه حضر هنا كي يتسلم مكافأته.. أي أنتِ يا ليدي جيسيكا. لكني أريد أن أدلل عمليا على شيء.. أنكِ لستِ ما يريده فعلا"
قال بايتر: "أتعبث بي يا بارون؟"، وابتسم.
عندما رأت هذه الابتسامة تعجبت جيسيكا من أن البارون لم يثب ليحمي نفسه من بايتر هذا. ثم استدركت خطأها.
فالبارون عاجز عن قراءة ما تدل عليه هذه الابتسامة. لم يتدرب على اكتساب هذه القدرة.
قال البارون: "في هذا الأمر فإن بايتر ساذج إلى حد كبير. يرفض الاعتراف لنفسه بأنك - يا ليدي جيسيكا - مخلوق شديد الخطورة. بإمكاني أن أريه الدليل عمليا، لكنها ستكون مخاطرة حمقاء"
ابتسم البارون لبايتر الذي تحول وجهه لقناع يجسد ملامح الانتظار: "إني أعلم ما الذي يرغب فيه بايتر بالفعل. بايتر راغب في السلطة"
قال بايتر: "لقد وعدتني بأن أحصل عليها"، وبدأ الصوت المنغم يفقد بعض بروده المتحفظ.
أصغت جيسيكا للنبرات المفتاحية في صوت الرجل، وسرت في داخلها رعدة.
كيف أمكن للبارون أن يحوّل منتاتا إلى حيوان كهذا؟
قال البارون: "سأعطيك خيارا يا بايتر"
"أي خيار؟"
فرقع البارون أصابعه السمينة قائلا: "أن تحصل على هذه المرأة لكن يتم نفيك من الإمبراطورية، أو تحصل على دوقية آل أتريديز، تحكمها - باسمي - كما تريد"
راقبت جيسيكا عيني البارون العنكبوتية المدققة في بايتر.
قال البارون: "بإمكانك أن تنال كل مميزات منصب الدوق هنا، لكن دون الحصول على اللقب رسميا"
سألت جيسيكا نفسها: هل ليتو الحبيب قد مات إذن؟
شعرت بعويل صامت يبدأ في مكانٍ ما داخلها.
أبقى البارون انتباهه منصبا على المنتات: "افهم نفسك يا بايتر. فأنت ترغب فيها لأنها كانت امرأة دوق.. رمزا لسلطته.. جميلة، ومفيدة، ومدربة بامتياز على القيام بدورها. لكن ما بالك بدوقية كاملة يا بايتر!.. هذا شيء يفوق مجرد الرمز.. هذا شيء واقعي ملموس. بالحصول عليه يمكنك أن تنال نساء كثيرات.. وأكثر من هذا أيضا"
"لا تمزح مع بايتر؟"
التف البارون بتلك الخفة الراقصة التي تعطيها له مضادات الجاذبية: "أمزح؟ أنا؟ تذكر، أنا أيضا أتخلى عن الفتى. فقد سمعتَ

ما قاله الخائن عن التدريب الذي تلقاه الفتى. إنهما متشابهان، هذه الأم وابنها.. فتاكان"
وابتسم البارون: "يجب أن أرحل الآن. سأرسل مستدعيا الحارس الذي احتفظت به لهذه اللحظة المعينة. فهو أصم كحجر. أوامره هي أن يرافقك خلال المرحلة الأولى من مراحل رحلتك لمنفاك. وسيقوم بإخضاع هذه المرأة بالقوة إن رأى أنها قد سيطرت عليك بقدرتها الصوتية. ولن يسمح لك بفك كمامتها إلا بعد رحيلكم عن كوكب أراكس. أما إن قررتَ ألا تغادر... فلديه أوامر أخرى"
قال بايتر: "لا داع لأن ترحل.. فقد حسمت أمري"
ضحك البارون: "أها! قرار سريع كهذا لا يمكن أن يعني سوى شيء واحد"
قال بايتر: "سآخذ الدوقية"
وفكرت جيسيكا: ألا يدرك بايتر أن البارون يكذب عليه؟ لكن.. أنى له الإدراك؟ إنه منتات منحرف.
هبط البارون ببصره ناظرا لجيسيكا: "أليس من الرائع أني أعرف طبيعة بايتر بهذه الدقة؟ لقد راهنت قائدي الحربي على أن بايتر سيختار هذا الأمر. هاه! على أية حال، أنا راحل الآن. هذا أفضل كثيرا. أجل، أفضل كثيرا. تفهمين يا ليدي جيسيكا أني لا أحمل ضدك أية ضغينة شخصية، أليس كذلك؟ إنما الأمر ضروري. الأحسن أن تتم الأمور بهذه الطريقة. أجل. بالإضافة إلى أني فعليا لم آمر بالقضاء عليكِ. عندما يسألوني عما حدث لك فسيمكنني أن أنفض التهمة عن نفسي بصدق تام"
قال بايتر: "ستترك الأمر في يدي إذن؟"
قال البارون: "الحارس الذي سأرسله لك سينفذ أوامرك. أترك لك حرية التصرف"، وحدق في بايتر، "أجل، سأكون بريئا من أي دماء تسيل هنا. القرار قرارك. أجل.. لا علم لي به إطلاقا. عليك أن تنتظر حتى أرحل ثم تقوم بما عليك أن تقوم به. أجل. حسنا. أجل. أجل. جميل"
فكرت جيسيكا: إنه يخشى التعرض لاستجواب على يد كاهنة كاشفة للأكاذيب. من يا ترى؟
آه.. السيدة الموقرة جايس هيلين بالطبع! ما دام يعلم أنه سيتعرض لأسئلتها إذن الإمبراطور مشترك في هذه الخطة بالتأكيد. يا لليتو المسكين!
وبعد إلقاء نظرة أخيرة على جيسيكا استدار البارون وخرج من الباب.
تبعته بعينيها مفكرة: الأمر فعلا كما حذرتني منه السيدة الموقرة.. إنه خصم قوي للغاية.
دخل جنديان هاركونيان. تبعهما آخر، وجهه مشوه بالندوب، ووقف في المدخل مشهرا مسدسه الليزري.
فكرت جيسيكا وهي تفحص الوجه ذي الندوب: إنه الأصم. فالبارون يعلم أنه باستطاعتي استخدام قدرة الصوت على أي إنسان آخر.
نظر ذو الندوب لبايتر: "معنا الغلام على محفة بالخارج. ما أوامرك؟"
تكلم بايتر موجها كلامه لجيسيكا: "كنت قد فكرت في أن أربطك بي عن طريق تهديد حياة ابنك، لكني بدأت أدرك أن هذا الأمر لم يكن سيفلح. لقد سمحتُ للعواطف أن تعمي عقلي. وهو سلوك خاطئ من غير المناسب أن يصدر عن منتات"
نظر لأول جنديين واستدار كي يتمكن الأصم من قراءة شفتيه: "خذوهما للصحراء كما اقترح الخائن أن نفعل بالغلام. خطته لا بأس بها. فالديدان ستدمر كل الأدلة. لا يجب أن نسمح لأحد بالعثور على جثتيهما"
قال ذو الندوب: "ألا تريد أن تتخلص منهما بنفسك؟"
فكرت جيسيكا: يستطيع قراءة حركات الشفاه.

قال بايتر: "سأقتدي بما فعله البارون. خذوهما حيث اقترح الخائن"
سمعت جيسيكا في صوت بايتر سيطرة متناتية وضبط نفس، ففكرت: هو أيضا يخشى كاشفة الأكاذيب.
هز بايتر كتفيه واستدار وخرج من الباب. تردد هناك للحظة، وظنت جيسيكا أنه قد يلتفت ويلقي نظرة أخيرة عليها، لكنه استمر في طريقه دون أن يلتفت.
قال ذو الندوب: "عن نفسي فإني لن أرغب في المثول أمام تلك الكاهنة كاشفة الأكاذيب بعد أن أتم عمل هذه الليلة"
قال أحد الجنديين الآخرين: "من المستبعد تماما أن تقابل تلك الساحرة العجوز"
وتقدم من رأس جيسيكا وانحنى فوقها: "لن ينتهي عملنا إن بقينا واقفين هكذا 'نسولف'. امسك قدميها و..."
قال ذو الندوب: "ليش ما نقتلهم هنا؟"
قال الأول: "التنظيف مشكلة. إلا لو كنت تريد خنقهم. أما أنا فأحب الشغل النظيف الواضح. نلقيهم في الصحراء كما قال ذاك الخائن، ونجرحهم جرحا أو اثنين، ونترك الدليل للديدان تلتهمه. ولا حاجة للتنظيف بعدها"
قال ذو الندوب: "آه.. كلام زين"
أصغت جيسيكا إليهما.. تراقبهما.. تسجلهما ذهنيا. لكن الكمامة تعيق استخدامها للصوت.. بالإضافة لمشكلة وجود الأصم.
وضع ذو الندوب مسدسه في قرابه، وأمسك قدميها.
حملاها ككيس قمح وعبرا بها من الباب وألقياها على محفة تطفو بمضادات الجاذبية، جوار شخص آخر مقيد.
عندما أداروها جانبا كي يربطوها على المحفة رأت وجه الشخص المرافق لها.. بولس!
كان مقيدا لكنه بلا كمامة. وجهه لا يبعد عنها أكثر من 10 سنتيمترات، وعيناه مغلقتان، وتنفسه منتظم.
تساءلت: هل تم تخديره؟
رفع الجنود المحفة فانفتحت عينا بولس بمقدار ضئيل.. وحدق فيها شقان سوداوان.
فكرت في توسل: لا يجب أن يحاول استخدام الصوت.. فالحارس أصم!
انغلقت عينا بولس.
كان يمارس أسلوب التنفس الإدراكي.. مهدئا ذهنه.. مصغيا لآسريهما. فاقد السمع كان يُعتبر مشكلة، لكن بولس لم يطلق العنان لليأس داخله.
أسلوب البني-جيزيرت لتهدئة الذهن الذي علمته أمه إياه أبقاه متزنا، ومستعدا لاستغلال أي فرصة سانحة.
سمح بولس لنفسه بإلقاء نظرة أخرى فاحصة على وجه أمه، عبر شق صغير بين جفنيه.
لم يبدُ أنها قد أصيبت بسوء، لكنها كانت مكممة الفم. تساءل عمن استطاع أن يأسرها. أما الإيقاع به فكان أمره واضحا.. إذ خلد للنوم بعد تناول حبة دواء وصفها له يوي، ثم استيقظ ليجد نفسه مربوطا بهذه المحفة.
ربما حدث لها شيء مشابه.
المنطق يقول أن يوي هو الخائن، لكنه قرر تأجيل البت في الأمر. فالأمر كان مستعصيا على الفهم.. كيف لطبيب قد برمجته مدرسة الصك أن يصبح خائنا؟
مالت المحفة للجانب قليلا عندما كان جنود الهاركونن يمران بها عبر أحد الأبواب، ثم خرجا بها إلى ليل تنيره النجوم.
احتكت إحدى عوامات الطفو المضادة للجاذبية بجانب الباب بصوت خشن، ثم أصبحا بعدها فوق الرمال المتناثرة مع حركة الأقدام عليها.
لاح فوقهما جناح طائرة ثوبتر، مخفيا النجوم عن مجال الرؤية. ثم استقرت المحفة على الأرض.

تأقلمت عينا بولس على الضوء الخافت، فرأى أن الجندي الأصم هو من فتح باب الثوبتر وأطل برأسه في الداخل ناظرا للمكان الأخضر الداكن المضاء بالضوء المنبعث من لوحة القيادة.
قال: "أهذه هي الثوبتر المفترض أن نستخدمها؟"، واستدار كي يرى شفتي زميله.
قال الآخر: "إنها الطائرة التي قال الخائن أنها مهيئة للأعمال الصحراوية"
أومأ ذو الندوب: "لكنها من ذلك النوع صغير الحجم المستخدم في مهام ضباط الاتصال. فلا يسع المكان هنا سوى لهذين ولاثنين منا"
قال حامل المحفة وهو يقترب كي تُقرأ شفتاه: "اثنان كافيان. بإمكاننا أن نتولى الأمور بداية من هذه المرحلة يا كينت"
قال ذو الندوب: "أمرني البارون أن أتأكد بنفسي مما سيحدث لهذين"
قال جندي آخر من وراء حامل المحفة: "لماذا تشعر بالقلق من الأمر؟"
قال الأصم: "إنها من ساحرات البني-جيزيرت. عندهن قدرات"
"آآه.. واحدة منهن؟ أعرف ماذا تقصد"، وصنع علامة القبضة جوار أذنه.
قال الجندي الذي يقف خلفه ضاحكا: "ستتحول لوليمة ديدان بعد قليل. لا أظن أنه حتى ساحرات البني-جيزيرت قادرات على إخضاع إحدى تلك الديدان العملاقة.. صحيح يا زيجو؟"، ووكز حامل المحفة.
قال حامل المحفة: "أي نعم".
عاد للمحفة وأمسك كتفي جيسيكا: "هيا يا كينت. يمكنك أن ترافقني إن أردت التأكد بنفسك مما سيحدث"
قال ذو الندوب: "شكرا على الدعوة اللطيفة"
شعرت جيسيكا بأنها ترفع، ودار ظل الجناح فبدت النجوم. دُفعت للمقعد الخلفي في الثوبتر، وتم فحص أربطة ألياف الكريمسكيل التي تقيدها، ثم ربطوها بالحزام.
حُشر بولس جوارها، وربطوا حزامه بإحكام. لاحظت أن قيوده كانت مصنوعة من حبال عادية.
ذو الندوب - الأصم الذي يُدعى كينت - جلس في المقعد الأمامي. حامل المحفة، المسمى زيجو، دار حول الطائرة واستقل المقعد الأمامي الآخر.
أغلق كينت بابه، ومال على لوحة التحكم. انطلقت الثوبتر محلقة، تدفعها الأجنحة، واتجهت جنوبا ناحية الجدار الجبلي.
نقر زيجو على كتف زميله وقال: "لم لا تستدير وتقوم بمراقبة هذين الاثنين؟"
"متأكد أنك تعرف الطريق؟"، ونظر كينت لشفتي زيجو.
"لقد سمعتُ الخائن مثلك بالضبط"
أدار كينت مقعده على محوره. لمحت جيسيكا لمعان ضوء النجوم على المسدس الليزري الذي يمسكه في يده.
بالتدريج بدأت الطائرة من الداخل تظهر تفاصيلها مع تعود عيني جيسيكا على الإضاءة.. وإن بقي وجه الحارس ذي الندوب معتما.
اختبرت جيسيكا حزام مقعدها فوجدته غير محكم. أحست بخشونة في الحزام بقرب ذراعها الأيسر، وأدركت أنه يكاد يكون مقطوعا، ويمكن فصله بحركة سريعة.
تساءلت متعجبة: هل سبقنا شخص لهذه الطائرة وجهزها لنا؟.. من؟
ببطء لفت قدميها المقيدتين بعيدا عن قدمي بولس.
قال ذو الندوب: "خسارة كبيرة أن نهدر فرصة وجود امرأة جميلة مثلها. هل سبق لك معاشرة واحدة من شريفات

النسب؟"، واستدار لينظر للطيار.
قال الطيار: "ما كل البني-جيزيرت من شريفات النسب"
"لكن كل واحدة منهن يبدو عليها العز"
فكرت جيسيكا: يمكنه الآن أن يراني بشكل أوضح.
رفعت قدميها المقيدتين على المقعد، ولفت جسدها في شكل كومة متكورة، مديمة النظر في ذي الندوب.
قال كينت: "حلوة جدا". رطب شفتيه بلسانه. "خسارة كبيرة جدا"، ونظر لزيجو.
قال الطيار: "هل تفكر فيما أظن أنك تفكر فيه؟"
قال الحارس: "ومن سيدري بالأمر؟.. بعد انتهائنا..."، وهز كتفيه. "كل ما في الأمر أني لم أجرب واحدة من علية القوم من قبل. وقد لا تواتيني فرصة مثل هذه مرة أخرى أبدا"
قال بولس في حزم: "لو امتدت يدك مقتربة من أمي...". وحدق في ذي الندوب.
ضحك الطيار: "هاه! الجرو ينبح. لكنه عاجز عن العض"
وفكرت جيسيكا: صوت بولس مرتفع قليلا عن المطلوب، لكن الأمر قد ينجح على الرغم من ذلك.
استمر التحليق في صمت.
فكرت جيسيكا وهي تدقق في الحارسين وتتذكر كلمات البارون: يا لهؤلاء الحمقى المساكين. سيتم قتلهم فور إنهاء مهمتهم بنجاح. فالبارون لا يرغب في وجود أي شهود.
انحدرت الثوبتر فوق الحافة الجنوبية للجدار الجبلي، ورأت جيسيكا تحتهم الصحراء الرملية المتسعة في ضوء القمر.
قال الطيار: "أظن هذه المسافة بعيدة بما يكفي. فالخائن قال أن علينا تركهم على الرمال في أي مكان قرب الجدار الجبلي" ونزل بالطائرة منحدرا ناحية الكثبان الرملية، في انقضاضة طويلة هابطة، ثم ارتفع بالمقدمة بقوة قريبا من سطح الصحراء.
رأت جيسيكا بولس يبدأ في أخذ الأنفاس الإيقاعية لتمرين التهدئة. أغلق عينيه ثم فتحهما.
صوبت جيسيكا نظرها إليه، عاجزةً عن مساعدته.
فكرت: إنه لم يتقن استخدام قدرة الصوت بعد. لو فشل...
لمست الثوبتر الرمل بتمايل بسيط. نظرت جيسيكا للخلف، في اتجاه الشمال، ناحية الجدار الجبلي، فرأت ظل جناحين يستقر هناك بعيدا عن مرمى البصر.
فكرت: أحدهم يتبعنا! من؟
ثم: من أمرهم البارون بمراقبة هذين الاثنين. وسيكون هناك مراقبون للمراقبين أيضا.
أطفأ زيجو محركات الجناح، فغرق الجميع في سكون مفاجئ.
أدارت جيسيكا رأسها. كان يمكنها - عبر النافذة الموجودة خلف ذي الندوب - رؤية لمعان ضوء باهت من قمر يشرق فوق الأفق.. حافة صخرية مرتفعة من الصحراء.. سلاسل جبلية أثرت فيها هبات الرمال على الجانبين.
تنحنح بولس.
قال الطيار: "والآن ماذا يا كينت؟"
"ما داري يا زيجو"
التف زيجو وقال: "امم.. شوف هدا"، ومد يده لتنورة جيسيكا.
قال بولس بنبرة آمرة: "انزع كمامتها"

شعرت جيسيكا بالكلمات تدور في الهواء. النبرة والجرْس ممتازان. نبرة إلزامية.. قاطعة.
درجة أخفض قليلا كانت ستكون أفضل، لكن نبرته لا زالت واقعة في الحد الطيفي الملائم لهذا الرجل.
نقل زيجو يده إلى الرباط المحيط بفم جيسيكا، وشد طرف عقدة الكمامة.
قال كينت آمرا: "توقف عن هذا!"
قال زيجو: "اغلق فمك يا رجل، فيداها مقيدتان"
فك العقدة فسقط الرباط. برقت عيناه وهو يفحص جيسيكا.
وضع كينت يده على ذراع الطيار: "انظر يا زيجو. لا داع لـ..."
لوت جيسيكا عنقها وبصقت الكمامة. ضبطت درجة صوتها بحيث تصبح النبرة هادئة وحميمية: "يا سادة! لا داع للقتال بسببي"، وفي نفس الوقت تلوّت بجسدها كي تغري كينت.
رأت التوتر يبدأ في السيطرة عليهما، وكانت متأكدة أنهما في هذه اللحظة أصبحا مقتنعين بضرورة التعارك للمنافسة عليها. خلافهما لم يتطلب أي سبب إضافي. في عقليهما كانا بالفعل قد بدآ يتصارعان عليها.
رفعت وجهها في ضوء لوحة التحكم كي تتأكد من قدرة كينت على قراءة شفتيها، وقالت: "لا يجب أن تتنازعا"
ابتعد أحدهما عن الآخر أكثر، وأخذا ينظران لبعضهما بقلق متبادل.
قالت: "وهل توجد امرأة تستحق أصلا أن يتقاتل الآخرون عليها؟"
بنطقها لهذه الكلمات - ولأنها موجودة هنا - كانت قد جعلت نفسها تستحق فعلا أن يتقاتلا عليها.
أطبق بولس شفتيه بقوة، وأجبر نفسه على التزام الصمت. فقد أخذ فرصته محاولا استخدام الصوت بنجاح. أما الآن فكل شيء يعتمد على أمه والتي تفوقه خبرة بمراحل.
قال ذو الندوب: "صحيح.. لا داع للقتال عليها"
وأسرعت يده بحركة خاطفة ناحية عنق الطيار. لكن الضربة التقت ببريق معدني مس الذراع ثم - في نفس الحركة - انغرس في صدر كينت.
تأوه ذو الندوب، وارتخى للخلف مرتطما ببابه.
قال زيجو: "كان يظن أني جاهل لا أعرف هذه الخدعة"، واسترجع يده كاشفا عن السكين التي تمسكها. كانت تلمع بنور القمر المنعكس عليها.
وقال وهو يميل ناحية بولس: "والآن دور الجرو"
تمتمت جيسيكا: "لا حاجة لهذا"
تردد زيجو.
قالت: "ألا تفضل أن أكون متعاونة معك؟.. اعط الغلام فرصة"، والتوت شفتها وهي تقول: "إنها لفرصة ضئيلة جدا في تلك الرمال بالخارج. اعطه هذا و..."، ابتسمت وهي تكمل: "وستنال مكافأة مغرية"
نظر زيجو على يساره ويمينه ثم عاد بانتباهه لجيسيكا: "قيل لي ما يمكن أن يحدث للإنسان في هذه الصحراء. ربما تكون السكين أرحم بالغلام"
توسلت جيسيكا: "هل ما أسأله كثير؟"
غمغم زيجو: "إنك تحاولين خداعي"
قالت جيسيكا: "لا أرغب في رؤية ابني وهو يموت.. هل في هذا خدعة؟"

تراجع زيجو ودفع مزلاج الباب بمرفقه. أمسك بولس وسحبه على المقعد ودفعه بحيث صار نصف جسده خارج الباب وشهر السكين في وجهه: "إيش راح تعمل يا صغير لو قطعت قيودك؟"
قالت جيسيكا: "سيبتعد عن هنا في الحال ويتجه لتلك الصخور البعيدة"
قال زيجو: "هدا إللي راح تعمله يا صغير؟"
"أجل"، وكانت نبرة بولس كئيبة على نحو متقن.
انخفضت السكين وقطعت قيود ساقيه. أحس بولس باليد التي تدفعه في ظهره لتلقيه على الرمال، فتظاهر بأنه يتمايل على إطار الباب، واستدار وكأنه يمنع نفسه من الوقوع، ثم دفع قدمه اليمنى فجأة.
كان الإصبع موجها بدقة بالغة أثبتت فائدة سنوات التدريب الطويلة، كما لو أن كل هذا التدريب قد تركز في هذه اللحظة. تقريبا كل عضلة من عضلات جسده تعاونت في توجيه الضربة.
صدم طرف الإصبع الجزء الطري في معدة زيجو الواقع تحت عظام الصدر مباشرة، ثم اندفع لأعلى بقوة رهيبة فوق الكبد وعبر الحجاب الحاجز ليهشم البطين الأيمن في قلب الرجل.
اندفع الحارس للوراء خلال المقاعد بصرخة مقرقرة.
أما بولس - ولأنه عاجز عن استخدام يديه - فاستمر في سقوطه على الرمال، فلمسها متدحرجا بحيث قلل التدحرج من عنف السقطة وأقامه على قدميه في نفس الحركة.
انقض عائدا إلى القمرة، ووجد السكين وأمسكها بين أسنانه فنشرت أمه قيودها عليها كالمنشار، ثم التقطت النصل وحررت يديه.
قالت: "كان يمكنني التعامل مع الأمر. كان سيضطر لقطع قيودي. لقد قمتَ بمخاطرة حمقاء"
قال: "رأيت فرصة سانحة فقمت باستغلالها"
سمعت في صوته نبرة ضبط نفس قاسية. قالت: "شارة عائلة يوي مرسومة في عجالة على سقف هذه القمرة"
نظر لأعلى فرأى الرمز الملفوف.
قالت: "اخرج ودعنا نفحص هذه الطائرة.. فهناك حزمة موضوعة تحت مقعد الطيار. شعرت بها أثناء دخولنا"
"قنبلة؟"
"لا أظن. هناك شيء غريب بالأمر"
وثب بولس على الرمال وتبعته جيسيكا. استدارت ومدت يدها تحت المقعد لتأخذ الحزمة الغريبة. كانت قدما زيجو قريبتين من وجهها. أحست ببلل على الحزمة وهي تلتقطها، ثم أدركت أن البلل كان دماء الطيار.
فكرت: يا له من هدر للرطوبة.
منتبهة إلى أن هذا التفكير كان تفكيرا أراكسيا.
تأمل بولس المكان المحيط بهم، فرأى الانحدار الصخري مرتفعا من أرض الصحراء كما يبدو الشاطئ من البحر.. ووراءه الجروف الصخرية وقد نحتتها الرياح.
استدار وأمه ترفع الحزمة من الثوبتر فرآها تحدق على امتداد الكثبان ناحية الجدار الجبلي.
نظر ليرى ما الذي جذب انتباهها، فرأى طائرة ثوبتر أخرى منقضة عليهما، وأدرك أن الوقت لن يكفي لإخراج الجثتين من هذه الثوبتر والهرب فيها.
صرخت جيسيكا: "اجرِ يا بولس! الهاركونن قادمون!"

الفصل 20

"إن أراكس يعلّم الناس أسلوب السكين.. أن تقطع الجزء غير المكتمل وتقول: الآن قد صار مكتملا لأن طرفه أصبح ينتهي هنا"

من كتاب "أقوال المؤدِّب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

كبح الرجل - المرتدي زي آل هاركونن - سيره عندما وصل لنهاية الردهة، وحدق في يوي بنظرة واحدة أرته كلا من جثة ميبس، وجسد الدوق المتمدد، ويوي الواقف في مكانه.
كان الرجل يمسك في يمينه مسدس ليزري، وتشع منه سمات توحي بالوحشية والصلابة والاتزان، تسببت في أن سرت في يوي قشعريرة.
فكر يوي: إنه ساردوكار. ومن أسلوبه يبدو أنه برتبة باشار. وغالبا من أتباع الإمبراطور شخصيا، أُرسل إلى هنا كي يتابع سير الأمور.
مهما كان الزي الذي يرتدونه فمن الصعب عليهم إخفاء حقيقتهم.
قال الرجل: "أنت يوي". ونظر متأملا حلقة مدرسة الصك المحيطة بشعر الطبيب، وألقى نظرة على الوشم الذي يشبه الماسة، ثم التقت عيناه بعيني يوي.
قال الطبيب: "أنا يوي"
قال الرجل: "بإمكانك أن تطمأن يا يوي. عندما أبطلتَ مفعول دروع الطاقة المنزلية دخلنا المكان على الفور. كل شيء هنا أصبح تحت السيطرة. هل هذا هو الدوق؟"
"إنه الدوق"
"ميت؟"
"بل غائب عن الوعي فقط. أقترح أن تقيده"
ونظر لطرف الردهة الآخر حيث رقد جسد ميبس: "هل قتلتَ هذين؟"
تمتم يوي: "اضطررتُ آسفا"
قال الساردوكار متهكما: "شيء مؤسف!"
ثم تقدم وهبط ببصره ناظرا لليتو: "ها هو إذن الدوق الأحمر العظيم"
فكر يوي: إن كان عندي أي شك في حقيقة هذا الرجل فإن هذه الجملة تنهيه. فالإمبراطور فقط هو من يطلق على آل أتريديز لقب الأدواق الحُمر.
مد الساردوكار يده وقطع شارة الصقر الأحمر من سترة ليتو وقال: "تذكار صغير. أين خاتم الدوقية؟"
قال يوي: "غير موجود على إصبعه"
قال الساردوكار بحدة: "أرى هذا!"
تصلب جسد يوي، وابتلع ريقه. إن ضغطوا علي أو أحضروا كاهنة من كاشفات الأكاذيب فسيعلمون بأمر الخاتم، وبأمر

الثوبتر التي أعددتها. قد يفشل كل شيء.
قال يوي: "أحيانا كان الدوق يرسل خاتمه مع أحد رسله كتأكيد على أن الأمر صدر منه شخصيا"
غمغم الساردوكار: "بالتأكيد رسل موثوق فيهم ثقة تامة"
تجرأ يوي وقال: "ألن تقيده؟"
"إلى متى سيظل فاقدا للوعي؟"
"حوالي ساعتين. لم أكن دقيقا في تحضيري لجرعته كما فعلت مع المرأة والغلام"
رفس الساردوكار الدوق بازدراء: "لم يكن هذا يثير الخوف حتى وهو متيقظ. متى ستفيق المرأة والغلام؟"
"في غضون 10 دقائق"
"حالا هكذا؟"
"قيل لي أن البارون سيصل فورا بعد قدوم رجاله"
"وسيفعل. عليك أن تنتظر بالخارج يا يوي"، وألقى على يوي نظرة حادة: "الآن!"
نظر يوي لليتو وقال: "وماذا عن..."
"سيتم توصيله للبارون في حزمة محكمة وكأنه شواء سيدخل الفرن"، ومن جديد نظر الساردوكار للوشم الماسي على جبهة يوي. "أنت معروف بيننا. ستكون بمأمن في أروقة المكان. لا وقت عندنا لمزيد من الدردشة أيها الخائن، فإني أسمع أصوت اقتراب الآخرين"
فكر يوي: خائن.
خفض بصره ومر جوار الساردوكار عالما أن هذه كانت عينة مبدئية للطريقة التي سيتذكره بها التاريخ. يوي الخائن.
مر خلال طريقه للمدخل الرئيسي بالمزيد من الجثث، ونظر إليها وهو يخشى أن يكون إحداها هو بولس أو جيسيكا. لكن كلهم كانوا إما من الحرس المنزلي أو ممن يرتدون زيا هاركونيا.
انتبه له الحرس الهاركوني وحدقوا فيه وهو يخرج من الباب الرئيسي إلى الليل الذي تنيره الشعلات.
كانوا قد أضرموا النار في النخلات المرصوصة على جانب الطريق كي ينيروا المنزل.
تصاعد دخان أسود - خلال ألسنة اللهب البرتقالية - من المواد الحارقة المستخدمة لإشعال أشجار النخيل.
قال أحدهم: "إنه الخائن"
قال آخر: "سيريد البارون أن يراك بعد قليل"
فكر يوي: يجب أن أصل للثوبتر. يجب أن أضع الخاتم الدوقي في مكان سيجده فيه بولس.
وفجأة حل به الخوف.. إن شك فيّ أيداهو أو شعر بالملل من الانتظار.. إن لم ينتظر ثم يذهب للموضع الذي حددته له بدقة.. فإن جيسيكا وبولس لن ينجوا من المذبحة. وسأُحرم حتى من ذلك الأمر الذي قد يريحني قليلا من ثقل فعلتي.
أشار الحارس الهاركوني بذراعه قائلا: "انتظر هناك وافسح الطريق"
وعلى نحو مفاجئ رأى يوي نفسه وقد صار منبوذا في هذا المكان المدمَر.. لا يبال به أحد، ولا تناله أية شفقة.
يجب أن ينجح أيداهو!
ارتطم به حارس آخر وصاح: "ابتعد عن الطريق يا هذا!"
فكر يوي: يحتقرونني حتى بعد أن ربحوا بسببي.
شد قامته لما دفعه الرجل جانبا، واستعاد شيئا من كرامته.

زمجر ضابط من الحرس قائلا: "انتظر البارون!"

أومأ له يوي، وسار - بطريقة حاول أن تكون طبيعية - أمام مدخل المنزل، ثم انحرف عند الركن، والجا الظلال، بعيدا عن نظر النخيل المحترق.

وبسرعة - وكل خطوة تفضح تلهفه - اتجه يوي قاصدا الساحة الخلفية الواقعة تحت صوبة الاستنبات، حيث وقفت طائرة الثوبتر منتظرة. المركبة التي وضعوها هنا كي تحمل بولس وأمه.

وقف حارس أمام الباب الخلفي المفتوح للمنزل، واهتمامه منصب على القاعة المضيئة وعلى الرجال المتحركين هناك في ضوضاء، يفتشون الحجرات واحدة بعد الأخرى.

يا للثقة التامة البادية عليهم!

احتضن يوي الظلال، ودار حول الثوبتر، وفتح - برفق - بابها البعيد عن جهة الحارس.

تحسس تحت المقاعد الأمامية باحثا عن عُدة الأدوات الفريمينة التي أخفاها في هذا الموضع. رفع غطاء أحد جيوبها وأدخل خاتم الدوقية.

أحس بتجعيد الورقة المصنوعة من البهار.. الرسالة التي كان قد كتبها.. فوضع الخاتم داخل الورقة.

ثم أخرج يده وأعاد غلق الحقيبة.

وبنعومة أغلق يوي باب الثوبتر، وعاد سائرا نحو ركن المنزل ثم استدار مقتربا من مكان النخيل المحترق.

وفكر: الآن قد تم الأمر.

برز من جديد في ضوء النخلات المشتعلة، وأحكم رداءه على جسده وحدق في اللهب.

قريبا سأتأكد. قريبا سيقع بصري على البارون وسأعرف.

أما البارون.. فسيلاقي ضرسا صغيرا.

الفصل 21

"هناك أسطورة تقول أنه في نفس لحظة موت الدوق ليتو أتريديز ظهر نيزك ممتد في السماء فوق قصر أسلافه على كوكب كالادان"

من مقدمة الأميرة إيرولان لكتاب "المؤدب: تاريخ للأطفال"

=====

وقف البارون فلاديمير هاركونن أمام إحدى النوافذ الزجاجية في سفينة اللايتر الفضائية الصغيرة الراسية على الأرض، والتي كان يستخدمها كمقر قيادة.

من النافذة كان يرى ليل مدينة أراكين وقد أنارته شعلات اللهب.

انصب اهتمامه على الجدار الجبلي البعيد، حيث كان سلاحه السري يؤدي مهمته المنوطة به.

قذائف المدفعية المتفجرة.

كانت المدافع تقضم - بتأنٍ - الكهوف التي تراجع إليها جنود الدوق المقاتلون آملين أن يتخندقوا فيها لمحاولة أخيرة.

قضمات بطيئة مدروسة ذات وهج برتقالي، ووابل من الصخور والغبار يبدو خلال الإضاءة قصيرة الزمن.. ثم يحصر رجال الدوق خلف الركام كي يموتوا جوعا، كما لو كانوا حيوانات أُغلقت عليها جحورها.

أحس البارون بعملية المضغ البعيدة.. كدقات طبول وصلته عبر معدن السفينة: بووم... بووم، يليها: بوووم بووووم!

من كان يمكن أن يفكر في إعادة إحياء استخدام المدفعية في عصر دروع الطاقة هذا؟

كانت الخاطرة في ذهنه قهقهة.

لكن فرار رجال الدوق لتلك الكهوف كان أمرا متوقعا. وسينظر الإمبراطور بتقدير لمهارتي في الحفاظ على حياة قوتنا العسكرية المشتركة.

قام بضبط أحد مضادات الجاذبية الصغيرة التي تحمي جسده السمين من شد الجاذبية. تجعد فمه في ابتسامة، ساحبةً معها خطوط لُغده.

فكر: من المؤسف إهدار رجال مقاتلين مثل رجال الدوق هؤلاء.

اتسعت ابتسامته أكثر، ساخرا من نفسه. فالأسف والشفقة هما في الحقيقة قسوة.

فالفشل - حسب تعريفه - يجعل الشخص عرضة للاستبدال. الكون بكامله يقف مهيئا ومتاحا أمام الإنسان القادر على اتخاذ القرارات السليمة. أما الأرانب المتذبذبة فيجب كشفهم، وجعلهم يفرون لجحورهم.

وإلا فكيف سيمكنك أن تتحكم فيهم وتربيهم؟

تخيل مقاتليه كنحلات تحشد الأرانب وتهزمهم. وفكر: يسير اليوم بسلاسة كالعسل عندما تملك ما يكفي من النحلات العاملة.

انفتح باب خلفه، فدقق البارون أولا في الانعكاس الظاهر في زجاج النافذة التي سودها الليل قبل أن يستدير.

تقدم بايتر دي فرايز داخلا الغرفة، يتبعه أومان كودو، قائد الحرس الشخصي للبارون. تحرك رجال عند الباب.. حرسه ذوو الوجوه التي يحرصون على أن تكون خانعة كالحملان في حضوره.

استدار البارون.

لمس بايتر ناصية رأسه بإصبعه في تقليد ساخر للتحية العسكرية: "أخبار جيدة يا سيدي. الساردوكار تمكنوا من القبض على الدوق وإحضاره"

قعقع صوت البارون قائلا: "شيء متوقع ومفروغ منه"

تأمل قناع الشر الكئيب البادي على وجه بايتر المخنث. والعينين.. هذين الشقين المظللين بلونهما الأزرق تام الزرقة.

فكر البارون: يجب أن أتخلص منه عما قريب. فقد انتهى نفعه أو كاد، وأوشك على أن يصبح مصدر خطر مؤكد على شخصي. لكن أولا يجب أن يتسبب في جعل شعب أراكس يكرهونه. حينها سيستقبلون عزيزي فايد-راوثا بترحاب، كمخلِّصهم.

نقل البارون انتباهه إلى قائد الحرس.. أومان كودو.. بعضلات فكه الحادة كالمقص، وذقنه التي تشبه مقدمة الحذاء. إنه رجل يمكن الثقة به لأن رذائله معروفة.

قال البارون: "لكن أولا، أين الخائن الذي مكنني من الدوق؟.. يجب أن أعطي الخائن مكافأته"

استدار بايتر على عقبه وأشار للحارس الواقف بالخارج.

من بين الحركات التي طرأت على الممر المظلم دلف يوي للغرفة، في خطوات صارمة وجسد مشدود. تدلى شاربه على جانبي شفتيه الأرجوانيتين. لم تبد الحيوية سوى على العينين المسنتين.

توقف يوي في الغرفة بعد ثلاث خطوات، مطيعا إشارة يد من بايتر.. ووقف في مكانه يحملق في البارون عبر فراغ الغرفة الفاصل بينهما.

"أها.. دكتور يوي"

"سيدي هاركونن"

"وصلني أنك مكنتنا من الدوق"

"إنه نصف الصفقة المنوط بي يا سيدي"

نظر البارون لبايتر، فأومأ بايتر إيجابا.

أعاد البارون بصره ليوي: "التزام حرفي بالصفقة إذن؟ وأنا..."، وبصق باقي الكلمات في قوة: "ما الذي وعدت بفعله في المقابل؟"

"إنك تتذكر الأمر تمام التذكر يا سيدي الهاركونن"

وسمح يوي لنفسه في تلك اللحظة أن يغرق في التفكير، منصتا للسكون المفاجئ للساعات التي كانت تدق في عقله.

كان قد انتبه لتفاصيل دقيقة في أسلوب البارون كشفت له الأمر. وانا فعلا ميتة.. رحلت لمكان يعجزون عن أذيتها فيه. وإلا لظل هناك تهديد يتحكمون بواسطته في الطبيب الضعيف. أسلوب البارون كشف أنه لم يعد هناك ما يتحكمون به فيه.. قد انتهى الأمر.

قال البارون: "متأكد أني أتذكره؟"

"لقد وعدتَ أن تخلص حبيبتي وانا من عذابها"

أومأ البارون: "آه، أجل. الآن أتذكر. وعدتك بهذا فعلا. كانت تلك هي الطريقة التي كسرنا بها برمجتك العقلية. لم تستطع رؤية امرأتك، ساحرة البني-جيزيرت، وهي تتذلل تحت تأثير مضخمات الإحساس بالألم التي صنعها بايتر. حسنا، البارون فلاديمير هاركونن دائما يلتزم بوعوده. فقد أخبرتك أني سأحررها من العذاب وأن أسمح لك بمرافقتها. وهذا ما سيكون" ولوح لبايتر بيده.

سادت عيني بايتر نظرة زجاجية، وتحرك فجأة بانسيابية كالقط. برقت السكين في يده وكأنها مخلب وهي تنقض طاعنة ظهر

يوي.
تجمد جسد العجوز دون أن يبعد انتباهه عن البارون.
لفظ البارون كلماته في قوة قائلا: "فكن معها إذن!"
وقف يوي، متمايلا، وتحركت شفتاه بتركيز شديد. خرج صوته في إيقاع موزون بدقة: " تظن.. أنك.. هزمتني. تظن.. أني.. لم.. أكن.. أعلم.. المصير.. الذي.. اشتريته.. لحبيبتي.. وانا"
ثم هوى منقلبا. بلا انحناء ولا التواء. سقط كما تسقط الأشجار.
كرر البارون: "فكن معها إذن!"، لكن كلماته كانت أشبه بصدى ضعيف.
أثار فيه يوي إحساسا بنذير شؤم. أسرع بتسليط انتباهه على بايتر فشاهد الرجل يمسح النصل على قطعة قماش، ورأى في العينين الزرقاوين نظرة الرضا اللزجة.
فكر البارون: هكذا إذن تكون طريقة قتله للآخرين بيديه. من المفيد أن أعلم هذا.
قال البارون: "هل أتاح لنا القبض على الدوق فعلا؟"
قال بايتر: "بكل تأكيد يا سيدي"
"أدخله إلى هنا إذن!"
ألقى بايتر نظرة على قائد الحرس فاستدار مسرعا ليقوم بتنفيذ الأمر.
هبط البارون ببصره لينظر ليوي. بالنظر للطريقة التي سقط بها الرجل أرضا يكاد المرء يظن أن في جسده خشب بلوط بدلا من العظام.
قال البارون: "يستحيل أن أضع ثقتي في خائن.. حتى لو كنت أنا من صنعته بيدي"
نظر للنافذة التي غطاها الليل بظلامه. علم يقينا أن هذا الغطاء الأسود الساكن القابع بالخارج قد أصبح ملكه.
كان صوت المدفعية الموجهة لكهوف الجدار الجبلي قد توقف.. فتحات الجحور قد أغلقت.
وإذ فجأةً عجز عقل البارون عن تصور وجود أي شيء يفوق في الجمال هذا السواد الفارغ.
باستثناء أن لو كان هناك بياض على السواد. طلاء أبيض مصقول على السواد. بياض كخزف البورسلين.
لكن كان لا يزال هناك شك ينتابه.
ماذا كان يقصد هذا الطبيب المسن الأحمق؟.. فبالتأكيد كان يعلم غالبا ما سيحدث له في النهاية، لكن تلك الجملة عن أنه لم يُهزم: 'تظن أنك هزمتني'
ماذا عني بها؟
دلف الدوق ليتو أتريديز عبر الباب. كانت ذراعاه مقيدتين بالسلاسل، ووجهه ذو الملامح النسرية يعلوه التراب، وسترته الرسمية ممزقة في الموضع الذي انتزع منه أحد الأشخاص شارته. ومن وسطه تدلت قطع ممزقة من الثياب حيث خُلع منها حزام درعه دون فكه أولا من أربطة السترة.
أما عينا الدوق فكانت تعلوهما غشاوة شبه زجاجية ونظرة مجنونة تائهة.
قال البارون: "أهاااا!".
ثم تردد، ساحبا نفسا عميقا.
أدرك أنه تكلم بنبرة أعلى مما ينبغي. تلك اللحظة - التي كان قد تخيلها طويلا - فقدت شيئا من مذاقها.
اللعنة الأبدية على هذا الطبيب البغيض!

قال بايتر: "أظن أن الدوق الطيب واقع تحت تأثير مخدر. فبهذه الطريقة استطاع يوي أن يمكننا منه"
التف بايتر للدوق وقال: "ألستَ مخدرا يا دوقي العزيز؟"
كان الصوت بعيدا للغاية. أمكن لليتو أن يحس بالسلاسل.. بألم العضلات.. بشفتيه المشقوقتين، ووجنتيه المتوهجتين، وبالمذاق الجاف للعطش الخشن في فمه. لكن الأصوات كانت شبه مكتومة.. وكأنها مخفية وراء دثار قطني. وعبر هذا الدثار بدت له الأشكال ضبابية.
قال البارون: "ماذا عن المرأة والغلام يا بايتر؟ هل وصلتك أخبار بشأنهما؟"
اندفع لسان بايتر مرطبا شفتيه.
قال البارون بحدة: "إذن فقد وصلك شيء عنهما بالفعل! ما هو؟"
ألقى بايتر نظرة على قائد الحرس ثم عاد ببصره للبارون: "الرجلان اللذان أرسلناهما للقيام بالمهمة يا سيدي.. لقد.. احم.. لقد عثرنا عليهما"
"حسنا، وهل قدما تقريرا يفيد بأن كل شيء تم على ما يرام؟"
"إنهم موتى يا سيدي"
"طبعا موتى! ما أستفسر عنه هو..."
"كانا ميتين بالفعل عندما عثرنا عليهما يا سيدي"
شحب وجه البارون. "والمرأة والغلام؟"
"لا أثر لهما يا سيدي. لكن كانت هناك دودة في المكان. جاءت أثناء قيامنا بفحص المشهد والتحقيق فيما حدث. ربما تم الأمر على ما نحب.. حادثة ما. احتمال أن..."
"لا نتعامل مع هذا الأمر بالاحتمالات يا بايتر. ثم ماذا عن طائرة الثوبتر المفقودة؟ ألا يشير هذا بشيء ما على عقل منتاتي؟"
"واضح أن أحد رجال الدوق هرب فيها يا سيدي. قتل الطيار التابع لنا ثم هرب"
"أي رجال الدوق بالتحديد؟"
"كانت عملية قتل نظيفة وصامتة يا سيدي. فربما يكون حواط، أو ذاك المسمى هاليك. واحتمال أن يكون أيداهو، أو أي من الضباط الكبار"
تمتم البارون: "احتمالات"
ونظر لجسد الدوق المخدر والمتمايل.
قال بايتر: "الموقف تحت السيطرة يا سيدي"
"لا ليس تحت السيطرة!.. أين ذلك الخبير الكوكبي الغبي؟ أين المسمى كاينز؟"
"وصلتنا معلومة ترشدنا لمكان وجوده وتم استدعاؤه يا مولاي"
تمتم البارون: "لا تعجبني الطريقة التي يساعدنا بها موظف الإمبراطور"
كانت الكلمات تصله مكتومة عبر دثار قطني، لكن بعضها ترك انطباعا في ذهن ليتو. المرأة والغلام.. لا أثر لهما. إذن بولس وجيسيكا نجحا في الهرب. ولا يزال مصير حواط وهاليك وأيداهو مجهولا. لا زال هناك أمل.
قال البارون آمرا: "أين الخاتم الدوقي؟ إصبعه فارغ"
قال قائد الحرس: "يقول الساردوكار أنه لم يكن يرتديه عند القبض عليه يا سيدي"
قال البارون: "لقد تعجلت في قتلك للطبيب. كانت غلطة. كان عليك أن تحذرني يا بايتر. لقد اندفعتَ بتهور بطريقة ليست في

صالح مشروعنا"، وعبس قائلا: "احتمالات!"
تعلقت الفكرة كموجة جيبية هندسية في ذهن ليتو: بولس وجيسيكا هربا!
وكان بذهنه شيء آخر أيضا: صفقة ما. يوشك أن يتذكرها.
الضرس!
يستطيع الآن تذكر شيء منها.. كبسولة غاز سام على شكل ضرس مزيف.
شخص ما قد أخبره أن يتذكر الضرس. الضرس كان في فمه. يمكنه الإحساس بشكله باستخدام لسانه. كل ما يحتاجه هو أن يعض عليه بقوة.
لكن ليس الآن!
الشخص كان قد أخبره أن ينتظر حتى يقترب من البارون.
من أخبره؟.. عجز عن التذكر.
قال البارون: "إلى متى سيظل مخدرا بهذا الشكل؟"
"ربما لساعة أخرى يا سيدي"
غمغم البارون: "ربما"
ومن جديد عاد للنافذة التي سودها الليل. "أنا جائع"
فكر ليتو: إنه البارون. ذاك الشكل الرمادي الضبابي الواقف هناك.
تراقص الشكل جيئة وذهابا، متأرجحا مع تأرجح الغرفة. كانت الغرفة تتسع ثم تضيق أمام عينه.. تضيء وتظلم. ثم انطوت في ظلام وتلاشت.
أصبح الزمن بالنسبة للدوق عبارة عن طبقات متتابعة، وأخذ ينساق عبرها.
يجب أن أنتظر.
كانت هناك منضدة. رأى ليتو المنضدة بوضوح. وعلى الطرف الآخر من المائدة رجل ضخم، سمين، وأمامه بقايا وجبة طعام.
أحس ليتو بأنه يجلس على مقعد مقابل لمكان الرجل السمين. وأحس بالسلاسل، وبالأربطة التي تقيد جسده المخدر بالمقعد.
كان مدركا أن وقتا قد مر، لكن لم يستطع تحديد مقداره.
"أظنه بدأ يفيق يا بارون"
إنه صوت ناعم. بايتر.
"أرى هذا يا بايتر"
صوت عميق يقعقع. البارون.
أحس ليتو بأن محيطه يزداد وضوحا. المقعد تحته ازداد ملمسه صلابة.. إحساسه بوجود الأربطة ازداد حدة.
وأصبح يرى البارون في هذه اللحظة بوضوح.
راقب ليتو حركات يدي الرجل.. اللمسات اللا-إرادية لحافة طبق.. ليد ملعقة.. حركة إصبع وهو يمر متحسسا ترهل اللغد.
راقب ليتو اليد المتحركة، مأخوذا بها.
قال البارون: "بإمكانك أن تسمعني يا دوق ليتو.. أعرف أنه يمكنك سماعي. ما نريد أن نعلمه منك هو: أين نجد محظيتك والولد الذي أنجبته لك"
لم تفت أية حركة على ليتو، لكن الكلمات غمرته بموجة اطمئنان. إنه حق إذن.. لم يتمكنوا من بولس وجيسيكا.

قال البارون في صوت هادر: "المسألة ليست لعب أطفال.. بالتأكيد تعلم هذا". انحنى مقتربا من ليتو، مدققا في الوجه.
كان البارون مستاء من أن هذا الأمر لا يتم في خصوصية بينهما هما فقط. فأن يرى الآخرون أحد النبلاء في عسر وضيق هكذا لهو أمر يعتبر سابقة سيئة.
شعر ليتو بقوته تعود. وأصبحت ذكرى الضرس المزيف بارزة في ذهنه، كبرج في مساحة أرض مسطحة. الكبسولة المصنوعة على شكل عصب داخل هذا الضرس.. الغاز السام.. وتذكر من قام بوضع هذا السلاح القاتل في فمه.
يوي.
وفي ذهن ليتو تعلقت - كالبخار - ذكرى ضبابية من أثر المخدر.. رؤيته لجثة مرتخية تم سحبها أمامه في هذه الغرفة.
وعلم أنها كانت جثة يوي.
قال البارون: "هل تسمع تلك الضوضاء يا دوق ليتو؟"
انتبه ليتو لصوت ضفدعي.. دمدمة أنين عذاب شخص ما.
قال البارون: "قبضنا على أحد رجالك متنكرا في هيئة الفريمن. تمكنا من كشف التنكر بسهولة.. بسبب العينين طبعا. الرجل يصر على أنه كان موضوعا بين الفريمن كي يتجسس عليهم. لكني عشت على هذا الكوكب لفترة يا قريبي العزيز. لا يتجسس المرء على حثالات الصحراء المهترئة هؤلاء. أخبرني، هل اشتريت مساعدتهم بالمال؟ هل أرسلت بامرأتك وابنك لهم؟"
شعر ليتو بصدره يضيق خوفا. لو كان يوي قد أرسلهما للمناطق الصحراوية فلن يتوقف البحث إلا وقد تم العثور عليهما.
قال البارون: "هيا، هيا. فالوقت قصير والألم سريع. أرجوك لا تضطرني لهذا يا دوقي العزيز"، ورفع البارون بصره لبايتر الذي كان واقفا بقرب كتف ليتو: "بايتر لم يحضر كل أدواته هنا، لكني متأكد أن بإمكانه الارتجال"
"والارتجال يكون أفضل أحيانا يا بارون"
ذاك الصوت الحريري الناعم المتملق! سمعه ليتو بقرب أذنه.
قال البارون: "كانت عندك خطة طوارئ ما. إلى أين تم إرسال المرأة والغلام؟"
نظر ليد ليتو: "وخاتمك مفقود. هل هو مع الغلام؟"
رفع البارون بصره وحدق في عيني ليتو.
"إنك لا تجيب. هل ستضطرني للقيام بشيء لا أرغب في القيام به؟ سيستخدم بايتر أساليب بسيطة ومباشرة. وأوافقه أنها أحيانا تكون الأفضل، لكن لا يليق أن تتعرض لمثل هذه الأشياء"
قال بايتر: "ربما شحم حيواني ساخن على الظهر، أو على الأجفان. وممكن وضعه على أجزاء أخرى من الجسد أيضا. فإنه مؤثر أكثر عندما لا يعلم الشخص على أي موضع سيسقط الشحم في المرة التالية. إنها طريقة جيدة، وهناك شيء من الجمال في شكل البثور المتقيحة البيضاء على البشرة العارية.. أليس كذلك يا بارون؟"
قال البارون: "شيء فاتن"، وبدا صوته نكدا.
يا لأصابع اللمس هذه! راقب ليتو اليدين السمينتين.. الجواهر البراقة على اليدين المكتظتين كأيدي الأطفال.. تجولهما اللا-إرادي.
أصوات العذاب القادمة عبر الباب الموجود خلفه كانت تنهش في أعصاب الدوق. تساءل: أمسكوا من يا ترى؟.. هل يمكن أن يكون أيداهو؟
قال البارون: "صدقني يا قريبي العزيز.. لا أريد للأمور أن تصل لهذا الحد"
قال بايتر: "فكر في الأعصاب التي ستسرع حاملة الرسائل للعضلات تطلب نجدة عاجزة عن الحضور. لعلمك، الطريقة فيها

مهارة فنية"
زمجر البارون: "وأنت فنان ممتاز، لكن الآن تفضل علينا بصمتك"
فجأة تذكر ليتو شيئا كان جيرني هاليك قد قاله مرة عندما رأى صورة للبارون: "ثم وقفتُ على رمل البحر فرأيت وحشا طالعا من البحر... وعلى رؤوسه اسم تجديف"[11]
قال بايتر: "إننا نضيع وقتنا يا بارون"
"ربما"
أومأ البارون: "تعلم يا دوقي العزيز أنك ستخبرنا بمكانهما في النهاية. فهناك مستوى من الألم سيحل عقدة لسانك"
فكر ليتو: غالبا كلامه صحيح فعلا، لولا وجود الضرس.. وحقيقة أني بالفعل لا أدري مكانهما.
التقط البارون قطعة لحم وأدخل اللقمة في فمه، ماضغا ببطء، ثم بلعها. وفكر: يجب أن نحاول مسلكا آخر.
قال البارون: "تأمل هذا الشخص البارز الذي ينكر أنه يمكن شراؤه بأي مقابل.. تأمله يا بايتر"
وفكر البارون: أجل! انظر له، هذا الرجل الذي يظن أنه لا يمكن شراؤه. انظر له مقيد ها هنا بمليون حصة بيعت من قيمته قطرة قطرة كل ثانية من حياته!
لو رفعته الآن وهززته لسمعت خشخشة بداخله.. فارغا! قد بيع وانتهى! الطريقة التي سيموت بها لن تصنع أي فارق الآن.
في الخلفية توقفت الأصوات الضفدعية.
رأى البارون أومان كودو - قائد الحرس - يظهر عند مدخل الباب في الناحية المقابلة من الغرفة ويهز رأسه.
الأسير لم يبح بالمعلومات المطلوبة. فشل جديد.
حان الوقت للتوقف عن تضييع الوقت مع هذا الدوق الأحمق.. هذا الغبي الأحمق الطري غير المدرك للعذاب الجحيمي الذي يكاد يناله، والذي لا يبعد عنه إلا بمقدار سُمك عصب واحد.
هدّأت هذه الخاطرة البارون، متغلبةً على نفوره من تعريض أحد النبلاء للألم.
رأى نفسه فجأة وكأنه جراح يقوم بعدد لا نهائي من عمليات التشريح بمبضعه.. نازعا الأقنعة عن الحمقى.. كاشفا ما تحتها من جحيم.
أرانب.. كلهم!
ويا لجبنهم الظاهر عليهم عندما يقع بصرهم على الحيوان المفترس!
حدق ليتو من الطرف الآخر للمنضدة، سائلا نفسه: لماذا ينتظر؟ فالضرس سينهي كل هذا بسرعة.
وقد كانت حياة طيبة في المجمل.
وجد نفسه يتذكر طائرة ورقية محلقة في سماء كالادان الزرقاء بلون المحار، وبولس يضحك فرحا بمنظرها. وتذكر شروقا للشمس هنا على أراكس.. طبقات ملونة من الجدار الجبلي وقد ألانتها سحابة ترابية.
تمتم البارون: "فليكن". دفع نفسه للوراء مبتعدا عن المنضدة، واعتدل واقفا بخفة بسبب مضادات الجاذبية، ثم تردد للحظة عندما رأى تغيرا يطرأ على الدوق.
رأى الرجل يسحب نفسا عميقا، وفكه يتصلب، وإحدى عضلاته تتموج إذ أطبق الدوق على فمه، مغلقا إياه بقوة.
فكر البارون: انظر لخوفه الشديد مني!
أما ليتو - وقد صدمه الخوف من احتمالية أن يفلت منه البارون - فعض بقوة على كبسولة الضرس، وشعر بها تتكسر.

11 سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي 13: 1 (المترجم)

فتح فمه وزفر البخار اللاذع الذي ذاق طعمه وهو يتكون على لسانه.
بدأت صورة البارون تصغر.. كشكل في نفق يزداد ضيقا.
سمع ليتو شهقة جوار أذنه. إنه ذو الصوت الناعم.. بايتر.
وصله الغاز أيضا!
"بايتر! ما الخطب؟"
كان الصوت المقعقع بعيدا للغاية.
شعر ليتو بالذكريات تتدافع في ذهنه.. همهمات العجائز الهتم.
الغرفة، المنضدة، البارون، زوجان من العيون المرتعبة.. زرقاء تامة الزرقة. انضغطت كلها من حوله في شكل أطلال متماثلة.
كان هناك رجل ذقنه تشبه مقدمة الحذاء.. دمية عسكري تهوي. كانت أنف العسكري الدمية مكسورة ومنحرفة لليسار، كبندول مترونوم إيقاعي، مجمد للأبد في نقطة صعوده.
سمع ليتو صوت تحطم آنية نخارية.. صوتا بعيدا يزأر في أذنه.
وأصبح عقله كهاوية بلا قعر، يسقط فيها كل شيء. كل شيء في الوجود.. كل صيحة. كل همسة. كل.. صمت.
بقت له خاطرة وحيدة. رآها ليتو في نور هلامي على أشعة سوداء: الجسد يؤثر في الزمن، ومرور الزمن يؤثر في الجسد.
غمرته الخاطرة بإحساس بالامتلاء تأكد من عجزه الأبدي عن تفسيره.
سكون.

وقف البارون وظهره لبابه الخاص.. فتحة الفرار الواقعة خلف المنضدة.
كان قد أغلق الباب على غرفة كل من فيها موتى.
سجلت حواسه من حوله حرسا محتشدين.
سأل نفسه: هل استنشقته؟.. ذاك الشيء الموجود بالداخل، هل وصل إلي؟
عاد له سمعه.. وعقله. وسمع شخصا يصيح مطلقا الأوامر.. أقنعة غاز.. دعوا الباب مغلقا.. شغلوا مضخات الهواء.
فكر: لقد سقط الآخرون بسرعة. أما أنا فلا زلت واقفا. لا زلت أتنفس.
يا للعنة الجهنمية! لقد فلتُّ بالكاد.
يمكنه الآن تحليل ما حدث. كان درع الطاقة الذي يرتديه يعمل ساعتها.. أي نعم مضبوطا على أقل شدة لكن بما يكفي كي يقلل سرعة تبادل الجزيئات على جانبي حقل الطاقة. وكان ساعتها أيضا يدفع نفسه مبتعدا عن المنضدة.. بالإضافة إلى شهقة بايتر المصدومة والتي جعلت قائد الحرس يندفع للأمام لاقيا حتفه.
الصدفة وتحذير أتى عبر شهقة رجل محتضر.. هذا هو ما أنقذه.
لم يشعر البارون بأي امتنان لبايتر. فالأحمق عرض نفسه للقتل. وقائد الحرس الغبي ذاك!
قال أنه فحص كل شيء قبل المجيء بهم في حضرة البارون!
كيف تمكن الدوق من هذا؟
بلا أي تحذير. ولا حتى من شمام السموم الموضوع فوق المنضدة، إلا بعد فوات الوقت. كيف؟

فكر البارون وقد بدأ عقله يستعيد تماسكه: حسنا، لا يهم هذا الآن. سيبدأ قائد الحرس القادم عمله بإيجاد إجابات لهذه الأسئلة.
انتبه لوجود نشاط زائد عند نهاية الممر، وراء الركن القريب من الباب الآخر لغرفة الموت هذه.
دفع البارون نفسه مبتعدا عن بابه الخاص وتأمل الأتباع الخانعين المحيطين به. وقفوا في أماكنهم محدقين، صامتين، منتظرين ردة فعل البارون.
هل سيكون البارون غاضبا؟
وأدرك البارون أنه لم تمر سوى ثوان قليلة على فراره من هذه الغرفة الرهيبة.
بعض الحرس كانوا رافعين أسلحتهم تجاه الباب، والبعض الآخر وجه غضبه ناحية الممر الفارغ الممتد إلى مكان الضوضاء المنبعثة من عند الركن على يمينهم.
ومن هذا الركن ظهر رجل يخطو خطوات واسعة، وقناع الغاز متدل من عنقه برباط، وعيناه تتفرس في أجهزة شم السموم المعلقة في السقف على امتداد هذا الرواق.
كان أشقر، بوجه عريض وعينين خضراوين. وتشع من حول فمه - ذي الشفتين الممتلئتين - خطوط متموجة. وبدا وكأنه حيوان مائي موضوع في غير مكانه بين أهل اليابسة.
حدق البارون في الرجل المتقدم ناحيته، متذكرا الاسم: نيفود. ياكين نيفود. حارس برتبة عريف.
كان نيفود مدمنا على السيموتا.. مزيج مكون من مادة مخدرة وموسيقى تصاحبها، يؤثر في أعمق أعماق الوعي.
معلومة مفيدة.
توقف الرجل أمام البارون وأدى التحية: "الرواق آمن يا سيدي. كنت واقفا بالخارج أشاهد ما يحدث وأدركت أن الشيء بالتأكيد هو غاز سام. مراوح التهوية بغرفتك كانت تسحب الهواء من هذه الممرات"
ورفع بصره لشمام السموم الموجود فوق رأس البارون: "لم يتسرب شيء من المادة. قمنا بتطهير الغرفة بالفعل. ما أوامرك؟"
تعرف البارون على صوت الرجل.. كان هو من يصيح مطلقا الأوامر. وفكر: هذا العريف كفء.
قال البارون: "كلهم موتى بالداخل؟"
"أجل يا سيدي"
فكر البارون: حسنا.. علينا التأقلم مع الظروف.
قال: "أولا دعني أهنئك يا نيفود. فأنت القائد الجديد لحرسي. وأرجو أن تستوعب جيدا الدرس الذي يجب تعلمه مما أصاب سلفك"
راقب البارون الإدراك الذي بدأ يغمر حارسه الحائز على الترقية لتوه. فقد اطمأن نيفود أنه لن يعوزه المال لشراء السيموتا بعد اليوم.
أومأ نيفود: "فليتأكد سيدي أني سأكرس نفسي بالكامل حرصا على سلامته"
"أجل. حسنا، والآن للعمل. أظن أن الدوق كان يحمل شيئا في فمه. سيكون عليك معرفة كنه هذا الشيء، وكيف تم استخدامه، ومن أعانه على وضعه في مكانه. وستأخذ جميع الاحتياطات كي..."
قطع كلامه وتبدد حبل أفكاره بسبب صوت شغب صادر من الممر خلفه. الحرس واقفون أمام المصعد القادم من الأدوار السفلى للفرقاطة ويحاولون منع عقيد باشار طويل القامة من المرور بعد أن خرج لتوه من المصعد.
لم يستطع البارون التعرف على الباشار العقيد. كان نحيفا، وفمه كشق في جلد مدبوغ، وعيناه كنقطتي حبر.

زأر الرجل وهو يزيح الحرس جانبا: "ارفعوا أيديكم عني يا قطيع من آكلي الجيف!"
فكر البارون: آها. إنه واحد من الساردوكار.
أسرع الباشار العقيد الخطى مقتربا من البارون الذي ضاقت عيناه خشية.
كان ضباط الساردوكار يثيرون فيه شعورا بالقلق. كل فرد فيهم يبدو وكأنه من أقرباء الدوق.. الدوق الراحل. ناهيك عن طريقة تصرفهم مع البارون!
زرع الباشار العقيد نفسه بقوة أمام البارون على بعد نصف خطوة، ويداه على وسطه. حام الحرس خلفه مرتبكين.
لاحظ البارون عدم تأديته للتحية، والازدراء البادي في تصرفات الساردوكار، فازداد قلقه.
لم يكن يوجد على أرض الكوكب هنا سوى فيلق واحد منهم - أي 10 فرق عسكرية - لتقوم بدعم فيالق الهاركونن، لكن البارون لم يخدع نفسه. فهذا الفيلق الواحد كان قادرا تماما على الانقضاض على الهاركونن والقضاء عليهم.
زمجر الساردوكار: "أخبر رجالك ألا يمنعوني من لقائك يا بارون. رجالي أحضروا الدوق الأتريدي قبل أن أتمكن من مناقشة مصيره معك. سنناقش هذا الأمر الآن"
فكر البارون: لا يجب أن أخسر احترامي أمام رجالي.
"ثم؟". كانت كلمة مضبوطة وباردة، وشعر البارون بالفخر لطريقة نطقها.
قال الباشار العقيد: "حملني إمبراطوري مسؤولية التأكد من أن ابن عمه النبيل قد مات بشكل محترم، دون عذاب"
كذب البارون قائلا: "وكانت هذه هي الأوامر الإمبراطورية الصادرة لي أيضا. هل كنت تظن أني سأعصيها؟"
قال الساردوكار: "مطلوب مني أن أقدم تقريرا للإمبراطور بما رأيته بأم عيني"
قال البارون بشكل قاطع: "الدوق مات بالفعل"، ولوح بيده مشيرا للرجل بالانصراف.
ظل الباشار العقيد مزروعا في مكانه، مواجها البارون. ولم يصدر عنه ما يدل إطلاقا على أنه أعار أي اهتمام لإشارة الانصراف، لا بطرفة عين ولا حركة عضلة.
زمجر سائلا: "كيف؟"
فكر البارون: حقا إنه أسلوب يفوق الحد!
قال البارون: "قتل نفسه، إن كان يلزمك أن تعلم. تناول سما"
قال الباشار العقيد: "سأرى الجثة الآن"
رفع البارون بصره للسقف متظاهرا بالسخط بينما كانت أفكاره تتسارع.
اللعنة! هذا الساردوكار حاد البصر سيرى الغرفة قبل أن نتمكن من تغيير أي شيء فيها!
هدر الساردوكار قائلا: "الآن. يجب أن أراها بعيني"
أدرك البارون أنه لا سبيل لمنع الأمر. سيرى الساردوكار كل شيء. سيعلم أن الدوق استطاع قتل رجال تابعين للهاركونن.. وأن البارون في الغالب لم ينجُ من الموت إلا بالكاد. فالدليل هو بقايا وجبة الطعام الموضوعة على المنضدة، والدوق الميت يجلس عند طرفها المقابل وحوله الدمار الذي أحدثه.
لا سبيل لتجنب الأمر على الإطلاق.
زمجر الباشار العقيد: "لن أقبل بأي تأجيل"
قال البارون وهو يحدق في عيني الساردوكار السوداء كالصخور البركانية: "ليس هناك أي تأجيل. لا أخفي شيئا عن إمبراطوري" وأومأ لنيفود: "اسمحوا للباشار العقيد بأن يرى كل شيء، في الحال. أدخله عبر الباب الذي كنت واقفا تحرسه

يا نيفود"
قال نيفود: "من هنا يا سيدي"
وببطء، وفي غطرسة، دار الساردوكار حول البارون، واندفع بكتفيه بين الحرس.
فكر البارون: شيء لا يطاق. الآن سيعلم الإمبراطور الفشل الذي تعرضت له. وسينظر للأمر كعلامة على الضعف.
وما سبب له ألما شديدا هو إدراكه أن الإمبراطور مثله مثل الساردوكار في ازدرائهم للضعف.
عض البارون على شفته السفلى، معزيا نفسه بأنه على الأقل لم يُعلم الإمبراطور بأمر غزوة آل أتريديز التي شنوها على كوكب جيدي برايم، وما قاموا به من تدمير مخازن البهار الهاركوني هناك.
اللعنة على هذا الدوق المراوغ!
نظر البارون للظهور المبتعدة.. الساردوكار المتغطرس، ونيفود الكفء، بقامته القصيرة وجسده القوي الممتلئ.
فكر البارون: علينا أن نتكيف مع ما حدث. سأضطر لتولية رابان مجددا على هذا الكوكب الملعون، وأن أطلق له العنان بلا أي ضبط للنفس. سأضطر للتضحية بدم هاركوني من أجل تهيئة أراكس بشكل مناسب يسمح لشعبه بقبول فايد-راوثا.
اللعنة على بايتر هذا! عرض نفسه للقتل قبل أن أستنفد غرضي منه.
تنهد البارون.
ويجب أن أرسل فورا لكوكب تليلاكس طالبا منتاتا جديدا. بلا شك قد أعدوا لي واحدا جديدا بالفعل.
سعل أحد الحرس الواقفين جواره.
استدار البارون إلى الرجل: "أنا جائع"
"حاضر يا سيدي"
قال البارون: "وأريد شيئا أتسلى به بينما تقوم بتنظيف هذه الغرفة وفحص أسرارها لإخباري بما حدث"
خفض الحارس عينيه وقال: "وأي تسلية يشتهيها سيدي؟"
قال البارون: "سأكون في حجرة نومي. أحضر لي هذا الفتى الذي ابتعناه على كوكب جامونت.. الفتى ذي العيون الجميلة. وخدره جيدا. فمزاجي لا يسمح بالمقاومة"
"حاضر يا سيدي"
استدار البارون مبتعدا وبدأ يتحرك نحو حجرته بخطوات واثبة، تكاد تطفو من أثر مضادات الجاذبية.
فكر: أجل. ذو العيون الجميلة.. الفتى الذي يشبه الصغير بولس أتريديز كثيرا.

الفصل 22

"يا بحار كالادان
يا قوم الدوق ليتو
سقطت قلعة ليتو
سقطت للأبد"

من كتاب "أغاني المؤدِّب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

شعر بولس أن ماضيه كله، وكل خبرة مر بها في حياته قبل هذه الليلة، قد أصبحوا رمالا تلتف منسابة في ساعة رملية.
كان جالسا بقرب أمه جامعا إليه ركبتيه داخل خيمة صغيرة مصنوعة من القماش والبلاستيك، تسمى خيمة التقطير، حصلا عليها - كما حصلا على الملابس الفريمنية التي يرتدونها الآن - من الحقيبة التي وضعها شخص ما في الثوبتر.
لم يكن بعقل بولس أدنى شك بخصوص تحديد الشخص الذي وضع العدة الفريمنية بهذا المكان.. الشخص الذي قام بتوجيه مسار طائرة الثوبتر التي كانا أسيرين على متنها.
يوي.
إن الطبيب الخائن هو من أوصلهما مباشرة لدنكن أيداهو.
حدق بولس عبر الجزء الشفاف لخيمة التقطير ناظرا للصخور التي ينيرها القمر، والتي كانت تحيط هذا المكان - الذي أخفاهما فيه أيداهو - على شكل حلقة.
فكر بولس: أختبئ كطفل مع أني الآن قد أصبحت الدوق.
أصابته الفكرة بمرارة، لكنه لم يستطع إنكار حكمة هذه الخطوة التي اتخذوها.
كان شيء قد حدث لوعيه هذه الليلة.. أصبح يرى - بوضوح فائق - كل التفاصيل والأحداث التي تقع من حوله.
شعر بعجزه عن إيقاف تدفق البيانات، والدقة الباردة التي أضيف بها كل بيان جديد لمحصلته المعرفية، وتمركز المعالجة الحسابية للمعلومة في وعيه.
كانت قدرة منتاتية، بل وتفوقها في الشدة.
عاد بولس بذاكرته للحظة الغضب العاجز عندما انقضت عليهما الثوبتر تحت جنح الظلام، كصقر عملاق يحوم فوق الصحراء والريح هادرة تحت جناحيه.
في تلك اللحظة حدث لوعيه ما حدث.
انزلقت الثوبتر واستدارت على سطح الرمال مقتربة من الشخصين الراكضين.. هو وأمه.
تذكر بولس كيف غمرتهما رائحة الكبريت المحترق الناتجة عن احتكاك لوحي انزلاق الثوبتر بالرمال.
كان يعلم أن أمه استدارت متوقعة أن ترى مسدس ليزر في يد جنود الهاركونن المرتزقة لكنها رأت دنكن أيداهو يميل بجسده من باب الثوبتر المفتوح وهو يصيح: "أسرعا! توجد علامة دودية جنوب موقعكم هذا!"
لكن بولس كان يعلم بالفعل - وهو يستدير - شخصية قائد الثوبتر. تفاصيل دقيقة متراكمة عن الطريقة التي كانت تطير بها

الطائرة.. سرعة الهبوط.. تفاصيل متناهية الصغر لدرجة أن أمه ذاتها لم تنتبه له.. كل هذا كان يخبر بولس بهوية من يتحكم في الطائرة.
صدرت حركة من جيسيكا الجالسة في الموضع المقابل له داخل خيمة التقطير، وقالت: "لا يوجد سوى تفسير واحد. كان الهاركونن يحتجزون زوجة يوي. فقد كان يكره الهاركونن فعلا! لا يمكن أن أكون مخطئة بهذا الشأن. قد قرأتَ رسالته. لكن.. لم أنقذنا من المذبحة؟"
فكر بولس: الآن فقط بدأت تفهم الأمر، وبصعوبة أيضا.
كانت الفكرة صادمة له. فقد فهم هو هذه الحقيقة التي تتكلم عنها بكل بساطة أثناء قراءته الرسالة المصاحبة للخاتم الدوقي في الحقيبة.
كان نص ما كتبه يوي هو:
"لا تحاولا مسامحتي. لا أريد غفرانكما. فعندي من الهموم الثقيلة ما يكفيني. ما أقدمتُ عليه لم يكن دافعه الحقد، ولا آمل في أن يتفهمه الآخرون. إنه 'تحدي البرهان' Tahaddi Al-Burhan الذي سأمر به.. اختباري النهائي. خاتم الدوقية الأتريدي أعطيه لكما كدليل على صدق ما أكتبه. في الوقت الذي ستقرآن فيه هذا الكلام سيكون الدوق قد مات. لكن تعزيا بما أؤكده لكما الآن: إنه لم يمت وحده، بل مات معه ذاك الآخر الذي يفوق كرهنا له كره أي إنسان"
لم تذكر الرسالة اسم المخاطَب، وكانت خالية من التوقيع.. لكن خط اليد المألوف كان صاحبه معروفا: يوي.
بتذكره للرسالة استرجع بولس الضيق الذي شعر به في تلك اللحظة. الشعور الحاد والغريب الذي بدا وكأنه يحدث خارج إدراكه المنتاتي الجديد.
كان قد قرأ لتوه أن أباه مات، وتأكد لديه أن الكلمات تدل على حقيقة الأمر، لكنها لم تكن عنده سوى مجرد معلومة كغيرها، سيدخلها في عقله ويستعملها عند اللزوم.
فكر بولس: لقد كنت أحب أبي.
وكان واثقا من هذه الحقيقة.
من المفترض أن أبكيه. من المفترض أن أشعر بشيء ما.
لكنه لم يكن يشعر بشيء. إنها مجرد معلومة هامة كغيرها. كانت واحدة ضمن باقي المعلومات الأخرى.
وخلال كل هذا كان عقله يجمع الانطباعات الحسية، ويستنبط منها، ويحسبها.
ومرت كلمات هاليك بذهن بولس: "المزاج هذا يكون للماشية أو لممارسة الحب. إننا نقاتل عندما تستدعي الضرورة، مهما كان مزاجنا وقتها"
فكر بولس: ربما هذا هو ما في الأمر. سأبكي أبي فيما بعد.. عندما يتوفر الوقت.
لكن هذه الدقة الباردة المسيطرة على كيانه لم تشعره بأي راحة. وشعر بأن وعيه الإدراكي الجديد ليس سوى مجرد بداية.. وأنه سينمو.
غمره الإحساس بـ 'الغاية الرهيبة' الذي شعر به لأول مرة خلال محنته التي مر بها على يد السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم.
أحس في يده اليمنى - التي تتذكر الألم - بوخز وارتجاف.
سأل نفسه: هل هكذا هي طبيعة الكويزاتس هاديراك الذي ينتظرونه؟
قالت جيسيكا: "ظننت لبعض الوقت أن حواط خيب ظننا وفشل مجددا. ظننت أن يوي ربما لم يكن طبيبا من مدرسة الصك في واقع الأمر"

قال بولس: "لقد كان كما نعرفه تماما.. وأكثر قليلا"
وفكر: لم هي بطيئة هكذا في إدراك هذه الأمور؟
قال: "إن لم يفلح أيداهو في الوصول لكاينز فسنكون قد..."
قالت: "إنه ليس أملنا الوحيد الذي نتعلق به"
قال: "لم يكن هذا هو ما أتكلم عنه"
سمعت صلابة الحديد في صوته، والطبيعة القيادية. نظرت له عبر الظلمة الرمادية التي تسود الخيمة.
كان بولس يظهر لها - بسبب الجزء الشفاف للخيمة - كصورة ظلية في خلفيتها صخور ينيرها القمر.
قالت: "سيكون هناك رجال آخرون من أتباع أبيك قد نجحوا في الفرار. علينا أن نجمعهم، وأن نجد..."
قال: "بل سنعتمد على أنفسنا. اهتمامنا الحالي يجب أن ينصب على الأسلحة الذرية المملوكة لعائلتنا. علينا أن نصل لها قبل أن يعثر عليها آل هاركونن"
قالت: "من المستبعد أن يُعثر عليها. خصوصا إن أخذنا في الاعتبار الطريقة التي تم إخفاؤها بها"
"لا يجب أن نترك أمرا كهذا للصدفة"
وفكرت: الابتزاز باستخدام أسلحتنا الذرية كتهديد موجه ضد الكوكب وما به من بهار.. هذا هو ما يفكر فيه. لكن كل ما يمكن أن يأمل فيه حينئذ هو أن نهرب ونصبح أسرة منشقة مجهولة يطويها النسيان.
أثارت كلمات أمه سلسلة أفكار جديدة في ذهنه.. أنه على الدوق أن يهتم لأمر تابعيه الذين هلكوا الليلة. فكر بولس: فالناس هم القوة الحقيقة لأي أسرة من أسر كبار النبلاء.
وتذكر ما قاله حواط: "مفارقة الأصحاب تثير الحزن، أما الأماكن فتبقى مجرد أماكن"
قالت جيسيكا: "إنهم يستعينون بالساردوكار. علينا أن ننتظر إلى أن يتم سحب الساردوكار"
قال بولس: "يظنون أننا محاصرون بين الصحراء من جهة والساردوكار من جهة أخرى. هدفهم هو ألا يبقى أي من أفراد آل أتريديز على قيد الحياة.. إفناء تام. لا تعتمدي على أن ينجح أي من رجالنا في الفرار"
"لكن لا يمكن أن يظلوا موجودين هنا للأبد بحيث يعرضوا مسألة تورط الإمبراطور في هذا الأمر للانفضاح"
"متأكدة؟"
"بالتأكيد سينجح بعض رجالنا في الفرار"
"متأكدة؟"
أشاحت جيسيكا بوجهها، وقد أخافتها القوة والمرارة البادية في صوت ابنها، وتقديره الدقيق للنسب الاحتمالية.
شعرت أن عقله قد وثب للأمام متخطيا قدراتها، وأنه يمكنه الآن رؤية بعض الأمور بوضوح أكبر منها.
كانت هي من دربت العقل الذكي الذي يقوم بهذا، أما الآن فتجد نفسها تشعر بالرهبة منه.
تحول اتجاه أفكارها باحثا عن الملجأ النفسي الضائع الذي كان يوفره الدوق.. والتهبت عيناها بالدموع.
فكرت: هكذا هي طبيعة الأمور يا ليتو. 'للحب وقت وللحزن وقت'[12]
ووضعت يدها على بطنها، وركزت وعيها على الجنين الذي بها.
ها أنا قد أتيت بالابنة الأتريدية التي أمروني أن آتي بها، لكن السيدة الموقرة كانت مخطئة: إنجابي لابنة ما كان سينقذ ليتو. هذه الطفلة ليست سوى روح تمد يدها نحو المستقبل وسط الموت المحيط بها.

12 انظر سِفر الجامعة، الإصحاح 3 (المترجم)

لقد حبلت بها بدافع من فطرتي الغريزية، لا طاعةً للأوامر.
قال بولس: "جربي مستقبِل شبكة الاتصالات من جديد"
فكرت: يستمر العقل في التفكير مهما حاولنا إيقافه.
التقطت جيسيكا الجهاز المستقبل الصغير الذي تركه لهما أيداهو، وأدارت مفتاحه.
على واجهة الجهاز لمع ضوء أخضر، ومن سماعته صدر تشويش إذاعي.
قامت بخفض الصوت، وأدارت مؤشره باحثةً بين الترددات. سُمع في الخيمة صوت شخص يتكلم بلغة آل أتريديز السرية المخصصة للاستخدام خلال المعارك.
"تراجعوا وأعيدوا التجمع عند السلسلة الصخرية. فيدور أبلغنا بأنه لم ينجُ أحد في معركة قرطاج.. وبنك النقابة تعرض للنهب"
فكرت جيسيكا: قرطاج! لقد كانت مدينة تعج بعملاء الهاركونن.
قال الصوت: "إنهم ساردوكار. انتبهوا لوجود ساردوكار متنكرين في زي الأتريديز. إنهم..."
صدر من سماعة الجهاز صوت هادر، ثم ساد الصمت.
قال بولس: "جربي الترددات الأخرى"
قالت جيسيكا: "هل تعي معنى ما حدث؟"
"لقد كنت أتوقعه. يريدون من نقابة الفضاء أن تلقي علينا باللوم في واقعة تدمير مصرفهم. وإذ تصبح النقابة خصما لنا سنكون قد حوصرنا على أراكس. جربي الترددات الأخرى"
تأملت كلمته: لقد كنت أتوقعه.
ماذا حدث له؟
ببطء عادت جيسيكا بانتباهها للجهاز. وخلال إدارتها لمؤشر الترددات التقطا نتفا متفرقة عنيفة في عدد الأصوات الصغير الذي يصرخ مستخدما لغة آل أتريديز الحربية: "...تراجعوا"، "...حاولوا إعادة التجمع عند..."، "... ـن محاصرون في كهف عند..."
أما من الترددات الأخرى فلم يكن صعبا إدراك نبرات الابتهاج المنتصر التي تسود لغة الهاركونن غير المفهومة. أوامر واضحة، وتقارير حربية.
لم يكن عدد الجمل كافيا بحيث تتمكن جيسيكا من كسر شفرتها، لكن النبرة كانت شديدة الوضوح.
انتصار هاركوني.
هز بولس الحقيبة الموضوعة بجانبه، فسمع قرقرة الماء الموجود بوعائي القِربة اللترية. أخذ نفسا عميقا ورفع بصره - عبر الجزء الشفاف من الخيمة - ناظرا للجرف الصخري الذي تبدو النجوم حول حوافه.
تحسست يسراه القفل العاصر الذي يحكم فتحة الخيمة.
قال: "سيحل الفجر قريبا. يمكن أن نمضي النهار منتظرين أيداهو، لكن لا ينبغي أن ننتظر لليلة أخرى. ففي الصحراء يجب على المرء أن يسير في سفره ليلا وأن يستريح في الظل نهارا"
فرضت المعارف الشعبية نفسها على ذهن جيسيكا فتذكرت أنه في حالة عدم استخدام بذلة تقطير فإن الشخص الجالس في الظل في الصحراء يحتاج 5 لترات ماء يوميا كي يحافظ على وزنه كما هو.
أحست بالملمس الأملس الناعم لبطانة بذلة التقطير على جسدها، وأدركت أن حياتهما معتمدة على هذه الملابس.

قالت: "إن رحلنا عن هذا الموضع فلن يتمكن أيداهو من العودة إلينا"
قال: "هناك طرق تعذيب تجبر أي شخص على البوح بما يعلم. إن لم يعد أيداهو مع حلول الفجر فعلينا النظر في احتمالية أنه وقع في يدهم أسيرا. كم من الوقت - في ظنك - سيستطيع أن يتحمل قبل أن يبوح لهم بمكاننا؟"
لم يكن السؤال يتطلب جوابا، فجلست صامتة.
رفع بولس الغطاء عن الحقيبة وأخرج منها دليل استخدام صغير الحجم، مرفق به لسان ضوئي وعدسة مكبرة. وعلى صفحاته المضيئة ظهرت أمام عينيه الحروف الملونة بالأخضر والبرتقالي: "القرب اللترية، خيمة التقطير، كبسولات الطاقة المأكولة، أنابيب فلترة الإخراج، أنبوب التنفس الصحراوي، النظارة المكبرة، أدوات إصلاح بذلة التقطير، مسدس رش الصبغة، الخرائط، سدادات الفلاتر الأنفية، البارا-بوصلة، خُطّافيّ الصانع، الدقّاق، عُدة الأدوات الفريمنية، العمود الناري الإشاري..."
الكثير من الأشياء يحتاجها المرء للبقاء حيا في الصحراء.
وضع الدليل جانبا على أرضية الخيمة.
قالت جيسيكا: "إلى أين يمكن أن نذهب؟"
قال بولس: "أبي تحدث عن قوة الصحراء. لا يستطيع الهاركونن حكم هذا الكوكب دونها. إنهم - في واقع الأمر - لم يحكموا هذا الكوكب حكما فعليا في السابق.. ولن يفعلوا. حتى لو معهم 10 آلاف فيلق من الساردوكار"
"بولس، لا يمكن أن تظن أن..."
قال: "ها هي كل الأدلة بين أيدينا. في هذه الخيمة. بل والخيمة نفسها.. والحقيبة ومحتوياتها.. وبذلات التقطير. ونعلم أيضا أن النقابة تطلب سعرا مبالغا فيه مقابل أقمار الطقس الصناعية. ونعلم أن..."
قالت: "وما دخل أقمار الطقس بالأمر؟.. لا يمكن أن يكونوا..."
ثم قطعت كلامها.
شعر بولس بإدراكه العقلي الفائق يقرأ ردود أفعالها، ويحسب أدق التفاصيل في تعبيراتها.
قال: "الآن فهمتِ الأمر. الأقمار الصناعية تراقب التضاريس الموجودة أسفلها. وهناك أشياء في المناطق الصحراوية البعيدة لا يراد لها أن تشاهَد أو تُفحص فحصا متكررا"
"هل تقترح أن نقابة الفضاء ذاتها هي من يتحكم في هذا الكوكب؟"
إدراكها للأمر بطيء للغاية.
قال: "لا! بل الفريمن! يدفعون للنقابة مقابل السرية والتمتع بالخصوصية.. يدفعون مستخدمين عملة متوفرة مجانا لمن يملك قوة التعامل مع الصحراء.. البهار. وليس هذا مجرد تخمين تقريبي، بل حسبة واضحة لا شك فيها. كُوني على يقين من هذا"
قالت جيسيكا: "بولس، لم تصبح منتاتا بعد. لا يمكن أن تكون متيقنا من الـ..."
قال: "لن أصبح منتاتا أبدا. أنا شيء مختلف. مسخ"
"بولس! كيف تقول شيئا كـ..."
"اتركيني في حالي!"
أشاح بوجهه عنها، شاخصا ببصره لليل في الخارج. تساءل: لم أنا عاجز عن النحيب؟
كان يشعر أن كل نسيج في كيانه يتوق لراحة هذا البكاء، لكنه محروم منها للأبد.
لم يسبق لجيسيكا أن سمعت نبرة الوجع هذه في صوت ابنها. أرادت أن تمد يدها له، أن تحتضنه، أن تواسيه، أن تساعده..

لكنها شعرت أنها لن تفلح في هذا. إنها مشكلة عليه أن يحلها بنفسه داخليا.
لمحت عينها اللسان المضيء لدليل العدة الفريمنية الإرشادي. التقطته ونظرت للصفحة فقرأت:
"دليل الصحراء الودودة.. المكان الذي يعج بالحياة. ها هي آيات Ayat وبرهان Burhan الحياة. آمن ولن تحرقك اللات/الشمس Al-Lat أبدا"
خطر لها أن أسلوب النص يشبه الكتاب الأزهر Azhar، متذكرةً دراستها للأسرار الدينية العظمى.
هل زارت إحدى المتلاعبات بالديانات كوكب أراكس في الماضي؟
التقط بولس البارا-بوصلة من الحقيبة، ثم أعادها مكانها وقال: "تأملي كل هذه الآلات الفريمنية المخصصة لاستخدامات محددة. إنها تدل على حِرفية وتعقيد لا مثيل لهما. عليكِ الإقرار بهذا. إن الحضارة التي أنتجت مثل هذه الأشياء تتمتع بعمق لم ينتبه له أحد"
عادت جيسيكا للكتاب، مترددة، ولا زالت القسوة البادية في صوته تقلقها.
دققت في صورة لإحدى الكوكبات النجمية التي تظهر في سماء أراكس.. كوكبة المؤدب: الفأر. ولاحظت أن الذيل يشير لاتجاه الشمال.
نظر بولس عبر ظلام الخيمة لحركات أمه التي بدت معتمة في ضوء لسان الدليل. وفكر: الآن حان وقت تنفيذ رغبة أبي. يجب أن أخبرها الآن برسالته طالما عندها وقت للحزن. فالحزن فيما بعد سيكون عائقا لنا في رحلتنا.
وشعر بالصدمة لهذا المنطق البارد الدقيق.
قال: "أمي"
"أجل؟"
سمعت التغير في صوته فشعرت ببرودة في أحشائها. لم يسبق لها أبدا أن سمعت مثل نبرة الانضباط القاسي هذه.
قال: "أبي قد مات"
فتشت داخلها وهي تربط الحقائق ببعضها البعض، على طريقة البني-جيزيرت في تقييم المعلومات، وأدركت النتيجة: شعور فظيع بالفقد.
أومأت جيسيكا موافقة، عاجزة عن الكلام.
قال بولس: "كان أبي قد كلفني في إحدى المرات أن أعطيك رسالة منه إن أصابه مكروه. كان يخشى أن تعتقدي أنه كان يشك فيكِ"
فكرت: ذاك الاتهام الفارغ.
قال بولس: "أراد أن تعلمي أنه لم يشك فيك أبدا"، وشرح لها عملية الخداع، ثم أضاف: "أراد أن تعلمي أنه وثق فيك ثقة تامة، ولطالما أحبك واعتز بك. وقال أنه قد يشك في نفسه ذاتها قبل أن يشك فيك. وأنه لا يندم سوى على شيء واحد.. أنه لم يجعلك دوقة زوجة له بشكل رسمي"
مسحت الدموع المنسابة على خديها وفكرت: يا له من هدر غبي لماء الجسد!
لكنها كانت مدركة للدافع الحقيقي وراء هذه الخاطرة، وأنها مجرد محاولة نفسية للانغماس في الغضب هربا من الحزن.
فكرت: آه، ليتو.. ليتو الحبيب. يا للأمور الشنيعة التي نفعلها فيمن نحب!
وبحركة عنيفة أطفأت لسان الدليل الصغير المضيء.
واهتز جسدها بشهقات البكاء.

سمع بولس نحيب أمه وشعر بالفراغ الذي بداخله. فكر: لا أشعر بالحزن.
لماذا؟ لماذا؟
شعر أن عجزه عن البكاء هو نقص فظيع فيه.
فكرت جيسيكا، مقتبسة لنفسها من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: 'للكسب وقت وللخسارة وقت. لحفظ الشيء وقت ولطرحه وقت. للحب وقت وللبغض وقت. للحرب وقت وللسلم وقت'[13]
مضى عقل بولس في دقته الباردة. رأى السبل الممتدة أمامهما على هذا الكوكب المعادي.
ودون حتى وجود صمام الأمان الذي توفره الأحلام، ركز إدراكه الاستبصاري.. كعملية حسابية لتحديد الطرق المستقبلية ذات احتمالية الحدوث الأكبر.. لكن مع وجود شيء إضافي.. شيء باطني ملغِز.. كما لو أن عقله قد انغمس في طبقة أبدية وتناول عينة من رياح المستقبل.
وبلا مقدمات، كما لو كان قد عثر على مفتاح ضروري، تسلق عقل بولس درجة أخرى في صعوده الإدراكي.
أحس بنفسه متعلقا بهذه المرحلة الجديدة، متشبثا بجزء مقلقل خطِر وينظر فيما حوله.
كان الأمر وكأنه يوجد داخل كرة، وتشع منها في جميع الاتجاهات طرق كثيرة. لكن لم يكن هذا سوى تشبيه تقريبي لما يحس به.
تذكر أنه قد رأى في الماضي منديلا منسوجا يطير في مهب الريح، وشعر الآن بالمستقبل وكأنه شيء ملتف على سطح ما، متموج ومؤقت كالمنديل الذي تحركه الرياح.
ورأى أشخاصا.
شعر بسخونة وبرودة احتمالات لا حصر لها.
عرف أسماء وأماكن، ومر بمشاعر لا عدد لها، وراجع بيانات موجودة في زوايا مجهولة لا حصر لها.
كان هناك وقت للجس وللاختبار وللتذوق، لكن لا وقت للتشكيل والتغيير.
كان الشيء عبارة عن طيف من الاحتمالات، من أقصى الماضي لأقصى المستقبل.. من أكثر الأشياء المحتمل تحققها لأبعدها عن احتمالية التحقق.
ورأى موته بأساليب يصعب حصر عددها. ورأى كواكب جديدة، وثقافات جديدة.
ناس.
ناس.
رآهم في أسراب يصعب حصر عددها.. لكن عقله صنفهم وميز بينهم.
حتى رجال النقابة.
وفكر: النقابة.. قد تصلح كطريق أمامنا. بينهم سيُنظر لغرابتي على أنها شيء مقبول ومألوف وذو قيمة.. بالإضافة لما سيتوفر لي عندهم من إمداد مستمر من البهار، الذي صار الآن ضرورة لجسدي.
لكن فكرة أن يعيش حياته هكذا روّعته.. أن يكون عقله أداة يلتمس بها طريقا بين طرق المستقبل الاحتمالية كي يرشد سفن الفضاء المندفعة للأمام.
لكنها كانت طريقا أمامه من ضمن الطرق على أية حال. وبملاقاته للمستقبل المحتمل - الذي يشمل وجوده مع ملاحي نقابة الفضاء - أدرك مدى غرابته هو نفسه.

---
13 سفر الجامعة 3: 6 و 8 (المترجم)

إن نظري من نوع مختلف. أرى نوعا مختلفا من التضاريس: المسارات الاحتمالية.
سبب له إدراكه لهذا الأمر ثقة وانزعاجا في نفس الوقت.. فكثير من الأماكن الموجودة بذلك النوع الآخر من التضاريس كانت تنخفض أو تلتف بعيدا عن مجال رؤيته.
وكما حل به هذا الإحساس سريعا، مضى أيضا سريعا.. وأدرك أن هذه الخبرة التي مر بها لم تستغرق من الزمن سوى مقدار دقة قلب.
إلا أن وعيه الذاتي كان قد انقلب.. اتضح بطريقة رهيبة.
حدق فيما حوله.
كان الليل لا يزال يغطي خيمة التقطير ونطاق الصخور الذي تختبئ في وسطه. وبكاء أمه لا زال مسموعا.
وعجزه عن البكاء لا زال موجودا.. ذاك الموضع الفارغ الأجوف الموجود في مكان منفصل عن عقله. أما عقله فاستمر في خطواته الواثقة المتقدمة للأمام.. يعالج المعلومات، ويقيمها، ويحسبها، ويزوده بالإجابات في طريقة تشبه طريقة المنتات.
ورأى أنه الآن قد تحصّل على ثروة معلوماتية لم تتوفر إلا لعدد ضئيل من العقول من قبل.
لكن لم يفلح هذا في جعل المكان الأجوف بداخله مطاقا بدرجة أكبر.
شعر بأن شيئا ما يجب أن يتهشم. كما لو أن قنبلة موقوتة قد بدأت عدها التنازلي داخله. ماضية في عملها دون اعتبار لرغبته.
كانت تسجل ظلالا طفيفة من الاختلافات فيما يدور حوله. تغيير بسيط في نسبة الرطوبة.. هبوط ضئيل في درجة الحرارة.. حركة حشرة ما على سطح خيمتهما.. الاقتراب الوقور لنور الفجر عبر القطعة السماوية المضاءة بالنجوم والتي أمكنه أن يراها من خلال الجزء الشفاف من الخيمة.
كان الفراغ الأجوف داخله لا يطاق. معرفة الطريقة التي بدأ فيها عد القنبلة التدريجي لم يكن شيئا ذا أثر مفيد.
أمكنه أن ينظر لماضيه ويرى بداية الأمر: التدريب الذي تعرض له.. صقل مواهبه.. الضغوط المنقحة للفروع المعرفية المعقدة.. بل وملاقاته الأولى لإنجيل الـ O.C في لحظة مفصلية.. ثم بعد كل هذا، كمية البهار الهائلة التي استنشقها.
وأمكنه أن ينظر للأمام - أشد الاتجاهات رهبة - ليرى النهاية التي يشير لها كل هذا.
فكر: إني وحش! مسخ!
ثم قال: "لا!.. لا، لا، لا!"
ووجد أنه يقرع أرضية الخيمة بقبضتيه. الجزء العقلي - المستمر في عناد - سجّل هذا بصفته أحد البيانات العاطفية المثيرة للاهتمام، ثم نقله لمرحلة المعالجة البيانية.
"بولس!"
كانت أمه بجانبه تمسك بيديه، ووجهها في الظلام عبارة عن بقعة رمادية تحدق فيه. "بولس، ما المشكلة؟"
قال: "أنت!"
قالت: "أنا هنا يا بولس. لا بأس عليك"
قال آمرا: "ماذا فعلتِ بي؟"
وفي حالة من الوضوح المفاجئ أدركت بعض جذور المعاني المضمّنة في السؤال، فقالت: "لقد ولدتُك"
كانت هذه - بالفطرة الغريزية بالإضافة لقدراتها المعرفية الدقيقة - هي الإجابة السليمة والمناسبة بالضبط والتي ستفلح في تهدئته.
شعر بيديها الممسكة به، وركز انتباهه على شكل وجهها المعتم.

انتبه عقله - باستخدام قدراته المتدفقة الجديدة - لآثار جينية معينة بادية في تقاسيم وجهها. أضيفت البيانات لمعلومات أخرى، ثم خرجت نتيجة حسابية نهائية.
قال: "دعيني"
سمعت في صوته النبرة الحديدية، فأطاعت. "ألا تريد إخباري بالمشكلة يا بولس؟"
قال: "هل كنت تعلمين نتيجة ما تفعليه عندما كنت تدربيني؟"
فكرت: لم يعد في صوته أي أثر للطفولة.
قالت: "كنت أتمنى ما يتمناه كل والد.. أن تصبح.. متفوقا. مختلفا"
"مختلف؟"
سمعت المرارة في صوته فقالت: "بولس، أنا..."
قال: "لم تكوني ترغبي في مجرد ابن! بل أردتِ كويزاتس هاديراك! أردتِ بني-جيزيرت مذكرا!"
انقبضت لما يشعر به من مرارة: "لكن يا بولس..."
"هل استشرتِ أبي قبل الإقدام على هذا؟"
ردت في رقة ناتجة عن بكائها السابق: "مهما يكن الشيء الذي أصبحتَه يا بولس، فإن هذه الصفات الوراثية قد جاءتك من أبيك بنفس القدر الذي جاءتك مني"
قال: "لكن لا ينطبق هذا على التدريب. والأشياء التي.. أيقظت.. النائم"
"النائم؟"
"إنها هنا"، ووضع يدا على رأسه ثم على صدره. "داخلي. مستمرة في الكلام. تتكلم، وتتكلم، وتتكلم، و..."
"بولس!"
كانت قد شعرت بالهيستيريا بدأت تظهر في صوته.
قال: "أصغي إلي. كنتِ قد أردتِ أن تسمعني السيدة الموقرة أسرد أحلامي، أما الآن فاسمعي أنت مكانها. فقد رأيتُ لتوي حلم يقظة. أتعرفين لماذا؟"
قالت: "عليك أن تهدئ نفسك. لو هناك..."
قال: "البهار. إنه يدخل في كل شيء هنا.. الهواء والتربة والطعام. البهار المضاد للشيخوخة. إنه يشبه عقار كاهنات كشف الأكاذيب. إنه سم!"
تصلب جسدها.
انخفض صوته وهو يردد: "سم.. يعمل في هدوء.. في مكر.. ولا يمكن عكس تأثيره. لا يقضي عليكَ إلا لو توقفت عن تعاطيه. لا يمكن أن نرحل عن أراكس إلا وقد أخذنا معنا قطعة من أراكس"
الحضور الرهيب في صوته لم يدع مجالا للشك في حقيقة ما يقول.
قال بولس: "أنت والبهار. البهار يقوم بتغيير أي شخص يتناول هذه الكمية الكبيرة منه، لكن بسببك أنتِ يمكنني إخراج هذا التغيير لمنطقة الوعي. ليس بإمكاني أن أتركه في اللا-وعي حيث يمكن نسيان ما يسببه من اضطراب. إني أراه"
"بولس، إنك..."
كرر: "إني أراه!"
سمعت في صوته غضبا جنونيا، ولم تعرف كيف تتصرف.

لكنه استأنف الكلام مجددا، وسمعت ضبطه لنفسه بقوة حديدية وقد عاد من جديد: "نحن محاصران هنا"
كانت تتفق معه.. نحن محاصران هنا.
وتقبلت الحقيقة البادية في كلماته. لن يقدر أي شيء على أن يحررهما تماما من أراكس.. لا ضغط آت من البني-جيزيرت، ولا خدعة ولا حيلة.
البهار مسبب للإدمان.
عرف جسدها هذه الحقيقة من قبل أن ينتبه لها عقلها.
فكرت: إذن ها هنا سنعيش حياتنا.. على هذا الكوكب الجهنمي. المكان مهيئ لنا، لو استطعنا تفادي الهاركونن. أما مسار حياتي فواضح بلا شك: فَرَس توليد، مهمتها حفظ سلالة هامة كي تستفيد منها البني-جيزيرت.
قال بولس: "يجب أن أخبرك بحلم اليقظة الذي رأيته"، وبدا الغضب في صوته.
"وكي تثقي فيما أقول فسأخبرك أولا أني أعلم أنك ستنجبين ابنة.. أختي.. هنا على أراكس"
أسندت جيسيكا يديها على أرضية الخيمة وضغطت بظهرها على الجدار القماشي المنحني كي تخفف من وقع رجفة خوف انتابتها.
كانت متأكدة من أن حملها لم يظهر بعد. تدريبها كبني-جيزيرت هو ما مكنها من قراءة الإشارات الأولية الضعيفة في جسدها، ومن أن تعلم بوجود الجنين الذي لم يزد عمره على بضعة أسابيع.
همست جيسيكا وهي تحاول التشبث بشعار البني-جيزيرت: "لنخدم فقط. هدفنا هو أن نخدم فقط"
قال بولس: "سنجد لنا مأوى بين الفريمن. حيث أعدت لنا بعثاتكن الإرسالية بابا للطوارئ"
أخبرت جيسيكا نفسها: لقد جهزوا لنا سبيلا في الصحراء. لكن كيف له أن يعلم بأمر البعثات الإرسالية الوقائية؟
وجدت أن محاولة تهدئة رعبها من غرابة بولس المفرطة تزداد صعوبة.
دقق في صورتها المظلمة، ورأى - باستخدام وعيه الإدراكي الجديد - خوفها، وكل رد فعل يبدو عليها، وكأنه يراها بوضوح في ضوء باهر.
بدأ يحل عليه شعور بالشفقة تجاهها.
قال: "الأمور التي قد تحدث هنا لا يمكنني أن أبدأ حتى في وصفها لك. فبالكاد أستطيع أن أصفها لنفسي، على الرغم من أني رأيتها. هذه القدرة على رؤية المستقبل يبدو أنه لا يمكنني التحكم بها. إنها تحدث من تلقاء نفسها. المستقبل القريب - سنة من الآن مثلا - باستطاعتي أن أرى شيئا منه.. وكأنه طريق عريض كالطريق المركزي على كالادان. أما بعض الأماكن الأخرى فلا أراها.. أماكن تحيط بها الظلال.. كما لو أنها طرق مختفية خلف تل"
ومن جديد تذكر سطح المنديل الطائر. "وهناك أيضا تفرعات في الطرق"
وسكت إذ امتلأ عقله بذكرى تلك الرؤية.
لا رؤيا منامية غيبية ولا خبرة حياتية كان بإمكانها أن تعده لاستقبال الإدراك الشامل الذي نتج عن تمزق ستور الغيب وانكشاف الزمن المتجرد.
باستعادته لذكرى ما مر به رأى غايته الرهيبة.. ضغط حياته وهو يتسع للخارج كفقاعة تزداد حجما.. والزمن يتراجع أمامها.
بحثت جيسيكا عن مفتاح التحكم بالإضاءة، وقامت بتفعيله.
الضوء الأخضر المعتم أزاح الظلام من طريقه، مخففا من خوفها. نظرت لوجه بولس ولعينيه.. ولتلك النظرة الداخلية.
وعلمت أين وقع بصرها في السابق على مثل هذه النظرة.. في الصور التي تسجل الكوارث.. على وجوه الأطفال الذين

تعرضوا للمجاعات أو للإصابات الخطيرة. كانت العينان كحفرتين، والفم كخط مستقيم، والوجنتان مسحوبتين للداخل.
فكرت: إنها نظرة الإدراك الرهيب.. نظرة شخص تم إجباره على إدراك حتمية موته. بالفعل لم يعد طفلا بعد اليوم.
بدأ المعنى الضمني لكلماته يسود عقلها، دافعا كل ما عداه جانبا.
بولس بإمكانه استشراف المستقبل، ويرى سبيلا سيمكنهما من الهرب.
قالت: "إذن هناك طريقة للهروب من الهاركونن"
قال ساخرا: الهاركونن! نحّي هؤلاء الناس المنحرفين عن عقلك"
حملق في أمه متأملا خطوط وجهها في ضوء لسان الدليل. كانت خطوط الملامح تفضح حقيقتها.
قالت: "لا يجب أن تصف البشري بأنه إنسان دون أن..."
قال: "لا تثقي تماما في قدرتك على رسم الحد الفاصل بين الاثنين. فنحن نحمل تاريخنا معنا. وأماه، هناك شيء لا تعرفينه ويجب أن تعرفينه.. نحن من آل هاركونن"
وهنا قام عقلها بشيء فظيع.. انغلق تماما على نفسه كما لو كان يحتاج لتجنب كل المؤثرات الحسية.
لكن صوت بولس استمر في تقدمه العنيد للأمام، ساحبا إياها معه.
"عندما تتوفر لك مرآة تأملي وجهك.. أو تأملي وجهي أنا الآن. الآثار بادية لو لم تتعامي عنها. انظري ليدي، وتركيب عظامي. وإن لم يقنعك أي من هذا فثقي بالأمر لأني قلته. لقد مشيتُ في المستقبل، ونظرت لسجلا معينا، ورأيت مكانا معينا. وعندي كل المعلومات. نحن هاركونن"
قالت: "إذن بالتأكيد فرع منشق من العائلة. هذا هو ما في الأمر، أليس كذلك؟.. ابن عم هاركوني قا..."
"بل أنت ابنة البارون ذاته"، قال الجملة ونظر للطريقة التي غطت بها فمها بيدها.
"في شبابه جرب البارون عينات كثيرة من أنواع المتع.. وسمح في إحدى المرات لواحدة أن تغريه. لكن هدفها كان جزءا من الخطة الجينية للبني-جيزيرت. كانت واحدة منكن"
صدمتها الطريقة التي قال بها "منكن" وكأنها صفعة، لكنها حفزت عقلها على التفكير فلم تستطع إنكار حقيقة كلماته.
أطراف كثيرة مبعثرة المعاني في ماضيها بدأت تتواصل وتترابط.
الابنة التي أرادها البني-جيزيرت لم يكن الهدف من ورائها إنهاء النزاع القديم بين آل أتريديز وآل هاركونن.. بل لتثبيت عنصر جيني وراثي معين في سلالتهما.
أي عنصر يا ترى؟.. حاولت التوصل لإجابة.
قال بولس كما لو أنه قد قرأ عقلها: "كانوا يظنون أنهم يسعون لإيجادي. لكني لست ما كانوا يتوقعونه.. وقد جئتُ قبل وقتي المعين. وهذا أمر يجهلونه حتى الآن"
ضغطت جيسيكا بيدها على فمها.
يا للأم العظمى! إنه الكويزاتس هاديراك!
شعرت بأنها مكشوفة وعارية أمامه، وأدركت في تلك اللحظة أنه يراها بعينين لا يمكن أن يخفى عليهما سوى القليل.
وتأكدت أن هذا كان منبع خوفها.
قال: "ما يخطر ببالك الآن هو أني الكويزاتس هاديراك. نحي هذا عن تفكيرك. أنا شيء غير متوقع"
فكرت: ينبغي أن أرسل بهذا لإحدى مدارسنا. سجلات التناسل قد توضح ما الذي حدث.
قال: "لن يعلموا بأمري إلا بعد أن يكون الوقت قد فات"

أرادت أن تصرف انتباهه عن الموضوع نخفضت يديها وقالت: "سنجد لنا مأوى بين الفريمن؟"
قال: "عند الفريمن مقولة ينسبونها لـ شَي-خلود Shai-hulud، الشيخ الخالد. يقولون: أعد نفسك كي تقدّر ما تلقاه حق قدره"
وفكر: أجل يا أماه.. بين الفريمن. وستصبح عيناك زرقاوين، وسيتصلب جزء من الجلد جوار أنفك الجميل بسبب استخدام أنبوب المرشح الخارج من بذلة تقطيرك. وستنجبين أختي، القديسة عاليا ذات السكين.
قالت جيسيكا: "إن لم تكن الكويزاتس هاديراك فما..."
قال: "لا يمكن أن تستوعبي هذا. لن تصدقي وجوده إلا عندما يقع بصرك عليه"
وفكر: أنا بذرة.
وفجأة رأى خصوبة الأرض التي سقط فيها، وبهذا الإدراك غمره الشعور بالهدف الرهيب، متسللا عبر المكان الأجوف داخله، مهددا بأن يخنقه الحزن.
كان قد رأى تفرعين في الطريق الممتد أمامه. في أحدهما سيواجه بارون مسن شرير وسيقول له: "أهلا يا جدي"
اشمأز من التفكير في هذا الطريق وفيما يقبع على امتداده.
أما الطريق الآخر فكانت فيه قطاعات طويلة مخفية في ظلال رمادية، وإن بدت فيه قمم عنف صاعدة.
رأى فيه ديانة حربية.. نار تنتشر عبر الكون، وراية آل أتريديز الخضراء والسوداء تلوح خفاقة فوق فيالق متعصبة، قد أسكرها خمر البهار.
جيرني هاليك وبعض رجال أبيه - قلة قليلة من رجال أبيه - كانوا بين الجموع، يرتدون علامة الصقر المأخوذة من الضريح الذي يضم جمجمة أبيه.
تمتم: "لا يمكن أن أذهب في هذا الطريق. فهذا - في الواقع - هو ما تريده ساحرات طائفتك العجائز"
قالت أمه: "أنا عاجزة عن فهمك يا بولس"
ظل صامتا، مفكرا بصفته بذرة.. مفكرا ضمن وعي جنسه الذي شعر به لأول مرة تحت مسمى 'الغاية الرهيبة'.
وجد أنه لم يعد قادرا على كره البني-جيزيرت ولا الإمبراطور ولا حتى الهاركونن بعد الآن. فقد كانوا جميعا مندفعين مع تيار حاجة جنسهم لتجديد ميراثه المبعثر. أن يلتقوا ويختلطوا ويغرسوا سلالاتهم في بِركة جينات جديدة.
ولا يعرف الجنس سوى طريقة واحدة مؤكدة لتحقيق هذا.. الطريقة القديمة.. الطريقة المجربة التي تدوس على كل شيء في طريقها: الجهاد Jihad.
فكر: بالتأكيد لا يمكن أن أختار هذا الطريق.
لكنه رأى مجددا بعين عقله ضريح جمجمة أبيه، والعنف الدائر، والراية ذات اللونين الأخضر والأسود تلوح في وسطه.
تنحنحت جيسيكا وقد أقلقها صمته: "إذن.. هل سيوفر لنا الفريمن ملجأ؟"
رفع رأسه محدقا عبر الخيمة - المضاءة بالوهج الأخضر - في ملامح وجهها النبيلة: "أجل. هذا أحد الطرق"، وأومأ. "أجل. سيطلقون علي اسم.. المؤدِب. الهادي في الطريق. أجل.. هكذا سيكون لقبي بينهم"
وأغلق عينيه مفكرا: والآن يا أبي أستطيع أن أبكيك.
وأحس بالدموع تنساب على وجنتيه.

القسم الثاني
المؤدِّب

الفصل 23

"عندما سمع أبي - الإمبراطور الباديشي - خبر وفاة الدوق ليتو والطريقة التي حدثت بها اشتعل غضبه بدرجة لم نشهدها من قبل. ألقى باللائمة على أمي وعلى الاتفاق الذي أُجبر عليه، والذي يحتم عليه أن يورث عرشه لواحدة من البني-جيزيرت. وألقى باللائمة أيضا على نقابة الفضاء وعلى البارون الشرير المسن.
لام كل من وقع بصره عليه.. حتى أنا لم أسلم من هذا اللوم، حيث قال أني ساحرة مثل الأخريات.
وعندما حاولت تهدئته وإخباره أن ما حدث قد تم بموجب قانون طبيعي قديم هو قانون حفظ الذات، والذي دان له بالولاء كل الحكام القدماء، تهكم مني وسألني إن كنت أظنه ضعيف العقل.
في تلك اللحظة أدركت أن ما أثار فيه هذا الغضب لم يكن اهتمامه بمصير الدوق ليتو، بل بما ينطوي عليه هذا الموت من نتيجة تمس الطبقة الملكية الحاكمة بأكملها.
وإذ أعود بذاكرتي لتلك اللحظة يخيل لي أن أبي كان يتمتع بشيء من القدرة الاستبصارية التنبؤية أيضا.. خصوصا وأنه من المؤكد أن أسلافه وأسلاف المؤدِب كانوا مشتركين في النسب"

من كتاب "في بيت أبي"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

همس بولس: "والآن سيقاتل الهاركوني أخاه الهاركوني"
كان قد استيقظ من نومه قبل حلول الليل بقليل، واعتدل جالسا في خيمة التقطير المظلمة ومحكمة الغلق.
وإذ قال هذه الجملة سمع الحركات الخافتة الصادرة من أمه النائمة عند الجهة الأخرى من الخيمة.
ألقى بولس نظرة على المستشعر الراداري الموضوع على الأرض، مدققا في الأرقام الموزعة على قرصه المدرّج، والتي بدت واضحة في الظلمة على ضوء الأنابيب الفوسفورية.
قالت أمه: "سيحل الليل بعد قليل، فلم لا ترفع ستائر الخيمة؟"
انتبه بولس حينئذ إلى أن إيقاع تنفسها كان مختلفا بالفعل منذ فترة، أي أنها كانت ترقد صامتة في الظلام إلى أن تتأكد من أنه قد استيقظ.
قال: "رفع الستائر لن يجدي نفعا. فقد هبت عاصفة، والخيمة مغطاة الآن بالرمال. سأحفر لنا طريقا للخروج بعد قليل"
"لا أثر لدنكن بعد؟"
"لا"
حك بولس الخاتم الدوقي الموضوع على إبهامه بحركة لا شعورية. ارتجف لما حل عليه من غضب مفاجئ موجّه ضد مادة هذا الكوكب ذاتها.. الكوكب الذي كان سببا في قتل أبيه.
قالت جيسيكا: "لقد سمعت بداية هبوب العاصفة"

كلماتها السهلة والفارغة من مضمون محدد ساعدت على استعادة بعض هدوئه. ركز عقله على العاصفة ورؤيته لبدايتها عبر الجزء الشفاف من الخيمة. قطرات رملية باردة تعبر الحوض المنخفض ثم تتحول لغدران وخيوط، كخنادق محفورة في مشهد السماء.

كان قد نظر لقمة صخرية ورأى شكلها يتغير بتأثير الهبة، وتتحول لوتد واطئ وبلون الجبن الشيدر.

الرمال المتدفقة للحوض الذي هم فيه جعلت صورة السماء معتمة وبلون الكري[14]، ثم حجبت النور بالكامل إذ أخذت الخيمة تغطَّى بالرمل.

صدر صرير من قوائم الخيمة عندما أثقلها الضغط الواقع عليها، ثم ساد الصمت الذي لم يقطعه سوى الصفير الخافت الناتج عن المنفاخ الهوائي لأنبوب التنفس الصحراوي وهو يضخ الهواء من السطح لداخل الخيمة.

قالت جيسيكا: "حاول مع جهاز الاستقبال مجددا"

قال: "لا فائدة"

بحث عن أنبوب الماء الخارج من فتحة في بذلة التقطير قرب رقبته، وسحب لفمه جرعة دافئة، وخطر له أنه في هذه اللحظة قد بدأ حياة أراكسية بالفعل.. وأصبح يعيش على ماء مستعاد من تنفسه وجسده.

كان الماء مقطّرا وبلا طعم، لكنه أراح بلعومه.

سمعت جيسيكا بولس وهو يشرب، وأحست بالملمس الأملس لبذلة تقطيرها الملتصقة بجسدها، لكن رفضت الاعتراف بعطشها. فإن الاعتراف به سيتضمن الاستسلام المعرفي التام للضرورات الحياتية الرهيبة على أراكس.. ضرورة تجنب فقد ولو جزء صغير من الرطوبة، والتشبث بالقطرات القليلة التي ستظهر في الجيوب التجميعية للخيمة، وأن تضن بأن يضيع نفَس واحد في الهواء.

الأيسر هو أن تنسحب الآن عائدة للنوم.

لكن نومها خلال هذا النهار كان ذا أحلام، وارتجفت لذكرى ذاك الحلم.

كانت في الحلم تمد يديها تحت رمل يتدفق على اسم مكتوب.. الدوق ليتو أتريدين.

كان الرمل يغشى الاسم ويمحوه وهي تحاول استعادته، لكن الحرف الأول كان يُملأ بالرمل قبل حتى أن تنتهي من كتابة الحرف الأخير.

ولم يتوقف الرمل عن التدفق.

تحول حلمها لعويل يعلو صوته ويعلو. يا لهذا العويل السخيف.

جزء من عقلها أدرك أن الصوت كان صوتها عندما كانت طفلة صغيرة لم تتعد مرحلة الرضاعة إلا بقليل.

وامرأة - تعجز الذاكرة عن استعادة ملامحها - تهم بالرحيل.

فكرت جيسيكا: إنها أمي المجهولة. البني-جيزيرت التي أنجبتني وأعطتني للأخوات لأنها أُمرت بفعل هذا.

هل كانت سعيدة بالتخلص من طفلة هاركونية النسب؟

قال بولس: "نقطة ضعفهم التي يجب توجيه الضربة لها هي البهار"

سألت نفسها: كيف له أن يفكر في الهجوم ونحن على هذه الحال؟

قالت: "لكن الكوكب بأكمله مليء بالبهار. كيف سيكون بإمكانك أن توجه لهم ضربة في شيء كهذا؟"

سمعته يتحرك من مكانه، وصوت حقيبتهما وهي تُسحب على أرضية الخيمة.

---

14 في الأصل: Curry (المترجم)

قال: "كان الحكم على كالادان باستخدام القوة البحرية والجوية. أما هنا فبالقوة الصحراوية. الفريمن هم مفتاح الحل"
وصلها صوته قادما من جهة قفل الخيمة العاصر، وأشعرها تمرسها في أساليب البني-جيزيرت بوجود نبرة مرارة في صوته تجاهها.
فكرت: فطوال حياته كان يُدرب على كره الهاركونن، والآن يجد أنه واحد منهم.. بسببي أنا.
لكن هذا يدل على أنه لا يعرفني جيدا.
فقد كنت امرأة الدوق الوحيدة، وقبلت بحياته وقيمه حتى عندما تعارضت مع أوامر البني-جيزيرت الصادرة لي.
اشتعل لسان الخيمة الضوئي عندما قامت يد بولس بتشغيله، مغرقا المنطقة المقببة بنور أخضر مشع.
جثا بولس قريبا من القفل العاصر وقلنسوة بذلة تقطيره مضبوطة استعدادا للخروج في الصحراء المفتوحة.. غطاء الجبين مزرر، مرشح الفم في مكانه، سدادات الأنف محكمة.
لم يبد منه سوى عينيه الداكنتين.. نقاب ضيق برز منه الوجه، نظر ناحيتها مرة ثم استدار.
قال: "أحكمي غلق بذلتك استعدادا للخروج"، وكان صوته مكتوما لصدوره من خلف المرشح.
سحبت جيسيكا المرشح على فمها، وبدأت ضبط قلنسوتها وهي تشاهد بولس يفتح قفل الخيمة.
صدر صوت خشن من الرمال وهو يفتح القفل العاصر واندفعت حبات رملية في دمدمة إلى داخل الخيمة قبل أن يتمكن من إيقافها بآلة الدمج الاستاتيكي.
في الحائط الرملي بدأت تتكون فتحة إذ أعادت الآلة توزيع حبات الرمل. انزلق عبر الفتحة وتابعت أذناها تقدمه نحو السطح.
تساءلت: ماذا يا ترى سنجد بالخارج؟
جنود الهاركونن والساردوكار هم خطر يمكن توقعه، لكن ماذا عن المخاطر التي لا نعلم بأمرها؟
فكرت في آلة الدمج وفي المعدات الأخرى الغريبة في الحقيبة. أصبحت هذه الأدوات في عقلها فجأة علامة على وجود مخاطر غامضة.
شعرت في هذه اللحظة بنسيم ساخن قادم من السطح مس وجنتيها في المنطقة المكشوفة من وجهها فوق المرشح الفمي.
جاء صوت بولس منخفضا وحذرا: "ناوليني الحقيبة"
تحركت كي تطيعه، وسمعت الماء في القرب اللترية يقرقر وهي تدفع الحقيبة على الأرضية.
رفعت بصرها فرأت بولس تحيطه نجوم الخلفية.
قال "هاتِها هنا"، ومد يديه وسحب الحقيبة إلى السطح.
أصبحت الآن لا ترى سوى دائرة النجوم. كانت تشبه سنون مدببة لامعة لأسلحة موجهة نحوها.
عبر وابل من الشهب تلك القطعة السماوية التي تراها، فبدت الشهب في نظرها وكأنها تحذير.. وكأنها خطوط جلد النمر.. وكأنها شواهد قبور مضيئة جعلت دمها يتخثر.
وشعرت برجفة للثمن الموضوع مقابل رأسيهما.
قال بولس: "أسرعي. أريد أن أنقض بنيان الخيمة"
اندفع بعض الرمل من السطح نحو يدها اليسرى. سألت نفسها: كم حبة رمل يمكن أن تسعها اليد؟
قال بولس: "هل أعينك؟"
"لا"

حاولت ابتلاع ريقها في حلق جاف، ثم مرت منزلقة عبر الفتحة، شاعرة بالشحنات الاستاتيكية الموجودة بالرمل تحت يديها.
مد بولس يده لأسفل وأمسك ذراعها. اعتدلت واقفة جواره على رقعة ناعمة من الصحراء المضاءة بالنجوم، وحدقت فيما حولها. كان الرمل يكاد يملأ حوضهما حتى الحافة، ولم يُبق ظاهرا سوى حافة رفيعة من الصخور المحيطة.
سبرت مدققة في الظلمة البعيدة باستخدام حواسها المدربة.
أصوات حيوانات صغيرة. وطيور.
صوت رمل يزاح ومعه أصوات خافتة لحيوانات.
صوت بولس وهو ينقض خيمتهما ويسحبها عبر الفتحة.
القدر الضئيل من ضوء النجوم لم يفلح في إنارة الليل إلا بالدرجة التي تجعل كل ظل يبدو كمصدر تهديد خفي.
نظرت لبقع السواد المظلم حولها، وفكرت: السواد هو التذكر الأعمى.
فأنت تصغي متوقعا قدوم قطيع من الحيوانات المفترسة.. عواء هؤلاء الذين طاردوا أسلافك في ماضٍ بعيد لا تتذكره سوى أقدم خلاياك.
الأذنان تنظر. فتحات الأنف تنظر.
وقف بولس جوارها بعد لحظات وقال: "أخبرني دنكن بأنه في حالة القبض عليه سيمكنه الصمود إلى هذا الوقت. فعلينا أن نرحل الآن"
وضع الحقيبة على ظهره وخطا نحو الحافة الواطئة للحوض وتسلق إفريزا مطلا على الصحراء الممتدة.
تبعته جيسيكا تلقائيا، وقد لاحظت أنها أصبحت تعيش الآن دائرةً في فلك ابنها.
فكرت: حزني الآن أثقل من رمال البحر. هذا الكوكب لم يُبق لي سوى الاهتمام بأقدم الأهداف الإنسانية: حياة الغد. إني الآن أعيش من أجل دوقي الصغير والابنة التي ستأتي.
أحست بالرمال تسحب قدميها وهي تتسلق لتصعد جوار بولس.
نظر شمالا في اتجاه سلسلة صخرية، فاحصا جُرفا يبدو من بعيد.
الصورة الجانبية للصخور البعيدة كانت تشبه سفينة حربية بحرية قديمة تحيط بها النجوم.. بدنها الطويل مرفوع على موجة غير مرئية، ومداخنها مقوسة للخلف، وشكل حرف 'باي' مندفع لأعلى عند المؤخرة.
ثم انفجر فوق هذه الصورة الظلية وهج برتقالي، وامتد خط أرجواني لامع هابطا لهذا الوهج.
ثم خط أرجواني آخر!
ثم اندفع وهج برتقالي آخر لأعلى!
كان الأمر كمعركة بحرية قديمة من التي كانت تستخدم القذائف المتفجرة.. وبهرهما المشهد فظلا يحدقان فيه.
همس بولس: "إنها الأعمدة النارية"
ارتفعت فوق الصخور البعيدة حلقة من العيون الحمراء. وهبطت من السماء خطوط أرجوانية مهاجمة.
قالت جيسيكا: "دفقات نارية ومدافع ليزرية"
ارتفع قمر أراكس الأول فوق خط الأفق على يسارهما وقد بدا محمرا من أثر الغبار، وشاهدا عاصفة تتحرك ببطء في ذلك الاتجاه.. تتراقص كشريط فوق الصحراء.
قال بولس: "بالتأكيد هي طائرات ثوبتر هاركونية تبحث عنا. والطريقة التي يمشطون بها الصحراء بأسلحتهم هكذا.. وكأنهم

يسعون للتيقن من أنهم سحقوا كل شيء.. نفس الطريقة التي قد يتبعها المرء لسحق عش من الحشرات"
قالت جيسيكا: "أو عش من الأتريديز"
قال بولس: "علينا أن نبحث عن مكان نختبئ فيه. سنتجه جنوبا ونلتزم بالسير في المناطق الصخرية. فلو وصلوا إلينا ونحن في مكان مفتوح..."
واستدار، ضابطا وضع الحقيبة على كتفيه. "إنهم يقتلون كل ما يتحرك"
وخطا خطوة واحدة على الإفريز، وفي نفس اللحظة سمع هسيس الطائرة المنقضة، ورأى الأشكال المعتمة للأورنيثوبترات المحلقة فوقهما.

الفصل 24

أخبرني أبي في إحدى المرات أن احترام الحقيقة يكاد يكون هو الأساس الذي تقوم عليه كل الاعتبارات الأخلاقية، وقال: "إذ لا يمكن لشيء أن يظهر من العدم".
وهذا تفكير عميق للغاية إن أدركتَ درجة عدم الاستقرار التي يمكن أن تكون عليها 'الحقيقة'.

من كتاب "حوارات مع المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

قال ظوفر حواط: "لطالما شعرت بالفخر لأني أرى الأمور على حقيقتها. إنها اللعنة الملازمة لكل منتات.. أن يعجز عن التوقف عن تحليل كل البيانات"
بدا الوجه المسن المتغضن للرجل المتكلم وقورا في العتمة السابقة على ظهور الفجر. كانت شفتاه اللتان بقّعهما مشروب السافو مشدودتين في شكل خط مستقيم تنتشر منه لأعلى خطوط مجعدة.
جلس رجل - مكتسٍ برداء - جلسة القرفصاء في صمت على الرمال مقابل حواط، ولم يبد عليه التأثر بالكلمات.
كان الاثنان رابضين تحت جزء صخري معلق، مطل على منطقة حوض واسعة وضحلة، والفجر ينتشر بالتدريج على الجروف المتكسرة الموجودة بامتداد الحوض، ويمس كل الأشياء بلون قرنفلي.
كان الجو باردا تحت الصخرة.. برودة جافة تنفذ في الجسم، هي أثر متبقٍ من برودة الليل.
قبل الفجر بقليل مرت بهم ريح دافئة، أما الآن فقد كان المكان باردا.
سمع حواط صوت اصطكاك الأسنان من خلفه بين العدد الضئيل من الجنود الذين بقوا معه أحياء.
كان الرجل الجالس القرفصاء من الفريمن، أتاهم عابرا منطقة الحوض الرملي مع أول أنوار الفجر الكاذب وهو يعدو برشاقة على الرمال، مندمجا مع الكثبان بحيث لا تكاد حركاته تظهر للناظر.
مد الفريمني إصبعه على الرمل الفاصل بينهما ورسم شكلا. بدا الشكل كسلطانية طعام يخرج منها سهم. وقال: "هناك الكثير من الدوريات الهاركونية"
ورفع إصبعه مشيرا لأعلى، لمنطقة الجروف الصخرية التي هبط منها حواط ورجاله.
أومأ حواط.
أجل. الكثير من الدوريات.
لكنه كان لا يزال يجهل ما يريده هذا الفريمني، مما أصابه بالإزعاج. فالتدريب المنتاتي من المفترض أن يعطي المرء القدرة على فهم دوافع الآخرين.
إنها أسوأ ليلة في حياة حواط. كان في تسيمبو - إحدى القرى الحدودية، والتي تعتبر نقطة خفارة حدودية للعاصمة السابقة، قرطاج - عندما بدأت ترده أخبار الهجمة.
في البداية خطر له أنها مجرد غزوة سريعة.. وأن الهاركونن يختبرونهم.
لكن تتابعت التقارير واحدا بعد الآخر في سرعة.
هبط فيلقان في قرطاج.

وخمسة فيالق - أي 50 فرقة عسكرية! - يقومون بالهجوم على قاعدة الدوق الرئيسية في مدينة أراكين.
وفيلق آخر في آرسونت. ومجموعتان حربيتان عند منطقة الصخرة المنفلقة.
ثم أصبحت التقارير تفصيلية أكثر. هناك ضمن المهاجمين جنود ساردوكار إمبراطوريون.. وربما يصل عددهم لفيلقين.
ثم بدا من الواضح أن الغزاة يعلمون بدقة القدر التسليحي اللازم إرساله لكل منطقة من المناطق!.. كانت معلوماتهم المخابراتية ممتازة.
تصاعد إحساس حواط بالغضب والصدمة حتى كاد يهدد سلاسة وظائفه المنتاتية العقلية. حجم الهجوم أدار عقله كما لو كان قد تلقى لكمة فعلية.
والآن، وهو مختبئ تحت صخرة من صخور الصحراء، هز رأسه وجمع حوله ثوبه الممزق والمهلهل كما لو كان يبعد عن نفسه الظلال الباردة.
يا لحجم الهجمة!
كان يتوقع منذ فترة طويلة أن العدو قد يؤجر إحدى سفن اللايتر الصغيرة من النقابة كي يستخدمها في غزوات تخترق دفاعاتهم. فهي مناورة مألوفة في هذا النوع من الحروب بين أسر النبلاء. فسفن اللايتر كانت تهبط وتقلع على أراكس بصفة دورية كي تنقل البهار لصالح آل أتريديز.
وكان حواط قد اتخذ احتياطاته ضد حدوث هجمات فجائية تستخدم سفن لايتر مزيفة تتظاهر بنقل البهار.
أما في حالة حدوث هجوم شامل فلم يتوقعوا أن يزيد حجمه عن 10 فرق عسكرية.
لكن الآن، وحسب آخر تقرير إحصائي، فإنه قد رسا على أراكس أكثر من 2000 سفينة.. وليسوا من نوع اللايتر الصغير فحسب، بل فرقاطات أيضا، وسفن استطلاع، ومراقبة، وصادمات، وحاملات جنود، وملقيات حاويات.
أكثر من 100 فرقة.. أي 10 فيالق!
إن ناتج أرباح بهار أراكس لمدة 50 سنة قادمة قد ينجح بالكاد في تغطية تكاليف هذا المشروع الذي أقدموا عليه.
بالكاد.
فكر حواط: لقد أبخست في توقعاتي قدر التكاليف التي سيرضى البارون بإنفاقها ثمنا لهجومه علينا. لقد فشلت وخيبت أمل الدوق فيّ.
بالإضافة لمسألة الخائن.
فكر: ستطول حياتي بما يكفي كي أراها مخنوقة!.. كان علي أن أقتل ساحرة البني-جيزيرت تلك عندما أتيحت لي الفرصة.
لم يكن بعقله أدنى ريب بخصوص شخصية الخائن.. إنها الليدي جيسيكا.
كانت كل الحقائق المعروفة تنطبق عليها.
قال الفريمني: "رجلك المسمى جيرني هاليك وبعض قواته في مأمن مع أصدقائنا المهربين"
"جيد"
سيستطيع جيرني أن يرحل مبتعدا عن هذا الكوكب الجهنمي. لم نفنى كلنا إذن.
ألقى حواط نظرة خلفه على حشد رجاله. كان قد بدأ الليلة ومعه 300 من خيرة الجنود. ومن هؤلاء لم يتبق الآن سوى 20، نصفهم جرحى.
بعضهم خلد للنوم، وبعضهم واقف، والبعض يسند ظهره للصخور، أو متمدد على الرمل تحت الصخرة.
آخر ثوبتر كانت متوفرة لهم - والتي كانوا يستخدمونها كآلة نقل أرضي لحمل الجرحى - لفظت أنفاسها الأخيرة قبل الفجر

مباشرة، فقطعوها بمسدسات الليزر وأخفوا الأجزاء، ثم هبطوا لمكان الاختباء هذا، الواقع على حافة الحوض.
لم تكن عند حواط سوى فكرة عامة ضبابية عن موقعهم.. حوالي 200 كيلو متر جنوب شرق أراكين.
الطريق الرئيسي المستخدم للتنقل بين مجتمعات السياتشات القريبة من الجدار الجبلي كان يقع في مكان ما باتجاه الجنوب من موقعهم هذا.
رمى الفريمني الجالس قبالة حواط بقلنسوته للوراء وبغطاء رأس بذلة التقطير، كاشفا عن شعر ولحية بلون أصفر كصفرة الرمل.
كان الشعر ممشطا للخلف في خطوط مستقيمة، والجبهة عالية وضيقة. والعينان تامتا الزرقة - نتيجة لوجود البهار في طعامه دائما - كان يصعب قراءتهما.
اللحية والشارب كانا مبقعين على أحد جانبي الفم، والشعر متلبد في هذا الموضع من أثر أنبوب التجميع اللولبي الخارج من سدادات أنفه.
نزع الرجل سدادتيه وأعاد ضبطهما. وحك ندبة كانت في موضع قريب من أنفه.
قال الفريمني: "إن عبرتم منطقة الغور في هذا المكان هذه الليلة فعليكم ألا تستخدموا الدروع. هناك شق في الجدار"، ودار على عقبيه مشيرا للجنوب: "... هناك. وهي منطقة رملية ممتدة حتى منطقة العِرق. الدروع ستجذب إليكم صه..."، ثم تردد لحظة وأكمل: "... دودة. قلما يأتون إلى هنا، لكن وجود درع طاقة سيجلب واحدة لا محالة"
فكر حواط: لقد قال دودة. كان ينوي أن يستخدم كلمة أخرى. ماذا يا ترى؟
وماذا يريد منا؟
تنهد حواط.
لم يستطع أن يتذكر وقتا في السابق حل عليه فيه تعب كتعبه الحالي. كان تعبا عضليا تعجز حبوب الطاقة عن معالجته.
يا لهؤلاء الساردوكار الملاعين!
ألقى باللوم على نفسه في مرارة، وفكر في الجنود القساة وما يدل عليه وجودهم من خيانة صادرة عن الإمبراطور.
تقديره المنتاتي للمعلومات أخبره أن الفرصة المتاحة أمامه لعرض دليل هذه الخيانة - أمام مجلس اللاندسراد - تكاد تكون معدومة، وهو المجلس الوحيد الذي يمكن أن تتحقق فيه العدالة.
قال الفريمني: "هل ترغب في الذهاب للمهربين؟"
"هل هذا ممكن؟"
"الطريق طويل"
كان أيداهو قد أخبره في إحدى المرات: الفريمن لا يحبون أن يقولوا كلمة لا.
قال حواط: "لم تخبرني بعد إن كان بإمكان قومك مساعدة جرحانا"
"إنهم جرحى"
نفس الإجابة اللعينة تتكرر كل مرة!
قال حواط بحدة: "نعلم أنهم جرحى. لم يكن هذا هو ما..."
قال الفريمني ناصحا: "اهدأ يا صديقي. ما رأى جرحاكم؟ هل فيهم من يدرك حاجة قبيلتك للماء؟"
قال حواط: "لم نتكلم بشأن الماء. نحن..."
قال الفريمني: "أتفَهّم ترددك. فهم أصدقاؤك.. رجال قبيلتك. هل معكم ماء؟"

"ليس بالقدر الكافي"
أشار الفريمني لرداء حواط والبشرة المكشوفة تحته: "لقد هوجمتم وأنتم في 'السياتش' الخاص بكم.. غير مرتدين لبذلات التقطير. عليكم أن تتخذوا قرارا بخصوص الماء يا صديق"
"هل يمكن أن ندفع مقابل مساعدتكم لنا؟"
هز الفريمني كتفيه: "لكنكم لا تملكون ماء"، ونظر للمجموعة الموجودة خلف حواط: "باستعدادك أن تنفق كم جريحا من جرحاكم في المقابل؟"
صمت حواط محدقا في الرجل. كان باستطاعته كمنتات إدراك أن حوارهما لم يكن على نفس الموجة.
أصوات الكلمات لم تفلح في التواصل بالطريقة المعتادة.
قال: "أنا ظوفر حواط. وبإمكاني أن أتحدث بالنيابة عن دوقي. سأقدم لك الآن وعدا تعهديا مقابل مساعدتك لنا. ما أطلبه هو مساعدة محدودة.. أن أُبقي رجالي على قيد الحياة إلى أن نتمكن من قتل خائنة تظن أن الثأر لن يطالها"
"هل تريد أن ننضم لك في تنفيذ ثأر؟"
"الثأر سأقوم به بنفسي. ما أريده هو أن أتحرر من مسؤوليتي تجاه الجرحى كي أتمكن من المضي قدما في عملية الثأر"
عبس الفريمني: "ولماذا تظن أنك مسؤول عن جرحاك؟ هم مسؤولية أنفسهم. المسألة الحالية هي مسألة الماء يا ظوفر حواط. هل تريد مني أن أقوم باتخاذ القرار بدلا منك؟"
ووضع الرجل يده على سلاح مخفٍ تحت ردائه.
توتر حواط وتساءل: هل بالأمر خيانة؟
قال الفريمني بنبرة آمرة: "مم تخاف؟"
آه من هؤلاء القوم وصراحتهم المباشرة المسببة للإرباك!
تكلم بحذر قائلا: "هناك ثمن مرصود مقابل رأسي"
أبعد الفريمني يده عن سلاحه: "آآه. وتظن أننا مصابون بالفساد الأخلاقي البيزنطي المادي. إنك لا تعرفنا بشكل جيد. لا يملك آل هاركونن ما يكفي من الماء لشراء ولو أصغر طفل فينا"
فكر حواط: لكنهم تمكنوا من أن يدفعوا لنقابة الفضاء ثمن نقل أكثر من 2000 سفينة مقاتلة.
كان مقدار التكلفة لا زال يذهله.
قال حواط: "كلانا يقاتل الهاركونن. أليس من الأفضل أن نتشارك مشاكل وأساليب التعامل مع المواضيع القتالية؟"
قال الفريمني: "نحن نتشارك الآن بالفعل. لقد رأيتك وأنت تقاتل الهاركونن. إنك مقاتل جيد. مرت بي أوقات كنت سأقدّر وجود ذراعك بجانبي"
قال حواط: "أخبرني أين يمكن لذراعي أن تعينك"
قال الفريمني: "من يدري؟ قوات الهاركونن في كل مكان. لكنك لا زلت لم تتخذ القرار المائي، ولا عرضته على جرحاك"
أخبر حواط نفسه: علي أن أكون حذرا. هناك أمر غير مفهوم في الموضوع.
قال: "أيمكن أن تريني طريقتكم.. الطريقة الأراكسية؟"
قال الفريمني بنبرة فيها بعض التهكم: "هذا تفكير أجانب غرباء"
وأشار لاتجاه الشمال الغربي فيما وراء قمة الجرف: "لقد راقبناكم تعبرون المنطقة الرملية بالأمس" وخفض ذراعه. "إنك تجعل قواتك تسير على الجزء الزلق للكثيب. تصرف خاطئ. وليس معكم بذلات تقطير ولا ماء. لن تبقوا طويلا على قيد

الحياة"
قال حواط: "إن أساليب أراكس يصعب إتقانها"
"هذه حقيقة. لكننا قتلنا من الهاركونن"
قال حواط: "ماذا تفعلون بجرحاكم؟"
قال الفريمني: "ألا يعلم المرء إن كان يمكن علاجه أم لا؟.. جرحاكم يعلمون أنكم تفتقدون الماء"، وأمال رأسه ناظرا لحواط من الجانب: "من الواضح أن الوقت الآن هو وقت اتخاذ قرار مائي. كلٌ من الجرحى وغير الجرحى عليهم أن يراعوا مستقبل القبيلة"
فكر حواط: مستقبل القبيلة. قبيلة الأتريديز. وصف معقول فعلا. ثم أجبر نفسه على البوح بالسؤال الذي كان يتجنبه.
"هل عندك أخبار عن دوقي وابنه؟"
حدقت العينان اللتان يصعب قراءتهما في حواط: "أخبار؟"
قال حواط بسرعة: "مصيرهما"
قال الفريمني: "مصير كل البشر واحد. أما دوقك فيقال أنه لاقى مصيره بالفعل. أما لسان الغيب، ابنه، فالأمر في يد ليات. وليات لم يقل"
فكر حواط: كنت أعلم الإجابة دون أن أحتاج للسؤال.
وألقى نظره خلفه على الرجال. كانوا مستيقظين كلهم الآن. وسمعوا. حدقوا في الرمال الممتدة وعلى وجوههم تبدو علامات الإدراك: ليس بإمكانهم العودة لكالادان، وها هو أراكس قد ضاع منهم.
عاد حواط بانتباهه للفريمني: "هل سمعت أخبارا عن دنكن أيداهو؟"
قال الفريمني: "لقد كان في البيت الكبير عندما سقطت الدروع. هذا هو كل ما سمعته.. لا أكثر"
فكر: لقد قامت بإسقاط الدروع وسمحت للهاركونن بالدخول.
أنا من جلس 'معطيا ظهره للباب'.
كيف أمكنها أن تقدم على هذا وهي تعلم أنه سيعني القضاء على ابنها أيضا؟
لكن من يدري كيف تفكر ساحرات البني-جيزيرت؟ هذا إن كان يمكن تسميته تفكيرا أصلا.
حاول حواط أن يبتلع ريقه في حلقه الجاف. "متى سيصلكم خبر الفتى؟"
قال الفريمني: "لا نعلم عما يدور في أراكين إلا القليل. من يدري؟"
"عندكم طرق يمكن بها معرفة الأمر؟"
"ربما"، وحك الفريمني الندبة المجاورة لأنفه.
"أخبرني يا ظوفر حواط، هل تعلم شيئا عن تلك الأسلحة الكبيرة التي استخدمها الهاركونن؟"
فكر حواط بمرارة: المدفعية. من كان بإمكانه أن يخمن أنهم سيستخدمون قاذفات مدفعية في عصر دروع الطاقة هذا؟!
قال: "تقصد المدافع التي استخدموها لحبس جنودنا داخل الكهوف. عندي... معرفة نظرية بهذا النوع من الأسلحة المتفجرة"
قال الفريمني: "أي رجل يتراجع داخلا كهفا ليس به سوى فتحة واحدة فهو يستحق أن يموت"
"لم تسأل عن تلك الأسلحة؟"
"ليات يريد أن يعلم"

تساءل حواط: هل هذا هو ما يريده منا؟
قال: "هل جئت هنا تسعى للحصول على معلومات عن الأسلحة الكبيرة؟"
"ليات رغب في رؤية أحد هذه الأسلحة بنفسه"
قال حواط متهكما: "إذن كل ما عليك هو أن تذهب وتحصل على واحد"
قال الفريمني: "أجل. لقد حصلنا على واحد. قمنا بإخفائه حيث يفحصه ستيلجار ليخبر ليات، وحيث يمكن لليات أن يراه بنفسه إن أراد. لكني أشك في أنه سيرغب في هذا. فالسلاح ليس جيدا بما يكفي. تصميمه لا يصلح لطبيعة أراكس"
قال حواط: "أنتم.. حصلتم على واحد؟"
قال الفريمني: "كانت معركة جيدة. لم نفقد سوى رجلين، وسفكنا ماء ما يزيد عن 100 من الطرف الآخر"
فكر حواط: لقد كان الساردوكار يحيطون بكل واحد من تلك الأسلحة. وهذا المجنون الصحراوي يتكلم بكل بساطة عن أنه فقد اثنين فقط في معركة ضد الساردوكار!
قال الفريمني: "ولم نكن سنفقد الاثنين لولا وجود هؤلاء الذين يحاربون بجانب الهاركونن. بعض هؤلاء هم مقاتلون أشداء فعلا"
تقدم أحد رجال حواط للأمام وهو يعرج، وخفض بصره ناظرا للفريمني الجالس القرفصاء: "هل تتكلم عن الساردوكار؟"
قال حواط: "إنه يتكلم عن الساردوكار فعلا"
قال الفريمني: "ساردوكار!"، وظهر في صوته طرب. "آها، هذه هي حقيقتهم إذن! لقد كانت ليلة طيبة للغاية. ساردوكار. أي فيلق بالضبط؟ هل عندك علم؟"
قال حواط: "لا ندري"
قال الفريمني متأملا: "ساردوكار. ومع ذلك كانوا يرتدون ملابس الهاركونن. أليس هذا غريبا؟"
قال حواط: "الإمبراطور لا يرغب في انكشاف حقيقة أنه يقاتل إحدى أسر النبلاء"
"لكنك تعلم أنهم ساردوكار"
فقال حواط بمرارة: "ومن أنا؟"
قال الرد بنبرة تقريرية: "أنت ظوفر حواط. على كلٍ، كنا سنعلم هذا الأمر مع الوقت. إذ قد أرسلنا 3 منهم أسرى كي يستجوبهم رجال ليات"
تكلم مساعد حواط ببطء والشك يقطر من كل كلمة: "أنتم.. أسرتم بعض الساردوكار؟"
قال الفريمني: "ثلاثة فقط. لقد قاتلوا بشراسة"
فكر حواط: آه لو كان قد وسعنا الوقت للارتباط بهؤلاء الفريمن.
كان عقله يأسف بمرارة لعدم حدوث هذا.
آه لو كنا دربناهم وسلّحناهم. يا للأم العظمى! كنا سنحصل على قوة لا يشق لها غبار!
قال الفريمني: "ربما ترددك هو لأجل قلقك على لسان الغيب. لو كان هو فعلا لسان الغيب فيستحيل أن يصيبه سوء. فلا تشغل فكرك بأمر لم يُحدد بعد بشكل يقيني"
قال حواط: "إني أخدم.. لسان الغيب. مصلحته تهمني. وقد بايعته بروحي"
"حلفت بعقد بيعة لمائه؟"
ألقى حواط نظرة على مساعده الذي كان لا يزال يحملق في الفريمني، ثم عاد بانتباهه للشخص الجالس القرفصاء: "لمائه،

أجل"
"وترغب في العودة لأراكين.. لموضع مائه؟"
"لـ.. أجل، لموضع مائه"
"ولم لم تقل من البداية أن الموضوع هو موضوع ماء؟"، وقام واقفا وأحكم سدادتي أنفه.
أشار حواط برأسه لمساعده كي يعود للآخرين. أطاعه الرجل بهزة كتف متعبة. وسمع حواط حوارا هامسا يبدأ بين الرجال.
قال الفريمني: "هناك دائما طريق ما دام في نهاية المطاف ماء"
صدرت سبة من أحد الرجال خلف حواط. صاح المساعد بحواط قائلا: "ظوفر! آركي تُوفي لتوه"
وضع الفريمني قبضته بقرب أذنه وقال: "إنها رابطة الماء! هذه علامة قدرية!"، وحدق في حواط. "عندنا مكان في موضع قريب معد لاستقبال الماء. هل أدعو رجالي؟"
عاد مساعد حواط لجواره وقال: "ظوفر، بعض الرجال تركوا زوجاتهم في أراكين. و.. أنت تدري كيف تكون الأمور في أوقات كهذه"
كان الفريمني لا زال رافعا قبضته جوار أذنه، وقال في نبرة ملحة: "هل اتفقنا على رابطة ماء يا ظوفر حواط؟"
كان عقل حواط وكأنه في سباق. بدأ يستشعر في هذه اللحظة مغزى كلمات الفريمني، لكنه خشي رد فعل الرجال المرهقين المتجمعين تحت الصخرة المعلقة عندما يفهمون الأمر.
قال حواط: "إنها رابطة الماء"
قال الفريمني: "إذن فلتندمج قبيلتانا" وخفض قبضته.
وكما لو أن هذا كان إشارة محددة، انزلق 4 رجال هابطين من الصخور التي تعلوهم.
مضوا سريعا للموضع تحت الصخرة المعلقة ودثروا الميت في رداء فضفاض، وحملوه، وأخذوا يركضون به على امتداد جدار الجرف جهة اليمين، والغبار يثور متصاعدا من تحت أقدامهم الراكضة.
كان الأمر كله قد انتهى قبل أن يستوعبه رجال حواط المرهقين. مجموعة الرجال - ومعهم الجثة المحمولة كجوال في الرداء المحيط بها - كانت قد اختفت خلف إحدى الثنايا في الجرف.
ارتفع صوت أحد رجال حواط قائلا: "إلى أين يأخذون آركي؟ لقد كان..."
قال حواط: "أخذوه كي.. يدفنوه"
صاح الرجل: "الفريمن لا يدفنون موتاهم. لا تحاول خداعنا يا ظوفر. نعلم جيدا ما يفعلون. كان آركي واحدا من..."
قال الفريمني: "الفردوس بلا شك هو مصير الرجل الذي يموت في خدمة لسان الغيب. فإن كان من تخدمون هو لسان الغيب كما تقولون فلم ترفعون أصواتكم بالعويل؟ إن ذكرى من مات في سبيل هذا ستعيش طالما استمرت الذاكرة البشرية"
لكن رجال حواط بدؤوا يتقدمون، تعلوا وجوههم نظرات غاضبة. أمسك أحدهم بمسدس ليزري وشهره.
صاح حواط: "قفوا في أماكنكم!"، وجاهد ليتغلب على الإرهاق المضني القابض على عضلاته.
"إن هؤلاء الناس يحترمون موتانا. الأعراف تتباين، لكن مغزاها يظل كما هو"
زمجر الرجل الممسك بالمسدس قائلا: "إنهم سيذيبون آركي للحصول على ماء جسده"
قال الفريمني: "هل المشكلة هي أن رجالك يرغبون في حضور مراسم الطقس؟"
فكر حواط: إنه يعجز حتى عن إدراك وجود مشكلة.
أرعبته سذاجة الفريمني الفطرية.

قال حواط: "إنهم مهتمون لكونه زميلا محترما من زملائهم"
قال الفريمني: "سنعامل زميلك بنفس التوقير الذي نعامل به موتانا. فالرابطة الآن هي رابطة ماء. ونعلم الطقوس الشعائرية. لحم المرء ملكه أما ماؤه فملك لقبيلته"
أسرع حواط بالكلام إذ رأى الرجل الممسك بالمسدس يخطو خطوة أخرى مقتربا: "هل ستساعدون جرحانا الآن؟"
قال الفريمني: "الالتزام بالرابطة لا جدال فيه. سنساعدكم كما تساعد القبيلة أبناءها بالضبط. وأول شيء علينا فعله هو توفير بذلات لترتدوها ثم الاهتمام بباقي الضروريات"
ظهر التردد على الرجل الممسك بالمسدس الليزري.
قال مساعد حواط: "هل نشتري العون بـ.. ماء آركي؟"
قال حواط: "ليس شراءً.. بل قد انضممنا لهؤلاء القوم"
تمتم أحد رجاله: "الأعراف تتباين"
بدأ الارتياح يغمر حواط.
"وهل سيساعدونا في الوصول لأراكين؟"
قال الفريمني: "سنقتل هاركونن"، وابتسم مضيفا: "وساردوكار"
ثم تراجع خطوة وجمع يديه جوار أذنيه ومال برأسه للخلف مصغيا. بعد هنيهة خفض يديه وقال: "هناك مركبة طائرة تقترب. اخفوا أنفسكم تحت الصخرة وابقوا ساكنين"
وبإشارة من حواط أطاع الرجال الأمر.
قبض الفريمني على ذراع حواط ودفعه للوراء ضمن الآخرين، وقال: "سنقاتل عندما يحين وقت القتال"
وأدخل يده تحت ردائه وأخرج قفصا صغيرا، والتقط منه مخلوقا ما.
أدرك حواط أن المخلوق هو خفاش صغير. أدار الخفاش رأسه فرأى حواط عينيه تامة الزرقة.
ربت الفريمني على الخفاش، مطَمئنا إياه.. مدندنا له. ثم انحنى مقتربا من رأس الحيوان وسمح لقطرة لعاب بأن تسقط من لسانه إلى فم الحيوان الناظر لأعلى.
فرد الخفاش جناحيه، لكنه ظل واقفا على يد الفريمني المفتوحة.
أخرج الرجل أنبوبا صغيرا وقربه من رأس الخفاش وهمس فيه بكلام، ثم رفع المخلوق عاليا وقذف به للأمام.
حلق الخفاش قرب الجرف ثم غاب عن الأنظار.
طوى الفريمني القفص ودفعه تحت ردائه. ثم أمال رأسه مجددا وأصغى.
"إنهم يمشطون منطقة المرتفعات. أتساءل، عمن يبحثون هناك يا ترى؟"
قال حواط: "إنهم يعلمون أننا تراجعنا في هذا الاتجاه"
قال الفريمني: "لا ينبغي للمرء أبدا أن يفترض أنه الفريسة الوحيدة التي تتم مطاردتها. انظر للجانب الآخر للحوض، وسترى هناك شيئا"
مر بعض الوقت.
تحرك بعض رجال حواط بقلق، وتهامسوا.
قال الفريمني في صوت كالهسيس: "ابقوا صامتين كما تفعل الحيوانات المذعورة"
انتبه حواط لحركة تحدث عند الجرف المقابل لهم.. حركات سريعة مبهمة، خطوط ضبابية صفراء على خلفية صفراء.

قال الفريمني: "صديقي الصغير أوصل الرسالة التي حُمّل بها. إنه مبعوث ممتاز، سواء بالليل أو بالنهار.. سيحزنني فقده"
تلاشت الحركات البادية في الجهة المقابلة للحوض. ولم يبق شيء ظاهرا على امتداد مساحة الـ 4 أو 5 كيلو مترات الرملية سوى ضغط حرارة النهار المتزايدة.. أعمدة هواء ضبابية متصاعدة لأعلى.
همس الفريمني: "والآن حافظوا على الصمت التام"
خرجت من إحدى الشقوق في الجرف المقابل مجموعة متهادية في مشيها، قادمة من الجهة الأخرى للحوض. بدا لحواط أنهم من الفريمن، لكنهم كانوا جماعة مثيرة للعجب بانعدام الكفاءة الذي تظهره.
استطاع أن يعد 6 من الرجال يمشون بتثاقل.
من اتجاه اليمين بالنسبة لمجموعة حواط صدرت خفقات أجنحة أورنيثوبتر. اقتربت المركبة الطائرة من جدار الجرف فوقهم. كانت ثوبتر أتريدية لكن تلطخها شارات الهاركونن العسكرية الملونة. انقضت الثوبتر على الرجال العابرين لمنطقة الحوض.
توقفت المجموعة على قمة أحد الكثبان، ثم لوحت مشيرة للساردوكار.
دارت الثوبتر حولهم مرة في منحنى صغير ثم عادت وهبطت أمام الفريمن، فتصاعد الغبار.
خرج 5 رجال من الثوبتر فرأى حواط الوميض النافض للغبار والذي يدل على ارتدائهم لدروع طاقة.. وبملاحظته لحركاتهم رأى الكفاءة الساردوكارية والصلابة.
قال الفريمني الواقف جوار حواط: "يستخدمون دروعهم السخيفة!"، ونظر في اتجاه الجدار الجنوبي المفتوح للحوض.
همس حواط: "إنهم من الساردوكار"
"جميل"
تقدم الساردوكار مقتربين في تشكيل نصف دائري من مجموعة الفريمن المنتظرة. برقت الشمس على النصال المشهرة في وضع استعداد. أما الفريمن فوقفوا في مجموعة، متقاربين، لا يبدو عليهم أدنى اهتمام.
وفجأة انبثق فريمن آخرون من الرمال المحيطة بالمجموعتين.
قصدوا الأورنيثوبتر، ثم دخلوها. وعندما التحمت المجموعتان في قتال عند قمة الكثيب ارتفعت من المكان سحابة غبار أخفت - بصورة جزئية - العنف الحادث.
ولم يمض وقت طويل إلا وهدأ الغبار، ولم يكن واقفا على قدميه إلا الفريمين.
قال الفريمني المجاور لحواط: "لم يتركوا في الثوبتر سوى 3 من جنودهم. كان هذا من حسن الحظ. فلا أظن أنه كان يلزمنا تخريب المركبة أثناء عملية الاستيلاء عليها"
همس أحد رجال حواط من ورائه: "لقد كان هؤلاء من الساردوكار!"
قال الفريمني: "لاحظت البراعة التي قاتلوا بها؟"
أخذ حواط نفسا عميقا. شم رائحة الغبار المحترق من حوله، وأحس بالحرارة، والجفاف.
وفي صوت يشابه في جفافه هذا الجفاف قال: "أجل، لقد قاتلوا ببراعة فعلا"
انطلقت الثوبتر المسلوبة بخفقة أجنحة متمايلة، مرتفعة لأعلى قاصدةً الجنوب في صعود تدريجي وأجنحة مثنية.
فكر حواط: إذن يستطيع الفريمن قيادة طائرات الثوبتر أيضا.
ومن الكثيب البعيد لوح أحد الفريمن بقطعة قماش خضراء.. مرة، ثم ثانية.
صاح الفريمني المجاور لحواط: "هناك المزيد قادمون. استعدوا. كنت أرجو أن نتمكن من الرحيل دون مزيد من المضايقات"
فكر حواط: يصفها بأنها مجرد 'مضايقات'!

ورأى طائرتي ثوبتر تنقضان من ارتفاع كبير من الجهة الغربية على منطقة رملية خلت فجأة من أي فريمن ظاهرين.
لم يظهر في تلك البقعة - التي وقع فيها المشهد العنيف - إلا 8 لطخات زرقاء، هي جثث الساردوكار في زيهم الهاركوني.
ثم حلقت طائرة ثوبتر أخرى فوق جدار الجرف فوق حواط.
عندما رآها سحب نفسا عميقا.. إذ كانت حاملة جنود ضخمة. طارت في ثقل وبطء وبأجنحة مفرودة للنهاية، لما فيها من حمل كبير.. كطائر عملاق يعود لعشه.
وعلى مبعدة من المكان لمع شعاع مدفع ليزر أرجواني قادم من إحدى طائرتي الثوبتر المنقضتين على المكان، ومشط البقعة الرملية باعثا منها سحابة غبارية.
قال الفريمني المجاور لحواط في نبرة خشنة: "الجبناء!"
استقرت حاملة الجنود عند بقعة الجثث المكسوة بالزي الأزرق، وأجنحتها مفرودة على امتدادها، وشرعت في إجراءات التوقف السريع.
انتبه حواط للمعان الشمس على شيء معدني في جهة الجنوب. ثوبتر قادمة من هناك في انقضاض عمودي مباشر، وأجنحتها مطوية على جانبيها، ونفاثاتها كلهب ذهبي على خلفية السماء الداكنة ذات اللون الرمادي المائل للون الفضة.
غطست الثوبتر كالسهم على حاملة الجنود، والتي كانت قد أطفأت دروع طاقتها خوفا من طلقات الليزر المحيطة بها.
وانقضت الثوبتر على حاملة الجنود مرتطمة بها بدقة.
اهتز الحوض بصوت هادر واشتعال. ارتجفت الصخور متساقطة من جدران الجروف المحيطة بالمكان. وانبثقت من الرمال شبه نافورة من اللونين الأحمر والبرتقالي لعنان السماء حيث كانت حاملة الجنود والطائرتان المرافقتان لها.
كان كل شيء في تلك البقعة مشتعلا باللهب.
فكر حواط: كان هذا هو الفريمني الذي انطلق محلقا في الثوبتر المستلبة في البداية. لقد ضحى بنفسه عن قصد ليدمر الحاملة.
يا للأم العظمى! أي رجال هؤلاء الفريمن؟!
قال الفريمني المجاور لحواط: "إنه تبادل مقبول. فقد كان بهذه الحاملة 300 جندي على الأقل. الآن علينا جمع مائهم ثم تدبير الاستيلاء على طائرة أخرى"، وخطا خطوة خارج مكمنهم من تحت ظل الصخرة.
لكن فجأة هبط عليهم من فوق الجرف طوفان من مرتدي السترات الزرقاء.. هبطوا في بطء، لاستخدامهم مضادات جاذبية. وفي نفس اللحظة استطاع حواط أن يدرك - خلال وقت قصير - أنهم ساردوكار، بوجوههم القاسية وحماستهم القتالية.. وأنهم كانوا لا يرتدون دروعا، وكل فرد منهم يحمل في إحدى يديه سكينا، وفي الأخرى مسدسا صاعقا.
أصيب مرافق حواط الفريمني بسكين مقذوفة نحو حنجرته، فوقع للوراء، ووجهه - الملتوي ألما - ساقط على الأرض.
أما حواط فلم يسعه الوقت سوى لسحب سكينه قبل أن يغرقه مقذوف - قادم من أحد المسدسات الصاعقة - في ظلام، غائبا عن الوعي.

الفصل 25

كان المؤدِّب قادرا بالفعل على رؤية المستقبل، لكن عليك أن تتفهم حدود تلك القدرة. خذ الرؤية البصرية كمثال. فمع أنك تتمتع بعينين إلا أنه ليس باستطاعتك الرؤية دون وجود ضوء.
وإن كنت واقفا على سفح أحد الوديان فلن تستطيع النظر لما وراء هذا الوادي.
وبالمثل، لم يكن باستطاعة المؤدب أن ينظر دائما لما وراء التضاريس الغيبية. بل يخبرنا أن مجرد قرار نبوئي واحد مغمور - كاختيار كلمة بدلا من أخرى على سبيل المثال - بإمكانه أن يغير وجه المستقبل بالكامل.
ويخبرنا أيضا أن 'الزمن له مجال رؤية واسع، لكن عندما تعبر خلاله فإن الزمن يتحول لباب ضيق'.
وكان دائما يصارع إغراء اختيار مسار واضح وآمن، محذرا من أن 'هذا الطريق يؤدي في النهاية لحالة من الركود'

من كتاب "يقظة أرّاكس"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

عندما كانت طائرات الأورنيثوبتر تنحدر فوقهم وتشق ظلام الليل أمسك بولس بذراع أمه وقال بلهجة قاطعة: "لا تتحركي!"
ثم رأى - في نور القمر - الطائرة التي تتقدم المجموعة، والطريقة التي تقوست فيها أجنحتها لتكبح حركتها، متهيئة للهبوط.. والحركة السريعة المتهورة لليدين على أجهزة التحكم.
فقال هامسا: "إنه أيداهو"
حطت الطائرة ومرافقاتها على منطقة الحوض، كسرب من الطيور عائد لعشه. وحتى قبل أن يستقر الغبار كان أيداهو خارج طائرته بالفعل ويركض ناحيتهما.
تبعه شخصان يرتديان أثوابا فريمنية. تعرف بولس على أحدهما: كان الطويل ذو اللحية الصفراء هو كاينز.
صاح كاينز قائلا: "تعالوا هنا!"، وانحرف لليسار.
خلف كاينز كان بعض الفريمن يلقون بأغطية قماشية على طائرات الأورنيثوبتر، فصارت المركبات تشبه صفا من الكثبان الرملية الصغيرة.
توقف أيداهو عن الركض عندما صار في مواجهة بولس، وأدى التحية العسكرية: "سيدي، الفريمن عندهم مكان يصلح للاختباء المؤقت قريبا من هنا، حيث يمكننا أن..."
"وماذا عن ذلك الذي يحدث هناك؟"
وأشار بولس للعنف الجاري فوق الجرف القريب. الدفقات النارية.. الأشعة الأرجوانية الصادرة عن مدافع الليزر التي تمشط الصحراء.
فبدت ابتسامة نادرة على وجه أيداهو المستدير الهادئ: "لقد تركت لهم مفاجأة صغيرة يا مولا..."
غمر الصحراء ضوء أبيض باهر، شديد كأنه الشمس، طابعا ظلالهم على أرضية الإفريز الصخرية. وفي حركة واحدة خاطفة كان أيداهو قد قبض على ذراع بولس في يد وكتف جيسيكا في اليد الأخرى دافعا الاثنين فوق حافة الحوض.
تمددوا جميعا على الرمال والانفجار يزأر كالرعد فوقهم.
تسببت الموجة الارتجاجية في تساقط قطع من صخور حافة الإفريز الصخري الذي قفزوا مبتعدين عنه.

اعتدل أيداهو واقفا، نافضا الرمل عن جسده.
قالت جيسيكا: "أسلحة أسرتنا الذرية! كنت أظن أن..."
قال بولس: "وضعتَ أحد دروع الطاقة هناك"
قال أيداهو: "درع كبير، مضبوط على طاقته القصوى. لمسه أحد أشعة الليزر ف..."
ثم هز كتفيه.
قالت جيسيكا: "اندماج نووي. إن هذا السلاح استخدامه خطير"
"ليس سلاحا يا سيدتي، بل وسيلة دفاع. سيتردد هؤلاء الحثالة ألف مرة قبل أن يقدموا على استخدام أسلحة الليزر مجددا"
وقف الفريمن الهابطون من الأورنيثوبترات قبالتهم، وقال أحدهم في صوت منخفض: "علينا أن نتوارى يا أصدقاء"
وقف بولس على قدميه بينما كان أيداهو يساعد جيسيكا على النهوض.
قال أيداهو: "هذا الانفجار بلا شك سيلفت الأنظار بدرجة كبيرة يا مولاي"
فكر بولس: مولاي. كان للكلمة وقع غريب عندما يتم توجيهها له. فمن كان يُلقب بـ مولاي في الماضي هو والده.
شعر بقدراته الاستبصارية تمسه مسا خفيفا، ورأى نفسه مصابا بجرثومة الوعي الحيواني المسيطر على الجنس البشري والذي يحرك الجنس نحو الفوضى.
اهتز متأثرا بهذه الرؤيا، فترك أيداهو يقوده على امتداد حافة الحوض وإلى نتوء صخري. كان الفريمن يحفرون مزيلين الرمل باستخدام آلات دمج استاتيكي.
قال أيداهو: "اسمح لي أن أحمل عنك حقيبتك يا مولاي؟"
قال بولس: "ليست ثقيلة عليّ يا دنكن"
قال أيداهو: "إنك لا ترتدي درع طاقة يحمي جسدك. هل ترغب في ارتداء درعي؟"، وألقى نظرة على الجرف البعيد. "وإن كنت أستبعد احتمال أن يستخدموا المزيد من أسلحة الليزر في هذا المكان"
"احتفظ بدرعك يا دنكن. ذراعك اليمنى خير لي من أي درع"
رأت جيسيكا تأثير المدح، وكيف اقترب أيداهو بجسده من بولس، ففكرت: يجيد ابني التعامل مع رجاله بثقة وتمكّن.
نزع الفريمن صخرة تستخدم كسدادة لممر يؤدي لشبكة أقبية صحراوية طبيعية. وفوق فتحة المدخل وُضع غطاء مموه.
قال أحد الفريمن: "من هنا"، وقادهم لأسفل في الظلام عبر سلالم صخرية.
من ورائهم حجب الغطاء نور القمر، وظهر أمامهم وهج أخضر خافت، كاشفا السلالم والجدران الصخرية وانحراف الممر يسارا عند الركن.
كانوا محاطين من كل اتجاه بفريمن تعلوهم الأثواب ويتقدمون هابطين. انعطفوا عند الركن فوجدوا ممرا آخر ينحدر مائلا لأسفل، وفي نهايته كهف مُعد بطريقة بدائية كي يستخدم كحجرة.
وقف كاينز أمامهم وقلنسوة جبته ملقاة للخلف. لمع عنق بذلة تقطيره في الضوء الأخضر. شعره الطويل ولحيته كانا ثائرين، والعينان الزرقاوان منعدمتا البياض كانتا داكنتين ويعلوهما حاجبان كثّان.
في لحظة التلاقي تساءل كاينز في نفسه: لماذا أقوم بمساعدة هؤلاء؟ إنه أخطر ما أقدمت عليه في حياتي، ويمكن أن يتسبب في إهلاكي معهم.
ثم دقق النظر في بولس، فرأى الفتي الذي تبدو عليه سيماء الرجولة.. يخفي حزنه، ويقمع كل ما يدور في نفسه، ولا يُظهر سوى ما يتناسب مع المنصب الذي عليه الآن أن يتولاه.. منصب الدوقية.

وأدرك كاينز في تلك اللحظة أن الدوقية لا زال لها وجود بسبب هذا الشاب فقط لا غير.. ولم يكن هذا شيئا غير ذي بال.
ألقت جيسيكا بنظرة واحدة على الحجرة لتقوم بتسجيلها ذهنيا باستخدام حواسها، على طريقة البني-جيزيرت.
كانت الحجرة عبارة عن معمل.. مكان معد للاستخدام المدني لا العسكري، ومليء بالزوايا والمربعات تبعا للطراز القديم.
قال بولس: "إنها إحدى محطات البحوث البيئية الإمبراطورية التي أرادها أبي كي يستخدمها كقواعد طليعية"
فكر كاينز: أرادها أبوه!
ومن جديد سأل كاينز نفسه: هل أرتكب حماقة بمساعدتي لهؤلاء الهاربين؟ لم أفعل هذا؟ سيكون من السهل للغاية أن أقبض عليهم في هذه اللحظة وأن أكسب ثقة الهاركونن بتسليمهم.
حذا بولس حذو أمه وحملق في أرجاء الحجرة، ملاحظا طاولة العمل الموضوعة على أحد الجوانب، والحوائط الصخرية الخالية من الملامح. رُصت أدوات على الطاولة في صفوف: عدادات تتوهج.. شبكات مصنوعة من السلك وتخرج منها أعناق زجاجية.. ورائحة أوزون تنتشر في المكان.
تقدم بعض الفريمن لما وراء إحدى أركان الحجرة فحجبهم الحائط عن الرؤية، وارتفعت من مكانهم أصوات جديدة.. آلات تسعل وسيور ومواتير تدور وتصهل.
نظر بولس لطرف الحجرة فرأى - مكدسا بقرب أحد الجدران - أقفاصا تحوي حيوانات صغيرة الحجم.
قال كاينز: "لقد تعرفتَ بشكل صحيح على وظيفة هذا المكان. فيم كنت ستستخدم مكانا كهذا يا بولس أتريديز؟"
قال بولس: "في جعل هذا الكوكب ملائما لحياة البشر"
فكر كاينز: ربما هذا هو سبب تقديمي العون لهم.
مات أزيز الآلات فجأة. انشق الصمت بصوت حيواني رفيع صادر من الأقفاص ثم ما لبث أن انخرس كما لو كان أصيب بالإحراج.
عاد بولس بانتباهه للأقفاص فرأى أن الحيوانات كانت عبارة عن خفافيش ذات أجنحة بنية اللون. من الحائط المجاور لها امتد أنبوب تغذية أوتوماتيكي مارا عبر الأقفاص.
ظهر أحد الفريمن من الركن المخفي للحجرة ووجه كلامه لكاينز: "ليات، مولد مجال الطاقة لا يعمل. لا أستطيع إخفاء وجودنا عن المستشعرات الرادارية"
قال كاينز: "هل بإمكانك إصلاحه؟"
"ليس بالسرعة الكافية. فالأجزاء المطلوبة..."، ثم هز كتفيه.
قال كاينز: "حسنا. سنسيّر أمورنا دون آلات إذن. احضر مضخة يدوية لضخ الهواء من السطح"
"في الحال"، وأسرع الرجل مبتعدا.
التف كاينز عائدا لبولس: "كانت إجابتك جيدة"
لاحظت جيسيكا القوة التلقائية في صوت الرجل. كان صوتا ملكيا، معتادا على إصدار الأوامر. ولم يفتها الانتباه إلى أنه قد خوطب باسم: ليات. شخصية ليات كانت هويته الأخرى.. الفريمنية.. الوجه الآخر لخبير البيئة الكوكبية الهادئ.
قالت: "نحن ممتنون للغاية لمساعدتك لنا يا دكتور كاينز"
قال كاينز: "إممم، سنرى"، وأومأ لأحد رجاله: "أحضر قهوة البهار لمكتبي يا شامير"
قال الرجل: "في التو يا ليات"
أشار كاينز إلى فتحة مقوسة في الجدار الجانبي للحجرة وقال: "لو تكرمتم"

أومأت جيسيكا برأسها إيماءة ملكية وقورة ثم استجابت. رأت بولس يعطي لأيداهو إشارة بيده تأمره بالبقاء في مكانه للحراسة.

كان الممر بعمق خطوتين ويؤدي - عبر باب ثقيل - إلى حجرة مكتب مربعة منارة بمصابيح إضاءة ذهبية.

أمرّت جيسيكا يدها على الباب وهي تلج المكتب فاندهشت عندما أدركت أنه مصنوع من صلب البلاستيل.

تقدم بولس ثلاث خطوات داخل الحجرة وألقى بحقيبته على الأرض. سمع الباب يغلق وراءه، فأخذ يدرس المكان.

كان طول كل جانب يقترب من 8 أمتار، والجدران من الصخر الطبيعي، بلون الكري، وتقسمها - على يمينهم - خزانات بها أدراج. احتل منتصف الحجرة منضدة مكتب منخفضة يعلوها زجاج بلون اللبن تتخلله فقاعات صفراء. أحاطت أربعة مقاعد مضادة للجاذبية بالمنضدة في شكل حلقة.

دار كاينز حول بولس وسحب مقعدا لجيسيكا. جلست وهي تلاحظ الطريقة التي يتفحص فيها ابنها الحجرة.

ظل بولس واقفا لبرهة. انحراف ضئيل في تيارات الهواء بالحجرة دله على وجود مخرج سري على يمينهم خلف الخزانات.

قال كاينز: "هلا جلست يا بولس أتريديز؟"

فكر بولس: يحرص على تجنب مخاطبتي بلقبي الرسمي.

لكنه قبل الجلوس على المقعد، وظل صامتا بينما كان كاينز يجلس.

قال كاينز: "إنك تشعر بإمكانية أن يتحول أراكس لجنة، إلا أنه - وكما ترى - لا ترسل الإمبراطورية إلى هنا إلا بلطجيتها المدربين.. الساعين للحصول على البهار"

رفع بولس إبهامه الذي يحيط به خاتم الدوقية: "هل ترى هذا الخاتم؟"

"أجل"

"هل تدري دلالته؟"

استدارت جيسيكا بسرعة ناظرة لابنها.

قال كاينز: "جثة أبيك الميت ممددة بين أطلال أراكين. فنظريا أصبحت أنت الدوق"

قال بولس: "أنا أحد جنود الإمبراطور.. فنظريا أنا من البلطجية"

اسود وجه كاينز: "حتى مع أن ساردوكار الإمبراطور واقفون فوق جثة أبيك؟"

قال بولس: "الساردوكار مسألة والمصدر القانوني لسلطتي مسألة أخرى"

قال كاينز: "لأراكس طريقته الخاصة في تحديد من سيرتدي ثوب السلطة هنا"

فكرت جيسيكا وهي تستدير ناظرة إليه: بهذا الرجل صلابة حديدية لم ينزعها أحد بعد.. ونحن بحاجة للحديد. إن ما يفعله بولس خطر.

قال بولس: "إن وجود الساردوكار على أراكس لهو مؤشر على مقدار خوف إمبراطورنا المحبوب من أبي. والآن سأعطي الإمبراطور الباديشي سببا حقيقيا للخو..."

قال كاينز: "يا فتى، هناك أمور لا يمكن أن..."

قال بولس: "عندما تكلمني خاطبني بكلمة سيدي أو مولاي"

فكرت جيسيكا: رفقا.

حدق كاينز في بولس ولمحت جيسيكا في وجه الخبير الكوكبي بريق الإعجاب، وشيئا من الدعابة.

قال كاينز: "مولاي"

قال بولس: "إن وجودي هو مصدر إحراج للإمبراطور. أنا إحراج لكل هؤلاء الساعين لاقتسام غنائم أراكس. طالما أنا على قيد الحياة فسأظل مصدر إحراج.. غصة بحلوقهم تخنقهم حتى الموت!"

قال كاينز: "مجرد كلمات!"

حدق فيه بولس ثم لم يلبث أن قال: "عندكم هنا أسطورة عن لسان الغيب، الصوت القادم من العالم الخارجي، الشخص الذي سيقود الفريمن للفردوس. رجالك ق..."

قال كاينز: "مجرد خرافات!"

وافقه بولس قائلا: "ربما. لكن ربما ليست كذلك. فالخرافات أحيانا تكون لها جذور غريبة وفروع أغرب"

قال كاينز: "إنك تفكر في خطة ما.. على الأقل هذا القدْر من كلامك واضح.. يا مولاي"

"هل بإمكان الفريمن التابعين لك أن يزودوني بدليل أكيد على أن الساردوكار هنا وأنهم متخفون في ملابس الهاركونن؟"

"هذا غالبا ممكن تحقيقه"

قال بولس: "سيعيد الإمبراطور تولية أحد أفراد الهاركونن هنا كحاكم.. بل وربما يكون الشخص هو رابان الوحش ذاته. فلندعه يقدم على هذا. وعندما يورط نفسه في الأمر بحيث يستحيل التبرؤ منه سنواجه الإمبراطور باحتمالية تقديم عريضة اتهام تفصيلية أمام اللاندسراد. دعه يَمثل عندئذ أمام..."

قالت جيسيكا: "بولس!"

قال كاينز: "حتى لو فرضنا أن مجلس اللاندسراد الأعلى سيقبل قضيتك، فإنه لن توجد سوى نتيجة نهائية واحدة لهذا: حرب شاملة بين الإمبراطور وأسر النبلاء"

قالت جيسيكا: "حالة فوضى"

قال بولس: "لكني سأقدم قضيتي للإمبراطور، وأعرض عليه بديلا للفوضى"

قالت جيسيكا في نبرة جافة: "ابتزاز؟"

قال بولس: "إنه إحدى أدوات الحكم كما قلتِ بنفسك"، وسمعت جيسيكا المرارة في صوته. "ليس للإمبراطور أي أولاد من الذكور، فلم ينجب سوى البنات"

قالت جيسيكا: "أتطمح للعرش؟"

قال بولس: "لن يخاطر الإمبراطور بتفتيت الإمبراطورية في حرب شاملة. كواكب يتم تدميرها وفوضى تعم كل مكان.. لن يخاطر بحدوث هذا"

قال كاينز: "ما تقترحه هو مقامرة يائسة خطيرة"

قال بولس: "ما أقصى ما تخشاه أسر نبلاء اللاندسراد؟ ما يحدث الآن على أراكس هو أشد ما يخافون منه.. أن يتصيدهم الساردوكار واحدا بعد الآخر. هذا هو سبب وجود مجلس اللاندسراد أساسا. إن هذا هو الغراء الذي يربطهم في اتفاقية الميثاق العظيم.. أنهم غير قادرين على الوقوف ضد القوات الإمبراطورية إلا في حالة تجمعهم كلهم ضدها"

"لكنهم..."

قال بولس: "هذا هو ما يخشون. وسيصبح أراكس هو الصيحة التي تحشدهم تحت راية واحدة، إذ سيرى كل واحد منهم نفسه وقد أصابه ما أصاب أبي.. مُقصى عن باقي القطيع ثم مقتولا"

خاطب كاينز جيسيكا قائلا: "هل ستفلح هذه الخطة؟"

قالت جيسيكا: "لستُ منتاتا"

"لكنك من البني-جيزيرت"

تأملته بنظرة ثاقبة وقالت: "بخطته بعض النقاط الجيدة والأخرى السيئة.. كما هو حال أي خطة في مرحلة أولية كهذه. فنجاح الخطط يعتمد على طريقة التنفيذ بنفس درجة اعتماده على الفكرة"

قال بولس مقتبسا: "القانون أهم العلوم. هذا مكتوب فوق باب الإمبراطور. أقترح أن نريه القانون بحق"

قال كاينز: "لكني لست متأكدا من أني أثق بالشخص الذي وضع هذه الخطة. فأراكس له خطته الخاصة التي يس..."

قال بولس: "من موقعي على العرش سيمكنني أن أحول أراكس إلى جنة بمجرد إشارة من يدي. هذه هي العملة التي أعرضها مقابل الحصول على دعمك لي"

تصلب كاينز وقال: "ولائي ليس للبيع يا مولاي"

أطال بولس النظر إليه عبر المنضدة، مواجها النظرة الباردة الصادرة من هاتين العينين الزرقاوين، ومتأملا الوجه ذي اللحية، وسيماء القيادة.

ارتسمت ابتسامة جافة على شفتي بولس وقال: "أصبتَ بكلامك. أقدم لك اعتذاري"

واجه كاينز نظرة بولس بنظرة مماثلة ثم لم يلبث أن قال: "لم يعترف أي هاركوني أبدا بأنه وقع في خطأ. ربما تختلفون عنهم بالفعل يا آل أتريديز"

قال بولس: "قد يكون هذا لخطأ فيما تلقوه من تعليم. إنك تقول أنك لست للبيع لكن أظن أني أملك العملة التي ستقبل بها. مقابل ولائك لي أعرض عليك ولائي أنا.. بشكل مطلق"

فكرت جيسيكا: يتمتع ابني بصفة الصدق الأتريدي. ذلك الشرف الهائل الذي يكاد يقترب من السذاجة.. ويا لها من قوة فعلا.

رأت أن كلمات بولس قد هزت كاينز.

قال كاينز: "هذا جنون. فما أنت سوى صبي و..."

قال بولس: "أنا الدوق. أنا أتريديز. لم يسبق لأي أتريديز أن أخل برابطة كهذه"

ابتلع كاينز لعابه.

قال بولس: "عندما أقول أن ولائي مطلق فأعني هذا بلا أية تحفظات. سأضحي بحياتي دفاعا عنك لو لزم الأمر"

قال كاينز: "مولاي!"، وخرجت منه الكلمة رغما عنه، لكن جيسيكا أدركت أنه لم يكن في هذه اللحظة يخاطب فتى في الخامسة عشر بل يخاطب رجلا.. شخصا يفوقه في الرتبة.

كان كاينز الآن يعني الكلمة بحق.

فكرت: في هذه اللحظة هو مستعد لتقديم حياته من أجل بولس. كيف يستطيع آل أتريديز تحقيق هذا الشيء بهذه السرعة وهذه البساطة؟

قال كاينز: "أعرف أنك صادق فيما تقول، إلا أن الهاركون..."

انفتح الباب خلف بولس بقوة.

استدار بسرعة فرأى العنف محتدما. صياح.. حديد يتصادم.. وجوه كالشمع عابسة في الممر.

وثب بولس نحو الباب وجواره أمه، ورأى أيداهو يسد الممر وعينيه الداميتين باديتين من خلال تموجات الدرع، ووراءه أيدي ككلابات وفي الهواء أنصاف دوائر معدنية تحاول اختراق درع الطاقة عبثا.

نفث فم أحد الصواعق نارا برتقالية صدها الدرع.

أما نصلا أيداهو فكانا وسط كل هذا، يقصان ويقطعان، والدم الأحمر يقطر منهما.
ثم وصل كاينز ووقف جوار بولس ودفعا وزنيهما على الباب.
لمح بولس أيداهو مرة أخيرة يقف وسط حشد من السترات الهاركونية.. ترنحاته مضطربة، وشعره الأسود كشعر الماعز قد أزهرت فيه حمرة الموت.
ثم أُغلق الباب ووضع كاينز المزلاج في مكانه.
قال كاينز: "يبدو أني أخذت قراري"
قال بولس: "أحدهم استطاع استشعار آلاتكم قبل أن يتم إطفاؤها"، وسحب أمه بعيدا عن الباب ورأى ما بعينيها من قنوط.
قال كاينز: "كان يجب أن أنتبه لحدوث شيء غير طبيعي عندما تأخرت القهوة عن الوصول"
قال بولس: "عندك هنا باب خروج سري للطوارئ. ألن نستخدمه؟"
أخذ كاينز نفسا عميقا وقال: "هذا الباب بإمكانه أن يصمد لـ 20 دقيقة أمام أي شيء، إلا لو استخدموا الليزر"
قال بولس: "لن يستخدموا أي مسدسات ليزر خوفا من أن يكون لدينا هنا دروع طاقة"
همست جيسيكا: "كان هؤلاء ساردوكار في زي هاركونن"
ووصلهم صوت ضربات على الباب، وخبطات إيقاعية.
أشار كاينز للخزانات الموجودة عند الحائط الأيمن وقال: "من هنا"
اقترب من أول خزانة وفتح درجا وحرك مقبضا بداخله. انفتح جدار الخزانات بأكمله كاشفا عن نفق مظلم يفغر فاهه.
قال كاينز: "هذا الباب أيضا مصنوع من صلب البلاستيل"
قالت جيسيكا: "لقد كنتم مستعدين بشكل جيد"
قال كاينز: "لقد عشنا تحت حكم الهاركونن لـ 80 سنة"، ودفعهما نحو الظلام وأغلق الباب.
في الظلمة المفاجئة رأت جيسيكا سهما مضيئا مرسوما أمامهم على الأرض.
جاء صوت كاينز من ورائهما: "سننفصل هنا. هذا الحائط أقوى، وسيصمد لساعة على الأقل. اتبعا الأسهم المشابهة لهذا المرسوم على الأرض. ستنطفئ فور عبوركما لها. ستقودكما عبر متاهة تنتهي بمخرج آخر حيث أخفي ثوبتر سرية. هناك عاصفة ستمر بالصحراء الليلة. أملكما الوحيد هو الوصول لهذه العاصفة واقتحام أعلاها، وركوبها. قومي قاموا بأشياء كهذه أثناء سرقتهم لطائرات أورنيثوبتر. إن بقيت في قمة العاصفة فستنجو"
قال بولس: "وماذا عنك؟"
"سأحاول الهرب عبر طريق آخر. لو ألقوا القبض علي.. فلا زلت الخبير الكوكبي التابع للإمبراطور. يمكن أن أقول أني كنت أسيرا عندك"
فكر بولس: نهرب كالجبناء. لكن لو لم أفعل هذا فكيف سيكون بإمكاني أن أحيا كي أنتقم لأبي؟
استدار مواجها الباب.
سمعت جيسيكا حركته فقالت: "دنكن مات يا بولس. قد رأيت جرحه بنفسك. ليس بإمكانك مساعدته بشيء"
قال بولس: "سآخذ بثأرهم كلهم كاملا يوما ما"
قال كاينز: "لن يتحقق هذا إن لم تسرع الآن"
أحس بولس بيد الرجل على كتفه.
قال بولس: "أين سنلتقي يا كاينز؟"

"سأرسل الفريمن للبحث عنكما. فمسار العاصفة معروف. تعجل الآن، ولتشملك الأم العظمى بالسرعة والحظ"
سمعاه يبتعد، مندفعا في الظلام.
بحثت جيسيكا عن يد بولس وسحبته إليها برقة وقالت: "يجب ألا نتوه عن بعضنا"
"أجل"
تبعها ماشيا فوق السهم الأول ورأى أنه انطفئ فور لمسهما له، ثم أضاء سهم آخر في الأمام. عبرا فوقه ورأيا أنه قد أطفأ نفسه، ووجدا آخر بعده.
أخذا يركضان.
فكرت جيسيكا: خطط في خطط متداخلة في خطط. هل يا ترى أصبحنا جزءا من خطة شخص آخر؟
وجهتهما الأسهم عبر أركان، وفتحات جانبية تكاد تكون مرئية بالكاد على الضوء الخافت. انحدر بهما الطريق لأسفل لبعض الوقت ثم استمر في الصعود، إلى أن وصلا في النهاية لدرجات ثم استدارا عند أحد الأركان فوجدا جدارا مضيئا يسد الطريق وبمنتصفه مقبض داكن.
ضغط بولس على المقبض.
انفتح الباب للخارج. توهج الضوء كاشفا عن كهف منحوت في الصخر وتقبع في مركزه أورنيثوبتر. ووراء المركبة بدا حائط رمادي مستو وعليه علامة تشير إلى أنه باب.
قالت جيسيكا: "أين ذهب كاينز؟"
قال بولس: "لقد فعل ما يجب على كل قائد جيد في حرب العصابات أن يفعله. فصلنا لمجموعتين ورتب الأمور بحيث لا يعد في إمكانه أن يكشف مكان وجودنا إن أسروه.. إذ سيكون بالفعل جاهلا بمكاننا"
سحبها بولس لداخل الحجرة ولاحظ أن أقدامهما كانت تثير الغبار المتكوم على الأرضية.
قال: "لم يزر أحد هذا المكان منذ فترة طويلة"
قالت: "كان يبدو واثقا من أن الفريمن بإمكانهم أن يجدوننا"
"أشاركه هذه الثقة"
ترك بولس يدها وخطا نحو باب الأورنيثوبتر الأيسر وفتحه وقام بتأمين مكان لحقيبته في المقعد الخلفي.
قال: "هذه الطائرة محجوبة عن المستشعرات الرادارية. ولوحة التحكم بها أزرار للتحكم عن بعد في الباب والإضاءة. الحياة لـ 80 سنة تحت حكم الهاركونن علمتهم أن يهتموا بالتفاصيل"
اتكأت جيسيكا على باب الطائرة الآخر، ملتقطة أنفاسها.
قالت: "بالتأكيد وضع الهاركونن قوة جوية تحوم فوق هذه المنطقة، فليسوا أغبياء". راجعت حاسة الاتجاهات عندها وقالت وهي تشير لليمين: "العاصفة التي رأيناها هي في هذا الاتجاه"
أومأ بولس وهو يصارع نفورا مفاجئا من التحرك. كان يعرف مصدره، لكن لم تعنه هذه المعرفة بشيء.
كان قد عبر - في لحظة ما من لحظات هذه الليلة - مفترق طرق.. قرار نقله إلى عمق المجهول. كان يعلم المنطقة الزمنية المحيطة به لكن الحاضر وزمنه ظلا مكانا يكتنفه الغموض. كان الأمر وكأنه رأى نفسه من بعيد يختفي عن النظر أسفل أحد الوديان. ومن بين المسارات اللا معدودة الخارجة من هذا الوادي قد يقود بعضها بولس أتريديز بحيث يُرى مرة أخرى، لكن الكثير منها لن يؤدي لهذا.
قالت جيسيكا: "كلما طال انتظارنا كلما تهيئوا بشكل أفضل"

قال: "ادخلي واربطي حزامك"
انضم لها في الأورنيثوبتر وهو لا يزال يصارع خاطرة أنه ولج أرضا مجهولة لم يسبق له أن رآها في أي رؤيا استبصارية سابقة. وصُدم عندما أدرك فجأة أن اعتماده على ذاكرته الاستبصارية كان قد تزايد مما أضعفه عن التعامل مع هذا الظرف الطارئ.
كانت عند البني-جيزيرت حكمة تقول: إن اعتمدت على عينيك فقط فستضعف حواسك الأخرى.
طبقها الآن على نفسه وأقسم ألا يسقط في هذا الشَرك مرة أخرى.. إن ظل حيا بعد نهاية هذا اليوم.
أحكم بولس ربط حزام الأمان وتأكد من أن أمه فعلت المثل، ثم فحص المركبة الطائرة.
كانت الأجنحة مشرعة على أقصى امتداد لها، وطياتها المعدنية الرقيقة مفرودة.
مس قضيب الانكماش فرأى الأجنحة يقصر طولها استعدادا للإقلاع باستخدام النفاثات كما علمه جيرني هاليك أن يفعل. تحرك مفتاح التشغيل بسلاسة، ودبت الحياة في مؤشرات أجهزة لوحة التحكم، وبدأت الدافعات النفاثة في العمل. صدر من التوربينات هسيس خافت.
قال: "مستعدة؟"
"أجل"
لمس الزر الذي يتحكم في الأنوار عن بعد، فغمرهما الظلام.
على ضوء المؤشرات كانت يده كظل وهو يضغط على مفتاح التحكم في الباب عن بعد. صدر صليل معدني من أمامهما، وانزلق بعض الرمل منسدلا قبل أن يحل الصمت.
مس نسيم محمل بالغبار وجنتي بولس.
أغلق باب الطائرة فشعر بالضغط المفاجئ.
ظهرت في مكان الباب الحائطي مجموعة نجوم يعكر الغبار شكلها ويحيط بها الظلام. بانت من بعيد حافة صخرية على ضوء النجوم، وتموجات رملية غير واضحة المعالم. ضغط بولس على مفتاح متتابعة التشغيل على لوحة التحكم. خفقت الأجنحة للخلف وللأسفل دافعةً الثوبتر خارج عشها. انبثقت الطاقة من النفاثات إذ أخذت الأجنحة وضع الصعود العلوي.
مسحت جيسيكا يديها برفق على أزرار مساعد الطيار الاحتياطية، شاعرة بالثقة التي تسود حركات ابنها.
كانت خائفة لكن منتعشة. فكرت: أملنا الوحيد الآن هو ما تلقاه بولس من تدريبات.. فتوته وسرعته في التصرف.
زود بولس النفاثات بمزيد من الطاقة. انحدرت الثوبتر فغاصا في مقعديهما إذ ارتفع أمامهما جدارا من الظلمة مخفيا بعض النجوم. أطال الأجنحة قليلا معطيا الطائرة المزيد من الطاقة.
بعد عدة خفقات جناحية أخرى ارتفعا ومرا فوق بعض الصخور.. زوايا ونتوءات يغشاها نور النجوم بلون فضي.
أظهر القمر الثاني نفسه وقد أصابه الغبار الجوي بحمرة فوق خط الأفق على يمينهما، منيرا حواف العاصفة.
تراقصت يدا بولس على أجهزة التحكم. طقطقت الأجنحة وتراجعت كأجنحة الخنافس القصيرة. ضغطت قوة القصور الذاتي جسديهما عندما انحدرت المركبة بزاوية حادة.
قالت جيسيكا: "دفقات نارية قادمة من ورائنا!"
"رأيتها"
ودفع ذراع الحركة للأمام.
وثبت الثوبتر كالحيوان المذعور وانطلقت للجنوب الغربي نحو العاصفة والانحناء الصحراوي العظيم.

على المدى القصير رأى بولس الظلال المبعثرة التي تدل على الخط الذي تنتهي عنده الصخور، حيث تغوص شبكة الأقبية التحتية تحت الكثبان الرملية. وفيما وراء هذا امتدت ظلال مدببة ينيرها القمر.. كثبان يندمج أحدها بالآخر.
وفوق خط الأفق تسلق مسطح العاصفة المهول، كجدار يحجب النجوم.
ارتجت الثوبتر إذ أصابها شيء.
شهقت جيسيكا قائلة: "طلقات مدفعية!.. إنهم يستخدمون سلاحا قاذفا من نوع ما"
رأت ابتسامة شرسة ترتسم على وجه بولس: "يبدو أنهم يتجنبون استخدام أسلحتهم الليزرية"
"لكننا لا نملك أية دروع طاقة!"
"وهل يعلمون هذا؟"
ارتجفت الثوبتر مجددا.
التفت بولس كي ينظر لما خلفه: "يبدو أن واحدا منهم فقط هو السريع بما يكفي للحاق بنا"
عاد بانتباهه لمسارهما، ناظرا لجدار العاصفة الذي يزداد علوا أمام أعينهما. لاح وكأنه ذو صلابة حقيقية ملموسة.
همس بولس: "قاذفات مدفعية، وصواريخ، وكل الأسلحة القديمة الأخرى. أشياء سيكون علينا تسليح الفريمن بها"
قالت جيسيكا: "ها هي العاصفة. أليس من الأفضل أن تستدير؟"
"ماذا عن المركبة التي تلاحقنا؟"
"قائدها بدأ يرتفع مبتعدا"
"الآن!"
قام بولس بتقصير الأجنحة وانحدر لليسار بزاوية حادة قاصدا الحائط العاصف الذي يخدع الناظر إليه فيظنه بطيئا.
شعر بوجنتيه تتمددان من أثر قوة القصور الذاتي.
بدا أنهما يتحركان كطائرة شراعية داخل سحابة بطيئة من الغبار ازدادت كثافتها بالتدريج إلى أن أخفت الصحراء والقمر عن النظر. أصبحت الطائرة عبارة عن منطقة مظلمة طويلة ممتدة أفقيا، لا ينيرها سوى الضوء الأخضر المنبعث من أجهزة لوحة التحكم.
مرت في خاطر جيسيكا كل التحذيرات المتعلقة بهذا النوع من العواصف.. أنها عواصف قادرة على قطع المعدن كما يُقطع الزبد، وأن تفصل اللحم عن العظم ثم تأكل العظام ذاتها. أحست بالصدمات الناتجة عن الرياح المحملة بالغبار، وإمالتها للمركبة التي يكافح بولس للتحكم بها.
رأته يطفئ المحركات وشعرت بوثبة المركبة.
ارتجف المعدن المحيط وصدر عنه صوت هسيس.
صاحت جيسيكا: "رمال!"
على الضوء المنبعث من لوحة التحكم رأته يحرك رأسه نفيا: "لا توجد رمال كثيرة على مثل هذا الارتفاع"
لكنها كانت تشعر بأنهم يغوصون بعمق في قلب الدوامة.
أطلق بولس الأجنحة على أقصى امتداد تحليقي لها، وسمع صريرها تحت الضغط.
أبقى عينيه على أدوات التحكم، محلقا على هدى غريزته الفطرية، ومكافحا كي يحافظ على ارتفاعه.
تضاءل الصوت الناتج عن حركتهم.
أخذت الثوبتر تنحرف مائلة لليسار. ركز بولس على الكرة المضيئة الظاهرة على شاشة بيان منحنى الاتجاه، ونجح بصعوبة في

إعادة المركبة لوضع الاتزان.
أصيبت جيسيكا بشعور غريب وكأنهم واقفون في مكانهم لا يتحركون وأن ما يتحرك بالفعل هو ما بالخارج. صفار ضبابي مبهم يتدفق وراء النوافذ.. هسيس شديد ذكّرها بما يحيط بهما من قوى متحركة.
فكرت: رياح تصل لـ 700 أو 800 كم/ساعة.
أزعجها شعورها بالتوتر الناتج عن إفراز الأدرينالين.
أخبرت نفسها: يجب ألا أخاف.. وحركت شفتيها بكلمات استعاذة البني-جيزيرت. الخوف قاتل للعقل.
وببطء تدريجي أفلحت سنوات تدريبها الطويلة، وعادت الطمأنينة.
همس بولس: "إننا كمن قبض على النمر من ذيله. ليس باستطاعتنا أن نخفض، ولا أن نهبط أرضا.. ولا أظن أن بإمكاني رفعنا خارج هذه العاصفة. سنضطر لركوبها لنهايتها"
تسرب منها ما كانت تشعر به من طمأنينة وأحست جيسيكا بأسنانها تصطك، فأغلقتها بإحكام.
سمعت صوت بولس - منخفضا وثابتا - وهو يتلو الاستعاذة:
" الخوف قاتل للعقل. الخوف هو الموت الأصغر المفضي للفناء النهائي. سأواجه خوفي. سأسمح له بالمرور من حولي ومن خلالي. وحينما ينتهي مروره سأستدير وأنظر إلى مساره. وحيثما مر لن يكون هناك شيء. أنا فقط من سيبقى"

الفصل 26

ما الذي تبغضه؟
هذا هو ما يُظهر شخصيتك بحق.

من كتاب "دليل المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

"لقد ماتا يا بارون"
قالها ياكين نيفود، قائد الحرس. "المرأة والصبي ماتا بلا أدنى شك"
اعتدل البارون فلاديمير هاركونن جالسا في السرير المعلق الموجود بجناحه الخاص.
وراء هذا الجناح وحوله - كبيضة ذات طبقات متعددة، بعضها داخل بعض - امتدت الفرقاطة الفضائية التي أمر بإنزالها على أرض أرّاكس. لكن هنا في هذا الجناح كان معدن السفينة - جاف المظهر - مخفيا عن الأنظار بستائر وبطانات قماشية وتحف فنية نادرة.
قال قائد الحرس: "الأمر مؤكد. موتى"
حرك البارون جسده الضخم في السرير المعلق بمضادات الجاذبية، وصب انتباهه على تمثال أبنوسي - يمثل صبيا يقفز - موضوع في كوة في الجهة المقابلة للغرفة.
طار منه أثر النوم، فسوّى أحد مضادات الجاذبية الذي كان مبطنا بين طيات دهون عنقه، ونظر - على ضوء كرة الإنارة الوحيدة في غرفة نومه - للمدخل الذي وقف عنده القائد نيفود، محجوزا خلف باب الطاقة الاحتراسي.
كرر الرجل: "بالتأكيد ماتا يا بارون"
لاحظ البارون بعض البلادة في عيني نيفود من أثر تعاطي مخدر السيموتا. من الواضح أن الرجل كان غارقا في نشوة المخدر عندما تلقى هذا التقرير وأنه أسرع وتناول الترياق المضاد قبل أن يهرع إلى هنا بلحظات.
قال نيفود: "وصلني تقرير مفصل"
فكر البارون: دعه يتصبب عرقا لبعض الوقت. فعلى المرء أن يحرص دائما على إبقاء أدوات الحكم حادة ومستعدة.
السلطة والخوف. حادة ومستعدة.
قال البارون في صوته العميق: "هل رأيت جثتيهما؟"
ظهر التردد على نيفود.
"حسنا؟"
"سيدي، لقد شوهدا وهما يغوصان داخلين عاصفة رملية. رياح تفوق سرعتها الـ 800 كم. لا ينجو شيء من عاصفة كهذه يا سيدي. لا شيء! بل إن إحدى طائراتنا قد دُمرت أثناء المطاردة"
حدق البارون في نيفود، ملاحظا الرعشة العصبية في عضلات فك الرجل الصارمة، والطريقة التي تحركت بها الذقن عندما ابتلع نيفود لعابه.
قال البارون: "هل رأيت الجثث؟"

"سيدي..."

قال البارون في صوت هادر: "لماذا إذن جئتني تتبختر في درعك المعدني؟.. ألتخبرني أن الشيء مؤكد في حين أنه غير ذلك؟ هل تظن أني سأثني عليك بسبب شيء غبي كهذا، أو سأمنحك ترقية أخرى؟"

ابيض وجه نيفود فصار باهتا كلون العظام.

فكر البارون: انظروا لهذه الدجاجة! إني محاط ببلهاء لا نفع فيهم. إن بعثرت بعض الرمل أمام هذا الكائن وأخبرته أنها حبوب قمح فسيحاول أكلها بمنقاره.

قال البارون: "إذن هل قمنا بتتبع أيداهو ووصلنا لمكانهما؟"

"أجل يا سيدي!"

فكر البارون: انظروا كيف تخرج إجابته هذه بسرعة دون تفكير.

قال: "إذن كانوا فعلا يحاولون الفرار إلى الفريمن؟"

"أجل يا سيدي"

"هل هناك المزيد من المعلومات في هذا الـ.. تقرير؟"

"الخبير الكوكبي التابع للإمبراطور يا سيدي متورط في الأمر. انضم أيداهو لكاينز هذا في ظروف غامضة.. بل يمكن أن أصفها بأنها مثيرة للشبهات"

"ثم؟"

"لقد فرا سويا لمكان في الصحراء من الواضح أن الصبي وأمه كانا يختفيان فيه. في هوجة المطاردة تعرضت عدة مجموعات من جنودنا لانفجار ناتج عن تلاقي شعاع ليزر بدرع طاقة"

"كم فقدنا من الرجال؟"

"إني.. لست متأكدا بعد يا سيدي"

فكر البارون: إنه يكذب. إذن في الغالب كان العدد كارثيا.

قال البارون: "والتابع الإمبراطوري.. كاينز.. كان يلعب على الحبلين إذن؟"

"أراهن بسمعتي على هذا يا سيدي"

سُمعته!

قال البارون: "أَصدِر أمرا بقتله"

"لكن يا سيدي! كاينز هو الخبير الكوكبي الإمبراطوري.. موظف عند جلالـ..."

"إذن اجعل المسألة تبدو وكأنها حادثة!"

"سيدي، كان هناك ساردوكار مع قواتنا أثناء السيطرة على عش الفريمن هذا. هم من يحتجز كاينز في هذه اللحظة"

"إذن أخرجه من عندهم. قل أني أريد استجوابه"

"وإن اعترضوا؟"

"لن يعترضوا إن أحسنت التعامل مع المسألة"

بلع نيفود ريقه وقال: "حاضر يا سيدي"

قال البارون: "يجب أن يموت هذا الرجل. لقد حاول أن يساعد أعدائي"

نقل نيفود ثقل جسده بين قدم والأخرى.

"ما الأمر؟"
"سيدي، إن الساردوكار يحتجزون شخصين - لا شخصا واحدا - ممن قد يثيرون اهتمامك.. إذ قبضوا أيضا على خبير الاغتيال الذي كان يعمل عند الدوق"
"حواط؟ ظوفر حواط؟"
"لقد رأيت الأسير بنفسي يا سيدي. إنه حواط بالفعل"
"ما كنت لأظن أن هذا ممكن حدوثه!"
"يقولون أن مسدسا صاعقا أفقده الوعي يا سيدي، في الصحراء حيث لم يكن باستطاعته استخدام درعه. لم يمسه سوء. إن استطعنا أن نضع أيدينا عليه فسنتسلى جدا بتعذيبه"
زمجر البارون: "إنك تتكلم عن منتات. لا ينبغي للمرء أن يهدر حياة منتات. هل تكلم بعد؟ ما تعليقه على هزيمته؟ هل يمكن أن يكون قد عرف تفاصيل الـ.. لا، بالطبع لا"
"من الكلمات القليلة التي فاه بها يا سيدي واضح أنه يعتقد أن الخائن كان الليدي جيسيكا"
"أها!"، وغاص البارون للخلف: "متأكد؟ هل يصب غضبه على الليدي جيسيكا؟"
"لقد قال هذا في حضوري يا سيدي"
"إذن دعه يظن أنها على قيد الحياة"
"لكن يا سيدي..."
"اصمت. أريد أن يعامل حواط برفق. ولا يجب أن يعلم أي شيء عن الراحل الدكتور يوي، الخائن الحقيقي. بل انشروا أن الدكتور يوي مات وهو يدافع عن دوقه. بل إن نظرنا للأمر من زاوية معينة فقد يكون هذا صحيحا فعلا. وفي مقابل هذا سنغذي شكوكه الموجهة ضد الليدي جيسيكا"
"سيدي، إني لا أفهـ..."
"إن الطريقة التي يمكن بها التحكم بأي منتات وتوجيهه يا نيفود هي عن طريق ما يصله من معلومات. المعلومات الخاطئة ستؤدي لنتائج خاطئة"
"أجل يا سيدي، لكن..."
"هل حواط جائع؟ عطشان؟"
"سيدي، حواط لا يزال في يد الساردوكار!"
"آه، صحيح. لكن الساردوكار سيكونون متلهفين - مثلي - للحصول على معلومات من حواط. لقد لاحظت شيئا فيما يخص حلفاءنا يا نيفود. أنهم ليسوا بارعين.. سياسيا. وأظن أن هذا الأمر عن عمد.. الإمبراطور يريدهم هكذا. أجل، هذا هو ما أعتقده. سيكون عليك أن تذكّر قائد الساردوكار بما أُشتهر به من قدرة على استخلاص المعلومات من الأشخاص المعاندين"
بدا نيفود متجهما وقال: "أجل يا سيدي"
"ستقوم بإخبار قائد الساردوكار بأني أرغب في استجواب كل من حواط وكاينز في نفس الوقت، لأضع أحدهما في مواجهة الآخر. أظن بإمكانه أن يفهم شيئا كهذا"
"أجل يا سيدي"
"وفي اللحظة التي يقعا فيها بين أيدينا..."، وأومأ برأسه.
"سيدي، سيرغب الساردوكار في حضور مراقب من عندهم أثناء أي.. استجواب ستقوم به"

"أنا متأكد من أنه بإمكاننا تدبير ظرف طارئ يمكن خلاله إبعاد أي مراقبين غير مرغوب فيهم يا نيفود"
"فهمت يا سيدي. وعندها سيصاب كاينز بـ.. حادثة ما"
"كل من كاينز وحواط سيصاب بحوادث يا نيفود. لكن كاينز فقط هو من ستكون حادثته حقيقية. فحواط هو من أريد. أجل"
طرف نيفود بعينه وبلع لعابه. بدا أنه على وشك إلقاء سؤال ما، لكنه ظل صامتا.
قال البارون: "أعطوا حواط طعاما وشرابا، وألينوا له المعاملة، وأرفقوا به. وفي الماء المقدم له ستضع السم طويل المفعول الذي طوره الراحل بايتر دي فرايز، واحرص على أن يوضع الترياق بانتظام في طعام حواط بداية من هذه اللحظة.. إلا أن أصدرت أمري بالتوقف"
هز نيفود رأسه: "الترياق، أجل. لكن..."
"لا تكن غبيا يا نيفود. لقد كاد الدوق أن يقتلني بكبسولة السم الموضوعة في الضرس تلك. الغاز الذي زفره في حضوري حرمني من منتاتي الثمين.. بايتر. وأنا في حاجة لبديل"
"حواط؟"
"حواط"
"لكن..."
"ستقول أن حواط ولاءه تام لآل أتريديز. وهذا صحيح، لكن الأتريديز قضوا نحبهم. سنتودد إليه. يجب إقناعه بأن دمار الدوق لم يكن نتيجة لخطئه هو، بل فعلة قامت بها ساحرة البني-جيزيرت تلك. وأن سيده كان ضعيفا، سمح للعواطف بأن تعمي عقله. فالمنتات ينظرون بتقدير للقادرين على موازنة الأمور دون تدخل العاطفة يا نيفود. سنجتذب إلينا ظوفر حواط الذي لا يقهر"
"سنجتذبه إلينا يا سيدي"
"حواط - لسوء حظه - كان يعمل عند سيد مصادره المالية ضعيفة.. سيد عاجز عن الصعود بالمنتات لذُرى العمليات العقلية التي يستحقها كل منتات. سيرى حواط قدرا من الحقيقة في هذا الكلام، إذ كان الدوق عاجزا عن دفع مصاريف جواسيس أكفاء قادرين على تزويد منتاته بالمعلومات الاستخباراتية المطلوبة"
ثم حدق البارون في نيفود وقال: "دعنا لا نخدع أنفسنا يا نيفود. إن الحقيقة هي سلاح قوي. إننا نعلم جيدا كيف اجتحنا آل أتريديز وهزمناهم. وحواط أيضا يعلم. لقد فعلناها باستخدام الثروة"
"بالثروة يا سيدي"
قال البارون: "سنستميل حواط. سنخفيه عن أعين الساردوكار. وسنحتاط لأنفسنا، فلن نمتنع الآن عن وضع الترياق المضاد للسم. لا يمكن نزع السم طويل المفعول من الجسد. ويجب ألا يرتاب حواط في الأمر إطلاقا يا نيفود. شمام السموم لا يكشف وجود ترياق. فليفحص حواط طعامه كما يشاء، فلن يجد أثرا لسم"
اتسعت عينا نيفود عندما فهم الأمر.
قال البارون: "إن انعدام وجود شيء قد يكون مماثلا في خطورته لوجود شيء آخر. انعدام الهواء مثلا، أو عدم وجود الماء. عدم وجود أي شيء نحن مدمنون عليه"، وأومأ البارون وأكمل: "تفهمني يا نيفود؟"
ابتلع نيفود لعابه وقال: "أجل يا سيدي"
"إذن أسرع وأتم الأمر. ابحث عن قائد الساردوكار وابدأ في تنفيذ الخطة"

"في الحال يا سيدي". انحنى واستدار وأسرع مبتعدا.
فكر البارون: حواط إلى جواري! سيسلمه لي الساردوكار. كل ما يمكن أن يرتابوا فيه هو أني أرغب في القضاء على المنتات. وسأقوم بتأكيد هذا الارتياب عندهم! الحمقى! واحد من أخطر المنتاتات في التاريخ - منتات مدرَّب على القتل - وسيلقوه لي هكذا وكأنه لعبة سخيفة يراد كسرها. سأريهم كيف يمكن أن تكون لعبة كهذه ذات نفع.
مد البارون يده تحت إحدى الستائر المجاورة لسريره المعلق وضغط زرا لاستدعاء ابن أخيه الأكبر، رابان. وعاد بظهره للوراء مبتسما.
وها هم كل آل أتريديز قد ماتوا!
بالطبع كان قائد الحرس الغبي على حق. فمن المؤكد أنه لا ينجو شيء يكون في مسار العواصف الرملية على أراكس. لا أورنيثوبتر ولا ركابها.
المرأة والصبي قد ماتا.
الرشاوي المقدمة للأشخاص المناسبين.. حجم الإنفاق الهائل لإحضار قوة عسكرية ضخمة للهجوم على هذا الكوكب.. كل التقارير المعلوماتية الماكرة التي تمت صياغتها بحيث تستميل أُذن الإمبراطور على وجه الخصوص.. كل التخطيط الدقيق قد أثمر ثمرته في النهاية.
السلطة القوية والخوف.. الخوف والسلطة!
كان باستطاعة البارون أن يتخيل المسار الممتد أمامه. يوما ما سيصبح أحد آل هاركونن هو الإمبراطور.
ليس هو، ولا ابنا من صلبه، لكن هاركونن على أية حال.
ليس هذا الرابان الذي استدعاه بالطبع.. بل أخو رابان الصغير.. الفتى فايد-راوثا.
كان الفتى يتمتع بحدة تثير إعجاب البارون.. شراسة.
فكر البارون: ولد ظريف. بعد سنة أو سنتين - عندما يصبح في الـ 17 مثلا - سأعرف بشكل مؤكد إن كان هو الأداة التي تحتاجها عائلة هاركونن للوصول للعرش أم لا.
"سيدي البارون"
كان الرجل الواقف خارج باب الطاقة التابع لغرفة نوم البارون قصير البنية، سمين الوجه والجسد، وتبدو عليه صفات ذكور آل هاركونن الوراثية.. اقتراب العينين من بعضهما وبروز الكتفين. كانت سمنته لا زال بها بعض الصلابة، لكن كان واضحا للناظر أنه سيأتي اليوم الذي سيحتاج فيه للاستعانة بمضادات الجاذبية المحمولة كي ترفع وزنه الزائد.
فكر البارون: إنه دبابة عقلها في عضلاتها. ليس ابن أخي منتاتا.. ليس مثل بايتر دي فرايز، لكن ربما يكون أداة تناسب بدقة المهمة المطلوبة. لو أعطيته الحرية للقيام بالأمر فسيطحن كل ما يقف في طريقه. أوه، كم سيكرهونه هنا على أراكس!
قال البارون: "رابان العزيز"، وأوقف عمل باب الطاقة، لكنه - عن قصد - ترك درع الطاقة الشخصي المحيط بجسده مضبوطا على أقصى درجاته، عالما أن التألق الناتج عنه سيكون ظاهرا على ضوء كرة الإنارة المجاورة لسريره.
قال رابان: "استدعيتني؟"
خطا داخلا الغرفة وألقى نظرة سريعة على تموج الهواء الناتج عن درع الطاقة المحيط بالجسد. بحث عن مقعد مضاد للجاذبية فلم يجد أية مقاعد.
قال البارون: "اقترب كي أراك بوضوح"
تقدم رابان خطوة أخرى مفكرا أن العجوز اللعين قد أزال كل المقاعد عن قصد، كي يجبر الزوار على الوقوف.

قال البارون: "آل أتريديز ماتوا.. عن آخرهم. لهذا جئت بك هنا إلى أراكس. هذا الكوكب قد صار تحت سلطتك مرة أخرى"
طرف رابان بعينه وقال: "لكني كنت أظن أنك ستضع بايتر دي فرايز في منصب الـ..."
"بايتر أيضا قد مات"
"بايتر؟"
"بايتر"
أعاد البارون تشغيل باب الطاقة، وجعله يحجب كل الموجات عن اختراقه.
قال رابان: "مللتَ منه أخيرا إذن؟"
بدا صوته معدنيا ومعقما لوجوده في غرفة محجوبة الموجات.
قال البارون: "سأخبرك بشيء ما لمرة واحدة فقط لن تتكرر. إنك تلمح إلى أني قضيت على بايتر، كما يقضي المرء على شيء تافه"
فرقع بأصابعه السمينة: "هكذا مثلا؟.. لستُ غبيا لهذه الدرجة يا ابن أخي. ولن يكن رد فعلي رحيما إن اقترحتَ مجددا - سواء بكلامك أو أفعالك - أني غبي لهذه الدرجة"
ضاقت عينا رابان وبدا فيهما الخوف. كان يعلم الحدود التي قد يسمح البارون العجوز فيها لنفسه بمعاقبة أحد أفراد الأسرة. نادر جدا أن يكون العقاب بالموت، إلا لو كان الأمر سيؤدي لربح هائل أو ناتج عن إثارة غضب هائل. لكن حتى العقاب الأسري المعتاد قد يكون مؤلما.
قال رابان: "سامحني يا سيدي البارون". وخفض عينيه، ليس فقط لإظهار خضوعه بل - بدرجة أكبر - لإخفاء غضبه.
قال البارون: "لم أنخدع بحركتك هذه يا رابان"
أبقى رابان عينيه منخفضتين، وازدرد لعابه.
قال البارون: "قصدي هو توضيح نقطة معينة. لا تقضي على إنسان دون تفكير، كالطريقة التي يقوم بها سكان إقطاع كامل بإنهاء حياة رجل عن طريق تنفيذ القانون عليه. بل قم بالأمر بسبب وجود هدف هام لا يمكن تجنبه.. واعرف هدفك هذا جيدا"
ظهر الغضب في كلمات رابان وهو يقول: "لكنك قضيت على الخائن يوي! لقد رأيت بنفسي جثته وهي تُحمل أثناء وصولي ليلة أمس"
حدق رابان في عمه، وقد أرهبه صوت هذه الكلمات فجأة.
لكن البارون ابتسم وقال: "إني حذر للغاية عند التعامل مع الأسلحة الخطيرة. دكتور يوي كان خائنا، وقدم لي الدوق"، ثم أُفعم صوت البارون بالقوة وأكمل: "لقد استملتُ طبيبا من مدرسة الصك! من أخص دوائرها الداخلية! هل تسمعني يا ولد؟ لكن هذا النوع من الأسلحة متهور ولا يجب تركه ملقىً هكذا. لم أقضي عليه لمجرد نزوة عابرة"
"هل يدري الإمبراطور أنك نجحت في استمالة طبيب قد برمجته مدرسة الصك؟"
فكر البارون: لقد كان هذا سؤالا ثاقبا. هل أسأت في حكمي على ابن الأخ هذا؟
قال البارون: "لا يدري الإمبراطور بهذا الأمر بعد. لكن جنوده الساردوكار لا شك سيبلغونه به. لكن قبل أن يحدث هذا سأكون قد قدمت له تقريري الخاص عبر قنوات الاتصال في شركة شوم. سأشرح له أني - بالصدفة ولحسن الحظ - عثرت على طبيب كان يدعي أنه قد خضع للبرمجة العقلية. أي أنه كان طبيبا مزيفا. فهمت؟ وحيث أن الجميع متأكدون من

استحالة كسر برمجة طبيب متخرج من مدرسة الصك فسيصدقون ما أقول، كما هو متوقع"
غمغم رابان: "آآه، فهمت"
ففكر البارون: أتمنى أن تكون قد فهمت فعلا. أتمنى أن تستوعب أهمية أن يبقى هذا الأمر سرا.
تساءل البارون فجأة في نفسه: لم فعلتُ هذا؟ لماذا تفاخرت وكشفت الأمر أمام ابن أخي الأحمق هذا.. ابن الأخ الذي سأضطر لاستغلاله ثم التخلص منه؟
غضب البارون من نفسه وشعر بأنها خانته.
قال رابان: "ينبغي أن يظل هذا الأمر سرا طي الكتمان. أفهم هذا"
تنهد البارون وقال: "هذه المرة أعطيك تعليمات مختلفة بشأن حكم أراكس يا ابن أخي. عندما حكمتَ هذا المكان آخر مرة كنت أكبح جماحك بشدة. أما هذه المرة فأطلب منك شيئا واحدا فقط"
"سيدي؟"
"الدخل"
"الدخل؟"
"هل عندك يا رابان أدنى فكرة عن التكاليف التي أنفقناها كي نحضر قوة عسكرية بهذا الحجم إلى أراكس؟ هل تدري أي شيء عن الأثمان التي تطلبها نقابة الفضاء مقابل نقل الجيوش؟"
"غالية؟"
"غالية!"
أشار البارون بذراع سمينة لرابان: "حتى لو استطعتَ عصر أراكس والحصول على كل فلس من إنتاجه لمدة 60 سنة قادمة فسيكون هذا كافيا بالكاد لتعويض ما أنفقناه!"
فغر رابان فمه ثم عاد وأغلقه دون أن ينبس بكلمة.
قال البارون متهكما: "غالية. إن احتكار النقابة لوسائل النقل الفضائي كاد يفلسنا تماما لو لم أكن قد خططت لهذه النفقات منذ فترة طويلة. عليك أن تعلم يا رابان أننا من تحمل وطأة الثمن بأكمله بمفردنا. بل ودفعنا تكاليف نقل الساردوكار أيضا"
وتساءل البارون - ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تخطر له هذه الخاطرة - إن كان من الممكن أن يأتي يوم في المستقبل لن يضطر المرء فيه إلى أن يتعامل مع النقابة. كانت طريقة تعاملهم ماكرة.. يمتصون من دم الضحية أكبر قدر يمكن مصه دون أن يؤدي لثورتها ضدهم، إلى أن يتمكنوا منك تماما وتقع في قبضتهم، حينها يجبرونك على الدفع والدفع ثم الدفع.
ودائما ما كانت مطالبهم الباهظة ترتبط بالمشاريع العسكرية. كان وكلاء النقابة لزجو الأسلوب يقولون مبررين: إنها أسعار سببها خطورة المجازفات. ومقابل كل عميل سري تنجح في زرعه كجاسوس في هيكل بنك النقابة يقومون هم بزرع اثنين في منظومتك أنت. شيء لا يطاق!
قال رابان: "التركيز سيكون على الدخل إذن"
خفض البارون ذراعه وجمع يده في قبضة: "عليك أن تعتصرهم"
"ومسموح لي أن أفعل ما أريد طالما أقوم بالاعتصار؟"
"كل ما تريد"
قال رابان: "المدافع التي أحضرتها معك. هل يمكن أن..."
قال البارون: "سأنزعها وآخذها معي"

"لكنك ق..."
"لن تحتاج مثل هذه الألعاب. لقد كانوا ابتكارا مخصوصا لشيء معين ثم أصبح عديم القيمة الآن. ونحن في حاجة لمعدنها. إنها أسلحة عاجزة عن اختراق دروع الطاقة يا رابان. ولم يكن استخدامها سوى لأنها كانت مفاجأة غير منتظرة، إذ كان من المتوقع أن رجال الدوق سيتراجعون محتمين بكهوف الجروف الصخرية الموجودة على هذا الكوكب اللعين. وكل ما قامت به مدافعنا هو أنها احتجزتهم في الداخل"
"الفريمن لا يستخدمون دروعا"
"بإمكانك أن تحتفظ ببعض أسلحة الليزر إن أردت"
"حسنا يا سيدي. وسأكون مطلق اليد في التعامل؟"
"طالما أنك تعتصر"
كانت ابتسامة رابان تنم عن سعادة بالغة: "أفهمك تمام الفهم يا سيدي"
زمجر البارون: "إنك لا تفهم أي شيء تمام الفهم.. دعنا نكن واضحين في هذا من البداية. ما تقدر على فهمه هو كيفية تنفيذ طلباتي. ألم يخطر لك يا ابن أخي أنه يوجد على هذا الكوكب 5 ملايين شخص على الأقل؟"
"وهل نسى سيدي أني كنت السردار الحاكم هنا من قبل؟ ثم - وليعذرني سيدي على هذا - تقديرك قد يكون أقل من العدد الصحيح. فمن الصعب إحصاء السكان ما داموا مبعثرين هكذا بين مناطق القيعان والأغوار. ثم إن وضعت الفريمن أيضا في الاعتبار ف..."
"الفريمن لا يستحقون أن نضعهم في الاعتبار!"
"اعذرني يا سيدي، لكن الساردوكار يظنون العكس"
تردد البارون وحدق في ابن أخيه: "هل وصلتك معلومة معينة بهذا الشأن؟"
"عندما وصلتُ ليلة أمس كان سيدي قد خلد للنوم بالفعل. سمحت لنفسي بالتواصل مع بعض ضباطي الذين كانوا يعملون عندي.. في السابق. إنهم يعملون كمرشدين للساردوكار الآن. وأبلغوني أن فرقة من الفريمن كمنت لبعض جنود الساردوكار في مكان ما بالجنوب الشرقي من موقعنا هذا، وأفنتهم عن بكرة أبيهم"
"قضوا على جنود ساردوكار؟"
"أجل يا سيدي"
"مستحيل!"
هز رابان كتفيه.
قال البارون في نبرة ساخرة: "فريمن يهزمون ساردوكار"
قال رابان: "إني أخبرك بما وصلني. يقال أن فرقة الفريمن هذه كانت بالفعل قد أسرت رجل الدوق المهاب.. ظوفر حواط"
"آآه". هز البارون رأسه وابتسم.
قال رابان: "إني أصدق التقرير. فلا تتصور كم كنا نعاني من الفريمن في السابق"
"ربما. لكن من رآهم ضباطك لم يكونوا من الفريمن. بالتأكيد هم جنود من آل أتريديز دربهم حواط وتنكروا في هيئة الفريمن. هذه هي الإجابة المنطقية الوحيدة"
ومن جديد هز رابان كتفيه. "ما أعلمه هو أن الساردوكار يعتقدون أنهم فريمن فعلا. وقد بدأ الساردوكار بالفعل في تنفيذ خطة ممنهجة للقضاء التام على كل الفريمن"

"جميل!"
"لكن..."
"سينشغل الساردوكار بهذا بينما سنحصل نحن على حواط قريبا. أنا متأكد من هذا! أشعر به! لقد كان يوما مجيدا! انطلق الساردوكار يصطادون بضعة فرق صحراوية عديمة النفع بينما حصلنا نحن على الجائزة الحقيقية!"
"سيدي..."، وتردد رابان وظهر العبوس على وجهه: "لطالما شعرتُ أننا نبخس من قوة الفريمن.. سواء فيما يخص عددهم أو..."
"تجاهلهم يا فتى! إنهم غوغاء. ما يثير اهتمامي هو البلدات والمدن والقرى العامرة بالسكان. بها عدد كبير من البشر أليس كذلك؟"
"عدد كبير يا سيدي"
"إنهم يثيرون قلقي يا رابان"
"قلقك؟"
"90% منهم عديمو الخطر بالطبع. لكن دائما ما تكون هناك قلة.. أسر صغار النبلاء وأشباههم.. أصحاب طموحات، وقد يحاولون الإقدام على فعل خطير. إن حدث وسافر أحدهم تاركا أراكس ومعه قصة مزعجة توضح ما حدث هنا، فسأكون مستاء للغاية. هل عندك أي فكرة عن حجم الاستياء الذي سأكون عليه ساعتها؟"
ازدرد رابان لعابه.
قال البارون: "عليك أن تتخذ إجراءات فورية بالتحفظ على رهينة من كل بيت من بيوت أسر صغار النبلاء المحليين. ما يجب أن يظنه كل شخص يعيش على أي كوكب آخر بعيد عن أراكس هو أن ما حدث كان مجرد معركة معتادة من المعارك التي تدور بين أسرتين من كبار النبلاء، وأن الساردوكار لا علاقة لهم بالأمر إطلاقا. هل تفهمني؟ وأن الدوق عُرض عليه أن يعيش في مأوى بعيد، منفى، كما هو معتاد في هذه الحالات، لكنه تُوفي في حادثة مؤسفة قبل أن يتمكن من الموافقة. لكنه كان على وشك الموافقة. هذه هي القصة الرسمية. وأي إشاعة تقول أن الساردوكار كانوا هنا يجب أن تقابل بالسخرية والتهكم"
قال رابان: "كما أراد الإمبراطور"
"كما أراد الإمبراطور"
"وماذا عن المهربين؟"
"لا أحد يصدق المهربين يا رابان. الناس تحتمل وجودهم لكن لا تصدق ما يقولون. وعلى أية حال سيكون عليك أن توزع بعض الرشاوي بينهم.. وستتخذ أيضا إجراءات أخرى أظن أنك قادر على التفكير فيها"
"أجل يا سيدي"
"إذن ما أريده منك على أراكس هو شيئان يا رابان: الدخل المادي وقبضة لا ترحم. لا يجب أن تُظهر أية رحمة هنا. انظر لهؤلاء البلهاء على حقيقتهم.. عبيد يحقدون على سادتهم وينتظرون أية فرصة مواتية للتمرد. لا تُرهم منك ذرة شفقة أو رحمة"
قال رابان: "وهل باستطاعة أحد أن يفني سكان كوكب بأكمله؟"
"إفناء؟"، وبدت دهشة البارون في التفاتته السريعة: "من قال أي شيء عن الإفناء؟"
"لقد افترضت أنك تنوي إحضار شعب جديد لي..."

"لقد قلت اعتصار يا ابن أخي، لا إفناء. لا تهدر السكان، بل اسحقهم بحيث يصلوا لحالة خضوع تام. يجب أن تصبح حيوانا مفترسا يا بني"
وابتسم، وعلا وجهه السمين ذي الغمازات تعبير طفولي. "الحيوان المفترس لا يتوقف أبدا. لا تظهر لهم أية رحمة. لا تتوقف أبدا. إن الرحمة هي كائن خرافي يمكن أن يُهزم عندما تأن المعدة من الجوع ويصرخ الحلق من العطش. عليك أن تظل دائما جوعان وعطشان"
وربت البارون على نتوءات جسده الظاهرة من تحت مضادات الجاذبية وقال: "مثلي"
"أفهم يا سيدي". أدار رابان بصره يمنة ويسرة.
"هل اتضح كل شيء الآن يا ابن أخي؟"
"باستثناء أمر واحد يا عمي.. كاينز الخبير الكوكبي"
"آه، بالطبع.. كاينز"
"إنه رجل الإمبراطور يا سيدي، وبإمكانه الحضور والذهاب كما يشاء. وهو مقرب للغاية من الفريمن.. وتزوج واحدة منهم"
"بحلول مساء الغد سيكون كاينز قد مات"
"إنها فعلة خطيرة يا عمي.. قتل موظف إمبراطوري"
قال البارون: "وكيف تظن أني وصلت لموقعي هذا بهذه السرعة؟"
ثم في صوت هادئ، مشحون بمعانٍ مسكوت عنها: "وبالإضافة إلى ذلك، ما كان عليك أن تخشى رحيل كاينز عن أراكس. هل نسيتَ أنه مدمن على البهار؟"
"آه فعلا!"
قال البارون: "من يعلمون حقيقة إدمانهم لن يخاطروا أبدا بالابتعاد عن مصدره. ولا شك أن كاينز يعلم"
قال رابان: "لقد نسيت"
تبادلا النظرات في صمت. ثم لم يلبث البارون أن قال: "وبالمناسبة، ستضع مسألة مخزوني ضمن أولوياتك. عندي كمية كبيرة مخزنة للاستخدام الشخصي، لكن تلك الغارة الانتحارية التي قام بها رجال الدوق قضت على أغلب ما كنا نحتفظ به للبيع"
أومأ رابان: "حاضر يا سيدي"
أشرق وجه البارون: "حسنا، في صباح الغد ستجمع من تبقى هنا من منظمات حكومية وستقول لهم: كلفني إمبراطورنا الباديشي المعظّم بتملك هذا الكوكب وإنهاء كل النزاعات"
"أفهم يا سيدي"
"هذه المرة أنا متأكد أنك فهمت. سنناقش الأمر بتفصيل أكبر في الغد. أما الآن فاتركني لأكمل نومي"
أوقف البارون تشغيل باب الطاقة، وراقب ابن أخيه وهو ينصرف.
فكر البارون: مخ دبابة.. دبابة عقلها في عضلاتها. سيتحول الناس هنا لعجينة دموية عندما ينتهي منهم. ثم عندما أرسل لهم فايد-راوثا ليخفف عنهم الحمل سيهللون لمنقذهم.
فايد-راوثا المحبوب. فايد-راوثا الطيب.. الرحيم الذي أنقذهم من الوحش. فايد-راوثا الذي يتبعه الناس ويضحون بأنفسهم لأجله. عندما يحين هذا الوقت سيكون الفتى قد تعلم كيف يحكم بقسوة لكن بحصانة تجعله يفلت من العاقبة.
لا شك عندي أنه الشخص الذي نحتاجه. سيتعلم.
وله جسم جميل أيضا. إنه ولد ظريف فعلا.

الفصل 27

"في سن الخامسة عشرة كان قد تعلم الصمت بالفعل"

من كتاب "المؤدِّب: تاريخ للأطفال"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

عندما كان بولس يكافح للسيطرة على أجهزة التحكم بالثوبتر انتبه بالتدريج إلى أنه كان يمايز بين قوى العاصفة المتداخلة، وأن إدراكه - الذي يفوق مستوى القدرات المنتاتية - كان يقوم بعمليات حسابية تأخذ في الحسبان أدق التفاصيل.
كان يحس بالهبات الغبارية، والموجات الهوائية المتلاطمة، والاضطرابات الجوية المختلطة، والدوامات العَرَضية التي تقترب من وقت لآخر.
كانت القمرة بالداخل كصندوق غاضب، يضيئه الضوء الأخضر المشع من مؤشرات أجهزة التحكم.
بدا التدفق الغباري الأصفر الداكن - الحادث بالخارج - عديم الملامح، لكن وعيه الداخلي بدأ يطل عبر الحجاب.
فكر: علي أن أعثر على الدوامة المناسبة.
كان قد شعر منذ فترة ليست بالقصيرة أن قوة العاصفة آخذة في الاضمحلال، لكنها كانت مستمرة في هزهم.
انتظر حدوث اضطراب جوي آخر.
بدأت الدوامة كهبة فجائية ارتجفت لها الطائرة بأكملها.
قاوم بولس كل ما يشعر به من خوف وانحدر بالثوبتر يسارا.
رأت جيسيكا مناورة تغيير الاتجاه عندما نظرت لكرة جهاز تحديد الموضع.
صرخت: "بولس!"
أدارتهم العاصفة، وجرفتهم، وأمالتهم، ورفعت الثوبتر كما يرفع ينبوع الماء الحار رقاقة صغيرة، ثم لفظتهم للأعلى وللخارج..
هباءة غبار مجنحة تطير في هواء غباري يدور حول نفسه وينيره القمر الثاني.
نظر بولس للأسفل فرأى عمود الريح الساخن الذي تقيأهم، حوافه ظاهرة بوضوح بسبب ما يحيط به من غبار. ورأى العاصفة المحتضرة تنساب بعيدا في الصحراء وكأنها مجرى نهر جاف.. حركة رمادية في نور القمر تصغر أسفلهما شيئا فشيئا في حين يمتطيان هما التيار الصاعد.
همست جيسيكا: "لقد خرجنا منها"
أدار بولس مركبتهما بعيدا عن الغبار بإيقاع خاطف بينما كان يفحص سماء الليل.
قال: "فلتنا منهم"
شعرت جيسيكا بقلبها يدق في عنف. أجبرت نفسها على الهدوء ونظرت للعاصفة المتضائلة.
أخبرها حسها الزماني أنهما كانا يمتطيان خليط عناصر القوى الطبيعية ذاك لما يقارب الـ 4 ساعات، لكن جزءا من عقلها كان ينظر للوقت الذي مضى وكأنه حياة بأكملها.
شعرت بأنها ولدت من جديد.
خطر لها أن الأمر كان يشبه كلمات استعاذة الخوف. لقد واجهناه ولم نقاومه.

مرت العاصفة خلالنا وحولنا.
مضت هي وبقينا.
قال بولس: "لست مستريحا لصوت حركة أجنحتنا. أصيب ذلك الموضع بعطب ما"
عبر يديه القابضتين على أجهزة التحكم شعر بأن حركة الطيران خشنة ومتثاقلة. كانا قد خرجا من العاصفة لكنهما لم يدخلا بعد مجال رؤاه الاستبصارية الكامل.
لكنهما قد هربا على أية حال..
وشعر بولس بأنه يرتجف وعلى وشك استقبال رؤيا غيبية جديدة.
ارتعش.
كان الإحساس مغناطيسيا ومرعبا، ووجد نفسه غارقا في بحث السبب وراء هذا الارتجاف الإدراكي.
شعر بأن جزءا من السبب كان تشبّع الطعام على أراكس بالبهار.. لكنه شعر أيضا أن جزءا آخر قد يكون سببه هو استعاذة الخوف، كما لو كان للكلمات قوتها الخاصة.
"يجب ألا أخاف ..."
السبب والمسبَّب: لقد ظل حيا على الرغم من وجود قوى شريرة خبيثة، وشعر أنه على شفا الدخول في حالة إدراك ذاتي ما كان لها أن توجد لولا سحر كلمات الاستعاذة.
طنت في ذاكرته كلمات من الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي:
"أي حواس نفتقد بحيث نعجز عن أن نرى أو نسمع عالما آخر يحيط بنا؟"
قالت جيسيكا: "تحيطنا صخور من كل اتجاه"
ركز بولس على انطلاق الثوبتر، وهز رأسه كي ينفض عنها ما كان يشغله. نظر لحيث أشارت أمه، فرأى على الرمال أمامه وعلى يمينه تكوينات صخرية سوداء بارزة.
أحس بتيار هواء حول كاحليه، وبغبار يدور داخل القمرة. كان ببدن الطائرة ثقب في مكان ما. أثر إضافي من آثار العاصفة.
قالت جيسيكا: "من الأفضل أن تجعل هبوطنا على الرمال لا الصخور، فالأجنحة قد لا تحتمل الضغط الذي سينتج عن المكابح"
أومأ برأسه ناحية موضع تبرز فيه - فوق الكثبان - سلاسل صخرية نحتتها الرياح الرملية.
"سأهبط بنا بالقرب من تلك الصخور. تأكدي من ربطك لحزام الأمان"
أطاعته مفكرة: معنا ماء وبذلات تقطير. لو استطعنا العثور على طعام لأمكننا أن نظل أحياء لفترة طويلة في هذه الصحراء. الفريمن يستطيعون العيش هنا. ما يقدرون عليه سنقدر نحن أيضا عليه.
قال بولس: "اركضي متجهة لتلك الصخور في اللحظة التي نتوقف فيها. وسأتولى أنا أمر الحقيبة"
"أركض لـ..."
ثم صمتت وأومأت قائلة: "بسبب الديدان"
قال مصححا لها: "صديقتنا الديدان، إذ سيلتهمون هذه الثوبتر. لن يوجد أي دليل يشير لمكان هبوطنا"
فكرت: يفكر بطريقة عملية ومباشرة.
أخذا ينزلقان منحدرين أسفل فأسفل.

تحولت حركتهما لاندفاع سريع. مرت مناظر الكثبان كظلال ضبابية، وبرزت الصخور وكأنها جزر.
مست الثوبتر قمة أحد الكثبان بتمايل ناعم، ثم وثبت عابرةً فوق وادٍ رملي، ثم مست كثيبا آخر.
فكرت جيسيكا: إنه يقلل سرعتنا عن طريق الاحتكاك بالرمال.
وانتابها إعجاب بكفاءته.
قال بولس منبها إياها: "تمسكي جيدا!"
سحب مكابح الأجنحة للخلف.. برفق في البداية، ثم بقوة أكبر فأكبر. أحس بهما يتقوسان في الهواء، ومساحتهما الباعية تقل باطراد.
صفّرت الرياح مارة عبر ثنايا وطيّات أشرعة الأجنحة. وفجأة، ودون أي تحذير سوى ترنحٍ لا يكاد يُلحظ، التوى الجناح الأيسر - الذي كانت العاصفة قد أضعفته - للأعلى وللداخل، مرتطما بجانب الثوبتر.
وثبت الطائرة بشكل متكرر على امتداد قمة الكثيب، ومالت لليسار، ثم تدحرجت هابطة على الوجه الآخر للكثيب، دافنةً مقدمتها في الكثيب التالي، وقد أخذت الرمال تنساب من حولها.
استقرا في الجانب ذي الجناح المكسور.. أما الجناح الأيمن فكان مشيرا لأعلى، في اتجاه النجوم.
نزع بولس حزام أمانه بقوة، ودفع نفسه صاعدا لأعلى، مجتازا أمه، وأدار الباب ففتحه.
انهال الرمل من حولهما إلى داخل القمرة، جالبا معه رائحة جافة تشبه رائحة اشتعال حجر القدح.
التقط الحقيبة من المقعد الخلفي وتأكد أن أمه قد تحررت من حزامها.
صعدت على جانب المقعد الأيمن ثم خرجت واستقرت على سطح الثوبتر الخارجي المعدني. تبعها بولس، ساحبا الحقيبة من شريطها.
قال آمرا: "اركضي!"
أشار لجانب الكثيب وما وراءه، حيث بدت لهما صخرة عالية كبرج تبدو عليها آثار نحت ناتج عن هبات الرياح الرملية.
وثبت جيسيكا من الثوبتر وركضت، صاعدةً الكثيب في اندفاع.
من خلفها سمعت لهاث بولس يتقدم.
وصلا لحرف رملي كان مساره منحنيا لأعلى صوب الصخور.
قال بولس آمرا: "اتبعي الحرف الرملي في سَيرك.. سيكون هذا أسرع"
تقدما بصعوبة خائضين في الرمل، قاصدين الصخور، والرمال تتعلق بأقدامهما.
أخذ صوت جديد يخيم على حواسهما.. همس مكتوم، هسيس، كاحتكاك ناتج عن انزلاق جسد ثعباني.
قال بولس: "دودة"
أخذ الصوت يرتفع.
شهق بولس قائلا: "أسرِع!"
كانت أولى المناطق الصخرية الحصوية - كشاطئ ينحدر من الرمل - لا تكاد تبعد عنهما أكثر من 10 أمتار عندما سمعا من ورائهما أصوات الطحن والتكسير المعدنية.
حوّل بولس الحقيبة إلى ذراعه الأيمن، قابضا عليها من شريطها. كانت ترتطم بجانبه بينما هو يجري.
أمسك ذراع أمه بيده الأخرى.
اندفعا متسلقين الصخرة البارزة، صاعدين على سطح مفروش بالحصى وممتد في شكل مجرى ملتوٍ نحتته الرياح.

ترددت الأنفاس في حلقيهما، جافة ولاهثة.
لهثت جيسيكا قائلة: "لا أستطيع الجري أكثر من هذا"
توقف بولس، وضغطها لداخل ممر صخري ضيق، ثم التف ونظر للصحراء أسفل منه.
كان يسير موازيا لجزيرتهم الصخرية جبل متحرك.. تموجات ينيرها القمر.. موجات رملية.. شيء يحفر تحت الأرض ويرتفع في شكل هلالي، يكاد يكون في نفس مستوى نظر بولس، على بعد كيلو متر تقريبا.
انحرفت الكثبان - الناتجة عن مسار الحفر - مرة واحدة، فشكّل مسارها عقدة قصيرة تقاطعت مع البقعة الصحراوية التي تركا فيها الأورنيثوبتر المعطوبة.
وفي المكان الذي مرت به الدودة لم يعد هناك أثر للطائرة.
ابتعد مسار الجبل قاصدا الصحراء الواسعة، واستدار عائدا، وهو يبحث وينقب.
قال بولس هامسا: "إنها تفوق في الحجم سفن نقابة الفضاء. قيل لي أن الديدان يزداد حجمها في قلب الصحراء، لكن لم أدرك أنها بهذه الـ.. ضخامة"
قالت جيسيكا بصوت مبهور: "ولا أنا"
ثم ابتعد الشيء عن الصخور من جديد، وأسرع في مسار منحنٍ متجها نحو الأفق. أصغيا إلي صوت حركته إلى أن طغت عليه أصوات حركة الرمال الرقيقة من حولهما.
أخذ بولس نفسا عميقا، ورفع بصره للجرف الصخري الذي أنارته أشعة القمر الفضية، واقتبس جملة من كتاب العِبَر Kitab al-Ibar:
"سافر ليلا واسترح في الظل نهارا"
نظر لأمه: "لا زال متاحا لنا بضعة ساعات من الليل. هل بإمكانك أن تواصلي؟"
"أمهلني لحظة"
خطا بولس على اللوح الصخري، ووضع الحقيبة على ظهره وضبط موضع شرائطها.
وقف ساكنا للحظة والبارا-بوصلة بين يديه.
قال: "قولي عندما تكوني مستعدة"
دفعت نفسها بعيدا عن الصخرة، وأحست بقوتها تعود لها.
"في أي اتجاه؟"
أشار بيده: "إلى حيث يقودنا هذا الحرف الصخري"
قالت: "إلى عمق الصحراء"
همس بولس: "إلى صحراء الفريمن"
ثم صمت، إذ هزته ذكرى فائقة الوضوح لمنظر استبصاري رؤيوي كان قد رآه في ذهنه وهو على كالادان.
كان قد رأى هذه الصحراء. لكن منظور الرؤيا كان مختلفا بعض الشيء..
كصورة بصرية اختفت بين ثنايا وعيه، وقد تشربتها الذاكرة، ثم لما تم استرجاعها الآن ومقارنتها بالمشهد الحقيقي لم تطابقه تمام المطابقة.
بدت الرؤيا وقد انحرفت، وظهرت له من زاوية رؤية مختلفة، بينما ظل هو ثابتا.
تذكر: في الرؤيا كان أيداهو معنا.. أما الآن فأيداهو ميت.

قالت جيسيكا وقد أخطأت في تفسير تردده: "هل ترى طريقا معينا علينا أن نمضي فيه؟"
قال: "كلا. لكننا سنمضي على أية حال"
أحكم وضع الحقيبة على كتفيه، ثم تقدم سائرا في قناة حفرتها الرمال في الصخور.
انتهت القناة بسطح صخري ممتد مضاء بنور القمر وبه أفاريز ناتئة للتسلق في اتجاه الجنوب.
قصد بولس الإفريز الأول وتسلقه صاعدا.
تبعته جيسيكا.
لاحظت على الفور أن مسارهما صار تركيزا على كل لحظة حالية وما تحويه من تفاصيل:
القطع الرملية التي تفصل بين المناطق الصخرية وما تُسببه من إبطاء خطواتهما..
الألواح الصخرية التي نحتتها الرياح وما تسببه من جروح بأيديهما..
العوائق التي تجبرهما على اختيار من اختيارين: إما العبور فوقها أو الاستدارة حولها.
فرضت التضاريس عليهما إيقاعاتها الخاصة.
لم يتكلما إلا للضرورة، وحتى ساعتها كان صوتهما أجش ومبحوحا من الإرهاق.
"خذي حذرك هنا.. فهذا الإفريز زلق بسبب الرمال"
"احترسي كي لا ترتطم رأسك بهذا النتوء المعلق"
"ابق تحت هذا الجرف، فالقمر في ظهورنا وسيفضح حركتنا لأي شخص يوجد هناك"
توقف بولس عند منعطف صخري، وأسند الحقيبة على إفريز ضيق. مالت جيسيكا بجواره، شاكرة للحظة الراحة هذه.
سمعت بولس يسحب الماء من أنبوب بذلة تقطيره، فرشفت أيضا من الماء المستعاد من جسدها.
كان مذاقه مالحا، فتذكرت مياه كالادان..
نافورة عالية تفيض كقبة سماوية.. كل شيء غني بالرطوبة بحيث لا ينتبه إليها الناس لهذا السبب بل لشكلها أو للصور المنعكسة عليها أو لصوتها بينما تقف قريبا منها.
فكرت في التوقف.. في الراحة. في راحة حقيقية.
خطر لها أن تعريف الرحمة هو القدرة على التوقف، ولو للحظة. لا رحمة حيث لا يُسمح بالتوقف.
دفع بولس جسده بعيدا عن الإفريز الصخري واستدار وتسلق سطحا مائلا.
تنهدت جيسيكا وتبعته.
انزلقا هابطين على سطح صخري واسع يدور حول صخرة عمودية. ومن جديد استمرا في التقدم بإيقاع الحركات المضطرب عبر هذه التربة المشققة.
شعرت جيسيكا أن الليل كانت تسوده درجات متباينة من الأشياء الصغيرة الموجودة تحت أقدامهما وبين أيديهما..
جلاميد، أو حصباء، أو قشور صخرية، أو حبات رمل كروية، أو الرمال نفسها، أو الغبار الخشن، أو مسحوق البودرة الرقيق.
كان المسحوق يتسبب في سد مرشحات الأنف مما يستوجب نفخه.
الحصباء والرمل الكروي كالبازلاء كانت تنزلق على السطوح الصلبة، مما قد يجعلك تتعثر إن لم تكن منتبها لها.
والقشور الصخرية كانت تجرح الجلد.
أما مساحات الرمل الموجودة في كل مكان فتعيق حركة أقدامهما.

توقف بولس دون مقدمات على مسطح صخري، وأسند أمه إذ تعثرت فيه.
كان يشير يسارا، فنظرت على امتداد ذراعه فرأت أنهما كانا يقفان على قمة جرف بينما امتدت الصحراء - تحتهما بمسافة 200 متر تقريبا - كمحيط ساكن.
كانت تملؤها موجات ينيرها القمر بنوره الفضي.. زوايا ظلال تهبط منحنية.. وعلى البعد يرتفع - في الجو الرمادي الضبابي - جرف آخر.
قالت: "صحراء مفتوحة"
قال بولس: "مكان واسع علينا اجتيازه"
وكان صوته مكتوما بسبب كمامة المرشح على وجهه.
ألقت جيسيكا بنظرها يمنة ويسرة.. فلم ترى أسفلها سوى الرمال.
صوب بولس بصره للأمام عبر الكثبان الممتدة، مراقبا حركة الظلال الناتجة عن حركة القمر.
قال: "المسافة حوالي 3 أو 4 كيلو مترات"
قالت: "ديدان"
"لا شك"
انصب اهتمامها على ما تحس به من إرهاق.. على ألم العضلات الذي كان يغشى حواسها. "هلا ارتحنا وأكلنا"
خلع بولس الحقيبة، وجلس أرضا ومال عليها.
أسندت جيسيكا نفسها بوضع يدها على كتفه وهي تغوص جالسة على الصخرة المجاورة له.
شعرت ببولس يستدير بينما تضبط هي جلستها، وسمعته يعبث في الحقيبة.
قال: "خذي"
كانت يده جافة عندما لمس يدها ووضع في راحتها كبسولتي طاقة مأكولة. ابتلعتهما على مضض مع رشفة ماء من أنبوب بذلة تقطيرها.
قال بولس: "اشربي كل ما معك من ماء. فالحكمة تقول: أفضل مكان لحفظ ماءك هو بداخل جسدك. فهذا يحفظ عليك نشاطك، وتصبح أقوى. ثق ببذلة التقطير"
أطاعته، وشربت ما بجيوبها التجميعية حتى الثمالة، شاعرة بطاقتها تعود لها.
خطر لها أن السلام يسود لحظة تعبهما هذه، وتذكرت أنها سمعت الشاعر المحارب جيرني هاليك وهو يقول:
لقمة ناشفة تؤكل في هدوء أفضل من بيت مليء بلحوم الذبائح والنزاعات"
كررت الكلمات على مسامع بولس.
قال: "هكذا كان جيرني"
انتبهت لنبرة صوته، وطريقته في التحدث عن الشخص وكأنه قد مات بالفعل.
فكرت: وغالبا جيرني المسكين ميت فعلا. فقوات الأتريديز إما موتى أو أسرى أو تائهون مثلهما في هذا الفراغ معدوم الماء.
قال بولس: "كان جيرني دائما يستشهد بالاقتباس المناسب. أكاد أسمعه الآن يقول: 'وسأجعل الأنهار يابسة وأبيع الأرض إلى أيدي الأشرار وأخرّب الأرض وما فيها بيد الغرباء'"[15]
أغلقت جيسيكا عينيها، وشعرت أنها موشكة على البكاء تأثرا بنبرة الرثاء البادية في صوت ابنها.

15 سفر حزقيال 30: 12 (المترجم)

لم يلبث بولس أن قال: "كيف تـ... تشعرين؟"
أدركت أنه يقصد بسؤاله حملها، فقالت: "لن تولد أختك إلا بعد شهور طويلة. لا زلت أشعر بأني.. قادرة جسديا"
وفكرت: يا لها من طريق رد شديدة الرسمية في حين أني أتكلم مع ابني!
ثم - ولأن طريقة البني جيزيرت هي التركيز على البحث النفسي الداخلي عن تفسير لتصرف غريب كهذا - بحثت فوجدت مصدر هذا الرد الرسمي: إني خائفة من ابني.. من غرابته.. مما قد يراه في مستقبلنا.. مما قد يخبرني به.
شد بولس قلنسوته فوق عينيه، وأصغى لصوت الحشرات في الليل. كانت رئتاه مشحونتين بصمته.
شعر بحكة في أنفه فنزع المرشح، مما جعله ينتبه لرائحة القرفة القوية.
قال: "يوجد مزيج بهار في موضع قريب"
داعبت ريح ريشية خفيفة وجنتي بولس، وحركت ثنايا بُرنسه Burnoose. لكن هذه الريح لم تكن تنذر بهبوب عاصفة.
كان بالفعل قد بدأ يتعلم التمييز بين الرياح المختلفة.
قال: "سيحين الفجر بعد قليل"
أومأت جيسيكا موافقة.
قال بولس: "هناك طريقة للعبور بأمان خلال المناطق الرملية المفتوحة هذه. فالفريمن ينجحون في القيام بهذا"
"والديدان؟"
قال بولس: "إن قمنا هنا بزرع دقّاق من عدتنا الفريمنية قبل أن نرحل عن هذه الصخور، فستنشغل الدودة به لبعض الوقت"
رمقت المساحة الصحراوية المضاءة بنور القمر والممتدة بينهما وبين الجرف التالي: "وقت يكفي لعبور مسافة 4 كيلو مترات؟"
"ربما. وإن عبرنا المنطقة دون أن تصدر منا أية أصوات سوى أصوات الطبيعة.. النوع الذي لا يجذب الديدان..."
تأمل بولس الصحراء الواسعة، مفتشا في ذاكرته الاستبصارية، محاولا سبر غور التلميحات الواردة في دليل عدة الأدوات الفريمنية - الذي كان يوجد ضمن حقيبة هربهما - عن الدقاقات وخطاطيف الصانع.
وجد أنه من الغريب أن كل ما يشعر به تجاه الديدان هو رهبة تامة.. إذ كان يعلم - كما لو كانت تلك المعلومة تقبع على الحافة البعيدة لإدراكه - أن الديدان يجب أن يُنظر لها باحترام لا بخوف. خصوصا لو.. لو..
نفض الخاطرة عن رأسه.
قالت جيسيكا: "ينبغي أن تكون أصواتا لا إيقاع لها"
"ماذا؟ آه، بالطبع. إن كسرنا إيقاع خطواتنا.. فالرمال نفسها بالتأكيد تنزلق في بعض الأوقات، ولا يُعقل أن الديدان تأتي للتفتيش عن مصدر كل صوت صغير صادر. لكن علينا أن نكون قد ارتحنا جيدا قبل أن نجرب هذا"
نظر لحائط الصخور البعيد المقابل، ورأى هناك دلائل مرور الوقت في حركة الظلال العمودية الناتجة عن نور القمر.
"سيحل الفجر في أقل من ساعة"
سألت: "وأين سنقضي النهار؟"
استدار بولس يسارا وأشار بيده: "في تلك المنطقة ينحرف الجرف ملتفا، عائدا للشمال. بإمكانك أن تري - من الطريقة التي نحتته فيها الريح - أن ذلك الوجه هو الوجه المواجه لاتجاه الرياح. وبالتالي ستوجد صدوع متكونة هناك.. صدوع عميقة"
قالت: "أليس من الأفضل أن نبدأ إذن؟"
اعتدل واقفا، وأعانها كي تنهض على قدميها.
"هل ارتحتِ بما يكفي للهبوط؟ أريد أن نصل لأقرب مكان ممكن من الأرضية الصحراوية قبل أن ننصب الخيمة"

"ارتحت بما يكفي"، وأومأت له برأسها كي يتقدمها.
تردد للحظة ثم رفع الحقيبة ووضعها على كتفيه واستدار على امتداد الجرف.
فكرت جيسيكا: ليتنا كنا نملك بعض مضادات الجاذبية. لكان الأمر أسهل كثيرا ولقفزنا لأسفل ببساطة. لكن ربما مضادات الجاذبية هي أيضا من الأشياء التي يجب تجنبها في الصحراء. ربما إنها تجتذب الديدان كما تفعل دروع الطاقة.
انتهيا لسلسلة من الصخور المسطحة المائلة لأسفل، ووراءها شاهدا صدعا، وإفريزه ظاهر في نور القمر يؤدي امتداده لدهليز.
قاد بولس الطريق لأسفل، متحركا بحذر لكن في سرعة حيث أنه كان من الواضح أن نور القمر لن يستمر لفترة أطول.
هبطا دائرين في عالم من الظلال التي تزداد عمقا، وحولهما كانت أشكال صخرية باهتة تتسلق مرتفعة للنجوم.
ضاق الشق الصدعي إلى عرض لا يتجاوز الـ 10 أمتار عند حافة منحدر رملي رمادي باهت اللون، كان مائلا لأسفل ومختفيا في الظلام.
همست جيسيكا: "هل سيكون بإمكاننا الهبوط؟"
"أظن ذلك"
واختبر السطح بلمسة من قدمه.
قال: "يمكن أن ننزلق هابطين. سأتقدم أنا. انتظري حتى تسمعي صوت توقفي"
"احترس"
خطا فوق المنحدر، وانزلق هابطا سطحه الناعم إلى أن وصل لأرضية رملية مضغوطة تكاد تكون مستوية تماما. كان المكان عميقا بين الجدران الصخرية.
ثم سمع خلفه صوت رمال تنهال منحدرة.
حاول أن يرفع بصره في الظلام ليرى أعلى المنحدر، لكن الرمل المنساب كاد أن يسقطه أرضا.
استمر تدفق الرمل ثم ساد الصمت.
قال: "أمي؟"
لم يسمع إجابة.
"أمي؟"
ألقى الحقيبة، ودفع نفسه صاعدا المنحدر، مندفعا في هوج.. حافرا.. ملقيا الرمال كالمجنون.
شهق: "أمي!.. أمي، أين أنت؟"
انهمر فوقه انحدار رملي آخر، دافنا جسده حتى الفخذين، فأخذ يتلوى حتى خلص نفسه منه.
فكر: لقد غطاها انزلاق رملي فدفنها تحته. يجب أن أكون هادئا وأحل الأمر بعناية.
لن تختنق في التو، بل ستُدخل نفسها في حالة جمود بيندو عصبي كي تقلل استهلاك جسدها للأكسجين، إذ تعلم يقينا أني سأحفر وأخرجها.
وتبعا لأسلوب البني-جيزيرت الذي علمته إياه استطاع بولس تهدئة الدق الوحشي لضربات قلبه.. وأفرغ عقله تماما كصفحة بيضاء كي يسمح لذكرى اللحظات القليلة السابقة أن تكتب نفسها عليه.
استرجع عقله كل حركة جزئية وانحناءة حدثت للمنحدر في ذاكرته.. في بطء داخلي تعارض تماما مع الجزء من الثانية الذي استغرقته عملية الاسترجاع هذه في الزمن الخارجي الحقيقي.
تحرك بولس على امتداد الوجه المقعر للمنحدر، فاحصا بحذر، إلى أن عثر على جدار الصدع.. صخور ناتئة منحنية.

بدأ يحفر، ناقلا الرمل برفق كي لا يتسبب في تهاوي منحدر آخر.
عثرت يداه على قطعة قماش، فتتبعها إلى أن وجد ذراعا.
تتبع الذراع برفق، كاشفا عن وجهها.
همس: "هل تسمعيني؟"
لم يتلق ردا.
حفر بشكل أسرع، محررا كتفيها. كان جسدها رخوا بين يديه، لكنه استطاع تمييز وجود دقات قلب بطيئة.
قال لنفسه: جمود بيندو عصبي.
أزاح الرمل إلى وسطها، ووضع ذراعيها على كتفيه ثم سحبها متجها لأسفل المنحدر..
ببطء في البداية ثم ساحبا إياها بأقصى سرعة يقدر عليها، شاعرا بالرمال وقد بدأت تتقوض فوقه.
شدها أسرع فأسرع، لاهثا من المجهود.. مكافحا للحفاظ على توازنه.
وصل لقاع الصدع ذي الرمال المضغوطة، ثم قام بأرجحتها على كتفه وانطلق يركض مترنحا، إذ تهاوى المنحدر بأكمله بصوت مرتفع تردد صداه وتعالى داخل الجدران الصخرية.
توقف عندما وصل لنهاية الصدع المطلة على كثبان الصحراء الرملية البادية تحته على مسافة 30 متر تقريبا.
وضعها على الرمال برفق، وتلفظ بالكلمة التي ستخرجها من حالة الإغماء التخشبي.
بدأت تفيق ببطء، ساحبة أنفاسا عميقة واحدا بعد الآخر.
همست: "كنت متأكدة من أنك ستعثر علي"
رفع بصره للصدع وقال: "ربما كان علي ألا أفعل، رحمةً بك"
"بولس!"
قال: "لقد فقدت الحقيبة. إنها مدفونة تحت 100 طن من الرمال.. على الأقل"
"كل شيء؟"
"الماء الاحتياطي. خيمة التقطير.. كل الضروريات". لمس جيبه وقال: "لا زال معي البارا-بوصلة"
بحث في الوشاح المربوط كحزام حول وسطه: "والسكين والنظارة المكبرة. سيكون بإمكاننا أن ننظر جيدا في أرجاء المكان الذي سنموت فيه"
في تلك اللحظة ارتفعت الشمس فوق الأفق في جهة اليسار، فيما وراء نهاية الصدع.
ومضت ألوان على الرمال في الصحراء المفتوحة. ومن مكان مختف بين الصخور ارتفعت أغنية جوقة من الطيور.
لكن جيسيكا لم تعر انتباها سوى للقنوط البادي في وجه بولس. ملأت صوتها بنبرة توبيخ قائلة: "هل هكذا علّمتك أن تتصرف؟"
قال: "ألا تفهمين؟ كل ما نحتاجه كي نبقى أحياء في هذا المكان يوجد الآن تحت هذه الرمال"
قالت في نبرة هادئة ومتعقلة: "لكنك عثرت علي"
جلس بولس القرفصاء مستندا على كعبيه.
ثم لم يلبث أن رفع بصره للصدع وللمنحدر الجديد، فاحصا إياه، ملاحظا تفكك الرمال.
"إن استطعنا تثبيت مساحة صغيرة من هذا المنحدر والطرف العلوي لحفرة نحفرها في الرمال فربما يمكننا إنزال شبه عمود إلى موضع الحقيبة. الماء قد يقوم بالمهمة لكننا لا نملك من الماء ما يكفي لـ..."

قطع كلامه ثم قال: "رغوة"
سكنت جيسيكا دون أدنى حركة كي لا تعيق عملية التفكير الفائقة التي يقوم بها عقله.
مد بولس بصره للصحراء المفتوحة أمامه، باحثا بأنفه وعينيه، محددا الاتجاه، ثم مركزا انتباهه على بقعة رمل داكنة أسفلهما.
قال: "البهار. فهو في جوهره شديد القلوية. ومعي البارا-بوصلة.. بطاريتها حمضية"
اعتدلت جيسيكا واقفة مستندة على الصخرة.
لم يعرها بولس انتباها، بل قفز واقفا وقصد السطح المقعر المواجه للرياح والذي انحدر من طرف الصدع إلى الأرضية الصحراوية.
راقبت الطريقة التي كان يسير بها، كاسرا إيقاع خطواته..
وقفة.. خطوة.. خطوة.. تزحلق.. وقفة.
لم يكن بها أي رتابة إيقاع قد تتسبب في تنبيه إحدى الديدان المتجولة إلى وجود شيء غير صحراوي يتحرك هنا.
وصل بولس لبقعة البهار، وغرف منها غرفة حملها في طية من ثوبه، ثم عاد للصدع. سكب البهار على الرمل أمام جيسيكا، ثم جلس القرفصاء وبدأ يفك البارا-بوصلة، مستخدما طرف سكينه. نزع وجه البوصلة، ثم حل وشاحه وفرش مكونات البوصلة عليه، ثم التقط البطارية. بعدها نزع دائرة المؤشر، مما ترك في الآلة قسما فارغا يشبه الطبق.
قالت جيسيكا: "ستحتاج ماء"
أمسك بولس طرف أنبوب الماء المجاور لعنقه ومص منه ملء فمه ثم بصق الماء في الوعاء الطبقي.
فكرت جيسيكا: لو فشل هذا الأمر فسيكون هذا الماء قد ضاع هدرا. لكن لن يمثل هذا أهمية حينئذ على أية حال.
باستخدام سكينه شق بولس البطارية وسكب كريستالاتها في الماء. أنتجت بعض الرغوة، ثم هدأت.
لمحت عينا جيسيكا حركةً ما فوقهما. رفعت بصرها فرأت سطرا من الصقور واقفين على حافة الصدع. جثموا هناك محدقين في الماء الموجود أسفل منهم.
فكرت: يا للأم العظمى! بإمكانهم الشعور بوجود ماء حتى من على هذه المسافة!
أعاد بولس تركيب غطاء البارا-بوصلة مكانه، تاركا زر إعادة الضبط دون تركيب، مما كوّن ثقبا صغيرا يؤدي للسائل.
أمسك الجهاز الجديد في إحدى يديه وقبضة بهار في الأخرى ثم عاد صاعدا جانب الصدع، مدققا في شكل المنحدر الرملي.
انتفخ ثوبه برفق لعدم وجود الوشاح الذي يربطه من وسطه.
تقدم خائضا في المنحدر، صاعدا جزءا منه، نافضا عن قدميه الرمل المنساب والمتدفق. ثم لم يلبث أن توقف، وذر حفنة من البهار داخل البارا-بوصلة، وهز الجهاز بما يحتويه.
انبثقت رغوة خضراء من الثقب الذي كان موضع زر إعادة الضبط.
قام بولس بتوجيه الرغوة إلى المنحدر، ناشرا عليه حاجزا منخفضا، ثم بدأ يركل الرمل الذي تحت الحاجز، ومستخدما المزيد من الرغوة لتثبيت وجه الحفرة المتكونة.
تقدمت جيسيكا لموضع قريب منه وصاحت: "هل أساعد؟"
قال: "اصعدي واحفري. أمامنا عمق ثلاثة أمتار. ما لدينا سيكفي بالكاد"
وإذ هو يتكلم توقفت الرغوة عن التدفق من الجهاز.
قال بولس: "بسرعة. فلا يمكن التنبؤ بالفترة التي ستظل فيها الرغوة تحجز الرمال عن الانحدار"
اندفعت جيسيكا تتسلق لجوار بولس بينما كان هو يذر حفنة أخرى من البهار داخل الثقب، ثم أخذ يهز وعاء البارا-بوصلة.

عادت الرغوة تنبثق من جديد.
بينما كان بولس يوجه الحاجز الرغوي، كانت جيسيكا تحفر بيديها، دافعةً الرمال أسفل المنحدر.
قالت لاهثة: "إلى أي عمق؟"
قال: "حوالي 3 أمتار. ثم أني لا أستطيع تحديد الموضع إلا بالتقريب. فربما سنضطر لتوسعة الحفرة"
انتقل خطوة للجانب، مما جعل بعض الرمال المفككة تنساب منزلقة.
"اجعلي حفرك مائلا للخلف.. لا تحفري لأسفل في خط مستقيم"
أطاعته جيسيكا.
وببطء ازداد عمق الحفرة، واصلا لمستوى موازٍ لأرضية الحوض، ومع ذلك لم يظهر للحقيبة أثر.
سأل بولس نفسه: هل أخطأت في تقدير الموضع؟ فأنا من أصيب بالارتباك في البداية وتسبب في هذه المشكلة. هل أدى هذا لزيغان في قدرتي؟
نظر للبارا-بوصلة. لم يبق بها سوى أوقيتين من المركب الحمضي.
وقفت جيسيكا معتدلة داخل الحفرة، ومسحت وجنتيها بيد ملوثة بالرغوة. التقت عيناها بعيني بولس.
قال بولس: "الطرف العلوي. برفق الآن"
وأضاف حفنة بهار أخرى للوعاء، ووجه الرغوة المتدفقة صوب يدي جيسيكا بينما أخذت هي توسع مساحة عمودية في الميل العلوي للحفرة.
في المرة الثانية عثرت يداها على شيء صلب.
ببطء استطاعت الكشف عن شريط طويل له إبزيم بلاستيكي.
قال بولس، وكان صوته يكاد يكون همسا: "لا تحركي أي رمال أخرى. نفدت الرغوة"
قبضت جيسيكا على الشريط بإحدى يديها، ورفعت بصرها إليه.
رمى بولس بالبارا-بوصلة الفارغة على قاع الحوض، وقال: "أعطيني يدك الأخرى. والآن أصغي إلي جيدا. سأقوم بشدك للجانب، نحو جانب المنحدر. لا تتركي هذا الشريط من يدك. لن ينسكب علينا الكثير من الرمال من القمة، فهذا المنحدر قد وازن نفسه واستقر. كل ما سأركز عليه هو أن أحافظ على رأسك بحيث لا تغطيها الرمال. وعندما تمتلئ هذه الحفرة سيكون بإمكاننا أن نحفر ونخرجك ونسحب الحقيبة"
قالت: "فهمت"
"مستعدة؟"
"مستعدة"
وشددت من قبضتها على الشريط.
بجذبة واحدة أخرج بولس نصف جسدها من الحفرة، ممسكا برأسها لأعلى بينما انهار حاجز الرغوة وانهال الرمل لأسفل.
عندما استقر الانهمار وتوقف كانت جيسيكا مدفونة حتى وسطها، وذراعها اليسرى وكتفها لا يزالان تحت الرمال.. أما ذقنها فمحمية بطية من طيات ثوب بولس.
تألم كتفها من الضغط الواقع عليه.
قالت: "لا زلت قابضة على شريط الحقيبة"
ببطء أدخل بولس يده في الرمل المجاور لها، ووجد الشريط.

قال: "معا. شد متزن. لا يجب أن نتسبب في قطع الشريط"
بينما كانا يجذبان الحقيبة لأعلى كان المزيد من الرمال ينساب لأسفل.
عندما تحرر الشريط وظهر على السطح توقف بولس، ثم حرر أمه من وسط الرمال، ثم تعاونا على سحب الحقيبة لأسفل المنحدر، وأخرجاها بعيدا عن المصيدة التي وقعت فيها.
بعد دقائق كانا واقفين على قاع الصدع، يمسكان بالحقيبة بينهما.
نظر بولس لأمه. كانت الرغوة تبقع وجهها وثوبها. والرمال ملتصقة بها في المواضع التي جفت عليها الرغوة.
بدا وكأنها كانت هدفا ألقيت عليه كرات رمل مبتلة وخضراء.
قال: "شكلك ملخبط"
قالت: "قل لنفسك"
أخذا يضحكان، ثم عادا لهدوئهما.
قال بولس: "ما كان يجب لهذا أن يحدث. كان إهمالا مني"
هزت كتفيها، فشعرت بكل الرمل المضغوط تتساقط من ثوبها.
قال: "سأنصب الخيمة. من الأفضل أن تخلعي هذا الثوب وتنفضيه"
ثم استدار، آخذا معه الحقيبة.
أومأت جيسيكا بالإيجاب، وقد حل عليها التعب فجأة فلم تستطع الرد.
قال بولس: "الصخور بها مواضع دق أوتاد. أحدهم نصب خيمته هنا في السابق"
فكرت وهي تنفض ثوبها: ولم لا؟ فالمكان هنا مناسب لهذا. بين جدران صخرية عميقة، وفي مواجهة جرف آخر على بعد 4 كيلو مترات. ويعلو مستوى الصحراء بما يكفي لتجنب الديدان، لكن قريب منها بما يكفي للوصول السريع لها عند الشروع في الانتقال.
استدارت فرأت أن بولس كان قد نصب الخيمة، وأن قبتها - نصف الكروية ذات الأضلاع - منسجمة مع لون جدران الصدع الصخرية.
خطا بولس أمامها، رافعا نظارته المكبرة.
عدّل ضغطها الداخلي بلفة سريعة، وركز العدسات الزيتية على الجرف الآخر المرتفع في الجهة المقابلة من المسطح الرملي الممتد، وقد بدا بصفرة ذهبية في ضوء النهار.
شاهدته جيسيكا وهو يفحص تلك التضاريس التي يوحي منظرها للرائي بأحداث نهاية العالم، وعيناه تدققان في المجاري الرملية والأخاديد.
قال: "توجد أشياء نابتة هناك"
بحثت جيسيكا عن النظارة المكبرة الاحتياطية في الحقيبة المجاورة للخيمة، وصعدت مقتربة من بولس.
قال: "هناك"، ماسكا النظارة في يد ومشيرا بالأخرى.
نظرت لحيث أشار.
قالت: "ساجوارو. نبتات هزيلة"
قال بولس: "ربما يكون هناك بشر يعيشون بالقرب منها"
قالت محذرة: "قد يكون هذا بقايا إحدى محطات الاختبار النباتية"

قال: "هذا الموضع في الصحراء الجنوبية، أبعد من المواضع المعتادة للمحطات"
خفض نظارته المكبرة وحك أسفل طرف مرشح أنفه، شاعرا بجفاف شفتيه وتشققهما، وبالعطش المغبر في فمه.
قال: "تبدو على ذلك المكان ملامح الأماكن الفريمنية"
قالت: "هل نحن على ثقة من أن الفريمن سيعاملوننا بود؟"
"كاينز وعدنا بأنهم سيساعدوننا"
فكرت: لكن هناك حاجة يائسة مبعثها الاحتياج في سكان هذه الصحراء. أنا نفسي شعرت اليوم بشيء من هذا. وشديدو الافتقار قد يقتلوننا للحصول على مائنا.
أغلقت عينيها واسترجعت في ذهنها - على خلفية هذه الأرض الخراب الميتة - مشهدا من كالادان.
رحلة استجمام على كالادان.. هي والدوق ليتو، قبل مولد بولس.
كانا يطيران فوق الأدغال الجنوبية.. يعبران فوق الأعشاب البرية الطويلة وأوراقها المنبثقة، وحقول الأرز في الدلتا. وهناك شاهدا وسط الخضرة الصفوف التي تبدو من بعيد كالنمل.. جماعات من الرجال تحمل حمولاتها على أعمدة كتفية مرفوعة بمضادات جاذبية. وفي المناطق البحرية كانت سفن الداوات الشراعية ثلاثية القطمران Trimaran Dhows تشبه البتلات الزهرية البيضاء.
كل هذا ضاع.
فتحت جيسيكا عينيها على سكون الصحراء، شاعرة بحرارة النهار المتزايدة.
أعمدة حرارية - تتراقص كشياطين لا تهدأ - كانت قد أخذت تصيب الهواء برعشة في المنطقة الرملية المفتوحة.
الوجه الصخري البعيد المقابل لهما بدا وكأنه شيء مرئي عبر زجاج رخيص رديء.
انساب بعض الرمل مكوّنا - لفترة قصيرة - ستارة على الطرف المفتوح للصدع. سُمع للرمل المنساب هسيس، وقد فككته هبات نسيم الصباح، وخفقات الصقور التي شرعت في الانطلاق تاركة قمة الجرف.
عندما توقف سقوط الرمل كانت لا تزال تسمع صوت هسيسه.
ارتفع الصوت.. كان صوتا يستحيل على المرء نسيانه بعد أن يكون قد سمعه لأول مرة.
همس بولس: "دودة"
صدر الصوت من على يمينهم، بجلال غير عابئ بأي شيء، ولا يمكن تجاهله.
تل ملتوٍ يحفر السطح الرملي ويخترق الكثبان الموجودة في مجال بصرهما. ارتفعت مقدمة التل، فتناثر منه الغبار كما لو كان موجة ماء مقوسة.
ثم مضى، متجها ناحية اليسار.
تضاءل الصوت، ثم مات.
همس بولس: "لقد رأيت فرقاطات فضائية أصغر من هذا"
أومأت إيجابا، مستمرة في التحديق في الصحراء.
في الموضع الذي مرت به الدودة كانت توجد فجوة بعيدة المنال، امتدت أمامهما إلى ما لا نهاية، تومئ تحت حد الأفق السماوي.
قالت جيسيكا: "بعد أن نستريح، علينا أن نواصل دروسك التعليمية"
كبح غضبه المفاجئ وقال: "أمي، ألا تظنين أنه من الأفضل حاليا التخلي عن..."

قالت: "لقد أصابك الهلع والارتباك اليوم. إنك تفهم ذهنك وتفاصيل البيندو العصبية ربما أفضل مني، لكن لا زال أمامك الكثير لتتعلمه عن تفاصيل البرانا العضلية لجسدك. فالجسد يقوم بأشياء من تلقاء نفسه يا بولس، وبإمكاني أن أخبرك بهذه الأمور. عليك أن تتعلم التحكم بكل عضلة، وكل نسيج في جسدك. عليك أن تراجع اليد. سنبدأ بعضلات الأصابع، وأربطة الراحة، وحساسية الأنامل"

واستدارت. "تعال، إلى داخل الخيمة.. حالا"

ثنى وفرد أصابع يده اليسرى، مراقبا إياها وهي تزحف داخلة للخيمة عبر صمام القفل العاصر، عالما أنه لن يستطيع إثناءها عما عزمت عليه.. وأنه لا مفر من أن يوافق.

فكر: مهما كان الذي فُعل بي، فقد كنتُ شريكا فيه أيضا.

مراجعة اليد!

نظر ليده. كم كانت تبدو معدومة الكفاءة إن قورنت بمخلوق كهذه الدودة.

الفصل 28

لقد جئنا من كالادان.. كوكب يعتبر جنة في ملاءمته لجنسنا البشري.
لم تكن هناك حاجة على كالادان لبناء جنة ملموسة أو متخيلة، إذ كان بإمكاننا رؤيتها واقعا حولنا في كل مكان.
والثمن الذي دفعناه مقابل هذا كان الثمن الذي دفعه البشر دائمًا كنتيجة لتحقيق حياة فردوسية أثناء الحياة الدنيا..
أُصبنا بالرخاوة.. فقدت نصالنا مضاءها"

من كتاب "المؤدب: حوارات"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

قال الرجل: "أنت إذن جيرني هاليك العظيم"
وقف هاليك يحدق - عبر حجرة المكتب الكهفية المستديرة - في المهرّب الجالس خلف مكتب معدني.
كان الرجل يرتدي ثوبا فريمنيا، وعيناه ذات لون أزرق خفيف يشي بأن طعامه يشمل مأكولات مجلوبة من خارج الكوكب.
كانت حجرة المكتب مصممة على نفس شكل مراكز القيادة الرئيسية الموجودة على فرقاطات الفضاء.. أجهزة الاتصال وشاشات العرض موضوعة على مدار جزء مقوس من الجدار بزاوية 30 درجة، تجاورها خزانات تصويب الأسلحة وإطلاقها عن بعد، وطاولة المكتب نفسها كانت تكوّن مسقطا حائطيا لعرض البروجيكتور، كجزء من باقي انحناء الجدار.
قال المهرب: "أنا إستبان تُويك، ابن إزمار تُويك"
قال هاليك: "إذن أنت الرجل الذي يجب أن أوجه له شكري على ما تلقيناه من مساعدة"
قال المهرب: "أها، عرفان بالجميل. اجلس"
من موضع قريب من الشاشات برز من الجدار مقعد من المقاعد المطوية التي تستخدم على متن السفن الفضائية، فغاص هاليك فيه متنهدا، شاعرا بالإنهاك. كان بإمكانه أن يرى انعكاس صورته على أحد الأسطح الداكنة المجاورة للمهرب، فعبس لما رآه على وجهه الدميم من ملامح التعب.
التوت ندبة الإنكفاين الممتدة بطول فكه عندما عبس.
أشاح هاليك بصره بعيدا عن انعكاسه، وحدق في تويك.
اتضحت له الآن ملامح الشبه العائلي.. حاجبا الأب الكثيفان المنسدلان، واستواء عظام الوجنتين والأنف.
قال هاليك: "أخبرني رجالك أن والدك قد قُتل.. قتله الهاركونن"
قال تويك: "الهاركونن، أو على يد خائن من قومك"
تغلب الغضب على جزء من تعب هاليك. شد قامته وقال: "هل تستطيع إخباري باسم الخائن؟"
"لسنا متأكدين"
"كان ظوفر حواط يشك في الليدي جيسيكا"
"آآه، الساحرة البني-جيزيرتية.. ربما. لكن حواط الآن أسير هاركوني"
"علمت بهذا"، وأخذ نفسا عميقا. "يبدو أنه لا زال أمامنا الكثير من المعارك القاتلة"

قال تويك: "لن نقوم بأي شيء يجذب إلينا الأنظار"
تصلب هاليك وقال: "لكن..."
قال تويك: "وأنت ورجالك الذين أنقذناهم مرحب بكم للبقاء معنا تحت حمايتنا. تقول أنك ممتن للجميل. حسنا.. اعمل معنا مقابل تسديد دينك لنا. فنحن دائمًا في حاجة لتوظيف الرجال المهرة. لكننا سندمركم دون تردد إن قمتم بأدنى حركة عدائية ضد الهاركونن"
"لكنهم قد قتلوا أباك يا رجل!"
"ربما. وإن كان هذا صحيحا فعلا فسأقول لك ما كان أبي يقوله ردا على من يتصرفون دون تفكير: الحجر ثقيل والرمل ثقيل، لكن غضب الأحمق أثقل منهما"[16]
قال هاليك متهكما: "تنوي ألا تفعل شيئا بهذا الشأن إذن؟"
"لم أقل هذا. كل ما أقوله هو أني سأحافظ على عقدي المبرم مع النقابة. فالنقابة تلزمنا بأن نلعب اللعبة بحذر. وهناك طرق أخرى لتدمير الخصم"
"آآآه"
"آه فعلا. إن كنت تريد تتبع الساحرة واقتناصها، فلك ما تريد. لكني أحذرك من أنك في الغالب قد تأخرت.. ثم أننا على أية حال نشك أنها هي الفاعل الذي تطلبه أصلا"
"كانت أخطاء حواط قليلة"
"لقد ترك نفسه يسقط في أيدي الهاركونن"
"تظن أنه هو الخائن؟"
هز تويك كتفيه: "هذا نقاش نظري بحت. فالساحرة قد ماتت كما نظن. أو على الأقل هذا هو ما يعتقده الهاركونن"
"يبدو أنك تعلم الكثير عن الهاركونن"
"من التلميحات والإشارات.. والإشاعات والحدس"
قال هاليك: "نحن 74 رجلا. إن كنت تفكر جديا في ضمنا لرجالك فهذا يعني أنك تؤمن فعلا بأن دوقنا قد مات"
"لقد شوهدت جثته"
"والولد أيضا؟ السيد بولس الصغير؟"
حاول هاليك أن يبتلع ريقه، فشعر بغصة في حلقه.
"طبقا لآخر خبر وصلنا فإنه فُقد - وأمه - وسط عاصفة صحراوية. أستبعد أنه سيكون بالإمكان العثور على عظامهما حتى"
"إذن الساحرة ماتت.. الجميع ماتوا"
أومأ تويك: "ويقال أن رابان الوحش سيعود ويجلس مجددا على كرسي الحكم هنا في كوكب كثيب"
"الكونت رابان من لانكفيل؟"
"أجل"
استغرق الأمر برهة من هاليك قبل أن يستطيع تهدئة الغضب العارم الذي كاد يسيطر عليه، ثم تكلم في صوت لاهث:
"عندي حساب شخصي علي أن أصفيه مع رابان. فقد كان هو من أزهق أرواح عائلتي..."
حك الندبة الممتدة على فكه وأكمل: "وأعطاني هذه"

16 سفر الأمثال 27: 3 (المترجم)

قال تويك: "لا ينبغي أن يخاطر المرء بكل شيء مقابل أن يصفي حسابا دون ترو". وقطب جبينه وهو ينظر لحركة عضلات فك هاليك، والانسحاب المفاجئ البادي في عيني الرجل المغطاتين بأهداب طويلة.
أخذ هاليك نفسا عميقا وقال: "أعرف.. أعرف"
"بإمكانك أنت ورجالك أن تعملوا معنا مقابل تهريبكم بعيدا عن أراكس. فهناك أماكن كثيرة يمكن أن..."
"إني أحل رجالي من أي رابطة كانت تربطهم بي.. لهم الحق في الاختيار بأنفسهم. طالما رابان هنا، فسأبقى هنا"
"بالنظر لمزاجك هذا فلستُ متأكدا من رغبتنا في أن تبقى"
صوب هاليك النظر للمهرب: "أتشكك في التزامي بكلمتي؟"
"لا..."
"لقد أنقذتني من الهاركونن. لم يكن سبب ولائي للدوق ليتو سوى شيئ كهذا. سأبقى على أراكس. إما معك... أو مع الفريمن"
قال تويك: "سواء تفوّه الإنسان بفكرة خطرت له أم لم يفعل، فإنه يظل لها وجود حقيقي، وتظل لها قوة تأثير. وربما ستعلم أن الخط الفاصل بين الحياة والموت عند الفريمن هو حاد للغاية ويمكن تجاوزه بسرعة"
أغلق هاليك عينيه لبرهة، شاعرا بالإرهاق يتملكه.
وتمتم: "أين الرب الذي سار بنا في أرض قِفار وحُفَر؟"[17]
قال تويك: "تحرك بحذر وسيأتي يوم أخذك بالثأر. إن العجلة من الشيطان. خفف حزنك.. فعندنا ما يلهي القلب عن الأسى. ثلاثة أشياء تريح القلب من ألمه: الماء، والعشب الأخضر، وجمال المرأة"
فتح هاليك عينيه: "إني أفضل أن أرى دم رابان هاركونن يسيل متدفقا عند قدمي". حدق في تويك: "أتظن أن هذا اليوم سيأتي؟"
"لا سلطة لي على ما سيحدث لك في غدك يا جيرني هاليك. ما بإمكاني هو أن أساعدك اليوم"
"إذن سأقبل هذه المساعدة وسأبقى إلى أن يأتي اليوم الذي تخبرني فيه أن أثأر لأبيك ولكل الآخرين الذين..."
قال تويك: "أصغ إلي أيها المقاتل"، ومال للأمام على مكتبه، وكتفاه في نفس مستوى أذنيه، وعيناه يملأهما التصميم. وتحول وجه المهرب فجأة فصار كالحجر الذي أثرت فيه الرياح.
"ماء أبي سأسترد ثمنه بنفسي.. بنصلي"
قابل هاليك نظرة الرجل بنظرة مماثلة. في هذه اللحظة ذكّره المهرب بالدوق ليتو.. قائد لرجاله، شجاع، واثق في مكانته ومن طريقه. لقد كان مثل الدوق.. قبل أن يأتي لأراكس.
قال هاليك: "أترغب في نصلي ضمن نصالك؟"
تراجع تويك للخلف، وظهر عليه الاسترخاء، وأخذ يدقق في هاليك في صمت.
ألح هاليك: "أتراني أصلح كمقاتل؟"
قال تويك: "إنك الوحيد من ضباط الدوق الذي استطاع الفرار. كان عدوك هائل العدد، لكنك استطعت التعامل معه.. لقد هزمته بالطريقة التي نهزم نحن بها أراكس"
"ماذا تعني؟"
قال تويك: "إننا نعيش هنا في شقاء يا جيرني هاليك. إن أراكس هو عدونا"

---

17 سفر إرميا 2: 6 (المترجم)

"إذن علينا التعامل مع الأعداء واحدا ثم الآخر؟"
"صحيح"
"هل هذه هي الطريقة التي ينجح بها الفريمن في البقاء أحياء؟"
"ربما"
"لقد قلت أني قد أجد الحياة مع الفريمن أصعب من أن تُحتمل. إنهم يعيشون في الصحراء، في عمق البرية. هل هذا هو السبب؟"
"ومن يدري أين يعيش الفريمن؟ فبالنسبة لنا تعتبر منطقة الهضبة الوسطى أرضا لا يمكن المرور بها. لكن أريد أن نتحدث أكثر عن الـ..."
قال هاليك: "قيل لي أن نقابة الفضاء نادر جدا أن تسمح لسفن اللايتر الحاملة للبهار بالمرور فوق الصحراء. لكن هناك شائعات أنه باستطاعة المرء أن يرى نتفا من الخضرة هنا وهناك، إن كان يعلم أين يجب عليه أن ينظر بالتحديد"
قال تويك متهكما: "شائعات. هل تريد أن تختار الآن بيني وبين الفريمن؟ عندنا قدر من الأمان.. سياتش خاص بنا محفور في الصخور.. أحواضنا الخاصة المخفية. ونعيش عيشة المتحضرين. أما الفريمن فمجرد مجموعات شعثاء متناثرة نستخدمهم كجامعي بهار"
"لكن بإمكانهم قتل الهاركونن"
"وهل تريد أن تعلم النتيجة؟ في هذه اللحظة هم مطاردون كالحيوانات.. تلاحقهم أسلحة الليزر، لأنهم لا يستخدمون الدروع. تتم إبادتهم. والسبب؟ لأنهم قتلوا هاركونن"
قال هاليك: "وهل كان ما قتلوه هم هاركونن فعلا؟"
"ماذا تقصد؟"
"ألم تسمع أنه ربما كان هناك ساردوكار مع الهاركونن؟"
"المزيد من الإشاعات"
"لكنها عمليات إبادة.. وليس هذا من طبع الهاركونن. مذابح الإبادة هي إسراف وهدر"
قال تويك: "إني أصدق ما أراه بعيني. اتخذ قرارك أيها المقاتل. أنا أو الفريمن. أتعهد لك - إن صرت معي - بوجود ملجأ تلجئ إليه، وفرصة لسفك الدم الذي يرغب كلانا في سفكه. تيقن من هذا. أما الفريمن فكل ما سيقدموه لك هو أن تصبح حياتك هي حياة الفريسة المطارَدة"
تردد هاليك، شاعرا بالحكمة والتعاطف في كلمات تويك، لكن بقلق أيضا لا يعرف مصدره.
قال تويك: "ضع ثقتك في قدراتك. قرارات مَن التي حافظت على رجالك أحياء خلال المعركة؟ قراراتك أنت"
قال هاليك: "إذن فهو أمر أكيد.. أن الدوق وابنه ماتا؟"
"آل هاركونن يؤمنون بهذا. وفي هذه الأمور أميل لوضع ثقتي في الهاركونن"، وارتسمت ابتسامة شرسة على فم تويك وأكمل: "لكنها الثقة الوحيدة التي أمنحهم إياها"
كرر هاليك: "إذن الأمر أكيد"، ومد يده اليمنى بحيث تكون راحتها لأعلى وإبهامه مطوي عليها، حسب الحركة المتعارف عليها، وقال: "أهبك سيفي"
"قبلته"
"أتريد أن أقنع رجالي بالانضمام أيضا؟"

"وهل ستتركهم يتخذون قرارهم بأنفسهم؟"

"لقد تبعوني حتى هذه اللحظة. لكن أغلبهم مولود على كالادان. ليس الحال على أراكس كما كانوا يتوقعون. فهنا فقدوا كل شيء ولم تعد لهم سوى أرواحهم. أفضل أن يقرروا الآن بأنفسهم"

قال تويك: "ليس هذا وقتا يصح أن تتردد فيه. فقد تبعوك طوال الأحداث السابقة"

"أنت في حاجة إليهم؟ هل هذا هو ما في الأمر؟"

"نحن دائما في حاجة لمقاتلين محنكين.. وفي مثل هذه الأوقات أكثر من أي وقت آخر"

"لقد قبلت سيفي. هل تريد مني أن أقنعهم؟"

"أظن أنهم سيتبعونك يا جيرني هاليك"

"نأمل هذا"

"فعلا"

"هل مسموح لي إذن أن أتخذ قراري الخاص في هذا الشأن؟"

"لك حرية القرار"

دفع هاليك نفسه ليقوم من المقعد، فأحس بما استنزفه القيام بفعل بسيط كهذا من قواه المتبقية.

قال: "في الوقت الحالي سأصب اهتمامي على توفير أماكن سكناهم وراحتهم"

قال تويك: "تحدث مع المسؤول عن الإعاشة من بين رجالي. اسمه دريسق. أخبره أن أوامري هي أن يتم إكرامكم غاية الإكرام. سأنضم إليكم بنفسي بعد قليل. علي أولا أن أتابع عملية توريد بعض حمولات البهار"

قال هاليك: "الحظ السعيد يزور الجميع"

قال تويك: "الجميع. فأوقات الاضطرابات هي فرص نادرة تنتعش فيها أعمالنا"

أومأ هاليك، ثم سمع حفيفا خافتا وشعر بحركة الهواء عندما انفتحت جواره كوة، فاستدار وحنى رأسه، عابرا خلالها إلى خارج حجرة المكتب.

وجد نفسه في قاعة التجمع التي كان معاونو تويك قد اقتادوه ورجاله عبرها في السابق. كانت عبارة عن منطقة طويلة وشديدة الضيق نُحتت في الصخر الطبيعي.. وسطحها الناعم يدل على أن عملية النحت تمت باستخدام مشارط شعاعية ليزرية حارقة. أما السقف فكان مرتفعا عاليا بما يكفي لأن يمتد مكملا الانحناء الصخري الطبيعي الحامل له، ولأن يسمح أيضا بدخول تيارات حاملة للهواء.

وعلى امتداد الجدران صُفت رفوف للأسلحة وخزانات.

لاحظ هاليك - بشيء من الفخر - أن من كان لا يزال قادرا على الوقوف من رجاله كان واقفا بالفعل..

لا يسمحون لأنفسهم بالاسترخاء عند التعب والهزيمة.

كان المسعفون من المهربين يتنقلون بينهم، يطببون الجرحى.

الحالات الموضوعة على محفات كانت مجموعة في مكان واحد ناحية اليسار، ومع كل رجل جريح يوجد رفيق من الأتريديز.

فكر هاليك: هذا هو التدريب الأتريدي.. 'نعتني برفاقنا بأنفسنا!'.. كان أمرا ثابتا في نفوسهم كقلب صخرة.

تقدم منه أحد الضباط حاملا باليست هاليك تساعية الأوتار. كانت خارج صندوقها.

قدم الرجل تحية عسكرية سريعة وقال: "سيدي، المسعفون الموجودون هنا يقولون أن متّاي لا أمل في إنقاذه، إذ لا يوجد عندهم أي بنوك عظام وأعضاء.. بل كل ما معهم هو الأدوات الطبية المتاحة على خطوط المعارك الأمامية فقط. لن يبقى

متاي حيا لفترة طويلة، حسب ما يقولون.. وعنده طلب يطلبه منك"
"ما هو؟"
دفع الضابط القانون للأمام: "يريد متاي سماع أغنية تيسر عليه الاحتضار يا سيدي. يقول أنك ستعرف الأغنية التي يقصدها.. إذ طلبها منك في السابق مرات كثيرة"
ازدرد الضابط لعابه وأكمل: "إنها الأغنية المسماة: امرأتي، يا سيدي. لو أمكن أن..."
"أعرفها"
تناول هاليك الباليست، والتقط الأعواد من موضعها على لوح الأصابع. ضرب نغمة رقيقة على الآلة فوجد أن شخصا ما كان قد ضبطها بالفعل.
كانت عيناه تحرقانه، موشكا على البكاء، لكنه أبعد هذا الأمر عن ذهنه وتقدم، عازفا النغمة، ومجبرا نفسه على الظهور بمظهر باسم غير متكلَف.
كان العديد من رجاله والمسعفين المهربين منحنين على إحدى المحفات. شرع أحد الرجال في الغناء إذ اقترب هاليك، ملتقطا النغمة المكملة، بسهولة توحي بأنها مألوفة له تمام الألفة.
"امرأتي تطل من نافذتها
خطوط جسدية منحنية على زجاج مربع
ذراعان مرفوعان.. ملويان.. مطويان
على خلفية الغروب الأحمر والذهبي
تعالِ إلي..
تعاليا إلي يا ذراعي فتاتي الدافئتين
لي..
ذراعا فتاتي الدافئتان هما لي"
توقف المغني عن الغناء، ومد ذراعه المضمدة وأغلق جفني الرجل الراقد على المحفة.
ضرب هاليك وترا رقيقا أخيرا على الآلة الموسيقية، مفكرا: والآن صرنا ثلاثة وسبعين.

الفصل 29

"إن ظروف الحياة العائلية التي يعيشها صغار البيت الملكي يصعب على الكثيرين استيعابها، لكن سأحاول أن أعطيك خلاصتها في كبسولة. أظن أن أبي كان له صديق حقيقي واحد فقط.. الكونت هازِمير فينرنج ، المخصي جينيا والذي يعتبر من أخطر المقاتلين على مستوى الإمبراطورية كلها.
قام الكونت يوما - وهو شخص أنيق وقبيح وضئيل الجم - بإحضار محظية من الإماء لأبي، فأرسلتني أمي للتجسس على ما سيدور.
كلنا كنا نتجسس على أبي، كوسيلة من وسائل حفظ الذات.
لم يكن - بالطبع - مشروعا لواحدة من هؤلاء المحظيات (حسب الاتفاقية المبرمة بين البني-جيزيرت والنقابة) أن تنجب لأبي خليفة.. لكن المكائد كانت مستمرة، وتشابهها مزعج. كنا - أنا وأمي وأخواتي - قد أصبحنا ماهرات في تلافي أدوات الموت الماكرة. وربما قد يكون قولي هذا شنيعا لكني لا أظن أن أبي كان بريئا من الكثير من تلك المحاولات.
فالأسرة الملكية ليست كباقي الأسر.
ها هي الأمة المحظية الجديدة، بشعرها الأحمر المماثل للون شعر أبي.. رشيقة وجميلة.. عضلاتها كعضلات الراقصات، وواضح أن تدريبها شمل القدرة على الإغراء العصبي.
نظر لها أبي لفترة طويلة وهي تقف عارية تعرض نفسها عليه، ثم قال أخيرا: 'إنها أجمل من اللازم. سنحتفظ بها لإهدائها لشخص آخر'.
لا يمكنك أن تتخيل الرعب الذي نتج - بين صغار البيت الملكي - عن تحكمه هذا بنفسه.
فبلا شك أن الدهاء وضبط النفس كانا أخطر تهديدات تواجهنا"

من كتاب "في بيت أبي"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

في ساعات النهار الأخيرة كان بولس واقفا خارج خيمة التقطير، والصدع الذي نصب فيه معسكرهما مغطى بظلال كثيفة. حدق - عبر الرمال الممتدة - في الجرف الصخري البعيد، متسائلا إن كان عليه أن يوقظ أمه الراقدة داخل الخيمة.
أمام مأواهما هذا امتدت ثنايا الكثبان، واحدة بعد الأخرى.. وفي الجانب البعيد عن الشمس الغاربة كانت الكثبان تلقي ظلالا بلون الشحم، شديدة السواد بحيث أشبهت قطعا من الليل.
وبالإضافة لهذا كان هناك ذلك السطح المستوي الواسع.
بحث عقله عن أي شيء طويل في هذا المنظر، لكن لم يبرز شيء إطلاقا على امتداد هذا الهواء الذي يتراقص بسبب الحرارة، ولا على امتداد ذلك الأفق.
لا زهرة ولا أي شيء يمكن أن ينحني في رقة ليدل على مرور النسيم..
بل كثبان فقط.. وذاك الجرف البعيد القابع تحت سماء ذات لون أزرق فضي مصقول.
سأل نفسه: ماذا لو لم تكن هناك أي محطة من محطات الأبحاث المهجورة؟
ماذا لو لم يكن هناك فريمن أيضا، وأن ما نراه هناك من نباتات قد نبت في الواقع من تلقاء نفسه؟

داخل الخيمة أفاقت جيسيكا من نومها وتقلبت على ظهرها ونظرت جانبا - عبر جزء الخيمة الشفاف - صوب بولس.
كان يقف وظهره لها.. شيء ما في وقفته ذكرها بأبيه.
أحست بأن نبع الأسى داخلها سيفيض من جديد، فأشاحت بوجهها.
ضبطت بذلة تقطيرها، وأنعشت نفسها بماء من جيب الخيمة التجميعي، وانسلت خارجة لتقف وتمطى نافضةً النوم عن عضلاتها.
تكلم بولس دون أن يستدير: "أجد نفسي مستمتعا بالهدوء هنا"
فكرت: ما أعجب قدرة العقل على تكييف نفسه مع بيئته!
وتذكرت مقولة حكيمة من مقولات البني-جيزيرت:
'تحت الضغط يمكن أن يسير العقل في اتجاه من اتجاهين.. ناحية التفكير الإيجابي أو السلبي.. انفتاح أو انغلاق. انظري للأمر على أنه طيف، وطرفاه هما: فقد الوعي عند الطرف السلبي، والوعي الفائق عند الطرف الإيجابي. الاتجاه الذي سيميل إليه العقل عند التعرض للضغط يعتمد بشدة على ما تلقاه المرء من تدريب'
قال بولس: "يمكن أن تكون الحياة هنا طيبة"
حاولت أن ترى الصحراء كما يراها هو بعينيه، وأن تحيط بكل الظروف القاسية التي يقبل هذا الكوكب وجودها ويعتبرها أمورا طبيعية سائدة.
وتساءلت عن مسارات المستقبل المحتملة التي لمحها بولس.
فكرت: يمكن للمرء أن يكون بمفرده تماما هنا.. دون أن يخشى وجود شخص وراءه.. دون أن يخشى الصياد.
خطت متقدمةً بولس، ورفعت نظارتها المكبرة وعدّلت العدسات الزيتية وأخذت تتأمل الجرف الصخري المقابل لمكانهما. أجل، يوجد ساجوارو بمجاري القنوات الجافة، ونبتات شوكية أخرى.. ومساحات مفروشة بعشب قصير، يبدو خضاره مصفرا في الظلال.
قال بولس: "سأحل معسكرنا"
أومأت جيسيكا برأسها ثم سارت لفتحة الصدع كي تتمكن من إلقاء نظرة شاملة على الصحراء، وأدارت نظارتها ناحية اليسار. في ذلك الاتجاه كان هناك غور ملحي يبرق بلون أبيض، وتندمج حوافه مع صفرة داكنة..
حقل من البياض في هذا المكان الذي يعتبر فيه اللون الأبيض علامة على الموت.
لكن وجود الغور كان يقول شيئا مغايرا: ماء.
ففي وقت مضى كان الماء يتدفق عبر هذا الحقل الأبيض اللامع.
خفضت نظارتها وسوّت بُرنسها، وأصغت لبرهة إلى صوت حركات بولس.
انغمست الشمس منخفضة أكثر. طالت الظلال على امتداد الغور الملحي. وعند أفق الغروب انتشرت خطوط من الألوان الجامحة. تحولت الألوان لشعاع ظلمة يشبه الإصبع، وكأنه يمس الرمال ليختبرها. ثم انتشرت ظلال بلون الفحم، وحلت غلالة الليل الثقيلة على الصحراء فأخفتها.
نجوم!
رفعت بصرها تحدق فيها، وقد أحست بتحركات بولس المقتربة منها.
ارتفع ليل الصحراء لأعلى وكأنه يريد الصعود للنجوم، وتراجع ثقل النهار. هب نسيم على وجهها لبرهة من الزمن.
قال بولس: "سيظهر القمر الأول بعد قليل. الحقيبة جاهزة، وقد زرعت الدقاق في مكانه"

فكرت: يمكن أن نضيع للأبد في هذا المكان الجهنمي. ولن يدري بنا أحد.
نشرت رياح الليل دفقاتٍ رملية خدشت وجهها، حاملةً معها رائحة القرفة. عم الليلَ وابل من الروائح.
قال بولس: "شمي هذا"
قالت: "أستطيع شمه حتى عبر المرشح الأنفي. ثروات ضخمة، لكن هل بإمكانها أن تشتري لنا ماء؟"
أشارت لما وراء منطقة الحوض وقالت: "لا توجد هناك أي أضواء صناعية"
قال: "سيكون الفريمن بالتأكيد مختبئين في سياتش وراء تلك الصخور"
أطلت عتبة فضية فوق خط الأفق على يمينهما.. القمر الأول. أخذ يرتفع ويظهر للعيان، وبدا شكل اليد المرسوم علي وجهه واضحا.
تأملت جيسيكا الرمال التي انكشفت تحت النور الأبيض الفضي.
قال بولس: "لقد غرست الدقاق في أعمق موضع بالصدع. وعندما أشعل فتيلته فسيتيح لنا فترة تقترب من الـ 30 دقيقة"
"30 دقيقة؟"
"قبل أن يبدأ في استدعاء.. دودة"
"أوه. إني مستعدة للانطلاق"
انسل من جانبها، وسمعت صوت سيره وهو يصعد عائدا لصدعهما.
فكرت: إن الليل عبارة عن نفق.. حفرة تؤدي للغد.. إن أصبح لنا غد.
هزت رأسها. لم أنا كئيبة هكذا؟ لقد دُرّبت على التصرف أفضل من هذا.
عاد بولس، والتقط الحقيبة، ثم قاد الطريق قاصدا أول كثيب مفروش أمامهما. وهناك توقف وأصاخ السمع بينما كانت أمه قادمة وراءه.
سمع صوت تقدمها الهادئ، وصوت حبات الرمل المتساقطة.. والتي كانت كشفرة سرية تطلقها الصحراء كوسيلة تأمين.
قال بولس بينما كان يسترجع ذكرى رجال يسيرون في الصحراء.. كانت عبارة عن ذكريات استبصارية مستقبلية وذكريات أخرى قد مرت به في الواقع: "ينبغي أن نسير دون إيقاع. شاهدي كيف سأقوم بالأمر. فهذه هي طريقة سير الفريمن في الصحراء"
اتجه لجانب الكثيب المواجه للريح، متتبعا انحناءه، وتحرك ساحبا قدميه.
درست جيسيكا تقدمه خلال عشر خطوات، ثم تبعته محاكيةً له.
علمت الحكمة من السير هكذا: يجب أن يكون تحركهما مشابها لأصوات حركة الرمال الطبيعية.. وحركة الرياح.
لكن العضلات اعترضت على نمط السير المتكسر غير الطبيعي هذا..
سحب.. سحب.. خطوة.. خطوة.. انتظار.. سحب.. خطوة.
امتد الزمن من حولهما. الواجهة الصخرية الموجودة أمامهما لم يظهر عليها أي اقتراب. والتي خلفهما لا زالت تبدو شاهقة الارتفاع لقربهما منها.
"طم! طم! طم! طم!"
كان صوت دق كالطبول، صادرا من الجرف خلفهما.
قال بولس في هسيس: "الدقاق"
استمرت خبطاته الدقاقة، ووجدا أنه من الصعب تجنب تأثر خطواتهما بإيقاعها.

"طم... طم... طم... طم..."
تحركا وكأنهما في وعاء يخترقه ذلك الدق الأجوف.
هبوطا وصعودا عبر كثبان تنساب رمالها: خطوة.. سحب.. انتظار.. خطوة..
عبر حبات رمل كالبازلاء كانت تتدرج تحت أقادمهما.
سحب.. انتظار.. خطوة.
وطوال كل هذا كانت آذانهما تترقب باحثة عن هسيس معين.
عندما بدأ هذا الصوت كان خافتا، حتى أن صوت سيرهما الزاحف غطاه. لكنه أخذ يعلو.. أعلى فأعلى.. قادما من جهة الغرب.
واستمر الدقاق في دقه.. "طم.. طم.. طم.. طم"
انتشر الهسيس المتقدم وراءهما عبر الليل.
أدارا رأسيهما وهما مستمران في السير، فشاهدا الدودة الماضية في طريقها وكأنها تل متحرك.
قال بولس: "استمري في السير. لا تنظري وراءك"
من الصخرة المظلمة التي تركاها انفجر صوت احتكاك ضاري.
كان كصوت انهمار يضرب كالسياط.
كرر بولس: "استمري في الحركة"
انتبه إلى أنهما قد وصلا لنقطة متخيلة لكن يبدو للناظر الواقف عندها أن كلا الواجهتين الصخريتين - التي أمامهما والتي خلفهما - أصبحا على نفس البعد. ووراءهما كان صوت السياط الهائج الممزق للصخور لا زال مهيمنا على الليل.
سارا وسارا وسارا..
بلغت العضلات قدرا من الألم الآلي بدا وكأنه يمتد إلى ما لا نهاية.. لكن بولس رأى أن الجرف الصخري المُغري الظاهر أمامهما ارتفع لأعلى.
تحركت جيسيكا في فراغ تركيزي، مدركةً أن ضغط إرادتها وحده هو ما لا زال يقويها على المشي.
آلمها جفاف حلقها، لكن الأصوات الصادرة من ورائها أبعدت أي أمل في أن تتوقف وترشف من جيوب بذلتها التجميعية.
"طم... طم..."
من الجرف البعيد تجدد صوت الهياج، منفجرا، مغرقا صوت الدقاق.
ثم حل صمت!
همس بولس: "أسرع"
أومأت، عالمة أنه لم ير الإيماءة، لكنها كانت في حاجة لهذه الحركة كي تخبر نفسها أنه من الضروري أن تطلب مزيد فعل من عضلات كانت بالفعل تبذل أقصى ما بوسعها..
يا لطريقة السير غير الطبيعية هذه.
واجهة الأمان الصخرية أمامهما ارتفعت صاعدة أكثر للنجوم، ورأى بولس مسطحا رمليا يمتد على طول القاعدة.
خطا فوقه خطوة، وتعثر لما يحس به من إرهاق، ثم وازن نفسه مرة أخرى بحركة قدم مندفعة، لا إرادية.
فتردد دوي اهتز له الرمل من حولهما.

مال بولس خاطيا خطوتين للجانب.
"بووم! بووم!"
قالت جيسيكا: "رمل طبلي!"
استعاد بولس اتزانه، ومسح بنظره المنطقة الرملية المحيطة بهما، والجرف الصخري لا يكاد يبعد عنهما سوى 200 متر.
من وراء ظهورهما سمع هسيسا.. كالرياح.. كانسحاب الماء وقت الجزر، غير أنه لم يكن هناك أي ماء.
صرخت جيسيكا: "اجرِ!.. بولس، اجرِ!"
وجريا.
دوت دقات طبول تحت أقدامهما. ثم عبرا هذه المنطقة ودخلا منطقة حصوية.
خلال تلك الفترة المؤقتة كان الركض مريحا لعضلات أرهقها الاستخدام غير المألوف، منعدم الرتابة. أما هذه فكانت حركة يمكن فهمها. إيقاع.
لكن الرمال والحصى كان يعيق حركة أقدامهما.. وهسيس الدودة المتقدم كان كصوت عاصفة يزداد من حولهما بالتدريج.
تعثرت جسيكا ووقعت على ركبتيها. كل ما كان يشغل تفكيرها هو الإرهاق والصوت والرعب.
سحبها بولس وأوقفها.
استأنفا الركض، يدا بيد.
بدت أمامهما سارية رفيعة ظاهرة من الرمل. عبراها، ثم شاهدا أخرى.
لم يستوعب عقل جيسيكا وجود الساريتين إلا بعد أن تجاوزتهما.
ثم بدت أخرى.. ذات سطح خدشته الريح، وتخرج من شق في صخرة.
وأخرى.
صخرة!
شعرت بالصخرة تحت قدميها.. وبصدمة السير على سطح لا يميل تحتك. أكسبها وجود السطح الصلد قدرا جديدا من القوة على المواصلة.
في الجرف الموجود أمامهما امتد ظل شق عميق طولي. انطلقا نحوه، وحشرا أنفسهما داخل الفتحة الضيقة.
خلفهما توقف صوت حركة الدودة.
استدارت جيسيكا وبولس، وأطلا برأسيهما على الصحراء بالخارج.
في الموضع الذي كانت الكثبان الرملية تبدأ عنده، أي على بعد حوالي الـ 50 متر، عند سفح حافة صخرية، برز من الصحراء شيء مقوس، ذو لون فضي داكن، ناثرا أنهارا من الرمل والغبار منسدلة من حوله.
ارتفع أكثر، واتضح أنه فم عملاق يبحث عن شيء يلتهمه.
كان عبارة عن فتحة مستدير سوداء، وحوافها تبرق في نور القمر.
تحرك الفم كثعبان ناحية الشق الضيق الذي كان بولس وجيسيكا مجتمعين داخله.
طغت رائحة القرفة على أنفيهما.
ومض نور القمر على الأسنان الكريستالية.
تمايل الفم الهائل يمنة ويسرة.
كتم بولس أنفاسه.

ربضت جيسيكا محدقة.
استلزم الأمر قدرا كبيرا من التركيز - الذي دربته عليها البني جيزيرت - كي تهدئ من خوفها الغريزي، كابحةً خوفا مغروسا في الذاكرة الجمعية للجنس البشري كاد يطغى على ذهنها.
شعر بولس بشيء من الابتهاج.
كان - في إحدى اللحظات السابقة القريبة - قد عبر حاجزا زمنيا ما، وولج منطقة مجهولة.
كان بإمكانه أن يشعر بأن الآتي تخفيه ظلمة.. لم تستطع عينه الداخلية رؤية أي شيء.
كان الأمر كما لو أن خطوةً ما من اللاتي خطاها قد غمرته في قاع بئر.. أو أدنى قوس موجة بحرية حيث أصبح المستقبل خفيا عن النظر.
تضاريس المنظر قد أصابها تحول هائل.
وبدلا من أن يخيفه هذا فإن إحساسه بحدوث هذا الإظلام الزمني قد أجبر حواسه الأخرى على الدخول في حالة تسارع فائق.
وجد نفسه يقوم بالتسجيل الذهني لكل صفة بادية من صفات هذا الشيء الذي صعد من الرمال باحثا عنه.
كان قطر الفم 80 متر تقريبا.. وتبرق حول حوافه أسنان كريستالية لها شكل منحني كسكاكين الكريسنايف.
وللخوار رائحة نَفَس تشبه القرفة، مع آثار خفيفة لمركبات ألدهايد كيميائية.. وأحماض.
حجبت الدودة نور القمر عندما احتكت بما فوقهما من صخور. انسدل وابل من الصخور الصغيرة والرمال إلى داخل مكان الاختباء الضيق.
زج بولس بأمه للخلف أكثر.
قرفة!
غمرته الرائحة كطوفان.
سأل نفسه: ما الارتباط بين الدودة ومزيج البهار؟
وتذكر أن ليات-كاينز قد لمّح - دون قصد، وبإشارة مبهمة - لوجود علاقة بين الديدان والبهار.
"بووووم!"
كان الصوت كقصف رعد بلا مطر، قادما من مكان بعيد في جهة اليمين.
ومجددا: "بووووم!"
انسحبت الدودة عائدة داخل الرمال، وبقت هكذا للحظة، وأسنانها الكريستالية تتمايل فتنعكس عليها ومضات نور القمر.
"طم! طم! طم! طم!"
فكر بولس: دقاق آخر!
ومن جديد انطلق الصوت صادرا عن جهة اليمين.
مرت رجفة عبر جسد الدودة. ابتعدت منسحبة أكثر إلى داخل الرمال.
ولم يبق ظاهرا منها سوى انحناءة علوية كنصف ناقوس.. كدائرة فوهة نفق تبدو على سطح الكثبان الرملية.
انساب الرمل.
غطس المخلوق أكثر، متراجعا، مستديرا. أصبح تلا رمليا ناتئا، وانعطف مارا من فرجة بين كثيبين.
خطا بولس خارجا من الشق، وشاهد الموجة الرملية تتراجع عبر الأرض الموحشة متجهةً لاستدعاء الدقاق الجديد.

تبعته جيسيكا، مصغية للصوت: "طم... طم... طم... طم... طم..."
ثم توقف الصوت بعد قليل.
بحث بولس عن أنبوب بذلة تقطيره ورشف من الماء المستعاد.
ركزت على ما يفعله لكن كان ذهنها خاليا لما تحس به من إرهاق ولصدمة ما بعد الرعب.
همست: "هل أكيد أنها ذهبت؟"
قال بولس: "أحدهم استدعاها. فريمن"
شعرت بتركيزها يعود لها: "كانت ضخمة جدا!"
"ليس بنفس ضخامة الدودة التي التهمت ثوبترنا"
"أأنت متأكد أن الفريمن قاموا بهذا؟"
"لقد استخدموا جهازا دقاقا"
"ولم ساعدونا؟"
"ربما لم يكونوا يساعدونا. ربما كانوا ببساطة يقومون باستدعاء دودة"
"لماذا؟"
على حافة وعيه كانت تقبع إجابة ما، لكنها رفضت أن تفصح عن نفسها.
كان يرى في ذهنه صورة لشيء متعلق بما في حقيبتهما من عصي معقوفة تنفرد كتليسكوب: خطافا الصانع.
قالت جيسيكا: "ولم قد يستدعون دودة؟"
لمس عقلَه شيء من الخوف، وأجبر نفسه على الإشاحة بوجهه بعيدا عن أمه، وأن يرفع بصره للجرف.
أشار وقال: "من الأفضل أن نجد لنا طريقا يؤدي للأعلى قبل ضوء النهار. تلك السواري التي مررنا بها.. يوجد المزيد منها"
نظرت، متتبعة امتداد إشارة يده، فرأت السواري.. عوارض خدشتها الرياح. تبينت ظل إفريز ضيق ملتوي على صدع يعلوهما بمسافة.
قال بولس: "إنها موضوعة كي تهدي لطريق يمكن منه تسلق الجرف"
وضع الحقيبة على كتفيه وتقدم من أسفل الإفريز وبدأ يتسلق لأعلى.
انتظرت جيسيكا للحظة، تستريح، وتستعيد قوتها.. ثم تبعته.
تسلقا صاعدين، متتبعين السواري الإرشادية، إلى أن ضاق الإفريز وتحول لحافة ضيقة مطلة على فتحة صدع مظلم.
أطل بولس برأسه كي ينظر داخل المكان المظلم. كان يشعر بوضع قدمه القلق على الحافة الضئيلة، لكنه أجبر نفسه على حركة بطيئة حذرة. لم ير داخل الصدع سوى الظلام. كان الصدع يمتد لأعلى، مفتوحا على النجوم من فوق.
بحثت أذناه مدققة فلم يسمع إلا الأصوات المتوقعة.. انسكاب ضئيل لبعض الرمال.. طنين حشرة.. الخطوات السريعة لحيوان صغير راكض.
اختبر المنطقة المظلمة في الصدع بإحدى قدميه، فعثر على صخرة تحت سطح رملي خشن. سار ببطء مستديرا عند الركن، وأشار لأمه كي تتبعه. أمسك بحافة فضفاضة من ردائها وأعانها على الانعطاف. رفعا بصريهما للنجوم التي كانت تحيطها من الجانبين حافتان صخريتان.
رأى بولس حركة أمه جواره تبدو ضبابية ورمادية.
همس: "آه لو كان بإمكاننا المخاطرة بإشعال ضوء"

قالت: "تملك حواسا أخرى غير العينين"
تقدم بولس داسا قدمه للأمام خطوة أخرى، ونقل وزنه، ثم فتش المكان بقدمه الأخرى، فعثر على شيء يعيقها.
رفع قدمه، فوجد درجة سلم، فرفع نفسه فوقها.
مد يده خلفه فشعر بذراع أمه، فشد ثوبها ليشير لها باتباعه.
درجة سلم أخرى.
همس: "أظن أنها تصعد حتى القمة"
درجات واطئة ومستوية. نحتها الإنسان بلا أدنى شك.
تتبعت حركة بولس المتقدمة في الظلام، متحسسة الدرجات. ضاقت الجدران الصخرية حتى كاد كتفاها يحتكان بها. انتهت بهما الدرجات إلى ممر ضيق مائل طوله 20 متر تقريبا، وقاعه مستوٍ، ويؤدي إلى حوض واطئ ينيره القمر.
خطا بولس إلى حافة الحوض وهمس: "يا له من مكان جميل"
لم تستطع جيسيكا سوى أن تحملق في موافقة صامتة من موضعها الذي تقف فيه خلفه بخطوة.
على الرغم من التعب، ومن الحكة التي تسببها أنابيب فلترة الإخراج، وسدادات الأنف، والاحتجاز داخل بذلة التقطير.. وعلى الرغم من الخوف، ومن الرغبة الملحة في الخلود للراحة، فإن جمال هذا الحوض ملأ حواسها، مجبرا إياها على التوقف وتأمله.
همس بولس: "مكان ساحر كبلاد العجائب"
أومأت جيسيكا.
أمامها كانت تنتشر نباتات صحراوية.. شجيرات، وصبار، ومجموعات صغيرة من الأوراق الخضراء.. تهتز كلها في نور القمر. كانت الجدران المحيطة بالمكان مظلمة على يسارها ومضاءة بنور القمر على يمينها.
قال بولس: "هذا بالتأكيد مكان تابع للفريمن"
وافقته: "يحتاج نمو هذا القدر من النباتات لوجود بشر يقومون بالأمر"
نزعت الغطاء عن أنبوب الجيوب التجميعية لبذلة تقطيرها ورشفت منه. انساب عبر حلقها ماء دافئ لاذع بعض الشيء. لاحظت الطريقة التي أنعشها بها.
احتك غطاء الأنبوب وهي تغلقه بقشور رملية.
انتبه بولس لحركة تحدث على يمينه، على قاع الحوض المنحني أسفلهما.
حدق فيها خلال شجيرات رمادية وأعشاب كالإسفين، تخرج من سطح رملي أملس يغمره نور القمر وتسكنه أشياء ضئيلة متحركة تقفز وتحجل وتثب.
قال في هسيس: "فئران!"
وثبة. قفزة.. داخلين وخارجين من الظلال. أمام أعينهما هبط على الفئران شيء ما، دون أن يصدر صوتا.
صرخة ثم خفقان أجنحة ثم ارتفع من الحوض شبح طائر رمادي وفي مخالبه شيء أسود صغير.
فكرت جيسيكا: كنا في حاجة لهذا كي يذكّرنا.
استمر بولس في التحديق بالحوض. سحب نفسا، وشعر برائحة موسيقية رقيقة لنبتة مريمية تصعد خلال الليل.
أما الطائر الجارح فنظر له على أنه الطبع المألوف لهذه الصحراء. تسبب ما فعله الطائر في أن ساد الحوض سكون مطبق، لدرجة أن نور القمر ذي اللون الأزرق المنساب كاللبن يكاد يُسمع له صوت وهو يتدفق خلال نبتات الساجوارو الحارسة

ونبتات الفرشاة ذات الأشواك.

كان للنور هنا أزيز منخفض، له تناغم أساسي يفوق أي موسيقى أخرى في الكون.

قال: "من المستحسن أن نجد موضعا مناسبا لتثبيت الخيمة. وفي الغد يمكن أن نحاول العثور على الفريمن الذين..."

"معظم المتطفلين هنا يندمون عندما يعثرون على الفريمن!"

ما قطع كلماته كان صوتا ذكوريا عميقا، مهشما اللحظة.

صدر الصوت من مكان أعلاهم، ناحية اليمين.

قال الصوت بينما كان بولس يهم بالتراجع لداخل الممر الضيق: "أرجوكم لا تركضا يا متطفلين. فلن يؤدي الركض سوى لإهدار ماء جسديكما"

فكرت جيسيكا: يريدون أن يحصلوا على ماء جسدينا!

تغلبت عضلاتها على كل إرهاق، وتمددت في أقصى قدر من الاستعداد دون أن يبدو شيء من هذا ظاهريا.

حددت مكان الصوت بدقة، مفكرة: قدرة هائلة على التسلل! لم أسمعه إطلاقا.

وأدركت أن صاحب هذا الصوت لم يسمح بأن يصدر عنه سوى أصغر الأصوات.. أصوات الصحراء الطبيعية.

من حافة الحوض على يسارهما صدر صوت آخر.

"أتم الأمر بسرعة يا ستيل. خذ ماءهما ودعنا نمضي في طريقنا. فأمامنا وقت قصير قبل أن يحل الفجر"

بولس - ولكونه مهيأ بدرجة أقل من أمه للتعامل مع الأفعال الطارئة - شعر بالغم لتصلبه ولمحاولته التراجع للخلف.. ولأنه سمح لهلع وقتي بأن يغشى قدراته.

ولهذا أجبر نفسه الآن على طاعة تعاليمها: استرخاء، ثم تظاهر بالاسترخاء، ثم حالة الشد الفجائي الساكن للعضلات المستعدة للانطلاق في أي اتجاه.

وعلى الرغم من ذلك كان لا يزال يشعر بنصل الخوف داخله، وكان يدرك مصدره.

لقد كان ما يحدث الآن يحدث في زمن مخفي.. لم يره في أي مستقبل اطلع عليه.

وقد وقعا في يد بدو فريمن همهم الوحيد هو الحصول على الماء الموجود في جسد شخصين واقفين هنا بلا درع يحميهما.

الفصل 30

"وهكذا نرى أن هذا التكييف الذي حدث لديانة الفريمن هو مصدر ما نعرفه الآن باسم 'أعمدة الكون'، والذي ينتشر كهنة تفويض الكرازة Qizara Tafwid بيننا جميعا حاملين آياته وبراهينه ونبوءاته.

إنهم يحملون إلينا الدمج الأراكسي الصوفي والذي يتميز جماله العميق بالموسيقى المحركة للمشاعر، والمؤسسة على الأعراف القديمة، لكن بعد طبعها بخصائص اليقظة الجديدة. من منا لم يسمع ولم تتحرك مشاعره بعمق متأثرة بكلمات (ترنيمة الشيخ)؟

أجُر قدمَيّ في صحراء
يرفرف سرابها كحركة الجيوش
ساعيا بنهم للمجد.. بشرهٍ للخطر
تجولتُ في آفاق الكُلاب Al-Kulab
مشاهدا الزمن يُسوي الجبال
في بحثه الجائع عني
ورأيت العصافير تتقدم بسرعة
بجرأة تفوق جرأة الذئب المندفع للهجوم
انتشروا في شجرة شبابي
وسمعتُ السرب بين أغصاني
ووقعتُ بين مناقيرهم ومخالبهم!"

من كتاب "يقظة أراكس"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

زحف الرجل فوق قمة أحد الكثبان. كان كهباءة غبار مارة في وهج شمس الظهيرة. لم يكن مرتديا سوى بقايا ممزقة لعباءة جبة، وبدا جلده عاريا معرضا للحرارة خلال الأسمال البالية.

كانت القلنسوة قد انتُزعت من العباءة، لكن الرجل كان قد صنع عمامة مستخدما قطعة قماش ممزقة. بدت من تحتها خصلات شعر بلون الرمال، مماثل في اللون للحية القصيرة والحاجبين الكثين.

وتحت العينين تامتي الزرقة امتدت - إلى وجنتيه - بقايا بقع سوداء. وعلى الشارب واللحية كانت آثار متلبدة تشير للموضع الذي كان يمر عليه أنبوب بذلة التقطير واصلا بين الأنف والجيوب التجميعية.

توقف الرجل عندما وصل لمنتصف قمة الكثيب، وامتدت ذراعاه أسفل الجانب المنزلق. كان الدم متجلطا على ظهره وذراعيه وساقيه، وكتل من الرمل الأصفر الداكن ملتصقة بجروحه.

وضع يديه أسفل منه، في حركة بطيئة، ودفع نفسه ليقف على قدميه.. ووقف في مكانه يترنح متمايلا.

وحتى في هذه الحركة العشوائية المضطربة كانت لا تزال تبدو بقايا لحركاته المضبوطة المعتادة.

قال: "أنا ليات-كاينز"، موجها كلامه للأفق الفارغ.. وكان صوته الأجش مجرد نسخة هزلية من القوة التي كان عليها في

السابق.
همس: "إني الخبير الكوكبي لجلالة الإمبراطور. الخبير البيئي لكوكب أراكس. أنا الوكيل المؤتمن على هذه الأرض"
تعثر وسقط على جانبه فوق السطح القاسي لوجه الكثيب المواجه للريح. حفرت يداه بضعف في الرمال.
فكر: أنا المؤتمن على هذه الرمال.
أدرك أنه كان شبه يهذي.. وأن الواجب عليه أن يدفن نفسه في الرمل وأن يصل للطبقة الباردة نسبيا وأن يغطي نفسه بها.
لكنه كان لا يزال قادرا على شم الرائحة العطنة شبه السكرية لإحدى الجيوب الجوفية للبهار الأوّلي تفوح من مكانٍ ما تحت هذه الرمال.
كان عالما بالمخاطر التي تشير إليها هذه المعلومة، ربما أكثر من أي فريمني آخر.
فما دام قادرا على شم كتلة البهار الأولي فإن هذا يعني أن الغازات العميقة الموجودة تحت الرمال كانت تقترب من حالة الضغط الانفجاري.
عليه أن يبتعد عن هذا الموضع.
خدشت يداه سطح الكثيب بحركة ضعيفة.
انتشرت خاطرة في ذهنه.. واضحة، وبارزة:
الثروة الحقيقية لأي كوكب تكمن في تضاريسه، والطريقة التي نستغل بها هذا المصدر الرئيسي للحضارة.. الزراعة.
وفكر كم أنه من الغريب أن العقل - لطول تركيزه على مسار واحد معين - يصعب عليه الانحراف عن هذا المسار.
لقد تركه جنود آل هاركونن هنا بلا ماء ولا بذلة تقطير، ظانين أن إحدى الديدان ستلتهمه إن لم تقتله الصحراء أولا.
خطر لهم أنه سيكون أمرا طريفا لو تركوه حيا بحيث يموت بالتدريج بيد كوكبه غير المبالية.
فكر: لطالما واجه الهاركونن صعوبة في قتل الفريمن. فنحن لا نموت بسهولة.
من المفترض أن أكون قد مت الآن.. وسأموت بعد قليل بالفعل.. لكني لا أستطيع التوقف عن كوني خبير بيئي.
"إن أعلى وظيفة لعلم البيئة هي فهم العواقب المترتبة على الأفعال"
صدمه الصوت لأنه ميّز صاحبه، وكان يعلم أن صاحبه شخص ميت.
كان صوت أبيه، والذي كان الخبير الكوكبي هنا قبله.
أبوه الميت منذ زمن طويل، أثناء الانهيار الصخري في منطقة حوض الجص.
قال أبوه: "لقد أوقعت نفسك في مأزق صعب هنا يا بني. كان عليك أن تدرك عواقب محاولتك تقديم المساعدة لابن ذلك الدوق"
فكر كاينز: إني أهلوس.
بدا الصوت قادما من جهة اليمين. كشط كاينز وجهه على الرمال وهو يتحول لينظر في ذلك الاتجاه.. فلم يجد شيئا سوى كثيب رملي متقوس وممتد، وأعمدة الحرارة تتموج راقصة فوقه كشياطين في وهج الشمس الشديد.
قال أبوه: "كلما زادت الحيوات داخل المنظومة البيئية كلما زادت المواضع المناسبة لوجود الحياة"
وصدر الصوت هذه المرة من جهة اليسار، من وراءه.
سأل كاينز نفسه: لم هو مستمر في التنقل من مكانه؟ ألا يريدني أن أراه؟
قال أبوه: "الحياة تحسن من قدرة البيئة على تحمل كائنات حية إضافية. فوجود الحياة يجعل المواد الغذائية الضرورية متوفرة بدرجة أكبر. إنها تخزن المزيد من الطاقة داخل المنظومة، عبر التفاعل الكيميائي الهائل المتبادل بين كل كائن عضوي

وآخر"
سأل كاينز نفسه: لم يستمر في العزف على نفس هذا الوتر بإلحاح؟ إني أعلم هذه المعلومات منذ كان عمري 10 سنوات.
بدأت تحوم فوقه مجموعة من صقور الصحراء.. مخلوقات آكلة للجيف، كما هو حال أغلب الكائنات البرية في هذه الأرض.
رأى كاينز ظلا يعبر فوق يده، فأجبر رأسه على الاستدارة والنظر لأعلى.
كانت الطيور كبقعة ضبابية على خلفية سماء زرقاء فضية.. نقاط سخام بعيدة تحلق فوقه.
قال أبوه: "إننا نهتم بالعموميات. لا يستطيع المرء رسم خطوط فاصلة واضحة عندما يتعامل مع معضلات مجالها هو الكوكب بأكمله. فعلم البيئة الكوكبي يعتمد على 'التفصيل على المقاس'"
تساءل كاينز محتارا: ما الذي يريد إخباري به؟ هل هناك إحدى العواقب فاتتني ملاحظتها؟
عادت وجنته تسترخي على الرمل الساخن، فشم رائحة الصخر الملتهب تحت غازات البهار الأولي.
ومن أحد الأركان المنطقية في عقله تكونت فكرة: ما يحوم فوقي هي طيور آكلة للجيف. ربما سيراها بعض أتباعي الفريمن ويأتون لفحص الأمر.
قال أبوه: "إن أهم أداة عند الخبير الكوكبي العامل هي البشر. يجب أن تزرع المعرفة البيئية بين الناس. ولهذا السبب قمتُ بإنشاء هذا النوع الجديد تماما من أنواع رموز التدوين البيئي"
فكر كاينز: إنه يكرر أمورا كان قد قالها لي في صغري.
أخذ يشعر ببرودة، لكن هذا الركن المنطقي داخل عقله أخبره أن الشمس فوقه في وسط السماء، وأنه لا يرتدي بذلة تقطير، وأنه يشعر بالسخونة.. الشمس تحرق الرطوبة وتبخرها من جسده.
مرر أصابعه بوهن بين الرمال.
لم يسمحوا حتى بإعطائي ولو بذلة تقطير!
قال أبوه: "إن وجود الرطوبة في الهواء يساعد في منع عمليات البخر السريع من أجساد الكائنات الحية"
تساءل كاينز: لم هو مصر على تكرار البديهيات الواضحة؟
حاول التفكير متخيلا هواءا به رطوبة.. أعشابا تغطي هذا الكثيب.. وتحته مسطح مائي مفتوح.. قناة طويلة متدفقة بماء مفتوح للسماء، لا يُرى إلا في رسومات الكتب.
مسطحات مائية.. ماء للري..
تذكر أن ري هكتار واحد من الأرض خلال موسم زراعي واحد يستلزم 5000 متر مكعب من الماء.
قال أبوه: "هدفنا الأول على أراكس هو إيجاد أقاليم عشبية. سنبدأ بهذه الأعشاب التي طرأت عليها طفرات تمكنها من العيش في البيئة الفقيرة مائيا. وعندما نجح في حجز الرطوبة داخل أراضي عشبية سننتقل إلى الشروع في تكوين غابات نجدية، ثم بضعة مسطحات مائية.. صغيرة في بداية الأمر، وموضوعة في مسار الرياح السائدة، مع مرسبات الرطوبة ومصائد الرياح موزعة على امتداد هذه المسارات لاستعادة ما تسرقه الرياح. يجب أن نكوّن رياحا شرقية حقيقية.. رياح رطبة.. لكن لن يكون بإمكاننا أبدا الاستغناء عن مصائد الرياح"
فكر كاينز: دائما يحاضرني. لم لا يصمت؟ ألا يرى أني أموت؟
قال أبوه: "وستموت بالفعل أيضا إن لم تبتعد عن موضع الفقاعة التي تتكون الآن تحتك في الأعماق. إنها موجودة، وأنت تعلم هذا جيدا. بإمكانك أن تشم غازات البهار الأولي. وتعلم أن ديدان الصانع الصغيرة بدأت ترسل بعض مائها ليتلاقى بالكتلة المتجمعة"

فكرة وجود هذا الماء تحته كانت مثيرة للغضب المجنون.
أخذ يتخيله الآن.. ماء محصور في طبقة من الصخر المسامي بسبب كائنات الصانع الصغير، جلدية الملمس، والتي تعتبر نصف نبتة ونصف حيوان.. وتخيل الفتق الرفيع الذي كان يصب فيضا مائيا باردا نقيا شفافا سائلا راويا للعطش..
إلى داخل كتلة بهار أولي!
أخذ نفسا، فشم الرائحة السكرية العطنة. كانت الرائحة حوله أشد مما كانت عليه في السابق.
دفع كاينز نفسه ليستند على ركبتيه، وسمع صرخة طائر، وخفقان أجنحة سريع.
خطر له أن هذه المنطقة الصحراوية هي منطقة بهار. فغالبا سيكون هناك فريمن قريبون، حتى في فترة النهار. بالتأكيد يمكنهم رؤية الطيور وسيقومون بالتحري عما يجري.
قال أبوه: "إن التنقل بين التضاريس هو ضرورة للحياة الحيوانية. الشعوب البدوية تتبع نفس الضرورة. مسارات التنقل تتكيف مع الاحتياجات المادية للماء والطعام والمعادن. علينا الآن أن نتحكم في حركة التنقل هذه، وأن نجعلها تتطابق مع أهدافنا"
غمغم كاينز: "اخرس أيها العجوز"
قال أبوه: "يجب علينا أن نقوم على أراكس بشيء لم يسبق لأحد أن حاول القيام به على مستوى كوكب بأكمله. يجب أن نستخدم الإنسان كقوة بيئية بنّاءة.. أن نُدخل الكائنات الحية المتكيفة لتقوم بتشكيل البيئة: نبتة هنا، حيوان هناك، وإنسان هنا.. وأن نقوم بتحويل الدورة المائية.. أن نبني نوعا جديدا من التضاريس البيئية"
صاح كاينز: "اخرس!"
قال أبوه: "لقد كانت مسارات التنقل هي أول مفتاح نبهنا للعلاقة بين الديدان والبهار"
وهنا فكر كاينز في أمل مفاجئ: دودة. بالتأكيد ستأتي إحدى الديدان عندما تنفجر هذه الفقاعة.
لكني لا أملك أية خطاطيف. كيف سيمكنني أن أمتطي دودة كبيرة دون خطافين؟
شعر بالإحباط يستنزف قدر القوة الضئيل الذي كان متبقيا فيه.
ماء قريب للغاية، لكن على عمق 100 متر تحته تقريبا.. ودودة ستأتي لا محالة، لكن لا طريقة لإبقائها فوق سطح الرمال واستخدامها.
اندفع كاينز للأمام على الرمال، عائدا للجزء الضحل المضغوط الذي كانت حركاته قد رسمته في الرمال.
أحس بالرمل ساخنا ملاصقا لخده الأيسر، لكن الإحساس كان كأنه يأتي من مكان بعيد.
قال أبوه: "إن البيئة الأراكسية قد شكلت نفسها داخل الأنماط التطورية لأنواع الكائنات الحية المحلية"
"كم هو غريب أن عددا ضئيلا جدا من الناس هم من أبعدوا نظرهم عن البهار لبعض الوقت بما يكفي لأن يتساءلوا متعجبين عن التوازن شبه المثالي الموجود هنا بين نسب النيتروجين والأكسجين وثاني أكسيد الكربون، في حين أنه لا توجد مناطق واسعة بها غطاء نباتي. إن المجال الحيوي للكوكب متاح للرؤية والفهم.. أي نعم هي عملية قاسية، لكنها عملية على أية حال. هل توجد مرحلة ناقصة فيها؟ إذن هناك شيء يشغل هذا الفراغ. إن العلم مكون من الكثير من الأشياء التي تبدو واضحة بعد أن يتم تفسيرها. لقد كنت أعلم أن ديدان الصانع الصغيرة موجودة - تحت الرمال العميقة - قبل أن أراها فعلا بفترة طويلة"
همس كاينز: "أرجوك توقف عن إعطائي المحاضرات يا أبي"
هبط صقر على الرمال قريبا من يده الممتدة.

رآه كاينز يطوي جناحيه، ويميل رأسه ليحدق فيه. استجمع قوته كي يصيح فيه، فحجل الطائر واثبا مبتعدا خطوتين، لكن ظل يحدق فيه.
قال أبوه: "قبل الآن كان البشر وأعمالهم عبارة عن مرض على سطح كواكبهم. تميل الطبيعة للتعامل مع الأمراض إما بالقضاء عليها أو احتوائها.. تضمها داخل المنظومة بطريقتها الخاصة"
نكس الطائر رأسه وفرد جناحيه ثم عاد وطواهما. ثم نقل تركيزه لليد الممتدة.
وجد كاينز أنه لم يعد يملك من القوة ما يكفي للصياح به.
قال أبوه: "إن النظام التاريخي القائم على النهب والابتزاز المتبادلين سيتوقف هنا على أراكس. لا يمكن أن تستمر للأبد في سرقة ما تحتاجه دون أن تأخذ في الاعتبار من سيأتون بعدك. إن الخصائص الملموسة لأي كوكب مكتوبة في سجله الاقتصادي والسياسي. ومعنا السجل أمامنا، ومسارنا واضح"
فكر كاينز: لم يكن بإمكانه التوقف أبدا عن إعطاء المحاضرات. محاضرات، محاضرات، محاضرات.. دائما يحاضر.
وثب الصقر مقتربا خطوة من يد كاينز الممتدة، وأدار رأسه مرة هكذا ومرة هكذا كي يدقق في اللحم العاري.
قال أبوه: "إن أراكس هو كوكب من كواكب المحصول الواحد. محصول واحد فقط. يدعم طبقة حاكمة تعيش كما عاشت الطبقات الحاكمة في كل الأزمان، بينما أسفل منهم توجد جموع من أشباه البشر وأشباه العبيد تعيش على البقايا. ما يثير اهتمامنا هو هذه الجموع وهذه البقايا. فإن قيمتها تفوق - بكثير جدا - ما كان مظنونا في السابق"
همس كاينز: "إني أتجاهلك يا أبي. ارحل"
وفكر: بالتأكيد هناك بعض أتباعي الفريمن في مكان قريب. لا يمكن أن يفوتهم وجود هذه الطيور فوقي. سيتحرون عن الأمر، على الأقل بدافع معرفة ما إن كان يوجد هنا مصدر للرطوبة.
قال أبوه: "ستَعلم جموع أراكس أننا نعمل ساعين لجعل الأرض تفيض بالماء. بالطبع لن يفهم أغلبهم الطريقة التي ننوي بها تحقيق هذا إلا فهما شبه باطني وخيالي. بل وربما أن الكثير منهم - لعجزهم عن فهم معضلة العلاقة الكلية التي تمنع هذا - سيظنون أننا سنجلب الماء من كوكب آخر من الكواكب التي تزخر به. دعهم يظنوا ما يشاؤون، ما داموا يضعون ثقتهم فينا"
فكر كاينز: بعد قليل سأقف وأخبره برأيي فيه. كيف يقف هكذا ويحاضرني بينما كان الواجب عليه أن يساعدني؟
أخذ الطائر خطوة أخرى مقتربا من يد كاينز الممتدة. هبط صقران آخران على الرمال ووقفا وراءه.
قال أبوه: "يجب أن يصبح الدين والقانون بين جموعنا هما نفس الشيء. فأي فعل عصيان للأوامر يجب أن ينظر له كخطية، وأن يستلزم عقوبات دينية. سيكون لهذا الأمر فائدة مزدوجة: طاعة أشد وشجاعة أشد. فكما ترى، لا يجب أن نعتمد كثيرا على شجاعة الأفراد، بل على شجاعة شعب كامل"
فكر كاينز: وأين شعبي الآن وأنا في أشد الحاجة إليهم؟
استجمع كل قوته وحرك يده بمقدار إصبع ناحية أقرب صقر.
حجل الطائر للخلف واثبا، منضما لرفاقه، ووقفوا جميعا متأهبين للطيران.
قال أبوه: "إن جدولنا الزمني ستصبح له نفس مكانة الظواهر الطبيعية. إن حياة أي كوكب هي نسيج واسع ومتشابك بشدة.
في البداية ستكون التغيرات النباتية والحيوانية محكومة بالقوى الخام الملموسة والتي نحاول التلاعب بها. لكن عندما تشرع في تمكين نفسها فإن تغييراتنا ستصبح - بدورها وفي حد ذاتها - مؤثرات متحكمة.. وسيلزمنا أن نتعامل معها أيضا. لكن ضع في

ذهنك أننا نحتاج للتحكم بمجرد 3 بالمائة من السطح الحيوي..
3% فقط ستمكننا من إمالة الهيكل كله ناحية منظومتنا المكتفية ذاتيا"
تعجب كاينز: لماذا لا تساعدني؟ الأمر معك هو نفسه دائما: عندما أحتاجك فعلا، تخيب ظني فيك.
أراد أن يدير رأسه وأن يحدق في الاتجاه الذي يصدر منه صوت أبيه، وأن يُخجل العجوز بنظراته.
لكن العضلات رفضت الاستجابة لطلبه.
رأى كاينز الصقر يتحرك. تقدم من يده.. خطوة حذرة بعد أخرى، بينما وقف رفاقه ينتظرون في مظهر لا مبالٍ.
توقف الصقر على بعد مقدار وثبة واحدة من يده.
امتلأ عقل كاينز بوضوح عميق.
انتبه فجأة لاحتمال ممكن أن يتحقق لأراكس لم يتوقعه أبوه أبدا.
غمرته الاحتمالات الممكن حدوثها على امتداد هذا المسار.
قال أبوه: "لا توجد كارثة يمكن أن تحيق بقومك أكبر من أن يقعوا في يد بطل"
فكر كاينز: إنه يقرأ عقلي!.. حسنا، دعه يفعل. لقد أرسلتُ الرسائل بالفعل لقرى السياتش التابعة لي. لا يمكن لشيء أن يوقفها الآن. لو كان ابن الدوق حيا فسيعثرون عليه ويحمونه كما أمرتهم. ربما قد يتخلصون من المرأة، أمه، لكنهم سينقذون الفتى.
أخذ الصقر وثبة واحدة جعلته يكاد يكون ملامسا لليد. أمال رأسه ليفحص البشرة الساكنة.
لكنه اعتدل فجأة، ومد رأسه لأعلى، وبصرخة واحدة قفز في الهواء وحلق لفوق، بعيدا، ورفاقه خلفه.
فكر كاينز: لقد جاؤوا! قومي الفريمن عثروا علي!
ثم سمع هزيم الرمال.
كل فريمن كان يعلم هذا الصوت ويستطيع تمييزه في الحال من بين ضوضاء الديدان وباقي أصوات حياة الصحراء.
في مكان ما أسفله كانت كتلة البهار الأولي قد كدست ما يكفي من الماء والمواد العضوية من ديدان الصانع الصغيرة، ووصلت للمرحلة الحرجة من النمو المطرد.
كانت تتكون في عمق الرمال فقاعة هائلة الحجم من ثاني أكسيد الكربون، وترتفع لأعلى في شكل انفجار ضخم، في مركزه دوامة غبارية. ستقوم باستبدال ما تكوّن في أعماق الرمال بأي شيء يوجد على السطح.
حامت الصقور بالأعلى صارخة لما تشعر به من إحباط. لقد كانوا على علم بما يحدث. أي مخلوق صحراوي كان سيعلم.
فكر كاينز: إني مخلوق صحراوي. أتراني يا أبي؟ أنا مخلوق صحراوي.
شعر بالفقاعة ترفعه، وأحس بها تنفجر وبالدوامة الغبارية تحتويه، ساحبةً إياه لأسفل إلى الظلام البارد.
للحظة من الزمن كان الإحساس بالبرودة والرطوبة مريحا.
ثم - وبينما كان كوكبه يقتله - خطر لكاينز أن أباه وكل العلماء الآخرين كانوا على خطأ..
وأن أكثر مبادئ الكون إصرارا وانتشارا كانت الصدفة والزلل.
حتى الصقور يمكنها أن تنظر لهذه الحقائق بتقدير.

الفصل 31

النبوءات والاستبصار.. كيف يمكن اختبار صحتها في حين أن هناك أسئلة غير مجابة بهذا الشأن بعد؟
خذ هذا على سبيل المثال: إلى أي حد يمكن اعتبارها فعلا تنبؤا بـ 'مسار الموجة' (وهي الكلمة التي كان المؤدب يصف بها شكل رؤاه) وإلى أي حد هي عملية يقوم فيها المتنبئ بتشكيل المستقبل بحيث يتطابق في النهاية مع ما تقوله النبوءة؟
وماذا عن التوازنات المتناسقة المتأصلة في الفعل التنبؤي ذاته؟
هل يطّلع المتنبئ فعلا على المستقبل أم أنه ينتبه لوجود منطقة ضعيفة - كأنها صدع أو شق - بإمكانه أن يحطمها بكلمات أو قرارات، كما يفعل قاطع الألماس عندما يشذب جوهرته باستخدام ضربة من سكينه؟

من كتاب "تأملات خاصة عن المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

قال صوت الرجل الصادر من وسط ظلام الليل: "خذ ماءهما"
كافح بولس للسيطرة على خوفه، وألقى نظرة على أمه. عيناه المدربتان رأتا تأهبها للقتال وعضلاتها المنتظرة للانطلاق في لمح البصر.
قال الصوت القادم من مكانٍ أعلاهما: "سيكون من المؤسف أن نضطر للقضاء عليكما هكذا دون تروي"
فكرت جيسيكا: إنه الشخص الذي وجه لنا الكلام في البداية. هناك اثنان منهم على الأقل.. واحد على يميننا وآخر على يسارنا.
"سيجنورو هربوصا سوكارس هن مانجي لا شاجافاز دوي مي كامافاز نا بسلاس ليلي بال هروباص!"
كان المتكلم هو الرجل الواقف على يمينهما، مناديا من الجهة الأخرى للحوض.
في أذن بولس كانت الكلمات رطانة غير مفهومة، لكن بالاعتماد على تدريبها البني-جيزيرتي استطاعت جيسيكا التعرف على اللغة. شاكوبسا، إحدى لغات الصيد القديمة.. وكان الرجل - الموجود أعلاهما بمكان ما - يقول أنه من المحتمل أن هذين هما الغريبان اللذان كانوا يبحثون عنهما.
في الهدوء المفاجئ الذي تلا كلمات الرجل تدحرج الوجه المستدير للقمر الثاني صاعدا فوق صخور الحوض، وكأنه عجلة، بلونه العاجي المائل قليلا للزرقة.. وبدا باهرا، متأملا ما حوله.
صدرت من عند الصخور أصوات متدافعة.. من أعلاهما وعلى كلا الجانبين. حركات داكنة في نور القمر.
وعبر الظلال تدفقت شخوص كثيرة.
فكر بولس وهو يشعر بغصة مفاجئة: إنها فرقة كاملة!
تقدم أمام جيسيكا رجل طويل يرتدي بُرنسا مزركشا. كانت كمامة فمه ملقاة على جانبها لتسمح له بالكلام بوضوح، كاشفة - في النور الجانبي للقمر - عن لحية كثيفة.. لكن الوجه والعينين كانوا مخفيين تحت قلنسوته المدلاة للأمام.
قال: "ما هذا الذي نراه هنا.. إنس أم جن Jinn؟"
وعندما سمعت جيسيكا في صوته نبرة مزاح صادقة سمحت لنفسها بالشعور بشيء من الأمل.
كان هذا صوت قائد.. الصوت الذي أفزعهما في البداية باقتحامه الليل عليهما.

قال الرجل: "إنس بلا شك"
أحست جيسيكا - وإن لم تر - بوجود السكين المخبأة في طية من طيات ثوب الرجل. تركت نفسها تشعر بلحظة ندم لاذع على أنها وبولس لا يملكان أية دروع.
قال الرجل: "هل تتكلمان؟"
وضعت جيسيكا في أسلوبها وصوتها كل الغطرسة المَلَكية التي تقدر عليها.
كان من الضروري أن تكون الإجابة سريعة، لكنها لم تكن قد سمعت من هذا الرجل قدرا كافيا يضمن قيامها بالتسجيل الذهني لبيئته الثقافية ونقاط ضعفه.
قالت بنبرة قوية: "ومن هذا الذي ظهر لنا، مقلدا أفعال المجرمين في جنح الليل؟"
مالت الرأس المغطاة بقلنسوة البُرنس فجأة في توتر عصبي، ثم تحركت في استرخاء بطيء كشف لها الكثير.
إن الرجل يجيد التحكم بغضبه.
انزاح بولس مبتعدا عن موضع أمه قليلا، كي يجعلهما هدفين منفصلين، وليسمح لكل منهما بمساحة حرة للحركة.
استدارت الرأس المغطاة ناحية حركة بولس، كاشفةً جزءا من الوجه في نور القمر. رأت جيسيكا أنفا حادة وعينا لامعة، داكنة، شديدة القتامة بلا أي بياض فيها.. وشاربا كثا بني اللون ومفتولا لأعلى.
قال الرجل: "شبل نجيب. إن كنتما هاربين من الهاركونن، فربما يتم الترحيب بكما بيننا. فما قولك يا فتى؟"
برقت الاحتمالات في ذهن بولس: هل هي خدعة؟ أم حقيقة صادقة؟
احتاج الأمر لقرار فوري سريع.
قال بنبرة قوية: "ولماذا قد تقبل إيواء الهاربين؟"
قال الرجل طويل القامة: "طفل يفكر ويتكلم كما الرجال. حسنا، إجابةً على سؤالك يا أيها الـ ولي Wali الصغير، فإني ممن لا يدفعون الفيء Fai - أي جزية الماء - لآل هاركونن. ولهذا السبب يمكن أن أرحب بإيواء هاربين"
فكر بولس: إنه يعرف من نحن. نبرة صوته تحاول إخفاء هذا.
قال الرجل طويل القامة: "أنا ستيلجار، من الفريمن. هل يسرع هذا من حل عقدة لسانك يا فتى؟"
فكر بولس: إنه نفس الصوت. وتذكر الاجتماع الذي حضره هذا الرجل مطالبا بجثة صديق قتله الهاركونن.
قال بولس: "إني أعرفك يا ستيلجار. لقد كنتُ حاضرا مع أبي الاجتماع الذي جئت تطالب فيه بماء جسد صديقك. وقد أخذت معك أحد أتباع أبي.. دنكن أيداهو.. في عملية تبادل للأصدقاء"
قال ستيلجار: "وقد تخلى عنا أيداهو عائدا لدوقه"
لاحظت جيسيكا في صوته شيئا من الاحتقار، فهيئت نفسها استعدادا للهجوم.
قال الصوت القادم من الصخور أعلاهما: "إننا نضيع وقتنا هنا يا ستيل"
صاح ستيلجار: "إنه ابن الدوق. لا شك أنه الشخص الذي أخبرنا ليات أن نبحث عنه"
"لكن يا ستيل.. إنه طفل"
قال ستيلجار: "لقد كان الدوق رجلا، وهذا الصبي عرف استخدام الدقاق. كان عبوره في طريق شَي-خلود شجاعا"
وسمعت جيسيكا في كلماته أنه كان يستبعدها من أفكاره. هل أصدر حكمه ضدها بالفعل؟
قال الصوت أعلاهما محتجا: "لا وقت لدينا لإجراء الاختبار"
قال ستيلجار: "لكنه قد يكون لسان الغيب"

فكرت جيسيكا: إنه يبحث عن علامة فألٍ ما!
قال الصوت القادم من فوقهما: "لكن المرأة..."
أعادت جيسيكا تهيئة نفسها. كان هذا الصوت يقطر موتا.
قال ستيلجار: "أجل. المرأة. وماءها"
قال الصوت القادم من الصخور: "إنك تعلم القانون. من يعجزون عن التعايش مع حياة الصحراء..."
قال ستيلجار: "اصمت. فالعادات تتغير"
قال الصوت القادم من الصخور: "هل أمر ليات بهذا؟"
قال ستيلجار: "لقد سمعتَ صوت السيلاجو يا جيمِس. لم تضغط علي هكذا؟"
وفكرت جيسيكا: سيلاجو!
فتحت لغة هذه الكلمة أمامها سبلا واسعة من الفهم. لقد كانت لغة العلم Ilm والفقه Fiqh. وسيلاجو تعني الخفاش.. حيوان ثديي صغير طائر. أما صوت السيلاجو فيعني أنهم تلقوا رسالة - عبر جهاز ترجوم طيري - تأمرهم بالبحث عنها وعن بولس.
قال الصوت القادم من فوقهما: "كل ما أقصده هو تذكيرك بواجباتك، أيها الصَديق ستيلجار"
قال ستيلجار: "إن واجبي هو تقوية القبيلة. هذا هو واجبي الوحيد. ولا أحتاج لأن يذكرني به أحد. هذا الصغير - الذي يتصرف كالكبار - يثير اهتمامي. فمع أنه ممتلئ لحما، وعاش معتادا شرب الماء الوفير، ولم يتعرض كثيرا لأبينا الشمس، وليست عيناه كعيون العباد Ibad، إلا أنه لا يتكلم ولا يتصرف كأحد الضعاف الساكنين في الأغوار. وأبوه أيضا لم يكن يتصرف مثلهم. فما تفسير هذا؟"
قال الصوت القادم من عند الصخور: "لا يمكن أن نبقى هنا نتجادل طوال الليل. لو أن دورية مر..."
قال ستيلجار: "اصمت يا جيمس، لن أكرر هذا مرة أخرى"
ظل الرجل الواقف أعلاهما صامتا، لكن جيسيكا سمعته يتحرك، متجاوزا بقفزة أحد الممرات الضيقة، وهابطا لقاع الحوض على يسارهما.
قال ستيلجار: "أشار صوت السيلاجو إلى أن إنقاذكما ربما يجر علينا نفعا قيّما. بإمكاني أن أرى بوادر طيبة في هذا الولد الذي يشبه الرجال.. فهو صغير السن ويمكن أن يتعلم. لكن ماذا عنك يا امرأة؟"
وحدق في جيسيكا.
فكرت جيسيكا: الآن قد اكتمل تسجيلي الذهني لصوته ونمطه. بإمكاني أن أتحكم فيه بكلمة.. لكنه رجل قوي الشخصية، سيكون أنفع لنا بدرجة أكبر إن ظل حاد الذهن ومتمتعا بحرية كاملة في التصرف. سنرى.
قالت جيسيكا: "إني أم هذا الولد. فجزء من قوته التي أثارت إعجابك هو نتاج تدريبي له"
قال ستيلجار: "إن قوة المرأة قد تكون بلا حدود. وهذا أمر مؤكد في حالة السيدات الموقرات. هل أنت سيدة موقرة؟"
نحّت جيسيكا عن عقلها - مؤقتا - دلالات السؤال، وأجابت بصدق: "لا"
"هل أنت مدرَبة على أساليب الحياة الصحراوية؟"
"لا. لكن الكثيرين يعتبرون تدريبي ذا قيمة كبيرة"
قال ستيلجار: "نحن من يصدر أحكامنا الخاصة بشأن القيمة"
قالت: "لكل إنسان الحق في إصدار أحكامه الخاصة"

قال ستيلجار: "جيد أنك متفهمة للسبب. ليس بإمكاننا التلكؤ هنا كي نمتحن حقيقتك يا امرأة. هل تتفهمين هذا؟ لا نريد أن يؤرقنا وزر روحك. سآخذ الفتى الذي يتصرف كالرجال، ابنك، وسيكون تحت حمايتي، وسيكون له مأوى ضمن قبيلتي. أما بالنسبة لك يا امرأة، فـ.. هل تتفهمين أن تصرفنا هذا لن يكون نابعا عن عداء شخصي؟ بل هي قاعدة متبعة.. 'استصلاح' Istislah .. أي للصالح العام. أليس هذا كافيا؟"

تقدم بولس نصف خطوة للأمام: "عم تتكلم؟"

رمى ستيلجار بولس بنظرة سريعة، لكنه أبقى انتباهه منصبا على جيسيكا: "إن لم يكن الشخص قد تم تدريبه تدريبا واسعا على أساليب الحياة هنا منذ طفولته فإنه قد يتسبب في القضاء على القبيلة بأكملها. هذا هو القانون، ولا يمكننا أن نحمل عديمي الفائد..."

بدأت حركة جيسيكا في صورة إغماء مزيف وسقوط مفاجئ على الأرض.

كان مثل هذا الفعل متوقعا بوضوح أن يصدر من شخص أجنبي ضعيف.. والأفعال الواضحة تؤدي لإبطاء ردود أفعال الخصم. فالعقل يستغرق برهة لتفسير الشيء المعروف عندما ينكشف أن هذا الشيء هو في الحقيقة غير معروف.

انزاحت جانبا عندما رأت كتفه الأيمن يخفض ليلتقط سلاحا موجودا بين طيات ثوبه ليصوبه إلى موقعها الجديد.

استدارة ثم حركة من ذراعها سريعة كالسوط، ثم دوران سريع لثوبين متداخلين.. بعدها كان ظهرها للصخور والرجل معدوم الحيلة أمامها.

مع أولى حركات أمه تراجع بولس خطوتين. وبينما هي تقوم بهجومها انغمس هو مختفيا بين الظلال.

قام رجل ملتح بالوقوف في طريقه، رابضا بعض الشيء، ومندفعا بقوة للأمام حاملا في إحدى يديه سلاحا.

ضرب بولس الرجل تحت عظمة القص بلكمة بيد منبسطة، ثم خطا جانبا وضرب منطقة أسفل عنقه بجانب يده، مستوليا على سلاحه أثناء سقوطه أرضا.

ثم ولج بولس في الظلال، مندفعا في صعوده بين الصخور، والسلاح مدسوسا في وشاح خصره.

كان قد تعرف على نوعه على الرغم من شكله غير المألوف.. سلاح قاذف. باح هذا بأشياء كثيرة فيما يتعلق بعادات هذا المكان.. دليل آخر على أن دروع الطاقة لا تُستخدم هنا.

سينصب انتباههم على أمي وهذا الشخص المسمى ستيلجار. بإمكانها أن تتعامل معه. أما أنا فعلي بلوغ موضع آمن يعطيني أفضلية في التصويب بحيث يمكنني أن أهددهم وأمنحها وقتا يسمح لها بالهرب.

صدرت من الحوض سلسلة من أصوات زنبركية وكأنها جوقة موسيقية. أزّت مقذوفات من حوله مرتطمة بالصخور. ضربت إحداها ثوبه بقوة.

حشر نفسه منعطفا عند ركن بالصخور فوجد نفسه داخل شق رأسي ضيق. شرع في الصعود لأعلى بالتدريج، بحيث كان ظهره مستندا على أحد الجانبين، وقدماه مستندتين على الآخر.

صعد ببطء، وبأقصى ما يستطيعه من هدوء.

وصله صدى هزيم صوت ستيلجار: "تراجعوا يا حشرات القمل، يا رؤوس الديدان! إنها ستكسر عنقي لو اقتربتم!"

قال صوت أحدهم صادرا من الحوض: "لقد هرب الصبي يا ستيل. ماذا سنف..."

"بالطبع قد هرب، يا ذا الرأس الرملية. آي! رفقا بي يا امرأة!"

قالت جيسيكا: "أصدر لهم أمرا بالتوقف عن مطاردة ابني"

"لقد توقفوا يا امرأة. فلت منهم كما أردتِ منه أن يفعل. يا للآلهة السفلية! لماذا لم تقولي أنك امرأة عجائبية ومقاتلة؟"

قالت جيسيكا: "أخبر رجالك بأن يعودوا للخلف. أخبرهم أن يهبطوا لمنتصف الحوض كي أتمكن من رؤيتهم. وتأكد من أني أعلم تماما عددهم كلهم"
وفكرت: هذه هي اللحظة الحساسة.. لكن إن كان هذا الرجل حاد الذهن كما أظنه فستكون أمامنا فرصة.
صعد بولس في طريقه لأعلى بوصة بعد بوصة، فوجد إفريزا ضيقا يمكن له أن يرتاح عليه وأن ينظر للحوض أسفله.
ارتفع صوت ستيلجار واصلا له.
"وماذا إن رفضتُ؟ كيف سيمكنك ساعتـ.... آخ! اتركيني يا امرأة! فالآن لم تعد لدينا نية لإصابتك بأي أذى. يا للآلهة العظمى! إن كنتِ قادرة على فعل هذا بأقوى رجل فينا فإن قيمتك تفوق وزن ماء جسدك 10 مرات"
فكرت جيسيكا: والآن حانت لحظة الاختبار العقلي. قالت: "أتسعى للسؤال عن لسان الغيب؟"
قال: "ربما تكونان المذكورَين في الأساطير. لكني سأؤمن بهذا عندما يتم اختبار صحته. كل ما أعلمه الآن هو أنكما قد جئتما إلى هنا مع ذاك الدوق الغبي... آي! يا امرأة! لا يهمني إن قتلتيني! لقد كان رجلا شريفا وشجاعا لكن من الغباء أن يضع نفسه في طريق القبضة الهاركونية!"
ساد صمت.
وبعد برهة قالت جيسيكا: "لم يكن أمامه خيار، لكن لن نتجادل في هذا الأمر. أما الآن فاخبر هذا الرجل التابع لك والمختفي وراء تلك الشجيرة أن يتوقف عن محاولة تصويب سلاحه ناحيتي، وإلا سأخلّص الكون منك ثم سأقضي عليه بعد ذلك"
زأر ستيلجار قائلا: "أنت يا من تقف هناك! افعل كما قالت!"
"لكن يا ستيل..."
"نفذ ما قالته، يا وجه الدودة، يا قطعة براز السحلية الزاحف، يا ذا الرأس المملوء بالرمال! افعل كما قالت وإلا سأعينها على تقطيعك إربا! ألا ترى قيمة هذه المرأة؟"
اعتدل الرجل الواقف عند الشجيرة ونهض من موضع اختفائه الجزئي، وخفض سلاحه.
قال ستيلجار: "لقد أطاعك"
قالت جيسيكا: "والآن، اشرح لقومك بوضوح ما الذي تريده مني. فلا أرغب في أن يقوم أحد صغار السن المتهورين بخطأ طائش"
قال ستيلجار: "عندما نتسلل لداخل القرى والبلدات نضطر لإخفاء أصلنا، وإلى الاندماج بسكان الغور والوادي. ولا نحمل أية أسلحة، حيث أن الكريسنايف شيء مقدس. لكن أنت يا امرأة فتتمتعين بالقدرة العجائبية على القتال. كان قد وصلنا خبرها سماعا فقط، وشك الكثيرون في حقيقة وجودها، لكن لا يستطيع المرء أن يشكك فيما يراه بعينيه. لقد تغلبتِ على فرد مسلح من الفريمن. إن هذه القدرة سلاح لا يستطيع أي تفتيش أن يكشف وجوده"
سادت الواقفين في الحوض حركة مضطربة عندما استوعبوا كلمات ستيلجار.
"وإذا وافقتُ على تعليمكم هذه الطريقة.. العجائبية؟"
"ستكونين - وابنك - تحت حمايتي"
"وكيف لنا أن نتأكد من صدق تعهدك؟"
فقد صوت ستيلجار شيئا من نبرات التعقل، وبدا فيه شيء من المرارة الحادة: "في مناطقنا هذه يا امرأة لا نحمل أوراق عقود. لا نعطي وعودا مسائية ثم ننقضها عند الفجر. عندما يقول أحدنا شيئا فإنه يكون عقدا مبرما. وبصفتي قائد لقومي فإني قد ربطتهم بالوفاء بكلمتي التي أعطيتها. علمينا هذه الطريقة العجائبية وسيكون لك ملجأ بيننا طالما رغبتِ في ذلك.

وماؤك سيندمج بمائنا"
قالت جيسيكا: "وهل بإمكانك أن تتحدث باسم كل الفريمن؟"
"قد يتحقق هذا فيما بعد. لكن أخي ليات فقط هو من يتحدث الآن باسم كل الفريمن. أما هنا فكل ما أتعهد لك به هو السرية. لن يخبر قومي أي سياتش آخر عنكما. لقد عاد الهاركونن لكوكب كثيب بقواتهم، ودوقك قد مات. ويقال أن كليكما قد مات في عاصفة هائلة. والصياد لن يسعى لمطاردة فريسة ميتة"
فكرت جيسيكا: هذا أمر مطمئن. لكن هؤلاء الناس يملكون وسائل اتصال جيدة، فيمكن لأي شخص أن يرسل رسالة.
قالت: "أتوقع أنه توجد مكافأة معروضة مقابل الإرشاد عنا"
ظل ستيلجار صامتا، وكادت أن ترى الأفكار وهي تتقلب في رأسه، لشعورها بحركات عضلاته تحت يديها.
ثم لم يلبث أن قال: "سأكرر لك الأمر مرة أخرى: لقد أعطيتك عهد القبيلة المؤكد. فقومي يدركون الآن قيمتك النافعة لنا. وماذا يمكن للهاركونن أن يعطونا؟ حريتنا؟ هاه.. لا، إنك 'التقوى Taqwa'.. ذاك الشيء الذي سيمكّننا من شراء ما هو أكثر قيمة بكثير من كل البهار الموجود في خزائن الهاركونن"
قالت جيسيكا: "إذن سأعلمكم طريقتي القتالية"، وشعرت بوزن كلماتها وأثرها الطقوسي الشديد في لا وعيها.
"والآن، هلا أطلقتِ سراحي؟"
قالت جيسيكا: "فليكن"، وأطلقت سراحه من تحت يديها القابضتين عليه، وخطت للجانب فصارت مرئية تماما لأي شخص واقف عند حافة الحوض.
وفكرت: ها هي لحظة اختبار صدقهم. لكن يجب أن يعلم بولس حقيقة طباعهم، حتى لو لزم الأمر أن أموت كي يعلم هذا.
خلال صمت الانتظار أطل بولس للأمام بمقدار صغير كي يرى مكان وقوف أمه بصورة أفضل. وبينما هو يتحرك سمع تنفسا ثقيلا قد سكن فجأة، وكان صادرا من موضع بالشق العمودي الصخري بالأعلى. وأحس بوجود ظل باهت هناك، وقد أحاطت النجوم بحوافه.
صدر صوت ستيلجار من الحوض: "أنتِ يا من تقفين هناك! توقفي عن مطاردة الصبي. فسينزل من تلقاء نفسه بعد قليل"
جاء صوت فتى صغير أو فتاة من الظلام فوق بولس: "لكن يا ستيل لا يمكن أن يكون قد ابتعد عن..."
"قلت لك اتركيه يا شاني! يا بنت السحلية!"
سمع بولس سُبة لاعنة مهموسة من مكان فوقه، ثم صوتا خافتا يقول: "أنا يسميني بنت سحلية؟!"
لكن انسحب الظل بعيدا عن نظره.
أعاد بولس انتباهه للحوض، ملاحظا حركة ستيلجار - كظل داكن - جوار أمه.
صاح ستيلجار: "تعالوا كلكم" ثم التفت لجيسيكا: "والآن سأسألك أنا كيف لنا أن نستوثق من وفائك بجزء الصفقة الخاص بك؟ فأنت من قضيتِ عمرك بين الأوراق والعقود فارغة المعنى، وما إلى ذلك من..."
قالت جيسيكا: "نحن البني-جيزيرت لا نخرق عهودنا، تماما كما هو الأمر عندكم"
ساد صمت طويل، ثم صدر هسيس من عدة أصوات تقول: "إنها ساحرة بني-جيزيرتية!"
التقط بولس من وشاحه السلاح الذي استولى عليه، وصوبه ناحية جسد ستيلجار المظلم. لكن الرجل ورفاقه ظلوا ساكنين، محدقين في جيسيكا.
قال أحدهم: "إنها النبوءة"
قال ستيلجار: "قد قيل أن الشادوت ميبس قدمت تقريرا شفهيا يقول أنك هكذا فعلا، لكن شيئا بهذه الأهمية يجب أن

يُمتحن. إن كنت أنت البني جيزيرت المذكورة في الأساطير والتي سيقودنا ابنها إلى الفردوس..."
ثم هز كتفيه.
تنهدت جيسيكا مفكرة: إذن قد قامت بعثاتنا الإرسالية أيضا بغرس صمامات أمان دينية على امتداد حفرة الجحيم هذه.
آه، حسنا.. سيساعدنا هذا.. فهذا هو الهدف من وضعها أصلا.
قالت: "إن العرافة التي تنبأت لكم بهذا قد أوصلته لكم محكوما بضوابط الكرامات Karama والإعجاز Ijaz.. أي أن صاحب النبوءة سيؤدي معجزات وستكون غير قابلة للمحاكاة. هذا الأمر أعرفه. هل ترغب في رؤية آية تدلل على الصحة؟"
اتسعت فتحتا أنفه في نور القمر، وهمس: "ليس في وسعنا أن نتأخر هنا ونقيم الشعائر الطقسية"
تذكرت جيسيكا خريطة كان كاينز قد أراها إياها بينما يدبران طرق هرب طارئة. كم يبدو هذا الأمر وكأنه حدث منذ وقت طويل!
كان على الخريطة موضع يسمى 'سياتش طَبر' وبجانبه ملحوظة تقول: ستيلجار.
قالت: "إذن ربما نقوم بالأمر عندما نصل لسياتش طبر"
اهتز الرجل للمفاجأة، وفكرت جيسيكا: آه لو يعلم الحيل التي نستخدمها!
واضح أنها كانت ماهرة، تلك المرأة البني-جيزيرتية التي كانت ضمن البعثات الإرسالية. فهؤلاء الفريمن تمت تهيئتهم بشكل جميل، ومستعدون لأن يؤمنوا بنا.
تحرك ستيلجار في توتر: "يجب أن نرحل الآن"
أومأت موافقة، كي تجعله يدرك أنهم رحلوا بإذنها هي.
رفع بصره للجرف بحيث كاد يكون ناظرا مباشرة للإفريز الصخري الذي يربض عليه بولس: "أنت يا فتى.. يمكنك أن تهبط الآن"
عاد بانتباهه لجيسيكا، وتكلم بنبرة اعتذارية: "لقد أصدر ابنك قدرا هائلا من الضوضاء أثناء تسلقه. سيكون عليه تعلم الكثير كي لا يعرضنا جميعا للخطر، لكنه لا زال صغيرا"
قالت جيسيكا: "لا شك أن كلا منا عنده الكثير ليعلمه للآخر. وإلى أن يحين ذلك الوقت فمن الأفضل أن تعالج رفيقك الملقى هناك. فابني المثير للضوضاء تعامل معه بشيء من العنف عندما جرده من سلاحه"
استدار ستيلجار بسرعة بحيث خفقت قلنسوته: "أين؟"
أشارت: "وراء تلك الشجيرات"
مس ستيلجار اثنين من رجاله وقال: "قوما بالأمر"
ونظر لرفاقه متعرفا على وجوههم، ثم قال: "جيمِس مفقود"
التفت لجيسيكا: "حتى ابنك يعرف طريقة القتال العجائبية؟"
قالت جيسيكا: "وستلاحظ أيضا أن ابني لم يتحرك من مكانه بالأعلى على الرغم من أنك أمرته بهذا"
عاد الرجلان اللذان بعثهما ستيلجار وهما يسندان بينهما شخصا ثالثا، يتعثر ويلهث.
ألقى عليهم ستيلجار نظرة سريعة ثم عاد بانتباهه لجيسيكا: "إذن الابن لن ينفذ سوى أوامرك أنت؟ جميل. يفهم الانضباط"
قالت جيسيكا: "بولس، بإمكانك أن تهبط الآن"
نهض بولس، فبرز في نور القمر فوق الشق الصخري الذي كان يختفي فيه. دس السلاح الفريمني في حزام وشاحه من جديد.

وبينما هو يستدير وقف شخص آخر من بين الصخور وواجهه.
في نور القمر والانعكاس القادم من الحجارة الرمادية رأى بولس شخصا صغيرا مرتديا ثوبا فريمينيا، ووجهه المظلم يحدق فيه من تحت القلنسوة.. بينما فوهة أحد الأسلحة القاذفة مصوبة ناحيته من بين طية من طيات الثوب.
"أنا شاني، ابنة ليات"
كان الصوت مرحا، يكاد يكون ضاحكا.
قالت: "ما كنتُ سأسمح لك بإيذاء أحد رفاقي"
ازدرد بولس لعابه. استدار الشخص الواقف أمامه بحيث صار في مسار نور القمر، فرأى وجها فاتنا، وعينين سوداوين غائرتين.
حقيقة أن هذا الوجه كان مألوفا له - وأنه قد رأى الملامح في رؤاه الاستبصارية الأولى عددا هائلا من المرات - صدمت بولس فجمدته. وتذكر التبجح الغاضب الذي كان قد وصف به هذا الوجه 'الخارج من عالم الأحلام'، عندما قال للسيدة الموقرة جايس هيلين موهيم: سأقابلها.
وها هو الوجه أمامه، لكن في موقف لقاء لم يره أبدا في أحلامه.
قالت: "لقد أثرتَ الضوضاء كما لو أنك شي-خلود نفسه وهو في حالة غضب. ثم أنك اتخذت أصعب السبل الصاعدة إلى هنا. اتبعني، فسأريك طريقا أسهل للهبوط"
اندفع خارجا من الشق، وتبع استدارة ثوبها عبر تضاريس متدحرجة.
كانت تتحرك كالغزال، راقصة في خفة على الصخور. شعر بولس بالدم الساخن في وجهه، فكان شاكرا لوجود الظلام الذي يخفي ملامحه.
هذه الفتاة! لقد كانت كلمسة من القدر. شعر بأنه متعلق بموجة.. صاعدا بالتزامن مع حركة رفعت معنوياته كلها.
وبعد قليل كانا يقفان وسط الفريمن على أرضية قاع الحوض.
التفتت جيسيكا لبولس وعلى وجهها ابتسامة ملتوية، لكنها وجهت كلامها لستيلجار: "سيكون هذا تبادلا جيدا للدروس. أرجو ألا تكون أنت أو قومك تشعرون بغضب لما صدر عنا من عنف. إذ بدا أنه.. ضروري. كنتم على وشك.. ارتكاب غلطة"
قال ستيلجار: "إن إنقاذ المرء من الغلط هو منحة من الفردوس"
مس شفته بيده اليسرى والتقط السلاح من خصر بولس بالأخرى، ورماه لأحد مرافقيه.
"سيكون لك مسدس مَولى Maula خاص بك يا غلام، لكن عندما تستحقه"
بدأ بولس يرد ثم تردد، متذكرا تعاليم أمه: 'إن البدايات هي أوقات حساسة للغاية'
قالت جيسيكا: "يملك ابني كل ما يحتاجه من أسلحة"
وحدقت في ستيلجار، فأجبرته على التفكير في الكيفية التي حصل فيها بولس على المسدس.
ألقى ستيلجار نظرة على الرجل الذي صرعه بولس.. جيمس. كان الرجل يقف على أحد الجوانب، ورأسه منسدل لأسفل، وتنفسه ثقيل.
قال ستيلجار: "إنك لامرأة صعبة المراس". ثم مد يده اليسرى لأحد رفاقه وفرقع أصابعه قائلا: "كوشتي بكاء تي"
فكرت جيسيكا: المزيد من لغة الشاكوبسا.
وضع الرفيق في يد ستيلجار مربعين من الشاش. مررهما ستيلجار بين أصابعه، وثبّت واحدا حول رقبة جيسيكا تحت

قلنسوتها، ووضع الآخر حول رقبة بولس بنفس الطريقة.
قال: "والآن صرتما ترتديان منديل البكّاء Bakka. إن تفرّقنا فسيعرف الآخرون أنكما تابعان لسيائش ستيلجار. أما الأسلحة فسنتحدث عنها في وقت آخر"
سار بين أفراد جماعته، فاحصا إياهم، ومعطيا عدة بولس الفريمنية لأحد رجاله كي يحملها.
فكرت جيسيكا: بكاء. وتعرفت على المصطلح الديني.. الباكي.
شعرت بالطريقة التي تُوحّد بها رمزية المنديل بين أفراد جماعته. وسألت نفسها: لماذا يوحد البكاء بينهم؟
اقترب ستيلجار من الفتاة الشابة التي كانت قد أحرجت بولس، وقال: "شاني، خذي هذا الصبي-الرجل تحت جناح رعايتك. وجنبيه الوقوع في المشاكل"
لمست شاني ذراع بولس: "تعال واتبعني أيها الصبي-الرجل"
أخفى بولس الغضب من نبرته وقال: "اسمي بولس، ومن الأفضل لك أن..."
قال ستيلجار: "سنعطيك نحن اسما يا رُجَيل.. في وقت المحنة Mihna، أثناء اختبار العقل Aql"
ترجمت جيسيكا لنفسها: اختبار العقل.
تغلب الاحتياج المفاجئ لإبراز بولس في مكانة عليا على كل الاعتبارات الأخرى، فصاحت: "لقد تم اختبار ابني بالجوم-جبار!"
في الهدوء الذي استتبع ذلك علمت أنها مست قلوبهم في الموضع الصحيح.
قال ستيلجار: "يوجد الكثير مما لا نعلمه عن بعضنا البعض، لكننا نتلكأ هنا أكثر من اللازم. لا يجب أن تطلع علينا شمس النهار ونحن في العراء"
خطا ناحية الرجل الذي كان بولس قد صرعه وقال: "جيمس، أبإمكانك السير؟"
أجابته زمجرة: "لقد فاجئني، هذا هو كل ما في الأمر. لقد كانت حادثة عارضة. بإمكاني السير"
قال ستيلجار: "لم تكن حادثة عارضة. إني أحملك - مع شاني - مسؤولية سلامة الفتى يا جيمس. هذان الاثنان قد دخلا تحت حمايتي"
حدقت جيسيكا في الرجل.. جيمس. كان صوته هو الصوت الذي جادل ستيلجار قادما من الصخور. كان صوته هو الصوت الذي يقطر موتا. ورأى ستيلجار أنه يستحسن أن يعيد تأكيد أوامره لجيمس هذا.
ألقى ستيلجار نظرة فاحصة على المجموعة، وأشار لرجلين بالخروج.
"لاروس وفرّوخ، مهمتكما أنتما الاثنان هي إخفاء آثار أقدامنا. احرصا على ألا نترك وراءنا أي أثر. وشددا في الأمر فوق المعتاد.. فمعنا اثنان لم يتم تدريبهما"
ثم استدار ويده مرفوعة وموجهة لامتداد الحوض: "سيروا في جماعات مكونة من صفوف ويحيط بها مراقبون على الجانبين. تحركوا. ينبغي أن نكون عند كهف القمم قبل الفجر"
بدأت جيسيكا تسير خلف ستيلجار، وتعد الرؤوس. كان يوجد 40 فريمني.. هي وبولس جعلا العدد 42. وفكرت: إنهم في ترحالهم يسيرون كفرقة عسكرية.. حتى الفتاة شاني.
أخذ بولس مكانه في الصف خلف شاني. كان قد كبح كآبته الناتجة عن كشف الفتاة لمكانه.
عقله الآن كانت تسوده الذكرى التي استعادتها صيحة أمه: لقد تم اختبار ابني بالجوم-جبار!
شعر بوخز في يده نتيجة تذكر الألم.

قالت شاني في هسيس: "انتبه لمكان خطواتك. لا تحتك بشجيرة كي لا تترك خيطا يدل على مرورنا هنا"
ابتلع بولس ريقه وهز رأسه مستجيبا.
أصغت جيسيكا لأصوات المجموعة، فسمعت خطوات أقدامها وأقدام بولس، وتعجبت للطريقة التي يتحرك بها الفريمن.
كانوا 40 شخصا يعبرون الحوض دون أن تصدر عنهم سوى أصوات المكان الطبيعية..
كقوارب فلوكة شبحية، وأثوابهم تطير عبر الظلال.
هدفهم هو سياتش طبر.. السياتش التابع لستيلجار.
أدارت الكلمة في ذهنها.. سياتش.
كانت كلمة بلغة الشاكوبسا، لم تتغير في لغة الصيد القديمة حتى مع مرور قرون لا حصر لها.
سياتش: أي مكان للتجمع في أوقات الخطر.
الدلالات العميقة للكلمة وللغة كانت قد بدأت للتو تستقر في ذهنها بعد التوتر الناتج عن بداية اللقاء.
قال ستيلجار: "إننا نتحرك بمعدل جيد. بمباركة شي-خلود لنا سنصل لكهف القمم قبل الفجر"
أومأت جيسيكا، موفرةً طاقتها، وشاعرة بالإرهاق الفظيع الذي كانت تبعده عنها بقوة الإرادة.. و - اعترفت لنفسها - بقوة الابتهاج.
فقد ركز عقلها على قيمة هذه الفرقة، وأدرك ما انكشف هنا عن طبيعة مجتمع الفريمن.
فقد خطر لها أنهم كلهم - ومجتمعهم وثقافتهم بأكملها - مدربون بالكامل على الانضباط العسكري.
بالنسبة لدوق منفي فإنهم شيء لا يُقدّر بثمن!

الفصل 32

كان الفريمن بلا منازع عندما يتعلق الأمر بتلك الصفة التي أسماها القدماء (سبانونجس بوجن spannungsbogen).. أي ضبط النفس بحيث يكون هناك وقت طويل بين اشتهاء الشيء وبين مد اليد إليه لتناوله"

من كتاب "حكمة المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

مع طلوع الفجر كانوا يقتربون من كهف القمم، سائرين عبر فرجة بالغة الضيق في جدار الحوض حتى أنهم اضطروا للسير بالعرض كي يمروا من خلالها.
رأت جيسيكا - في ضوء الفجر الخافت - ستيلجار يرسل بعض الرجال للحراسة، وشاهدتهم للحظة بينما هم يشرعون في التسلق صاعدين لأعلى الجرف.
رفع بولس رأسه أثناء سيره، فرأى النسيج الموشى لهذا الكوكب مقطوعا في المنتصف عند انفراج الشق الضيق، وبدت من خلاله السماء الزرقاء الداكنة. شدته شاني من ثوبه كي تحثه على الإسراع، وقالت: "بسرعة. فقد بدأ الضوء ينتشر"
همس بولس: "الرجال الذين تسلقوا أعلى منا.. إلى أين هم ذاهبون؟"
قالت: "إنها وردية الحراسة الأولى. والآن أسرع!"
فكر بولس: حرس يتم تركهم بالخارج. تصرف حكيم، لكن الأكثر حكمة هو أن نتقدم مقتربين من هذا المكان على شكل فرق منفصلة. فبهذا تقل فرص القضاء على المجموعة بالكامل.
توقف ذهنه عندما خطر له هذا، وأدرك أن هذا التفكير كان تفكير حرب عصابات..
وتذكر خشية أبيه من أن آل أتريديز قد يصبحون عائلة مضطرة لأساليب حروب العصابات.
همست شاني: "أسرَع"
أسرع بولس خطواته، مصغيا لحفيف الأثواب خلفه. وأخذ يفكر في كلمات فقرة 'الصراط Sirat' الموجودة في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي الضئيل الذي أعطاه له يُوي. "الجنة على يميني، والنار على يساري، وملَك الموت من ورائي"
أدار الاقتباس في عقله.
انعطفوا عند ركن فاتسع الممر. وقف ستيلجار جانبا مشيرا لهم بالدخول عبر فتحة منخفضة كان إطارها ذا زوايا قائمة.
همس: "بسرعة! فسنصبح كأرانب محبوسة في قفص لو عثرت علينا هنا إحدى الدوريات"
انحنى بولس كي يدخل عبر الفتحة، وتبع شاني إلى داخل كهف ينيره ضوء رمادي باهت صادر من مكان ما في المقدمة.
قالت: "بإمكانك أن تعتدل واقفا"
اعتدل، وفحص المكان. كان منطقة عميقة ومتسعة ولها سقف مقبب، منحنٍ على ارتفاع يبعد بقليل عن متناول الشخص.
انسل أفراد المجموعة منتشرين في الظلال.
رأى بولس أمه تظهر عند أحد الجوانب، وتدقق في مرافقيهما. لاحظ أنها لم تكن تندمج بشكل طبيعي مع الفريمن، على الرغم من أن ملابسها كانت مطابقة لملابسهم. فالطريقة التي كانت تتحرك بها كان يبدو فيها إحساس بالسلطة والسمو.
قالت شاني: "اعثر على مكان لترتاح فيه وتنح جانبا أيها الصبي-الرجل. هاك بعض الطعام"

دست في يده لقمتين ملفوفتين في ورق شجر. فاحت منهما رائحة بهار قوية.
ظهر ستيلجار من وراء جيسيكا وأصدر أمرا لمجموعة واقفة على اليسار: "ضعوا غطاء الباب في مكانه، وتأكدوا من منع تسرب الرطوبة"، واستدار لفريمني آخر وقال: "يا ليميل، أحضر كرات الإنارة"
ثم أمسك ذراع جيسيكا: "أرغب في أن أريكِ شيئا أيتها المرأة العجائبية"
وقادها عبر منعطف صخري ناحية مصدر الضوء.
وجدت جيسيكا نفسها تنظر عبر حافة متسعة لفتحة أخرى في الكهف.. فتحة في مكان مرتفع في حائط الجرف وتطل على حوض آخر يقترب اتساعه من 10 أو 12 كيلو متر. كان الحوض محاطا بجدران صخرية عالية، وتنتشر خلاله مجموعات متفرقة من النباتات النامية. بينما هي تنظر للحوض المضاء بنور الفجر الباهت ارتفعت الشمس فوق الجرف البعيد، منيرة تضاريس صخرية ورملية بلون البسكويت. وانتبهت إلى أن شمس أراكس تبدو وكأنها تقفز واثبة فوق خط الأفق.
فكرت: السبب هو أننا نرغب في إبطائها. فالليل أشد أمانا من النهار.
ثم ملأها الحنين الذي يتوق لرؤية قوس قزح، في هذا المكان الذي لن يرى أمطارا أبدا.
فكرت: يجب أن أكتم مشاعر الحنين هذه. فهي ضعف. لم يعد في مقدوري أن أسمح لنفسي برفاهية الضعف.
قبض ستيلجار على ذراعها وأشار لمكان عبر الحوض: "انظري هناك! هؤلاء هم الدروز Druses بحق"
نظرت لحيث أشار، فرأت حركة. ناس في قاع الحوض ينتشرون مبتعدين عن ضوء النهار وداخلين تحت ظلال جدار الجرف المقابل. وعلى الرغم من بعد المسافة فإن تحركاتهم كانت واضحة في الهواء النقي.
التقطت نظارتها المكبرة من تحت ثوبها وركزت العدسات الزيتية على الناس البعيدين. كانت المناديل ترفرف وكأنها سرب من الفراشات متعددة الألوان.
قال ستيلجار: "ذاك موطننا. سنصله الليلة"
وحدق عبر الحوض، فاتلا شاربه: "أطال قومي البقاء لوقت متأخر يعملون. وهذا يعني أنه لا توجد أي دوريات في الجوار. سأعطيهم إشارة فيما بعد وسيتهيؤون لاستقبالنا"
قالت جيسيكا: "إن قومك يظهر عليهم انضباط جيد"، وخفضت نظارتها المكبرة فرأت أن ستيلجار كان ينظر للشيء.
قال: "إن طاعتهم غرضها الحفاظ على بقاء القبيلة. فهذه هي الطريقة التي اخترناها فيما بيننا فيما يخص الزعامة. فالقائد هو الأقوى.. إنه من يوفر لهم الماء والأمان"
وصعد بانتباهه لوجهها.
قابلت تحديقه بتحديق مماثل، ملاحظةً العينين الخاليتين من البياض، ومحجري العينين المبقعتين بالسواد، واللحية والشارب اللذين يحفهما الغبار، وخط الأنبوب المنحني من فتحتي أنفه إلى بذلة تقطيره.
قالت: "هل زعزعتُ سلطتك القيادية يا ستيلجار عندما تمكنت منك في القتال؟"
قال: "لم تطلبيني رسميا للمبارزة"
قالت: "من الهام أن يحافظ القائد على احترام جنوده له"
قال ستيلجار: "لا يوجد أي فرد من قمل الرمال هؤلاء أعجز عن التغلب عليه. عندما غلبتيني فقد غلبتينا كلنا أيضا بالتبعية. والآن يأملون أن يتعلموا منك الطريقة العجائبية.. وبعضهم يشعر بالفضول متسائلا إن كنتِ ستطلبين مبارزتي"
وزنت الدلالات المضمنة في الكلام وقالت: "عن طريق التغلب عليك في قتال رسمي؟"
أومأ إيجابا. "لكني أنصحك بعدم الإقدام على هذا، إذ أنهم لن ينقادوا لك. لستِ من أهل الرمال. وقد شاهدوا هذا خلال

رحلتنا الليلية"
قالت: "قوم عمليون"
"صحيح فعلا"، ونظر للحوض: "إننا ندرك احتياجاتنا. لكن أغلبهم لا يفكر بعمق الآن بينما نحن قريبون هكذا من بيوتنا. لقد أمضينا وقتا طويلا بالخارج نقوم بالترتيب لتوصيل حصة البهار الخاصة بنا إلى التجار الأحرار كي ينقلوه لرجال النقابة الملاعين.. فلتكن وجوههم مسودة إلى الأبد"
توقفت جيسيكا أثناء حركتها الملتفتة بعيدا عنه، ثم أعادت رفع نظرها لوجهه: "النقابة؟ وما دخل النقابة بالبهار التابع لكم؟"
قال ستيلجار: "إنها أوامر ليات. ندرك الدافع وراءها، لكن طعم المسألة يصيبنا بالمرارة. فنحن نقدم للنقابة رشاوي من البهار، هائلة الحجم، كي تظل سماءنا خالية من الأقمار الصناعية وأشباهها، حتى لا يتجسس أحد على ما نفعله على سطح أراكس"
وزنت كلماتها قبل أن تنطق بشيء، متذكرة أن بولس قد قال أن هذا بالتأكيد هو سبب خلو سماء أراكس من الأقمار الصناعية.
"وما الذي تفعلونه بسطح أراكس ويجب إبقاؤه بعيدا عن الأنظار؟"
"نقوم بتغييره. ببطء لكن في خطوات أكيدة.. كي نجعله صالحا للحياة البشرية. لن يرى جيلنا ذلك التغير، ولا أبناؤنا، ولا أبناء أبنائنا، ولا أحفاد أبنائهم.. لكنه سيحدث في النهاية"
نظر إلى الحوض الممتد أمامه بعينين تخفيهما القلنسوة: "مسطحات مائية مفتوحة ونباتات خضراء طويلة، وناس يسيرون بحرية دون بذلات تقطير"
فكرت: هذا إذن هو حلم ليات-كاينز.
وقالت: "إن الرشاوي خطيرة.. إذ تميل للزيادة أكثر وأكثر"
قال: "إنها تزيد. لكن الطريقة البطيئة هي الطريقة الآمنة"
التفتت جيسيكا ورمقت الحوض، محاولة أن تراه كما كان يراه ستيلجار في مخيلته. لكنها لم تر سوى بقعة الصخور الداكنة البعيدة ذات اللون الخردلي، وحركة غائمة مفاجئة في السماء فوق الجروف الصخرية.
قال ستيلجار: "أها"
في البداية ظنت أن الشيء هو طائرة دورية لا محالة، ثم أدركت أنه سراب.. جزء من التضاريس يحلق فوق رمال الصحراء وتظهر به نبتات خضراء بعيدة صورتها متموجة وفي منتصفها دودة طويلة سائرة على السطح، وعلى ظهرها يبدو شيئ يشبه أثوابا فريمنية خفاقة.
ثم تلاشى السراب.
قال ستيلجار: "سيكون من الأفضل أن نذهب راكبين، لكن لا يمكن أن نسمح لصانع بدخول هذا الحوض. ولهذا يجب أن نسير مجددا هذه الليلة"
فكرت: صانع.. الاسم الذي يطلقونه على الديدان.
وزنت الدلالة المضمنة في كلامه.. تصريحه بأنهم لن يسمحوا لدودة بدخول هذا الحوض. وعلمت ما هذا الذي رأته في السراب..
فريمن يمتطون ظهر دودة عملاقة.
استلزم الأمر قدرا كبيرا من التحكم بالذات كي لا تكشف شعورها بالصدمة لما يدل عليه هذا الأمر.

قال ستيلجار: "ينبغي أن نعود وننضم للباقين، وإلا سيظن قومي أني أتلكئ بصحبتك. فبعضهم يشعر بالغيرة بالفعل لأن يدي لمست مفاتنك عندما تصارعنا ليلة أمس في حوض تيونو"
قالت جيسيكا بحدة: "لا أسمح لك بالكلام بهذه الطريقة!"
قال ستيلجار: "المعذرة، لم أقصد الإساءة"، وكان صوته لطيفا. "النساء عندنا لا يؤخذن عنوة ضد رغباتهن. وفي حالتك.. " وهز كتفيه ".. فلا حاجة أصلا لوجود هذه الحماية التي تقدمها الأعراف"
قالت: "عليك أن تتذكر جيدا أني كنت امرأة دوق"، لكن صوتها كان أكثر هدوءا من السابق.
قال: "كما تحبين. حان وقت غلق هذه الفتحة النافذة، كي نسمح للناس بأن يرخوا إحكام بذلات التقطير ويرتاحوا. فأتباعي يحتاجون للراحة هذا النهار، إذ أن عائلاتهم لن تسمح لهم بكثير من الراحة الجسدية غدا"
ساد الصمت بينهما.
حدقت جيسيكا في ضوء النهار. لقد فهمت ما كانت كلمات ستيلجار تلمح إليه..
ذلك العرض المبطن بأن يمنحها أكثر من مجرد حمايته.
هل هو في حاجة لزوجة؟
أدركت أنه من الممكن أن تقبل هذه المكانة وترتبط به. فقد يكون هذا أحد طرق إنهاء النزاع حول قيادة القبيلة.. فتصبح الأنثى مشاركة للذكر بشكل طبيعي.
لكن ماذا عن بولس؟ فمن يدري طبيعة قواعد الأبوة السائدة هنا؟
ثم ماذا عن الابنة الجنينية التي تحملها طوال الأسابيع القليلة الماضية؟ ماذا عن ابنة دوق ميت؟
وتركت نفسها تواجه - بشكل كامل - دلالة هذه الطفلة الأخرى التي تنمو داخلها.. وأن ترى دوافعها هي وراء السماح لهذا الحمل بالحدوث.
كانت تعلم الدافع.. لقد استجابت لهذا الدافع العميق الذي تشترك فيه كل المخلوقات المعرضة للموت.. دافع السعي للخلود عن طريق الذرية.
إن دافع الخصوبة الموجود في الكائنات قد غلبها.
ألقت جيسيكا نظرة على ستيلجار فرأت أنه كان يتأملها، منتظرا.
سألت نفسها: ابنة تولد هنا لامرأة متزوجة من رجل كهذا.. ترى ماذا سيكون مصير ابنة كهذه؟ هل سيحاول أن يعيق القيام بالأمور الضرورية التي ينبغي لواحدة من البني-جيزيرت أن تتبعها؟
تنحنح ستيلجار، وكشف بهذه الحركة أنه مدرك لبعض الأسئلة التي تدور بخلدها.
"المهم للقائد هو تلك الأشياء التي تجعله قائدا. أي احتياجات قومه. لو علّمتيني قدراتك فربما سيأتي اليوم الذي سيضطر فيه أحدنا لتحدي الآخر. لكني أفضل أن نجد بديلا لهذا"
قالت: "وهل هناك عدة بدائل؟"
قال: "منصب السيّدينا Sayyadina. فسيدتنا الموقرة كبيرة في السن"
سيدتهم الموقرة!
وقبل أن تتمكن من تمحيص هذا الأمر قال: "لستُ أعرض نفسي بالضرورة كزوج. لا لعيب في شخصك مثلا، فأنت جميلة ومشتهاة. لكن السبب هو أنك لو أصبحت واحدة من زوجاتي فقد يؤدي هذا إلى اعتقاد بعض أتباعي الشباب أني مهتم أكثر من اللازم بمتع الجسد وغير مهتم بالقدر الكافي باحتياجات القبيلة. حتى في هذه اللحظة هم مصغون إلينا ويراقبوننا"

فكرت: إنه رجل يزن قراراته، ويفكر في عواقب الأمور.
قال: "هناك بين أتباعي الشباب من بلغ سن تهور النفوس. ينبغي توجيههم برفق خلال هذه الفترة. لا يجب أن أسمح بوجود أسباب هامة تدفعهم لمنازلتي في تحدي، لأني سأضطر ساعتها لتشويه بعضهم أو قتله.. وليس هذا هو الأسلوب المناسب للقيادة طالما يمكن تجنبه بشرف. فالقائد - لعلمك - هو أحد الأشياء التي تميز بين الشعب والهمج. فهو يحرص على بقاء قدر كاف من الشخصيات المتفردة. إذ عندما يقل عدد الشخصيات المتفردة كثيرا فإن الشعوب تنحدر إلى الهمجية"
كلماته وعمق ما تدل عليه من وعي، وحقيقة أنه لم يكن يوجه كلامه لها فقط بل لمن يتنصتون سرا أيضا.. كل هذا أجبرها على إعادة تقييمه.
فكرت: إنه يتمتع بشخصية ذات مكانة. أين تعلم مثل هذا التوازن الداخلي؟
قال ستيلجار: "إن القانون الذي يحدد لنا طريقة اختيار القائد هو قانون عادل. لكن لا يعني هذا بالتبعية أن العدالة هي ما يحتاجه الناس في كل الحالات. ما نحتاجه حاليا فعلا هو وقت يسمح لنا بالنمو والازدهار.. أن ننشر قواتنا على رقعة أوسع"
تساءلت في نفسها متعجبة: من هم أسلافه؟ من أين أتته مثل هذه الخصائص الوراثية؟
قالت: "ستيلجار، لقد بخستُ قدرك"
قال: "كان هذا ظني فعلا"
قالت: "واضح أن كلانا قد بخس الآخر قدره"
قال: "أريد لهذا أن ينتهي. أريد أن تكون بيننا صداقة.. وثقة. أحب أن يكون بيننا ذاك الاحترام المتبادل الذي ينمو في الصدر دون أن يحتاج لعناق الممارسة الجنسية"
قالت: "أفهمك"
"هل تثقين في؟"
"أسمع في صوتك نبرة الصدق"
قال: "عندنا فإن السيدينا - عندما لا يكن الزعيمات الرسميات - يتمتعن بمكانة شرفية خاصة. يحافظن على إبقاء قوة الرب هنا"، وأشار لقلبه.
فكرت: والآن يجب أن أسبر غور لغز السيدة الموقرة هذا.
وقالت: "لقد ذكرتَ سيدتكم الموقرة.. وقد سمعتُ كلمات تذكر الأساطير والنبوءات"
قال: "يقال أن واحدة من البني-جيزيرت وذريتها سيكونان مفتاح مستقبلنا"
"وهل تعتقد أني هي المقصودة"
راقبت وجهه مفكرة: إن النبتات في صغرها تتعرض للموت بسهولة. فالبدايات هي أوقات تحفها مخاطر عظيمة.
قال: "لا نعلم"
أومأت مفكرة: إنه رجل شريف. يرغب في أن يراني أقدم علامة على الصدق، لكنه يرفض أن يتلاعب بالمسألة عن طريق إخباري بالعلامة المطلوبة.
أدارت جيسيكا رأسها، وحدقت في الحوض بالأسفل، وفي الظلال الذهبية والأرجوانية، وفي تذبذب الهواء المحمل بذرات الغبار عند حافة كهفهم. وفجأة امتلأ عقلها بحذر كحذر القطط.
كانت تعلم لغة التلاعب Cant التي تستخدمها البعثات الإرسالية، وكانت تعلم طريقة تكييف النبوءات والمخاوف والآمال كي تخدم احتياجاتها الطارئة.. لكنها شعرت بوجود تغييرات كبيرة هنا.. كما لو أن شخصا قد دخل في السابق بين هؤلاء الفريمن

واستغل ما دمغتهم به البعثات الإرسالية.
تنحنح ستيلجار.
أحست باستعجاله، وكانت تعلم أن النهار بدأ يتقدم وأن الرجال ينتظرون غلق هذه الفتحة.
كان هذا وقتا يستلزم منها الجرأة والإقدام، وأدركت ما كانت بحاجة إليه: شيئا من دار الحكمة Dar Al-hikman، مذهب ترجمة يمكن أن يرشدها لـ...
همست: "أدب Adab"
شعرت بأن عقلها قد دار داخلها. وتعرفت على الشعور عن طريق السرعة التي طرأت على نبضها.
لم يكن هناك أي شيء في تدريبات البني-جيزيرت يحمل إشارة مثل هذه تدل عليه.
لا شك أنه الأدب.. أي الذكرى التي تقحم نفسها عليك إقحاما.
استسلمت لها، سامحة للكلمات بأن تتدفق منها.
قالت: "ابن قرطايبا[18] Ibn qirtaiba.. إلى آخر بقعة ينتهي عندها الغبار"
ومدت ذراعها من ثوبها، فرأت عيني ستيلجار تتسعان، وسمعت حفيف الكثير من الأثواب في الخلفية.
قالت بصوت منغوم: "إني أرى.. فريمن يحمل كتاب الأمثال.. يقرأ على اللات Al-Lat، الشمس التي تحداها وأخضعها. يقرأ للقديسين، قضاة الحساب السماوي. وهذا هو نص ما يقرأه..
أعدائي صاروا كنصال خضراء مأكولة
حاولَت الوقوف في طريق العاصفة
ألم تر ماذا فعل إلهنا؟
أرسل الوباء على من حاكوا ضدنا المكائد
صاروا كطيور تشتت لما رأت الصياد
ومكائدهم صارت لقيمات مسمومة
ترفض تناولها كل الأفواه"
سرت رعدة في جسدها، ثم خفضت ذراعها.
أجابتها - من بين ظلال الكهف الداخلي - همسات أصوات متعددة: "انقلبت أعمالهم وحبطت"
فقالت: "تعلو قلوبكم نار الرب"، وفكرت: الآن سيسير الكلام في مساره المناسب.
جاءت الإجابة: "نار الرب تنير"
أومأت وقالت: "أعداؤكم سيسقطون"
فأجابوها: "بلا كيف Bi-la kaifa"
وفي السكون المفاجئ الذي تلا هذا انحنى لها ستيلجار وقال: "سيدينا. إن شاء شَي-خلود تحقق الأمر فلربما ستنجحين في 'العبور الداخلي' وتصبحين سيدة موقرة"
فكرت: عبور داخلي. طريقة غريبة لوصف الأمر. لكن الباقي كان مطابقا - بدرجة كبيرة - لكلماتي الخادعة.
وشعرت بمرارة ساخرة لما قامت به.
إن تبشير نساء بعثاتنا الإرسالية قلما يفشل. فقد تم إعداد مكان مهيئ لنا في هذه البرية.

18 أي: "هكذا قال الإله".

كلمات الصلاة Salat نحتت لنا مكانا آمنا لنختبئ فيه. والآن علي أن ألعب دور علِيّا Auliya، صَديقة الإله السماوية.. وأصير سيدينا لقوم خارجين عن نظام الدولة، وتم دمغهم - بقوة - بأوهام العِرافة التي تنشرها البني-جيزيرت لدرجة أنهم يطلقون على كبيرة كاهناتهم اسم السيدة الموقرة.

وقف بولس جوار شاني في ظلال المنطقة الداخلية للكهف. كان لا يزال بإمكانه الشعور بطعم الوجبة التي أعطتها له.. لحم طير وحبوب ممزوجة بعسل البهار وملفوفة في ورقة شجر. عندما تذوقها أدرك أنه لم يسبق له أبدا تناول هذا القدر المركز من جوهر البهار، وحلت عليه لحظة خوف.

كان يعلم ما قد يفعله به هذا الجوهر المركز.. أن يدخل حالة التغير البهاري التي دفعت عقله في السابق إلى مستوى الوعي الاستبصاري.

همست شاني: "بلا كيف"

نظر لها فشاهد الانبهار والرهبة واللذين من الواضح أن الفريمن قد قبلوا بهما كلمات أمه.

المسمى جيمس هو الوحيد الذي وقف بعيدا عن التجمع الطقسي، متحاشيا الاندماج وعاقدا ذراعيه على صدره.

همست شاني: "دوي ياخا بن مانجي.. دوي بونرا بن مانجي. عندي عينان.. عندي قدمان"

وحدقت في بولس بنظرة ذهول.

أخذ بولس نفسا عميقا، محاولا تهدئة العاصفة التي تعتمل داخله.

كانت كلمات أمه قد أصابت ما يفعله البهار المركز داخله، وشعر بصوتها يرتفع وينخفض فيه كظلال نار مشتعلة.

وخلال كل هذا كان قد أحس بشيء من السخرية المريرة في نبرتها، فقد كان يعرفها تمام المعرفة.. لكن لم يكن أي شيء سيفلح في إيقاف ما أثارته وجبة الطعام.

الغاية الرهيبة!

شعر بالأمر. بوعي الجنس البشري الذي لا يقدر على الإفلات منه. الوضوح العقلي الفائق، وتدفق البيانات، ودقة إدراكه الباردة.

هبط على الأرض، جالسا وظهره مستند إلى الصخور، مستسلما للشعور.

انساب الوعي خلال تلك الطبقة التي توجد خارج حدود الزمان، والتي يمكنه فيها رؤية الزمن، والإحساس بالمسارات المتاحة، ورياح المستقبل.. ورياح الماضي. عين على الماضي وعين على الحاضر وعين على المستقبل.. مجتمعة كلها في رؤية ثلاثية أتاحت له رؤية الزمان تصبح له أبعاد مكانية.

شعر بأن هناك خطرا من إنهاك نفسه وتخطي حدوده، فاضطر للتمسك بوعيه بالحاضر، شاعرا بأنه يختبره بانحراف ضبابي.. شاعرا باللحظة المتدفقة.. وبالتجسم المستمر لما هو كائن وتحوله لشكل الماضي الأبدي.

وعن طريق تمسكه بالحاضر أحس للمرة الأولى بأن الثبات الهائل لحركة الزمن في كل مكان يتعرض للتعقيد نتيجة للتيارات المتغيرة، والأمواج، والاندفاعات المفاجئة، والاندفاعات المضادة.. كأمواج ترتطم بجرف صخري.

منحه هذا فهما جديدا لطبيعة قدرته الاستبصارية، ورأى مصدر تلك المناطق المستقبلية العمياء في قدرته على استشراف الغيب، ومصدر ما يشوبها من خطأ.. فحل عليه خوف فوري.

أدرك أن الاستبصار كان عبارة عن إنارة تنطوي أيضا على نفس الحدود والقيود التي يتصف بها الشيء الذي تنيره.. فهي مصدر للدقة و - في الوقت ذاته - لقدر معتبر من الخطأ. يدخل فيها شيء يشبه مبدأ الشك عند هايزنبرج: كمية الطاقة

التي كشفت له ما يراه تقوم أيضا بإحداث تغيير في الشيء الذي يراه.
وما رآه كان وجود مفترق طرق زمني في هذا الكهف.. احتمالات متداخلة متركزة في هذا المكان، حيث يمكن لأشد الأفعال ضآلة - طرفة عين، أو كلمة طائشة لا يلقي لها المرء بالا، أو حبة رمل ليست في مكانها - أن تقوم بتحريك رافعة عملاقة على امتداد الكون المعروف كله.
رأى عنفا تخضع نتيجته لمتغيرات كثيرة لدرجة أن أبسط خطوة تصدر عنه ستصنع تغيرات هائلة في نمط الأحداث.
جعلته الرؤيا يرغب في أن يتجمد بلا حركة.. لكن هذا أيضا سيعتبر فعلا، وستكون له نتائجه.
مسارات العواقب التي لا حصر لها انتشرت متفرعة من هذا الكهف..
وعلى امتداد أغلب مسارات العواقب هذه رأى جثته، والدم يتدفق من جرح سكين غائر.

الفصل 33

"كان عمر أبي، الإمبراطور الباديشي، 72 سنة - لكن لم يبد عليه أنه يزيد على الـ 35 - عندما أنجز مسألة موت الدوق ليتو وأعاد أراكس لآل هاركونن.
نادرا ما كان يظهر للناس مرتديا أي زي غير زي الساردوكار الرسمي وخوذة البورسيج السوداء التي يعلوها الأسد الذهبي الإمبراطوري.
كان هذا الزي تذكيرا صريحا بمصدر قوته.
لكنه لم يكن دائما بهذه السماجة الصادمة. فعندما كان يرغب في الأمر كان بإمكانه أن يشع لباقة وإخلاصا صادقا.. لكني - في هذه الفترة الأخيرة - بدأت أتساءل إن كان أي من تصرفاته الظاهرية دالا فعلا على ما كان بداخله.
فما أظنه الآن أنه كان رجلا يكافح باستمرار محاولا الهرب من بين قضبان سجن خفي. إذ عليك أن تتذكر أنه كان إمبراطورا.. أبا رئيسا لعائلة تمتد جذورها لحقب تاريخية سحيقة.. لكننا حرمناه من أن يكون له ابن شرعي.
ألم تكن هذه هي أفظع هزيمة حاقت بحاكم؟
إن أمي قد أطاعت كاهناتها المبجلات، بينما الليدي جيسيكا خالفت أمرهن.
أيتهما كانت الأقوى؟
التاريخ قد أجاب بالفعل"

من كتاب "في بيت أبي"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

استيقظت جيسيكا في الكهف المظلم فأحست بحركة الفريمن النشطة من حولها، وشمت الرائحة اللاذعة المنبعثة من بذلات التقطير.
أخبرها إحساسها الزمني الداخلي بأن الليل سيحل بالخارج قريبا، لكن الكهف كان مظلما بالفعل ومعزولا عن الصحراء بالأغطية البلاستيكية التي تقوم بمهمة حجز رطوبة أجسادهم داخل هذا المكان. أدركت أنها سمحت لنفسها بالاستسلام لذلك النوم تام الاسترخاء، النابع من الشعور الهائل بالإرهاق.. وكان هذا دليلا على تقييمها في اللا-وعي لمستوى الأمان الشخصي الذي تتمتع به ضمن فرقة ستيلجار.
استدارت في الأرجوحة التي صُنعت من ثوبها، وأنزلت قدميها على الأرضية الصخرية وأدخلتهما في حذائها الصحراوي.
فكرت: علي أن أتذكر أن أربط الحذاء بإحكام عند الكاحلين كي يساعد هذا في عملية الضخ داخل بذلة التقطير.
توجد الكثير من الأشياء على المرء أن يتذكرها هنا.
كانت لا تزال تستطيع تذوق طعم وجبتهم الصباحية.. لقيمات لحم الطيور والحبوب الملفوفة في ورقة شجر ومعها عسل البهار. وانتبهت إلى أن التعامل مع الوقت هنا مقلوب رأسا على عقب: فالليل كان وقت العمل والنهار وقت الراحة.
فالليل يخفي. الليل أكثر أمانا.
فكت ثوبها من أوتاد سرير الأرجوحة الموجودة في تجويف بالصخور، وتحسست القماش في الظلام إلى أن وجدت فتحة الرأس، فارتدته.

تساءلت: كيف سيمكنني أن أوصل رسالة للبني-جيزيرت؟ يجب إخبارهن بأمر الشريدين المختفيين في هذا المأوى الأراكسي.
أضيئت كرات إنارة في مكان بعيد في الكهف. رأت الناس يتحركون هناك، وبولس وسطهم، مرتديا ثيابه بالفعل، وقلنسوته ملقاة للخلف كاشفة ملامح آل أتريديز النسرية.
فكرت: كان يتصرف بغرابة شديدة قبل خلودهما للنوم. منطويا.
كان كشخص عاد من الموت ولم يستوعب عودته بعد بشكل كامل.. عيناه نصف مغمضتين وبلا تعبير، كنظرة الشخص المنغلق على ذاته.
جعلها هذا تفكر في ما حذرها منه بشأن الطعام الممتلئ بالبهار: أنه مسبب للإدمان.
تساءلت: هل توجد أعراض جانبية؟
لقد أخبرها أن الأمر متعلق بقدراته الاستبصارية.. لكنه كان صامتا بشكل كبير بخصوص ما يراه في رؤاه.
جاء ستيلجار من بين الظلال على يمينها، وتقدم قاصدا المجموعة الواقفة تحت كرات الإنارة. لاحظت الطريقة التي كان يمرر بها أصابعه في لحيته، والنظرة الحذرة التي بدت عليه، كالقطط المتربصة بفرائسها.
غمر جيسيكا خوف مفاجئ، وتنبهت حواسها للتوتر الظاهر على المجتمعين حول بولس: الحركات المتخشبة.. وضعية الوقوف الطقسية.
زمجر ستيلجار: "إنهما تحت حمايتي! دخلا في جواري"
تعرفت جيسيكا على الرجل الذي كان ستيلجار يحتد عليه.. جيمِس!
وعندها رأت الغضب المشتعل في جيمس.. وتشنج كتفيه.
فكرت: إنه جيمس.. الرجل الذي صرعه بولس!
قال جيمس: "إنك تعلم القواعد يا ستيلجار"
قال ستيلجار: "ومن يعلمها أفضل مني؟"، وسمعت نبرة التهدئة في صوته.. محاولة تلطيف موقف ما.
زمجر جيمس: "إني أختار النزال"
أسرعت جيسيكا عبر الكهف، وقبضت على ذراع ستيلجار. سألت: "ما الأمر؟"
قال ستيلجار: "إنها قاعدة تسمى الأمتال Amtal. جيمس يطالب بحقه في امتحان صدق انطباق النبوءة عليكِ"
قال جيمس: "عليها أن تعيّن بطلا ليقاتل باسمها. لو انتصر بطلها فسيتضح أن الأمر حقيقي. لكن ما يقال في النبوءة.."، ونظر للحشد المجتمع: "هو أنها لن تحتاج بطلا من الفريمن.. مما يعني بالضرورة أنها ستجلب معها بطلها المحارب الخاص"
فكرت جيسيكا: إنه يتكلم عن مقاتلة بولس وجها لوجه!
تركت ذراع ستيلجار وتقدمت نصف خطوة للأمام وقالت: "دائما ما أقاتل عن نفسي. والمعنى واضح ويمكن أن يفسره أي شـ..."
قال جيمس بحدة: "نحن أدرى بمعنى عاداتنا منك! ولن أسمح لك بأن تفسريها من عندك طالما لم أر منك أدلة أوضح على انطباق النبوءة عليك. فربما أخبرك ستيلجار سرا بما يجب أن تقوليه نهار أمس. قد يكون قد استمالك بتدليله ولقنك ما يجب أن ترددیه على مسامعنا، كمحاكاة الطيور للأصوات، لرغبتك في التسلل والدخول بيننا"
فكرت جيسيكا: بإمكاني أن أتغلب عليه في قتال، لكن قد يتعارض هذا مع الطريقة التي يفسرون بها النبوءة.
وهنا تعجبت مجددا من الطريقة التي تم بها تحريف ما فعلته البعثات الإرسالية على هذا الكوكب.
نظر ستيلجار لجيسيكا وتكلم في صوت منخفض لكن مقصود منه أن يصل أيضا لأطراف الحشد: "إن جيمس يا سيدينا من

النوع الذي يستمر في حمل الضغائن. فابنك قد تغلب عليه وصرعه أرضا ولـ..."
صاح جيمس في صوت هادر: "لقد كانت مصادفة وضربة حظ ليس إلا! حوض تيونو كانت فيه قوى سحرية ضدي وقتها، وسأقوم بإثبات هذا الآن!"
أكمل ستيلجار: "وأنا نفسي قد تغلبت عليه في السابق. ويقصد بـ نزال التحدي Tahaddi هذا أن يرد لي الضربة أنا أيضا. إن جيمس ينطوي على قدر كبير من العنف مما يستحيل معه أن يصبح قائدا جيدا.. به الكثير من الغفلة Ghafla. يطبق القواعد بلسانه أما قلبه فعليه الصَرفة Sarfa، أي الحيدة عن طريق الحق. كلا، لن يصلح أبدا لأن يكون قائدا جيدا. لقد أبقيت عليه طوال هذه الفترة لمجرد أنه مفيد في القتال، لكن عندما يتملكه هذا الغضب العارم فإنه يصبح خطرا على مجتمعه"
هدر جيمس قائلا: "ستيلجاااررر!"
وأدركت جيسيكا ما يفعله ستيلجار.. كان يحاول إثارة غضب جيمس، كي ينزل هو في القتال بدلا من بولس.
واجه ستيلجار جيمس، ومن جديد سمعت جيسيكا في صوته نبرة تهدئة: "جيمس، إنه لا يزال صبيا. إن ..."
قال جيمس: "لكنك وصفته بأنه رجل. أمه تقول أنه مر باختبار الجوم-جبار. بالإضافة إلى أنه ممتلئ لحما ومتخم بالماء. من حملوا حقيبتهم يقولون أن بها قِرب ماء. أكثر من قربة! أما نحن فنرشف جيوبنا التجميعية مع أول لحظة يبدو عليها لمعان الندى الخفيف"
نظر ستيلجار لجيسيكا: "هل هذا صحيح؟ هل بحقيبتكما ماء؟"
"أجل"
"مقدار يملأ عدة قرب ماء؟"
"قربتان"
"وماذا كان الغرض من ثروة كهذه؟"
فكرت: ثروة؟
هزت رأسها، شاعرة بالبرودة التي حلت على صوته.
قالت: "في المكان الذي ولدتُ فيه كان الماء يسقط من السماء ويسيل على الأرض في أنهار واسعة. كانت هناك محيطات مائية شديدة الاتساع لدرجة أن الإنسان لا يستطيع رؤية شاطئها الآخر. لم يتم تدريبي على الالتزام بضوابط توفير الماء السائدة عندكم. لم يسبق لي أن اضطررت للنظر للماء بهذه الطريقة"
ارتفعت ممن حولها شهقة: "ماء يسقط من السماء.. ويسيل فوق الأرض!"
"وهل كنتِ تعلمين أنه يوجد بيننا من فقدوا بعض الماء من جيوبهم التجميعية بطريق الخطأ وسيتعرضون لخطر جم قبل أن نصل لـ طَبر هذه الليلة؟"
هزت جيسيكا رأسها: "وكيف كان لي أن أعلم هذا؟ إن كانوا في احتياج فأعطهم ماء من حقيبتنا"
"هل كان هذا هو المراد من هذه الثروة؟"
قالت: "ما أردته منها هو أن تنقذ الحياة"
"إذن فنحن نقبل منحتك المباركة يا سيدينا"
زمجر جيمس: "لن تستطيعي شراءنا بالماء. ولن تنجح في استعدائي ضدك يا ستيلجار. أعلم أنك تحاول استدراجي كي أطلب منازلتك رسميا قبل أن أقوم بإثبات صحة كلامي"
التفت ستيلجار مواجها جيمس: "أمصمم أنت على الإقدام على هذا النزال ضد طفل يا جيمس؟"

وكان صوته منخفضا ويقطر كراهية.
"يجب عليها أن تعيّن بطلا يقاتل باسمها"
"حتى مع أنها تتمتع بحمايتي؟"
قال جيمس: "إني أطالب بتنفيذ قاعدة الأمتال. هذا حقي"
أومأ ستيلجار: "حسنا.. إن لم يقطع الصبي جسدك إربا، فستواجه سكيني أنا بعدها. وهذه المرة لن أكبح نصلي كما كنت أفعل في السابق"
قالت جيسيكا: "لا يمكن أن تسمح بهذا، فبولس مجرد..."
قال ستيلجار: "عليك ألا تتدخلي أيتها السيدينا. أعلم جيدا أنه بإمكانك التغلب علي، وبالتالي التغلب على أي فرد فينا.. لكن لن تستطيعي التغلب علينا جميعا إن اتحدنا. الأمر يجب أن يأخذ مجراه.. فقاعدة الأمتال يجب الالتزام بها"
صمتت جيسيكا، محدقة فيه في الضوء الأخضر الصادر من كرات الإنارة.. وملاحظة التشدد الشيطاني الذي حل على تعبير وجهه. نقلت انتباهها لجيمس فرأت الغل المكتوم البادي على وضع حاجبيه، ففكرت: كان علي أن أنتبه لهذا من قبل. إنه من النوع الذي يأكله الغل. النوع الصامت الذي يترك الغضب يشتعل داخله بالتدريج. كان يجب أن أكون مستعدة.
قالت: "إن آذيتَ ابني فسأكون أنا من يواجهك بعدها. إني أتحداك للنزال الآن. سأنزع لحمك عن عظ..."
تقدم بولس للأمام لامسا كمها وقال: "أمي. ربما إن شرحتُ لجيمس الآن أ..."
قال جيمس متهكما: "شرح!"
صمت بولس، وحدق في الرجل.
لم يكن يشعر بأي خوف منه. فحركات جيمس كانت تبدو خرقاء، وقد سقط بسهولة خلال لقائهما الليلي في الصحراء.
لكن بولس كان لا يزال يشعر بنقطة 'مفترق الطرق' تغلي في هذا الكهف.. وكان لا يزال يتذكر رؤاه الاستبصارية التي يرى نفسه فيها ميتا ومطعونا بسكين. كانت طرق الهرب المحتملة في تلك الرؤيا ضئيلة العدد للغاية.
قال ستيلجار: "سيدينا، عليك أن تتراجعي الآن حيث..."
قال جيمس: "توقف عن مناداتها بكلمة سيدينا! لم يتم التأكد من هذا الأمر بعد. إنها تعرف كلمات الصلاة، لكن ما الهام في هذا أصلا؟ فكل طفل فينا يعرف نفس الكلمات"
فكرت جيسيكا: لقد تكلم بالقدر الكافي. أعرف الآن مفاتيح التحكم فيه. بإمكاني أن أشل حركته بكلمة.
ترددت وفكرت: لكني لن أستطيع إيقافهم جميعا.
قالت جيسيكا: "إذن سيكون حسابك معي أنا"، وجعلت نبرة صوتها ملتوية، وبها شيء من الطنين، وتنتهي بمد.
حدق فيها جيمس، والخوف يظهر على وجهه.
قالت في نفس النبرة: "سأعلمك معنى العذاب. تذكر هذا وأنت تقاتل. ستتألم لدرجة يصبح معها الجوم-جبار ذكرى سعيدة بالمقارنة. سيتلوى جسدك بالكام..."
شهق جيمس: "إنها تحاول إلقاء تعويذة عليّ!"، ووضع قبضته اليمنى المضمومة جوار أذنه. "إني أطالب بإلزامها بالصمت!"
قال ستيلجار: "حسنا، فليكن"، ورمق جيسيكا بنظرة تحذيرية: "لو تكلمتِ مرة أخرى يا سيدينا فسنعلم أنك تستخدمين سحرك، وساعتها ستصبحين أنت الخاسرة"
وأشار لها برأسه كي تتراجع للخلف.
شعرت جيسيكا بأيدٍ تسحبها وتعينها على التراجع، وأحست أن هذه الأيدي كانت تعاملها بلطف.

رأت بولس يتم فصله بعيدا عن الحشد، وشاني ذات الوجه الصغير الفاتن تهمس بشيء في أذنه وتشير برأسها ناحية جيمس.
تكونت حلقة وسط المجموعة، وتم إحضار المزيد من كرات الإنارة وضبطوها كلها على مستوى الإنارة الأصفر.
خطا جيمس داخلا الحلقة، وخلع ثوبه ورماه لشخص من المحتشدين. وقف في مكانه وعليه بذلة تقطير رمادية ملساء تم ترقيعها في عدة مواضع وبدت عليها آثار قُطَب خياطة وانثناء. أحنى رأسه مقتربا بفمه من كتفيه وأخذ يشرب من أنبوب تجميعي لفترة، ثم ما لبث أن اعتدل، نازعا البذلة عن جسده، وسلمها بحرص للمحتشدين، ووقف منتظرا، مرتديا مئزرا حول وسطه وقطعة قماش ملفوفة بإحكام حول قدميه، وحاملا كريسنايف في يده اليمنى.
رأت جيسيكا الفتاة شاني تساعد بولس ثم تدفع بمقبض كريسنايف في يده.
ثم رأته يحمل السكين كي يتعرف على وزنه ونقطة اتزانه.
وهنا خطر لجيسيكا أن بولس مدرَّب في فروع البرانا والبيندو.. الأعصاب والأنسجة العضلية.. وأنه تعلم القتال في مدرسة صارمة، وعلى يد مدرسين من نوع دنكن أيداهو وجيرني هاليك، واللذين كانا أساطير يتحاكى بها الناس خلال حياتهما.
وأن الولد كان على دراية بأساليب البني-جيزيرت الماكرة، وأنه بدا مرنا وواثقا بنفسه.
فكرت: لكنه لم يتعد الخامسة عشرة. ولا يرتدي أية دروع. يجب أن أوقف هذا. بالتأكيد هناك طريقة ما لـ...
رفعت رأسها فوجدت ستيلجار يراقبها.
قال: "لا يمكنك إيقاف الأمر. ينبغي أن تظلي صامتة"
وضعت يدها على فمها وفكرت: لقد زرعت الخوف في عقل جيمس. سيعيقه هذا بعض الشيء... ربما.
آه لو كان بإمكاني الدعاء.. الدعاء بحق.
كان بولس يقف الآن وحيدا على حافة الدائرة، مرتديا سراويل القتال القصيرة التي كانت تحت بذلة تقطيره. أمسك بسكين كريسنايف في يمناه، وكانت قدماه حافيتين على الأرض الصخرية المغطاة بالرمل الخشن.
كان أيداهو قد نصحه مرة بعد الأخرى قائلا: "عندما تكون في شك من طبيعة السطح الذي تقف عليه، فإن الأقدام الحافية تصبح الخيار الأمثل"
أما كلمات شاني وتعليماتها فكانت لا تزال حاضرة في ذهنه: "جيمس ينحرف بسكينه يمينا بعد كل حركة تجنُّب دفاعية. إنها عادة عنده رأيناها كلنا. وسيقوم بتوجيه ضربة لعينيك كي تغمضهما تلقائيا للحظة فيستغلها لجرحك بسرعة. وبإمكانه أن يقاتل بكلتا يديه، فاحترس من تبديله السكين ليده الأخرى"
لكن أقوى ما كان يشعر به بولس - لدرجة أنه أحس به في جسده كله - هو أثر التمرين وميكانيزم ردود الفعل الغريزية التي تم تثبيتها فيه يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة على ساحة التدريب. خطرت على ذهنه كلمات جيرني هاليك: "المقاتل الجيد في استخدام السكين يفكر بطرف السلاح وبنصله وبواقي اليد في ذات الوقت. فالطرف يمكنه أن يجرح أيضا، والنصل يمكنه أن يطعن أيضا، وواقي اليد يمكن أن يستخدم في صد نصل خصمك"
نظر بولس للكريسنايف. لم يكن بها جزء مستعرض يقي اليد، بل حلقة المقبض الرفيعة المستديرة فقط - بحافتها الناتئة - هي ما تقوم بحماية اليد. وبالإضافة لذلك فلم يكن يعلم أيضا مقدار الضغط الذي قد يتسبب في كسر هذا النصل.. بل لم يعلم أصلا إن كان بالإمكان كسره.
بدأ جيمس يمشي مشيا جانبيا على يمينه، على امتداد حافة الحلقة في مواجهة بولس.
انخفض بولس رابضا، وأدرك أنه لم يكن مرتديا درع طاقة، وأنه تدرب على القتال معتادا أن يحيط به مجاله الدرعي الشفاف.. وأنه تم تدريبه على أن يكون دفاعه بأقصى سرعة رد فعل بينما يكون هجومه بطيئا ومحسوبا كي ينجح في اختراق

درع الخصم. وعلى الرغم من تحذيرات مدربيه المستمرة له بألا يعتمد على إعاقة الدرع التلقائية لسرعة الهجوم، إلا أنه كان يعلم أن افتراض وجود الدرع كان أمرا محفورا داخله.
صاح جيمس في تحدٍ طقوسي: "فلتنكسر سكينك وتتهشم!"
فكر بولس: إذن هذه السكاكين يمكن أن تتكسر.
ثم نبه نفسه إلى أن جيمس أيضا لم يكن يرتدي درعا، لكن الرجل لم يتم تدريبه على أن يستخدمه، وبالتالي لم يكن يكبحه ويعيقه نفس ما يعيق المقاتلين المعتادين على الدروع.
حدق بولس في جيمس المقابل له في الحلقة. كان جسد الرجل يشبه حبلا مجدولا مليئا بالعقد وملفوفا على هيكل عظمي جاف. سكينه الكريسنايف لمع بلون أصفر منساب كاللبن تحت ضوء كرات الإنارة.
سرى الخوف في بولس. شعر فجأة بأنه وحيد وعارٍ، واقفا في ضوء أصفر باهت داخل حلقة البشر هذه.
كان الاستبصار قد غذاه بمعرفة مستمدة من عدد لا نهائي من الخبرات، وقام بالتلميح في اتجاه أقوى تيارات المستقبل وسلسلة القرارات التي تقود إليها.. لكن هذا كان الواقع الحاضر. كان هذا هو الموت المحتمل أن يقع نتيجة عدد لا نهائي من أحداث سوء الحظ متناهية الصغر. أدرك أنه من الوارد أن يقوم أي شيء عابر بتغيير كفة المستقبل. سعال شخص من بين المحتشدين المراقبين سيؤدي لتشتيت الانتباه. تغير طفيف في شدة إنارة إحدى كرات الإنارة سيؤدي لخلق ظل خادع.
قال بولس لنفسه: إني خائف.
دار بحذر في مواجهة جيمس، مرددا لنفسه بصمت استعاذة البني-جيزيرت من الخوف.
"الخوف قاتل للعقل..."
كان أثرها كماء بارد قام بتهدئته. أحس بالعضلات تحل عقدها المتشنجة، وتصبح متزنة ومستعدة.
زمجر جيمس قائلا: "سأغمد سكيني في دمك". وفي منتصف آخر كلمة.. انقض.
رأت جيسيكا الحركة، فكتمت صرخة كادت تفلت منها.
لكن في الموضع الذي وجه إليه الرجل ضربته لم يكن يوجد سوى هواء، بينما بولس صار واقفا خلف جيمس ومتاح له توجيه ضربة سهلة للظهر غير المحمي.
صرخت جيسيكا في عقلها: الآن يا بولس! الآن!
كانت الحركة التي قام بها بولس بطيئة ومحكومة التوقيت، وسلسة بشكل جميل، لكن بُطأها سمح لجيمس بهامش زمني التوى خلاله مبتعدا ومتراجعا، ثم مستديرا لجهة اليمين.
تراجع بولس رابضا لأسفل، وقال: "عليك أن تعثر على دمي أولا"
تعرفت جيسيكا في حركة ابنها على توقيت الشخص المعتاد على القتال بالدروع، وأدركت فجأة أن هذا الأمر كان سلاحا ذا حدين. فردود فعل الولد كانت فتية ونتاج تمرين علا بقدراته لقمة لم يسبق لهؤلاء القوم أن شاهدوها. لكن الهجوم أيضا كان نتاج تمرين وتم تكييفه تبعا لضرورات اختراق حاجز درع الطاقة.
فالدروع ستصد أي ضربة سريعة، ولن تسمح بمرور سوى الضربة الماكرة البطيئة. كان المرء يحتاج للسيطرة على حركاته وإتقان الخداع كي يخترق الدرع.
سألت نفسها: هل يدرك بولس هذا؟ يجب أن يفعل!
ومجددا قام جيمس بالهجوم، وعيناه تبرقان بلون الحبر، وجسمه كمسار ضبابي سريع أصفر في ضوء كرات الإنارة.
ومن جديد انسل بولس مبتعدا، ورد الحركة بهجوم أبطأ من اللازم.

حدث هذا مرة أخرى.
وأخرى.
وفي كل مرة كانت ضربة بولس المضادة تأتي متأخرة بمقدار لحظة واحدة.
ثم رأت جيسيكا شيئا كانت تأمل ألا ينتبه له جيمس. ردود أفعال بولس الدفاعية كانت سريعة كالبرق، لكنها كانت تتجه كل مرة في نفس الزاوية المفترض أن تتجه إليها إن كان بولس يرتدي درعا سيقوم بمساعدته في صد جزء من ضربة جيمس.
قال ستيلجار: "هل يعبث ابنك لاهيا بذلك الأحمق المسكين؟"، ثم لوح لها بالصمت قبل أن تتمكن من الإجابة وقال: "المعذرة، يجب أن تظلي صامتة"
والآن كان الشخصان يدور أحدهما حول الآخر على الأرضية الصخرية. جيمس مادا يده الممسكة بالسكين ومميلها لأعلى قليلا، بينما بولس رابض وسكينه منخفضة. انقض جيمس مجددا، وهذه المرة انحنى يمينا، ناحية الموضع الذي كان بولس يتفادى منه. لكن بدلا من أن يتظاهر بولس بالتراجع والابتعاد فإنه قابل بطرف نصله يد الرجل الممسكة بالسكين. ثم انزاح الصبي مختفيا، منحنيا يسارا وممتنا لتحذير شاني له.
تراجع جيمس إلى مركز الدائرة، وأخذ يحك هذه اليد.
تساقطت قطرات دم من الجرح للحظة قصيرة ثم توقفت.
كانت عيناه متسعتين وتحدقان.. ثقبان بلون أزرق داكن يدققان في بولس وقد طرأ عليهما حذر جديد في ضوء كرات الإنارة الخافت.
غمغم ستيلجار: "أها.. أوجعته هذه"
ربض بولس في وضع استعداد وصاح - كما تم تدريبه على أن يفعل بعد أن يسيل الدم من خصمه لأول مرة - : "هل تنسحب؟"
صاح جيمس: "هاه!"
تصاعدت غمغمة غاضبة من بين المحتشدين.
صاح ستيلجار: "توقفوا! الصبي لا يعرف قواعدنا"، ثم موجها كلامه لبولس: "لا يُسمح بالانسحاب في نزال التحدي. إنه اختبار لصحة الشيء.. حتى الموت"
رأت جيسيكا بولس يزدرد لعابه بقوة. وفكرت: لم يسبق له أن قتل رجلا هكذا.. في الحمية الدموية لمبارزة بالسكين. هل سيقدر على القيام بالأمر؟
تحرك بولس ببطء في شكل دائري، إذ أرغمته تحركات جيمس على ذلك.
عادت تزعجه تلك المعرفة الاستبصارية بالمتغيرات الزمنية التي تغلي في هذا الكهف الآن.
فهمه الإدراكي الجديد أخبره أن بهذا النزال يوجد عدد كبير من القرارات السريعة المنضغطة بحيث يصعب أن يرى أمامه مجرى واحد واضح. متغيرات متراكمة فوق بعضها البعض.. كان هذا هو السبب في أن هذا الكهف يبدو في مساره كمفترق طرق ضبابي. كان كصخرة هائلة الحجم توجد في مسار مياه الفيضان، وتخلق دوامات في التيار المحيط بها.
غمغم ستيلجار: "انته من الأمر يا فتى. لا تعبث به"
انسل بولس زاحفا أكثر لمنتصف الحلقة، معتمدا على تفوقه في مجال السرعة.
تراجع جيمس في هذه اللحظة بعد أن غمره إدراكه للأمر.

أدرك أن خصمه لم يكن مجرد أجنبي ناعم يبارزه في حلبة التحدي، ولا فريسة سهلة يمكن لكريسنايف أحد الفريمن أن يقتنصها. رأت جيسيكا في وجه الرجل ظل اليأس، ففكرت: والآن أصبح في أشد حالاته خطورة. الآن أصبح يائسا وبإمكانه أن يقوم بأي شيء.. وقد علم أن خصمه ليس كباقي صبيان قومه، بل ماكينة قتال تدربت على الأمر منذ مولدها. الآن سيثمر الخوف الذي زرعته فيه ثمرته.

ووجدت نفسها تشعر بشيء من الشفقة على جيمس.. لكن حد من هذه العاطفة إدراكها للخطر المحيق بابنها.

أخبرت نفسها: قد يقوم جيمس بأي شيء.. أي شيء غير متوقع.

وتساءلت في هذه اللحظة إن كان بولس قد لمح هذا المستقبل، وإن كان يعيش الآن أحداثا يعلمها بالفعل. لكنها رأت الطريقة التي يتحرك بها ابنها، وحبات العرق على وجهه وكتفيه، والحذر والاحتراس البادي في حركة عضلاته. وشعرت لأول مرة - دون أن تفهم الأمر بشكل كامل - بعنصر عدم اليقين الموجود في موهبة بولس.

الآن أخذ بولس يطيل وقت النزال، فيحوم في دائرة دون أن يبادر بهجوم. كان قد رأى الخوف البادي على خصمه. وتدفقت في وعيه ذكرى صوت دنكن أيداهو: "عندما يخافك خصمك فعندها يحين وقت إتاحة المجال أمام هذا الخوف كي يتملكه.. اترك له وقتا ليؤثر فيه. دعه يتحول إلى رعب. فالرجل المرعوب يقاتل نفسه. في النهاية سيهاجم، مدفوعا بالشعور باليأس. هذه هي أخطر لحظة. لكن ثق أن الرجل المرعوب سيقدم على خطأ قاتل لا محالة. ونحن هنا ندربك على التعرف على هذه الأخطاء واستغلالها"

بدأ الحشد المجتمع في الكهف يغمغم.

فكرت جيسيكا: يظنون أن بولس يتلاعب بجيمس. يظنون أنه يتعامل بقسوة لا داع لها.

لكنها شعرت أيضا بالإثارة الخفية التي يشعر بها الحشد.. استمتاعهم بالعرض. وكان بإمكانها رؤية الضغط الذي يزداد داخل جيمس. اللحظة التي سيفوق فيها الضغط قدرة جيمس على الاحتواء كانت واضحة لها كما هي واضحة لجيمس.. أو لبولس.

وثب جيمس عاليا، ملوحا بشكل خادع وهاويا بيمناه.. لكن اليد كانت فارغة.

كانت الكريسنايف قد نُقلت ليده اليسرى.

شهقت جيسيكا.

لكن شاني كانت قد حذرت بولس: "جيمس يقاتل بكلتا يديه"

وعمق تدريبه جعله يستوعب هذه الخدعة بطريقة عرضية خلال حدوثها.

لطالما ردد جيرني هاليك على مسامعه: "ركز ذهنك على السكين، لا على اليد الحاملة للسكين. فالسكين أخطر من اليد، ويمكن للسكين أن تكون في أي يد من اليدين"

بالإضافة إلى أن بولس قد رأى غلطة جيمس.. خطأ في حركة قدميه أدى لتأخر الرجل لحظة واحدة كي يستعيد توازنه من وثبته.. تلك الوثبة التي كان يقصد بها تشتيت بولس وإخفاء حركة نقل السكين.

باستثناء الضوء الأصفر الخافت الصادر من كرات الإنارة، وعيون الحشد الداكنة كالحبر والمحدقة، كان الأمر يشبه إحدى جلسات التدريب.

لا يُحسب للدروع حساب في حالة استغلالك حركة الجسم ذاتها ضد الجسم.

بدل بولس سكينه في حركة خاطفة، وانزلق جانبا ودفع بالسلاح لأعلى في الموضع الذي كان صدر جيمس يهبط عليه.. ثم ابتعد ليرى انهيار الرجل.

هوى جيمس وكأنه خرقة، ووجهه على الأرض.

شهق شهقة وأدار وجهه ناحية بولس، ثم رقد ساكنا على الأرضية الصخرية. حملقت عيناه الميتتان في الفراغ وكأنهما خرزتان من زجاج داكن اللون.
كان أيداهو قد أخبر بولس في إحدى المرات: "القتل باستخدام طرف السلاح يفتقر للذوق الفني. لكن لا تدع هذا يمنعك من القيام به عندما توجد فرصة سانحة"
اندفع الحشد للأمام، زاحمين الحلقة، ودافعين بولس جانبا. أخفوا جيمس بحركات سريعة متداخلة. ولم تمض لحظات إلا وكانت مجموعة منهم تمضي مسرعة قاصدة عمق الكهف وهي تحمل حملا ملفوفا في ثوب.
ولم تعد توجد أي جثة على الأرض الصخرية.
اخترقت جيسيكا الحشد قاصدة ابنها. شعرت أنها تسبح في بحر من الظهور والأثواب ذات الرائحة الشديدة. كان الحشد صامتا بشكل غريب.
فكرت: الآن هي اللحظة الرهيبة. لقد نجح في قتل رجل بتفوق واضح في العقل والعضلات. لا يجب أن يبدأ في الاستمتاع بمثل هذا النصر.
دفعت نفسها بقوة بين آخر أفراد الحشد فوصلت لفراغ صغير به رجلان ملتحيان يقومان بمساعدة بولس على ارتداء بذلته.
حدقت جيسيكا في ابنها. كانت عينا بولس تلمعان، ويسحب أنفاسا عميقة، تاركا الشخصين يخدمانه دون أن يساعدهما.
تمتم أحد الرجال قائلا: "لقد قاتل جيمس ولم يصبه ولو حتى جرح واحد"
وقفت شاني جانبا وعيناها مثبتتان على بولس. رأت جيسيكا ما تشعر به الفتاة من إثارة، والإعجاب البادي على الوجه الفاتن.
فكرت جيسيكا: يجب أن يتم الأمر الآن، وعلى وجه السرعة.
أشبعت صوتها وأسلوبها بأقصى نبرة توبيخ، وقالت: "حسنا الآن.. ما شعورك بعد أن أصبحت قاتلا؟"
تصلب بولس كما لو كانت قد وُجهت إليه ضربة. التقت عيناه بنظرة أمه الباردة، فاسود وجهه باندفاع الدم فيه.
ولا شعوريا اتجه بصره للموضع الذي كان جيمس قد رقد فيه على أرضية الكهف.
تقدم ستيلجار إلى جوار جيسيكا، عائدا من عمق الكهف حيث أُخذت جثة جيمس. تحدث لبولس في نبرة محكومة ولاذعة: "عندما يحين الوقت الذي ستطلبني فيه لمواجهتك في النزال، ساعيا للحصول على بُردة Burda زعامتي، لا تظن أنك ستتلاعب بي بنفس الطريقة التي تلاعبت بها بجيمس"
شعرت جيسيكا بأثر كلماتها وكلمات ستيلجار على بولس، وما فعلته هذه الكلمات بشدة في الصبي.
إن الغلطة التي ارتكبها هؤلاء القوم أصبحت الآن تخدم غرضا مفيدا.
بحثت مدققة في الوجوه التي حولهما، كما كان بولس يفعل أيضا، فرأت ما كان يراه. إعجاب.. لكن رهبة أيضا.. وفي بعض الوجوه رأت اشمئزازا. نظرت لستيلجار فرأت التسليم بحتمية القدر بادية عليه، وأدركت كيف بدا له هذا النزال.
نظر بولس لأمه وقال: "تعلمين حقيقة الأمر"
سمعت في صوته عودة التعقل، والندم.
أدارت جيسيكا بصرها بين المحتشدين وقالت: "لم يسبق لبولس أن قتل رجلا بنصله المجرد هكذا"
استدار ستيلجار لها بوجهه وعلامات عدم التصديق بادية عليه.
قال بولس: "لم أكن أعبث به"
تقدم أمام أمه وسوّى ثوبه، ورمق الموضع الداكن من أرضية الكهف حيث يوجد دم جيمس.

"لم أكن أرغب في قتله"
رأت جيسيكا التصديق يكسو ستيلجار ببطء، وإحساسه بالراحة بينما كان يعبث بلحيته بيده كثيرة العروق.
سمعت همهمات الفهم تسري عبر المجموعة.
قال ستيلجار: "ولهذا طلبتَ منه أن ينسحب. الآن فهمت. إن عاداتنا مختلفة عما اعتدته، لكنك سترى ما بها من حكمة. لقد كنت أخشى أننا أدخلنا وسطنا عقربا"
تردد قليلا ثم أكمل: "ولن أصفك بأنك صبي بعد الآن"
صاح صوت من بين المجموعة: "يحتاج اسما يا ستيل"
أومأ ستيلجار موافقا وهو يشد لحيته مفكرا: "إني أرى فيك قوة.. كالقوة في قاعدة العمود"
توقف مرة أخرى، ثم استأنف: "ستكون معروفا بيننا باسم أصول، قاعدة العمود. هذا هو اسمك السري.. اسمك ضمن المجموعة. نحن - أهل سياتش طبر - بإمكاننا أن نستخدمه، أما غيرنا فلا يحق لهم هذا.. يا أصول"
انتشرت الهمهمات بين أفراد المجموعة: "إنه اختيار جيد.. قوي.. يجلب لنا الحظ الحسن"
وأحست جيسيكا بتقبلهم له، عالمة أنها كانت داخلة ضمن هذا القبول مع بطلها. وأنها أصبحت بالفعل 'سيدينا'.
قال ستيلجار: "والآن، أي اسم تختار أن ندعوك به في العلن، بصفتك قد أصبحت رجلا؟"
ألقى بولس بنظرة على أمه ثم عاد ببصره لستيلجار. استدعت ذاكرته الاستبصارية بعض الأجزاء والقطع التابعة لهذه اللحظة، لكنه شعر بالاختلافات كما لو كانت مادية وملموسة.. ضغط يدفعه دفعا عبر باب الحاضر الضيق.
قال بولس: "ما اسم الفأر الصغير عندكم.. الفأر الذي يقفز؟"، إذ تذكر حركة الوثب التي رآها في حوض تيونو.
قام بتمثيل الحركة بإحدى يديه.
صدرت قهقهة من بين المحتشدين.
قال ستيلجار: "نسميه المؤدِّب Muad'Dib"
شهقت جيسيكا. لقد كان هذا هو الاسم الذي أخبرها به بولس، عندما قال أن الفريمن سيقبلونهما بينهم وسيطلقون عليه هذا الاسم.
أحست فجأة بخوف من ابنها، وعليه.
ازدرد بولس لعابه. شعر أنه لعب دورا مسرحيا سبق له أن لعبه في ذهنه عددا لا نهائيا من المرات.
إلا أنه كانت توجد اختلافات.
رأى نفسه جاثما على قمة يصيب ارتفاعها بالدوار، وقد مرت عليه خبرات كثيرة ونال مخزونا معرفيا عميقا، لكن ما حوله كان هاوية مجهولة.
ومن جديد تذكر رؤيا الفيالق المتعصبة المهووسة وهي تتبع راية أتريديز الخضراء والسوداء.. تنهب وتحرق بطول الكون وعرضه باسم نبيهم، المؤدب.
قال لنفسه: لا يجب أن يحدث هذا.
قال ستيلجار: "هل هذا هو الاسم الذي ترغب فيه.. مؤدب؟"
همس بولس: "إني من آل أتريديز"، ثم بصوت أعلى: "ليس من الصواب أن أتخلى تماما عن الاسم الذي أعطاه لي أبي. هل يمكن أن أكون معروفا بينكم باسم بولس-مؤدب؟"
قال ستيلجار: "فلتكن بولس-مؤدب"

وفكر بولس: لم يرد هذا في أي رؤيا رأيتها. لقد فعلتُ شيئا مختلفا.
لكنه ظل يشعر بالهاوية تحيطه من كل اتجاه.
ومن جديد انتشرت الهمهمات بين المجموعة إذ أخذ كل رجل يحدث زميله: "حكمة وقوة.. لا مجال لطلب المزيد.. إنها النبوءة بلا شك.. لسان الغيب.. لسان الغيب..."
قال ستيلجار: "دعني أخبرك شيئا بخصوص اسمك الجديد. إن الاختيار يسعدنا. فالمؤدب حكيم وعارف بأساليب الحياة الصحراوية. المؤدب يكوّن ماءه بنفسه داخل جسده. المؤدب يتجنب الشمس ويسافر في الليل البارد. المؤدب خصب ويتكاثر في الأرض. إننا نطلق على المؤدب لقب 'معلم الصبيان'. إنها قاعدة قوية ولك أن تبني حياتك على هداها. بولس-مؤدب، يا من اسمك بيننا هو أصول، مرحبا بك بيننا"[19]
مس ستيلجار جبهة بولس براحة يده، ثم سحبها وعانق بولس وتمتم: "أصول"
وعندما تركه ستيلجار تقدم عضو آخر من المجموعة وعانق بولس، مرددا اسمه الخاص الجديد. وانتقل بولس من عناق لعناق بين أفراد المجموعة.. سامعا الأصوات والنبرات المتنوعة: "أصول.. أصول... أصول"
كان يستطيع تمييز بعضهم بالاسم بالفعل، وضمنهم شاني، والتي ضغطت بوجنتها على وجنته عندما كانت تعانقه وتنطق اسمه.
بعد قليل كان بولس يقف مرة أخرى أمام ستيلجار الذي قال: "الآن أنت من الإخوان البدو Ichwan Bedwine.. أخ لنا"
ثم تشدد وجهه وتكلم بنبرة آمرة: "والآن يا بولس-مؤدب، أحكم غلق بذلة تقطيرك"، ثم نظر لشاني: "شاني! سدادات أنف بولس-مؤدب وضعها أسوأ ما رأيته في حياتي! أظن أني وجهت إليكِ أمرا بالاعتناء به!"
قالت: "كانت تعوزني الأدوات يا ستيل. توجد سدادات جيمس بالطبع، لكن..."
"كفى هذا الكلام!"
قالت: "إذن سأشاركه واحدة من عندي. يمكنني أن أكتفي مؤقتا بواحدة حتى..."
قال ستيلجار: "لا تفعلي. إني متأكد أنه توجد بيننا سدادات إضافية احتياطية. أين هي؟ هل نحن فرقة متحدة أم مجموعة من الهمج؟"
امتدت الأيدي من الحشد تقدم أشياء ليفية صلبة.
اختار ستيلجار أربعة منها وناولها لشاني: "ركبي هذه لأصول وللسيدينا"
ارتفع صوت من آخر المجموعة: "وماذا عن الماء يا ستيل؟ ماذا عن قرب الماء الموجودة بحقيبتهم؟"
قال ستيلجار: "أنا عالم باحتياجك يا فاروق"
رمق جيسيكا، فأومأت.
قال ستيلجار: "افتح واحدة من أجل المحتاجين. يا حافظ الماء.. فليقترب أحد حفظة الماء. ها أنت ذا يا شيموم. اعتنِ بمسألة وزن القدر اللازم. خذ القدر الضروري فقط ولا تزد. هذا الماء هو نصيب مملوك للسيدينا، وسيعاد دفعه لها في السياتش، حسب الأسعار الميدانية مخصوما منها أجرة الحمولة"
قالت جيسيكا: "وكم هي نسبة الدفع حسب الأسعار الميدانية؟"
قال ستيلجار: "10 مقابل 1"
"لكن..."
قال ستيلجار: "إنها قاعدة حكيمة، كما سترين بنفسك فيما بعد"

19 الفأر الكنغري حيوان صحراوي حقيقي. (المترجم)

دل حفيف أثواب في خلفية الحشد على حركة الرجال لإحضار الماء.
رفع ستيلجار يده فساد الصمت: "أما فيما يخص جيمس، فإني آمر بتأدية الطقس بتمامه. لقد كان جيمس رفيقنا وأخ من الإخوان البدو. لن نرحل دون تقديم الاحترام الواجب للشخص الذي أقام الدليل على صحة حظنا السعيد بما أقدم عليه من نزال التحدي. إني آمر بتأدية الطقس.. عند غروب الشمس، عندما سيغطيه الظلام"
عندما سمع بولس هذه الكلمات أدرك أنه عاد وغاص مرة أخرى في الهاوية.. الزمن المخفي عنه.
لم تكن هناك أية 'ذكريات مستقبلية' في عقله.. باستثناء..
باستثناء أنه لا زال قادرا على الشعور براية آل أتريديز خفاقة، بلونيها الأخضر والأسود.. بمكان ما في المستقبل الآتي..
ولا زال يرى أسياف الجهاد الدموية وفيالق الجنود المهووسة.
قال لنفسه: لن يحدث. لن أسمح لهذا بأن يحدث.

الفصل 34

"خلق الرب أراكس كي يدرب المؤمنين"

من كتاب "حكمة المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

في هدوء الكهف سمعت جيسيكا حركة كشط للرمال على الصخور، ناتجة عن حركة الناس، وسمعت شقشقة الطيور، والتي قال ستيلجار أنها في حقيقة الأمر إشارات رجال الحراسة المتفق عليها.

كانت الأغطية البلاستيكية الكبيرة قد تم رفعها عن فتحة الكهف، فأمكنها أن تشاهد مسيرة الظلال الليلية عبر العتبة الصخرية الموجودة أمامها، وما وراءها من حوض ممتد. أحست بضوء النهار يغادرهم.. أحست بهذا عن طريق الحرارة الجافة بالإضافة لحركة الظلال. كانت تدرك أن حواسها الإدراكية المدرَّبة ستمنحها قريبا نفس القدرة التي يتمتع بها - كما هو واضح - هؤلاء الفريمن: القدرة على الإحساس بأدنى تغير يطرأ على رطوبة الهواء.

انظر للطريقة التي أسرعوا يُحكمون بها غلق بذلات تقطيرهم عندما فُتح الكهف!

من مكان عميق في وسط الكهف بدأ شخص في الترتيل:

"إيما ترافا أوكولو! إي كوريجا أوكولو!"

ترجمت جيسيكا الكلام في صمت: هذا رماد! وهذه جذور!

كانت طقوس جنازة جيمس تبدأ.

مدت بصرها لتنظر للغروب الأراكسي، وللألوان المنحدرة التي تزين السماء. كان الليل يشرع في إسدال ظلاله على الصخور والكثبان البعيدة. ومع ذلك استمرت الحرارة كما هي.

قادت الحرارة ذهنها للتفكير في الماء وفي الحقيقة الظاهرة بين هؤلاء الناس.. حقيقة أنه أمكن تدريبهم على ألا يشعروا بالعطش إلا في أوقات محددة فقط.

العطش.

كان في إمكانها تذكر موجات على كالادان ينيرها القمر وتلقي على الصخور ببياضها الذي يشبه الأثواب.

والرياح المشبَّعة بالبلل.

أما الآن فالنسيم الذي يتخلل ثوبها يسفع مناطق الجلد المكشوفة عند وجنتيها وجبهتها.

سدادات الأنف الجديدة أزعجتها وأشعرتها بالحكة.. وكانت متضايقة من الوجود الدائم للأنبوب الممتد على وجهها واصلا للبذلة ومستعيدا الرطوبة من تنفسها.

أما البذلة نفسها فكانت كالتعذيب في غرف التعرق[20].

كان ستيلجار قد قال لها: "ستصبح بذلتك أكثر راحة عندما تعتادين انخفاض المحتوي المائي بجسمك"

كانت تعلم أنه محق، لكن هذه المعرفة لم تفلح في إراحتها بأي شكل الآن. إن تركيزهم اللا-شعوري هنا على مسألة الماء كان يضغط بثقله على عقلها.

---

20 في الأصل: Sweatbox (المترجم)

قامت بالتصحيح لنفسها: كلا. التركيز هو على الرطوبة.
وهي شيء أكثر دقة وعمقا.
سمعت خطوات تقترب، فالتفتت فرأت بولس قادما من عمق الكهف وخلفه شاني ذات الوجه الفاتن.
فكرت جيسيكا: وهاك أمر آخر.
يجب تحذير بولس من نسائهم. فلن تصلح واحدة من نساء الصحراء هؤلاء أن تكون زوجة دوق. ربما تصلح كمحظية، لكن لا كزوجة.
ثم تعجبت من نفسها، مفكرة: هل أصابتني عدوى خططه؟.. وأدركتْ كيف تم تكييفها عقليا بدرجة كبيرة.
فها أنا ذا أفكر في الضروريات الزوجية للنبلاء دون أن أنتبه ولو للحظة لوضعي كمحظية.
لكني في الواقع كنت أكثر من مجرد محظية.
"أمي"
توقف بولس أمامها، وشاني جواره.
"أمي، أتعلمين ما يفعلون في الخلف هناك؟"
نظرت جيسيكا للبقعة المظلمة تحت القلنسوة التي تنظر عيناه من خلالها: "أظن أني أعلم"
"شاني أرتني.. لأنه من المفترض أن أرى الأمر وأن أعطيهم.. موافقتي على الماء الموزون"
نظرت جيسيكا لشاني.
قالت شاني: "إنهم يستعيدون ماء جيمس". وكان صوتها الرفيع أخنف لمروره عبر سدادات الأنف.
"فهذه هي القاعدة المتبعة. اللحم من حق الشخص، لكن ماءه من حق القبيلة.. إلا في حالة النزال"
قال بولس: "يقولون أن الماء ملكي أنا"
تساءلت جيسيكا في نفسها لماذا جعلها هذا الأمر فجأة حذرة ومتيقظة.
قالت شاني: "ماء النزال يصبح من حق المنتصر. والسبب هو أن المرء يضطر للقتال في الهواء دون ارتداء بذلة تقطير. فالمنتصر يستعيد الماء الذي كان قد فقده أثناء القتال"
تمتم بولس: "لا أريد ماءه"
شعر وكأنه جزء ضمن صور كثيرة تتحرك متزامنة في وقت واحد وبطريقة متقطعة تسبب الإرباك للعين الداخلية.
لم يكن بمقدوره التأكد مما سيفعله، لكنه كان متأكدا من أمر واحد على الأقل: إنه لا يرغب في أخذ الماء الذي تم تقطيره من جسد جيمس.
قالت شاني: "لكنه.. ماء"
عجبت جيسيكا للطريقة التي قالت بها كلمة 'ماء'. الكثير من المعاني مضمنة في مجرد كلمة واحدة بسيطة.
خطرت لجيسيكا مقولة من مقولات البني-جيزيرت الحكيمة: القدرة على البقاء حيا هي قدرتك على السباحة في مياه غريبة عليك.
وفكرت جيسيكا: علينا - أنا وبولس - أن نعثر على التيارات والأنماط المناسبة في هذه المياه الغريبة.. إن كنا نريد النجاة.
قالت جيسيكا: "ستوافق على أخذ الماء"
تعرفت على النبرة التي كانت في صوتها. كان قد سبق لها استخدام نفس النبرة مع ليتو في إحدى المرات، عندما أخبرت دوقها الفقيد أن يقبل قدرا كبيرا من المال قد عُرض عليه مقابل تأييده لمشروع كان مثار شبهات.. حيث أن المال يحفظ

لآل أتريديز سلطتهم.
وعلى أراكس الماء هو المال. كانت تفهم هذا جيدا.
ظل بولس صامتا، وأدرك أنه سيفعل كما أمرته.. لا بسبب أمرها له، بل لأن نبرة صوتها جعلته يعيد تقييم الموضوع.
فعدم قبول الماء سيعد خرقا للعادات الفريمنية المتعارف عليها.
وعلى الفور تذكر بولس نص الكلمة Kalima رقم 467 في إنجيل يُوي الكاثوليكي البرتقالي، فقال: "من الماء تبدأ كل حياة"
حدقت فيه جيسيكا. سألت نفسها: أين تعلم هذا الاقتباس؟.. لم يسبق له أن درس الأسرار الدينية.
قالت شاني: "هكذا يقول النص. جيوديشار مانتيني: مكتوب في الشاهنامه أن أول المخلوقات كان الماء"
ارتجفت جيسيكا فجأة دون أن تعرف السبب.. وقد أزعجها عدم المعرفة أكثر من الرجفة نفسها.
أشاحت بوجهها كي تخفي حيرتها، فأدركت اللحظات الأخيرة للغروب. انسكبت على السماء ألوان متداخلة بشكل عنيف بينما غاصت الشمس تحت خط الأفق.
"حان الوقت!"
كان الصوت صوت ستيلجار يجلجل في الكهف.
"تم قتل سلاح جيمس. جيمس قد استدعاه الإله، شي-خلود، الذي نظّم أطوار القمرين اللذين يتضاءلان يوميا ثم في النهاية يظهران متقوسين كأغصان ذابلة"
انخفض صوت ستيلجار وأكمل: "وهكذا كان الأمر بالنسبة لجيمس"
انسدل الصمت على الكهف وكأنه دثار قد غطاه.
رأت جيسيكا حركة ستيلجار الذي بدا - في مناطق الكهف الداخلية المظلمة - وكأنه جسم شبحي.
عادت تلقى نظرة على الحوض، شاعرة بالبرودة.
قال ستيلجار: "على أصدقاء جيمس أن يتقدموا"
تحرك بعض الرجال خلف جيسيكا وألقوا ستارة على الفتحة.
تمت إضاءة كرة إنارة واحدة فوق الرؤوس في عمق الكهف البعيد، وأظهر وهجها الأصفر أشخاصا يمرون متدفقين.
سمعت جيسيكا حفيف الأثواب.
ابتعدت شاني بمقدار خطوة، كما لو أن الضوء قد جذبها.
انحنت جيسيكا مقتربة من أذن بولس، وتكلمت مستخدمة شفرتهم العائلية: "قلدهم وافعل كما سيفعلون. سيكون الأمر عبارة عن طقس بسيط مراد منه تهدئة روح جيمس"
فكر بولس: سيكون الأمر أكبر من مجرد هذا.
وأحس في وعيه الإدراكي باعتصار، كما لو أنه يحاول الإمساك بشيء متحرك وتسكين حركته.
عادت شاني لتقف جوار جيسيكا في حركة انسيابية، وأمسكت يدها: "تعالِ يا سيدينا، علينا أن نجلس في مكان منفصل"
شاهدهما بولس وهما يغيبان بين الظلال ويتركانه وحيدا.
شعر بأنه مهجور.
اقترب منه الرجال الذين نزعوا الستار.
"تعال يا أصول"
تركهم يقودونه للأمام، وأن يدفعونه بين أشخاص يتحلقون في دائرة حول ستيلجار، والذي وقف تحت كرة الإنارة وجواره

شيء مكوم، له أجزاء منحنية وأخرى مضلعة، ومجموع تحت ثوب على الأرضية الصخرية.
ربضت المجموعة على الأرض مستجيبة لإشارة من ستيلجار، فصدر عن أثوابهم صوت حفيف.
استقر بولس في مكان بينهم، مراقبا ستيلجار، وملاحظا الطريقة التي جعل فيها المصباح العلوي عينيه تظهران غائرتين مظلمتين بينما ازداد بريق قطعة القماش الخضراء المحيطة بعنقه.
انتقل بولس بتركيزه للكومة المغطاة بالثوب قرب قدمي ستيلجار فأدرك أن الشيء البارز من تحت قماش الثوب هو مقبض آلة باليست موسيقية.
قال ستيلجار بصوت منغوم: "إن الروح ترحل عن ماء الجسد عندما يطلع القمر الأول. هذا هو المنصوص عليه. عندما سنرى القمر الأول وهو يشرق هذه الليلة فسيقوم باستدعاء من؟"
أجابت المجموعة: "جيمس"
استدار ستيلجار دورة كاملة على عقبه، مارا بنظرته على حلقة الوجوه، ثم قال: "لقد كنتُ صديقا لجيمس. عندما تقوض فوقنا سفح الصقر في منطقة الصخرة المثقوبة، فإن جيمس هو من سحبني لمكان آمن"
وانحنى على الكومة الموضوعة جواره ورفع الثوب: "إني آخذ هذا الثوب بصفتي صديقا لجيمس.. نصيب من حق القائد" وألقى بالثوب على كتفه ثم اعتدل واقفا.
عندها رأى بولس محتويات الكومة مكشوفة: بذلة تقطير ذات لون رمادي باهت، قربة ماء منبعجة، منديل في وسطه كتاب صغير، مقبض كريسنايف بلا نصل، غمد فارغ، حقيبة مطوية، بارا-بوصلة، ترجوم طيري، دقاق، مجموعة من الخطاطيف المعدنية بحجم قبضة اليد، تشكيلة مما بدا أنه حجارة صغيرة مطوية داخل قطعة قماش، حزمة من الريش المضموم.. وباليست ظاهرة بجانب الحقيبة المطوية.
فكر بولس: إذن جيمس كان يعزف على الباليست.
ذكرته الآلة الموسيقية بجيرني هاليك وبكل ما ضاع منه.
كان بولس يعلم - عن طريق 'ذكرياته المستقبلية' - أن بعض المسارات المحتملة قد ينتج عنها أن يلتقي بهاليك، لكن فرص تحقق هذا اللقاء كانت ضئيلة وتغلفها الظلال.
كانت تصيبه بالحيرة. إن عامل عدم اليقين كان يثير عجبه.
هل المعنى هو أن أحد الأفعال التي سأقوم بها.. التي ربما أقوم بها.. يمكنه أن يدمر جيرني.. أو يعيده للحياة.. أو..
ازدرد بولس لعابه وهز رأسه. ومن جديد انحنى ستيلجار على الكومة.
قال: "من أجل امرأة جيمس والحرس". وأخذ الحجارة الصغيرة والكتاب في طيات ثوبه.
قالت المجموعة في نبرة إنشادية: "حق القائد"
قال ستيلجار: "شارة أدوات تقديم القهوة المملوكة لجيمس"، والتقط قرصا مسطحا مصنوعا من معدن أخضر.
"كي يتم تقديمها لأصول بالطريقة الطقسية المناسبة عندما نعود للسياتش"
قالت المجموعة في نبرة إنشادية: "حق القائد"
وأخيرا التقط مقبض الكريسنايف ووقف ممسكا به.
قال: "لأجل السهل الجنائزي"
أجابت المجموعة: "لأجل السهل الجنائزي"
أومأت جيسيكا برأسها من موقعها الذي يقابل بولس في الدائرة وقد تعرفت على المصدر القديم لهذا الطقس. وفكرت: إن

موضع التلاقي بين الجهل والمعرفة، بين التوحش والتحضر، يبدأ بالطريقة التي نكرم بها موتانا.
ونظرت في اتجاه بولس متسائلة: هل سيدرك الأمر؟ هل سيعلم ما ينبغي عليه فعله؟
قال ستيلجار: "نحن أصدقاء لجيمس. لا نقوم بالعويل على ميتنا وكأننا قطيع من حيوانات الجارفارج"
من على يسار بولس نهض رجل أشيب اللحية وقال: "لقد كنتُ صديقا لجيمس"
خطا مقتربا من الكومة والتقط منها جهاز الترجوم الطيري: "أثناء الحصار في منطقة ذي الطائرين، عندما انخفض مستوى مائنا دون الحد الأدنى، قام جيمس بالمشاركة بمائه"
عاد الرجل لمكانه في الدائرة.
تساءل بولس حائرا: هل من المفترض أن أقول أني كنت صديقا لجيمس؟ هل يتوقعون مني أن آخذ شيئا من هذه الكومة؟
رأى وجوها تلتفت ناحيته ثم تشيح بعيدا عنه.
إنهم فعلا يتوقعون مني هذا!
نهض رجل آخر كان يجلس في الجهة المقابلة لبولس، وراح للحقيبة وأخذ البارا-بوصلة: "كنت صديقا لجيمس. عندما تمكنت منا الدورية عند منطقة عطفة الجرف وجُرحت، فإن جيمس استدرجهم لمطاردته، كي يتمكن الآخرون من إنقاذ الجرحى"
وعاد لموضعه في الدائرة.
ومرة أخرى التفتت الوجوه لبولس. رأى فيها تعبير التوقع، نخفض عينيه.
وكزه مرفق وسمع هسيس صوت يقول: "هل ستجلب علينا لعنة الخراب؟"
تساءل بولس في نفسه: وكيف أقول أني كنت صديقه؟
نهض شخص آخر من موضع مقابل لبولس في الدائرة. وعندما اقترب الشخص ذو القلنسوة من الضوء عرف بولس أنها أمه.
أخذت منديلا من الكومة وقالت: "كنت صديقة لجيمس. عندما رأت روح الأرواح داخله الحاجة لإظهار الحقيقة انسحبت هذه الروح ولم تزهق روح ابني"
ثم عادت لمكانها.
تذكر بولس نبرة التوبيخ في صوت أمه عندما واجهته بعد النزال: ما شعورك بعد أن أصبحت قاتلا؟
ومن جديد رأى الوجوه تتجه صوبه، وشعر بما في المجموعة من غضب وخوف. برقت في ذهنه فقرة من ميكروفيلم عن طقوس الموت الدينية، كانت أمه عرضتها عليه في إحدى المرات، فعلم ما ينبغي عليه فعله.
وببطء نهض بولس واقفا على قدميه.
صدرت من الدائرة تنهيدة ارتياح.
بينما هو يتقدم لمركز الدائرة شعر بولس بتضاؤل ذاته. كما لو أنه قد فقد جزءا من نفسه وأخذ يبحث عنه هنا.
انحنى على كومة المتعلقات والتقط الباليست. أصدر أحد الأوتار رنينا ناعما عندما مس أحد الأشياء بالكومة.
همس بولس: "لقد كنت صديقا لجيمس"
أحس بالدموع تحرق عينيه، فرفع صوته أكثر: "علمني جيمس.. أنك عندما تقتل شخصا.. فإنك تدفع الثمن. أتمنى لو أني عرفت جيمس معرفة أفضل"
وبرؤية ضبابية تحسس طريقه عائدا لمكانه في الدائرة، وغاص جالسا على الأرضية الصخرية.

همس صوت: "إنه يذرف دموعا!"
بدأت الجملة تتردد عبر الدائرة: "أصول يهب الميت رطوبة!"
شعر بأصابع تلمس وجنته المبللة، وسمع الهمسات المذهولة.
عندما سمعت جيسيكا الأصوات شعرت بعمق ما يحسون به، وأدركت أن هذا المجتمع بالتأكيد يعارض ذرف الدموع معارضة اضطرارية شديدة.
ركزت على الكلمات: "إنه يهب الميت رطوبة"
الدموع عندهم هي هدية تقدم لعالم الأرواح. فلا شك أنها شيء مقدس.
كل ما مرت به في السابق يعتبر لا شيء مقارنةً بما أحدثه هذا الأمر في إقناعها بقيمة الماء القصوى على هذا الكوكب.
لا بائعو الماء، ولا بشرة السكان المحليين الجافة، ولا بذلات التقطير، ولا ضوابط الالتزام بتوفير الماء قد أفلحت بالدرجة التي أفلح فيها هذا الموقف.
ها هنا مادة تفوق في قيمتها كل المواد الأخرى.. إنها الحياة ذاتها، وبالتالي محاطة تماما برموز وطقوس.
الماء.
همس شخص ما: "لقد لمستُ وجنته، وشعرت بملمس الهدية"
في البداية شعر بولس بالخوف من الأصابع التي تلمس وجهه.
قبض بشدة على المقبض البارد للآلة الموسيقية، شاعرا بالأوتار تقرص راحة يده. ثم رأى الوجوه التي تظهر من خلف الأيدي المتحسسة.. ورأى العيون واسعة ومتعجبة.
بعد قليل انسحبت الأيدي متراجعة، واستُأنفت مراسم الجنازة.
لكن الآن أصبح هناك فراغ يحيط ببولس.. انسحاب طفيف قام به أفراد المجموعة توقيرا له كي يعطوه مساحة من العزلة.
اختُتم الطقس بترنيم منخفض:
"البدر يستدعيك
شي-خلود سيراك
حمراء هي سماء الغسق الليلية
مونتك ميتة دموية
ندعو للقمر المستدير
وسيكثر فينا الخير
ما نسعى إليه سنجده
في أرض التربة الجامدة"
بقي قرب قدمي ستيلجار جراب منتفخ. انخفض رابضا ووضع راحتيه عليه.
جاء شخص من ورائه، وانحنى مجاورا له، فتعرف بولس على وجه شاني تحت ظل القلنسوة.
قالت شاني: "كان جيمس يحمل 33 لترا و 7 دراهم و 33 جزء من الدرهم من ماء القبيلة. أباركها الآن في حضور سيدينا. إيكيري آكايري.. ها هو الماء. فيليسين فولاسي بولس-مؤدب! كيفي آكافي.. لن يتكرر أبدا.. ناكالاس! ناكيلاس! أن يوزن ويحسب.. أوكايرن! بدقات قلب.. جان جان جان.. صديقنا.. جيمس"
ثم - في صمت مفاجئ وعميق - التفتت شاني وحدقت في بولس، ثم لم تلبث أن قالت: "بينما أنا الشعلة كن أنت الجمرات.

بينما أنا الندى كن أنت الماء"
قالت المجموعة في نبرة منغومة: "بلا كيف"
قالت شاني: "تذهب ملكية هذا القسم لبولس-مؤدب. فليحرسه من أجل القبيلة، ويقيه من الهدر. فليكن كريما به في وقت الحاجة. وليتركه خلفه عندما يحين وقته، من أجل خير القبيلة"
قالت المجموعة منشدة: "بلا كيف"
فكر بولس: يجب أن أقبل هذا الماء.
نهض ببطء واتجه ليقف جوار شاني. تنحى ستيلجار كي يفسح له مكانا، وأخذ الباليست من يده برفق.
قالت شاني: "اركع"
ركع بولس.
أرشدت يديه إلى جراب الماء، ووضعتهما على السطح المرن، وقالت: "هذا الماء تضعه القبيلة أمانة في يدك. جيمس قد رحل عنه. خذه في سلام"
ثم نهضت، جاذبة بولس معها.
أعاد له ستيلجار الآلة الموسيقية ومد راحة يده فإذا بها كومة صغيرة من الحلقات المعدنية. نظر بولس لها فلاحظ اختلاف أحجامها والطريقة التي كان ضوء كرة الإنارة ينعكس بها عليها.
التقطت شاني أكبر حلقة ورفعتها على إصبعها وقالت: "30 لترا"
ثم التقطت الباقين، واحدة بعد الأخرى، وأرت كل منها لبولس وهي تحسبهم: "لتران.. لتر.. سبع عملات مائية قيمة كل منها درهم واحد.. عملة مائية واحدة بقيمة 33 جزء من الدرهم. المجموع 33 لتر و7 دراهم و33 جزء من الدرهم"
رفعتهم على إصبعها كي يراهم بولس.
قال ستيلجار: "أتقبلهم؟"
ازدرد بولس لعابه وأومأ: "أجل"
قالت شاني: "فيما بعد سأريك كيف تربطهم في منديل كي لا تصدر عنها خشخشة تفضح مكانك عندما تريد أن تكون محاطا بالصمت"
مدت يدها بها.
قال بولس: "هل من الممكن أن.. تحتفظي بها من أجلي؟"
نظرت شاني لستيلجار نظرة مرتبكة.
ابتسم وقال: "بولس-مؤدب (الذي اسمه بيننا أصول) لا زال لم يعلم أعرافنا يا شاني. احتفظي بعملاته المائية دون ارتباط إلى أن يحين وقت تعليمه الطريقة المناسبة لحملها"
أومأت ونزعت شريطا قماشيا من تحت ثوبها وربطت فيه الحلقات بعقدة متداخلة ومعقدة. ترددت قليلا ثم دستهم في الوشاح الذي تحت ثوبها.
فكر بولس: فاتني فهم أمر ما.
شعر بمشاعر المرح من حوله، وبما فيها من مزاح.. ثم استدعى عقله ذكرى استبصارية: تقديم العملات المائية لامرأة يعني.. طقس من طقوس التقدم لخطبتها.
قال ستيلجار: "يا حفظة المياه"

نهضت المجموعة وسط حفيف الأثواب. تقدم من بينهم رجلان ورفعا جراب الماء.
أنزل ستيلجار كرة الإنارة، وتقدم حاملا إياها، متجها صوب عمق الكهف.
دُفع بولس وسط الزحام خلف شاني، ملاحظا الوهج الضوئي - ذي اللون الذي يشبه الزبد - الساقط على الجدران الصخرية، والطريقة التي كانت تتراقص بها الظلال.. وشعر بالروح المعنوية للمجموعة ترتفع بينما يسودهم جو من الترقب.
كتمت جيسيكا لحظة هلع بينما كانت أيد متحمسة تسحبها لذيل المجموعة وتحفها حاشية من الأجسام المتدافعة بالمناكب.
كانت قد تعرفت على نتف متفرقة من الطقس، وفهمت ما في الكلمات من لغة الشاكوبسا والبوتاني جِب.. وكانت تعلم العنف الأهوج الذي قد ينفجر أحيانا وسط تلك اللحظات التي تبدو بسيطة في الظاهر.
فكرت: جان جان جان.. أي ارحل ارحل ارحل.
كان الأمر كلهو أطفال قد فقد كل مكابحه عندما صار في أيدي الكبار.
توقف ستيلجار أمام حائط صخري أصفر. ضغط على جزء ناتئ فانفتح الحائط للداخل بصمت، كاشفا على امتداده شقا منحوتا بشكل غير منتظم. قادهم عبر شبكة كثيرة الثقوب وجّهت نحو بولس دفعة من الهواء البارد عندما مر خلالها.
استدار بولس نحو شاني بنظرة متسائلة، وجذبها من ذراعها وقال: "كان هذا الهواء رطبا"
همست: "هششش"
لكن رجلا ممن خلفهم قال: "الرطوبة وافرة هذه الليلة بمصيدة الرياح. إنها وسيلة جيمس لإخبارنا بأنه يشعر بالرضا"
مرت جيسيكا عبر الباب السري وسمعته يغلق خلفها. رأت كيف يتباطأ الفريمن أثناء عبورهم من الشبكة ذات الثقوب الشبيهة بخلايا النحل، وأحست برطوبة الهواء عندما وصلت لها.
فكرت: مصيدة رياح! لقد أخفوا مصيدة رياح بمكان ما على السطح كي يمر عبرها الهواء إلى هذه الأماكن الأكثر برودة، فيتم تكثيف الرطوبة منه.
مروا عبر باب صخري آخر تغطيه شبكة أخرى، وانغلق الباب خلفهم. حمل تيار الهواء - الذي شعروا به على ظهورهم - إحساسا رطبا، تمكن كل من بولس وجيسيكا من إدراكه بوضوح.
في مقدمة المجموعة هبطت كرة الإنارة - التي يمسك بها ستيلجار بين يديه - تحت مستوى الرؤوس الذي يراه بولس أمامه. بعد هذا بقليل أحس بخطوات تدب تحت قدميه، وتنحني هابطة، مائلة يسارا. انعكس الضوء لأعلى متخللا الرؤوس المغطاة بالقلنسوات وحركة الناس التي تدور نازلة على درجات سلالم حلزونية.
شعرت جيسيكا بتوتر متحمس يزداد تدريجيا فيمن حولها، وبضغط الصمت الذي أثار أعصابها بما فيه من تعجل.
انتهت الدرجات، فمرت المجموعة عبر باب آخر منخفض. ذاب أثر ضوء كرة الإنارة وسط مكان عظيم الاتساع وله سقف مقوس ومرتفع. أحس بولس بيد شاني على ذراعه، وسمع - في الهواء البارد - صوتا خافتا لقطرات تتساقط، وشعر بسكون تام يحل على الفريمن في هذا الحضور الكاتدرائي للماء.
خطر له أنه قد رأى هذا المكان في أحد أحلامه.
كانت الخاطرة مطمئنة ومزعجة في نفس الوقت. ففي موضعٍ ما أمامه - على امتداد هذا المسار - تشق القطعان المتعصبة طريقها المخضب بالدماء عبر أرجاء الكون، هاتفة باسمه.
راية آل أتريديز الخضراء والسوداء ستصبح رمزا للرعب. ستندفع فيالق متوحشة في المعارك، مهاجمة وهي تصرخ صرختها الحربية المعتادة: "المؤدب!"
فكر: لا يجب أن يحدث هذا. لا يمكن أن أسمح له بالحدوث.

لكنه كان يشعر داخله بوعي العِرق البشري يحثه..
بغايته الرهيبة.
وكان متأكدا أنه ليس باستطاعة شيء صغير أن يحرف مسار الجلمود المنحدر بقوة، والذي كان ثقله وقوة اندفاعه في ازدياد مطرد.
حتى لو مات الآن من فوره فسيستمر الأمر عبر أمه وأخته التي لم تولد بعد.
لا يمكن إيقاف الأمر بأقل من أن تموت كل المجموعة المحتشدة هنا الآن، بما فيهم هو وأمه.
حدق بولس فيما حوله، فرأى الحشد ينتشر على شكل صف. اندفع معهم للأمام فوق حاجز منخفض منحوت من صخر المكان. وراء الحاجز - في ضوء كرة ستيلجار المضيئة - رأى بولس مسطحا مائيا أملس.
كان يمتد بعيدا غائبا بين الظلال.. عميقا ومظلما.. ولا يبدو جداره البعيد إلا بالكاد، ويبدو أنه على بعد 100 متر تقريبا.
أحست جيسيكا بأن تجعدات جلد وجنتيها وجبهتها تسترخي في وجود الرطوبة.
كانت بِركة الماء عميقة، وأمكنها الإحساس بعمقها.. قاومت رغبة داخلها تدعوها لغمس يديها فيها. سمعت على يسارها صوت ماء. نظرت لآخر صف الفريمن المظلم فرأت ستيلجار، وبولس يقف جواره، بينما يفرغ حفظة المياه حملهم في البركة عبر أنبوب عدّاد. كانت للعداد فتحة رمادية مستديرة فوق حافة البركة. شاهدت مؤشره المضيء في الظلام يتحرك أثناء تدفق الماء عبره. ثم رأت المؤشر يتوقف عند 33 لتر، 7 دراهم، و33 جزء من الدرهم.
فكرت جيسيكا: يا لها من دقة ممتازة في قياس سعة الماء.
ولاحظت أن جدران أنبوب العداد لم تلتصق بها أي بقايا مبللة بعد مرور الماء. مر الماء عبر جدران هذا الأنبوب دون توتر سطحي لاصق.
وفي هذه المعلومة البسيطة رأت مفتاحا عميقا لفهم طبيعة تكنولوجيا الفريمن: لقد كانوا محبين للكمال.
مرت جيسيكا بين الحشد وفوق الحاجز إلى أن وقفت جوار ستيلجار. أفسحوا لها الطريق باحترام عفوي.
انتبهت للنظرة المنعزلة البادية في عيني بولس، لكن لغز هذه البركة المتسعة كان مسيطرا على ذهنها بالكامل.
نظر لها ستيلجار وقال: "أتعلمين.. بيننا من كانوا في أشد الحاجة للماء لكنهم كانوا يأتون هنا دون أن يمسوا هذا الماء"
قالت: "أصدقك"
نظر للبركة وقال: "عندنا هنا أكثر من 38 مليون ديكالتر. معزولة بجدران كي لا تصل لها ديدان الصانع الصغيرة. مخفية، ومحفوظة"
قالت: "كنز نفيس"
رفع ستيلجار الكرة كي ينظر لعينيها: "إنه أكبر من مجرد كنز. نملك آلاف من مثل هذه المخابئ. قلة قليلة بيننا هي من تعرف أماكنها كلها"، وأمال رأسه لأحد الجانبين.
ألقت الكرة وهجا داكنا أصفر اللون على الوجه واللحية. "أتسمعين هذا؟"
أصاخوا السمع.
صوت قطرات الماء المكثف من مصيدة الرياح ملأ المكان بحضوره.
رأت جيسيكا أن المجموعة كلها كانت غارقة في نشوة الإصغاء.
بولس فقط هو من بدا منعزلا.
بدا الصوت لبولس وكأنه لحظات تدق في عد تنازلي.

كان يشعر بالزمن يتدفق خلاله، لحظات تذهب ولا يمكن استعادتها أبدا.
شعر بالحاجة لاتخاذ قرار، لكنه كان عاجزا عن الحركة.
همس ستيلجار: "لقد تم حساب الأمر بدقة بالغة. إننا نعلم - لأقرب مليون ديكالتر - القدر الذي نحتاجه. وعندما نصل له فسنغير وجه أراكس"
أجابه من المجموعة همس خافت: "بلا كيف"
قال ستيلجار، وقد أخذ صوته يزداد قوة: "سنحبس حركة الكثبان تحت الحشائش المزروعة. سنجعل المياه تستقر في التربة باستخدام الأشجار والشجيرات النامية"
قال الحشد في صوت منغوم: "بلا كيف"
قال ستيلجار: "كل عام تقل مساحة الجليد القطبي"
فأنشدوا قائلين: "بلا كيف"
"سنجعل أراكس موطنا صالحا للسكنى.. مستخدمين عدسات حرارية مذيبة للقطبين.. ستكون هناك بحيرات في الأقاليم ذات الحرارة المعتدلة.. وسنترك عمق الصحراء من أجل الصانع وبهاره"
"بلا كيف"
"ولن يفتقر أي إنسان للماء مرة أخرى. سيكون متاحا له لينغمس فيه، سواء في بئر أو بركة أو بحيرة أو قناة. سيجري الماء في القنوات ليروي نباتاتنا. سيكون موجودا لأي شخص يرغب فيه. سيصبح ملكه وفي متناول يده"
"بلا كيف"
شعرت بما في الكلمات من نغمة الطقوس الدينية، وانتبهت لردة فعلها الغريزية المنبهرة.
فكرت: إنهم في حلف مع المستقبل. أمامهم جبال يجب تسلقها.
هذا هو حلم العالم كاينز.. وهؤلاء القوم البسطاء - هؤلاء البدو الفقراء - متشبعون به تمام التشبع.
بدأت تفكر في ليات-كاينز، الخبير البيئي الكوكبي التابع للإمبراطور.. الرجل الذي اندمج في ثقافة المحليين. وتعجبت لأمره. لقد كان هذا الأمر أحد تلك الأحلام القادرة على التمكن من قلوب البشر.. وأحست بالدور الذي لعبه الخبير البيئي في إزكائه.
إن هذا الحلم من النوع الذي يموت الرجال من أجله طواعية.
إنه عنصر آخر من العناصر الضرورية التي شعرت أن ابنها بحاجة إليها.. قوم لهم هدف.
فقوم لهم هذه الصفة سيكون من اليسير صبغهم بصبغة الحماسة والهوس. يمكن استخدامهم كسيف لاستعادة منصب بولس المغصوب.
قال ستيلجار: "والآن سنغادر، ثم ننتظر طلوع القمر الأول. عندما يبدأ جيمس رحلته في سلام سنعود لمسكننا"
تبعته المجموعة وهي تتهامس بكرهها لمغادرة المكان. رجعوا وعبروا حاجز الماء ثم صعدوا درجات السلم. وبينما بولس يسير خلف شاني شعر بأن لحظة هامة قد فلتت منه.. أن قرارا ضروريا قد ضاعت فرصة اتخاذه، وأنه أصبح الآن حبيس تيار أسطورته.
كان يعلم أنه قد رأى هذا المكان من قبل، وأنه شعر بأحداثه خلال جزء من أحد أحلامه الاستبصارية على كالادان البعيد.. لكنه يمر الآن بتفاصيل عن المكان لم يسبق له أن رآها.
وتعجب من جديد لمحدودية قدرته.

بدا الأمر كما لو أنه يركب موجة من موجات الزمن، أحيانا يكون في أخفض نقطة فيها وأحيانا على قمتها.. وحوله في كل اتجاه كانت الموجات الأخرى ترتفع وتنخفض، كاشفةً - ثم مخفيةً - ما تحمله على سطحها.

وخلال كل هذا كان الجهاد الشرس لا يزال يلوح أمامه، بعنفه ومذابحه.. كقمة جبل بارزة فوق الأمواج.

سارت المجموعة في صف عبر الباب الأخير وخرجت منه للكهف الرئيسي. ثم أُغلق الباب بإحكام.

أطفئت الأنوار ونزعت الأغطية من على فتحات الكهف، فانكشف ما غطى الصحراء من ليل ونجوم.

تحركت جيسيكا لعتبة الكهف الجافة ورفعت بصرها للنجوم. كانت تبدو واضحة وقريبة. أحست بحركات المجموعة من حولها، وسمعت صوت باليست يتم ضبطها في مكان ما خلفها، ثم صوت بولس وهو يدندن نغمة.

كانت في نغمته كآبة سوداوية لم تسترح لها.

اقتحم صوت شاني أذنها قادما من عمق الكهف المظلم: "أخبرني عن الماء على موطنك، يا بولس-مؤدب"

فقال بولس: "في وقت آخر يا شاني. أعدك بهذا"

يا لهذا الحزن الشديد في صوته!

قالت شاني: "إنها آلة باليست جيدة"

قال بولس: "جيدة للغاية. أتظنين أن جيمس سيعترض إن استخدمتها؟"

فكرت جيسيكا: إنه يتكلم عن الميت باستخدام الزمن المضارع.

أزعجتها دلالات هذا الأمر.

وصلها صوت أحد الرجال قائلا: "لقد كان جيمس يحب الموسيقى كثيرا"

قالت شاني راجية: "إذن غنِ لي إحدى أغنياتكم"

فكرت جيسيكا: إن صوت هذه الفتاة الصغيرة يحمل الكثير من الإغراء النسوي. ينبغي أن أحذر بولس من نسائهم.. وقريبا جدا.

قال بولس: "كانت هذه أغنية من أغاني صديق لي. أتوقع أنه ميت الآن.. جيرني. كان يسميها: ترنيمته المسائية"

حل السكون على المجموعة وأصغوا بينما ارتفع صوت بولس بنبرة فتية صادحة، والباليست يرن عزفها معه.

"إنه وقت واضحة فيه الجمرات
شمس ذهبية تختفي مع أول غسق
حواس هائجة، ورائحة مسك بائس
تلك هي رفيقات التذكر"

أحست جيسيكا بأثر موسيقى الكلام في صدرها.. أثر كعربدة الوثنيين، ومشحون بأصوات جعلتها واعية بذاتها فجأة وبشدة.. شاعرة بجسدها واحتياجاته. استمعت في سكون متوتر.

"رثاء ليل مبخر بلؤلؤ
من أجلنا!
أي متع تجري إذن
لامعة في عينيك
أي غرام يبرق بالزهور
يجذب قلوبنا

أي غرام يبرق بالزهور
يملأ رغباتنا"
وسمعت جيسيكا السكون الذي ساد الجو بعد آخر نوتة موسيقية.
سألت نفسها: لماذا أنشد ابني أغنية غرامية لهذه الفتاة؟
شعرت بخوف مفاجئ. كانت تشعر بالحياة تتدفق من حولها دون أن تستطيع كبح جماحها.
تساءلت متعجبة: لم اختار هذه الأغنية؟ إن المشاعر الغريزية تكون صحيحة أحيانا. لم فعل هذا؟
أما بولس فكان يجلس في الظلام صامتا، وفكرة واحدة صارمة تسيطر على إدراكه: إن أمي عدو لي.
ليست مدركة لهذا، لكنها فعلا عدوي.
هي من يجلب الجهاد. فقد حملت بي، ودربتني.
هي عدوي.

الفصل 35

"إن مفهوم التقدم يعمل كآلية دفاعية نفسية تحمينا من أهوال المستقبل"

من كتاب "أقوال المؤدّب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

في يوم الذكرى السابعة عشرة لميلاده قتل فايد-راوثا هاركونن ضحيته رقم 100 من العبيد المصارعين في 'المباريات العائلية'. وبهذه المناسبة كان الكونت فينرنج والليدي حرمه حاضرين، مندوبين من البلاط الإمبراطوري كزوار مشاهدين قادمين لزيارة كوكب جيدي برايم.. موطن آل هاركونن. ووُجهت إليهما الدعوة كي يجلسا - خلال فترة ما بعد الظهر هذه - مع أفراد العائلة المقربين، في المقصورة الذهبية أعلى الحلبة مثلثة الشكل.

وإكراما لمناسبة ذكرى ميلاد الـ نا-بارون (ولي العهد)، ولتذكير باقي أفراد عائلة هاركونن - وأفراد الشعب - أن فايد-راوثا هو من وقع عليه الاختيار لولاية العهد في المستقبل، كان اليوم عطلة على جيدي برايم.

أصدر البارون مرسوما بأن تكون فترة ما بين ظهر اليوم إلى ظهر الغد هي راحة من العمل، وبُذلت جهود كبيرة لخلق مظاهر سعادة سطحية في أرجاء مدينة هاركو، مقر حكم العائلة. خفقت الرايات من البنايات، ورُش على الحوائط طلاء جديد على امتداد شارع البلاط.

لكن فيما وراء الشارع الرئيسي لاحظ الكونت فينرنج وزوجته أكوام القمامة، وأن صورة الحوائط الخشنة بنية اللون كانت منعكسة على برك الوحل الداكنة الموجودة في الطرقات، وأن الناس كانوا يبتعدون راكضين محاولين الاختفاء عن الأعين.

داخل قلعة البارون ذات الجدران الزرقاء كان كل شيء يبدو على أكمل وجه، لكن الكونت وزوجته شاهدا الثمن الذي يُدفع مقابل تحقق هذا.. فالحرس في كل مكان، وأسلحتهم لها ذاك البريق الخاص الذي يكشف - للعين المدربة - أن الأسلحة يتم استخدامها بصورة منتظمة.

وحتى في القلعة ذاتها كانت هناك نقاط تفتيش خلال المرور الروتيني من مكان لمكان. وكانت علامات التدريب العسكري بادية على الخدم، خصوصا في الطريقة التي يسيرون بها، وفي وضع أكتافهم.. وفي الأسلوب الذي كانت عيونهم تراقب فيه كل شيء وكل شخص دون انقطاع.

أصدر الكونت همهمات لزوجته بلغتهما السرية، قائلا: "الضغط عليه يزداد. بدأ البارون يفهم الثمن الذي دفعه فعلا مقابل التخلص من الدوق ليتو"

قالت: "يوما ما علي أن أحكي لك أسطورة العنقاء"

كانا في قاعة الاستقبال في القلعة، منتظرين الذهاب للمباريات العائلية. لم تكن القاعة واسعة.. يقترب طولها في الغالب من 40 متر، وعرضها نصف ذلك.. لكن على جانبيها كانت توجد أعمدة مزيفة للزينة تم تصميمها بطرف علوي حاد ومستدق، أما السقف فكان مقوسا بعض الشيء، مما أعطى إيحاءا بأن المكان أوسع مما هو عليه في الحقيقة.

قال الكونت: "آآه.. ها هو البارون قد جاء"

تحرك البارون قادما من نهاية القاعة بطريقة الانزلاق المتهادي الغريبة، والتي تنتج عن محاولته توجيه وزنه الذي تحمله مضادات الجاذبية. تمايل لغده لأعلى ولأسفل، وتأرجحت مضادات الجاذبية وانزاحت هنا وهناك تحت ردائه البرتقالي. لمعت

الخواتم على يديه، وبرقت الجواهر الأوبالية في مواضعها المخيطة بالرداء.
سار فايد-راوثا قرب مرفق البارون. كان شعره الداكن مصففا على شكل حلقات مجعدة متقاربة بدت مرحة بشكل يتنافر مع ما تحتها من عينين عابستين. كان يرتدي سترة ضيقة وسروالا مريحا ينتهي باتساع يشبه شكل الجرس. أما قدماه الصغيرتان فكانتا مغطاتين بخفين لهما نعل ناعم.
فكرت الليدي فينرنج - وقد لاحظت وقفة الشاب المتزنة وحركات عضلاته الواثقة تحت السترة - : أما هذا فلن يدع السمنة تتمكن من جسده.
توقف البارون أمامهما وأمسك ذراع فايد-راوثا في قبضة توحي بالتملك، وقال: "ابن أخي، النا-بارون، فايد-راوثا هاركونن"، ثم أدار وجهه الطفولي السمين ناحية فايد-راوثا: "هذان هما الكونت والليدي فينرنج اللذان كلمتك عنهما"
خفض فايد-راوثا رأسه حسب ما تقتضيه التحية المطلوبة، وحدق في الليدي فينرنج.
كانت ذهبية الشعر ورشيقة، وقوامها تام الجمال مغطى بثوب فضفاض لونه بيج كان ملتصقا بجسدها وبسيطا دون زخارف تزينه. ردت عينان خضراوان داكنتان تحديقه بتحديق مماثل. كانت تتمتع بذلك الهدوء الرزين الذي تشتهر به البني-جيزيرت، والذي أشعر الشاب بشيء من الانزعاج.
قال الكونت: "اممممم"، ودقق في فايد-راوثا. "هذا الـ.. همممم.. شاب منضبط الأعضاء.. امم.. يا عزيزي؟"، ونظر الكونت للبارون. "باروني العزيز، تقول أنك ذكرتنا لهذا الشاب بعينه؟ وماذا قلت؟"
قال البارون: "أخبرت ابن أخي بالتقدير الكبير الذي يحمله الإمبراطور لك يا كونت فينرنج"
وفكر: انتبه له جيدا يا فايد! إنه قاتل يتصرف ظاهريا كالأرانب.. وهذا النوع هو أخطر الأنواع.
قال الكونت: "بالطبع!"، وابتسم لزوجته.
وجد فايد-راوثا تصرفات الرجل وأفعاله تكاد تكون مشبّعة بالإهانات. فقد كانت تقترب من كونها تحمل إهانة تستحق رد الاعتبار، لكنها لا تصل أبدا لهذا المستوى الصريح.
ركز الشاب انتباهه على الكونت، فوجده رجلا ضئيل الجسم، يبدو عليه الضعف. كان الوجه ماكرا كحيوانات ابن عرس، وبه عينان داكنتان بالغتا الاتساع. كان بفوديه شيء من الشيب، وحركاته من الصعب متابعتها.. إذ كان - على سبيل المثال - يحرك يده أو رأسه في اتجاه ثم يتكلم موجها كلامه للجهة الأخرى.
قال الكونت، مخاطبا كتف البارون: "امم همم، قلما يقابل المرء انضباطا جسديا كهذا. إني.. أهنئك همم على تمام القوام الذي يتمتع به ولي عهدك. بالمقارنة بابن الأخ الآخر الأكبر سنا، إن جاز لي قول هذا"
قال البارون: "شكرا على رقتك"، وانحنى.. لكن فايد-راوثا لاحظ أن عيني عمه لم تعجبهما هذه المجاملة.
قال الكونت: "عندما تتهكم فإن هممم هذا يعطي إيحاءا بأنك تفكر تفكيرا عميقا"
فكر فايد-راوثا: ها هو يعود لنفس الأسلوب. فكلامه يبدو وكأنه يوجه إهانة، لكن يعجز المرء عن تحديد كلمة معينة يمكن استخدامها كدليل لطلب رد الاعتبار. الإصغاء للرجل جعل فايد-راوثا يشعر وكأن رأسه تغرق في عصيدة.. 'امم همم'؟!
عاد فايد-راوثا بانتباهه إلى الليدي فينرنج.
قالت: "إننا نأخذ الكثير من وقت هذا الشاب. فما فهمته هو أنه سينزل في الحلبة اليوم"
فكر فايد-راوثا: قسما بحوريات Houris الحريم Hareem الإمبراطوري إنها لجميلة!
قال: "سأقتل خصمي من أجلك اليوم يا سيدتي. سأعلن الأمر في الحلبة ليكون على شرفك، إن أذنتِ لي"
حدقت فيه بهدوء وصفاء، لكن صوتها كان كضربة سوط: "لا أعطيك إذني"

قال البارون: "فايد!"
وفكر: يا لهذا العفريت المؤذي! أيريد أن يطلبه هذا الكونت الخطير للمبارزة؟
لكن الكونت لم يزد على أن ابتسم وقال: "همممم"
قال البارون: "عليك أن تبدأ في الاستعداد للنزول للحلبة يا فايد. ينبغي أن تكون مرتاحا وألا تعرض نفسك لأي مخاطرات حمقاء"
انحنى فايد-راوثا ووجهه مسود من الاستياء: "ثق أن كل شيء سيجري كما تحب يا عمي"، وأومأ للكونت فينرنج قائلا: "سيدي"، ولليدي: "سيدتي"، ثم استدار وسار بخطوات سريعة خارجا من القاعة، دون أن يلقي بالا لمجموعة أفراد أسر صغار النبلاء الواقفة قرب الباب المزدوج.
تنهد البارون: "إنه لا زال صغيرا"
قال الكونت: "اممم فعلا همم"
وفكرت الليدي فينرنج: أيمكن أن يكون هذا هو الفتى الذي تقصده السيدة الموقرة؟ أهذه حقا سلالة ينبغي علينا أن نحفظ استمرارها؟
قال البارون: "أمامنا أكثر من ساعة قبل أن يحين وقت الذهاب للحلبة. ربما يمكننا تبادل حديثنا القصير الآن يا كونت فينرنج"، أمال رأسه الضخمة لليمين وأكمل: "هناك قدر كبير من التطورات من اللازم مناقشتها"
وفكر البارون: دعنا الآن نرى الطريقة التي سينقل لي فيها ساعي الإمبراطور هذا ما يحمله من رسالة دون أن ينزل لمستوى التصريح الفج بمحتواها.
خاطب الكونت زوجته: "امم، ههمم، تسمحين لنا.. آممهمم.. يا عزيزتي؟"
قالت: "إن كل يوم، بل وأحيانا كل ساعة، تأتي بأمر جديد مختلف"
"امم"
ابتسمت للبارون ابتسامة عذبة قبل أن تبتعد.
أصدرت أطراف تنورتها الطويلة حفيفا وهي تسير بظهر مستقيم وخطوات ملكية قاصدة الباب المزدوج في آخر القاعة.
لاحظ البارون كيف أن كل ما كان يجري من محادثات بين أسر صغار النبلاء عند الباب قد توقف عندما اقتربت، وكيف تابعتها العيون.
فكر البارون: بني-جيزيرت! سيكون الكون بوضع أفضل إن تخلصنا منهن جميعا!
ثم قال: "يوجد 'مخروط صمتي' بين اثنين من تلك الأعمدة على يسارنا. بإمكاننا أن نتبادل الحديث هناك دون أن نخشى سماع أي شخص لنا"
وتقدم بمشيته المتأرجحة والجا مجال العزل الصوتي، فشعر بأصوات القلعة تصير خافتة وبعيدة.
تحرك الكونت مع البارون، واستدارا بحيث يواجها الحائط، كي لا يتمكن أحد من قراءة حركات شفاههما.
قال الكونت: "لسنا راضين عن الطريقة التي أمرت فيها الساردوكار بمغادرة أراكس"
فكر البارون: كلام مباشر!
قال البارون: "لم يكن من الممكن أن يبقى الساردوكار لوقت أطول دون أن نخاطر بأن يكتشف البعض الطريقة التي ساعدني بها الإمبراطور"
"لكن رابان ابن أخيك لا يبدو أنه يضغط بقوة كافية تنجح في حل مسألة الفريمن"

قال البارون: "وما الذي يرغب فيه الإمبراطور؟ لا أظن أنه قد بقي حيا على أراكس أكثر من مجرد حفنة من الفريمن. فالصحراء الجنوبية لا تصلح لحياة البشر، والصحراء الشمالية تمشطها دورياتنا بصورة منتظمة"
"ومن قال أن الصحراء الجنوبية لا يعيش فيها أحد؟"
"خبيركم الكوكبي هو من قال هذا بنفسه يا عزيزي الكونت"
"لكن دكتور كاينز ميت الآن"
"آه، أجل.. كان أمرا مؤسفا"
قال الكونت: "وردتنا معلومة من رحلة طيران حلقت فوق المناطق الجنوبية.. توجد أدلة على حياة نباتية"
"إذن هل وافقت النقابة أخيرا على المراقبة من الفضاء؟"
"تعلم جيدا أن هذا لم يحدث يا بارون. الإمبراطور ليس بإمكانه مراقبة أراكس بشكل قانوني"
قال البارون: "وأنا لا أملك ما يكفي من الثروة كي أفعل هذا. فمن الذي قام برحلة الطيران؟"
"أحد الـ.. مهربين"
قال البارون: "شخص ما قد كذب عليك يا كونت. فالمهربون - كما هو الحال أيضا مع رجال رابان - يعجزون عن الطيران فوق المناطق الجنوبية. عواصف، وشوشرة استاتيكية من الرمال، وكل هذه الأشياء كما تعلم. علامات الإرشاد الملاحي يطاح بها بسرعة تفوق سرعة تركيبها"
قال الكونت: "فلندع مناقشة أنواع الاستاتيكية المختلفة لوقت آخر"
فكر البارون: آآه.
قال بنبرة ملحة: "هل عثرت إذن على غلطة في حساباتي المالية؟"
قال الكونت: "عندما نتوهم وجود غلطات فلا يمكن ساعتها الدفاع عن النفس"
فكر البارون: إنه يتعمد محاولة إثارة غضبي.
أخذ نفسين عميقين كي يهدئ نفسه. كان بإمكانه شم رائحة عرقه، وبدأ مشد مضادات الجاذبية تحت ردائه يزعجه فجأة ويشعره بالحكة.
قال البارون: "لا يمكن أن يكون الإمبراطور مستاءا بسبب موت المحظية والصبي. لقد هربا قاصدين الصحراء، وظهرت لهما دودة"
قال الكونت: "أجل، حدثت الكثير من الحوادث الملائمة - عَرَضا - لأهدافك"
قال البارون: "لا تعجبني نبرتك يا كونت"
قال الكونت: "الغضب شيء لكن العنف شيء آخر. دعني أحذرك.. إن أصابتني حادثة مؤسفة هنا فإن أسر كبار النبلاء كلها ستعلم ماذا فعلتَ على أراكس. فلطالما نظروا بريبة لأساليبك في العمل"
قال البارون: "العمل الوحيد الذي قمتُ به مؤخرا ويرد على ذاكرتي الآن هو نقل عدة فيالق ساردوكار لأراكس"
"أتظن أنه بإمكانك تهديد الإمبراطور بكشف هذا؟"
"حاشا! لا يمكن أن يخطر هذا على بالي إطلاقا!"
ابتسم الكونت: "سيمكن ساعتها العثور على قادة ضمن الساردوكار مستعدين لتقديم اعتراف يقول أنهم تصرفوا من تلقاء أنفسهم دون تلقي أوامر، وأن دافعهم كان الدخول في معركة ضد الفريمن الحقراء"
قال البارون: "قد يشكك الكثيرون في صحة اعتراف كهذا"، لكن التهديد أذهله. وتساءل: هل يمكن أن يصل ولاء

الساردوكار لهذه الدرجة؟

قال الكونت: "يرغب الإمبراطور في تفتيش ومراجعة دفاترك المالية"

"متاحة متى شاء"

"إذن.. ليست عندك أية اعتراضات على الأمر؟"

"إطلاقا. إن حصتي الإدارية في شركة شوم تحتمل التعرض لأدق فحص"

وفكر: دعه يتقدم ضدي باتهام فارغ ثم ينكشف زوره. ساعتها سأقف أمام الجميع، وكأني بروميثيوس، قائلا: "انظروا لحالي.. لقد أخطؤوا في حقي".. ثم دعه بعدها يتقدم ضدي بأي اتهام آخر، حتى لو كان صحيحا. فالنبلاء لن يصدقوا اتهاما ثانيا عندما يصدر من شخص قد اتضح زيف اتهامه الأول.

غمغم الكونت: "لا شك إذن أن دفاتر حساباتك صحيحة وتحتمل أدق فحص"

قال البارون: "لم الإمبراطور مهتم هكذا بالقضاء التام على الفريمن؟"

هز الكونت كتفيه: "تريد تغيير الموضوع، أليس كذلك؟.. حسنا، الساردوكار هم من يرغبون في الأمر لا الإمبراطور. كانوا في حاجة لتدريب عملي على القتل.. ويكرهون أن يتركوا أي مهمة دون إتمامها"

تساءل البارون: أيظن أنه سيخيفني بتذكيري بأنه مدعوم بقتلة متعطشين للدماء؟

قال البارون: "لطالما كان القتل يعتبر أحد متطلبات إدارة الأعمال.. لكن يجب أن يكون هناك حد أقصى لا نتعداه. إذ ينبغي أن تظل هناك بقية على قيد الحياة كي تعمل في تنقيب البهار"

صدرت من الكونت ضحكة قصيرة وكأنها نباح: "أتظن أنه بإمكانك تسخير قدرات الفريمن؟"

قال البارون: "لم يكن عددهم كافيا لهذا في السابق أصلا، لكن قتلهم أدى لشعور باقي السكان بالخوف. وقد أوشك الأمر أن يصل لدرجة تجعلني أفكر في حل آخر للمعضلة الأراكسية يا فينرنج العزيز. وعلي أن أعترف أن الفضل في إلهامي بالفكرة يعود للإمبراطور"

"فعلا؟"

"الأمر وما فيه يا كونت هو أن سالوسا سيكوندس - الكوكب السجني التابع للإمبراطور - هو ما ألهمني"

حدق فيه الكونت بعينين تبرقان بشدة: "وهل توجد أي صلة بين أراكس وسالوسا سيكوندس؟"

أحس البارون بالانتباه الحذر البادي في عيني فينرنج: "لا توجد صلة حتى الآن"

"حتى الآن؟"

"عليك الاعتراف بأنها ستكون طريقة ناجحة في تكوين قوة عاملة لا بأس بعددها على أراكس.. أن أستخدم الكوكب كسجن"

"وهل نتوقع زيادة في عدد السجناء؟"

قال البارون معترفا: "حدثت بعض الاضطرابات فعلا. إذ كنتُ مضطرا لاعتصار الشعب هنا بشدة يا فينرنج. فأنا كما تعلم قد دفعت ثمنا باهظا للنقابة الملعونة مقابل نقل قواتنا العسكرية المشتركة إلى أراكس. هذا المال يجب أن يتم تعويضه من مصدر آخر بطبيعة الحال"

"أقترح ألا تستخدم أراكس كسجن كوكبي دون إذن من الإمبراطور يا بارون"

قال البارون: "بالطبع"، وتعجب من البرودة الفجائية التي حلت على صوت فينرنج.

قال الكونت: "وهناك موضوع آخر. علمنا أن منتات الدوق ليتو، ظوفر حواط، ليس ميتا، بل موظف عندك الآن"

قال البارون: "لم أستطع إجبار نفسي على إهداره"
"لقد كذبتَ على قائد الساردوكار التابع لنا عندما أخبرته أن حواط قد مات"
"مجرد كذبة بيضاء يا عزيزي الكونت. لم تكن معدتي تحتمل جدالا طويلا مع الرجل"
"هل كان حواط هو الخائن الحقيقي؟"
مسح البارون العرق عن عنقه: "بالطبع لا! الخائن هو الطبيب المزيف. عليك أن تتفهم الأمر يا فينرنج، فقد كنت بلا منتات. وأنت تعلم هذا. لم يسبق لي أبدا أن كنت بلا منتات. كان الأمر مربكا لي للغاية"
"وكيف استطعت تغيير ولاء حواط لصالحك؟"
ابتسم البارون ابتسامة مفتعلة: "لقد كان دوقه قد مات. لا خوف من حواط يا عزيزي الكونت. فجسد المنتات مزروع فيه سم خفي. ندس له الترياق في وجبات طعامه. ودون تناول الترياق فإن السم سينشط.. وعندها سيموت في غضون عدة أيام"
قال الكونت: "امنع عنه الترياق"
"لكنه مفيد لي!"
"ويعلم أيضا الكثير من الأمور التي لا يجب السماح لأي شخص بأن يعلمها ويظل على قيد الحياة"
"لكنك قلت أن الإمبراطور لا يخشى انفضاح الأمر"
"لا تلعب معي هذه الألاعيب يا بارون!"
قال البارون: "عندما أرى هذا الطلب رسميا وتحته الختم الإمبراطوري فسأطيعه. لكني لن أستجيب لنزوتك العابرة هذه"
"أتظن أنها نزوة عابرة؟"
"وماذا قد تكون غير هذا؟ إن الإمبراطور عليه التزامات لي أنا أيضا يا فينرنج. لقد خلصته من الدوق المثير للمتاعب"
"بمساعدة بعض الساردوكار"
"وفي أي مكان آخر يا ترى كان يمكن للإمبراطور أن يجد عائلة نبيلة مستعدة لتقديم زيها الرسمي كأداة تنكُّر تقوم بإخفاء دوره في المسألة؟"
"لقد سأل نفسه نفس السؤال يا بارون.. لكن بمغزى وسياق مختلف"[21]
دقق البارون في فينرنج ملاحظا تصلب عضلات الفك، والتحكم الدقيق بالنفس: "أتمنى ألا يخطر للإمبراطور أن بإمكانه توجيه ضربة ضدي في سرية تامة"
"إنه يرجو ألا يضطر للإقدام على هذا"
"لا أصدق أن الإمبراطور ينظر لي وكأني خطر يتهدده!"
سمح البارون للغضب والحزن بالتسلل لنبرة صوته، مفكرا: دعه يسيء إلي في هذا الأمر! سيكون بإمكاني ساعتها أن أضع نفسي على العرش مكانه بينما أنا مستمر في العويل على الإساءة التي وجهت ضدي.
صار صوت الكونت جافا ومنخفضا وهو يقول: "الإمبراطور يصدق ما تخبره به حواسه"
"أيجرؤ الإمبراطور على اتهامي بالخيانة أمام مجلس اللاندسراد وهو منعقد بكامل هيئته؟"
وكتم البارون أنفاسه وهو يتمنى أن يحدث الأمر فعلا.
"يجرؤ الإمبراطور على أي شيء يريده"

21 أي أن يبحث عن عائلة نبيلة أخرى، تقوم هذه المرة بتخليصه من الهاركونن. (المترجم)

التفت البارون بمضادات جاذبيته كي يخفي تعبير وجهه.

فكر: يمكن فعلا أن يتحقق الأمر خلال حياتي! أن أصير إمبراطورا! دعه يتهمني زيفا! وبعدها سيأتي دور الرشاوي والإكراه، وحشد النبلاء تحت راية واحدة. سيهرعون ليقفوا تحت رايتي كما لو أنهم قرويون يركضون لمأوى يحتمون به. فأشد ما يخشونه هو أن يطلق الإمبراطور ساردوكاره ضدهم، نبيلا تلو الآخر.

قال الكونت: "إن الإمبراطور يأمل صادقا ألا يضطر أبدا لاتهامك بالخيانة"

وجد البارون أنه من الصعب إبعاد نبرة التهكم من صوته وأن يسمح فقط بنبرة التوجع، لكنه نجح في النهاية وقال: "لقد كنتُ تابعا من أشد الأتباع ولاء. إن هذه الكلمات تجرحني بقدر يفوق قدرتي على التعبير"

قال الكونت: "اممم"

ظل البارون معطيا ظهره للكونت وهو يومئ برأسه. ثم لم يلبث أن قال: "حان وقت الذهاب للحلبة"

قال الكونت: "فعلا"

خرجا من مجال المخروط الصوتي وسارا جنبا إلى جنب مقتربين من مجموعة أفراد أسر صغار النبلاء الواقفة في طرف القاعة. في مكان ما بالقلعة بدأ جرس يدق دقات بطيئة.. تنبيه بأن التجمع في الحلبة سيكون بعد 20 دقيقة.

قال الكونت مشيرا برأسه ناحية المجموعة التي يتقدمان منها: "إن صغار النبلاء ينتظرون منك أن تقودهم"

فكر البارون: معاني مزدوجة.. المزيد من الكلمات ذات المعاني المزدوجة.

رفع بصره لطلسمي الزينة الجديدين الموجودين على جانبي باب قاعته.. رأس الثور المعلقة واللوحة الزيتية التي تصور دوق أتريديز الكبير، والد الدوق ليتو الراحل.

أشعرا البارون بمشاعر تشاؤمية غريبة، وتساءل أي أفكار يا ترى كان هذان الطلسمان يوحيان بها للدوق ليتو عندما كانا معلقين في قاعات كالادان ثم أراكس.. صورة الأب الواثق بنفسه ورأس الثور الذي قتله.

قال الكونت وقد بدأ موكب التابعين يسير وراءهما: "إن البشرية عندها عِلم..امم.. واحد فقط"

خرج الحشد من القاعة إلى غرفة الانتظار، والتي كانت عبارة عن مكان ضيق له نوافذ مرتفعة وبلاط أرضيته مكون من وحدات بيضاء وأرجوانية.

قال البارون: "وما هو هذا العلم؟"

قال الكونت: "إنه اممم.. علم.. عدم الرضا"

ضحك أفراد صغار النبلاء السائرين خلفهما بنبرة الإعجاب المناسبة، في خنوع الحملان واستجابتها للأوامر. لكن الصوت حمل نغمة فوضوية إذ اصطدم بصوت المحركات المفاجئ الذي وصلهم عندما فتح الخدم الأبواب الرئيسية على مصراعيها كاشفين صف المركبات، والتي كانت راياتها المثلثة تخفق في النسيم. رفع البارون صوته كي يطغى على الضجة المفاجئة وقال: "أتمنى ألا تشعر بعدم رضا عندما تشاهد أداء ابن أخي اليوم يا كونت فينرنج"

قال الكونت: "آآه، ما يملأني هو مجرد شعور.. هممم.. بالترقب. أجل. فدائما خلال نظر الـ وشاية الشفهية على المرء الأخذ في الاعتبار منصب من تصدر عنه"

أخفى البارون تصلب دهشته المفاجئة بأن تعثّر في أولى الدرجات الهابطة من باب الخروج.

وشاية شفهية! إن هذا المصطلح يعني: تقرير يتم تقديمه للإبلاغ عن جريمة صدرت ضد الإمبراطور!

لكن الكونت قهقه كي تبدو الجملة وكأنها مزحة، وربت على ذراع البارون.

إلا أنه طوال الطريق إلى الحلبة ظل البارون جالسا مستندا على حشايا سيارته المدرعة وهو يلقي بنظرات مختلسة للكونت

الجالس جواره، ويتساءل لم رأى هذا 'الغلام الساعي' التابع للإمبراطور أنه من الضروري أن يقول هذه المزحة بالذات أمام صغار النبلاء؟

فقد كان واضحا أن فينرنج من النادر أن يقوم بشيء لا يشعر أنه ضروري، أو أن يستخدم كلمتين عندما تكون كلمة واحدة تكفي، أو أن يلزم نفسه بأن يكون هناك معنى واحد فقط لأي عبارة يقولها.

كانا قد جلسا في المقصورة الذهبية المطلة من الأعلى على الحلبة المثلثة، والأبواق تدوي بنفيرها، والمدرجات الموجودة فوقهم وحولهم مزدحمة بالناس وصخبهم، وبالرايات التي يلوحون بها.. وعندها جاءت الإجابة للبارون.

قال الكونت وهو يميل كي يقترب من أذنه: "عزيزي البارون، تعلم بالطبع أن الإمبراطور لم يصرح رسميا بعد بموافقته على من قمتَ باختياره تخليفة لك، أليس كذلك؟"

شعر البارون بأنه قد دخل في مخروط صمتي خاص به، نتج عما يشعر به من صدمة. حدق في فينرنج ولم يكد ينتبه لزوجته الليدي التي قدمت داخلة من بين الحرس وانضمت للمجموعة الموجودة بالمقصورة الذهبية.

قال الكونت: "هذا هو السبب الحقيقي الذي جئتُ من أجله اليوم. فالإمبراطور يريد مني أن أقدم تقريرا عما إن كنتَ قد اخترت خليفة مناسب أم لا. لا يوجد أفضل من حلبات المصارعة في كشف المعدن الحقيقي للشخص من تحت القناع، صحيح؟"

قال البارون جازا على أسنانه: "وعدني الإمبراطور بأن لي الحق في اختيار من أريد!"

قال فينرنج: "سنرى"، وأشاح بوجهه كي يرحب بقدوم زوجته.

جلست، مبتسمة للبارون، ثم ركزت انتباهها على الأرضية الرملية أسفلهم، حيث ظهر فايد-راوثا مرتديا ثوبا من جلد الماعز Giles وسروالا ضيقا.. وفي يمينه القفاز الأسود والسكين الطويل، وفي يساره القفاز الأبيض والسكين القصير.

قالت الليدي فينرنج: "الأبيض إشارة للسم والأسود للنقاء. إنها عادة مثيرة للاهتمام، أليس كذلك يا حبيبي؟"

قال الكونت: "اممم"

صعدت هتافات الترحيب من المدرجات العائلية، فتوقف فايد-راوثا ليستقبلها، رافعا بصره ومدققا في الوجوه.. مشاهدا أبناء عمومته وباقي أقربائه، وأنصاف أشقائه، والأقارب أبناء المحظيات والأجانب ممن يقعون خارج دائرته العائلية.

كانوا أفواها وردية اللون كالأبواق تثرثر وسط خفقات أثواب مزركشة الألوان ورايات.

خطر لفايد-راوثا حينئذ أن صفوف الوجوه المحتشدة هذه ستنظر بنفس الحماسة سواء لدمه المسفوك أو لدم المصارع العبد. بالطبع لم يكن هناك موضع شك في النتيجة النهائية لهذا النزال. فما يعرض هنا هو أخطار ظاهرية لا حقيقية..

حتى الآن.

رفع فايد-راوثا سكينتيه للشمس، وقدم التحية لأركان الحلبة الثلاثة حسب العرف القديم المتبع. دخل السكين القصير الممسوك في اليد ذات القفاز الأبيض (الأبيض علامة للسم) أولا في غمده. ثم النصل الطويل الممسوك في اليد ذات القفاز الأسود.. ذاك النصل النقي الذي كان الآن فاقدا لنقائه.. إنه سلاحه السري الذي سيجعل هذا اليوم انتصارا شخصيا له بحق: السم موضوع على النصل الأسود.

لم يستغرق ضبط درع طاقته سوى لحظة واحدة. توقف قليلا ليشعر بالشد في جلد جبهته والذي أكد له أنه أصبح محميا بشكل ملائم. كان لتلك اللحظات إثارتها المميزة، ولذا أطالها فايد-راوثا على طريقة رجل الاستعراض الواثق من نفسه، وأومأ برأسه لبدلائه ومشتتي انتباه الخصم، فاحصا أدواتهم بعين مدققة..

الأغلال في موضعها، وأشواكها حادة وتبرق، والشصوص والخطاطيف تخفق شرائطها الزرقاء.
أشار فايد-راوثا للموسيقيين كي يبدؤوا.
بدأ اللحن العسكري البطيء، جهوريا بأبهته قديمة الطراز، وتقدم فايد-راوثا ووراءه فرقته، يقودهم عبر الحلبة لتقديم فروض الاحترام أسفل مقصورة عمه. والتقط المفتاح الشرفي عندما أُلقي به.
توقفت الموسيقى.
خلال الصمت المفاجئ تراجع خطوتين للخلف ورفع المفتاح وصاح: "أهدي هذه الحقيقة لـ.."
ثم توقف، مدركا أن عمه سيقول لنفسه: هذا الطائش صغير السن سيهدي المباراة إلى الليدي فينرنج رغم كل شيء، وسيتسبب في مشكلة!
صاح فايد-راوثا: "... لعمي والذي يرعاني بكرمه.. البارون فلاديمير هاركونن!"
وأسعده أن رأى تنهيدة عمه.
استؤنفت الموسيقى بإيقاع سريع، وقام فايد-راوثا بتوجيه رجاله كي يركضوا عائدين عبر الحلبة إلى باب الطاقة الاحترازي والذي كان يسمح فقط بمرور من يحملون شريط الهوية المناسب.
كان فايد-راوثا يفتخر بأنه لم يضطر أبدا لاستخدام الباب الاحترازي، ونادرا ما احتاج للاستعانة بمشتتي الانتباه. لكن كان من الجيد أن يعلم أنهم موجودون اليوم.. فالخطط الخاصة تحمل معها أحيانا مخاطر خاصة.
ومن جديد حل الصمت على الحلبة. استدار فايد-راوثا مواجها الباب الأحمر الكبير المقابل له والذي سيخرج عبره المصارع. المصارع الخاص.
فكر فايد-راوثا: إن الخطة التي دبرها ظوفر حواط مثيرة للإعجاب لكونها بسيطة ومباشرة.
لن يتم تخدير العبد.. كان هذا هو مصدر الخطر. بدلا من التخدير تم زرع كلمة في عقل الرجل داخل لا شعوره بحيث تشل عضلاته في اللحظة الحاسمة.
أدار فايد-راوثا الكلمة الهامة في ذهنه، محركا بها شفتيه دون صوت: "حقيرا!"
في عين الجمهور فإن الأمر سيبدو وكأن عبدا غير مخدر قد تم دسه في الحلبة كي يقتل ولي عهد البارون. وكل الأدلة المزروعة بعناية ستشير بالاتهام للقهرمان المسؤول عن العبيد.
صدر من مواتير الباب الأحمر طنين منخفض عندما تم تشغيلها كي تفتحه. ركز فايد-راوثا كل وعيه على الباب. فاللحظة الأولى هي لحظة حاسمة ذات شأن. فمظهر المصارع وهو يدخل يمكن أن يخبر العين المدربة بالكثير مما ترغب في أن تعرفه.
كان من المفترض أن كل المصارعين قد تم إعطاؤهم عقار الـ إلاكة بجرعات كبيرة، كي يخرجوا وهم متعطشون للقتل.. لكن عليك أن تراقب الطريقة التي يزنون بها سكينهم، والاتجاه الذي يتجهون له خلال الدفاع، وإذا ما كانوا منتبهين للجماهير الجالسة في المدرجات أم لا. إن الطريقة التي يميل بها العبد رأسه يمكن أن تعطيك مفتاحا هاما يفيدك في الحركات الخادعة والمضادة.
انفتح الباب الأحمر بقوة. ومنه خرج رجل طويل ضخم العضلات، برأس حليقة وعينين داكنتين غائرتين.
كان جلده بلون الجزر كما هو متوقع كنتيجة لتناول مخدر الإلاكة، لكن فايد كان يعلم أن اللون هو مجرد طلاء.
كان العبد يرتدي ثوبا مشدودا أخضر اللون ملتصقا بالجسم وحزاما أحمر لدرع نصفي، وسهم الحزام يشير لليسار، ليدل على أن جانب العبد الأيسر هو الجانب المحمي بالدرع. أمسك سكينه بطريقة إمساك السيوف، مائلا قليلا للخارج في وقفة المقاتلين المحترفين.

تقدم إلى داخل الحلبة ببطء، موجها نصفه المحمي بالدرع ناحية فايد-راوثا والمجموعة الواقفة خلف الباب الاحترازي.
قال أحد رجال فايد-راوثا المسؤولين عن الشصوص: "لا يعجبني مظهر هذا الشخص. متأكد من أنه مخدر يا سيدي؟"
قال فايد-راوثا: "لونه يدل على الأمر"
قال مساعد آخر: "لكنه يقف وقفة المقاتلين"
تقدم فايد-راوثا خطوتين فوق الرمل، ودقق في هذا العبد.
قال أحد المشتِّتين: "ما هذا الذي فعله بذراعه؟"
انتقل انتباه فايد-راوثا لخدش دموي على الساعد الأيسر للرجل، ثم تتبع الذراع هابطا ببصره لليد التي كانت تشير لتصميم مرسوم بالدم على الورك الأيسر للثوب الأخضر.. بدا في هذا الموضع شكل مبلل: خط يصور صقرا.
صقرا!
صعد فايد-راوثا ببصره للعينين الغائرتين الداكنتين، فرآهما تحدقان فيه بانتباه غير مألوف.
فكر فايد-راوثا: إنه أحد رجال الدوق ليتو المقاتلين الذين أسرناهم على أراكس! ليس مجرد مقاتل بسيط!
سرت فيه رعدة، وتساءل إن كان حواط يدبر خطة أخرى ستتم في هذه الحلبة..
خدعة داخل خدعة داخل خدعة.
ولن يقع اللوم سوى على القهرمان فقط!
تكلم كبير بدلاء فايد-راوثا في أذنه: "لا تعجبني النظرة البادية على هذا المقاتل يا سيدي. دعني أختبره أولا بأن أضع شوكة شص أو اثنين في ذراعه الذي يستخدم به السكين"
قال فايد-راوثا: "سأغرز فيه شصوصي بنفسي"
وتناول من المساعد زوجا من الأسياخ الطويلة المعقوفة، ووزن ثقلهما في يده، مختبرا نقطة توازنهما.
هذه الشصوص أيضا كان من المفترض أن يكون بها مخدر.. لكن الأمر هذه المرة عكس هذا.. وربما سيعاقَب كبير البدلاء بالموت نتيجة لهذا. لكن الأمر كله جزء من الخطة.
كان حواط قد قال له: "ستخرج بطلا في نهاية هذا الأمر وقد قتلت مصارعك رجلا لرجل وعلى الرغم من الخيانة. القهرمان سيتم إعدامه والرجل التابع لك سيحل محله في منصبه"
تقدم فايد-راوثا خمس خطوات أخرى داخل الحلبة، مطيلا اللحظة، ودارسا العبد. كان يعلم أن الخبراء الجالسين ضمن الجماهير بدؤوا ينتبهون بالفعل إلى أن هناك أمرا ما ليس على ما يرام. إذ أن المصارع يدل لون بشرته فعلا على أنه مخدر، لكنه كان يقف بثبات ولا يهتز.
سيكون هواة اللعبة يتهامسون الآن فيما بينهم قائلين: "انظروا لوقفته. من المفترض أن يكون مثارا.. أن يهاجم أو يتراجع. أما هذا فانظر للطريقة التي يوفر بها قوته، ويقف منتظرا. انتظاره على غير العادة"
أحس فايد-راوثا بشعلة الإثارة داخله، وفكر: حتى لو كانت نية حواط هي الخيانة، فبإمكاني الانتصار على هذا العبد. خصوصا وأن سكيني الطويل هو ما يحمل السم هذه المرة، لا القصير. حتى حواط لا يعلم هذا.
صاح العبد: "هاي يا هاركونن.. مستعد لأن تموت؟"
طغا على الحلبة سكون ثقيل. لم يسبق أن بدأ العبيد بالتحدي!
الآن أصبح فايد-راوثا يرى عيني المصارع بشكل واضح، وشاهد فيهما شراسة اليأس الباردة. لاحظ الطريقة التي يقف بها الرجل، الأطراف مسترخية ومستعدة، والعضلات مهيئة للنصر.

شبكة تناقل الأخبار بين العبيد قد أوصلت رسالة حواط لهذا الرجل: 'ستكون أمامك فرصة حقيقية لقتل ولي عهد البارون'
إذن هذا الجزء من الخطة تم كما خططا له.
ارتسمت على فم فايد-راوثا ابتسامة خفيفة. رفع الشصين عاليا، ورأى نجاح خطته في الطريقة التي يقف بها المصارع.
قال العبد متحديا: "هاي! هاي!"، وتقدم ببطء للأمام خطوتين.
فكر فايد-راوثا: لا يمكن أن يكون أي من المشاهدين لا زال غافلا عن رؤية الأمر حتى الآن. فمن المفترض أن يكون الهلع الناتج عن المخدر قد عطل هذا العبد جزئيا وأعاقه. كل حركة صادرة منه كان يجب أن تنضح بمعرفته - في قريرة نفسه - بأنه لا أمل أمامه في النجاة.. وأنه لن يستطيع الفوز. كان يجب أن يكون مشبعا بالحكايات التي تروى عن السموم التي يختارها النا-بارون ويضعها على النصل الممسوك في اليد ذات القفاز الأبيض. وأن ولي العهد لا يسمح لخصمه أبدا بالموت العاجل، بل يستمتع بعرض السموم النادرة، وبإمكانه أن يقف وسط الحلبة وهو يشرح الأعراض الجانبية المثيرة للاهتمام الظاهرة على الضحية المتلوية.
أجل، كان هناك شيء من الخوف يظهر على هذا العبد.. لكن لا هلع.
رفع فايد-راوثا الشصين عاليا، وأومأ برأسه في شبه تحية.
فوثب المصارع منقضا.
كانت حركاته الهجومية الخادعة والدفاعية المضادة أفضل من أي شيء سبق لفايد-راوثا أن رآه. إحدى الضربات الجانبية المضبوط توقيتها لم تفشل في إصابة هدفها إلا بمسافة لا تكاد تذكر، وكانت ستقطع أوتار ساق النا-بارون اليسرى.
تراقص فايد-راوثا مبتعدا، وقد ترك سيخ أحد الشصوص مغروسا في الساعد الأيمن للعبد، بحيث كانت الخطاطيف مدفونة بالكامل في اللحم، في موضع يعجز الرجل عن سحبها منه دون تمزيق الأوتار.
ارتفعت من مقاعد الجماهير شهقة موحدة. ملأ الصوت فايد-راوثا بالابتهاج.
كان يعلم ما يشعر به عمه الآن، وهو جالس بالأعلى وجواره الكونت والليدي فينرنج، المشاهدين القادمين من البلاط الإمبراطوري. لا يمكن السماح بأي تدخل خلال هذا النزال. لا مفر من الالتزام بالقواعد الرسمية أمام الشهود.
ولن يكون أمام البارون سوى تفسير واحد لما يحدث بالحلبة.. أنه تهديد موجه لشخصه هو.
تراجع العبد، ممسكا بسكينه بين أسنانه، ومثبتا الشص في ذراعه بربطه بشريط الراية المتدلي منه.
صاح: "لا أشعر بإبرتك هذه!"، وتقدم للأمام ببطء مرة أخرى، وسكينه مشهرة، وجانبه الأيسر مدفوع للأمام، وجسده مائل للخلف كي يمنحه أقصى مساحة حماية يمكن للدرع النصفي أن يوفرها. هذا الفعل أيضا لم تغب دلالته عن الجالسين في مقاعد المتفرجين. صدرت صيحات حادة من المقصورات العائلية، ونادى مساعدو فايد-راوثا عليه سائلين إن كان في حاجة للعون. لكنه لوح لهم بأن يعودوا لما وراء الباب الاحترازي.
فكر فايد-راوثا: سأقدم لهم عرضا لم يشاهدوا مثله من قبل. لن يكون قتلا هادئا يمكنهم أن يعودوا بظهورهم في مقاعدهم ويتأملوا جمال تنفيذه. بل سيكون شيئا يثير أحشاءهم ويعتصرهم بما فيه من إثارة. وعندما أصبح أنا البارون سيتذكرون هذا اليوم ولن يفلت أي منهم من شعوره بالخوف مني، بسبب ما شاهدوه اليوم.
تراجع فايد-راوثا ببطء أمام تقدم المصارع الذي كان يتحرك بطريقة جانبية تشبه حركة السلطعون.
احتكت قدماه برمل الحلبة، وسمع لهاث العبد، وشم ما يصدر عنه هو من عرق، وما بالجو من رائحة دموية خفيفة.
تحرك النا-بارون للخلف في ثبات، مستديرا لليمين، وشصه الثاني مهيأ في وضع استعداد.
تراقص العبد في حركاته الجانبية، وبدا أن فايد-راوثا قد تعثرت قدمه، وسمع الصرخة من مقاعد الجماهير.

ومرة أخرى انقض العبد واثبا.
فكر فايد-راوثا وهو يقفز لأحد الجانبين: بحق الآلهة، يا له من مقاتل!
السرعة النابعة مما يتمتع به من شباب هي ما أنقذته، لكنه نجح في غرس الشص الثاني في العضلة الكتفية المثلثة بالذراع الأيمن للعبد.
أمطره الجمهور بهتافات ابتهاج هائجة.
فكر فايد-راوثا: الآن يهتفون لي.
سمع في الأصوات إثارة شرسة، تماما كما أخبره حواط أنه سيحدث. لم يسبق أن هتفوا بهذه الطريقة لمقاتل من العائلة الحاكمة. وخطر له - ببعض التجهم - شيء كان حواط قد أخبره به: "يصاب المرء بالرعب من عدوه بسهولة أكبر إن كان يشعر بالانبهار به"
بسرعة تراجع فايد-راوثا لمنتصف الحلبة كي يتمكن الجميع من رؤيته بوضوح. سحب سكينه الطويل، وربض وانتظر العبد المتقدم ناحيته. لم يتوقف الرجل إلا كي يربط الشص الثاني لذراعه بإحكام، ثم أسرع يطارد خصمه.
فكر فايد-راوثا: دع أفراد العائلة يشاهدونني وأنا أقوم بهذا الأمر. فأنا عدوهم. دع صورتي عندهم تكون دائما هي صورتي الحالية هذه.
وسحب نصله القصير.
قال المصارع: "إني لا أخشاك يا أيها الخنزير الهاركوني. إن وسائل تعذيبك لن تؤلم رجلا ميتا. سأقتل نفسي بنصلي قبل أن أسمح لإصبع واحد من أصابع معاونيك بمسي. وستكون أنت ميتا جواري!"
ابتسم فايد-راوثا ومد النصل الطويل الذي يحمل السم، وقال: "جرب هذا"
ثم راوغ بحركة ماكرة مستخدما النصل القصير الذي يمسكه في يده الأخرى.
بدل العبد سكينه لليد الأخرى، واقتحم حركات ولي العهد الدفاعية والهجومية حتى قبض على النصل القصير.. النصل الممسوك في اليد ذات القفاز الأبيض والذي يقتضي العرف أن يكون هو النصل المسموم.
شهق المصارع قائلا: "ستموت يا هاركونن"
تعاركا جنبا لجنب على الرمل. وفي المواضع التي التقى بها درع فايد-راوثا بنصف الدرع الذي يرتديه العبد انبعث وهج أزرق. وامتلأ الهواء حولهما بأوزون نابع من حقل الطاقة.
جز العبد على أسنانه قائلا: "مت بسمك!"
وأخذ يدفع يد القفاز الأبيض للداخل، مديرا النصل الذي كان يظن أنه يحمل السم.
فكر فايد-راوثا: دعهم يشاهدوا هذا!
هوى بالنصل الطويل وشعر باصطدامه غير المؤثر والذي أعاقت طريقه خطاطيف الشص المربوطة بذراع العبد.
أحس فايد-راوثا بلحظة قنوط. فلم يكن قد عمل حسابا لأن تصبح الشصوص شيئا في صالح العبد.
لكنها فعلا أصبحت درعا ثانيا يحمي الرجل. بالإضافة للقوة التي يتمتع بها هذا الرجل!
كان النصل القصير يُدفع بلا هوادة للداخل، وركز فايد-راوثا على حقيقة أنه يمكن أن يموت المرء أيضا بنصل غير مسموم.
شهق فايد-راوثا قائلا: "حقير!"
ونتيجة لكلمة التفعيل هذه أطاعت عضلات المصارع واسترخت لحظيا.
كان هذا كافيا لفايد-راوثا. إذ أزاح جسديهما لمسافة تكفي لاستخدام النصل الطويل، ثم ضرب بطرفه المسموم راسما خطا

أحمر على صدر العبد.
كان للسم ألم فوري، فتراجع الرجل فاضا الاشتباك، وترنح للخلف.
فكر فايد-راوثا: والآن دع عائلتي العزيزة تشاهد هذا. دعهم يأخذوا العبرة من هذا العبد الذي حاول أن يدير ناحيتي السكين التي ظنها مسمومة، وأن يستخدمها ضدي. دعهم يتساءلوا كيف أمكن لمصارع أن يدخل هذه الحلبة مستعدا لمحاولة كهذه، ثم دعهم يدركوا دائما أنه ليس باستطاعتهم التأكد في أي يد من يدي يا ترى سيكون السم.
وقف فايد-راوثا في صمت، مراقبا حركات العبد المتباطئة.
تحرك الرجل بوعي متردد. كان على وجهه تعبير ظاهر للجميع، وكأنه مكتوب بخط واضح. كان المكتوب هو الموت.
كان العبد يعلم ما فُعل به، وكيف حدث له. كان السم في النصل الخطأ.
قال الرجل في أنين: "أنت!"
انسحب فايد-راوثا للخلف كي يتيح للموت مساحته التي يستحقها.
لم يكن العقار المصيب بالشلل والموجود في السم قد أتم مفعوله بعد، لكن بطء الرجل دل على أنه ينتشر. ترنح العبد للأمام وكأنه مسحوب بخيط.. يجر خطوة بعد الأخرى. كل خطوة كانت تشكل له عالمه بأكمله. كان لا يزال قابضا على سكينه، لكن طرفها كان يتذبذب.
شهق: "يوما ما.. واحد منا.. سيقضي عليك"
التوى فمه في أنة حزينة، فجلس، مرتخيا في ضعف، ثم تصلب جسده وتدحرج أرضا بعيدا عن جهة فايد-راوثا، ووجهه لأسفل.
تقدم فايد-راوثا سائرا خلال الحلبة الصامتة، ووضع إصبع قدمه تحت المصارع وقلبه على ظهره كي يتيح للجمهور مجال رؤية واضح يرون فيه الوجه وأثر آلام السم عليه، وتشنج عضلاته.
لكن ظهر المصارع وسكينه بارزة من صدره.
على الرغم من شعوره بالحنق فإن فايد-راوثا كان يشعر بقدر من الإعجاب بالجهد الذي استطاع هذا العبد القيام به، إذ تغلب على الشلل بدرجة تكفي لأن يفعل هذا في نفسه. ومع الإعجاب جاء أيضا إدراك بأن هذا الفعل كان يثير الخوف بحق.
إن الشيء القادر على جعل الإنسان سوبر-إنسان لهو شيء مخيف حقا.
وبينما هو غارق في هذه الخاطرة انتبه فايد-راوثا للصخب الذي انفجر من مقاعد الجماهير من حوله.
لقد كانوا يهتفون في هياج، دون أدنى ضبط للنفس.
التفت فايد-راوثا، رافعا بصره إليهم. كان الجميع يهتف، إلا البارون، والذي كان جالسا وذقنه مستندة على يده ويبدو عليه التفكير العميق.. وإلا الكونت وزوجته الليدي، واللذان كانا يحدقان فيه من الأعلى، ووجهاهما مغطيان بقناع من الابتسام.
استدار الكونت فينرنج لزوجته وقال: "آه امم.. إنه لشاب داهية متمكن من أدواته يا عزيزتي، أليس كذلك؟"
قالت: "استجاباته العصبية سريعة للغاية"
نظر لها البارون ثم للكونت ثم عاد بتركيزه للحلبة، مفكرا: إذن يمكن لشخص أن يقترب لهذه الدرجة من أحد أفراد عائلتي ويكاد يقضي عليه!
بدأ الغضب العارم يحل محل خوفه.
سأجعل القهرمان يموت هذه الليلة على نار هادئة..
وإن كان لهذا الكونت وزوجته يدا في الأمر، فالويل لهما.

كانت المحادثة التي تدور في مقصورة البارون تبدو كحركات بعيدة في عين فايد-راوثا، وأصواتها غارقة في الهتافات وأصوات دق الأقدام التي تصله الآن من كل اتجاه.
"الرأس! الرأس! الرأس! الرأس!"
عبس البارون، ورأى التفاتة فايد-راوثا ناحيته. على مضض - وهو يتحكم في غضبه بصعوبة - لوح البارون بيده ناحية الشاب الواقف في الحلبة جوار جثة العبد الممددة.
فلنمنح الرأس للولد. لقد استحق الحصول على هذا بأن تسبب في كشف خيانة القهرمان.
رأى فايد-راوثا علامة الموافقة، ففكر: يظنون أنهم يكرمونني بهذا. دعهم يروا ما أظنه فعلا!
رأى مساعديه يقتربون حاملين منشارا ليعطوه الرأس كمنحة شرفية، لكنه لوح لهم بالابتعاد، وكرر الحركة عندما رأى ترددهم.
فكر: يظنون أنهم يكرمونني بمجرد رأس!
انحنى وعقد يدي المصارع حول مقبض السكين البارز من جسده، ثم نزع السكين ووضعها في اليدين المرتخيتين.
تم الأمر كله في لحظة خاطفة، ثم اعتدل ناهضا، وأشار لمساعديه قائلا: "ادفنوا هذا العبد وجسده سليم، وسكينه بين يديه. لقد استحق الرجل هذا"
في المقصورة الذهبية مال الكونت فينرنج مقتربا من البارون وقال: "حركة كريمة منه.. ثقة حقيقية بالنفس. إن ابن أخيك يتمتع بأسلوب مميز بالإضافة للشجاعة"
غمغم البارون: "إنه يهين الجمهور برفضه قبول الرأس"
قالت الليدي فينرنج: "ليس صحيحا على الإطلاق". والتفتت لتنظر للمقاعد المحيطة بهم.
لاحظ البارون جانب عنقها.. يا لها من عضلات منسابة بشكل جميل.. وكأنها عضلات صبي.
قالت: "إنهم معجبون بما فعله ابن أخيك"
عندما اخترق مغزى حركة فايد-راوثا كل المقاعد، واصلا لمن يجلسون في الخلف، بأن شاهدوا المساعدين وهم يحملون المصارع الميت وجثته كاملة لم تمس، راقبهم البارون وأدرك أنها فهمت رد فعل الجمهور بشكل صحيح.
كان الناس هائجين من الابتهاج، يخبطون على بعضهم البعض، ويصرخون ويدقون الأرض بأقدامهم.
قال البارون في ضجر: "سأضطر لأن أصدر أمري بعقد مهرجان ووليمة. فلا يمكن ترك الناس يعودون لبيوتهم وهم في هذه الحالة، وطاقاتهم لم يتم تفريغها. ينبغي أن يروني أشاركهم بهجتهم"
وأعطى إشارة بيده لحارسه، فقام أحد الخدم الواقفين فوقهم بإنزال راية الهاركونن البرتقالية على المقصورة.. مرة ثم ثانية ثم ثالثة.. علامة على إقامة مهرجان.
خطا فايد-راوثا عبر الحلبة كي يقف تحت المقصورة الذهبية، وسلاحاه في غمديهما، وذراعاه على جانبيه.
رفع صوته ليعلو على هياج الجمهور الذي لم يضعف، وقال: "وليمة يا عمي؟"
بدأت الضوضاء تقل إذ رأى الناس المحادثة، فلبثوا منتظرين.
صاح البارون: "تكريما لك يا فايد!"
ومرة أخرى أمر بإنزال الراية إشارةً لهذا.
وفي الجهة الأخرى من الحلبة انخفضت الحواجز الاحترازية، وبدأ فتية يثبون هابطين للحلبة، راكضين نحو فايد-راوثا.
قال الكونت: "هل أمرت بإنزال الحواجز يا بارون؟"

قال البارون: "لن يتعرض الفتى لأذى منهم. فهو اليوم بطل"
وصلت الدفعة الراكضة الأولى إلى مكان فايد-راوثا، ورفعوه على أكتافهم وبدؤوا يسيرون به في موكب في أرجاء الحلبة.
قال البارون: "يمكنه أن يسير الليلة خلال أفقر أحياء مدينة هاركو دون سلاح ودون درع. وسيمنحونه آخر ما يملكونه من طعام وشراب مقابل تشريفهم بجلوسه معهم ليس إلا"
دفع البارون نفسه ناهضا من على مقعده لحملت مضادات الجاذبية وزنه: "أرجو أن تعذروني، فهناك أمور تستوجب اهتمامي الفوري بها. الحرس سيرافقونكما للقلعة"
نهض الكونت وانحنى: "بالطبع يا بارون. إننا نتطلع لحضور وليمة المهرجان. لم يسبق أن.. امم.. رأيت مهرجانا هاركونيا من قبل"
قال البارون: "آه، المهرجان"، ثم استدار، وأحاطه الحرس وهو يخرج من المقصورة عبر بابه الخاص.
انحنى أحد قادة الحرس للكونت فينرنج: "أوامرك يا سيدي؟"
قال الكونت: "سننتظر.. امم.. حتى يهدأ الـ.. هممم.. زحام"
"أجل يا سيدي"، وانحنى الرجل عائدا بظهره ثلاث خطوات.
التفت الكونت فينرنج لزوجته وتكلم من جديد بلغة الهمهمة الشفرية الخاصة بهما: "لقد فهمتِ ما رأيناه بالطبع؟"
قالت بنفس اللغة: "كان الفتى يعلم أن المصارع لن يكون مخدرا. نعم كانت هناك لحظة خوف، لكن لم يكن هناك أي دهشة"
قال: "كان الأمر مرتبا.. العرض بأكمله مرتب"
"بلا شك"
"رائحة حواط تفوح من الأمر"
قالت: "صحيح"
"كنت قد طالبتُ البارون قبل قليل بأن يتخلص من حواط"
"كانت هذه غلطة يا عزيزي"
"أرى هذا الآن"
"ربما سيكون لآل هاركونن بارون جديد قريبا"
"إن كانت هذه هي خطة حواط"
قالت: "فعلا، يجب فحص هذا"
"ستكون السيطرة على الصغير أسهل"
قالت: "سيطرتنا نحن عليه.. بعد ما سيحدث الليلة"
"ألا تتوقعين أن تواجهك صعوبات في إغوائه، أيتها الأم الحنونة؟"
"لا يا حبيبي. فقد رأيت بنفسك الطريقة التي ينظر بها لي"
"أجل. والآن أفهم لماذا ينبغي علينا أن نحتفظ بهذه السلالة"
"صحيح. ومن الواضح أنه يجب علينا السيطرة عليه. سأزرع في أعمق ثنايا عقله عبارات البرانا-بيندو اللازمة للتحكم به"
قال: "وسنرحل بأسرع وقت ممكن.. بعد أن تتأكدي من إتمام الأمر"
أصابتها رعدة: "بالتأكيد. فلا أريد أن أحمل بالطفل في مكان شنيع كهذا"

قال: "آه من الأشياء التي نضطر للقيام بها من أجل البشرية!"

قالت: "دورك أيسر من دوري بكثير"

قال: "توجد بعض مشاعر النفور قديمة الطراز كان علي التغلب عليها. إنه بدائية للغاية كما تعلمين"

قالت وهي تربت على خده: "ياه لعزيزي المسكين. تعلم جيدا أنها الطريقة الوحيدة التي يمكننا بها التأكد من حماية الصفات الوراثية لهذه السلالة"

تحدث بصوت جاف: "إني متفهم تماما لما نقوم به"

قالت: "لن نفشل"

قال مذكرا إياها: "الشعور بالذنب يبدأ كشعور بالفشل"

قالت: "لن يكون هناك شعور بالذنب. عقدة تنويمية داخل عقل فايد-راوثا، والتأكد من أن طفله في رحمي، ثم نرحل"

قال: "وعمه هذا.. هل رأيتِ مثله في درجة التشوه والانحراف؟"

قالت: "إنه شرس للغاية، لكن قد يكبر ابن الأخ ويصبح أسوأ منه"

"بسبب هذا العم. ترى كيف سيكون طبع هذا الفتى لو كان قد تربى تربية أخرى.. لو كان قد سار على هدى أعراف آل أتريديز على سبيل المثال"

قالت: "إنه لأمر محزن"

"آه لو كنا قد استطعنا إنقاذ كل من الفتى الأتريدي وهذا الفتى. مما وصلني عن الصبي بولس يبدو أنه كان مثيرا للإعجاب.. خليط جيد من الجينات والتدريبات"

هز رأسه ثم أكمل: "لكن لا يجب أن نهدر أسفنا على سوء الحظ الذي يحيق بالأرستقراط"

قالت: "هناك مقولة عند البني جيزيرت تـ..."

قال محتجا: "عندكن مقولات لكل شيء!"

قالت: "هذه المقولة ستعجبك. إنها تقول: لا تعتبر الإنسان ميتا حتى ترى جثته. وحتى بعد هذا ربما تكون مخطئا"

الفصل 36

"يخبرنا المؤدب في كتاب (وقت للتأمل) أن اصطداماته الأولى بضرورات الحياة على أراكس كانت هي البداية الحقيقية لتعلمه. فمعها تعلم طريقة غرز السواري في الرمال كي يتوقع تغيرات الطقس، وتعلم لغة الرياح التي تخس بشرته كالإبر، وتعلم كيف أن الأنف يكون لها أزيز لما يدخلها من رمال مسببة للحكة، وكيف يجمع رطوبة جسده النفيسة حوله كي يحميها ويحفظها. وعندما بدأت عيناه تتلونان بزرقة عيون العباد تعلم أساليب الشاكوبسا"

مقدمة ستيلجار لكتاب "المؤدب: الرجل"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

كان نور القمر الأول آخذا في التضاؤل عندما تسلقت فرقة ستيلجار خارجةً من الحوض الصحراوي - خلال عودتها للسيانش - ومعها المشردان اللذان انضما لها.

أسرع الأشخاص الملتحفون بالأثواب، إذ كانت رائحة الوطن تملأ فتحات أنوفهم. خلفهم كان خط الفجر الرمادي أشد ما يكون إضاءةً عند بقعة معينة في تقويمهم المعتمد على دائرة الأفق..

كان طلوع الشمس من هذه البقعة علامة على انتصاف فصل الخريف، وأنهم في الشهر المسمى كابروك.

تغطت قاعدة الجرف بأوراق نباتات ميتة قلّبتها الرياح في الموضع الذي كان أطفال السيانش يجمعونها فيه.. لكن صوت مرور الفرقة لم يكن من الممكن تمييزه عن أصوات الليل الطبيعية (باستثناء الأخطاء التي يقع فيها بولس وأمه من وقت لآخر).

مسح بولس من على جبهته بقع الغبار التي ألصقها العرق ببشرته، فشعر بشخص يجذبه من ذراعه وسمع هسيس صوت شاني وهي تقول: "افعل ما أخبرتك به.. شد طرف قلنسوتك لأسفل بحيث تغطي جبهتك! ولا تترك مكشوفا سوي العينين. إنك تهدر الرطوبة"

صدر أمر هامس من وراءهما يطالبهما بالصمت: "الصحراء تسمعك!"

صدر من الصخور أعلاهما صوت شقشقة طائر. توقفت الفرقة، وأحس بولس بتوترهم المفاجئ.

صدر من عند الصخور صوت دق خافت، لا يفوق في درجته صوت قفز فأر على الرمال.

ومرة أخرى شقشق الطائر.

سرى بين صفوف الفرقة اضطراب. ومن جديد نقر الدق الفأري، واصلا لهم عبر الرمال. ثم شقشق الطائر مرة أخرى.

استأنفت الفرقة تسلقها عبر شق في الصخور، لكن الآن كان يبدو على الفريمن جو من السكون وكتم الأنفاس، مما ملأ بولس بالحذر. ولاحظ نظراتهم المسترقة الموجهة لشاني، والطريقة التي بدت فيها غارقة في أفكارها ومنعزلة داخل ذاتها.

كانت أقدامهم تسير الآن على صخور، وحولهم حفيف أثواب خافت.. وأحس بولس بشروعهم في التحرر من ضوابط حفظ الرطوبة، لكن ظل السكون باديا على شاني والآخرين.

تبع شخصا يبدو أمامه كظل، وصعد درجات، ثم استدارة عند ركن، ثم المزيد من الدرجات، ثم نفق، ثم بابين عازلين للرطوبة، ثم دخلوا ممرا ضيقا مضاءا بكرات إنارة وجدرانه الصخرية وسقفه لها لون أصفر.

في كل مكان حوله رأى بولس الفريمن يلقون بقلنسواتهم للوراء وينزعون سدادات الأنف ويتنفسون بعمق.

أطلق أحدهم تنهيدة ارتياح.
بحث بولس عن شاني فوجد أنها قد تركت جانبه. كان مطوقا بحشد من الأجساد المكسوة بالأثواب.
اصطدم منكب أحدهم به وقال: "اعذرني يا أصول، يا له من زحام! هكذا هو الحال كل مرة"
وعلى يساره التفت ناحيته الوجه النحيل الملتحي للشخص المسمى فاروق. محجرا العينين المبقعان بالسواد والعينان ذاتا الزرقة الداكنة ظهرت جميعها أكثر سوادا في ضوء كرات الإنارة الأصفر.
قال فاروق: "انزع قلنسوتك يا أصول، فأنت في منزلك"، وأعان بولس، فاتحا رباط قلنسوة الرأس، ومزيحا الآخرين بمرفقه كي يسمح لبولس بمساحة حركة.
نزع بولس سدادات أنفه، وأزاح كمامة الفم جانبا، فهجمت عليه روائح المكان.
أجساد لم تستحم.. عبق رائحة تقطير الفضلات الجسدية المعاد تدويرها داخل البذلات..
كل مكان كان مفعما بالروائح البشرية الكريهة واللاذعة.. وفوق هذا كله تثور رائحة البهار ومشتقاته.
قال بولس: "لم نحن منتظرون يا فاروق؟"
"أظن أننا في انتظار السيدة الموقرة. فقد سمعتَ الرسالة بنفسك. يا لشاني المسكينة!"
سأل بولس نفسه: شاني المسكينة؟
أدار بصره فيما حوله متسائلا عن مكانها، وعن مكان أمه وسط كل هذا الزحام.
سحب فاروق نفسا عميقا وقال: "روائح الوطن"
رأى بولس أن الرجل كان مستمتعا بعفن هذا الجو، وأن صوته لم يكن يحمل أي نبرة سخرية.
في هذه اللحظة سمع سعال أمه، ووصله صوتها عبر المجموعة المحتشدة: "روائح سياتشك قوية للغاية يا ستيلجار. وأرى منها أنكم تصنعون أشياء كثيرة من البهار.. ورق.. وبلاستيك.. وأليست هذه رائحة متفجرات كيميائية؟"
سمع صوت رجل آخر: "علمتِ كل هذا عن طريق الشم؟!"
وأدرك بولس أنها كانت تقصده هو بكلامها، وأنها كانت تريد منه أن يتقبل - وبسرعة - هذه الروائح التي تهجم على منخريه. كان هناك نشاط يحدث في مقدمة المجموعة، وبدا أن الفريمن الواقفين قد أخذوا نفسا جماعيا مطولا، وسمع بولس أصواتا هامسة قادمة من طرف الصف البعيد: "إذن فالأمر حقيقي.. ليات مات"
فكر بولس: ليات.
ثم تذكر: شاني، ابنة ليات.
تجمعت أجزاء المسألة المتفرقة في ذهنه. كان ليات هو الاسم الفريمني للخبير الكوكبي.
نظر بولس لفاروق وسأله: "هل المقصود هو ليات المعروف باسم كاينز؟"
قال فاروق: "ليس هناك سوى ليات واحد"
استدار بولس وحدق في ظهر أحد الفريمن الواقفين أمامه، وفكر: إذن ليات-كاينز قد مات.
قال شخص في هسيس: "كانت خيانة هاركونية. جعلوا الأمر يبدو وكأنه حادثة.. وأنه ضاع في الصحراء نتيجة لتحطم ثوبتر كان فيها"
شعر بولس بموجة غضب. إن الرجل الذي صار صديقا له.. والذي ساعد في إنقاذهما من صيادي الهاركونن.. والذي أرسل أعوانه الفريمن كي يبحثوا عن الشخصين التائهين في الصحراء.. قد صار ضحية جديدة من ضحايا آل هاركونن.
قال فاروق: "هل بدأ أصول يتعطش للانتقام؟"

لكن قبل أن يتمكن بولس من الرد صدر نداء خافت فاندفعت الفرقة للأمام، إلى داخل حجرة أكبر، حاملة بولس معها خلال اندفاعها.
وجد نفسه في مكان متسع وأمامه ستيلجار وامرأة لا يعرفها، ترتدي ثوبا قماشيا فضفاضا يلتف حول جسدها وملون بألوان زاهية برتقالية وخضراء. كان ذراعاها عاريين حتى الكتفين، ورأى أنها لم تكن ترتدي بذلة تقطير. كانت بشرتها ذات لون زيتوني خفيف، وشعرها الأسود مشدود للخلف كاشفا جبهتها الكبيرة، مما جعل عظام وجنتيها الحادة وأنفها المعقوف كمنقار النسر - والموجود بين عينين داكنتين شديدتي الدكنة - تظهر بشكل أوضح.
التفتت إليه فرأى بولس أن هناك حلقات ذهبية تتدلى من أذنيها، معقود بها عدة عملات مائية.
قالت: "هذا انتصر على رجلي جيمِس؟!"
قال ستيلجار: "اصمتي يا هارا. لقد جلب جيمس هذا الأمر على نفسه.. لقد طالب بتنفيذ 'تحدي البرهان'"
قالت: "لكنه مجرد طفل!"، وهزت رأسها بقوة من جانب لآخر مما جعل العملات المائية تصلصل. "أطفالي أصبحوا بلا أب على يد طفل آخر؟ بالتأكيد كان الأمر حادثا عارضا!"
قال ستيلجار: "أصول، ما عمرك؟"
قال بولس: "15 سنة معيارية"
أدار ستيلجار عينيه في المجموعة: "أيجرؤ أحدكم على النزول ضدي في نزال؟"
ساد الصمت.
نظر ستيلجار للمرأة: "وإلى أن أتعلم طريقته العجائبية في القتال فإني لا أجرؤ على تحديه"
حدقت فيه وقالت: "لكن.."
قال ستيلجار: "هل رأيتِ المرأة الغريبة التي ذهبت مع شاني الآن كي تقابل السيدة الموقرة؟ إنها سيدينا من بلاد الأجانب، وأم هذا الفتى. الأم وابنها متقنان لطرق القتال العجائبية"
همست المرأة: "لسان الغيب!"
وبدت في عينيها رهبة انبهار عندما أدارتهما ناحية بولس.
فكر بولس: ها هو موضوع الأسطورة يعود من جديد.
قال ستيلجار: "ربما. لكن لم يتم التحقق من الأمر في اختبار بعد". عاد بانتباهه لبولس: "أصول، العرف عندنا يقول أنك صرت الآن مسؤولا عن امرأة جيمس هذه وعن ولديه. الـ يالي Yali الخاص به.. أي مسكنه.. أصبح ملكك. أدوات تقديم القهوة التابعة له صارت تابعة لك.. وهذه المرأة أيضا التي كانت امرأته"
دقق بولس في المرأة متسائلا: لماذا لا تنتحب زوجها؟ لم لا تبدو عليها أي كراهية تجاهي؟
وفجأة انتبه إلى أن الفريمن كانوا يحدقون فيه، منتظرين.
همس أحدهم: "أمامنا أعمال يجب إتمامها. قل على أي وضع ستقبل بها"
قال ستيلجار: "أتقبل هارا بصفتها زوجة أم خادمة؟"
رفعت هارا ذراعيها ودارت حول نفسها ببطء: "إني لا زلت شابة يا أصول. يقال أني أبدو بنفس السن الصغيرة التي كنت عليها عندما كنت مع جيف .. قبل أن ينتصر عليه جيمس في نزال"
فكر بولس: جيمس قتل رجلا آخر كي يفوز بها.
قال بولس: "إن قبلت بها بصفتها خادمة، هل من الممكن أن أغير رأيي فيما بعد؟"

قال ستيلجار: "ستكون أمامك سنة لتغير قرارك خلالها. بعد هذا تصبح امرأة حرة تختار ما تريده.. أو بإمكانك أن تحررها في أي وقت كي تختار أمرها بنفسها. لكنها على كل الأحوال أصبحت مسؤوليتك لمدة سنة.. وستظل دائما مسؤولا عن أبناء جيمس مسؤولية جزئية"
قال بولس: "أقبل بها كخادمة"
دقت هارا الأرض بقدمها وهزت كتفيها في غضب: "لكني شابة!"
نظر ستيلجار لبولس وقال: "الحذر صفة من المفيد أن يمتاز بها من سيصبح قائدا"
كررت هارا: "لكني شابة!"
قال ستيلجار بنبرة آمرة: "اصمتي. إن كان مكتوب لأمر أن يحدث فسيحدث. أرِي أصول مسكنه، وتأكدي من توفير ملابس نظيفة ومكان ليرتاح فيه"
قالت: "أووه!"
كان بولس قد قام بتسجيلها ذهنيا بالقدر الذي يكفي لإعطائه تقديرا مبدئيا. كان يشعر بفراغ صبر المجموعة وأدرك أن أمورا كثيرة يعطلها هذا الموقف. سأل نفسه إن كان من المناسب الاستفسار عن مكان أمه وشاني، لكن من وقفة ستيلجار العصبية علم أنه من الخطأ أن يستفسر الآن.
واجه هارا، وجعل صوته يحمل نبرة واهتزاز يؤديان لإثارة خوفها ورهبتها: "أرشديني لمكان مسكني يا هارا! سنناقش موضوع شبابك في وقت آخر"
تراجعت خطوتين للوراء ورمقت ستيلجار بنظرة خائفة، وقالت بصوت مبحوح: "إنه يتمتع بقدرة الصوت العجائبية"
قال بولس: "ستيلجار، إني أحمل لوالد شاني جميلا ضخما يجب الالتزام به. لو يوجد أي شيء بمقدوري أن..."
قال ستيلجار: "سنقرر هذا عندما نجتمع في مجلس. بإمكانك أن تتحدث ساعتها"، وأومأ برأسه علامة الانصراف، واستدار، فتبعته باقي المجموعة.
أمسك بولس ذراع هارا، ملاحظا برودة بشرتها، وشاعرا بارتجافها. قال: "لن أؤذيك يا هارا. أوصليني لمسكننا"
ورقق صوته كي يخفف من توترها.
قالت: "ألن تطردني عندما تنقضي السنة؟.. إني أعلم أني في حقيقة الأمر لم أعد صغيرة كما كنتُ في السابق"
قال: "طالما أنا على قيد الحياة سيظل لك مكان في بيتي"
ترك ذراعها وأكمل: "والآن هيا، أين يقع مسكننا؟"
استدارت وقادت الطريق إلى نهاية الممر، ثم استدارت يمينا عند موضع تتقاطع فيه الأنفاق، ومضاء بكرات إنارة صفراء معلقة على مسافات متساوية. كانت الأرضية الحجرية ناعمة، وممسوحة من أي رمل قد يوجد عليها.
تقدم بولس سائرا جوارها، وفحص جانب وجهها ذي الملامح النسرية أثناء سيره: "لا تشعرين بكراهية تجاهي يا هارا؟"
"ولم قد أكرهك؟"
أومأت برأسها تحية لمجموعة من الأطفال الذين كانوا يحدقون فيهما من فوق إفريز مرتفع لممر جانبي.
لمح بولس خلف الأطفال أشخاصا بالغين مستورين جزئيا بستائر شفافة.
"لأني.. انتصرت على جيمس"
"ستيلجار قال أن طقوس الجنازة تم أداؤها، وأنك صديق لجيمس"
ألقت عليه نظرة جانبية وأكملت: "وقد قال ستيلجار أنك وهبت الميت من رطوبتك. هل هذا صحيح؟"

"أجل"
"هذا يفوق ما سأفعله أنا.. يفوق ما بإمكاني أن أفعله"
"ألا تحزنين عليه؟"
"عندما يأتي وقت الحزن سأنتحب رثاء له"
مرا بفتحة لها قنطرة مقوسة. نظر بولس عبرها فوجد رجالا ونساءا يعملون على ماكينات تقف في حجرة واسعة نورها ساطع. بدا في حركتهم إيقاع يوحي بالاستعجال.
قال بولس: "ما الذي يقومون به هناك؟"
نظرت وراءها - إذ كانا قد تخطيا موضع القنطرة - وقالت: "يسرعون لإتمام الحصة المطلوبة من ورشة البلاستيك قبل أن نفر. نحتاج الكثير من مكثفات الندى لأجل النباتات المزروعة"
"نفر؟"
"إلى أن يتوقف السفاحون عن ملاحقتنا أو يتم إجبارهم على الرحيل عن أرضنا"
انتبه بولس لخطواته إذ كان موشكا على التعثر، وشعر بلحظة زمنية متوقفة، متذكرا نتفة - صورة ذهنية - استبصارية.. لكنها لم تكن في موضعها الصحيح.. بل كمشاهد مونتاج متحركة.
لم تكن أجزاء ذاكرته الاستبصارية هذه لها نفس الأوضاع التي كان يتذكرها.
قال: "الساردوكار يلاحقوننا"
قالت: "لن يجدوا سوى سياتش فارغ أو سياتشين. وبين الرمال سيجدون نصيبهم من الموت"
قال: "سيعثرون على هذا المكان؟"
"غالبا"
أشار برأسه للقنطرة التي كانت الآن خلفهما بمسافة كبيرة: "وعلى الرغم من ذلك لا زلنا نشغل وقتنا بـ.. تصنيع مكثفات الندى؟"
"يجب لغرس النباتات أن يستمر"
قال: "وما هي مكثفات الندى؟"
كانت النظرة التي رمقته بها مليئة بالدهشة: "ألا يعلمونكم أي شيء في.. في المكان الذي جئت منه؟"
"لم يعلموني شيئا عن مكثفات للندى؟"
قالت: "حي! Hai"
وحملت هذه الكلمة الواحدة معانٍ تكفي لمحاورة كاملة.
"حسنا.. ما هي؟"
قالت: "كل شجيرة وكل عشبة تراها في هذا العِرق Erg بالخارج.. كيف تظن أنها تنجح في البقاء حية عندما نتركها؟ كل واحدة منها تم زرعها برفق في حفرتها الصغيرة الخاصة. ثم نملأ الحفر بكرات كروموبلاستيك ناعمة الملمس. الضوء يحول لونها للأبيض. بإمكانك أن تراها تبرق فجرا إن نظرت لها من مكان مرتفع. فالأبيض يعكس الضوء. لكن عندما يغيب أبونا الشمس فإن الكرومبلاستيك يعود في الظلام لحالة الشفافية، وتنخفض حرارته بسرعة شديدة، فيقوم سطحه بتكثيف الرطوبة من الهواء. تسقط هذه الرطوبة كقطرات تبقي نباتاتنا حية"
تمتم: "مكثفات ندى"، وأذهله الجمال البسيط الذي تتصف به هذه الطريقة.

قالت - وكأن ذهنها لم يتوقف عن التفكير في سؤاله الآخر-: "سأنتحب على جيمس عندما يكون الوقت مناسبا لهذا. لقد كان جيمس رجلا صالحا، لكن سريع الغضب. كان يعتني بنا ويكفي احتياجاتنا، وكان ممتازا في معاملته للأطفال. لم يفرق في المعاملة بين ابن جيف، بكري، وابنه الذي من صلبه. كانا متساويين في عينيه"
والتفتت ناحية بولس بنظرة متسائلة: "هل سيكون الحال معك هكذا يا أصول؟"
"إن وضعنا المختلف لن يعرضنا لمشكلة كهذه"
"لكن ماذا لو..."
"هارا!"
تراجعت عندما سمعت الحدة في نبرة صوته.
مرا بحجرة أخرى إضاءتها قوية وتبدو على يسارهما من خلال قنطرة: "ماذا يُصنع هناك؟"
قالت: "إنهم يصلحون ماكينات الحياكة. لكن يجب تفكيكها قبل حلول هذه الليلة"
وأشارت لنفق يتفرع على يسارهما: "في هذا المكان وما وراءه توجد أماكن المعالجة الغذائية وصيانة بذلات التقطير"
نظرت لبولس: "بذلتك تبدو جديدة، لكن إن كانت بحاجة لتصليح فإني ماهرة في التعامل مع البذلات. في الموسم أعمل في المصنع"
أخذا يمران بمجموعات من الناس وعدد أكبر من الفتحات المتفرعة من جانبي النفق. مر بهما صف من الرجال والنساء حاملين حقائب تصدر عنها قرقرة واضحة، وتفوح منها رائحة بهار قوية.
قالت هارا: "لن يتمكنوا من مياهنا.. ولا من البهار المملوك لنا. كن متأكدا من هذا"
نظر بولس للفتحات الموجودة في جدار النفق، فشاهد السجاجيد على الأفاريز المرتفعة، ولمح غرفا معلق على حوائطها أقمشة زاهية الألوان، ورأى وسائد مكومة. كان الناس الظاهرون من خلال تلك الفتحات يصمتون عندما يقترب بولس وهارا منهم، ويتابعون بولس بأبصارهم في تحديق صريح لا يداري فضوله.
قالت هارا: "يستغرب الناس تمكنك من الانتصار على جيمس. غالبا ستضطر لإثبات قدراتك مرة أخرى عندما نستقر في سيائش جديد"
قال: "لا أحب القتل"
قالت: "هكذا أخبرني ستيلجار"، لكن صوتها كشف عن عدم تصديقها للأمر.
من موضع متقدم أمامهما بدأت تتعالى صيحات تهتف بحدة. وصلا لفتحة أخرى جانبية تفوق في اتساعها كل الفتحات الأخرى التي رآها بولس. أبطأ سرعة سيره وحدق في الحجرة فوجدها مزدحمة بالأطفال الجالسين القرفصاء على أرضية مغطاة بسجاد أحمر داكن. على الحائط الموجود في الجهة المقابلة، أمام سبورة، كانت تقف امرأة ترتدي ثوبا أصفر ملتفا حول جسدها، وفي يدها قلم ضوئي.
كان لوح السبورة مليئا بالأشكال.. دوائر، وأوتاد، ومنحنيات، وخطوط ثعبانية، ومربعات، وأقواس تقسمها خطوط متوازية. أشارت المرأة للأشكال واحدا بعد الآخر بأقصى سرعة يمكنها تحريك القلم بها، فكان الأطفال يصيحون في إيقاع واحد، مع حركة يدها.
أصغى لهم بولس، بينما كانت الأصوات تنخفض بالتدريج وهو يتقدم لعمق السيائش مع هارا.
كان الأطفال يصيحون قائلين: "شجرة، شجرة، عشب، كثيب، رياح، جبل، تل، نار، برق، صخرة، صخور، غبار، رمال، حرارة، مأوى، حرارة، ممتلئ، شتاء، بارد، فارغ، نحت، صيف، كهف، نهار، شد، قمر، ليل، كابروك، مد رملي، منحدر،

غرس، رابط..."

قال: "تعقدون دروسا في وقت كهذا؟"

بدت الجدية على وجهها والأسى في صوتها: "هذا ما دربنا عليه ليات. لا يمكن أن نتوقف عن هذا ولو للحظة. ليات - مع أنه قد مات - يجب ألا يُنسى. هذا هو أسلوب الشاكوبسا"

مالت للنفق الأيسر وصعدت على إفريز وأزاحت ستائر برتقالية شفافة ثم وقفت جانبا: "إن اليالي التابع لك جاهز لاستقبالك يا أصول"

تردد بولس ثم انضم لها على الإفريز. أحس برغبة مفاجئة في ألا يبقى بمفرده مع هذه المرأة. خطر له أنه محاط بأساليب حياتية لن يتمكن من فهمها سوى عن طريق تخمين طبيعة منظومة كاملة من الأفكار والقيم.

شعر بأن عالم الفريمن هذا كان يحاول اصطياده وإيقاعه في شبكة عاداته. وكان يدرك الموجود بهذه الشبكة.. الجهاد الشرس.. الحرب الدينية التي كان يشعر أن عليه أن يتجنبها بأي ثمن.

قالت هارا: "هذا مسكنك. لماذا تتردد؟"

أومأ بولس وتقدم جوارها على الإفريز. رفع الستائر المواجهة لها، شاعرا في القماش بملمس أنسجة معدنية.

تبعها إلى ممر قصير في المدخل ثم إلى حجرة أكبر، مربعة، ضلعها يقترب من الـ 6 أمتار، وعلى الأرض سجاجيد زرقاء سميكة، أما الجدران الصخرية فتخفيها أقمشة زرقاء وخضراء. فوق رأسه كانت توجد كرات إنارة مضبوطة على اللون الأصفر وتبرز من بين أقمشة صفراء معلقة من السقف.

هذه الأشياء جعلت الجو العام يشبه إحدى الخيام التاريخية القديمة.

وقفت هارا أمامه ويدها اليسرى في وسطها، وعيناها تفحصان وجهه: "الولدان عند إحدى الصديقات. سيقدمان أنفسهما لك فيما بعد"

أخفى بولس توتره تحت قناع وأخذ يفحص الغرفة فحصا سريعا. على اليمين كانت ستائر رقيقة معلقة رأى أنها تخفي - بشكل جزئي - حجرة أوسع، تستند على جدرانها أكوام من الوسائد. أحس بنسيم خفيف يصدر عن أنبوب تهوية، ورأى أن الفتحة مخفاة - بشكل ماهر - بين عدة ستائر متداخلة معلقة فوقه مباشرة.

قالت هارا: "أتريد أن أساعدك في خلع بذلتك؟"

"لا.. شكرا"

"هل أجلب لك طعاما؟"

"أجل"

قالت مشيرة بيدها: "هناك غرفة لاستعادة الرطوبة بالحجرة الأخرى.. كي تستريح فيها وتجلس براحتك دون بذلة تقطير"

قال بولس: "لقد قلتِ أننا سنترك هذا السياتش. ألا يجب أن نكون نقوم بحزم حقائبنا وأشياء من هذا القبيل؟"

قالت: "سيتم في وقته. لم يخترق السفاحون منطقتنا هذه بعد"

كانت مترددة، وتحدق فيه.

قال: "ما الأمر؟"

قالت: "عيناك ليستا كعيون العباد. شكلها غريب، لكنها جذابة بقدر لا بأس به"

قال: "أحضري الطعام. أشعر بالجوع"

ابتسمت له.. ابتسامة نسوية خبيرة وجدها مثيرة للارتياب. قالت: "إني خادمتك"، ودارت حول نفسها مبتعدة في حركة

رشيقة، وانحنت مارة عبر ستارة حائط ثقيلة كشفت ممرا آخر موجودا خلفها قبل أن تعود الستارة لموضعها.

شعر بولس بالغضب من نفسه، وانطلق خلال الستارة الرقيقة التي على يمينه ودخل الحجرة الكبيرة.

وقف في مكانه وقد غمرته حيرة.

وتساءل: ترى أين شاني الآن.. شاني التي فقدت أباها قبل قليل.

فكر: في هذا نحن متشابهان.

من الأروقة الخارجية صدرت صرخة منتحبة، وقد كتمت الستائر البينية قوتها.

تكررت مرة أخرى، صادرة من موضع أبعد قليلا. ثم مرة أخرى. وأدرك بولس أن شخصا ما كان ينبه الناس للوقت. وانتبه لحقيقة أنه لم ير بالمكان أي ساعات.

وصلت لفتحتي أنفه رائحة خفيفة ناتجة عن احتراق شجيرة زيتية، ضمن روائح السياتش الكريهة التي لا يمكن الهرب منها.

وأدرك بولس أنه قد نجح بالفعل في تعويد نفسه على كبت هجوم هذه الروائح على حواسه. وتعجب من جديد لشأن أمه، وللطريقة التي سيقوم مونتاج المستقبل المتحرك بدمجها خلال مشاهده.. ودمج الابنة التي تحملها.

تراقص أمامه إدراكه الزمني المتغير، فنفض رأسه بقوة، مركزا انتباهه على الأدلة المشيرة لما تتمتع به هذه الثقافة الفريمنية - التي ابتلعته - من اتساع وعمق. مع ما فيها من غرائب غير ظاهرة لأول وهلة.

لقد رأى في هذه الكهوف وهذه الغرفة شيئا يشير لاختلافات كبيرة للغاية بين هذا المكان وبين كل شيء قابله في حياته من قبل. إذ لا يوجد أثر لاستخدام أي شمام سموم.. لا هنا ولا في أي مكان في الكهف.

ومع ذلك فبإمكانه أن يشم - ضمن عطن السياتش - روائح تدل على وجود سموم.. سموم قوية وشائعة.

سمع حفيف الستائر فظنها هارا وقد عادت بالطعام، والتفت لينظر لها. لكن بدلا من ذلك رأى صبيين صغيرين يظهران من وراء إحدى مجموعات الستائر المعلقة.

كان عمرهما يقترب من التاسعة والعاشرة، وعيونهما تحدق فيه بشره وتدقيق.

كان كل منهما يرتدي حول وسطه كريسنايف صغيرة تشبه في تصميمها الخناجر، ويده على المقبض.

وهنا تذكر بولس الحكايات التي تروى عن الفريمن.. أن أطفالهم يقاتلون بنفس شراسة الكبار.

الفصل 37

العيون تتحرك، والشفاه تتحرك
وتتدفق الأفكار من كلماته
تلتهم عيناه الأشياء!
إنه جزيرة بذاته

وصف من كتاب "دليل المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

ألقت أنابيب الإضاءة الفوسفورية - الموضوعة في الأجزاء العلوية البعيدة للكهف - ضوءا باهتا على تجويفه الداخلي المزدحم، مشيرة - من طرفٍ خفي - للحجم الهائل لهذا المكان المحاط بالصخور، حتى أن اتساعه - حسب ما رأته جيسيكا - يفوق اتساع قاعة التجمع في مدرسة البني-جيزيرت التي تعلمت فيها.
قدّرت أن عدد المحتشدين هنا - تحت الإفريز الصخري الذي تقف عليه مع ستيلجار - يفوق الـ 5000
ولا زال المزيد يأتون.
كان الهواء مشبّعا بأصوات الناس الهامسة.
قال ستيلجار: "أرسلنا لابنك نستدعيه من راحته يا سيدينا. أتريدين منه أن يشاركك في قرارك؟"
"وهل بإمكانه أن يغير قراري؟"
"لا شك أن الهواء الذي تتكلمين به يأتي من رئتيك أنت فقط لا غير، لكن..."
قالت: "سيظل القرار كما هو"
لكنها شعرت بالشكوك تنتابها، وتساءلت إن كان عليها استخدام بولس كعذر تبرر به انسحابها من هذا الطريق الخطير.
وعليها التفكير أيضا في مصلحة الابنة التي لم تولد بعد. فما يعرض جسد الأم للخطر سيشكل - بالتبعية - خطرا أيضا على جسد الابنة.
جاء رجال يحملون سجاجيد ملفوفة، ويتعالى لهاثهم لثقلها. أثاروا الغبار عندما ألقوا بحملهم على الإفريز.
أمسك ستيلجار ذراعها وقادها لتجويف غائر محفور في خلفية الإفريز يقوم بتكبير الصوت وترديده. أشار لمقعد صخري منحوت في التجويف: "السيدة الموقرة ستجلس هنا، لكن بإمكانك أن تستريحي هنا إلى أن تحضر"
قالت جيسيكا: "أُفضل الوقوف"
شاهدت الرجال يفكون السجاجيد ويغطون الإفريز بها. نظرت للحشد فوجدت أن عدد الموجودين الآن على أرض المكان الصخرية قد وصل 10 آلاف تقريبا. ولا زال المزيد يحضرون.
كانت تعلم أنه في الصحراء بالخارج تسود حمرة الغروب، أما هنا في الكهف فكان الضوء كالشفق الأبدي.. مساحة رمادية متسعة مزدحمة بأناس جاؤوا كي يشاهدوها وهي تخاطر بحياتها.
انفتحت وسط الحشد فرجة على يمينها فرأت بولس يقترب، محاطا على جانبيه بصبيين صغيرين. كان يشع من الطفلين جو من الخيلاء والاعتداد بالنفس، إذ كان كل منهما يضع يده على مقبض سكينه وينظر بتجهم للحائط البشري المحيط بهما من كل

جانب.
قال ستيلجار: "إنهما ابنا جيمس اللذان أصبحا الآن أبناء لأصول. يأخذان مهمة حمايته على محمل الجد"، وجازف بالابتسام لجيسيكا.
أدركت أنه يبذل جهده ليخفف من توترها، وشعرت بالامتنان لهذا، لكن لم يكن بإمكانها صرف ذهنها عن التفكير في الخطر الذي يتهددها.
فكرت: لم يكن أمامي خيار سوى الإقدام على هذا، إذ علينا التصرف بسرعة لو أردنا تأمين مركزنا بين هؤلاء الفريمن.
تسلق بولس صاعدا الإفريز، تاركا الصبيين بالأسفل. توقف عندما صار أمام أمه ورمق ستيلجار ثم عاد ببصره لجيسيكا.
"ما الذي يحدث؟ لقد ظننت أنه يتم استدعائي لحضور مجلس استشاري"
رفع ستيلجار يده مطالبا بالصمت، وأشار ليساره حيث كان طريق آخر ينفرج وسط الحشد. جاءت شاني عبر هذا الطريق الذي انفتح، ووجهها الفاتن تبدو عليه تعابير الأسى. كانت قد نزعت بذلة تقطيرها وارتدت ثوبا أنيقا أزرق ملفوفا على جسدها، كاشفا ذراعيها النحيلين. كان هناك منديل أخضر على ذراعها الأيسر، مربوط بقرب الكتف.
فكر بولس: الأخضر يرمز لحالة الحداد.
كان هذا أحد الأعراف التي بينها له ابنا جيمس بطريقة غير مباشرة، إذ أخبراه أنهما لا يرتديان الخضار حيث أنهما قد قبلا به كأب سيرعاهما.
كانا قد سألاه: "هل أنت لسان الغيب؟"، فشعر بولس في كلماتهما ببوادر الجهاد، وتحاشى الإجابة بأن طرح عليهما سؤالا.. فعرف أن كالف - أكبر الاثنين - كان في العاشرة من عمره، وأنه ابن جيف في الأصل.. بينما أورلوب - الأصغر - كان في الثامنة، وأنه ابن جيمس.
كان يوما غريبا إذ وقف هذان خلاله يحرسانه كما طلب منهما، لإبعاد الفضوليين، مما أتاح له الوقت اللازم ليتعاهد أفكاره ويتدبر ذكرياته الاستبصارية، وليخطط لطريقة يمنع بها تحقق الجهاد.
لكن في هذه اللحظة - وهو يقف جوار أمه على الإفريز بالكهف ويطل على الحشد - تساءل إن كان بمقدور أي خطة - مهما كانت - أن تمنع طوفان الفيالق المهووسة.
اقتربت شاني من الإفريز، يتبعها - على مسافة - أربع نساء يحملن امرأة أخرى على محفة.
تجاهلت جيسيكا اقتراب شاني، وصبت كل انتباهها على المرأة المحمولة على المحفة.. عجوز شمطاء، واهنة، مليئة بالتجاعيد، ترتدي ثوبا أسود، قلنسوته ملقاة للخلف كاشفةً الشعر الأشيب المعقود في عقدة قوية والعنق النحيل.
أنزلت حاملات المحفة حملهن برفق على الإفريز العالي وهن واقفات على الأرض بالأسفل، ثم أعانت شاني المرأة العجوز على الوقوف على قدميها.
فكرت جيسيكا: هذه إذن هي سيدتهم الموقرة.
استندت العجوز بقوة على شاني وسارت - وهي تعرج - ناحية جيسيكا، فبدت كمجموعة من العصي قد كسيت بالثوب الأسود. توقفت في مواجهة جيسيكا ورفعت بصرها لأعلى لفترة طويلة، ثم تكلمت في صوت هامس مبحوح.
أومأت الرأس العجوز إيماءة تأرجحت بها فوق العنق النحيل على نحو خطر: "أنت المختارة إذن. كانت الشادوت ميبس محقة في شعورها بالشفقة عليك"
ردت جيسيكا بسرعة في نبرة احتقار: "لا أحتاج شفقة من أحد"
قالت العجوز بصوتها المبحوح: "سنرى إن كان هذا صحيحا أم لا"

ثم استدارت بسرعة مثيرة للدهشة وواجهت الحشد: "أخبرهم يا ستيلجار"
قال: "أيجب أن أفعل هذا؟"
قالت العجوز بصوت خشن: "إننا قوم المصر Misr. منذ أن فر أسلافنا السُنّة Sunni من نيل العروبة Nilotic al-Ourouba ونحن نألف الهرب والموت. الشباب يمضون قُدما ويستمرون كي لا ينقرض قومنا"
أخذ ستيلجار نفسا عميقا وتقدم للأمام خطوتين.
شعرت جيسيكا بالسكون يحل على الكهف المزدحم.. حوالي الـ 20 ألف شخص يقفون الآن في صمت، بلا حركة تُذكر. جعلها هذا تشعر فجأة بالضآلة، وملأها بالحذر.
قال ستيلجار: "الليلة يجب علينا أن نترك هذا السياتش الذي آوانا لزمن طويل، ونمضي جنوبا في الصحراء"
كان صوته جهوريا، متخللا الوجوه المرفوعة ناحيته، وقد تردد مدويا نتيجة للقوة التي منحها له التجويف المكبر للصوت والموجود في خلفية الإفريز.
ظل الحشد صامتا.
قال ستيلجار: "أخبرتني السيدة الموقرة أنها لن تتحمل مشقة هجرة Hajra أخرى. لقد سبق وعشنا لفترات دون سيدة موقرة، لكن ليس من الجيد أن يسعى القوم باحثين عن موطن جديد في وضع متأزم كهذا"
تحرك الحشد حركة مضطربة، وتموجت فيه الهمسات وتيارات القلق.
قال ستيلجار: "وكي لا يحدث هذا فإن السيدينا الجديدة، جيسيكا المقاتِلة العجائبية، قد وافقت على الالتحاق بالرتبة الطقسية الآن. ستحاول أن 'تعبر داخليا' كي لا نفقد القوة التي تمنحها لنا سيدتنا الموقرة"
فكرت جيسيكا: جيسيكا العجائبية.
رأت بولس يحدق فيها وعيناه ممتلئتان بالأسئلة، لكن فمه مغلق في صمت بسبب كل ما يدور حوله من أمور غريبة.
سألت جيسيكا نفسها: إن مت خلال المحاولة، ماذا سيكون مصيره؟
ومن جديد شعرت بالشكوك تملأ عقلها.
قادت شاني السيدة الموقرة العجوز لمقعد صخري منحوت في عمق التجويف الصوتي، وعادت لتقف جوار ستيلجار.
قال ستيلجار: "وكي لا نخسر كل شيء إن فشلت جيسيكا العجائبية، فإن شاني بنت ليات سيتم ترسيمها في رتبة كاهنات السيدينا الآن"
وخطا جانبا مسافة خطوة واحدة. سمعوا صوت المرأة العجوز صادرا من التجويف الصوتي الغائر كهمسة مكبرة، خشنة ونافذة: "قد عادت شاني من هجرتها.. قد رأت شاني المياه"
ارتفعت من الحشد إجابة هامسة: "لقد رأت المياه"
قالت العجوز بصوتها المبحوح: "ها أنا أقوم بترسيم ابنة ليات كواحدة من السيدينا"
أجاب الحشد: "قد قبلناها"
لم يصغ بولس للمراسيم بانتباه، حيث كان انتباهه لا زال منصبا على ما قيل بشأن أمه.
إن فشلت؟
التفت ونظر لمن يطلقون عليها لقب السيدة الموقرة، مدققا في الملامح الجافة العجوز، ولون عينيها الأزرق الذي يبدو بلا قعر. بدا وكأن مجرد نسيم عابر بإمكانه أن يوقعها أرضا، ومع ذلك كان يشع منها شيء يوحي بأنها قد تنجح في الوقوف في مسار عاصفة كوريولِس دون أن تؤثر عليها. كان لها نفس هالة القوة التي يتذكر رؤيتها في السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم، التي

اختبرته بعذاب الألم بطريقة الجوم-جبار.
قالت العجوز: "أنا، السيدة الموقرة رامَلّو، والتي ينطق صوتها بأصوات غفيرة، أقول لكم هذا: دخول شاني في رتبة السيدينا مقبول"
أجاب الحشد: "مقبول"
أومأت العجوز وهمست: "إني أهبها السماء الفضية، والصحراء الذهبية وصخورها البراقة.. الحقول الخضراء التي ستكون في المستقبل. كل هذا أعطيه للسيدينا شاني. وكي لا تنس أنها خادمة لنا جميعا فإنه سيتم تكليفها بأداء المهام الحقيرة خلال طقس البذر هذا. فلتتم مشيئة شي-خلود"
رفعت ذراعها البني النحيف ثم خفضته.
ألقت جيسيكا نظرة واحدة على وجه بولس الذي تحتشد فيه الأسئلة، إذ شعرت بمراسم الطقس تحيطها، مقتربة منها بتيار يسحبها لما وراء نقطة التراجع.. ثم أعدت نفسها لمواجهة المحنة.
قالت شاني وقد بدا في صوتها الفتي شيء من رعشة التردد: "فليتقدم حفظة المياه"
شعرت جيسيكا بأنها الآن في مركز الخطر، وأحست بوجوده فيما رأته في الحشد من ترقب.. وصمت.
تقدمت فرقة من الرجال عبر طريق ثعباني ملتوٍ قد انفتح وسط الحشد، واقتربوا من الخلف زوجين زوجين. كان كل اثنين منهما يحملان قربة جلدية صغيرة، ربما لا تزيد في حجمها عن ضعف حجم الرأس البشرية.
صدر من القرب صوت رجرجة واضح.
أنزل القائدان الأماميان حملهما على الإفريز قرب قدمي شاني، وتراجعا.
نظرت جيسيكا للقربة ثم للرجال. كانت قلنسواتهم ملقاة للخلف، كاشفة الشعر الطويل المعقود عند أسفل العنق. حدقت فيها تجاويف عيونهم المظلمة دون وجل.
انبعث من القربة عبير قرفة قوي، وصلت رائحته لجيسيكا.
تساءلت: البهار؟
قالت شاني: "هل يوجد ماء؟"
أومأ حافظ المياه الواقف على اليسار مرة. كان رجلا ذا ندبة أرجوانية على أرنبة أنفه.
قال: "يوجد ماء يا سيدينا. لكن لا نستطيع الشرب منه"
قالت شاني: "هل يوجد بذر؟"
قال الرجل: "يوجد بذر"
ركعت شاني على ركبتيها ووضعت يديها على القربة ذات الرجرجة: "مباركٌ هو الماء وبذره"
كان هناك شيء مألوف في الطقس. نظرت جيسيكا خلفها ملقية نظرة على السيدة الموقرة راملو. كانت عينا العجوز مغلقتين وهي تجلس منحنية للأمام وكأنها نائمة.
قالت شاني: "سيدينا جيسيكا"
التفتت جيسيكا فرأت الفتاة تحدق فيها.
قالت شاني: "هل تذوقتِ الماء المبارك؟"
وقبل أن تتمكن جيسيكا من الرد قالت شاني: "لا يمكن أن تكوني قد ذقتِ الماء المبارك. فأنت أجنبية ولم تنالي هذا الشرف"
سرت خلال الحشد تنهيدة، وحفيف أثواب جعل الشعر الذي على مؤخرة عنق جيسيكا يقف.

قالت شاني: "كان النتاج وفيرا، والصانع تم تدميره"
وبدأت تحل رباط أنبوب مثبت بأعلى القرب المترجرجة.
في هذه اللحظة شعرت جيسيكا بمشاعر الخطر تغلي من حولها. رمقت بولس فوجدته منهمكا في متابعة الطقس الغامض، ولا يرفع عينيه عن شاني.
تساءلت جيسيكا: هل سبق وشاهد هذه اللحظة الزمنية؟
وضعت يدها على بطنها، مفكرة في الطفلة الجنينية التي بالداخل، وسألت نفسها: هل يحق لي أن أخاطر هكذا بحياتينا؟
رفعت شاني فم القربة إلى جيسيكا وقالت: "ها هو ماء الحياة.. الماء الذي هو أعظم من الماء العادي.. الكان Kan .. الماء الذي يحرر الروح. إن قُدِّر لك أن تصبحي سيدة موقرة فسيفتح هذا الماء الكون أمامك. لندع شي-خلود يقضي الآن في الأمر"
شعرت جيسيكا بأنها ممزقة ما بين واجبها نحو طفلتها التي لم تولد بعد وبين واجبها نحو بولس. كانت تعلم أنه - لأجل بولس - عليها أن تلتقط هذا الأنبوب وأن تشرب من محتويات القربة. لكن بينما هي تقترب بفمها من الأنبوب المقدم لها أخبرتها حواسها بما فيه من هلاك.
كان للمادة الموجودة بالقربة رائحة مرة تقترب من رائحة الكثير من السموم التي تعرفها، لكنها - في الوقت ذاته - تختلف عنهم.
قالت شاني: "عليك أن تشربيها الآن"
ذكّرت جيسيكا نفسها: لا مجال للتراجع.
لكن لم يخطر بذهنها أي شيء مما تعلمته كبني-جيزيرت قد يساعدها على تخطي هذه اللحظة.
سألت جيسيكا نفسها: ما هذه المادة؟ شراب مسكر؟ عقار مخدر؟
مالت على الأنبوب فشمت رائحة القرفة الفواحة، متذكرة حالة السكر التي كان عليها دنكن أيداهو.
سألت نفسها: هل هو خمر البهار؟
التقطت أنبوب المص بفمها، وسحبت رشفة بالغة الصغر. كانت بطعم البهار، ولها على اللسان أثر حرّيف لاذع خفيف.
ضغطت شاني على القربة الجلدية، فضخت جرعة كبيرة من المادة إلى فم جيسيكا، والتي ابتلعتها رغما عنها، وهي تكافح للحفاظ على هدوئها ووقارها.
قالت شاني: "إن القبول بالدخول في حالة الموت الصغير لهو مصير أسوأ من الموت نفسه"
وصوبت النظر لجيسيكا، منتظرة.
ردت عليها جيسيكا التحديق بتحديق، وهي لا تزال واضعة الأنبوب في فمها. شعرت بطعم محتويات القربة في فتحتي أنفها، وفي سقف حنكها، وفي وجنتيها وعينيها.. وكان الطعم الآن له حلاوة لاذعة. وبارد.
ومرة أخرى جعلت شاني السائل يتدفق لداخل فم جيسيكا.
لطيف المذاق.
دققت جيسيكا في وجه شاني، وملامحه الفاتنة، ورأت فيه آثارا من ملامح ليات-كاينز لم يقم مرور الزمن بتثبيتها بعد.
أخبرت جيسيكا نفسها: هذا الذي سقوه لي هو عقار مخدر.
لكنه لم يكن يشبه أي عقار سبق لها أن اختبرته، مع أن تدريب البني-جيزيرت يشمل تذوق الكثير من العقاقير.
كانت ملامح شاني بالغة الوضوح، كما لو أنها مضيئة.

عقار.
استقر الصمت العاصف حول جيسيكا. تقبّل كل نسيج في جسدها حقيقة أن شيئا عميقا قد طرأ عليه.
أحست وكأنها هباءة واعية بذاتها.. أصغر من أي جسيم ذري، لكن قادرة على الحركة وعلى الإحساس بما حولها.
وفي كشف مفاجئ، وكأن الحُجب قد أزيحت بقوة، أدركت أنها أصبحت واعية بشيء ممتد من ذاتها له خواص نفس-حركية. لقد كانت هي الهباءة، مع أنها - في الوقت ذاته - ليست الهباءة.
ظل الكهف موجودا حولها، والناس. شعرت بهم.. ببولس وشاني وستيلجار والسيدة الموقرة راملو.
السيدة الموقرة!
في المدرسة كانت تتردد شائعات أن البعض لم ينجحن في البقاء أحياء عند مرورهن بمحنة الترقي لرتبة السيدات الموقرات، وأن العقار قد قضى عليهن.
ركزت جيسيكا انتباهها على السيدة الموقرة راملو، وقد أصبحت واعية الآن لحقيقة أن كل هذا يحدث في لحظة زمنية مجمدة.. زمن تم إيقافه من أجلها هي فقط.
سألت نفسها: لماذا توقف الزمن؟
حدقت في تعابير الوجوه المجمدة الظاهرة من حولها، فرأت ذرة غبار فوق رأس شاني، متوقفة في مكانها في الهواء. منتظرة.
جاءتها الإجابة كانفجار حدث في وعيها. إن زمنها الشخصي تم إيقافه لإنقاذ حياتها.
ركزت على امتداد ذاتها النفس-حركي، باحثةً داخلها، فواجهها على الفور لب خلوي.. حفرة من السواد تراجعت هي خائفة منها.
فكرت: إنه المكان الذي لا يمكننا النظر له. إنه المكان الذي تتحاشى السيدات الموقرات ذكره.. المكان الذي لا يستطيع أن ينظر إليه سوى الكويزاتس هاديراك.
إدراك هذا الأمر أعاد لها شيئا من الثقة، ومن جديد تقدمت كي تركز على الامتداد النفس-حركي، وتحولت لهباءة ذاتية مفتشةً داخلها عن الأخطار.
عثرت على الخطر في العقار الذي ابتلعته.
كانت المادة التي بداخلها هي عبارة عن جسيمات ذرية متراقصة، حركتها سريعة للغاية لدرجة أن الزمن المتجمد لم يستطع إيقافها. بدأت تتعرف على هياكل بنائية مألوفة، وعلى روابط ذرية. ذرة كربون هنا.. شريط حلزوني مضطرب الحركة.. جزيء جلوكوز. رأت أمامها سلسلة كاملة من الجزيئات، فتعرفت على أحد البروتينات.. بروتين مركب من الميثيل.
آاه!
كانت هذه تنهيدة ذهنية داخلها، معدومة الصوت، صدرت عنها لما فهمت طبيعة السم.
باستخدام مجسها النفس-حركي انتقلت إليه، وغيرت موضع ذرة أكسجين، وسمحت لذرة كربون أخرى بتكوين رابطة، وأعادت وصل رابطة أكسجينية.. ثم هيدروجين.
انتشر التغيير.. بشكل أسرع وأسرع، إذ كان تأثير التحفيز يفتح مزيدا من مساحات السطح المتأثر. أرخى إيقاف الزمن قبضته عليها وبدأت تشعر بالحركة. كان الأنبوب الخارج من فم القربة ملامسا لفمها، برفق، ويلتقط منها قطرة رطبة.
فكرت جيسيكا: شاني تأخذ العامل الحفاز من جسدي كي تقوم بتغيير تركيب السم الموجود بهذه القربة.
لماذا؟

قام شخص بإسنادها كي تجلس. ورأتهم يقومون بإحضار السيدة الموقرة العجوز، راملو، كي تجلس بجانبها على الإفريز المغطى بالسجاد.
لمست رقبتها يد جافة.. فأصبحت هناك هباءة نفس-حركية أخرى داخل وعيها!
حاولت جيسيكا أن تلفظها، لكن الهباءة ظلت تقترب.. وتقترب.
ثم تلامسا!
كانت حالة تجانس مطلقة، وكأنها أصبحت عبارة عن شخصين في نفس الوقت. لا كتوارد تليباثي للخواطر، بل وعي مشترك. مشترك مع السيدة الموقرة العجوز!
لكن جيسيكا رأت أن السيدة الموقرة لم تكن تظن نفسها عجوزا.
انفتحت صورة أمام عين العقل المشترك: فتاة صغيرة ذات نفس متراقصة ومرح رقيق.
وداخل الوعي المشترك قالت الفتاة: "أجل، هكذا أنا في الحقيقة"
كل ما أمكن لجيسيكا أن تفعله هو أن تتقبل الكلمات دون أن تجيب عليها.
قالت الصورة الداخلية: "ستحصلين على كل شيء قريبا يا جيسيكا"
أخبرت جيسيكا نفسها: هذه هلوسة.
قالت الصورة الداخلية: "أنتِ أعقل من أن تظني شيئا كهذا. والآن أسرعي، لا تقاوميني. ليس أمامنا وقت كاف. علينا أ..."
ثم توقفت لفترة طويلة قبل أن تكمل: "كان عليك إخبارنا أنك حامل!"
عثرت جيسيكا على الصوت الذي كان يخاطبها من داخل الوعي المشترك، وقالت: "لماذا؟"
"إن التغيير سيؤثر على كلتيكما! يا للأم المقدسة!.. ما هذا الذي فعلناه؟"
شعرت جيسيكا بإزاحة قوية في الوعي المشترك، ورأت - بالعين الداخلية - هباءة أخرى موجودة.
كانت الهباءة الأخرى تثب هنا وهناك، وتدور في دوائر. ومنها كان يشع شعور هائل بالرعب.
قالت صورة السيدة الموقرة العجوز: "عليك أن تكوني قوية. كوني شاكرة لكون ما تحمليه هو ابنة. لو كان الجنين ذكرا لتسبب هذا في قتله. والآن.. بحرص وبرفق المسي حضور ابنتك. كوني حضور ابنتك. امتصي الرعب.. هدئيها.. استخدمي شجاعتك وقوتك.. برفق.. برفق"
طارت الهباءة الأخرى المضطربة واقتربت منها، وأرغمت جيسيكا نفسها على مسها.
أوشك الهلع أن يطغى عليها. حاربته بالطريقة الوحيدة التي تعرفها:
"يجب ألا أخاف. الخوف قاتل للعقل..."
جلبت الاستعاذة شيئا من الطمأنينة. رقدت الهباءة الأخرى جوارها بهدوء.
أخبرت جيسيكا نفسها: الكلمات وحدها لن تفلح.
نزلت لمستوى ردود الأفعال العاطفية الأساسية، وشع منها حب وطمأنة واحتضان حماية دافئ.
تراجع الهلع.
ومن جديد أظهر وعي السيدة الموقرة العجوز نفسه، لكن الآن أصبح الوعي المشترك ثلاثي الأجزاء.. اثنين نشطين وثالث يرقد في صمت ليمتص.
قالت السيدة الموقرة داخل الوعي المشترك: "ضيق الوقت يجبرني على الإسراع. عندي الكثير لأعطيه لك. ولا أدري إن

كانت ابنتك يمكنها استقبال كل هذا دون أن يصيبها الجنون. لكن يجب للأمر أن يتم.. احتياجات القبيلة تفوق كل شيء"
"ماذا..."
"ابقي صامتة واستقبلي ما سيأتيكِ"
بدأت الخبرات تتكشف أمام جيسيكا. كان الأمر يشبه محاضرة فيلمية على شاشة عارض لا شعورية في مدرسة البني-جيزيرت، لكن أسرع..
سرعة خاطفة. ومع ذلك.. واضحة.
كانت تفهم كل خبرة أثناء حدوثها.
كان هناك عاشق.. مكتمل الذكورة.. ملتح.. وله عيون الفريمن. رأت جيسيكا قوته ورقته.. كل صفاته.. في لحظة خاطفة، من خلال ذاكرة السيدة الموقرة. لم يكن هناك وقت للتفكير في الأثر الذي قد يحدثه هذا في الطفلة الجنينية.. الوقت المتاح الآن يجب أن يكون للاستقبال والتسجيل.
انهمرت الخبرات على جيسيكا. ولادة، حياة، موت.. أمور مهمة وأخرى غير مهمة.. تدفق لزمن شخصي أحادي الرؤية.
سألت نفسها: لماذا يعلق بالذاكرة شيء مثل ذكرى سقوط بعض الرمال من قمة جرف؟
فهمت جيسيكا ما يحدث، لكن بعد أن كان الوقت قد تأخر.. إن العجوز تحتضر، وخلال موتها تصب خبراتها في وعي جيسيكا كما يصب الماء في الكوب.
الهباءة الأخرى تراجعت ذائبة في وعيها ما قبل الولادي بينما كانت جيسيكا تشاهدها.
وتركت السيدة الموقرة العجوز حياتها في ذاكرة جيسيكا - أثناء احتضار الولادة - ومعها تنهيدة أخرى تحمل معها كلمات مسرعة بشكل ضبابي.
قالت: "لقد انتظرتك طويلا. ها هي حياتي"
وها هي حياتها كلها، في كبسولة. حتى لحظة الموت كانت موجودة ضمنها.
وأدركت جيسيكا: لقد صرت الآن سيدة موقرة.
وعلمت أنها قد أصبحت - بشكل عام - ما يجب أن تكون عليه السيدات الموقرات من البني-جيزيرت بالضبط.
السم الذي في العقار قد غيّر كيانها.
كانت تعلم أن هذه الطريقة تختلف عن الطريقة المتبعة في مدارس البني-جيزيرت. ومع أنه لم يقم أي شخص بإخبارها بتفاصيل الطريقة الغامضة إلا أنها كانت تعلم. المحصلة النهائية للطريقتين كانت واحدة.
أحست جيسيكا بأن هباءة الابنة لا تزال ملامسة لوعيها الداخلي، فجستها لكن لم تتلق ردا.
خيم على جيسيكا إحساس رهيب بالوحدة لما أدركت ما حدث لها. رأت أن حياتها كانت عبارة عن شكل قد تباطئ ثم تسارعت الحياة من حولها، فأصبح التفاعل الراقص أوضح.
إحساسها بأنها هباءة واعية تلاشى بعض الشيء، وخفت حدته بينما تراخى جسدها عندما زال تهديد السم، لكنها كانت لا تزال تشعر بتلك الهباءة الأخرى.. فمستها وهي تشعر بشيء من الذنب لما سمحت بأن يحدث لها.
أنا من فعلتها يا ابنتي الصغيرة العزيزة المسكينة، يا من لم تتشكلي بعد. جئت بك لهذا الكون وعرّضت وعيك لكل تنوعاته دون أن يكون لديك أي وسيلة دفاع.
ومن الهباءة الأخرى صدرت دفقة صغيرة من الحب والطمأنة، وكأنها انعكاس لما صبته هي فيها.
قبل أن تتمكن جيسيكا من الإجابة شعرت بحضور 'الأدب'، الذكرى التي تقتحم ذهنك دون استئذان.

كان هناك شيء يجب فعله. حاولت الإمساك به، لكن أدركت أن العقار بعد تغييره يسيطر على حواسها بتخديره، ويعيقها.
فكرت: بإمكاني أن أغير هذا. بإمكاني أن أعدل تأثير العقار وأن أجعله غير مؤذ إطلاقا. لكنها شعرت أن هذا الفعل سيكون غلطة. فأنا في طقس انضمامي.
ثم علمت ما الذي يجب عليها أن تقوم به.
فتحت جيسيكا عينيها وأشارت لقربة الماء التي تمسكها شاني أمامها، وقالت: "لقد تمت مباركته. اخلطوا الماء.. دعوا التغيير يصل للجميع، كي يشترك الناس في البركة ويتقاسموها"
وفكرت: دع العامل الحفاز يقوم بعمله. فليشرب الناس منه كي يشتد وعيهم ببعضهم البعض لفترة من الزمن. فالعقار آمن الآن.. إذ قامت سيدة موقرة بتغييره لهم.
ومع ذلك كانت الذاكرة الملحة مستمرة في وخزها. أدركت أن هناك شيئا إضافيا عليها أن تقوم به، لكن تأثير العقار جعل التركيز صعبا.
أها.. السيدة الموقرة العجوز.
قالت جيسيكا: "لقد قابلتُ السيدة الموقرة راملو. لقد رحلتْ، لكنها لا تزال موجودة. فلنكرم ذكراها خلال الطقس"
وتساءلت جيسيكا متعجبة: من أين يا ترى جاءتني هذه الكلمات؟
ثم أدركت أنها قد جاءتها من ذاكرة أخرى. من الحياة التي أعطيت لها وأصبحت الآن جزءا منها. إلا أن شيئا ما بشأن هذه المنحة بدا غير مكتمل.
قالت الذاكرة الأخرى بداخلها: "دعيهم يمارسوا طقس الجنس الجماعي. فمتعهم الحياتية قليلة. أجل، فأنا وأنت بحاجة لهذا الوقت القصير كي نتعرف إحدانا على الأخرى قبل أن أتراجع وأنسل من ذاكرتك. إني بالفعل بدأت أشعر بنفسي ترتبط بأجزاء منك. آه، إن عقلك زاخر بالأشياء المثيرة للاهتمام. الكثير من الأشياء التي لم يسبق لي تخيلها"
وفتحت الذكريات العقلية المجموعة داخلها نفسها لجيسيكا، سامحة لها بالنظر لرواق متسع يؤدي لسيدات موقرات أخريات، في سلسلة بدت وكأنها تمتد إلى الما لا نهاية.
تراجعت جيسيكا، وقد خشت أن تضيع ذاتها وسط محيط من الاتحاد. لكن الرواق ظل موجودا، كاشفا لجيسيكا أن الثقافة الفريمنية كانت أقدم كثيرا مما كانت تظن.
رأت أنه كان هناك فريمن في السابق على كوكب بوريترن.. قوم أصابتهم الرخاوة بسبب طبيعة كوكبهم الميسرة، فأصبحوا طريدة سهلة للغزاة الإمبراطوريين الذين حصدوهم وزرعوهم كمستعمرات بشرية على بيلا تيجيوس وسالوسا سيكوندس.
ويا للنحيب الذي شعرت به جيسيكا أثناء مغادرتهم هذه!
في الطرف البعيد للرواق صرخ صوت مجسد، قائلا: "لقد منعونا من أداء الحج Hajj!"
على امتداد هذا الرواق رأت جيسيكا أكواخ العبيد على بيلا تيجيوس، وعمليات الفرز والاختيار وتقتيل السلالات الضعيفة، والتي وزعت الناس على روسّاك وهارمونثب.
انفتحت أمامها مشاهد شراسة وحشية، كبتلات زهرة شنيعة. ورأت خيط الماضي تحمله سيدينا بعد سيدينا.. في البداية عن طريق النقل الشفهي، في شكل معانٍ مخفية في أناشيدهم الصحراوية، ثم بصورة أوضح - على يد سيداتهم الموقرات - عندما اكتشفوا العقار السام على كوكب روساك..
والآن عبر تحسين زاده قوة على أراكس عند اكتشاف ماء الحياة.
ومن مكان بعيد قرب نهاية الرواق صرخ صوت آخر: "لن ننس أبدا! لن نسامح أبدا!"

لكن انتباه جيسيكا كان منصبا على ما انكشف لها بشأن ماء الحياة.. إذ رأت مصدره:
زفير سائل يخرج من دودة الرمال - الصانع - عند احتضارها.
وعندما رأت عملية قتلها في ذاكرتها الجديدة كتمت شهقة كادت تصدر منها.
إن المخلوق يتم إغراقه!
"أمي، هل أنت بخير؟"
اقتحم صوت بولس وعيها، وجاهدت جيسيكا كي تخلص نفسها من الوعي الداخلي وترفع رأسها لتحدق فيه، مدركة ما عليها ناحيته من واجب، لكن نافرة من وجوده.
إني كشخص جُعلت يداه مخدرتين دون إحساس منذ لحظة وعيه الأولى.. إلى أن تم إجباره يوما ما على الإحساس فجأة.
تعلقت الفكرة بذهنها، كوعي يحيط بها تمام الإحاطة.
وكأني أقول: "انظروا! ليست عندي أيادي!"، لكن كل الناس من حولي يقولون: "ما معنى كلمة أيادي؟"
كرر بولس: "هل أنت بخير؟"
"أجل"
أشار للقربة الموجودة بين يدي شاني: "هل يصلح هذا لأن أشرب منه؟ إنهم يريدون مني أن أشرب منه"
سمعت المعنى الخفي لكلماته، وأدركت أنه تبين وجود السم في المادة الأصلية قبل تغييرها. وأنه كان خائفا عليها.
خطر لجيسيكا في تلك اللحظة أن تفكر في محدودية قدرات بولس الاستبصارية. فإن سؤاله قد كشف لها الكثير.
قالت: "بإمكانك أن تشرب. لقد تم تغييره"
ونظرت لما وراءه فرأت ستيلجار يحدق فيها، والعينين الداكنتين تفحصانها.
قال: "والآن قد علمنا أنك لست مزيفة"
شعرت في هذا أيضا بمعنى خفي، لكن التشويش الذهني الناتج عن العقار كان متغلبا على حواسها.
كم كان دافئا ومثيرا للطمأنينة! ما أكرم هؤلاء الفريمن الذين ضموها لرفقة كتلك الرفقة!

رأى بولس العقار وهو يسيطر على أمه.
بحث في ذاكرته.. في الماضي الثابت، وفي المسارات المستقبلية السائلة. كان الأمر كمطالعة فاحصة للحظات زمنية متوقفة، مسببة الإزعاج لعدسة العين الداخلية. كانت النتف المتفرقة صعب فهمها عندما يتم إخراجها من سياق التيار المتدفق.
هذا العقار.. كان بإمكانه جمع معلومات عنه، وأن يفهم ما يفعله بأمه.. لكن المعلومات كانت مفتقدة للإيقاع الطبيعي.. مفتقدة لنظام ناتج عن التأمل المتبادل. وأدرك عندها فجأة أن رؤية الماضي بحيث يحتل الحاضر هي شيء سهل، أما الاختبار الحقيقي للقدرة الاستبصارية هو أن ترى الماضي في المستقبل.
فإن الأشياء حينئذ تستمر بالظهور على غير ما هي عليه.
قالت شاني: "اشرب منه"، ولوحت بفم قربة الماء تحت أنفه.
شد بولس قامته وصوب النظر لشاني. كان يشعر في جو الحضور بإثارة ترفيهية. كان يعلم ماذا سيحدث إن شرب مخدر البهار هذا، بما يحويه من جوهر مركز من المادة التي أثارت فيه التغير الإدراكي.
سيعود لحالة الرؤية الزمنية النقية.. رؤية الزمان كمكان. ستجعله المادة يجثم فوق القمة العالية المصيبة بالدوار، وستتحداه أن يفهم.

من خلف شاني قال ستيلجار: "اشرب يا فتى. إنك تعطل تأدية الطقس"
وهنا أصغى بولس للحشد، سامعا البربرية في أصواتهم. كانوا يقولون: "لسان الغيب. المؤدب!"
هبط ببصره لينظر لأمه، فبدت في وضعها الجالس وكأنها نائمة نوما هادئا.. تنفسها منتظم وعميق.
جاءت لذهنه جملة من المستقبل الذي كان أيضا ماضيه المصيب بالوحدة: "إنها تنام في ماء الحياة"
جذبته شاني من كمه. وضع بولس فم القربة على فمه، سامعا صياح الناس. أحس بالسائل يتدفق عبر حلقه إذ ضغطت شاني على القربة، وشعر بدوار في البخار المتصاعد. أبعدت شاني الأنبوب وناولت القربة للأيدي التي امتدت تمسك بها من أرضية الكهف.
ركز عينيه على ذراعها، وعلى شريط الرثاء الأخضر المربوط عليه.
بينما هي تنهض رأت شاني اتجاه نظرته، فقالت: "بإمكاني أن أرثاه حتى أثناء السعادة التي تجلبها المياه. فقد كان هذا من الأشياء التي علمنا إياها"
وضعت يدها في يده وجذبته على طول الإفريز.
"نحن متشابهان في شيء يا أصول. كلانا فقد أبا بسبب الهاركونن"
تبعها بولس. شعر أن رأسه قد انفصلت عن جسده ثم أعيدت بروابط غريبة. شعر أن رجليه بعيدتان وأشبه بالمطاط.
دخلا ممرا جانبيا ضيقا، جدرانه مضاءة بضوء خافت صادر عن كرات إنارة موزعة على مسافات بعيدة عن بعضها البعض.
شعر بولس بالمخدر يبدأ في إحداث تأثيره الفريد عليه.. فاتحا الزمن كالزهرة. أحس بالحاجة للاستناد على شاني وهما يميلان داخلين نفقا مظلما آخر.
ثار دمه بسبب خليط النعومة والعضلات المجدولة الذي أحس بوجوده تحت ثوبها.
امتزج الإحساس بتأثير العقار، طاويا المستقبل والماضي على الحاضر، تاركا له هامشا ضئيلا من التركيز ثلاثي الأعين.
همس: "إني أعرفك يا شاني. لقد جلسنا على إفريز فوق الرمال بينما كنت أهدئ مخاوفك. لقد تعانقنا في ظلمة السياتش. لقد..."
وجد أنه يفقد تركيزه، فحاول أن ينفض رأسه، فتعثر. أسندته شاني، وقادته خلال ستائر سميكة إلى الدفء الأصفر لحجرة خاصة..
مناضد واطئة، ووسائد، وحشايا للنوم تعلوها ملاءة برتقالية.
انتبه بولس إلى أنهما قد توقفا، وأن شاني تقف في مواجهته، وأن عينيها فضحتا نظرة رعب هائل.
همست: "يجب أن تخبرني"
قال: "أنت سِهايا Sihaya.. ربيع الصحراء"
قالت: "عندما تتشارك القبيلة في ماء الحياة نصبح معا.. كلنا نفس الشخص. نتقاسم. بإمكاني أن أشعر بالآخرين معي، لكني خائفة من مشاركتك"
"لماذا؟"
حاول أن يركز عليها، لكن الماضي والمستقبل كانا يندمجان في الحاضر، مما شوش صورتها.
رآها في مئات الطرق والأماكن والمواقف.
قالت: "هناك شيء بك يثير الخوف. عندما أخذتك بعيدا عن الآخرين فإني قمت بهذا لأني شعرت بما أرادوه. فأنت.. تضغط بكيانك على الناس. تجعلنا.. نرى أشياء!"

أرغم نفسه على الكلام بوضوح: "وماذا ترين؟"
هبطت ببصرها ليديها: "أرى طفلا.. بين ذراعي. طفلنا، أنا وأنت"
وضعت يدها على فمها: "ما تفسير أني أعرف بالفعل كل صفة من صفات جسدك؟"
أخبره ذهنه: إنهم يتمتعون بقدر من موهبة الاستبصار. يكبتونها لأنها تخيفهم.
في لحظة وضوح رأى أن شاني ترتجف.
قال: "ما الذي ترغبين في قوله؟"
همست: "أصول"، وكانت لا تزال ترتجف.
قال: "لا يمكنك أن تتراجعي للمستقبل محتمية به"
غمره تعاطف عميق تجاهها. جذبها وضمها إليه، وربت على رأسها: "شاني، شاني.. لا تخافي"
صاحت: "أصول، ساعدني"
وبينما هي تتكلم أحس بالعقار يتم عمله داخله، ممزقا الحجب كي يتيح له رؤية الاضطراب الرمادي البعيد الواقع في مستقبله.
قالت شاني: "إنك هادئ للغاية"
أرغم نفسه على الوقوف متزنا وسط الوعي الإدراكي، مشاهدا الزمن يمتد في بُعده العجيب، متزنا بدقة لكن في حركة عصف دائم.. ضيقا لكن منشورا كشبكة تجمع عوالم وقوى لا حصر لها.. حبل رفيع ينبغي أن يسير عليه، لكنه أيضا كأرجوحة وقف عليها متزنا.
على أحد الجانبين كان باستطاعته رؤية الإمبراطور، وأحد آل هاركونن يسمى فايد-راوثا ينقض عليه كنصل قاتل، والساردوكار المنطلقين من كوكبهم في غضب كي ينشروا المذابح على أراكس، ونقابة الفضاء تحيك المكائد وتدبر الخطط، والبني-جيزيرت بخططهن الخاصة بالتناسل الانتقائي.
تجمعوا في كتلة على خط أفقه وكأنهم صاعقة رعدية، ولا يمنعها سوى الفريمن ومؤدبهم.. والفريمن - العملاق النائم - متأهبون لشن حملاتهم العسكرية الشرسة عبر أرجاء الكون.
وشعر بولس بأنه في المنتصف، عند المحور الذي يدور عليه الهيكل كله، يسير على حبل السلام الرفيع، ويشعر بقدر من السعادة، وشاني بجانبه.
كان بإمكانه أن يراه ممتدا أمامه.. فترة هدوء نسبي، في سياتش خفي.. لحظة طمأنينة بين فترات العنف.
قال: "ليس للطمأنينة مكان آخر"
همست شاني: "أصول، إنك تبكي. أصول، يا قوتي.. هل تمنح ماء للموتى؟ لموتى من؟"
قال: "لناس لم يموتوا بعد"
قالت: "إذن دعهم يعيشوا فترة حياتهم"
أحس - خلال ضباب المخدر - بمدى صحة كلامها، فضغطها قرب جسده بعنف وحشي وقال: "سهايا!"
وضعت راحة يدها على وجنته: "لم أعد خائفة يا أصول. انظر لي. إني أرى ما ترى عندما تمسكني هكذا"
قال: "وما الذي ترينه؟"
"أرانا نتطارح الغرام في وقت هدوء يتخلل أوقات العواصف. هذا هو ما كُتب لنا أن نفعله"
غمره تأثير المخدر مرة أخرى، ففكر: مرات كثيرة وهبتيني الراحة والسلوان.
وشعر من جديد بالإشراق الإدراكي الفائق، وصورته الزمنية البارزة. وشعر بمستقبله يصبح ذكريات..

الإهانات الرقيقة المصاحبة للحب الجسدي.. مشاركة الذات واتحادها.. الرقة والعنف.
تمتم: "أنت القوية فينا يا شاني. ابقي معي"
قالت: "للأبد"، وقبّلت وجنته.

القسم الثالث

النبي

الفصل 38

"لم يرتبط أبي بعلاقة شخصية عميقة مع أي شخص، سواء امرأة أو رجل أو طفل. أقرب إنسان يمكن أن يوصف بأنه كان صديقا - بدرجةٍ ما - للإمبراطور الباديشي هو الكونت هازمير فينرنج.. أحد رفاقه من أيام الطفولة.
ظهر دليل صداقة الكونت فينرنج لأبي متجسدا في فعلين، الأول منهما هو فعل إيجابي: أنه قد سكّن شكوك مجلس اللاندسراد والتي طرأت بعد حادثة أراكس. قالت أمي أن هذا الأمر قد كلفه دفع رشاوي بهار تفوق قيمتها المليار سولاريس، بالإضافة لهدايا أخرى: إماء، وألقاب ملكية، ومناصب شرفية.
ثاني الأدلة الكبرى على صدق صداقة الكونت كان عبارة عن فعل امتناع سلبي. إذ امتنع عن قتل رجل معين على الرغم من قدرته على ذلك وعلى الرغم من أن أبي قد أمره بقتله.
سأسرد عليكم تفاصيل هذا الموقف بعد قليل"

من كتاب "الكونت فينرنج: حياته"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

سار البارون فلاديمير هاركونن في الرواق القادم من حجراته الخاصة وهو يشيط غضبا، يكاد يطير أثناء مروره خلال بقع ضوء شمس الأصيل المتدفقة من النوافذ العالية. كان جسده يهتز ويتمايل متأرجحا بحركات عنيفة في مضادات الجاذبية التي يرتديها.
انطلق عاصفا، مارا بالمطبخ الشخصي، ثم بالمكتبة، ثم بحجرة الاستقبال الصغيرة، إلى أن دخل حجرة الخدم، والتي كان استرخاء المساء قد حل على أفرادها بالفعل. كان ياكين نيفود، قائد الحرس، جالسا القرفصاء على ديوان Divan في الجهة المقابلة من الحجرة، وحالة الغياب العقلي الناتجة عن مخدر السيموتا بادية على وجهه، وعويل موسيقى السيموتا الغريب يحيط به، وخادمه يجلس قريبا منه منتظرا أي أوامر قد تصدر عنه.
قال البارون بصوت هادر: "نيفود!"
تدافع الرجال مذعورين. نهض نيفود على الفور. كان وجهه هادئا بسبب المخدر لكن تكسوه طبقة من الشحوب أفشت ما يشعر به من خوف.
أما موسيقى السيموتا فقد توقفت.
قال نيفود: "سيدي البارون"، وكان المخدر هو الشيء الوحيد الذي يمنع الارتجاف من الظهور في صوته.
دار البارون بعينيه في الوجوه التي تقف أمامه، متفحصا إياها، مشاهدا عليها نظرات السكون المرعوب.
عاد وركز انتباهه على نيفود، وتكلم بنبرة ناعمة.
"منذ متى وأنت قائد حرسي يا نيفود؟"
ازدرد نيفود لعابه: "منذ حادثة أراكس يا سيدي. أي سنتين تقريبا"

"وهل كنتَ خلال تلك الفترة تعمل حساب كل ما قد يتهددني من أخطار؟"
"كان هذا هو شاغلي الشاغل يا سيدي"
صاح البارون: "فأين فايد-راوثا إذن؟"
انكمش نيفود وقال: "سيدي؟"
ومن جديد عاد الصوت ناعما: "ألا تعتبر فايد-راوثا خطرا على شخصي؟"
رطب نيفود شفتيه بلسانه، وتلاشى بعض خمول السيموتا من عينيه: "فايد-راوثا موجود الآن في حجرات العبيد يا مولاي"
"بالطبع مع النساء مجددا!"
اهتز البارون محاولا كتمان غضبه.
"مولاي، ربما يكون يـ..."
"صمتا!"
تقدم البارون في حجرة المدخل بمقدار خطوة أخرى، ملاحظا أن الرجال قد تراجعوا، مفسحين حول نيفود مكانا بطريقة لا شعورية، بحيث يفصلون أنفسهم عن الشخص محط الغضب.
قال البارون: "ألم أوجه لك أمرا بأن تكون دائما على علم بمكان النا-بارون طوال الوقت وبدقة؟"
واقترب متقدما خطوة أخرى.
"وألم أقل لك أن تكون على علم بكل كلمة يقولها النا-بارون، بصورة مستمرة، ومع من يتكلم؟
خطوة أخرى.
"وألم أخبرك بأن عليك إخباري بالأمر كلما دخل حجرات الإماء؟"
ابتلع نيفود ريقه، وبرزت حبات العرق على جبهته.
جعل البارون صوته فاترا، يكاد يخلو من نبرات: "ألم آمرك بكل هذا؟"
أومأ نيفود إيجابا.
"وألم أقل لك أن تفحص كل الغلمان الأرقاء الذين يتم إحضارهم لي، وأنه عليك القيام بهذا بنفسك.. شخصيا؟"
ومن جديد أومأ نيفود.
قال البارون: "وهل فاتك الانتباه للطخة الموجودة على نخذ الغلام الذي أُرسل لي هذه الليلة؟ هل من الممكن أنك قـ..."
"عمي"
التفت البارون بسرعة وحدق في فايد-راوثا الواقف عند الباب.
حضور ابن أخيه هنا في هذه اللحظة، ونظرة التعجل التي لم ينجح الشاب في إخفائها من على وجهه، كشفا له الكثير.
إن فايد-راوثا يملك منظومة جواسيسه الخاصة المنصبة على مراقبة البارون.
قال البارون: "توجد في حجرتي جثة أريدكم أن تزيلوها"، وأبقى يده على السلاح القاذف الموجود تحت ردائه، ممتنا لأن درعه من أفضل أنواع دروع الطاقة.
رمق فايد-راوثا الحارسين الواقفين عند الحائط الأيمن، وأومأ لهما. تحرك الاثنان خارجين من الباب ومنطلقين عبر الردهة ناحية حجرات البارون.
فكر البارون: هذان الاثنان إذن؟.. هاه، لا زال أمام هذا العفريت الصغير الكثير ليتعلمه عن التآمر!
قال البارون: "أتوقع أن الأمور كانت هادئة عندما غادرت حجرات العبيد"

قال فايد-راوثا: "لقد كنت ألعب لعبة خوفو مع القهرمان"
وفكر: لماذا فشل الأمر؟ واضح أن الغلام الذي أرسلناه لعمي قد قُتل، مع أنه كان مناسبا للمهمة تمام المناسبة! حتى حواط نفسه ما كان ليختار شخصا أفضل. لقد كان الغلام ممتازا!
قال البارون: "تلعب شطرنج هرمي؟ يا له من شيء لطيف. هل ربحت؟"
"إني.. آه، أجل يا عمي"، وجاهد فايد-راوثا كي يخفي قلقه.
فرقع البارون أصابعه وقال: "نيفود، أترغب في استعادة رضاي عليك؟"
ارتعش نيفود: "مولاي، ما الخطأ الذي قمتُ به؟"
قال البارون: "لم يعد هذا مهما الآن.. ففايد قد هزم القهرمان في لعبة خوفو. هل سمعت هذا؟"
"أجل.. يا مولاي"
قال البارون: "أريدك أن تصطحب معك ثلاثة رجال وأن تذهب للقهرمان المسؤول عن العبيد. اخنق القهرمان، وأحضر جثته لي عندما تنتهي كي أتأكد من أن الأمر قد تم كما أريد. فلا يمكن أن نسمح بوجود موظفين عندنا على هذه الدرجة من عدم الكفاءة في الشطرنج"
ظهر الشحوب على فايد-راوثا وتقدم خطوة للأمام: "لكن يا عمي، أنا..."
قال البارون وهو يشيح بيده: "فيما بعد يا فايد.. فيما بعد"
عاد الحارسان - اللذان تم إرسالهما لحجرات البارون - يترنحان حاملين جثة الغلام العبد بينهما عبر باب الحجرة، وحملهما مرتخ بينهما وذراعاه مجرورة على الأرض.
شاهدهما البارون إلى أن تواريا عن الأنظار.
خطا نيفود مقتربا من البارون: "أترغب في أن أقتل القهرمان الآن يا سيدي؟"
قال البارون: "الآن. وعندما تنتهي أضف لقائمتك هذين الاثنين اللذين مرا للتو. لا تعجبني الطريقة التي كانا يحملان بها تلك الجثة. على المرء أن يؤدي هذه الأمور بإتقان. وأريد أن أرى جثتيهما أيضا"
قال نيفود: "سيدي، هل السبب هو أي شيء قمت أنا بـ..."
قال فايد-راوثا: "افعل ما أمرك سيدك به"
وفكر: كل ما أطمح إليه الآن هو أن أنفد بجلدي.
فكر البارون: جميل!.. إنه يعرف كيف يقلل خسائره.
وابتسم البارون لنفسه في باطنه، مفكرا: الفتى يعرف أيضا ما الذي سيرضيني، وسيحرص على تجنب أن يصيبه غضبي. فهو يعلم أني مضطر للإبقاء على حياته. فمن عندي غيره يصلح لخلافتي فيما سأتركه يوما ما؟ لا أملك شخصا يساويه في الكفاءة. لكن يجب عليه أن يتعلم! ويجب أن أحافظ على حياتي إلى أن يتم تعليمه.
أشار نيفود لرجال كي يأتوا معه لمساعدته، وقادهم عبر الباب.
قال البارون: "هلا رافقتني لحجرتي يا فايد؟"
قال فايد-راوثا: "أنا طوع أمرك"، وانحنى مفكرا: وقعت.
قال البارون: "من بعدك"، وأشار ناحية الباب.
لم يظهر أثر الخوف الذي يشعر به فايد-راوثا إلا في تردده الطفيف. سأل نفسه: هل فشلت بشكل كامل؟ هل سيغرز في ظهري نصلا مسموما.. مارا من الدرع ببطء؟ هل عنده ولي عهد بديل؟

فكر البارون بينما كان يسير خلف ابن أخيه: دعه يعيش لحظة الرعب هذه. سيخلفني في الحكم، لكن في الوقت الذي أختاره أنا. فلن أسمح له بتضييع ما بنيته!

حاول فايد-راوثا ألا يسرع في السير. أحس بشد الجلد على ظهره كما لو أن جسده نفسه يتساءل متى ستأتي الضربة. أخذت عضلاته تنقبض وتنبسط في حركة متبادلة.

قال البارون: "هل سمعت آخر الأخبار الواردة من أراكس؟"

"لا يا عمي"

أجبر فايد-راوثا نفسه على ألا ينظر وراءه. عندما خرج من جناح الخدم مال داخلا الردهة.

قال البارون: "ظهر عندهم بين الفريمن نبي جديد أو زعيم ديني من نوع ما. يطلقون عليه اسم 'المؤدب'. شيء مضحك للغاية في الحقيقة. فالكلمة تعني: الفأر. أخبرت رابان أن يسمح لهم بممارسة ديانتهم هذه، إذ ستبقيهم منشغلين"

قال فايد-راوثا: "أمر مثير للاهتمام جدا يا عمي"

ومال داخلا الرواق المؤدي لحجرات عمه وهو يتساءل: لم يتحدث عن الدين الآن؟ هل هي إشارة خفية يوجهها لي؟

قال البارون: "مثير فعلا، أليس كذلك؟"

ولجا حجرات البارون مارين عبر صالون الاستقبال، ثم وصلا لغرفة النوم. ظهرت لهما في المكان آثار صراع خفيف.. مصباح إنارة ليس في موضعه.. إحدى وسائد السرير ملقاة على الأرض.. بكرة مهدئة شريطها مبعثر وملقى على عارضة السرير.

قال البارون: "لقد كانت خطة ذكية"، وتوقف في مواجهة ابن أخيه، مبقيا درعه الشخصي مضبوطا على الدرجة القصوى. "لكنها لم تكن ذكية بما فيه الكفاية. أخبرني يا فايد، لماذا لم توجه لي الضربة بنفسك؟ أتيحت أمامك فرص كثيرة"

عثر فايد-راوثا على مقعد مضاد للجاذبية، وجلس عليه - بهزة كتف ذهنية - دون أن يطلب الإذن.

فكر: الآن علي أن أتشجع.

قال: "لأنك علمتني أن يدي يجب أن تظلا نظيفتين"

قال البارون: "آه، صحيح. عندما تقف أمام الإمبراطور عليك أن تكون قادرا على التحدث - بصدق - قائلا أنك لم تفعل هذه الفعلة. فتلك الساحرة الملازمة للإمبراطور ستكون مصغية لكلماتك وستعلم إن كانت حقيقية أم كاذبة. أجل، لقد حذرتُك من هذا"

قال فايد-راوثا: "لم لم تشتر واحدة من البني-جيزيرت يا عمي؟ فلو كان بجوارك كاهنة كاشفة للأكاذيب في..."

قال البارون في حدة: "أنت تعلم ذوقي تمام العلم!"

تفرس فايد-راوثا في عمه وقال: "لكن حتى على الرغم من هذا فإن واحدة منهن يمكـ..."

قال البارون متهكما: "لا أثق فيهن! وتوقف عن محاولة تغيير الموضوع!"

قال فايد-راوثا بهدوء: "كما تريد يا عمي"

قال البارون: "إني أتذكر موقفا حدث في حلبة القتال منذ عدة سنوات. بدا يومها أن أحد العبيد قد تم تجهيزه بنية قتلك. هل هذه هي حقيقة الأمر؟"

"لقد حدث هذا منذ فترة طويلة يا عمي. فعلى الـ..."

قال البارون: "أرجوك لا تحاول التهرب من السؤال"

وأفشى خفوت صوته أنه كان يكبح ما يشعر به من غضب.

نظر فايد-راوثا لعمه وفكر: إنه يعلم، وإلا لما كان قد سأل هذا السؤال.

"لقد كانت مسرحية مزيفة يا عمي. قمت أنا بتدبيرها كي يصبح قهرمانك محل شك عندك"
قال البارون: "شيء ماهر للغاية. وشجاع أيضا. فالمصارع العبد كاد يقضي عليك بالفعل، أليس كذلك؟"
"أجل"
"لو كنت تتمتع بقدر من الدهاء والمكر يماثل هذه الشجاعة لأصبحت لا يشق لك غبار فعلا"
هز البارون رأسه من جانب لآخر. وكما حدث عدة مرات - منذ ذلك اليوم الرهيب على أراكس - وجد نفسه نادما على خسارته لبايتر، المنتات. فقد كان رجلا داهية يتصف بمهارة شيطانية. لكن على الرغم من هذا فإن هذه الصفة لم تفلح في إنقاذه. ومن جديد هز البارون رأسه. إن القدَر أحيانا يصبح غامضا ومن الصعب فهمه.
أدار فايد-راوثا بصره في أرجاء غرفة النوم، فاحصا آثار العراك، متسائلا: كيف استطاع عمه التغلب على العبد الذي كانوا قد جهزوه بدقة شديدة.
قال البارون: "كيف تغلبتُ عليه؟.. فايد! دعني أحتفظ لنفسي ببعض الأسلحة التي تحميني في سني المتقدم. من الأفضل أن نستغل هذا الوقت لعقد صفقة"
حدق فيه فايد-راوثا. صفقة! إذن ينوي أن يحافظ علي كولي عهده بلا شك. وإلا فلماذا سيعقد صفقة. فالمرء يعقد الصفقات مع الأقران المساوين له في المكانة أو شبه الأقران.
"أي صفقة يا عمي؟"
وشعر فايد-راوثا بالفخر لنجاحه في إبقاء نبرة صوته هادئة وعاقلة، دون أن تفضح شيئا من الابتهاج الذي يغمره.
البارون أيضا انتبه لتحكمه هذا في نفسه، فأومأ إعجابا.
"إنك خامة جيدة يا فايد. وأنا لا أهدر الخامات الجيدة. لكنك مصر على رفضك الانتباه لقيمتي الحقيقية النافعة لك. إنك عنيد.. لا تفهم أهمية حفاظك على حياتي بصفتي شخص ذي نفع هائل لك. إن هذا..."، وأشار لآثار العراك البادية على غرفة النوم، "... كان هذا طيشا أحمق. وأنا لا أعطي مكافآت مقابل الحماقة"
فكر فايد-راوثا: ادخل في الموضوع أيها الأحمق العجوز!
قال البارون: "إنك تظنني عجوزا أحمق. يجب أن أثنيك عن التفكير في بهذه الطريقة"
"لقد ذكرت أمر صفقةٍ ما"
قال البارون: "يا لنفاد الصبر عند الشباب! حسنا، هذه هي خلاصة الأمر: ستتوقف عن محاولاتك الطائشة هذه لقتلي، وفي المقابل سأقوم أنا - عندما تصبح جاهزا للأمر - بالتنازل وترك الحكم لك. سأتنحى لمنصب استشاري، تاركا إياك في مقعد السلطة"
"تتنحى يا عمي؟"
قال البارون: "لا زلت تظنني أحمقا.. وهذه الصفقة قد أكدت لك هذا؟ أتظن أني أتوسل إليك! احترس يا فايد! فهذا الأحمق العجوز قد اكتشف الإبرة المدرعة التي قمت أنت بزراعتها في فخذ هذا الغلام. في المكان الذي سأضع يدي عليه، أليس كذلك؟ مجرد ضغطة بسيطة و.. آي! إبرة مسممة تجرح راحة يد الأحمق العجوز! هاه يا فايد..."
هز البارون رأسه مفكرا: وكان سينجح بالفعل لو لم يكن حواط قد حذرني. دع الفتى يعتقد أني اكتشفت الحيلة بنفسي. وإن نظرت للأمر من وجهة معينة فإني فعلا من اكتشفها.. فقد كنت أنا من أنقذ حواط من حطام أراكس. ويحتاج هذا الفتى إلى أن ينظر لبراعتي بتقدير أكبر.
ظل فايد-راوثا صامتا، مصارعا أفكاره. هل ما أخبرني به حقيقي؟ هل ينوي فعلا أن يتنحى؟

ولم لا؟ فلا شك أني سأخلفه في أحد الأيام، إن تحركت بحرص. فالرجل لن يعيش للأبد. ربما كان طيشا مني أن أحاول تعجيل العملية.
قال فايد-راوثا: "تتحدث عن صفقة. بأي شيء سنتعهد أننا سنلتزم بها؟"
قال البارون: "تقصد كيف لنا أن نثق في بعضنا البعض؟.. حسنا يا فايد، بالنسبة لك فإني سأعين ظوفر حواط ليراقبك. إني أثق بقدرات حواط المنتاتية في هذا الأمر. هل تفهمني؟ أما بالنسبة لي فعليك أن تثق بكلمتي التي أعطيتها لك. خصوصا وأني لن أعيش للأبد يا فايد، صحيح؟ وربما سيكون عليك البدء في الاقتناع بأني أعلم أمورا يجب عليك أن تتعلمها"
قال فايد-راوثا: "ألتزم أنا بالأمر في حين لا تتعهد أنت بالتزام في المقابل؟"
قال البارون: "لقد سمحت لك بالبقاء حيا"
ومن جديد دقق فايد-راوثا في وجهه. سيجعل حواط يراقبني! ترى ماذا سيقول إن أخبرته أن حواط هو من خطط لخدعة المصارع التي أودت بحياة القهرمان السابق؟ غالبا سيقول أني أكذب محاولا زعزعة ثقته في حواط. كلا، إن ظوفر منتات.. حسب حساب هذه اللحظة مقدما.
قال البارون: "حسنا. ما قولك؟"
"وماذا بوسعي أن أقول؟ موافق طبعا"
وفكر فايد-راوثا: حواط! أيلاعب الطرفين ضد بعضهما؟ أم انتقل لمعسكر عمي لأني لم أطلب مشورته في خطة الغلام؟
قال البارون: "لم تقل شيئا بخصوص تعييني لحواط مراقبا لك"
بدا غضب فايد-راوثا في اتساع فتحتي أنفه. إن اسم حواط كان علامة خطر عند عائلة هاركونن لسنوات عديدة.. والآن أصبح له معنى جديد، لكنه لا يزال خطرا.
قال فايد-راوثا: "إن حواط لعبة اللهو بها خطر"
"لعبة! لا تكن أحمقا. إني أعلم جيدا صفات حواط وكيفية التحكم بها. إن حواط فيه مشاعر عميقة يا فايد. الرجل منعدم المشاعر هو من يجب على المرء أن يخشاه حقا. أما المشاعر العميقة.. فيمكن أن تقوم بليها لتوافق احتياجاتك"
"عمي، إني لا أفهمك"
"أجل، هذا واضح فعلا"
لم يبد الاستياء الذي سرى في فايد-راوثا إلا في طرفة جفون عابرة.
قال البارون: "ولا تفهم حواط أيضا"
فكر فايد-راوثا: ولا أنت أيضا!
قال البارون: "على من يلقي حواط باللوم فيما يخص أوضاعه الحالية؟ أنا؟ بالتأكيد، لكنه كان أداة أتريدية واستطاع التفوق عليّ لسنوات إلى أن تدخلت يد الإمبراطور في الموضوع. هكذا يرى الأمر. إن كرهه لي صار كرها عفويا معتادا الآن. ويعتقد أن بإمكانه الانتصار علي في أي وقت يريد. وبسبب اعتقاده هذا فهو - في الحقيقة - مهزوم. لأني أوجه انتباهه للاتجاه الذي أريده.. ضد الإمبراطور"
التوتر الناتج عن الفهم الجديد رسم خطوطا متقاربة على جبهة فايد-راوثا وشد فمه في خط رفيع: "ضد الإمبراطور؟"
فكر البارون: دع ابن أخي العزيز يذق طعم هذه الفكرة. دعه يقل لنفسه: الإمبراطور فايد-راوثا هاركونن! دعه يسأل نفسه ما ثمن شيء كهذا. بلا شك هو شيء يستحق الإبقاء على حياة عم عجوز بإمكانه أن يحقق هذا الحلم!
رطب فايد-راوثا شفتيه بلسانه ببطء. أيمكن أن يكون ما يقوله الأحمق العجوز حقيقيا؟ إن هذا الكلام يحمل في طياته أكثر

مما يبدو في الظاهر.
قال فايد-راوثا: "وما صلة حواط بهذا الأمر؟"
"إنه يظن أنه يستخدمنا لتنفيذ انتقامه ضد الإمبراطور"
"وعندما يتحقق هذا؟"
"إنه لا يفكر أبعد من مرحلة الانتقام. إن حواط هو من نوع الرجال الذين يجب أن يعملوا في خدمة آخرين، ولا يعرف هذه الصفة في نفسه أساسا"
وافقه فايد-راوثا: "لقد تعلمتُ الكثير من حواط"، وشعر بصدق الكلمات عندما نطق بها، "لكن كلما تعلمت منه أكثر كلما أحسست بضرورة التخلص منه.. وفي أقرب وقت"
"لا تعجبك فكرة أنه سيراقبك؟"
"حواط يراقب الجميع"
"وربما استطاع إجلاسك على العرش. إن حواط ماكر، خطير، داهية. لكني لن أمنع عنه الترياق المضاد للسم الآن. إن السيف خطير أيضا يا فايد، لكننا نملك غمد هذا السيف.. السم الموجود فيه. عندما نمنع عنه الترياق فإن الموت سيضعه في غمده"
قال فايد-راوثا: "بشكل ما، فإن هذه المسألة تشبه الحلبة.. حركات خادعة مغلفة في حركات خادعة. ينتبه المرء للجانب الذي يميل له المصارع، وللاتجاه الذي ينظر إليه، وللطريقة التي يمسك بها سكينه"
وأومأ لنفسه عندما رأى أن هذه الكلمات أرضت عمه، لكنه كان يفكر: أجل! مثل الحلبة! والنصل القاطع هو العقل!
قال البارون: "والآن صرت تفهم احتياجك لي. لا زلتُ ذا نفع لك يا فايد"
فكر فايد-راوثا: سيف أستخدمه إلى أن يصبح باردا ثلما لا يصلح للقتال.
قال: "أجل يا عمي"
قال البارون: "والآن سنذهب لحجرات العبيد. وسأشاهدك بينما تقوم بقتل كل النساء الموجودات في جناح المتعة، بيديك"
"عمي!"
"سيكون عندك نساء غيرهن فيما بعد يا فايد. لكني أخبرتك بألا تقدم على الخطأ في حقي دون تقدير العواقب"
اسود وجه فايدراوثا: "عمي، إنك..."
قال البارون: "سترضى بعقابك وتتعلم منه شيئا"
رأى فايد-راوثا نظرة الشماتة في عيني عمه، ففكر: ويجب أن أتذكر هذه الليلة. وبتذكري لها يجب أن أتذكر ليال أخرى مماثلة لها.
قال البارون: "لن ترفض"
سأل فايد-راوثا نفسه: وماذا بإمكانك أن تفعل أيها العجوز إن رفضت؟
لكنه كان يعلم أنه ربما سيكون هناك عقاب آخر، قد يكون ماكرا أكثر، رافعة أكثر وحشية هدفها ليّه.
قال البارون: "إني أعرفك يا فايد. لن ترفض"
فكر فايد-راوثا: حسنا. إني بحاجة إليك الآن. هذا أفهمه. قد تمت الصفقة. لكني لن أحتاجك للأبد..
ويوما ما...

الفصل 39

"في أعماق اللا-وعي الإنساني حاجة أساسية ملحة لكون منطقي مفهوم. لكن الكون الحقيقي متقدم على المنطق بخطوة دائما"

من كتاب "أقوال المؤدب"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

قال ظوفر حواط لنفسه: لقد جلست قبالة الكثير من حكام أسر كبار النبلاء لكن لم يسبق لي أن رأيت خنزيرا أبشع ولا أخطر من هذا.
قال البارون بصوت هادر: "بإمكانك أن تتكلم معي على راحتك يا حواط"، ومال للخلف في مقعده المضاد للجاذبية وعيناه - من بين طيات جلده السمينة - تحدقان بإمعان في حواط.
هبط المنتات العجوز ببصره للمنضدة الفاصلة بينه وبين البارون فلاديمير هاركونن، منتبها لوفرة حبيبات خشبها. حتى هذا كان عاملا يجب إدخاله في الحسبان عند تقييم البارون، بالإضافة للجدران الحمراء لحجرة الاجتماعات الخاصة هذه، ورائحة الأعشاب الحلوة الخفيفة المنتشرة في الهواء والتي تخفي تحتها عطرا أثقل.
قال البارون: "لم تجعلني أرسل هذا التحذير لرابان كمجرد نزوة عابرة"
ظل وجه حواط العجوز المتغضن جامدا، دون أن يكشف عن أي من البغض الذي يشعر به، ثم قال: "إني أشك في أمور كثيرة يا سيدي"
"أجل، حسنا، أريد أن أعرف ما دخل أراكس بشكوكك المتعلقة بسالوسا سيكوندس. فليس كافيا أن تخبرني أن الإمبراطور في حالة هياج بسبب علاقةٍ ما بين أراكس وبين كوكبه السجني الغامض. لقد أسرعتُ بإرسال التحذير لرابان فقط لأن حامل الرسائل كان مضطراً للرحيل على متن سفينة الهايلاينر تلك، ولأنك قلت أن الأمر لا يمكن تأخيره. طيب، جميل. لكن الآن أريد تفسيرا"
فكر حواط: يثرثر كثيرا. ليس كليتو الذي كان باستطاعته أن يخبرني بالشيء برفع حاجب أو تلويح يد. ولا كالدوق القديم الذي كان بإمكانه التعبير عن محتوى جملة كاملة بالطريقة التي يلفظ بها كلمة واحدة. أما هذا فأبله!
تدميره سيكون خدمة للبشرية.
قال البارون: "لن تخرج من هنا قبل أن أحصل على تفسير تام وكامل"
قال حواط: "إنك تتحدث عن سالوسا سيكوندس ببساطة أكثر من اللازم"
قال البارون: "إنه مستعمرة عقابية. أسوأ أنواع الغوغاء في المجرة يتم إرسالهم لسالوسا سيكوندس. ماذا هناك لنعلمه أكثر من ذلك؟"
قال حواط: "أن الظروف على الكوكب السجني أقسى من أي مكان آخر. قد سمعتَ مثلا أن معدل الوفيات ضمن السجناء الجدد يزيد عن الـ 60%. وسمعت أن الإمبراطور يمارس هناك كل أساليب الاضطهاد. تسمع كل هذا ولا تثار عندك أسئلة؟"
زمجر البارون: "الإمبراطور لا يسمح للنبلاء بالتفتيش على سجنه. لكنه في نفس الوقت لم ير ما يحدث داخل زنزاناتي"

"وأي فضول بشأن سالوسا سيكوندس..."، ووضع حواط إصبعا عظميا نحيلا على شفتيه: "لا يتم تشجيعه"
"كل ما في الأمر هو أنه لا يفخر ببعض الأمور التي يضطر لفعلها هناك!"
سمح حواط لشبح ابتسامة خفيفة بأن يرتسم على شفتيه الداكنتين. برقت عيناه في ضوء أنبوب الإضاءة بينما كان يحدق في البارون: "ولم نتساءل أبدا من أين يأتي الإمبراطور بساردوكاره؟"
زم البارون شفتيه السمينتين. جعل هذا ملامحه تبدو كطفل مستاء، وحمل صوته نبرة مشاكسة عندما قال: "إمم.. إنه يجند.. أقصد أن أقول أنه توجد حصة التجنيد الإجباري التي يفرضها، ويأخذ متطوعين من الـ..."
قال حواط بنبرة قاطعة: "هراء! القصص التي تسمعها عن أفعال الساردوكار ليست إشاعات، صحيح؟ إنها روايات شهود من العدد المحدود الذي يبقى على قيد الحياة بعد دخوله معارك قتالية ضد الساردوكار، أليس كذلك؟"
قال البارون: "الساردوكار محاربون ممتازون، لا جدال في هذا. لكن أظن أن فيالقي الخاصة يـ..."
قال حواط متهكما: "هم مجرد حفنة من المتنزهين بالمقارنة بهم! أتظن أني لا أعلم لماذا انقلب الإمبراطور على آل أتريديز؟"
قال البارون محذرا: "ليس هذا الموضوع مفتوحا أمامك لتخمن فيه"
سأل حواط نفسه: هل من المحتمل أنه حتى هو لا يعلم دافع الإمبراطور في هذا الأمر؟
قال حواط: "كل المواضيع مفتوحة أمامي إن كانت ستجعلني أنجح في أداء ما وظفتني أنت فيه. أنا منتات. لا يحجب المرء المعلومات ولا المسارات الحسابية عن المنتات"
حدق فيه البارون لفترة طويلة ثم قال: "قل ما يلزَمك أن تقوله يا منتات"
"انقلب الإمبراطور الباديشي على آل أتريديز لأن جنرالات الدوق، جيرني هاليك ودنكن أيداهو، قد دربوا قوة عسكرية مقاتلة - صغيرة العدد - لمستوى يكاد يطابق مستوى الساردوكار. بل بعض الأفراد كانوا أفضل حتى من الساردوكار. وكان وضع الدوق يتيح له زيادة حجم هذه القوة، بحيث تصبح مماثلة لقوة الإمبراطور"
فكر البارون مليا في هذا الكشف، ثم قال: "وما صلة أراكس بهذا؟"
"إنه يوفر مستودع من المجندين مهيئين بالفعل لقبول أقسى البرامج التدريبية العسكرية"
هز البارون رأسه: "بالتأكيد لا تقصد الفريمن"
"بل أقصد الفريمن"
"هاه! لماذا نحذر رابان إذن؟ فبالتأكيد لم يبق حيا من الفريمن سوى مجرد حفنة بعد ما قام به الساردوكار من مذابح وبعد اضطهاد رابان للفريمن"
استمر حواط يحدق فيه في صمت.
كرر البارون: "أصبحوا لا يزيدون على حفنة! ففي السنة الفائتة وحدها قتل رابان منهم 6 آلاف!"
لكن حواط استمر في التحديق.
قال البارون: "والسنة التي سبقتها كان العدد 9 آلاف. وقبل أن يرحل الساردوكار قتلوا ما لا يقل عن 20 ألف"
قال حواط: "ما حجم خسائر رابان من الجنود خلال السنتين الماضيتين؟"
فرك البارون لغده وقال: "لا أنكر أنه يقوم بتجنيد أعداد كبيرة. وكلاؤه يعِدون بأمور باهظة و..."
قال حواط: "يمكن أن نقول مثلا أن العدد بعد جمعه يصل لـ 30 ألف؟"
قال البارون: "يبدو هذا زائدا بعض الشيء عن العدد الفعلي"
قال حواط: "على العكس. فبإمكاني - مثلك تماما - أن أقرأ بين السطور في تقارير رابان. ولا شك أنك قد فهمت تقاريري

التي وردتني من عملائنا"
قال البارون: "إن أراكس كوكب شنيع.. فالخسائر الناتجة عن العواصف يمك..."
قال حواط: "كلانا يعلم الرقم الذي تضيفه العواصف"
قال البارون بحدة وقد اسود وجهه من الدم المحتقن: "حتى لو كانت خسائره 30 ألف فعلا، ما المشكلة؟"
قال حواط: "حسب كلامك فإنه قد قتل 15 ألف على مدار سنتين بينما خسر ضعف هذا العدد. تقول أن الساردوكار قضوا على 20 ألف آخرين، أو أزيد قليلا. وقد رأيتُ بيانات عملية النقل الخاصة بعودتهم من أراكس. إن كانوا قد قتلوا 20 ألف فقد خسروا خمسة أضعاف هذا. لم لا تواجه هذه الحقائق يا بارون وتستوعب معناها؟"
تكلم البارون في إيقاع بارد محكوم: "هذه وظيفتك يا منتات. ما معناها؟"
قال حواط: "أخبرتك بالعدد الذي أحصاه دنكن أيداهو في السيائش الذي زاره. كل الأمور متسقة مع بعضها. لو لم يكن عندهم غير 250 من مجتمعات السيائشات هذه فإن عدد السكان سيكون 5 ملايين تقريبا. أدق تقديراتي يقول أنهم يملكون على الأقل ضعف هذا العدد من السيائشات السكانية. فعلى كوكب مثل هذا يكون الشعب متناثرا"
"10 ملايين؟"، واهتز لغد البارون من الذهول.
"على الأقل"
زم البارون شفتيه السمينتين. حدقت العينان - الضيقتان كالخرز - في حواط دون حركة.
تساءل: هل هذه حسبة منتاتية حقيقية؟ كيف يمكن أن يكون الوضع هكذا دون أن يعلم به أحد؟
قال حواط: "نحن لم نؤثر بشدة حتى في معدل ازديادهم السكاني. بل كل ما فعلناه هو أن جززنا بعض عيناتهم البشرية الأقل نجاحا، وتركنا الأقوياء كي يزدادوا قوة.. تماما كما يحدث على سالوسا سيكوندس"
صاح البارون: "سالوسا سيكوندس! ما علاقة هذا بالسجن الكوكبي التابع للإمبراطور؟"
قال حواط: "إن الرجل الذي استطاع البقاء حيا في ظروف سالوسا سيكوندس سيبدأ وهو أقوى من غالبية الناس. ثم عندما تضيف لهذا أفضل تدريب عسكري متوفر ف..."
"كلام فارغ! فتبعا لمنطقك هذا فسيكون بإمكاني أن أجند من بين الفريمن بعد الطريقة التي اضطهدهم بها ابن أخي"
قال حواط في نبرة هادئة: "وهل لا تضطهد أنت أي من جنودك؟"
"حسنا.. إني.. لكن..."
قال حواط: "إن الاضطهاد شيء نسبي. فمقاتلوك حالهم أفضل ممن حولهم، صحيح؟ ويعلمون أن هناك بدائل حياتية أسوأ بكثير من كونهم يعملون جنودا عند البارون، أليس كذلك؟"
حل الصمت على البارون وسرحت عيناه. ياه للاحتمالات!.. هل منح رابان - دون أن يدري - عائلة هاركونن سلاحا لا مثيل له؟
قال بعد برهة: "وكيف تضمن ولاء مجندين من هذا النوع؟"
قال حواط: "سآخذهم في مجموعات صغيرة، لا تزيد قوتها عن حجم فصيلة عسكرية واحدة. وسأخرجهم بعيدا عن وضعهم الحياتي القاسي، وأعزلهم مع كادر تدريبي مكون من أشخاص يفهمون خلفيتهم التي جاؤوا منها، والمستحسن أن يكونوا قد خرجوا أصلا من نفس الظروف في السابق. ثم سأملأهم بمعتقد غامض يقول أن كوكبهم كان في الحقيقة ساحة تدريب سرية هدفها إنتاج أشخاص فائقين من نوعيتهم هذه. وبينما هذا يحدث سأريهم ما يمكن أن يكسبه أمثالهم من المتفوقين: حياة في ثراء، نساء جميلات، قصور نخمة.. كل ما يشتهونه"

بدأ البارون يومئ برأسه: "أي كما يعيش الساردوكار في بيوتهم"
"ومع الوقت سيبدأ المجندون في اعتقاد أن مكانا مثل سالوسا سيكوندس وجوده مبرر، لأنه أنتجهم.. النخبة. إن أقل جنود الساردوكار مكانةً يعيش - في المجمل - حياة لا تقل ترفا عما يعيشه أي فرد من أسر النبلاء"
همس البارون: "يا لها من فكرة!"
قال حواط: "بدأتَ تشاركني ظنوني"
قال البارون: "ومتى بدأ أمر كهذا؟"
"آه فعلا، أين كانت بدايات آل كورّينو؟ هل كان هناك ناس على سالوسا سيكوندس قبل أن يرسل الإمبراطور أولى دفعات مساجينه إلى هناك؟ دوق ليتو نفسه - مع أنه قريب للإمبراطور من جهة أمه - لم يكن يعلم بصورة مؤكدة. فمثل هذه الاستفسارات لا يتم تشجيع الخوض فيها"
غرقت عينا البارون في التفكير: "أجل، سر مخفي بعناية فائقة. يستخدمون كل الوسائل المتاحة لـ..."
قال حواط: "ثم ما الذي يحتاج إخفاء أصلا؟ أن الإمبراطور الباديشي عنده كوكب سجني؟ كل الناس تعلم هذا. أنه يـ..."
انفجر البارون قائلا: "الكونت فينرنج!"
قطع حواط كلامه وفحص البارون بتقطيبة حائرة: "ماذا عن الكونت فينرنج؟"
قال البارون: "في عيد ميلاد ابن أخي، قبل عدة سنوات. ذاك المتبجح الإمبراطوري، الكونت فينرنج، حضر كزائر رسمي يقوم بالمشاهدة، وكي يـ.. إحم.. يقوم بإنهاء بعض الأعمال بيني وبين الإمبراطور"
"ثم؟"
"إني.. خلال إحدى محادثاتنا، أظن أني قلت شيئا بشأن جعل أراكس سجنا كوكبيا. فينرنج قـ..."
قال حواط: "ماذا قلت بالضبط؟"
"بالضبط؟ لقد انقضى على الأمر وقت طويل و..."
"سيدي البارون، إن كنت ترغب في استغلال قدراتي أفضل استغلال فعليك أن تعطيني معلومات كافية. ألم يتم تسجيل هذه المحادثة؟"
اسود وجه البارون من الغضب: "إنك في مثل سوء بايتر! لا تعجبني هذه الـ..."
قال حواط: "بايتر لم يعد يعمل معك يا سيدي. وبالمناسبة، ما الذي حدث لبايتر؟"
قال البارون: "لقد أصبح يعاملني بألفة أكثر من اللازم، وزادت طلباته"
قال حواط: "إنك تؤكد لي أنك لا تهدر رجلا مفيدا، فهل ستهدر قدراتي بتهديداتك ومراوغاتك؟ لقد كنا نناقش ما قلته لكونت فينرنج"
وببطء قام البارون بتهدئة ملامحه، وفكر: عندما يحين الوقت سأتذكر طريقته تلك في معاملتي. أجل، سأتذكر.
قال البارون: "لحظة"، وعاد بذاكرته للقاء الذي تم في قاعته الكبرى. أعانه على التذكر أن يتصور شكل مخروط الصمت الذي وقفا فيه.
قال البارون: "هذا هو ما قلته بالتقريب: الإمبراطور يعلم أن بعض عمليات القتل لطالما كانت جزءا أساسيا لتسيير الأعمال. وكنت أشير لخسائرنا في القوة العاملة. ثم قلت شيئا عن التفكير في حل آخر للمشكلة الأراكسية، وقلت أن السجن الكوكبي الإمبراطوري ألهمني أن أحاكيه"
قال حواط بسرعة: "يا للعنة السوداء! وماذا قال فينرنج؟"

"عندها بدأ يستجوبني بشأنك"
عاد حواط بظهره للوراء وأغلق عينيه مفكرا، ثم قال: "هذا إذن هو ما جعلهم يبدؤون في التدقيق في حال أراكس. حسنا، ما حدث قد حدث"، وفتح عينيه. "لا شك أن جواسيسهم ينتشرون الآن في كل مكان على أراكس بالفعل. سنتان!"
"لكن بلا شك أن اقتراحي البريء لم..."
"لا يوجد شيء بريء في عيون الأباطرة! ماذا كانت تعليماتك لرابان؟"
"ببساطة، أن عليه تعليم أراكس أن يخشانا"
هز حواط رأسه: "عندك الآن خياران يا بارون. بإمكانك أن تقتل كل السكان المحليين.. أن تقضي عليهم بالكامل، أو..."
"وأهدر قوة عاملة بأكملها؟"
"وهل تفضل أن يقوم الإمبراطور - ومعه من يمكنه استمالته من أسر النبلاء - بالمجيء إلى هنا والقيام بعملية تجريف.. تحت كوكب جيدي برايم بالكامل وكأنه يقطينة مجوفة؟"
دقق البارون في منتاته ثم قال: "لن يجرؤ!"
"متأكد؟"
ارتعشت شفتا البارون: "وما البديل الذي تقترحه؟"
"تخلى عن ابن أخيك العزيز.. رابان"
"أتخلى ع..."، وقطع البارون كلامه، وحدق في حواط.
"لا ترسل له المزيد من القوات، ولا أي إعانة من أي نوع. ولا ترد على رسائله سوى بأن تقول أنك سمعت عن الطريقة الرديئة التي أدار بها الأمور على أراكس وأنك تنوي اتخاذ إجراءات تصحيحية في أقرب وقت ممكن. وسأرتب لأن تقع بعض رسائلك في يد جواسيس الإمبراطور"
"لكن ماذا عن البهار، الأرباح، الـ..."
"طالبه بأرباحك البارونية، لكن انتبه للطريقة التي تصوغ بها طلباتك. ألزم رابان بأن يبعث لك بمقادير ثابتة. يمكننا أن..."
قلب البارون راحتي يديه للأعلى وقال: "لكن كيف أتيقن من أن ابن أخي الماكر لن..."
"سيظل لنا جواسيس على أراكس. أخبر رابان أنه إما أن ينجح في تحقيق أنصبة البهار التي تحددها له أو سيتم استبداله"
قال البارون: "إني أعلم طبع ابن أخي. سيجعله هذا يزيد في اضطهاد السكان أكثر"
قال حواط بحدة: "بالطبع سيفعل! ليس من مصلحتك أن يتوقف هذا الآن! كل المراد هو أن تكون يداك نظيفتين. دع رابان يصنع لك سالوسا سيكوندس الخاص بك. بل ولا حاجة حتى لأن ترسل له أي سجناء. فعنده كل ما يحتاجه من سكان. ما دام رابان يدفع شعبه بهدف تلبية حصص البهار التي تطلبها، فلن يشك الإمبراطور في وجود أي دافع آخر. فهذا الدافع يكفي لتبرير تعذيب سكان الكوكب. أما أنت يا بارون فعليك ألا تكشف - لا بالأقوال ولا بالأفعال - وجود أي سبب آخر"
لم يستطع البارون إخفاء نبرة الإعجاب الخبيثة من صوته: "آه يا حواط، إنك لداهية. السؤال الآن، كيف ننتقل لأراكس ونستعمل ما أعده رابان لنا؟"
"إن هذا من أبسط ما يكون يا بارون. إن جعلت كل حصة سنوية أعلى قليلا من حصة السنة السابقة فستصل الأمور في النهاية لحائط سد. سينخفض الإنتاج. بإمكانك ساعتها أن تقوم بتنحية رابان وأن تتولى السلطة بنفسك.. كي تصلح الفوضى الحادثة"

قال البارون: "شيء ملائم فعلا. لكني أشعر بالسأم من كل هذه الأمور. إني أجهز شخصا آخر كي يتولى أراكس بدلا مني"
تأمل حواط الوجه السمين المستدير الذي أمامه. وببطء بدأ الجاسوس العسكري العجوز يومئ برأسه.
وقال: "فايد-راوثا. هذا إذن هو سبب الاضطهاد الحالي. أنت أيضا داهية يا بارون. ربما يمكننا دمج هاتين الخطتين. أجل. فايد-راوثا يمكن أن يذهب لأراكس بصفته منقذهم. يمكنه أن يكسب قلوب الشعب. أجل"
ابتسم البارون. ومن وراء ابتسامته كان يسأل نفسه: والآن، كيف سيتواءم هذا مع خطط حواط الشخصية؟
ولما أدرك حواط أنه يراد منه الانصراف، نهض وترك الحجرة ذات الجدران الحمراء.
وبينما هو يسير لم يستطع تناسي العوامل المجهولة المقلقة التي تتسلل لكل حسبة عقلية متعلقة بأراكس.
هذا الزعيم الديني الجديد الذي لمّح له جيرني هاليك من موقع اختبائه بين المهربين.. هذا المؤدب.
قال لنفسه: ربما ما كان يجب أن أخبر البارون أن يسمح لهذه الديانة بالازدهار أينما أرادت، حتى بين أهل الغور والوادي. لكن من المعلوم أن القمع يجعل الديانات تنتعش.
وفكر في تقارير هاليك عن خطط الفريمن التكتيكية في المعارك. كانت تفوح منها رائحة هاليك نفسه.. وأيداهو.. بل وحواط أيضا.
سأل نفسه: هل نجا أيداهو؟
لكنه كان سؤالا بلا طائل.
لم يسأل نفسه إن كان من الجائز أن بولس قد نجا، إذ كان يعلم أن البارون مقتنع تماما أن كل آل أتريديز قد ماتوا. واعترف له البارون أن الساحرة البني-جيزيرتية كانت سلاحه. ولا يمكن أن يعنى هذا سوى أن الجميع قد انتهوا.. حتى ابن المرأة نفسه.
فكر: أي كرهٍ مسمومٍ هذا الذي كانت - ولا شك - تكنه لآل أتريديز!
إنه كالكره الذي أكنه أنا لهذا البارون. فهل ستكون ضربتي نهائية وقاضية كضربتها؟

الفصل 40

"يوجد في كل الأشياء نمط هو جزء من كوننا. هذا النمط فيه تناسق وأناقة وجمال رشيق.. وهي الصفات التي ستجدها دائما فيما يصوره الفنان الحقيقي. يمكن أن تراه في دورة الفصول، في انزلاق الرمال على سلسلة صخرية، في تجمعات أغصان الشجيرة الزيتية أو في نمط توزع أوراقها. ونحن نحاول نسخ هذه الأنماط في حياتنا ومجتمعاتنا، ساعين لتحقيق الإيقاعات والرقصات والأشكال التي تريحنا. لكن يمكن رؤية الهلاك عندما نعثر على الكمال النهائي. فمن الواضح أن النمط تام الكمال يتصف أيضا بالثبات. وفي مثل هذا الكمال فإن كل الأشياء ستتحرك نحو الموت"

من كتاب "أقوال المؤدب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

ما يتذكره بولس-مؤدب هو أنه كانت هناك وجبة مفعمة بجوهر البهار.

تعلق بهذه الذكرى لأنها كانت نقطة ثابتة ويمكنه من خلالها إخبار نفسه أن ما يشعر به الآن هو بالتأكيد حلم.

قال لنفسه: أنا مسرح عمليات. أنا فريسة للرؤيا الناقصة.. لوعي الجنس البشري وغايته الرهيبة.

لكنه لم يستطع إزالة خشيته أنه قد تخطى نفسه في الركض بدرجة ما.. أنه فقد موقعه الزمني، بحيث امتزج الماضي والمستقبل والحاضر دون تمييز.

كان الأمر يشبه إنهاكا بصريا، وسببه - كما يعلم - هو الاضطرار المستمر لجعل المستقبل الاستبصاري يصبح نوعا من الذكريات، والتي هي بطبيعتها من صفات الماضي.

أخبر نفسه: شاني أعدت لي الوجبة.

إلا أن شاني كانت الآن في مكان بعيد في الجنوب.. في الإقليم القديم حيث الشمس حارة.. وقد تم تهريبها سرا لأحد حصون السياتشات الجديدة، آمنة مع ابنهما ليتو الثاني.

أم أن هذا هو شيء سيحدث فيما بعد؟

طمأن نفسه قائلا: لا.. لأن عاليا أخته، الملقبة بالغريبة، قد ذهبت إلى هناك مع أمه وشاني.. رحلة للجنوب تقدر مسافتها بـ 20 دقّاق.. قطعوها داخل محفة السيدة الموقرة التي يتم تثبيتها على ظهر دودة صانع برية.

ثم أجفل من فكرة امتطاء الديدان الضخمة، سائلا نفسه: أم أن عاليا لم تولد بعد؟

تذكر بولس: لقد كنت في غارة. ذهبنا نشن غارة لاسترجاع مياه موتانا في أراكين. وعثرت على بقايا أبي في المحرقة الجنائزية. جعلتُ جمجمة أبي في ضريح في تل فريمني صخري مطل على 'ممر حرق' Harg.

أم أن هذا شيء سيحدث فيما بعد؟

أخبر بولس نفسه: جروحي حقيقية. ندوبي حقيقية. ضريح جمجمة أبي حقيقي.

وبينما هو لا يزال في حالة الأحلام هذه تذكر بولس أن هارا، زوجة جيمس، دخلت عليه مرة كي تخبره أن مشاجرة قد حدثت في رواق السياتش. كان هذا في السياتش المؤقت قبل أن يتم إرسال النساء والأطفال لعمق الجنوب.

وقفت هارا يومها عند باب الحجرة الداخلية، وخصلات شعرها السوداء مربوطة للخلف بسلسلة من حلقات العملات المائية. كانت قد أزاحت ستائر الحجرة جانبا وأخبرته أن شاني قد قتلت شخصا منذ لحظات.

أخبر بولس نفسه: هذا قد حدث. إنه حقيقي.. ليس شيئا مولودا في غير زمنه وعرضة للتغير.
تذكر بولس أنه أسرع ساعتها مندفعا للخارج فوجد شاني واقفة تحت كرات إنارة الرواق الصفراء، مكسوة بثوب أزرق براق ملفوف حول جسدها، وقلنسوتها ملقاة للخلف، وملامحها الفاتنة متوهجة من أثر الجهد المبذول.
كانت تعيد سكينها الكريسنايف لغمده، بينما جمع من الناس يسرعون عبر الرواق مبتعدين، حاملين شيئا.
وتذكر بولس أنه أخبر نفسه حينئذ: يعلم المرء دائما عندما يكون المحمول جثة.
أصدرت حلقات شاني المائية - والتي يتم ارتداؤها علنا داخل السياتش في حبل محيط برقبتها - رنينا عندما التفتت ناحيته.
قال: "شاني، ما هذا؟"
"تخلصت من شخص كان قد جاء ليتحداك في نزال يا أصول"
"قتلتيه؟"
"أجل. لكن ربما كان من الأفضل أن أتركه لهارا كي تقضي عليه"
(وتذكر بولس إعجاب الوجوه التي تحيط به بهذه الكلمات. حتى هارا نفسها ضحكت)
"لكنه قد جاء ليتحداني أنا!"
"لقد دربتني بنفسك على أساليب القتال العجائبية يا أصول"
"بالطبع! لكن لا يجب أن ت..."
"لقد ولدتُ في الصحراء يا أصول. أعرف جيدا كيف أستخدم الكريسنايف"
كتم غضبه وحاول أن يكلمها بالمنطق: "حتى لو كان هذا صحيحا يا شاني فلا ي..."
"لم أعد طفلة من الأطفال الذين يصطادون العقارب في السياتش على ضوء كرات الإنارة اليدوية يا أصول. ما أفعله ليس ألعابا عابثة"
حدق بولس فيها، مشدوها بالشراسة الغريبة التي تبدو تحت أسلوب كلامها العفوي.
قالت شاني: "لم يكن جديرا بانتباهك يا أصول. ما كنت لأزعجك من تأملاتك بسبب شخص مثله"
ثم اقتربت، ناظرة له من جانب عينيها، وقد خفضت صوتها كي لا يسمعها غيره: "و - يا حبيبي - عندما يعلمون أن من يتحداك قد يواجهني أنا ويصيبه موت مخزٍ على يد امرأة المؤدب فإن عدد من يتحدونك سيقل"
أخبر بولس نفسه: أجل، قد حدث هذا بالتأكيد. إنها ذكرى فعلية. وعدد المتحدين الراغبين في اختبار نصل المؤدب الجديد انخفض بشكل ملحوظ.
في مكان ما، بعالم خارج عالم الأحلام، صدرت حركة خفيفة، وصيحة طائر ليلي.
طمأن بولس نفسه: إني أحلم. وجبة البهار هي السبب.
وعلى الرغم من ذلك كان يشعر بشيء من الهجر. وتساءل متعجبا إن كان من المحتمل أن روحه Ruh قد انسلّت بعض الشيء إلى العالم الذي يعتقد الفريمن أنه عالم وجوده الحقيقي.. عالَم المِثال Alam Al-mithal، عالم الصور الذهنية.. ذلك العالم الميتافيزيقي الذي تُزال فيه كل الحدود المادية.
شعر بالخوف من فكرة وجود عالم كهذا، لأن إزالة كل الحدود تعني إزالة كل نقاط الارتكاز المرجعية.
ففي عالم تضاريسه أسطورية لن يكون بإمكانه أن يضبط بوصلته ويقول: هذا أنا لأني هنا.
أخبرته أمه مرة: "بعض القوم منقسمون في نظرتهم لك"
أخبر بولس نفسه: إني بلا ريب أستيقظ من حلم. حيث أن هذا قد حدث.. هذه الكلمات الصادرة من أمه، الليدي

جيسيكا التي أصبحت الآن سيدة الفريمن الموقرة.. هذه الكلمات قد مرت في الواقع فعلا.
كان بولس يعلم أن جيسيكا تخشى من العلاقة الدينية بينه وبين الفريمن. لم تعجبها حقيقة أن سكان السياتش والوادي يتكلمون عن المؤدب وكأنه إله. فذهبت تستقصى الأمر بين القبائل، باعثةً جواسيسها السيّدينا، جامعةً ما تلقينه من إجابات، ومفكرةً فيها.
كانت قد اقتبست له حكمة بني-جيزيرتية تقول: "عندما يكون الدين والسياسة في نفس العربة فإن الركاب يعتقدون أنه لا يستطيع أي شيء أن يقف في طريقهم. تصبح حركتهم متهورة.. أسرع وأسرع وأسرع. يزيحون عن بالهم كل تفكير في العقبات وينسون أن حافة الجرف النهائية لا تظهر للرجل المنطلق بسرعة هوجاء إلا بعد أن يكون الوقت قد تأخر"
تذكر بولس أنه جلس في حجرات أمه، في الغرفة الداخلية المغطاة بستائر قاتمة سطحها مغطى بتصاميم منسوجة مستوحاة من ميثولوجيا الفريمن. جلس يستمع لكلامها للنهاية، ملاحظا الطريقة التي كانت تراقب بها الأشياء باستمرار.. حتى عندما تكون عيناها منخفضتين. وجهها البيضاوي بدت على جانبي فمه خطوط لم تكن موجودة من قبل، لكن الشعر كان لا يزال برونزيا لامعا. أما العينان الخضراوان المتسعتان فقد اختفتا تحت غلالة مصبوغة بزرقة البهار.
قال: "إن ديانة الفريمن بسيطة وعملية"
قالت محذرة: "لا يوجد في الأديان شيء بسيط"
لكن بولس - لرؤيته المستقبل الضبابي لا يزال مخيما عليه - وجد الغضب يسيطر عليه. لم يستطع أن يقول سوى: "إن الدين يوحد قوانا. إنه قوتنا الخفية الغامضة"
قالت في اتهام: "إنك تجمع حول نفسك هذه الهالة عن عمد.. ولا تتوقف عن تلقينهم"
قال: "هكذا علمتيني أنت نفسك"
لكنها في ذلك اليوم كانت ممتلئة بالاعتراضات والجدال. كان ذلك هو يوم احتفال ختان ليتو الصغير، وتفهّم بولس بعض أسباب انزعاجها. إنها لم تتقبل أبدا علاقته بشاني، علاقة 'زواج الصغار' كما كانت تسميها. لكن شاني أنجبت ابنا أتريديا، ووجدت جيسيكا نفسها عاجزة عن رفض الطفل كما ترفض الأم.
ارتبكت جيسيكا أخيرا تحت وطأة نظرته وقالت: "تظنني أما غير طبيعية"
"بالطبع لا"
"إني أرى الطريقة التي تراقبني بها وأنا مع أختك. إنك لا تفهم وضع أختك"
قال: "أعلم سبب اختلاف عاليا. لقد كانت جنينا وجزءا منك عندما قمتِ بتغيير ماء الحياة. إنها..."
"إنك لا تعرف شيئا عن الأمر!"
وفجأة صار بولس عاجزا عن التعبير عما وصله من معرفة من خارج المسار الزمني، فلم يزد على أن قال: "لا أظنك غير طبيعية"
رأت قلقه فقالت: "هناك أمر آخر يا بني"
"أجل؟"
"إني أحب امرأتك شاني، وأقبلَها"
أخبر بولس نفسه: هذا حقيقي. ليس هذا جزءا من الرؤى القاصرة والتي يمكن أن تتغير عندما تولد في الزمن.
ثبتت الطمأنة موضع قدمه في هذا العالم، أجزاء من الواقع المادي بدأت تعبر من خلال حالة الحلم وتصل لإدراكه.
علم فجأة أنه في Hiereg، مخيم صحراوي مؤقت. كانت شاني قد ثبتت خيمة التقطير على رمل دقيق لنعومته. معنى هذا أن

شاني قريبة.. شاني، روحه، سهايته، الحلوة كربيع الصحراء، قد حضرت من مزارع النخيل الموجودة بعمق المناطق الجنوبية.
والآن يتذكر أنها غنت له أنشودة صحراوية عندما حل وقت النوم:

"يا روحي

لا تتذوقي الفردوس الليلة

وأقسم لكِ بـ شي-خلود

أنك ستذهبين إلى هناك

طائعة لحبي"

وأنشدته أيضا أغنية السير التي يتشاركها الأحبة على الرمال، والتي لها إيقاع يشبه مقاومة الكثبان الرملية لحركة الأقدام:

"أخبرني عن عينيك

فسأخبرك عن قلبك

أخبرني عن قدميك

وسأخبرك عن يديك

أخبرني عن نومك

وسأخبرك عن سيرك

أخبرني عن رغباتك

وسأخبرك عن احتياجاتك"

سمع شخصا يدق على الآلة الموسيقية في خيمة أخرى، نخطر له جيرني هاليك. ذكرته الآلة المألوفة بجيرني الذي كان قد رأى وجهه ضمن عصبة من المهربين دون أن يراه هو.. جيرني الذي لا يمكن السماح بأن يراه أو يعرف بأمره كي لا يؤدي هذا - دون تعمد - إلى وصول الهاركونن لابن الدوق الذي قتلوه.

لكن أسلوب عزف العازف في الليل، والحركة المميزة للأصابع على أوتار الباليست، استدعت الموسيقي الفعلي لذاكرة بولس. كان تشات الواثب، قائد الفدائيين Fedaykin، كبير مغاوير الموت الذين يحرسون المؤدب.

تذكر بولس: إننا في الصحراء. إننا في العِرق المركزي، بعيدا عن دوريات الهاركونن. أنا هنا كي أسير على الرمال وأجتذب صانعا وأركبه مستعملا ذكائي، كي أصبح فريمنيا كاملا بحق.

أحس الآن بمسدس المولى الموضوع على حزامه، وبالكريسنايف.. وبالصمت يحيط به.

كان ذاك الصمت المميز السابق للصباح، عندما تكون طيور الليل قد رحلت وكائنات النهار لم تنتبه بعد لعدوهم، الشمس.

كان ستيلجار قد قال له: "يجب أن تركب الرمال في ضوء النهار كي يراك شي-خلود ويعلم أنك لست خائفا. ولهذا نقلب ساعات يومنا رأسا على عقب وننام هذه الليلة"

نهض بولس ببطء، شاعرا ببذلة التقطير مرتخية على جسده، وحولها خيمة التقطير المظلمة.

تحرك بنعومة، إلا أن شاني سمعته.

كلمه ظلها من بين ظلمة الخيمة: "لم يكتمل طلوع النهار بعد يا حبيبي"

قال: "سهايا"، متحدثا بصوت نصف ضاحك.

قالت: "تدعوني ربيعك الصحراوي، لكني اليوم سأكون المهماز الذي ينخسك. أنا السيدينا التي ستحرص على أن الطقوس تمت مراعاتها"

بدأ يحكم غلق بذلة تقطيره، وقال: "لقد أخبرتيني في إحدى المرات كلمات من كتّاب العِبَر. قلتِ لي: المرأة هي حقلك، فاذهب لحقلك واحرثه"[22]

أجابته موافقة على كلامه: "إني أم ابنك البكر"

وفي الظلمة الرمادية رأى حركاتها تطابق حركاته تماما، تحكم إغلاق بذلة تقطيرها استعدادا للخروج للصحراء.

قالت: "عليك أن تحصل على كل الراحة المتاحة لك"

أدرك أن حبها له هو ما يقول هذا، فوبخها برفق: "السيدينا المسؤولة عن المراقبة لا ينبغي أن تنصح المرشح الممتحَن ولا أن تحذره"

اقتربت منه بنعومة ومست وجنته براحة يدها: "اليوم أنا المراقِبة والمرأة في ذات الوقت"

قال: "كان عليك ترك هذه المهمة لشخص آخر"

قالت: "الانتظار صعب في أحسن الأحوال. أفضّل أن أكون بجانبك"

قبّل راحة يدها قبل أن يحكم وضع كمامة بذلة التقطير، ثم استدار وشق قفل الخيمة. الهواء الذي دخل إليهما حمل معه البرودة التي لم تجف تمام الجفاف والتي سترسب عند الفجر قطرات الندى. ومعها جاءت رائحة كتلة البهار الأوّلي، الكتلة التي لاحظوا وجودها ناحية الشمال الشرقي، والتي أعلمتهم أن إحدى ديدان الصانع ستكون بمكان قريب.

زحف بولس عبر فتحة القفل العاصر ووقف على الرمال ثم تمطى كي ينفض النوم عن عضلاته. خدش وهج لؤلؤي أخضر باهت الأفق الشرقي، وبدت خيام فرقته ككثبان صغيرة مزيفة من حوله في الظلمة.

شاهد حركة على اليسار.. الحرس، وعرف أنهم قد رأوه. كانوا مدركين للخطر الذي سيواجهه اليوم. كل فريمني واجهه من قبل. منحوه لحظات العزلة الأخيرة هذه كي يهيئ نفسه.

أخبر نفسه: يجب أن يتم الأمر اليوم.

فكر في القوة التي يسيطر عليها في وجه المذابح.. الشيوخ الذين أرسلوا له أبناءهم كي يتم تدريبهم على طريقة القتال العجائبية، والرجال كبار السن الذين أصبحوا الآن يستمعون لرأيه في المجالس الاستشارية ويتبعون خططه.. الرجال الذين يعودون ليقدموا له أقصى إطراء يمكن أن يقوله الفريمني: "خطتك نجحت يا مؤدب"

إلا أن أقل محاربي الفريمن في المكانة والحجم كان باستطاعتهم القيام بشيء لم يفعله هو أبدا. وعلم بولس أن مكانته كقائد تعاني من معرفتهم المستمرة باختلافه هذا عنهم.

إذ لم يكن قد امتطى الصانع.

بالطبع سبق له أن ركب مع الآخرين في رحلات تدريبية وغارات، لكنه لم يقم برحلته الخاصة. وإلى أن يفعل هذا فسيظل عالمه محدودا بقدرات الآخرين. لا يمكن لفريمني حقيقي أن يسمح لنفسه بهذا. وإلى أن يقوم بهذا الشيء بنفسه فإن المناطق الجنوبية الشاسعة - التي تبعد عن منطقة العِرق برحلة قدرها 20 دقاق تقريبا - كانت ممنوعة عنه إلا لو طلب تركيب محفة وقطعها وكأنه سيدة موقرة أو أحد المرضى والجرحى.

عادت له ذكرى صراعه مع وعيه الداخلي أثناء الليل. ورأى في الأمرين تناظرا عجيبا.. فإن أخضع دودة الصانع وتحكم بها فإن حُكمه سيقوى.. وإن سيطر على عينه الداخلية فسيجلب له هذا أيضا قدرا من القوة.

لكن وراء الاثنين كانت تقع المنطقة الضبابية.. الاضطراب العظيم والذي يبدو أن الكون كله متورط فيه.

كانت تؤرقه الاختلافات التي يدرك الكون بها.. نسبة الدقة كانت مماثلة لنسبة عدم الدقة.

---

22 انظر سورة البقرة 223: نساؤكم حرث لكم. (المترجم)

كان يراها وهي في موضعها، لكن عندما تولد - عندما تتعرض لضغط الواقع - فإن الحاضر تصبح له حياته الخاصة وتنمو باختلافاتها الدقيقة.

ظلت الغاية الرهيبة كما هي، ووعي الجنس البشري كما هو. وفوق كل شيء كان الجهاد مخيما.. دمويا وشرسا.

انضمت له شاني خارج الخيمة، ضامة مرفقيها إلى صدرها، ناظرة له من طرفي عينيها كما تفعل عندما تريد جس حالته المزاجية.

قالت: "أخبرني من جديد عن مياه موطنك يا أصول"

أدرك أنها تريد إلهاءه، وأن تهدئ ذهنه من التوتر قبل الاختبار المميت. كانت السماء تزداد نورا ولاحظ أن بعض فدائييه شرعوا بالفعل في نقض خيامهم.

قال: "أفضل أن تخبريني أنت عن السياتش وعن ابننا. هل بدأ ولدنا ليتو يمسك أمي من يدها؟"

قالت: "إنه يمسك بعاليا أيضا. وينمو بسرعة. سيصبح رجلا ضخما"

قال: "ما هو الحال في الجنوب؟"

قالت: "عندما تركب الصانع سترى بنفسك"

"لكني أرغب في رؤيته أولا من خلال عينيكِ"

قالت: "إن حاله هو الوحدة الموحشة"

لمس وشاح الأمومة النيزوني المحيط بجبهتها والذي برزت منه قطعة من تحت رأس بذلة التقطير.

"لماذا لا تتحدثين عن السياتش؟"

"بل تحدثت عنه. نشعر بالوحدة في السياتش دون رجالنا. إنه مكان عمل. نعمل جاهدات في الورش وحجرات الإنبات. هناك أسلحة يجب أن تُصنع، سواري يجب أن تُغرز كي نتنبأ بالطقس، بهار يجب جمعه لأجل الرشاوي. هناك كثبان يجب زرعها كي تنمو وكي نقوم بتثبيتها فلا تتحرك. هناك أقمشة وبُسُط يجب صنعها، وبطاريات وقود يجب شحنها. وهناك أطفال يجب تدريبهم كي لا تفقد القبيلة قوتها أبدا"

قال: "ألا يوجد بالسياتش إذن أي شيء لطيف؟"

"الأطفال لطفاء. ونقيم الشعائر. وعندنا ما يكفينا من الطعام. وأحيانا تأتي إحدانا للشمال كي تصاحب زوجها. الحياة يجب أن تستمر"

"وأختي، عاليا.. هل تقبلها الناس بعد؟"

التفتت شاني إليه في ضوء الفجر المتزايد. دققت عيناها فيه وقالت: "فلنناقش هذا في وقت لاحق يا حبيبي"

"دعينا نناقشه الآن"

قالت: "عليك أن توفر طاقتك للاختبار"

رأى أنه لمس موضوعا حساسا، وسمع في صوتها الانسحاب. قال: "إن المجهول يجلب معه مخاوفه الخاصة"

أومأت برأسها بعد فترة وقالت: "لا زال هناك.. سوء فهم، بسبب غرابة عاليا. النساء خائفات لأن طفلة لا تزيد كثيرا عن الأطفال الرضع تتكلم.. تتكلم عن أشياء لا يمكن أن يعلمها سوى البالغين. إنهن لا يفهمن الـ.. التغيير الذي حدث في الرحم والذي جعل عاليا.. مختلفة"

قال: "هل حدثت مشكلة؟". وفكر: لقد رأيت في الرؤى مشاكل تخيم على عاليا.

نظرت شاني لهالة شروق الشمس المتزايدة: "اجتمعت بعض النسوة كي يقدمن طلبهن للسيدة الموقرة. طلبوا منها أن تخرج

الشيطان الذي في ابنتها. واستشهدن بكلمات النصوص المقدسة: لا تدع ساحرة تحيا بيننا"[23]
"وبم أجابتهم أمي؟"
"تلت عليهن القانون وأرسلت النسوة من عندها وقد أصابهن الارتباك. قالت: 'إن كانت عاليا تثير المشاكل فإن هذا هو خطأ السلطة التي لم تستشرف المشاكل ولم تمنع حدوثها'. وحاولت أن تشرح كيف أن التغير قد أصاب عاليا وهي في الرحم. لكن النسوة كن غاضبات لما يشعرن به من إحراج، فذهبن مغمغمات"
فكر: ستحدث مشاكل بسبب عاليا.
هبت عليه حبات رمال كريستالية فمست الأجزاء المكشوفة من وجهه، جالبة معها رائحة كتلة البهار الأوّلي.
قال: "إنه السيّال El Sayal، مطر الرمال الذي يجلب معه الصباح"
مد بصره في نور تضاريس الصحراء الرمادي.. التضاريس التي لا تطلب شفقة.. الرمال التي كانت منغمسة على ذاتها. في ركن مظلم ناحية الجنوب شق الظلام برق جاف.. علامة على أن إحدى العواصف هناك قد تراكمت شحناتها الاستاتيكية. وبعد هذا بفترة تردد زئير الرعد.
فقالت شاني: "إنه الصوت الذي يجمّل الأرض"
المزيد من رجاله كانوا يخرجون من خيامهم. ومن حواف المنطقة كان الحراس يقتربون. كل ما حوله تحرك بسلاسة تبعا للروتين القديم الذي لا يحتاج إصدار أوامر.
كان أبوه قد أخبره مرة، منذ زمن بعيد: "قلل ما تصدره من أوامر قدر الإمكان. إذ فور إصدارك أمر بشأن موضوع ما فستضطر دائما فيما بعد لإصدار الأوامر بشأنه"
يعرف الفريمن هذه القاعدة فطريا.
بدأ حافظ المياه التابع للمجموعة الأنشودة الصباحية، مضيفا إليها النداء المتعلق بطقس تحول الشخص لـ راكب رمال للمرة الأولى. قال الرجل بصوت منغوم تردد حزينا عبر الكثبان: "إن الدنيا جثة. من يقدر على إبعاد ملَك الموت؟ ما قدّره شي-خلود سيكون لا محالة"
أصغى بولس، مدركا أن هذه الكلمات كانت نفس الكلمات التي تفتتح أنشودة الموت التي يقولها فدائيوه.. الكلمات التي يتلوها مغاوير الموت عندما يغمسون أنفسهم في المعركة.
سأل بولس نفسه: هل سيوجد هنا اليوم ضريح صخري يشير لرحيل روح أخرى؟ هل سيتوقف الفريمن بهذا الموضع في المستقبل كي يضيف كل منهم له حجرا ويتذكر المؤدب الذي مات بهذا المكان؟
كان يعلم أن هذا هو أحد المسارات البديلة اليوم.. حقيقة ضمن خطوط مستقبلية تشع متفرعة من هذا الموضع في الزمكان. أرقته الرؤيا الناقصة. فكلما قاوم غايته الرهيبة وكافح ضد وقوع الجهاد كلما ازداد الاضطراب المنسوج في قدرته الاستبصارية. مستقبله كله أخذ يشبه النهر المندفع نحو هاوية.. مفترق الطرق العنيف التي يبدو ما وراءه ضبابيا وغائما.
قالت شاني: "ستيلجار يقترب. علي أن أتنحى الآن أيها الحبيب. ينبغي الآن أن أكون سيدينا وأن أراقب الطقس كي يمكن تسجيله بحق في سجلات تاريخنا"
رفعت بصرها إليه، وللحظة قصيرة كادت تفقد وقارها المتحفظ، ثم استعادت سيطرتها على نفسها.
قالت: "عندما ينتهي كل هذا سأعد لك فطورك بيدي"، ثم ابتعدت.
تقدم ستيلجار مقتربا منه على الرمل الدقيق، مثيرا تحته بركا غبارية صغيرة. عيناه الغائرتان الداكنتان ظلتا ثابتتين على بولس

23 سفر الخروج 22: 18 (المترجم)

بنظرة ثاقبة. نتفة اللحية السوداء البارزة فوق قناع بذلة التقطير، وخطوط الوجنة الحادة تكاد - لسكونها - تكون صخورا طبيعية قد نحتتها الرياح. كان الرجل يحمل راية بولس على سارية.. الراية الخضراء والسوداء والتي يخرج من ساريتها أنبوب ماء.. والتي أصبحت ذات شهرة أسطورية في البلاد بالفعل.

وفي شيء من الفخر فكر بولس: أصبح لا يمكنني القيام بأبسط الأشياء دون أن يتحول لأسطورة. سيسجلون كيف افترقت عن شاني، وكيف ألقيت التحية على ستيلجار.. سيسجلون كل حركة أقوم بها اليوم. سواء عشت أو مت ستصبح أسطورة تُحكى. يجب ألا أموت، إذ لن يبقى حينئذ سوى الأسطورة ولن يوجد شيء يوقف الجهاد.

غرس ستيلجار السارية في الرمال قرب بولس، وأنزل يديه جانبا. ظلت العينان تامتا الزرقة ثابتتين ويبدو عليهما التصميم. وخطر لبولس أن عينيه هو كانت قد بدأت تصطبغ بالفعل بهذا اللون بفعل البهار.

قال ستيلجار في جلال طقوسي: "لقد منعونا من الحج"

رد بولس كما علمته شاني: "من يستطيع منع الفريمني حقه في السير أو الركوب حيث شاء؟"

قال ستيلجار: "إني نائب Naib.. لن يأسروني حيا أبدا. أنا أحد قوائم الموت الثلاثة التي ستدمر أعداءنا"

خيم الصمت عليهما.

ألقى بولس نظرة على الفريمن الآخرين المنتشرين على الرمال وراء ستيلجار، ورأى الطريقة التي وقفوا فيها بلا حراك خلال لحظة الصلاة الشخصية هذه. وخطر له أن الفريمن قوم تقوم حياتهم على القتل، شعب كامل عاش محملا بالغضب والأسى طوال حياتهم، ولم يفكروا أبدا في ما قد يحل محل هذين الشيئين.. إلا الحلم الذي زرعه ليات-كاينز فيهم قبل موته.

قال ستيلجار: "أين الرب الذي سار بنا في أرض قِفار وحُفَر؟"[24]

قال الفريمن مرتلين: "دائما معنا"

جعل ستيلجار كتفيه في خط مستقيم وخطا مقتربا من بولس وقال بصوت منخفض: "والآن عليك تذكر ما قلته لك. قم بالأمر ببساطة وبطريقة مباشرة.. لا تحاول الاستعراض. في قومنا فإننا نركب الصانع في سن الثانية عشر. أنت تزيد عن هذا العمر بأكثر من 6 سنوات ولم تنشأ معتادا أساليب حياتنا. لستَ مضطرا لإثارة إعجاب أي شخص بشجاعتك، فنحن نعلم بالفعل أنك شجاع. كل ما عليك فعله هو استدعاء الصانع وامتطائه"

قال بولس: "سأتذكر"

"احرص على أن تفعل. فلن أقبل بأن تجلب العار على طرق تدريسي"

ومن تحت ثوبه سحب ستيلجار قضيبا بلاستيكيا طوله حوالي المتر. كان الشيء مدببا في أحد طرفيه، وفي طرفه الآخر ضاغط محاط بزنبرك: "قمت بإعداد هذا الدقاق بنفسي. إنه جيد. خذه"

أحس بولس بنعومة البلاستيك الدافئة عندما تناول الدقاق.

قال ستيلجار: "شيشاكلي معه الخطافان. سيناولهما لك عندما تطأ ذاك الكثيب الموجود هناك"، وأشار لليمين: "استدع صانعا كبيرا يا أصول.. أرشدنا للطريق"

انتبه بولس لنبرة صوت ستيلجار.. نصفها أداء طقسي ونصفها قلق صديق.

وفي هذه اللحظة بدا وكأن الشمس قد وثبت فوق خط الأفق. اتخذت السماء لونا فضيا أزرق نبههم إلى أن هذا اليوم سيكون شديد الحرارة والجفاف، حتى بمعايير أراكس المعتادة.

قال ستيلجار: "إنه وقت النهار الحارق"، وصارت نبرته الآن طقسية خالصة.

---

24 سفر إرميا 2: 6 (المترجم)

"امض يا أصول، واركب الصانع. سافر في الرمال كقائد للرجال"
أدى بولس التحية لرايته، ملاحظا أن العلم الأخضر والأسود كان مرتخيا إذ خمدت رياح الفجر. استدار ناظرا للكثيب الذي أشار له ستيلجار.. منحدر صفرته متسخة وقمته على شكل حرف S.
كان أغلب أفراد الفرقة قد بدؤوا يتحركون بالفعل للاتجاه المضاد، متسلقين الكثيب الآخر الذي آوى معسكرهم.
بقي في طريق بولس شخص واحد يرتدي ثوبا: شيشاكلي.. قائد فرقة من فرق الفدائيين. لم يظهر منه - بين رأس البذلة والقناع - سوى عينين لهما أجفان منحدرة. قدم شيشاكلي لبولس عندما اقترب منه عمودين رفيعين يشبهان السوط. كان طولهما حوالي المتر ونصف، بغطاء براق من صلب البلاستيل في أحد الطرفين وخشن في الطرف الآخر كي يمكن القبض عليه بإحكام.
تناولهما بولس بيده اليسرى كما يتطلب الطقس.
قال شيشاكلي في صوت مبحوح: "إنهما خطافاي الشخصيان. لم يفشلا أبدا"
أومأ بولس، ملتزما بالصمت الضروري، وتحرك تاركا الرجل، صاعدا الكثيب المنحدر. عند القمة نظر للخلف فرأى المجموعة متفرقة كسرب حشرات، وأثوابهم تخفق.
كان الآن يقف وحيدا على القمة الرملية وليس أمامه سوى الأفق.. الأفق المنبسط عديم الحركة. كان هذا الكثيب الذي اختاره ستيلجار كثيبا جيدا، يفوق ما حوله من كثبان في الطول فيسمح بمجال رؤية أوسع. انحنى بولس وغرز الدقاق بعمق في وجه الكثيب المواجه للرياح، حيث تكون الرمال مضغوطة وستنشر الدق بأقصى درجة. ثم تردد، مستعيدا الدروس، مراجعا ضرورات الحياة والموت التي تواجهه.
عندما ينزل المزلاج سيبدأ الدقاق دقات الاستدعاء. وعبر الرمال ستسمع دودة عملاقة، صانع، وستأتي لموضع الدق. وكان بولس يعلم أن باستخدام القضبان الخطافية التي تشبه السوط بإمكانه أن يعلو ظهر الصانع المقوس. وطالما يتم الحفاظ على قطعة أمامية من إحدى حلقات جسم الدودة مفتوحة باستخدام الخطاف فإنها ستسمح للرمل الخشن بالدخول للأجزاء الحساسة الداخلية، ولن يتراجع المخلوق غائصا تحت الصحراء. بل سيقوم في الواقع بلف جسده العملاق كي يبعد الجزء المفتوح عن سطح الصحراء لأقصى قدر ممكن.
أخبر بولس نفسه: أنا راكب رمال.
هبط ببصره للخطافين الممسوكين في يده اليسرى، مفكرا أن كل ما عليه هو إدخال هذين الخطافين تحت طية من طيات جانب جسم الصانع الهائل فيجعل المخلوق يلف ويميل، مرشدا إياه حيثما شاء.
لقد رأى هذا يتم. وساعدوه من قبل على صعود جانب إحدى الديدان ليركب لمسافة قصيرة أثناء التدريب.
الدودة المأسورة يمكن امتطاؤها إلى أن تقبع منهكة وساكنة على سطح الصحراء، ثم يجب ساعتها استدعاء دودة جديدة.
كان بولس يعلم أنه فور اجتيازه لهذا الاختبار سيصبح مؤهلا للقيام برحلة الـ 20 دقاق إلى المناطق الجنوبية.. كي يستريح ويستعيد قواه.. ذاهبا للجنوب حيث تم إخفاء النساء والأسر - بعيدا عن المذابح المنظمة - بين مزارع النخيل والسياتشات المكتظة بالسكان.
رفع رأسه ونظر للجنوب، مذكرا نفسه أن الصانع الذي يتم استدعاؤه من برية العِرق كان كما مجهولا.. وأن من يستدعيه كانت قدرته على اجتياز هذا الاختبار مجهولة أيضا.
كان ستيلجار قد شرح له قائلا: "عليك أن تقيس الصانع المقترب بدقة. فتقف قريبا بما يكفي لأن تمتطيه لكن ليس أقرب من اللازم بحيث يبتلعك"

وبقرار مفاجئ أنزل بولس مزلاج الدقاق. بدأ الضاغط يدور حول نفسه وترددت دقات الاستدعاء خلال الرمل. إيقاع رتيب: "طم.. طم.. طم.."

اعتدل واقفا، ماسحا الأفق ببصره، ومتذكرا كلمات ستيلجار: "احكم على مسار الاقتراب بحرص. وتذكر، نادرا ما يقترب الصانع من الدقاق في الخفاء. لكن أصغ لقدومه على أية حال. فغالبا ستسمعه قبل أن تراه"

وملأت كلمات شاني المحذرة ذهنه، حيث كانت قد همست بها ليلا عندما غمرها خوفها عليه: "عندما تقف وقفتك في مسار الصانع عليك أن تظل ساكنا تماما. عليك أن تفكر وكأنك رقعة رمال. اختف تحت رداءك وتحول في ذاتك لكثيب صغير"

مسح الأفق ببطء، مصغيا، مراقبا ظهور العلامات التي تعلمها.

جاءت من الجنوب الشرقي.. هسيس بعيد.. همسة رمال. ثم لم يلبث أن رأى الحدود الخارجية البعيدة لمسار المخلوق وفي خلفيته ضوء الفجر، وأدرك أنه لم يسبق له أن رأى صانعا بهذه الضخامة، ولم يسمع عن واحد بهذا الحجم.

بدا أن طوله يفوق النصف فرسخ، وارتفاع الموجة الرملية على قمته كان كاقتراب جبل.

قال بولس لنفسه محذرا: لم أر هذا لا في رؤيا ولا واقع.

أسرع معترضا طريق الشيء ليقف وقفته، مستغرقا بالكامل في الاحتياجات المتسارعة لهذه اللحظة.

الفصل 41

"تحكم في سك العملة وفي المحاكم.. دع الباقي للغوغاء.
هذا هو ما نصحكم به الإمبراطور الباديشي. ويقول لكم: 'إن أردت الأرباح فعليك أن تكون في السلطة'.
هذه الكلمات فيها شيء من الصدق، لكني أسأل نفسي: من هم الغوغاء ومن هم المحكومون؟"

رسالة المؤدب السرية لـ اللاندسراد، من كتاب "يقظة أراكس"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

خطرت الفكرة من تلقاء نفسها على ذهن جيسيكا: في غضون لحظات قليلة سيمر بولس باختبار ركوب الرمال.
يحاولون إخفاء هذه الحقيقة عني، لكن الأمر واضح.
وشاني ذهبت في رحلة لقضاء مهمة غامضة.
جلست جيسيكا في حجرة استراحتها، تقتنص لحظة هدوء بين دروس الليلة. كانت حجرة لطيفة، لكنها ليست كبيرة كحجرتها السابقة في سياتش طبر قبل هروبهم من حملات الإبادة. لكن على أية حال فإن هذا المكان به سجاجيد سميكة على الأرض، ووسائد ناعمة، ومنضدة قهوة منخفضة وفي متناول اليد، وستائر متعددة الألوان معلقة على الجدران، وفوق رأسها كرات إنارة ذات ضوء أصفر هادئ.
وتتخلل الحجرة تلك الرائحة اللاذعة القوية المميزة لسياتشات الفريمن والتي بدأت ترتبط في عقلها بالإحساس بالأمان.
لكنها كانت تعلم أنها لن تتغلب أبدا على شعورها بأنها في مكان غريب عليها. والسبب هو شظف العيش الذي تحاول السجاجيد والستائر أن تخفيه.
وصل حجرة الاستراحة صوت خافت لرن أجراس ودق طبول وتصفيق. عرفت جيسيكا أنه احتفال بمولود جديد.. غالبا مولود سوبياي.. فوقت ولادتها قد حان. وعلمت جيسيكا أنها سترى المولود بعد قليل.. ككروبيم أزرق العينين يأتون به للسيدة الموقرة كي تباركه. كانت تعلم أيضا أن ابنتها عاليا ستحضر الاحتفال وستقدم لها تقريرا عنه.
لم يكن وقت صلاة الرحيل الليلية قد حان بعد. فمن المستبعد أن يكونوا قد بدؤوا احتفال ولادة في موعد قريب من وقت إقامة طقس مخصص لرثاء غارات الاسترقاق التي وقعت على كواكب بوريترِن وبيلا تيجيوس وروسّاك وهارمونثب.
تنهدت جيسيكا. أدركت أنها تحاول تجنب التفكير في ابنها وفي الأخطار التي يواجهها الآن.. الشراك المحفورة في الأرض والتي توضع بها شصوص مسمومة.. غارات الهاركونن (مع أنها بدأت تقل بعد أن زاد قنص الفريمن للطائرات والغزاة، باستخدام الأسلحة الجديدة التي دربهم عليها بولس).. والمخاطر الطبيعية في الصحراء: ديدان الصانع والعطش والأخاديد الغبارية.
خطر لها أن تطلب إحضار قهوة، ومع هذه الخاطرة فكرت في تلك المفارقة التي تكاد تلازمها دائما عند النظر لأسلوب حياة الفريمن: أن مستوى حياتهم في كهوف السياتشات جيد بالمقارنة بمن يسكن الوادي من عمال كادحين، ومع ذلك فإن ما يلاقوه من صعوبات في سفر الصحراء الواسعة يفوق كل ما يعانيه عبيد الهاركونن.
دست يد سمراء نفسها وسط الستائر المجاورة لها، ووضعت كوبا على المنضدة ثم انسحبت.
تصاعدت من الكوب رائحة قهوة البهار العطرة.

فكرت جيسيكا: هدية قربانية بسبب احتفال الميلاد.
تناولت القهوة ورشفت منها وهي تبتسم لنفسها. سألت نفسها: في أي مجتمع آخر من مجتمعات كوننا يمكن لشخص في مثل منصبي أن يقبل شرابا مجهول المصدر وأن يشربه هكذا دون خوف؟
بالطبع فإنه بإمكاني الآن أن أقوم بتحييد أي سم قبل أن يؤذيني، لكن المتبرع لا يعلم هذا.
شربت الكوب حتى الثمالة، شاعرة بالطاقة والانتعاش الناتجين عن محتوياته الساخنة واللذيذة.
وتساءلت: أهناك أي مجتمع آخر يتمتع بهذا الاحترام الطبيعي لخصوصيتها وراحتها بحيث يقتحم المانح خلوتها بالقدر الذي يسمح له فقط بوضع الهدية دون أن يزعجها بشخصه؟
إن الاحترام والحب هما من أرسل الهدية.. ومعهما قدر ضئيل من الخوف أيضا.
عنصر آخر من عناصر الحادثة دفع بنفسه إلى وعيها: لقد فكرت في القهوة فظهرت.
كانت تعلم أن الأمر لم يكن به أي تخاطر تليباثي، بل طاو Tau.. اتحاد مجتمع السياتش، والذي كان قدرة تعويضية ناتجة عن سم البهار الخفيف الموجود في الطعام الذي يتشاركون فيه.
هذا العدد البشري الهائل لا أمل له أبدا في أن يحقق التنوير الذي منحه جوهر البهار لها، إذ لم يتم تدريبهم وتهيئتهم لهذا الأمر. فعقولهم تنكر ما يعجزون عن فهمه أو احتوائه. إلا أنهم أحيانا يشعرون ويتصرفون وكأنهم كائن واحد.
ولم تمر بعقولهم إطلاقا فكرة أن هذا مصادفة.
سألت جيسيكا نفسها: هل اجتاز بولس امتحانه على الرمال؟
إنه قادر على هذا، لكن يمكن للحوادث أن تقع لأفضل المتمرسين.
الانتظار.
فكرت: إنها الوحشة. فلا يمكن للمرء أن ينتظر إلا لفترة محدودة، ثم تتغلب عليه وحشة الانتظار.
وحياتهم مليئة بأنواع كثيرة من الانتظار.
فكرت: نحن هنا منذ أكثر من سنتين، وأمامنا على الأقل ضعف هذا العدد قبل أن نأمل في التفكير في محاولة انتزاع أراكس من الحاكم الهاركوني، الـ مدير ناهيا Mudir Nahya، رابان الوحش.
"أيتها السيدة الموقرة؟"
كان الصوت القادم من وراء ستائر بابها هو صوت هارا.. المرأة الأخرى في بيت بولس.
"أجل يا هارا"
انزاحت الستائر وبدت هارا تنساب بينها بنعومة. كانت ترتدي خفا مناسبا للسياتش، وثوبا ملفوفا - لونه أحمر وأصفر - يكشف ذراعيها حتى الكتفين تقريبا. كان شعرها الأسود مفروقا في المنتصف ومشدودا للخلف وكأنه جناحا حشرة، ويبدو على رأسها أملسا وزيتيا. ملامح الوجه البارزة والمفترسة كان عليها عبوس شديد.
ومن وراء هارا ظهرت عاليا.. فتاة طفلة عمرها سنتان تقريبا.
لما رأت جيسيكا عاليا أُخذت كالعادة بشبهها الكبير ببولس في مثل هذا العمر.. نفس الوقار متسع العينين البادي في النظرة الفاحصة.. الشعر الأسود وصلابة الفم. لكن كانت توجد خلافات دقيقة أيضا، وهذه الخلافات هي ما كان يصيب أغلب الكبار بالقلق. فالطفلة - والتي لا تكبر الرُضّع بكثير - كانت تتصرف بهدوء ووعي يفوق سنوات عمرها. كان الكبار يشعرون بالصدمة عندما يجدونها تضحك على تلاعب دقيق بالألفاظ بين الجنسين. أو عندما يجدون أنفسهم يصغون لصوتها شبه المتلعثم - والذي لا زال مبهما قليلا بسبب عدم نضوج أعضائها الصوتية الطرية - ويكتشفون في كلماتها ملاحظات ماكرة

يستحيل أن تصدر إلا عن خبرات لم تمر بها أي طفلة لا يتجاوز عمرها السنتين.
غاصت هارا في إحدى الوسائد بتنهيدة ساخطة، وعبست في وجه الطفلة.
أشارت جيسيكا لابنتها قائلة: "عاليا"
اتجهت الطفلة لوسادة بجوار أمها وجلست عليها وقبضت على يد أمها. اتصال اللحم استعاد ذلك الوعي المشترك الذي اشتركا فيه منذ ما قبل ولادة عاليا. لم يكن الأمر هو تشارك أفكار، على الرغم من أن هذا يحدث أحيانا بصورة مفاجئة إن تلامستا أثناء قيام جيسيكا بتغيير سم البهار لأحد الطقوس. بل كان شيئا أكبر من هذا، وعي فوري بشعلة حياة أخرى.. شيء حاد ومؤثر.. تشارك وجداني عصبي جعلهما من الناحية العاطفية شخصا واحدا.
قالت جيسيكا بالطريقة الرسمية اللائقة بأحد أفراد بيت ابنها: "صباح الخير Subakh ul kuhar يا هارا. بحال طيب هذه الليلة؟"
فقالت بنفس التحية الرسمية: "صباح النور Subakh un nar. أنا بخير"
كانت الكلمات تكاد تكون فاترة. ثم تنهدت من جديد.
أحست جيسيكا أن عاليا تتسلى بهذا.
قالت عاليا بصوتها الذي به شبه لثغة: "غنيمة أخي غاضبة مني"
لاحظت جيسيكا المصطلح الذي استخدمته عاليا لوصف هارا.. غنيمة Ghanima.
في الاختلافات الطفيفة في لغة الفريمن فإن الكلمة تعني 'شيئا حصل الشخص عليه في معركة'، مع معنى مضاف يشير إلى أن الشيء لم يعد يستخدم لغرضه الأصلي، بل صار مجرد زينة، كنصل رمح أصبح ثقالة ستارة.
عبست هارا للطفلة: "لا تحاولي إهانتي أيتها الطفلة. فأنا أعرف وضعي جيدا"
قالت جيسيكا: "ماذا فعلتِ هذه المرة يا عاليا؟"
أجابت هارا: "لم يقتصر الأمر على أنها رفضت اللعب اليوم مع باقي الأطفال، بل تطفلت أيضا على..."
قالت عاليا: "لقد اختبأتُ خلف الستائر وشاهدت طفل سوبياي وهو يولد. إنه صبي. ظل يبكي ويبكي. عنده رئتان قويتان! عندما أطال البكاء ق..."
قالت هارا: "ظهرت من مخبئها ولمسته. فتوقف عن البكاء. معلوم للجميع أن الطفل الفريمني يجب أن ينهي كل بكائه عند الولادة إن كان في سياتش، لأنه لن يُسمح له بالبكاء مرة أخرى أبدا كي لا يكشفنا خلال سفر الهجر Hajr"
قالت عاليا: "لقد بكى بما يكفي. لقد أردت أن أشعر بشرارة حياته. هذا هو كل ما في الأمر. وعندما شعر بي لم يعد يرغب في البكاء"
قالت هارا: "تسبب هذا في زيادة كلام الناس"
قالت جيسيكا: "هل طفل سوبياي بصحة جيدة؟"
رأت أن شيئا ما كان يقلق هارا بعمق، وتساءلت عما يكون.
قالت هارا: "صحته جيدة على أفضل ما تحبه أي أم. إنهم يعلمون أن عاليا لم تؤذه. بل ولم يهتموا كثيرا بمسها له، إذ هدأ في الحال وأصبح سعيدا. الأمر هو..."
وهزت هارا كتفيها.
قالت جيسيكا: "إنه غرابة ابنتي، أليس كذلك؟ الطريقة التي تتكلم بها عن أمور تفوق سنها وعن أشياء لا يمكن لطفلة في سنها أن تعلمها.. أشياء من الماضي"

قالت هارا بحدة: "كيف لها أن تعلم شكل طفل كان يعيش على بيلا تيجيوس؟"
قالت عاليا: "لكنه فعلا يشبهه! ابن سوبياي يبدو تماما كابن ميثا المولود قبل هجرة الرحيل"
قالت جيسيكا: "عاليا! لقد حذرتك"
"لكن يا أمي، لقد رأيت الأمر وهو حقيقي و..."
هزت جيسيكا رأسها ورأت علامات الانزعاج على وجه هارا. سألت جيسيكا نفسها: ما هذا الذي أنجبتُه؟
ابنة كانت تعلم فور مولدها كل ما أعلمه أنا.. وأكثر.. كل ما انكشف لها - قادما من أروقة الماضي - عن طريق السيدات الموقرات الموجودات داخلي.
قالت هارا: "ولا يقتصر الأمر على الأشياء التي تقولها، بل التمرينات أيضا. تلك الطريقة التي تجلس بها وتحدق في الصخور، محركة عضلة واحدة قرب أنفها، أو عضلة على ظهر إصبع، أو..."
قالت جيسيكا: "إنها تمرينات البني-جيزيرت. إنك تعلمين هذا يا هارا. أتحرمين ابنتي من موروثها؟"
قالت هارا: "يا سيدتنا الموقرة، إنك تعلمين أن هذه الأمور لا تزعجني. لكن المشكلة في الناس والطريقة التي يتمتمون بها.. أستشعر فيها خطرا. يقولون أن ابنتك شيطان، وأن باقي الأطفال يرفضون اللعب معها، وأنها..."
قالت جيسيكا: "إنها لا تشترك مع باقي الأطفال إلا في صفات قليلة للغاية. ليست شيطانة. كل ما في الأمر أ..."
"بالطبع ليست شيطانة!"
وجدت جيسيكا نفسها مندهشة لما بنبرة هارا من عنف، وألقت نظرة على عاليا. بدت الطفلة سارحة في أفكارها، ويشع منها إحساس بـ.. الانتظار.
أعادت جيسيكا انتباهها لهارا.
قالت جيسيكا: "إني أحترم كونك فردا من أهل ابني. (تحركت عاليا تحت يدها) بإمكانك أن تتحدثي معي بصراحة عما يثير قلقك"
قالت هارا: "قريبا لن أصبح فردا من أهل بيت ابنك. لقد انتظرت طوال هذه المدة من أجل ولدي الاثنين.. للتدريب الخاص الذي يتلقونه بصفتهم أبناء لأصول. إنه أقل ما يمكنني أن أمنحه لهما حيث أنه من المعلوم أني لا أشارك ابنك فراشه"
ومن جديد اضطربت حركة عاليا تحت يدها، وبدت نصف نائمة، ودافئة.
قالت جيسيكا: "لقد كنتِ ستصبحين رفيقة جيدة لابني"، وأضافت لنفسها - لأن هذه الأفكار كانت تلازمها دائما -: رفيقة.. لا زوجة.
وعندها اتجهت أفكار جيسيكا مباشرة لقلب المسألة.. لغصة الألم التي تصيبها من جراء الكلام المنتشر بين الناس في السياتش أن رفقة ابنها لشاني قد أصبحت أمرا دائما.. وكأنها زواج.
فكرت جيسيكا: إني أحب شاني.
لكنها ذكرت نفسها أن الحب قد يضطر للتنحي أمام الضرورات الملكية. فالزيجات الملكية لها دوافع أخرى غير الحب.
قالت هارا: "أتظنين أني لا أعلم ما تخططيه لابنك؟"
قالت جيسيكا: "ماذا تقصدين؟"
قالت هارا: "تخططين لتجميع القبائل تحت قيادته"
"وهل هذا سيء؟"

"إني أرى خطرا يتهدده.. وعاليا جزء من هذا الخطر"
احتضنت عاليا أمها، مقتربة منها، وقد فتحت عينيها وبدأت تدقق في هارا.
قالت هارا: "لقد شاهدتكما وأنتما مع بعضكما.. الطريقة التي تتلامسان بها. وعاليا كأنها واحدة من أبنائي لأنها أخت من أعتبره أخي. لقد راعيتها وحميتها منذ أن كانت مجرد رضيعة.. منذ أيام الغارة عندما هربنا إلى هنا. وقد رأيت الكثير من أحوالها"
أومأت جيسيكا وشعرت أن القلق بدأ ينمو في عاليا جوارها.
قالت هارا: "تعلمين ما أقصده. الطريقة التي كانت تفهم بها - منذ أول أيامها - ما نتكلم عنه. أي طفل آخر غيرها كان يعلم عادات الحفاظ على الماء في مثل هذه السن الصغيرة؟ أي طفل آخر كانت أولى كلماته لمرضعته هي: إني أحبك يا هارا؟"
حدقت هارا في عاليا: "ولماذا تظنين أني أتقبل إهاناتها؟ إني أعلم أنه ليس وراءها أي بغض"
رفعت عاليا بصرها لأمها.
قالت هارا: "أجل أيتها السيدة الموقرة، إني أتمتع بقدرات عقلية جيدة. بل وكان بإمكاني أن أصبح واحدة من السيدينا. لقد فهمتُ ما رأيت"
هزت جيسيكا كتفيها: "هارا.. لا أدري ماذا يمكن أن أقول"
وشعرت بالدهشة من نفسها لأن هذا كان - حرفيا - صحيحا.
اعتدلت عاليا وجعلت كتفيها مستقيمين. أحست جيسيكا أن الانتظار قد انتهى، وحل محله شعور هو مزيج من الحسم والحزن.
قالت عاليا: "لقد ارتكبنا غلطة. والآن نحتاج هارا"
قالت هارا: "لقد كانت البداية هي طقس البذر. عندما قمتِ بتغيير ماء الحياة أيتها السيدة الموقرة.. عندما كانت عاليا لا تزال جنينا داخلك"
سألت جيسيكا نفسها: نحتاج هارا؟
قالت عاليا: "ومن غيرها بإمكانه أن يتحدث ناشرا الأمر بين الناس ويجعلهم يبدؤون في فهم وضعي؟"
قالت جيسيكا: "وماذا تريدين منها أن تفعل؟"
قالت عاليا: "إنها بالفعل تعرف ماذا ستفعل"
قالت هارا: "سأخبرهم الحقيقة"، وبدا وجهها فجأة مسنا وحزينا، وبشرته الزيتونية عليها تجاعيد عابسة، وصارت الملامح الحادة مكتئبة: "سأخبرهم أن عاليا تتظاهر بأنها فتاة صغيرة، وأنها لم تكن أبدا فتاة صغيرة"
هزت عاليا رأسها، وجرت الدموع على وجنتيها. شعرت جيسيكا بموجة الحزن قادمة من ابنتها وكأنها إحساسها هي.
همست عاليا: "أعرف أني مسخ"
الجملة المختصرة التي تلائم طبيعة كلام الكبار كانت - وهي تخرج من الفم الطفل - عبارة عن تأكيد مرير للأمر.
قالت هارا بحدة: "لستِ مسخا! من جرؤ على وصفك بالمسخ؟"
ومن جديد تعجبت جيسيكا من نبرة الحماية الشرسة الظاهرة في صوت هارا. وعندها أدركت جيسيكا أن حكم عاليا كان سليما.. إنهما تحتاجان هارا فعلا. فالقبيلة ستفهم هارا.. ستفهم كلماتها ومشاعرها.. لأنه من الواضح أنها تحب عاليا وكأنها ابنتها.
كررت هارا: "من قالها؟"
"لا أحد"

استخدمت عاليا طرفا من عباءة جيسيكا لتمسح الدموع عن وجهها، وسوّت الثوب في الموضع الذي بللته وجعدته.
قالت هارا بنبرة آمرة: "إذن لا تقوليها أنت"
"حاضر يا هارا"
قالت هارا: "والآن، بإمكانك أن تخبريني بما كان عليه الأمر كي أخبر الآخرين. أخبريني بما حدث لك"
ازدردت عاليا لعابها ورفعت بصرها لأمها.
أومأت لها جيسيكا.
قالت عاليا: "استيقظت يوما ما فجأة. كان الأمر كالقيام من النوم إلا أني لم أكن أتذكر ذهابي للنوم. كنت في مكان دافئ ومظلم. وكنت خائفة"
عندما أصغت جيسيكا لصوت ابنتها نصف المتلعثم تذكرت ذلك اليوم في الكهف الكبير.
قالت عاليا: "عندما كنت خائفة حاولت الهرب، لكن لم يكن هناك مكان للهرب إليه. ثم رأيت شرارة.. لكن لم يكن الأمر رؤية بصرية. بل كانت الشرارة هنا معي وأحسست بمشاعرها.. تهدئني وتطمئنني وتخبرني - بهذه الطريقة - أن كل شيء سيكون على ما يرام. كانت أمي"
فركت هارا عينيها وابتسمت لعاليا لتشجعها. إلا أن عيني المرأة الفريمنية كان بهما شيء من التوحش.. قوة، كما لو أنهما كانا يحاولان أيضا سماع كلمات عاليا.
وفكرت جيسيكا: وما الذي نعلمه فعلا عن طريقة تفكير شخص مثلها.. النابعة من خبراتها الفريدة وتدريبها وأسلافها؟
قالت عاليا: "لكن عندما شعرت بالأمان والطمأنينة ظهرت شرارة أخرى معنا.. وحدث كل شيء في نفس الوقت. كانت الشرارة الأخرى هي السيدة الموقرة القديمة. كانت تـ... تتبادل الحيوات مع أمي.. كل شيء.. وكنت أنا معهما، أرى كل شيء.. كل شيء. ثم انتهى الأمر، وأصبحت جزءا منهما، معهما ومع كل الأخريات ومع نفسي.. واستغرقت وقتا طويلا كي أعثر على نفسي مجددا.. إذ كان هناك الكثير من الأخريات"
قالت جيسيكا: "لقد كان عملا قاسيا.. لا يجب أن يتم إيقاظ وعي أي كائن بهذه الطريقة. العجيب في الأمر هو تمكنك من تقبل كل ما حدث لك"
قالت عاليا: "ما كان بإمكاني فعل أي شيء آخر! فلم أكن أعلم كيف أخفي وعيي أو أرفضه.. أو أغلقه.. كل شيء حدث بسرعة.. كل شيء"
تمتمت هارا: "لم نكن نعلم. عندما أعطينا أمك الماء كي تغيره لم نكن نعلم أنك موجودة داخلها"
قالت عاليا: "لا تحزني للأمر يا هارا. لا ينبغي أن آسف على نفسي. فعلى أية حال يوجد سبب للسعادة بالأمر: فأنا سيدة موقرة. فالقبيلة عندها الآن اثنان من السيـ..."
قطعت حديثها وأمالت رأسها لتصغي.
عادت هارا للوراء مستندة على وسادة الجلوس بعقبيها، وحدقت في عاليا، ثم ركزت انتباهها على وجه جيسيكا.
قالت جيسيكا: "ألم ترتابي في الأمر؟"
قالت عاليا: "هششش"
وصل إليهم صوت إنشاد إيقاعي بعيد تخلل عبر الستائر التي تفصلهم عن أروقة السياتش. علا بالتدريج فأمكن الآن تمييز أصواته: "يا يا يوم! يا يا يوم! مو زين والله! يا يا يوم! مو زين والله! Ya! Ya! Yawm! Mu zein, wallah!"
مر المنشدون بالمدخل الأمامي فهدرت أصواتهم واصلة للحجرات الداخلية. ثم ببطء أخذ الصوت يتضاءل.

عندما خفت الصوت بما فيه الكفاية بدأت جيسيكا تتلو الشعيرة بصوت حزين: "كان الوقت رمضان Ramadhan وأبريل على بيلا تيجيوس"

قالت هارا: "جلست أسرتي في فنائها المطل على بركة المياه، والهواء حولهم مشبع بالرطوبة المتصاعدة من رشاش نافورة. كانت في متناول أيديهم شجرة برتقال Portyguls، مستدير ولونه داكن. وكانت بقربهم سلة مشمش Mish Mish، وبقلاوة Baklawa، وفناجين لِبان Liban، والكثير من المأكولات الطيبة. كان السلام يعم حدائقنا وقطعاننا.. سلام في كل البلاد"

قالت عاليا: "كانت الحياة كلها سعادة إلى أن جاء الغزاة"

قالت جيسيكا: "تدفقت الدماء باردة عند سماع صراخ الأصدقاء"

وشعرت بالذكريات تندفع خلالها، نابعة من كل تلك الحيوات الماضية الأخرى التي تشترك فيها.

قالت هارا: "صرخت النساء: لا، لا، لا"

قالت جيسيكا: "جاء الغزاة عبر فناء المشتمَل Mushtamal، مندفعين نحونا وسكاكينهم حمراء تقطر منها حياة رجالنا"

خيم الصمت على ثلاثتهم، كما كان الحال الآن في كل حجرات السياتش.. صمت التذكر والإبقاء على الحزن طازجا.

ثم نطقت هارا الخاتمة الطقوسية للشعيرة، صابغة الكلمات بقسوة لم تسمعها جيسيكا تقال بها من قبل.

قالت هارا: "لن نسامح أبدا، ولن ننس أبدا"

وخلال الهدوء التأملي الذي تلا كلماتها سمعا همسات ناس، وحفيف عدة أثواب. أحست جيسيكا بشخص يقف وراء الستائر التي تحمي حجرتها.

"سيدتنا الموقرة؟"

كان صوتا نسائيا، وتعرفت جيسيكا عليه: صوت ثارثار، إحدى زوجات ستيلجار.

"ما الأمر يا ثارثار؟"

"هناك مشكلة أيتها السيدة الموقرة"

شعرت جيسيكا بقلبها ينقبض، وبخوف فجائي على بولس. شهقت: "بولس..."

أزاحت ثارثار الستائر وولجت الحجرة. لمحت جيسيكا حشدا من الناس في الحجرة الخارجية قبل أن تعود الستائر مكانها. رفعت بصرها لثارثار.. كانت امرأة سمراء ضئيلة ترتدي ثوبا أسود عليه أشكال حمراء، وعيناها تامة الزرقة مثبتة على جيسيكا، وفتحتا أنفها الدقيق متسعتان بحيث كشفتا خدوش سدادات الأنبوب.

قالت جيسيكا: "ما الأمر؟"

قالت ثارثار: "وصلنا خبر من الرمال. أصول سيقابل الصانع في الاختبار.. سيحدث اليوم. يقول الشباب أنه من المستحيل أن يفشل، وأنه مع حلول الليل سيكون قد أصبح راكب رمال. الشباب يجتمعون للخروج في غارة. سيغزون شمالا ويقابلون أصول هناك. ويقولون أنهم سيرفعون صرخة الحرب حينئذ. ويقولون أنهم سيجبرونه على تحدي ستيلجار وأن يتقلد زعامة القبائل"

فكرت جيسيكا: تجميع الماء، زرع الكثبان، تغيير عالمهم ببطء لكن في خطوات أكيدة.. لم تعد هذه الأشياء كافية. الغارات الصغيرة، الغارات أكيدة النتيجة.. لم تعد كافية بعد أن قمت أنا وبولس بتدريبهم. إنهم يشعرون بقوتهم. ويريدون القتال.

راوحت ثارثار بين قدميها، وتنحنحت.

فكرت جيسيكا: إننا نعلم الحاجة للانتظار الحذر، لكن هذا هو لب شعورنا بتثبيط العزم. فنحن نعلم أيضا الضرر الذي يمكن أن يسببه لنا الانتظار الطويل. إذ نفقد إحساسنا بالهدف إن طال الانتظار.
قالت ثارثار: "يقول الشباب الصغار أنه لو لم يواجه أصول ستيلجار في نزال فهو بالتأكيد خائف"
وخفضت بصرها.
تمتمت جيسيكا: "هكذا إذن". وفكرت: حسنا، لقد توقعت حدوث هذا. وستيلجار أيضا توقعه.
تنحنحت ثارثار مرة أخرى وقالت: "حتى أخي شواب يقول هذا. لن يتركوا أمام أصول أي خيار"
فكرت جيسيكا: إذن فقد أتى الوقت. وسيجب على بولس أن يتعامل مع الموقف بنفسه. فالسيدة الموقرة لا تجرؤ على التدخل في عملية الخلافة.
حررت عاليا يدها من يد أمها وقالت: "سأذهب مع ثارثار وأستمع للشباب. ربما يكون هناك مخرج"
قابلت جيسيكا نظرة ثارثار لكن وجهت كلامها لعاليا: "اذهبي إذن. وقدمي لي تقريرا في أسرع وقت ممكن"
قالت ثارثار: "لا نرغب في حدوث هذا الأمر أيتها السيدة الموقرة"
وافقتها جيسيكا: "لا نرغب فيه فعلا. فالقبيلة تحتاج كل قوتها"، ثم رمقت هارا: "هل ستذهبي معهما؟"
أجابت هارا على الجزء غير المنطوق من السؤال: "لن تسمح ثارثار بأن تصاب عاليا بأي أذى. فهي تعلم أننا سنصبح عما قريب زوجات مشتركات، أنا وهي، وسنتشارك نفس الرجل. لقد تكلمت أنا وثارثار"، ورفعت هارا بصرها لثارثار ثم عادت به لجيسيكا: "بيننا تفاهم"
مدت ثارثار يدها لعاليا وقالت: "علينا أن نسرع. فالشباب سيخرجون"
مرا من بين الستائر، ويد الطفلة في يد المرأة الضئيلة، لكن بدا أن الطفلة هي من تقود الطريق.
قالت هارا: "لو قتل بولس-مؤدب ستيلجار فلن يخدم هذا مصلحة القبيلة. كانت هذه هي طريقة الخلافة في الماضي دائما، لكن الأوضاع الآن تغيرت"
قالت جيسيكا: "أوضاعك أنت أيضا قد تغيرت"
قالت هارا: "لا تظني أن عندي شك في نتيجة نزال كهذا. فأصول سيفوز لا محالة"
قالت جيسيكا: "وهذا ما كنت أقصده"
قالت هارا: "وفي ظنك أن مشاعري الشخصية تؤثر في حكمي"، هزت رأسها فصدر رنين من حلقات عملاتها المائية المحيطة برقبتها: "إنك مخطئة في ظنك للغاية. بل وربما تظنين أيضا أني أشعر بالأسف لأن أصول لم يخترني.. أني أشعر بالغيرة من شاني؟"
قالت جيسيكا: "المرء يختار المتاح له"
قالت هارا: "إني أشفق على شاني"
تصلبت جيسيكا: "ماذا تعنين؟"
قالت هارا: "إني أعلم رأيك في شاني. تظنين أنها لا تصلح زوجة لابنك"
عادت جيسيكا بظهرها للوراء واسترخت على وسادتها، ثم هزت كتفيها وقالت: "ربما"
قالت هارا: "وربما تكونين محقة فعلا. وإن كنتِ، فقد يفاجئك وجود حليف له نفس الرأي.. شاني نفسها. فهي تريد ما فيه مصلحته"
ازدردت جيسيكا لعابها عبر غصة مفاجئة شعرت بها في حلقها. وقالت: "شاني عزيزة على نفسي. لا يمكن أن تـ..."

قالت هارا: "سجاجيدك هنا متسخة للغاية"، ومسحت بصرها في أرجاء الأرضية، متحاشية عيني جيسيكا: "كثير من الناس يدوسون هذا المكان طوال الوقت. عليك أن تأمري بتنظيفها أكثر من هذا"

الفصل 42

"ليس بالإمكان تجنب تفاعلات السياسة داخل ديانة أصولية. فهذا الصراع السلطوي يتخلل التدريب والتعليم والتربية في المجتمع الأصولي. وبسبب هذا الضغط فإن قادة مثل هذه المجتمعات سيواجهون حتما ذلك السؤال الداخلي النهائي: إما الخضوع بشكل مطلق لنزعة الانتهازية كثمن للإبقاء على حكمهم، أو المخاطرة بالتضحية بأنفسهم من أجل المعايير الأخلاقية الأصولية"

من كتاب "المؤدب: المسائل الدينية"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

وقف بولس على الرمال ينتظر على الحافة الخارجية لمسار دودة الصانع العملاقة المقتربة.
ذكّر نفسه: لا ينبغي أن أنتظر كالمهربين، نافد الصبر ومرتبك. يجب أن أصبح جزءا من الصحراء.
كان الشيء لا يبعد الآن سوى بضعة دقائق، مالئا جو الصباح بهسيس الاحتكاك الناتج عن حركة مروره. انتشرت أسنانه الهائلة - داخل دائرة فمه الشبيهة بالكهوف - وكأنها زهرة ضخمة. رائحة البهار المنبعثة منه عبّقت الهواء.
انسابت بذلة تقطير بولس بسهولة على جسده، ولم يكن منتبها بدرجة كبيرة لسدادات أنفه ولا لقناع التنفس. فقد طغت دروس ستيلجار - التي استمرت لساعات مجهدة على الرمال - على كل شيء آخر.
كان ستيلجار قد قال له: "في حالة الرمال الحصوية، ما المسافة التي يجب أن تقف عندها خارج نصف قطر الصانع؟"
فأجابه الإجابة الصحيحة: "نصف متر مقابل كل متر من أمتار قطر الصانع"
"لماذا؟"
"كي أتجنب الدوامة الناتجة عن مروره وفي نفس الوقت ليكون معي من الوقت ما يسمح بأن أركض وأصعد عليه"
فقال ستيلجار: "لقد امتطيتَ الديدان الصغيرة التي نربيها للبذر ولماء الحياة، لكن ما ستستدعيه أثناء اختبارك سيكون صانعا بريا.. من شيوخ الصحراء. ينبغي أن تُكن لمخلوق كهذا الاحترام المناسب"
كانت ضربات الدقاق العميقة قد امتزجت الآن مع هسيس الدودة المقتربة. تنفس بولس بعمق، فشم مرارة معدنية في الرمال، كانت ظاهرة حتى عبر مرشحات تنفسه. لاح الصانع البري - شيخ الصحراء المسن - ضخما، يكاد يصل إليه. مقاطع جسده الأمامية البارزة نثرت موجة رملية ستصل برذاذها حتى ركبتيه.
فكر: هيا اصعد أيها الوحش الجميل. لأعلى. إنك تسمعني أستدعيك. اصعد. اصعد.
رفعت الموجة قدميه. تناثر عليه الغبار السطحي. ثبت قدميه في مكانه وأصبح عالمه كله مركزا على مرور هذا الحائط المقوس المحاط بسحابة رملية.. هذا الجرف المقسم لمقاطع، وخطوط الحلقات ظاهرة عليه بوضوح.
رفع بولس خطافيه ومد بصره على امتدادهما ثم مال للأمام. أحس بهما ينغرزان ويسحبانه. وثب لأعلى، غارسا قدميه في هذا الحائط وهو يميل بجسده للخارج معتمدا على الخطافين المغروزين.
كانت هذه لحظة الاختبار الحقيقية.. فلو كان قد غرز الخطافين بشكل صحيح عند الحافة الأمامية لأحد المقاطع الحلقية، فاتحا المقطع، فإن الدودة لن تتدحرج لأسفل وتسحقه.
تباطأت الدودة. انسابت عابرة فوق الدقاق، فأخرسته. ثم ببطء بدأت تتدحرج.. لأعلى، ولأعلى، جاعلةً هذه الشصوص

الخطافية المزعجة في أعلى موضع ممكن، بعيدا عن الرمال التي تهدد الطيات الداخلية الناعمة لهذا المقطع الحلقي.
وجد بولس نفسه يمتطي ظهر الدودة في وضع مستقيم. شعر بالابتهاج، وكأنه إمبراطور يفحص كوكبه.
كبح رغبة فجائية في أن يقفز في موضعه، وأن يدير الدودة كي يتفاخر بسيادته على هذا المخلوق.
وفجأة فهم لماذا حذره ستيلجار في إحدى المرات من أفعال الشباب المتهورين الذين يرقصون ويعبثون بهذه الوحوش، فيقومون على ظهورها بتأدية حركات الوقوف على الأيدي، وينزعون كلا الخطافين ثم يعيدان غرزهما قبل أن تتمكن الدودة من إسقاطهم من على ظهرها.
نزع بولس خطافا - تاركا الأول كما هو - وغرزه في موضع تحت موضعه السابق، على جانب الدودة. وعندما أصبح الخطاف الثاني ثابتا وتم اختباره قام بنزع الأول وأنزله.. واستمر يعمل بهذه الطريقة هابطا على الجانب.
تدحرج الصانع، وبينما هو يتدحرج كان يدور ملتفتا، متجها نحو رقعة الرمل الدقيق التي يقف الآخرون عندها منتظرين.
رآهم بولس يصعدون، مستخدمين خطاطيفهم للتسلق، لكن متجنبين حواف الحلقات الحساسة، إلى أن وصلوا للقمة.
انتظموا خلفه في ثلاثة صفوف، ممتطين الدودة، وحافظين توازنهم بالقبض على خطاطيفهم.
تقدم ستيلجار مخترقا الصفوف، وفحص طريقة وضع خطافي بولس، ثم رفع بصره لوجه بولس المبتسم.
قال ستيلجار، رافعا صوته فوق هسيس تحركهم: "فعلتها، صحيح؟ أهذا ما تظنه؟ أنك فعلتها؟"
ثم شد قامته: "الآن علي أن أخبرك أن أداءك كان غير متقن إطلاقا. عندنا صبيان في الثانية عشرة يحسنون الأمر أفضل من هذا. في موضع انتظارك كان يوجد رمل طبلي على يسارك. ما كنت ستتمكن من التراجع لهذا الاتجاه إن دارت الدودة متجهة إليه"
انزلقت الابتسامة من على وجه بولس: "لقد رأيتُ الرمل الطبلي"
"إذن لماذا لم تشر لأحدنا بأن يتخذ موقعا ثانويا يلي موقعك؟ إنه أمر مسموح به حتى خلال الاختبار"
ازدرد بولس لعابه وأدار وجهه لاتجاه الريح الناتجة عن حركتهم.
قال ستيلجار: "قد تظن الآن أن كلامي هذا سيء، لكنه واجبي. فإني أفكر في قيمتك الكبيرة للجنود. لو كنت قد تعثرت في هذا الرمل الطبلي فإن الصانع كان سينقض عليك"
على الرغم من جيشان الغضب فإن بولس أدرك صحة كلام ستيلجار. استغرق الأمر دقيقة كاملة - وجهد بالغ نابع من التدريب الذي تلقاه من أمه - كي يستعيد بولس هدوءه.
قال: "أعتذر. لن يتكرر هذا"
قال ستيلجار: "في الأوضاع الصعبة عليك أن تترك لنفسك دائما شخصا احتياطيا، كي يقتنص الصانع إن لم تستطع. تذكر أننا نعمل كوحدة واحدة. فبهذه الطريقة نكون واثقين من النتيجة. إننا نعمل كوحدة واحدة، صحيح؟"
وخبط كتف بولس.
وافقه بولس: "كوحدة واحدة"
قال ستيلجار: "والآن"، وأصبحت نبرة صوته جافة: "أرني أنك قادر على التعامل مع الصانع. على أي جانب نقف الآن؟"
هبط بولس ببصره إلى السطح الحلقي القشري الذي يقفون عليه، ملاحظا طبيعة وحجم الحراشيف، والطريقة التي يزداد فيها حجمهم في اتجاه اليمين ويصغر عند اليسار. كان يعلم أن كل دودة معتادة على التحرك بحيث يكون أحد جانبيها لأعلى أغلب الوقت. ومع تقدمها في العمر فإن الجانب العلوي المعتاد يصبح شيئا شبه دائم. فيزداد حجم القشور السفلية وتصبح أثقل وأنعم. يمكن التعرف على القشور العلوية - في الديدان الكبيرة - بمجرد النظر لحجمها.

انتقل بولس لليسار، مغيرا وضع خطافيه. أشار لرجال الجانبين بأن يفتحوا قطاعات على امتداد الجانبين وأن يحافظوا على سير الدودة في اتجاه مستقيم أثناء تدحرجها. عندما قام بإدارتها أشار لرجلين من رجال التوجيه بأن يخرجا من الصف ويتجها لمواضع متقدمة.
صاح الصيحة التقليدية: "آخ هاي يوه!" ففتح رجل التوجيه المسؤول عن الجانب الأيسر مقطعا حلقيا في هذا الموضع.
وفي حركة دائرية مهيبة دار الصانع كي يحمي جزءه المفتوح. أتم استدارة كاملة، وعندما أصبح موجها للجنوب صاح بولس: "جيراط!"
نزع رجل التوجيه خطافه فسار الصانع في مسار أمامي مستقيم.
قال ستيلجار: "جيد جدا يا بولس-مؤدب. مع المزيد من الممارسة يمكن أن تصبح راكب رمال فعلا"
عبس بولس مفكرا: ألم أكن أول من صعد؟
ثم علت الضحكات فجأة من خلفه، وبدأت الفرقة تهلل، قاذفة باسمه لعلو السماء: "المؤدب! المؤدب! المؤدب! المؤدب!"
ومن عند الطرف النهائي الخلفي لسطح الدودة سمع بولس طرقات الناخسين وهم يقرعون بمهاميزهم مقاطع الذيل، فبدأت الدودة تسرع. خفقت أثوابهم في الريح وتزايد صوت الكشط الناتج عن حركة مرورهم.
نظر بولس خلفه للمجموعة فعثر على وجه شاني بينهم. نظر لها وهو يتحدث لستيلجار: "إذن أأصبحتُ راكب رمال يا ستيل؟"
"ها اليوم! Hal yawm. أنت اليوم راكب رمال"
"إذن يمكنني أن أختار وجهتنا؟"
"هذا هو المتعارف عليه"
"إني الآن فريمني مولود هذا اليوم في عِرق حبانيا. لم تكن لي حياة قبل هذا اليوم. كنت حتى هذا اليوم كالطفل"
قال ستيلجار: "لم تكن طفلا بالضبط"، وأحكم أحد جوانب قلنسوته إذ كانت الريح تحركه بقوة.
"لكن كانت توجد سدادة تغلق عالمي. وهذه السدادة قد تم نزعها"
"لا توجد سدادة"
"سأذهب للجنوب يا ستيلجار.. مسافة 20 دقاق. سأرى تلك الأرض التي نبنيها.. تلك الأرض التي لم أرها سوى من خلال عيون الآخرين"
وفكر: وسأرى ابني وأسرتي. أحتاج الآن لوقت لأفكر في المستقبل، الذي يراه عقلي كالماضي. إن الاضطراب يقترب، وإن لم أكن في الموضع الذي يمكنني فيه نقض غزله فإنه سينتشر بصورة مفزعة.
نظر له ستيلجار بنظرة فاحصة ثابتة. أبقى بولس انتباهه على شاني، مشاهدا الاهتمام يسرع إلى وجهها، وملاحظا أيضا الإثارة التي أشعلتها كلماته في المجموعة.
قال ستيلجار: "الرجال متشوقون للغزو معك في أحواض الهاركونن. ومنطقة الأحواض لا تبعد سوى مسافة دقاق واحد"
قال بولس: "إن الفدائيين قد شاركوني في الغزوات. وسيغزون معي مرة أخرى حتى لا يبقى أي هاركوني يتنفس هواء أراكس"
دقق ستيلجار فيه أثناء ركوبهم، وأدرك بولس أن الرجل كان يرى هذه اللحظة من خلال ذكرى صعوده هو لزعامة سياتش طبر ولترأس مجلس القادة حاليا بعد موت ليات- كاينز.
فكر بولس: لقد وصلته أخبار القلق المنتشر بين شباب الفريمن.
قال ستيلجار: "أتريد أن نجمع القادة في مجلس؟"

لمعت العيون وسط شباب الفرقة. شاهدوا ما يحدث وهم يتمايلون أثناء الركوب. ورأى بولس نظرة الاضطراب على شاني، والطريقة التي كانت تنظر فيها لستيلجار - والذي كان عمها - ثم لبولس-مؤدب، والذي كان خليلها.
قال بولس: "ليس بإمكانك تخمين ما أريده"
وفكر: لا يمكن أن أتراجع. يجب أن أحكم سيطرتي على هؤلاء الناس.
قال ستيلجار: "أنت اليوم مدير Mudir ركوب الرمال"، ورنت في صوته نبرة رسمية باردة: "كيف ستستغل هذه السلطة؟"
فكر بولس: يلزمنا وقت للاسترخاء.. وقت للتأمل الهادئ.
قال بولس: "سنذهب جنوبا"
"حتى لو قلتُ أننا سنعود للشمال عندما ينتهي هذا اليوم؟"
كرر بولس: "سنذهب جنوبا"
أحاطت بستيلجار هالة وقار في مواجهة المحتوم، وأحكم ثوبه على جسده، وقال: "إذن سنعقد مجلسا. سأبعث بالرسائل"
فكر بولس: يظن أني سأتحداه في نزال، ويعلم أنه لا يستطيع الوقوف ضدي.
التفت بولس جنوبا، شاعرا بالرياح على وجنتيه المكشوفتين، ومفكرا في الضروريات التي تدفع قراراته.
فكر: لا يفهمون طبيعة الأمر الذي أعانيه.
لكنه كان يعلم أنه لا يمكنه السماح لأية اعتبارات بأن تحرف مساره. يجب أن يظل على الخط المركزي للعاصفة الزمنية التي يراها في المستقبل. ستحل لحظة سيكون بإمكانه عندها تفكيك العاصفة، لكن لن يحدث هذا إلا لو كان بالموضع الذي يمكنه منه قطع العقدة المركزية.
فكر: لن أتحداه للنزول ضدي في نزال لو لم أكن مضطرا لذلك.. لو هناك أي طريقة أخرى لمنع الجهاد...
قال ستيلجار: "سنعسكر لنتناول وجبة المساء ونؤدي الصلاة عند كهف الطير تحت سلسلة صخور حبانيا"
وثبّت توازنه على أحد الخطاطيف كي لا يميل مع حركة الصانع، وأشار للأمام إلى حاجز صخري منخفض يبرز من الصحراء.
تأمل بولس الجرف الصخري، وما به من خطوط صخرية عظيمة متموجة تقطعه وكأنها أمواج. لم تكن توجد خضرة ولا نباتات مزدهرة لتكسر حدة هذا الأفق الصارم. ووراءه امتد الطريق المؤدي للصحراء الجنوبية.. طريق يستغرق 10 أيام بلياليهم على الأقل، حتى مع أقصى سرعة يمكنهم نخس ديدان الصانع بها.
مسافة 20 دقاق.
كان الطريق يبعدهم كثيرا عن دوريات الهاركونن، وكان يعلم ما يوجد هناك. فأحلامه قد أرته.
فخلال أحد أيام سفرهم سيحدث تغير طفيف في اللون عند الأفق البعيد.. طفيف لدرجة أنه سيظنه خيالا أنتجته آماله.. ثم سيظهر السياتش الجديد.
قال ستيلجار: "هل يلائم قراري المؤدب؟"، ولم تبد في صوته سوى مسحة خفيفة من التهكم، إلا أن آذان الفريمن من حولهما - والمعتادة على الانتباه لكل نغمة في صيحات الطيور أو في أنبوب رسائل السيلاجو - سمعت التهكم، فراقبوا بولس لينظروا ماذا سيفعل.
قال بولس: "لقد سمعني ستيلجار أقسم له يمين الولاء عندما أنشأنا فرقة الفدائيين. ومغاوير الموت التابعون لي يعلمون أني أتكلم بشرف. أيشك ستيلجار في هذا؟"
بدا الألم الحقيقي في صوت بولس، فسمعه ستيلجار وخفض بصره.
قال ستيلجار: "إن أصول - رفيقي في السياتش - لا يمكن أن أشك فيه أبدا. لكنك بولس-مؤدب، الدوق الأتريدي، وأنت

أيضا لسان الغيب، الصوت القادم من العالم الخارجي. وهذان لا أفهمهما من الأساس"

التفت بولس ليرى قمم حبانيا تصعد بالتدريج فوق الصحراء. كان الصانع من تحتهما لا زال يبدو قويا وراغبا في الاستمرار. بإمكانه أن يحملهما ضعف المسافة التي يقطعها أي صانع آخر خبره الفريمن. كان متأكدا من هذا.

لا يوجد شيء يماثل شيخ الصحراء هذا، إلا في ما يحكى للأطفال من حواديت. أدرك بولس أنه مادة خصبة لأسطورة جديدة.

قبضت يد على كتفه. نظر لها بولس وتبع الذراع ببصره إلى أن وصل لوجه صاحبها.. بدت عينا ستيلجار الداكنتان ما بين قناع المرشح وقلنسوة بذلة التقطير.

قال ستيلجار: "الشخص الذي كان يتزعم سياتش طبر من قبلي.. كان صديقا لي. تشاركنا المخاطر. كان يدين لي بحياته عدة مرات.. وكنت مدينا له بحياتي أيضا"

قال بولس: "إني صديقك يا ستيلجار"

قال ستيلجار: "لا أحد يشكك في هذا"، ثم أزال يده وهز كتفيه وقال: "إنه العرف ليس إلا"

رأى بولس أن ستيلجار كان منغمسا بالكامل في الأعراف الفريمنية بحيث يستحيل أن تخطر له احتمالية وجود أي طريقة أخرى. فالقائد هنا يتسلم مقاليد السلطة من يدي سلفه الميت، أو عن طريق مقاتلته لأقوى أفراد قبيلته لو كان القائد قد مات في الصحراء. صعد ستيلجار لمنصب النائب بهذه الطريقة.

قال بولس: "علينا أن نترك هذا الصانع في منطقة رمال عميقة"

وافقه ستيلجار: "أجل. بإمكاننا أن نسير للكهف من هنا"

قال بولس: "لقد امتطيناه لمسافة طويلة لدرجة أنه سيدفن نفسه ويظل متجهما ليوم أو أكثر"

قال ستيلجار: "أنت مدير ركوب الرمال. أخبرنا متى تـ..."

وقطع حديثه وأخذ يحدق في السماء الشرقية.

استدار بولس.

طبقة زرقة البهار على عينيه جعلت السماء تبدو داكنة، كفلتر لازوردي سميك ظهر عليه - في تباين حاد - وميض إيقاعي بعيد.

أورنيثوبتر!

قال ستيلجار: "طائرة ثوبتر واحدة صغيرة"

قال بولس: "قد تكون للاستطلاع. أتظن أنهم رأونا"

قال ستيلجار: "على هذه المسافة لا نبدو إلا كدودة تسير على السطح"، وأشار بيده اليسرى: "اهبطوا. انتشروا على الرمال"

بدأت المجموعة تتسلق هابطة من على جانبي الدودة، وقفزوا أرضا مندمجين مع الرمال، مختفين تحت أرديتهم. انتبه بولس للموضع الذي هبطت شاني فيه، وبعد فترة لم يبق سواه ومعه ستيلجار.

قال بولس: "أول من يركب هو آخر من ينزل"

أومأ له ستيلجار ونزل من على الجانب مستخدما خطافيه، ثم وثب هابطا على الرمال.

انتظر بولس حتى ابتعد الصانع بمسافة آمنة عن منطقة انتشارهم، ثم نزع خطافيه. عندها أتت المرحلة التي تتطلب براعة خاصة عندما تكون الدودة لم يتم إنهاكها تماما بعد.

فبعد أن تحررت من مهاميزها وخطاطيفها بدأت الدودة الضخمة تحفر في الرمال. ركض بولس بخفة للخلف على امتداد

سطحها المتسع ثم قام بحساب اللحظة المناسبة بحرص، وقفز.
هبط على الأرض راكضا، واندفع بقوة على الجانب المنزلق لأحد الكثبان، كما علموه، وأخفى نفسه تحت الرمل المنسدل على ردائه. والآن، الانتظار...
التفت بولس برفق وكشف شقا من السماء تحت طية من طيات ردائه، وتوقع أن الآخرين خلفه، على امتداد مسارهم، يفعلون نفس الشيء. سمع خفقات أجنحة الثوبتر قبل أن يراها. وصله هسيس النفاثات ثم مرت فوق بقعته الصحراوية، ثم استدارت في قوس واسع متجهة إلى السلسلة الصخرية.
لاحظ بولس أنها ثوبتر بلا رموز تحدد هويتها.
طارت مختفية عن الأنظار لما وراء قمم حبانيا.
سُمع في الصحراء صياح طائر. ثم تلاه آخر. نفض بولس الرمل عن نفسه وتسلق قمة الكثيب. كان أشخاص آخرون يقفون في خط يمتد بعيدا عن السلسلة الصخرية. تعرف بينهم على شاني وستيلجار.
أشار ستيلجار ناحية السلسلة الصخرية.
تجمعوا وبدؤوا سيرهم على الرمل، منزلقين على السطح بخفة في إيقاع مكسور لن يزعج أي صانع. أسرع ستيلجار ليقترب من بولس عند قمة أحد الكثبان التي ضغطتها الرياح.
قال ستيلجار: "كانت طائرة مهربين"
قال بولس: "هذا ما يظهر فعلا. لكن هذا الموضع في الصحراء عميق بالنسبة للمهربين"
قال ستيلجار: "هم أيضا مثلنا تواجههم مشاكل بسبب الدوريات"
قال بولس: "إن وصلوا لهذا العمق، فلربما تمادوا أكثر"
"صحيح"
"من غير المستحسن أن يشاهدوا ما يمكن لهم مشاهدته إن اقتحموا المناطق الجنوبية العميقة. فالمهربون يبيعون المعلومات أيضا"
قال ستيلجار: "لقد كانوا يبحثون عن البهار، ألا تظن ذلك؟"
قال بولس: "ستكون هناك طائرة حاملة وزاحفة تنتظران هذه الطائرة في مكان ما. يوجد معنا بهار. دعنا نضع بقعة بهار كطُعم ونقتنص بعض المهربين. يجب أن يتعلموا أن هذه أرضنا.. ورجالنا يحتاجون للتدرب على استخدام الأسلحة الجديدة"
قال ستيلجار: "الآن أصول هو من يتكلم. أصول يفكر كالفريمن"
فكر بولس: لكن أصول مضطر لاتخاذ قرارات تؤدي في النهاية لحدوث الغاية الرهيبة.
ونُذر العاصفة تتجمع.

الفصل 43

"عندما يصبح القانون والواجب شيئا واحد، ويوحد الدين بينهما، يستحيل أن تصبح كامل الإدراك ووعيك بذاتك تام. ستظل دائما أقل قليلا من الشخص المستقل"

من كتاب "المؤدب: عجائب الكون الـ 99"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

حلق مصنع معالجة البهار المحمول على الحاملة الطائرة التابعة للمهربين - ومعه طائرات الأورنيثوبتر التي تحيط به على شكل حلقة - فوق كثبان رملية مرتفعة، فبدت المجموعة وكأنها سرب من الحشرات يتبع ملكته.
من موضع متقدم أمام السرب كانت تبرز من الصحراء إحدى السلاسل الصخرية المنخفضة، وكأنها محاكاة مصغرة للجدار الجبلي.. وبدا أن شواطئ السلسلة الصخرية الجافة قد مسحتها إحدى العواصف منذ وقت قريب.
داخل قمرة المصنع التي على شكل فقاعة مال جيرني هاليك للأمام وأعاد ضبط العدسات الزيتية لنظارته المكبرة، وأخذ يفحص التضاريس. وراء السلسلة الصخرية كان بإمكانه رؤية بقعة داكنة يمكن أن تكون ناتجة عن 'انفجار بهاري'، فأعطى إشارة لإحدى الأورنيثوبترات المحلقة كي تذهب وتحقق من الأمر.
هزت الثوبتر ذيلها كي تعلمه أنها قد تلقت الإشارة، ثم انفصلت عن السرب وأسرعت قاصدة البقعة الداكنة، ودارت حول المنطقة بينما كان كشافوها متدلين قريبا من السطح. وعلى الفور تقريبا بدأت في تأدية حركة غمس الجناح والاستدارة حول النفس، والتي أخبرت المصنع المنتظِر أنه قد تم العثور على بهار في المكان.
أعاد جيرني نظارته المكبرة لجرابها، عالما أن الآخرين قد شاهدوا الإشارة.
أعجبته هذه المنطقة، إذ أن السلسلة الصخرية كانت توفر قدرا من الحماية. كان موقعهم هذا في عمق الصحراء، حيث من المستبعد أن يقعوا في كمين، لكن الحرص واجب على أية حال.
أعطى جيرني الإشارة لطاقم إحدى الطائرات بأن يحلق فوق السلسلة الصخرية، كي يمسحها بصريا، وبعث بأطقم احتياطية كي تتخذ مواضع ثابتة حول المنطقة، ضمن تشكيل، لكن دون أن يرتفعوا كثيرا كي لا تتمكن دوريات الهاركونن التفتيشية من رؤيتهم من بعيد. وإن كان يشك في أن توجد دوريات هاركونن أصلا على هذا العمق الجنوبي. فقد كانت هذه المناطق لا تزال بلادا فريمنية.
فحص جيرني أسلحته، صابا لعنته على ما جعل الدروع هنا عديمة النفع. فكل شيء يمكن أن يستدعي الديدان كان يجب تجنبه مهما كان الثمن.
دلّك ندبة الإنكفاين الممتدة بطول فكه، مدققا في التضاريس، وقرر أن التصرف الأكثر أمانا هو أن يقود جماعة مشاة خلال السلسلة الصخرية. فالتحقق من الأمور سيرا على الأقدام كان لا يزال أكثر الأساليب دقة. لا يمكن للمرء أن يتساهل بالمجازفة عندما يكون كل من الفريمن والهاركونن في حالة عداء شديدة للآخر كما هو الحال الآن.
الفريمن هنا هم مصدر قلقه. فمع أنهم لا يمانعون في مقايضتك تجاريا مقابل كل ما تقدر عليه من بهار إلا أنهم يصبحون شياطين حربية إن خطوت خطوة في مكان قد منعوك من دخوله.
ومؤخرا كانوا ماهرين للغاية، أكثر من أي وقت مضى.

كانت مهارة وبراعة هؤلاء القوم المحليين تثير إزعاج جيرني. فقد أظهروا حِرفية في العمليات العسكرية لا تقل عن أفضل ما مر به في حياته.. مع أنه تدرب على يد أفضل المقاتلين في الكون ثم أنضجته معارك لم ينج منها سوى الممتازين.
مسح جيرني تضاريس المكان ببصره مرة أخرى، سائلا نفسه عن الشيء الذي يثير فيه مشاعر القلق. ربما كان السبب هو الدودة التي شاهدوها.. لكنها كانت موجودة بعيدا على الجانب الآخر للسلسلة الصخرية.
أطلت رأس شخص داخل القمرة جوار جيرني. كان الشخص هو قائد مصنع معالجة البهار.. قرصان مسن، أعور، له لحية وافرة، وزرقة العيون والأسنان البيضاء كاللبن الناتجان عن وجود البهار في طعامه.
قال قائد المصنع: "يبدو أنها بقعة غنية بالبهار يا سيدي. هل أهبط بالمركبة؟"
قال جيرني آمرا: "اهبط عند حافة تلك السلسلة، ودعني أنزل مع رجالي. ومن هذه النقطة يمكنك التحرك بالسيور الجرارة إلى أن تصل للبهار. وسنفحص نحن تلك الصخرة"
"تمام"
قال جيرني: "وفي حالة حدوث مشاكل، قم بإنقاذ المصنع. فسنصعد نحن على متن طائرات الثوبتر"
أدى له قائد المصنع التحية وقال: "تمام يا سيدي"، وخرجت رأسه عائدة عبر الفتحة.
لحص جيرني الأفق من جديد. عليه أن يعمل حساب احتمال وجود فريمن هنا وأنه كان يتعدى على مناطقهم.
كان الفريمن يصيبونه بالقلق.. صلابتهم وأفعالهم غير المتوقعة.
الكثير من الأمور كانت تصيبه بالقلق في هذه المهنة، لكن العائد المادي كان ضخما. كان قلقا أيضا من مسألة أنه غير قادر على المجازفة بإرسال طائرات المراقبة لارتفاعات كبيرة. واضطرارهم لعدم تبادل الرسائل باللاسلكي أضاف لقلقه هذا.
استدارت الزاحفة المصنعية وشرعت في الهبوط. حلقت بانسيابية أثناء نزولها على الشاطئ الجاف الموجود أسفل السلسلة الصخرية.
لمست الدواسات الرمال.
فتح جيرني قبة القمرة، وفك أحزمة الأمان. في اللحظة التي توقف فيها المصنع كان قد خرج بالفعل، مغلقا القمرة خلفه بقوة، ومندفعا فوق حاجز الدواسات، ثم تأرجح واثبا على الرمال بعيدا عن شبكة الطوارئ. ومعه كان الخمسة رجال الذين يشكلون حرسه الشخصي، وقد خرجوا من فتحة المقدمة.
قام آخرون بفك ارتباط المصنع بالحاملة الطائرة، والتي انفصلت ثم ارتفعت محلقة، متخذة مسارا دائريا منخفضا تنتظرهم فيه. وفي الحال وثبت الزاحفة المصنعية الضخمة، مبتعدة عن السلسلة الصخرية وقاصدة بقعة البهار الداكنة البادية وسط الرمال.
انقضت ثوبتر هابطةً في موضع قريب، وانزلقت فوق الرمال إلى أن توقفت.
تبعتها أخرى، ثم أخرى. لفظت الطائرات أفراد فرقة جيرني ثم ارتفعت لتحلق فوقهم.
اختبر جيرني حركة عضلاته في بذلة التقطير، متمطيا. نزع القناع المرشح من على وجهه، مضحيا بفقدان الرطوبة مقابل حاجته للقيام بشيء آخر.. النداء بصوته الجهوري إن اضطر لإلقاء الأوامر. بدأ يتسلق صاعدا الصخور، فاحصا المنطقة.
كان ما تحت قدميه هو حصى ورمل كروي كالبازلاء.. وفي الجو رائحة البهار.
فكر: إنه موقع مناسب لإقامة قاعدة احتياطية. ربما يكون من الحكمة أن ندفن بعض المؤن هنا لتخزينها.
نظر للخلف فشاهد رجاله ينتشرون ويمشون وراءه.
إنهم رجال ممتازون.. حتى الجدد الذين لم يتسع وقته لاختبارهم. رجال ممتازون فعلا.. لم يكن المرء مضطرا لإخبارهم كل

مرة بما عليهم فعله. ولا يبدو على أي منهم بريق أي دروع.
لم يكن في هذه العصبة أي جبناء من الذين يجلبون دروع طاقة للصحراء حيث يمكن لدودة أن تشعر بمجال الطاقة وتأتي لسرقة البهار الذي جمعوه.
من فوق هذا الارتفاع الطفيف على الصخور كان بإمكان جيرني أن يرى بقعة البهار على مسافة نصف كيلو متر تقريبا، وأن الزاحفة أوشكت على الوصول للحافة القريبة.
رفع بصره لينظر للتغطية الجوية، ملاحظا مسافة ارتفاعها.. لم تكن أعلى من اللازم. أومأ لنفسه والتفت ليستأنف صعوده سلسلة الصخور.
وفي هذه اللحظة انفجرت السلسلة.
انطلق في الجو اثنا عشر مسارا ناريا، صاعدين للطائرات المحلقة وللحاملة الطائرة.
من الزاحفة المصنعية صدر صوت انفجار معدني، وأصبحت الصخور المحيطة بجيرني مزدحمة بمقاتلين يغطون رؤوسهم بالقلنسوات.
كانت الخاطرة التي أتيحت لجيرني خلال هذه اللحظة هي: بحق قرني الأم العظمى! صواريخ! تجرؤوا على استخدام صواريخ!
ثم وجد نفسه وجها لوجه مع شخص مقنّع، رابض لأسفل، وسكينه الكريسنايف مشهرة. وعلى الصخور التي على يمينه ويساره كان يقف رجلان آخران ينتظران. لم يكن يظهر لجيرني من المقاتل الذي أمامه سوى العينين ما بين قلنسوة ولثام برنس بلون الرمال.. لكن وضع الاستعداد الرابض حذّره من أن هذا الشخص مقاتل متمرس.
كانت العينان تامتي الزرقة، كما هو معتاد في الفريمن الساكنين قلب الصحراء.
حرك جيرني إحدى يديه ناحية سكينه الخاص، وحافظ على عينيه مثبتتين على سكين الشخص الآخر.
ما داموا قد تجرؤوا على استخدام الصواريخ فإن هذا قد يعني امتلاكهم لأسلحة قاذفة أخرى. كانت هذه اللحظة تستلزم حرصا بالغا. علم بمجرد السماع أن جزءا - على الأقل - من غطائه الجوي قد تم تدميره. وبالإضافة لذلك كانت هناك أصوات خوار لاهثة.. عدة صراعات تدور خلفه.
تتبعت عينا المقاتل الواقف أمام جيرني حركة يده المتجهة لموضع السكين، ثم عادتا تحدقان في عيني جيرني.
قال الرجل: "دع السكين في غمدها يا جيرني هاليك"
تردد جيرني. بدا له هذا الصوت مألوفا بشكل غريب، حتى مع مروره عبر مرشح بذلة التقطير.
قال: "أتعرف اسمي؟"
قال الرجل: "لستَ بحاجة لاستخدام سكين ضدي يا جيرني"، ثم اعتدل قائما ودس الكريسنايف في غمدها الموجود تحت ثوبه.
"أخبر رجالك بأن يتوقفوا عن المقاومة عديمة الجدوى"
ثم ألقى الرجل بقلنسوته للخلف، ونزع المرشح جانبا.
تجمدت عضلات جيرني لشعوره بالصدمة مما رآه. في البداية ظن أنه ينظر لصورة شبحية للدوق ليتو أتريديز. ثم غمره الفهم بالتدريج.
همس: "بولس". ثم بصوت مرتفع أكثر: "هل أنت حقا بولس؟"
قال بولس: "ألا تثق بعينيك؟"
قال جيرني بصوت مبحوح: "لقد قالوا أنك مت"، وتقدم نصف خطوة للأمام.

قال بولس بنبرة آمرة: "وجّه الأمر لرجالك بالاستسلام"، ولوح ناحية مناطق السلسلة الصخرية المنخفضة.
استدار جيرني، كارها رفع عينيه عن بولس. لم ير سوى عدد ضئيل من بؤر المقاومة. كان رجال الصحراء المقنّعون موجودين في كل موضع من حوله. والزاحفة المصنعية تقبع في سكون، والفريمن واقفين فوقها.
ولم يكن فوق رأسه أي طائرات.
جأر جيرني قائلا: "توقفوا عن القتال"، ثم أخذ نفسا عميقا وجمع يديه أمام فمه كمكبر صوتي وقال: "أنا جيرني هاليك الذي يكلمكم! أوقفوا القتال!"
وفي بطء وحذر أخذ الأشخاص المتصارعون ينفصلون عن بعضهم، ودارت الأنظار ناحيته، متسائلة.
قال جيرني: "إنهم أصدقاء لنا"
صاح شخص مجيبا إياه: "يا لهم من أصدقاء لطفاء! نصف رجالنا قتلى"
قال جيرني: "كانت غلطة، لا تضف لها غلطات جديدة"
ثم عاد لبولس وحدق في عيني الشاب تامتي الزرقة.
ارتسم شبح ابتسامة على فم بولس، لكن تعبير الوجه كانت به صلابة ذكرت جيرني بالدوق الكبير، جد بولس.
وعندها رأى جيرني في بولس خشونة أعصاب لم يُر مثلها على أي أتريدي من قبل.. جلد متغضن، وعينان تنظران نظرات جانبية ومدققة بدا أنها تزن كل ما يقع بصرها عليه.
كرر جيرني: "قالوا أنك مت"
قال بولس: "تراءى لي أن أفضل حماية أحمي بها نفسي هي أن أدعهم يظنون هذا"
أدرك جيرني أن هذه الجملة هي أقصى ما سيحصل عليه من اعتذار على هجران بولس له وتركه وحيدا ليصرف أموره.. وأنه قد تُرك ليظن أن دوقه الشاب.. صديقه.. قد مات.
وتساءل إن كان قد بقي هنا أي أثر للصبي الذي عرفه ودربه على أساليب القتال.
اقترب بولس خطوة من جيرني، وشعر بأن عينيه تحرقانه لبوادر البكاء: "جيرني..."
حدث الأمر من تلقاء نفسه، إذ وجدا أنفسهما يتعانقان، ويربت أحدهما على ظهر الآخر، شاعرا بالتأكيد الذي يبعثه ملمس اللحم المادي.
أخذ جيرني يردد: "آه يا فتاي الصغير! يا فتاي الصغير!"
وبولس يقول: "جيرني يا صديقي! جيرني يا صديقي!"
ثم انفصلا بعد فترة ونظر أحدهما للآخر.
سحب جيرني نفسا عميقا وقال: "إذن أنت ما جعل الفريمن خبراء في التكتيكات الحربية هكذا. كان علي توقع هذا، إذ يفعلون أشياء تشبه ما قد أخططه أنا بنفسي. آه لو كنت علمتُ..."
ثم هز رأسه. "لو كنتَ قد أبلغتني بأي طريقة أيها الفتى، لما استطاع أي شيء أن يمنعني. لكنت قد جئتك ساعتها راكضا و..."
توقف عن الكلام عندما رأى النظرة في عيني بولس.. نظرة ثابتة وحكيمة.
تنهد جيرني: "وبالتأكيد سيتساءل البعض ساعتها عن السبب الذي دفع جيرني هاليك للإسراع هكذا.. وبعضهم لم يكن سيكتفي بمجرد التساؤل. كانوا سينطلقون مفتشين عن إجابات"
أومأ بولس برأسه، ثم نظر للفريمن المنتظرين من حوله.. ولنظرات التخمين الفضولية الظاهرة على وجوه الفدائيين.

أبعد نظره عن مغاوير الموت، عائدا بانتباهه لجيرني. كان العثور على مدربه السابق قد غمره بالبهجة. نظر للأمر على أنه فأل حسن.. علامة على أنه يسير في مسار مستقبلي سينتهي بخير.

وجيرني بجانبي...

نظر بولس لما وراء الفدائيين، عند الطرف البعيد للصخور، مدققا في طاقم المهربين الذين جاؤوا مع هاليك.

قال: "ما موقف رجالك يا جيرني؟"

قال جيرني: "كلهم يعملون بالتهريب. يقفون حيثما وُجدت الأرباح"

قال بولس: "إن مشروعنا أرباحه المالية ضئيلة"، وانتبه لإشارة الإصبع الخفية التي ومضت بسرعة خاطفة على يد جيرني اليمنى.. شفرتهم اليدوية القديمة والتي تخبره أنه يوجد بين أفراد طاقم المهربين رجال يُخشى منهم ولا يجب الوثوق بهم.

جذب بولس شفته ليعلِمه أنه قد فهم المقصود، ورفع بصره للرجال الواقفين للحراسة فوق الصخور، فرأى ستيلجار.

ذكرى مشكلته غير المحلولة مع ستيلجار أخمدت بهجة بولس بعض الشيء.

قال: "ستيلجار، هذا هو جيرني هاليك الذي سمعتني أذكره في الماضي. المسؤول عن الأسلحة أيام أبي، وأحد من تلقيت تدريبات المبارزة على أيديهم.. إنه صديق قديم لي. يمكن الوثوق به في أي مهمة"

قال ستيلجار: "وصلني الخبر. أنت دوقه"

حدق بولس في الوجه الداكن المطل عليه من الأعلى، وتساءل عن الأسباب التي دعت ستيلجار لقول هذه الكلمة. دوقه.

كان في صوت ستيلجار نغمة خفية، كما لو أنه كان على وشك قول شيء مختلف. ولم يكن هذا من طبع ستيلجار، إذ أنه قائد فريمني، أي معتاد على البوح بكل ما يريد في صراحة.

فكر جيرني: دوقي!

ونظر لبولس نظرة جديدة. أجل، بموت ليتو فإن بولس أصبح هو من يحمل اللقب.

بدأت حرب الفريمن على أرض أراكس تتخذ صورة جديدة في ذهن جيرني.

دوقي!

كان هناك موضع ميت داخله بدأ يعود للحياة، فلم يركز إلا مجرد تركيز ثانوي على أوامر بولس بنزع أسلحة طقم المهربين إلى أن يحين وقت استجوابهم. عاد ذهن جيرني لانتباهه التام عندما سمع احتجاجات بعض رجاله. هز رأسه واستدار بسرعة صائحا: "أأنتم صم؟ إن هذا هو دوق أراكس الشرعي. افعلوا ما يأمركم به"

أزعن المهربون وهم يتذمرون.

انتقل بولس لجوار جيرني وتكلم في صوت منخفض: "ما كنت أتوقع منك أن تقع في هذا الشَرك يا جيرني"

قال جيرني: "هذا توبيخ أستحقه. أراهن أن بقعة البهار هذه لا يزيد سمكها على بضعة حبيبات رمل.. طُعم لإغرائنا بالهبوط"

قال بولس: "هذا رهان ستكسبه"

هبط ببصره للرجال الذين يتم نزع سلاحهم: "هل بقي من جنود أبي أحد ضمن أفراد طاقمك؟"

"لا. عددنا الضئيل قد تشتت. يوجد بعضهم ضمن التجار المهربين. أما الأغلبية فأنفقوا أرباحهم على مغادرة هذا الكوكب"

"لكنك بقيت"

"بقيت"

قال بولس: "لأن رابان هنا"

قال جيرني: "كنت أظن أنه لم يعد لي سوى الانتقام"

صدر من قمة السلسلة الصخرية نداء غريب مقتضب. رفع جيرني بصره فرأى أحد الفريمن يلوح بمنديله.
قال بولس: "هناك صانع يقترب"
انتقل لصخرة عالية، وجيرني يتبعه، ومد بصره في اتجاه الجنوب الغربي. في منتصف المسافة الممتدة للأفق كان بالإمكان رؤية المسار المقبب الذي تحفره الدودة.. طريق يعلوه الغبار ويمر مخترقا الكثبان متجها نحو السلسلة الصخرية.
قال بولس: "إنه كبير"
صدرت من الزاحفة المصنعية أسفلهم قعقعة. دارت على دواساتها وكأنها حشرة عملاقة ثم تحركت ببطء ناحية الصخور.
قال بولس: "من المؤسف أننا لم ننقذ الحاملة الطائرة"
رمقه جيرني بنظرة، وعاد ببصره لمواضع الدخان والحطام المنتشرة على الرمال حيث دمرت صواريخ الفريمن الحاملة والأورنيثوبترات. شعر بألم مفاجئ حزنا على الرجال الذين فقدهم في هذه المركبات.. رجاله. وقال: "كان أبوك سيكون مهتما أكثر لأمر الرجال الذين لم يستطع إنقاذهم"
صوب له بولس نظرة حادة وخفض بصره. ثم لم يلبث أن قال: "لقد كانوا أصدقاءك يا جيرني. أنا متفهم هذا. أما بالنسبة لنا فقد كانوا متطفلين ربما شاهدوا أشياء لا يجب أن يشاهدوها. عليك أن تتفهم هذا"
قال جيرني: "أفهمه جيدا. والآن أصبحت أشعر بالفضول لأن أشاهد الأشياء غير المسموح لي بمشاهدتها"
رفع بولس بصره فرأى على وجه هاليك الابتسامة الذئبية القديمة والتي يتذكرها جيدا، وتموج ندبة الإنكفاين على امتداد فك الرجل.
أومأ جيرني للصحراء الموجودة أسفل منهما. كان الفريمن منشغلين بمهامهم ومنتشرين في أرجاء المكان. تفاجئ لما لاحظ أنه لا يوجد بينهم من يبدو عليه أي قلق بسبب الدودة المقتربة.
انطلق من الكثبان الصحراوية - الواقعة خلف مصيدة بقعة البهار - صوت دق.. طبل قوي بدا أن بالإمكان سماعه عبر أقدامهم. رأى جيرني الفريمن ينتشرون على الرمال في مسار الدودة. جاءت الدودة وكأنها حوت رملي عظيم، رافعة السطح فوقها كموجة، وحلقات جسدها تموج وتتلوى. وخلال لحظة واحدة رأى جيرني - من موضعه فوق الصحراء - عملية الاستحواذ على الدودة..
الوثبة الأولى الجريئة لرجل الخطاف.. تغيير اتجاه سير المخلوق.. الطريقة التي تسلقت بها فرقة كاملة من الرجال على جانب الدودة الحرشوفي المنحني والبراق.
قال بولس: "هذا أحد تلك الأمور التي ما كان ينبغي أن تراها"
قال جيرني: "لقد سمعت قصصا وإشاعات عن هذا، لكنه ليس من الأمور سهلة التصديق قبل رؤيتها"، وهز رأسه. "المخلوق الذي يخشاه كل إنسان على أراكس تعاملوه أنتم وكأنه حيوان يُمتطى"
قال بولس: "لقد سمعتَ أبي يتكلم عن قوة الصحراء. ها هي. إن سطح هذا الكوكب ملكنا. لا عاصفة ولا مخلوق ولا أي ظرف بيئي بإمكانه أن يوقفنا"
فكر جيرني: يقول 'يوقفنا'. إنه يعني الفريمن. يتحدث معتبرا نفسه واحدا منهم.
ومن جديد نظر جيرني لزرقة البهار في عيني بولس.
كانت عيناه هو بها قدر من نفس اللون، لكن المهربين بإمكانهم الحصول على أطعمة واردة من الكواكب الأخرى..
وهناك تفرقة طبقية غير معلنة تقوم بينهم حسب درجة زرقة العينين. كانوا يتحدثون عما يسمونه "لمسة فرشاة البهار" ويقصدون بها الرجال الذين اندمجوا في الثقافة المحلية تماما. ودائما ما كانوا يتعاملون مع الأمر بشيء من عدم الثقة.

قال بولس: "مرت بنا فترة في الماضي ما كنا نجرؤ على أن نركب خلالها الصانع في وضح النهار في هذه المناطق الشمالية، لكن رابان لم يعد باقيا معه سوى عدد ضئيل من طائرات التغطية الجوية، فلم يعد بإمكانه إهدارها في البحث عن بضعة نقاط داكنة في الرمال"
نظر لجيرني وأكمل: "وجود طائراتكم هنا سبب لنا صدمة"
لنا... لنا...
هز جيرني رأسه نافضا عنها هذه الأفكار، وقال: "صدمتكم لوجودنا لا تقارن بصدمتنا نحن لوجودكم"
قال بولس: "ماذا يقال عن رابان في مناطق الأحواض والقرى؟"
"يقولون أنهم قد حصنوا قرى الوادي لدرجة يستحيل معها أن تؤذوها. ويقولون أن كل ما يحتاجونه هو أن يظلوا داخل دفاعاتهم بينما تستنزفون أنتم أنفسكم بهجمات لا طائل منها"
قال بولس: "أي باختصار: صاروا عاجزين عن الحركة"
قال جيرني: "بينما أنتم بإمكانكم الذهاب لأي مكان تريدونه"
قال بولس: "إنها خطة حربية تعلمتها منك. لقد فقدوا عنصر المبادرة، مما يعني أنهم قد خسروا الحرب"
ابتسم جيرني.. ابتسامة بطيئة وفاهمة.
قال بولس: "إن عدونا في الموضع الذي أريده فيه بالضبط"، ونظر لجيرني: "والآن يا جيرني، هل ستنضم لي إلى أن تتم هذه الحملة العسكرية؟"
حدق فيه جيرني: "أنضم؟ سيدي، إني لم أترك خدمتك أصلا. أنت من تركني ورحل.. فظننتك ميتا. فلما أصبحتُ أسير على غير هدى أخذت أقوم بما أستطيعه لتكفير ذنبي، منتظرا اللحظة التي سيمكنني فيها بيع حياتي بثمن قيّم.. موت رابان"
حل على بولس صمت لشعوره بالحرج.
جاءت امرأة متسلقةً الصخور، تقصدهما، وعيناها - الباديتان بين قلنسوة بذلة التقطير وقناع الوجه - تتنقلان بين بولس ورفيقه. وقفت أمام بولس، فلاحظ جيرني ما يبدو على أسلوبها من تملّك، خصوصا في الطريقة التي وقفت بها قريبا من بولس.
قال بولس: "شاني، هذا هو جيرني هاليك. سمعتيني أتكلم عنه فيما مضى"
نظرت لهاليك ثم لبولس: "لقد سمعت"
قال بولس: "إلى أين رحل الرجال على ظهر الصانع؟"
"أرادوا تشتيت انتباهها كي يعطونا وقتا لإنقاذ الآلات"
"حسنا، سـ..."، ثم قطع حديثه وتشمم الهواء.
قالت شاني: "رياح عاصفة تقترب"
صاح بهم صوت قادم من قمة السلسلة الصخرية: "يا جماعة. الريح"
شاهد جيرني الإسراع الذي طرأ على الفريمن.. حركات متعجلة ومندفعة. الشيء الذي لم تثيره فيهم الدودة أثاره الخوف من الريح. تقدمت الزاحفة المصنعية ببطء على حافة الشاطئ الجاف أسفل منهم، وانفتح لها طريق بين الصخور.. ثم انغلقت الصخور خلفها بالتئام تام لدرجة أن عينه لم تعد تتبين موضع الممر.
قال جيرني: "هل عندكم أماكن اختباء كثيرة مثل هذا؟"
قال بولس: "كثيرا جدا"، ونظر لشاني: "ابحثي عن كوربا وأبلغيه أن جيرني قد حذرني من وجود رجال ضمن طاقم المهربين

التابع له لا يجب الوثوق بهم"
نظرت مرة لجيرني ثم لبولس ثم أومأت وانطلقت هابطة على الصخور، وهي تثب برشاقة كالغزلان.
قال جيرني: "أهي امرأتك؟"
قال بولس: "أم ابني البكر. أصبح هناك ليتو جديد بين آل أتريديز"
استقبل جيرني هذه المعلومة بعينين متسعتين دون كلام.
راقب بولس الأفعال التي تتم من حولهما بعين فاحصة. كانت السماء الجنوبية يسودها الآن لون كلون الكري، وقامت دفعات وهبّات متقطعة بتحريك الغبار حول رؤوسهما.
قال بولس: "أحكم إغلاق بذلتك"، وغطى وجهه بالكمامة والقلنسوة.
أطاعه جيرني، شاكرا وجود المرشحات.
تكلم بولس بصوت مكتوم بعض الشيء بسبب وجود المرشح: "أي رجالك لا تثق به يا جيرني؟"
قال جيرني: "يوجد بعض المنضمين حديثا. أجانب قدموا من كواكب أخرى.."، ثم تردد، متعجبا من نفسه فجأة. أجانب. وردت الكلمة على لسانه بيسر.
قال بولس: "و؟"
قال جيرني: "ليسوا كباقي الباحثين عن الثراء الذين ينضمون لنا. أشد صلابة"
قال بولس: "جواسيس هاركونيون؟"
"أظن يا سيدي أنهم لا يعملون عند الهاركونن. ما أرتاب فيه هو أنهم من جنود الإمبراطور. يغلب عليهم طابع يشبه طابع سالوسا سيكوندس"
رمقه بولس بنظرة حادة: "ساردوكار؟"
هز جيرني كتفيه: "ربما. لكنهم يخفون هذا جيدا"
أومأ بولس، مفكرا في البساطة التي عاد فيها جيرني لدوره النمطي كموظف عند آل أتريديز.. لكن بقدر من التحفظات غير المعلنة.. والاختلافات.
لقد غيّره أراكس هو أيضا.
برز من الصخور المتكسرة الموجودة أسفلهما اثنان من الفريمن الملثمين، وشرعا يتسلقان صاعدين. كان أحدهما يحمل حزمة كبيرة سوداء على كتفه.
قال جيرني: "أين يوجد أفراد طاقمي الآن؟"
قال بولس: "تم التحفظ عليهم في الصخور أسفل منا. عندنا هنا كهف.. يسمى كهف الطير. سنقرر ما الذي سنفعله بهم بعد مرور العاصفة"
نادى صوت قادم من فوقهما قائلا: "يا مؤدب!"
استدار بولس لمصدر النداء فرأى حارسا من الفريمن يشير لهما للهبوط للكهف. لوح له بولس كعلامة على أنه قد سمع.
أخذ جيرني يدقق فيه وعلى وجهه تعبير جديد: "أنت المؤدب؟ أنت من يقال له 'مشيئة الرمال'؟"
قال بولس: "إنه اسمي بين الفريمن"
استدار جيرني، شاعرا بإحساس متشائم يضغط عليه. نصف طاقمه قتلى على الرمال والباقون أسرى. لم يكن مهتما لأمر المنضمين الجدد، المثيرين للشبهات، لكن ضمن الباقين كان يوجد رجال طيبون.. أصدقاء.. ناس كان يشعر تجاههم

بمسؤولية. "سنقرر ما الذي سنفعله بهم بعد مرور العاصفة". هذا ما قاله بولس. ما قاله المؤدب.
وتذكر جيرني الحكايات التي تروى عن المؤدب، لسان الغيب.. وكيف أنه قد أخذ جلد ضابط هاركوني ليصنع منه طبوله الحربية.. وكيف أنه محاط بمغاوير الموت، الفدائيين الذين كانوا يقفزون داخلين المعارك وعلى شفاههم أغاني الموت.
هو.
وثب الشخصان الفريمنيان - اللذان كانا يتسلقان الصخور - بخفة على مسطح صخري أمام بولس. قال ذو الوجه الأسمر: "كل الأمور تم تأمينها يا مؤدب. الأفضل أن نهبط الآن"
"حسنا"
لاحظ جيرني نبرة صوت الرجل.. نصفها أمر ونصفها طلب.
كان هذا هو الرجل المسمى ستيلجار.. شخصية أخرى من شخصيات الحكايات التي تروى عن الفريمن.
نظر بولس للحزمة التي يحملها الشخص الآخر وقال: "كوربا، ماذا بالحزمة؟"
أجاب ستيلجار: "كانت في الزاحفة. عليها الحروف الأولى لاسم صديقك هذا، وبها باليست. لطالما سمعتك تتحدث عن براعة جيرني هاليك في العزف عليها"
دقق جيرني في المتكلم، فرأى حافة اللحية السوداء من تحت قناع بذلة التقطير، ونظرته الحادة كالصقر، وأنفه المصقول.
قال جيرني: "رفيقك يفكر بشكل جيد يا سيدي. شكرا لك يا ستيلجار"
أشار ستيلجار لزميله كي يعطي الحزمة لجيرني، وقال: "اشكر سيدك الدوق. ما أسبغه عليك من حماية هو ما سمح لك بالبقاء هنا"
تناول جيرني الحزمة، وشعر بالحيرة للنغمة القاسية التي تبدو في هذا الحوار. كانت تفوح من الرجل رائحة التحدي، وتساءل جيرني إن كان مبعث هذا هو غيرة الفريمني. فها هنا أمامه شخص يسمى جيرني هاليك كان يعرف بولس من قبل مجيئه لأراكس.. رجل كان يشترك مع بولس في صداقة حميمة لا يمكن لستيلجار أن يصل لنفس مستواها أبدا.
قال بولس: "أحب لاثنين مثلكما أن يكونا صديقين"
قال جيرني: "إن ستيلجار الفريمني هو اسم مشهور. أي شخص يقتل الهاركونن سيشرفني أن أعتبره ضمن أصدقائي"
قال بولس: "هلا صافحت صديقي جيرني هاليك يا ستيلجار؟"
مد ستيلجار يده ببطء وقبض على يد جيرني الخشنة، الثقيلة، والتي لطالما حمل بها السيف.
قال: "ومن لم يسمع باسم جيرني هاليك؟"، ثم حرر قبضته وعاد بانتباهه لبولس: "العاصفة مسرعة إلينا"
قال بولس: "سآتي في الحال"
استدار ستيلجار وقادهما بين الصخور، في مسار هابط ملتو ومنحن يصل إلى صدع قابع في الظل، أدى بهما إلى مدخل الكهف المنخفض. أسرع بعض الرجال كي يضعوا غطاءا محكما على الفتحة خلفهم.
أظهرت كرات الإنارة مكانا متسعا له سقف مقبب، وإفريز مرتفع على أحد الجوانب يؤدي لممر.
وثب بولس على الإفريز، فتبعه جيرني في الحال، ثم تقدم داخلا الممر. توجه الآخرون لممر آخر يقع في مواجهة المدخل.
قادهم بولس عبر حجرة في المدخل ثم إلى حجرة أخرى معلق على حوائطها ستائر داكنة، بلون النبيذ.
قال بولس: "بإمكاننا أن نتكلم هنا على حريتنا. سيحترم الآخرون حاجـ..."
صدر من الحجرة الخارجية رنين صنجة تحذيري، تبعه صياح وتقارع أسلحة.
استدار بولس بسرعة وركض عائدا عبر حجرة المدخل ثم خرج لحافة الردهة المطلة على المكان. كان جيرني وراءه، شاهرا

سلاحه. على أرضية الكهف تحتهما كان يدور شجار بين أشخاص، وكأنه دوامة.
وقف بولس للحظة ليقيّم المشهد، فاصلا أثواب الفريمن وبراقعهم Bourkas عن أزياء خصومهم. انتبهت حواسه - التي دربتها أمه على تمييز أدق الأدلة - إلى حقيقة هامة.. كان الفريمن يتعاركون مع رجال يرتدون ملابس المهربين، لكن المهربين كانوا رابضين في تشكيلات ثلاثية، يقفون - عند الإحاطة بهم - ظهرا لظهر، كالمثلث.
هذه العادة المستخدمة عند القتال يدا بيد كانت علامة مسجلة مشهور بها الساردوكار الإمبراطوري.
وقع بصر أحد الفدائيين الموجودين بين الزحام على بولس فتعالى صدى صيحته القتالية في الحجرة: "المؤدب! المؤدب! المؤدب!" لكن عينا أخرى كانت قد انتبهت لبولس أيضا، فانقض نحوه سكين أسود. تفاداه بولس، فسمع صوت ارتطام السكين بالحجارة خلفه، ونظر فرأى جيرني يلتقطه.
كان الضغط الآن قد جعل المجموعات الثلاثية تبدأ في التراجع.
أمسك جيرني بالسكين أمام عيني بولس، وأشار للخط المنحني الرفيع بلونه الإمبراطوري الأصفر، وشارة الأسد الذهبي البارزة، وللعيون العديدة المنحوتة على طرف المقبض.
ساردوكار بلا شك.
خطا بولس لحافة الإفريز. لم يكن قد بقي حيا سوى ثلاثة من الساردوكار. وفي أرجاء الحجرة كانت هناك كتل دامية مكونة من أجساد ساردوكار وفريمن ملقاة في شكلٍ ملتوٍ.
صاح بولس: "توقفوا! الدوق بولس أتريديز يأمركم بالتوقف!"
تباطئ القتال، وظهر التردد.
نادى بولس المجموعة الباقية: "أنتم يا ساردوكار! بأمر من تهددون دوقا حاكما؟"
وبسرعة، بينما بدأ رجاله في التقدم للإحاطة بالساردوكار، قال: "قلت توقفوا!"
اعتدل أحد الثلاثة المحاصَرين وقال: "ومن قال أننا ساردوكار؟"
أخذ بولس السكين من جيرني ورفعها عاليا: "هذا يقول أنكم ساردوكار"
قال الرجل بنبرة قوية: "إذن من قال أنك دوق حاكم؟"
أشار بولس للفدائيين: "هؤلاء الرجال يقولون أني دوق حاكم. إمبراطوركم بنفسه هو من منح أراكس لآل أتريديز. وأنا آل أتريديز"
وقف الساردوكار صامتا، يتململ في ارتباك.
فحص بولس الرجل.. كان طويلا، بوجه مسطح، وأثر ندبة باهتة يبدو على نصف طول وجنته اليسرى. كان أسلوبه يشي بما يشعر به من غضب واضطراب، لكن لا زال يشع منه ذلك الكبرياء الذي بدونه يبدو جنود الساردوكار وكأنهم عرايا.. وبه قد يبدون وكأنهم بكامل ملابسهم حتى إن كانوا في الواقع عرايا.
نظر بولس لأحد ضباطه الفدائيين وقال: "كوربا، لماذا توجد معهم أسلحة؟"
قال الضابط: "لقد كانوا يخفون سكاكين في جيوب سرية موجودة داخل بذلات تقطيرهم"
مسح بولس ببصره القتلى والجرحى الموجودين بالحجرة ثم عاد بانتباهه للضابط مرة أخرى. لم تكن هناك حاجة للكلمات. أنزل الضابط عينيه أرضا.
قال بولس: "أين شاني؟"، وانتظر الإجابة كاتما أنفاسه.
"ستيلجار قام بتهريبها لمكان جانبي"، وأشار برأسه ناحية الممر الآخر، ثم ألقى نظرة على القتلى والجرحى: "إني أحمل نفسي

مسؤولية هذا الخطأ يا مؤدب"
قال بولس: "كم كان عدد هؤلاء الساردوكار يا جيرني؟"
"عشرة"
وثب بولس بخفة لأرض الحجرة وخطا خطوات سريعة حتى وقف على مسافة من المتحدث باسم الساردوكار تجعله في متناول اليد. حل التوتر على الفدائيين. لم يكن يعجبهم تعرضه للخطر بهذه الطريقة. فقد كان هذا ما أقسموا على عدم السماح بحدوثه، حيث يرغب الفريمن في حماية ما يتمتع به المؤدب من حكمة.
تكلم بولس للضابط دون أن يلتفت: "كم عدد مصابينا؟"
"4 جرحى و 2 قتلى يا مؤدب"
رأى بولس حركة تحدث وراء الساردوكار.. شاني وستيلجار كانا يقفان في فتحة الممر الآخر. أعاد انتباهه للساردوكار وحدق في بياض عيني المتحدث الأجنبي: "أنت.. ما اسمك؟"
تصلب الرجل ونظر يمنة ويسرة.
قال بولس: "لا تحاول الإقدام على شيء. واضح لي أنكم تلقيتم أوامر بالبحث عن المؤدب والقضاء عليه. وأراهن على أنكم من اقترح البحث عن البهار في عمق الصحراء"
شهقة جيرني القادمة من وراءه رسمت ابتسامة رفيعة على شفتي بولس.
احتقن وجه الساردوكار بالدم.
قال بولس: "ما تراه أمامك هو أكبر من المؤدب. سبعة منكم ماتوا مقابل اثنين منا. أي بمعدل 3 لـ 1، معدل لا بأس به في مواجهة ساردوكار، صحيح؟"
شد الرجل نفسه واقفا على أطراف أصابعه، ثم تراجع عندما تقدم الفدائيون ناحيته.
قال بولس: "سألتك عن اسمك"، واستدعى في نبرته قدرة الصوت الإقناعية: "أخبرني باسمك"
قال الرجل بسرعة: "الكابتن آرامشام، من الساردوكار الإمبراطوري"
ثم تدلى فكه، وحدق في بولس في حيرة.
تلاشى أسلوبه السابق الذي كان ينظر لهذا الكهف على أنه مجرد مأوى لقوم همجيين.
قال بولس: "حسنا يا كابتن آرامشام. الهاركونن مستعدون لدفع مبالغ طائلة مقابل معرفة ما تعرفه أنت الآن. والإمبراطور.. لن يتأخر في دفع أي شيء مقابل أن يعلم بوجود أتريديز لا زال على قيد الحياة على الرغم من خيانته"
نظر الرجل يمينا ويسارا للرجلين الباقيين معه. كاد بولس يرى أفكار الرجل التي تدور في رأسه متجسدة أمامه.
الساردوكار في العادة لا يستسلمون، لكن يجب إعلام الإمبراطور بوجود هذا التهديد.
قال بولس وهو لا يزال يستخدم قدرة الصوت: "استسلم يا كابتن"
ودون تحذير وثب الرجل الذي على يسار الكابتن منقضا على بولس، لكنه وجد سكين قائده الكابتن في صدره بسرعة خاطفة.
هوى المهاجم على الأرض وتكوم، بينما السكين لا زالت فيه.
واجه الكابتن زميله الوحيد المتبقي وقال: "أنا من يقرر ما يخدم مصلحة جلالته. مفهوم؟"
تراخت كتفا الساردوكار الآخر.
قال الكابتن: "ألق سلاحك"

أطاعه الساردوكار.
عاد الكابتن بانتباهه لبولس وقال: "لقد قتلتُ صديقا من أجلك. دعنا نتذكر هذا الأمر دائما"
قال بولس: "أنتم أسرى عندي. وقد استسلمتم لي. حياتكم أو موتكم هي أمور غير ذات أهمية"
ولوح لحرسه كي يأخذوا فردي الساردوكار، ثم أشار للضابط الذي كان قد تولى عملية تفتيش الأسرى.
اقترب الحرس ودفعوا الساردوكار للخارج.
انحنى بولس على ضابطه.
قال الرجل: "يا مؤدب، لقد خيبت ظنك بفشلي في..."
قال بولس: "أنا من فشل يا كوربا. كان علي أن أخبرك بما يجب عليك البحث عنه. في المستقبل، عندما تقوم بتفتيش ساردوكار، تذكر هذا. وتذكر أيضا أن كل جندي فيهم عنده ظفر أو ظفران مزيفان في قدمه يمكن بتركيبهما في أشياء أخرى مخفاة في جسدهما تكوين جهاز إرسال. وسيكون عندهم أكثر من ضرس مزيف. ويحملون في شعرهم لفائف من سلك الشيجاواير.. رفيعة بحيث تصعب رؤيتها، لكن قوية بما يكفي لخنق رجل وقطع رأسه في نفس الوقت. عندما نتعامل مع الساردوكار فعليك فحصهم ومسحهم، باستخدام كل من الأشعة الانعكاسية والسميكة.. وأن تقص كل شعرة في جسدهم. وعندما تنتهي من كل هذا فبالتأكيد لن تكون قد اكتشفت كل شيء"
رفع بصره لجيرني الذي كان قد اقترب كي يصغي.
قال الضابط: "إذن فمن الأفضل أن نقتلهما"
هز بولس رأسه وهو لا يزال ينظر لجيرني. "لا. أريد أن يهربا"
حدق فيه جيرني، وقال بصوت هامس: "مولاي..."
"أجل؟"
"رجلك هذا مصيب فيما قاله. اقتل هؤلاء السجناء على الفور. دمر كل دليل على وجودهم. لقد أصبت ساردوكار إمبراطوريين بالعار! وعندما يعلم الإمبراطور بهذا فلن يهدأ له بال حتى يشويك على نار هادئة"
قال بولس: "من المستبعد أن يتمكن الإمبراطور مني"
كان يتكلم في بطء وبرودة. شيء ما قد حدث داخله أثناء مواجهته للساردوكار. تجمعت في وعيه محصلة نهائية لعدة قرارات.
قال: "جيرني، هل يوجد الكثير من رجال نقابة الفضاء حول رابان؟"
شد جيرني قامته وضاقت عيناه: "سؤالك ليس له أي مـ..."
صاح بولس: "هل يوجد؟"
"إن أراكس الآن مزدحم بوكلاء النقابة. ويشترون البهار وكأنه أثمن شيء في الكون. لماذا إذن تظننا قد تجرأنا على اقتحام قلب الصحراء بهذه الـ..."
قال بولس: "إنه بالفعل أثمن شيء في الكون.. بالنسبة لهم"
نظر ناحية ستيلجار وشاني اللذين كانا يعبران الحجرة متجهين إليه: "ونحن من يتحكم به يا جيرني"
احتج جيرني قائلا: "آل هاركونن هم من يتحكمون به!"
قال بولس: "من يقدر على تدمير الشيء، يصبح هو من يتحكم به فعلا"
ولوح بيده كي يسكت أي ملاحظات أخرى قد تصدر من جيرني، وأومأ لستيلجار الذي وقف أمام بولس، وشاني جواره.

أمسك بولس سكين الساردوكار في يسراه وقدمها لستيلجار: "إنك تعيش وهدفك هو حماية مصالح القبيلة. هل بإمكانك أن تسفك دمي بهذا السكين؟"
زمجر ستيلجار: "لمصلحة القبيلة"
قال بولس: "إذن استخدم السكين"
قال ستيلجار بنبرة قوية: "هل تطلبني للنزول ضدك في نزال رسمي؟"
قال بولس: "إن كنت سأفعل شيئا كهذا فإني ساعتها سأقف بلا سلاح وسأدعك تقتلني"
أخذ ستيلجار نفسا سريعا وحادا.
قالت شاني: "أصول!"، ورمقت جيرني، ثم عادت ببصرها لبولس.
وبينما كان ستيلجار لا يزال يزن ما سيقوله، قال بولس: "إنك ستيلجار، رجل مقاتل. عندما بدأ الساردوكار هنا بالقتال لم تكن في مقدمة الصفوف وتقاتل. بل أول ما خطر لك هو حماية شاني"
قال ستيلجار: "إنها ابنة أخي. وإن كان عندي أي شك في قدرة رجالك الفدائيين على التعامل مع حثالة السـ..."
قال بولس بنبرة آمرة: "لم كانت شاني هي أول ما خطر لك؟"
"لم تكن!"
"أوه؟"
اعترف ستيلجار قائلا: "أنت أول ما خطر لي"
قال بولس: "هل تظن أنه بإمكانك رفع سلاحك ضدي؟"
بدأ ستيلجار يرتعش، وغمغم قائلا: "لكن العرف المتبع..."
قال بولس: "كان العرف يقول أيضا أنه عليك قتل الغرباء الأجانب إن وجدتهم في الصحراء، وأن تأخذ ماء أجسادهم كهدية منحها لك شي-خلود. لكنك سمحت لاثنين لهم هذه المواصفات بأن يبقوا أحياء في ليلة من الليالي.. أنا وأمي"
وبينما ظل ستيلجار صامتا، يرتجف، ويحدق فيه، قال بولس: "الأعراف تتغير يا ستيل. أنت بنفسك قمت بتغييرها"
هبط ستيلجار ببصره للشعار الأصفر الظاهر على السكين التي يحملها.
قال بولس: "عندما أُصبح دوقا يعيش في مدينة أراكين وشاني بجانبي، هل تظن أن وقتي سيتسع للنظر في كل تفصيل من تفاصيل حكم سياتش طبر؟ هل تشغل أنت نفسك بالمشاكل الداخلية لكل أسرة؟"
استمر ستيلجار يحدق في السكين.
قال بولس بقوة: "أتظن أني أرغب في قطع ذراعي اليمنى؟"
وببطء رفع ستيلجار بصره له.
قال بولس: "أنت! أتظن أني أريد أن أحرم نفسي أو أن أحرم القبيلة من حكمتك وقوتك؟"
قال ستيلجار بصوت منخفض: "الشاب الذي من قبيلتي وأعرف اسمه.. هذا الشاب يمكنني أن أقتله في قتال التحدي، إن شاء شي-خلود. أما لسان الغيب فلا أقدر أن أؤذيه. كنت تعلم هذا عندما ناولتني السكين"
أجابه بولس قائلا: "كنت أعلم"
فتح ستيلجار يده. أصدرت السكين صليلا عندما ارتطمت بالأرض الحجرية. وقال: "الأعراف تتغير"
قال بولس: "شاني، اذهبي لأمي، وأرسليها إلى هنا كي يمكننا استشارتها فـ..."
قالت محتجة: "لكنك قلت أننا سنذهب للجنوب!"

قال: "لقد كنت مخطئا. فالهاركونن ليسوا هناك. الحرب ليست هناك"
سحبت نفسا عميقا وقبلت بالأمر كما تقبل المرأة الصحراوية كل الضروريات التي يستوجبها أسلوب الحياة هذا المرتبط بالموت.
قال بولس: "ستحملين رسالة يجب إيصالها لأذن أمي فقط. أخبريها أن ستيلجار يعترف بأني دوق أراكس، لكن يجب العثور على طريقة يمكن بها إقناع الشباب بهذا دون النزول ضده في قتال"
ألقت شاني نظرة على ستيلجار.
زمجر ستيلجار قائلا: "افعلي ما قاله. فكلانا يعلم أن باستطاعته التغلب علي.. وأنا لا أستطيع رفع يدي ضده.. لمصلحة القبيلة"
قالت شاني: "سأعود ومعي أمك"
قال بولس: "أرسليها إلي هنا. إن غريزة ستيلجار الفطرية كانت على صواب. أنا أقوى عندما تكونين آمنة. ستظلين في السياتش"
كانت ستبدأ في الاعتراض، لكنها ابتلعته.
قال بولس: "سِهايا"، مستخدما لقبها الخاص الذي يناديها به.
ودار يمينا بسرعة، فالتقت عيناه بعيني جيرني المحدقتين.
كان الحديث الذي تم تبادله بين بولس والشخص الفريمني الذي يكبره سنا قد مر وكأنه سحابة في ذهن جيرني منذ أن قام بولس بذكر أمه.
قال جيرني: "أمك؟"
قال بولس، وقد شتته توديعه لشاني: "أيداهو أنقذنا في ليلة الغارة. أما الآن فعلينا أن..."
قال جيرني: "وماذا عن مصير دنكن أيداهو يا سيدي؟"
"مات.. أثناء محاولته كسب بعض الوقت يسمح لنا بالفرار"
فكر جيرني: الساحرة الملعونة حية! من أقسمتُ بأن أنتقم منها لا زالت على قيد الحياة! وواضح أن الدوق بولس لا يعرف حقيقة المخلوق الذي أنجبه. الشيطانة! لقد خانت أباه وسلمته للهاركونن!
مر بولس جانبه وقفز على الإفريز. نظر خلفه فرأى أن الجرحى والقتلى تم حملهم بعيدا، وخطرت له خاطرة مريرة: أن هذا الحدث هو فصل آخر سيضاف لأسطورة بولس المؤدب.
فمع أني لم أخرج سلاحي من غمده لكن ما سيروى عن هذا اليوم هو أني قتلت 20 من الساردوكار بيدي.
سار جيرني وراء ستيلجار، يخطو فوق أرض لا يكاد يشعر بها، إذ كان الغضب قد محا الكهف - المضاء بكرات إنارة صفراء - من ذهنه تماما.
إن الساحرة حية بينما من خانتهم قد أصبحوا عظاما في قبور موحشة.
يجب أن أدبر الأمر بحيث يتمكن بولس من معرفة حقيقتها قبل أن أذبحها.

الفصل 44

"كثيرا ما يشتاط الرجل الغاضب منكرا ما تخبره به ذاته الداخلية"

من كتاب "أقوال المؤدب المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

كانت تشع من الحشد الواقف في ساحة التجمع بالكهف مشاعر القطيع الحيواني التي أحست بها جيسيكا في اليوم الذي قتل فيه بولس جيمس.
بدت في الأصوات نبرة لغط عصبي. وبين الأثواب المحتشدة تجمعت عُقَد من الشِلل الصغيرة.
دست جيسيكا أسطوانة الرسالة تحت ثوبها أثناء خروجها من حجرة بولس الخاصة إلى الإفريز الصخري. شعرت بالراحة بعد سفرها الطويل قادمةً من الجنوب، لكنها لا تزال مستاءة أن بولس لا يسمح لهم بعد باستخدام طائرات الأورنيثوبتر المغنومة.
كان ما قاله هو: "لم نصل لمستوى السيطرة الجوية الكاملة بعد. ولا ينبغي أن نصبح معتمدين على الوقود المجلوب من خارج الكوكب. يجب تجميع الوقود والطائرات وتخزينهم استعدادا ليوم الجهد الكبير"
قرب الإفريز كان بولس واقفا مع مجموعة من الشباب. الضوء الخافت المنبعث من كرات الإنارة أضفى على المشهد مسحة سيريالية. كان كلوحة فنية، لكن أضيفت إليها روائح الجحور والهمسات وأصوات جر الأقدام.
تأملت ابنها، متسائلة لِم لم يهرول مظهرا مفاجأته حتى الآن.. جيرني هاليك.
أزعجها التفكير في جيرني، لما فيه من استعادة ذكريات الماضي المريح.. أيام الحب والجمال التي قضتها مع والد بولس.
كان ستيلجار منتظرا برفقة مجموعته الصغيرة الخاصة عند الحافة الأخرى للإفريز، وبدت عليه هيئة وقار الاستسلام للقدر المحتوم، خصوصا في وقفته الصامتة.
فكرت جيسيكا: لا يجب أن نخسر هذا الرجل. يجب أن تفلح خطة بولس. أي نتيجة أخرى ستكون كارثة قصوى.
أسرعت قاطعةً الإفريز، مارة بستيلجار دون النظر إليه، وهبطت للحشد. أفسحوا لها الطريق وهي تتجه قاصدة بولس، وتبعها الصمت. كانت تعلم معنى الصمت.. أسئلة الناس غير المنطوقة.. هيبتهم من السيدة الموقرة.
انسحب الشباب مبتعدين عن بولس عندما اقتربت منه، ووجدت نفسها في التو مرتعبة مما جد عليهم من إذعان له.
كانت إحدى مقولات البني-جيزيرت تقول: "كل الرجال الأدنى منك مرتبة يشتهون الحصول على منصبك"، لكنها لم تجد أي اشتهاء على هذه الوجوه، إذ كان يمنعهم من هذا ما يحيط بمركز بولس القيادي من هالة دينية. وهنا استعادت مقولة بني-جيزيرتية أخرى: "يموت الأنبياء غالبا بعنف"
نظر لها بولس.
قالت: "حان الوقت"، وناولته أسطوانة الرسالة.
أحد رفاق بولس الأشجع من الآخرين رمق ستيلجار وقال: "هل ستتحداه في النزال يا مؤدب؟ لا شك أنه الوقت المناسب. قد يظنون أنك جبان لو..."
قال بولس بصوت مرتفع: "من يجرؤ على وصفي بالجبان؟"، وأسرعت يده ناحية مقبض سكينه الكريسنايف.

خيم على المجموعة صمت محبوس الأنفاس، وانتشر بين الحشد كله.
قال بولس عندما انكمش الرجل متراجعا بعيدا عنه: "هناك أعمال علينا إنجازها"
استدار بولس واقتحم الحشد بكتفيه متجها للإفريز، ووثب عليه بخفة ثم واجه القوم.
صرخ أحدهم: "افعلها!"
ومن وراء الصرخة ارتفعت غمغمات وهمسات. تريث بولس إلى أن يحل الصمت.
حل ببطء وسط أصوات حركات مبعثرة وسعال. وعندما أصبح الكهف هادئا رفع بولس ذقنه وتكلم في صوت وصل لأبعد الأركان.
قال بولس: "لقد تعبتم من الانتظار"
ومرة أخرى انتظر إلى أن هدأت الصيحات المجيبة.
فكر بولس: إنهم بالفعل قد تعبوا من الانتظار.
أحس بثقل أسطوانة الرسالة، مفكرا فيما تحويه. كانت أمه قد أرتها له، شارحة له كيف تم الاستيلاء عليها من مبعوث هاركوني.
كانت الرسالة واضحة: رابان تم هجره هنا على أراكس وحيدا! لم يعد باستطاعته طلب المساعدة أو التعزيزات!
ومن جديد رفع بولس صوته: "تظنون أن الوقت قد حان لأن أواجه ستيلجار وأقوم بتغيير قائد القوات!"، وقبل أن يتمكنوا من الرد اندفع صوت بولس نحوهم في غضب: "أتظنون لسان الغيب بهذا الغباء؟"
خيم صمت مصعوق.
فكرت جيسيكا: إنه بهذا الوصف يقبل مكانته الدينية بينهم. عليه ألا يفعل هذا!
صاح أحدهم: "هكذا هو العرف!"
قال بولس في نبرة جافة، وهو يجس تياراتهم العاطفية الخفية: "الأعراف تتغير"
من أحد أركان الكهف ارتفع صوت غاضب قائلا: "نحن من يحدد ما يتغير!"
ووسط الحشد كانت هناك صيحات موافقة متفرقة.
قال بولس: "كما تريدون"
وسمعت جيسيكا في صوته النغمات الخفية إذ كان يستخدم قدرة الإقناع الصوتي التي علمته إياها.
قال موافقا لهم: "أنتم من سيحدد. لكن أولا ستصغون لما أقول"
سار ستيلجار على الإفريز، ووجهه الملتحي لا يظهر أي تعبير، وقال: "وهذا أيضا من العرف. إذ يُسمح لأي فريمني بأن يتكلم في مجالس الشورى. وبولس-مؤدب من الفريمن"
قال بولس: "مصلحة القبيلة.. هذا هو أهم شيء، أليس كذلك؟"
قال ستيلجار وهو لا يزال يتكلم بنفس الصوت الوقور عديم الملامح: "إنها ما يرشد خطانا"
قال بولس: "حسنا. من يحكم إذن مجموعة قبيلتنا هذه.. ومن يحكم كل القبائل والجنود عن طريق المدربين القتاليين الذين دربناهم على الطريقة العجائبية؟"
انتظر بولس، ناظرا لرؤوس الحشد الممتدة. لم تأته إجابة.
قال بعد برهة: "هل ستيلجار هو من يحكم كل هذا؟ هو بنفسه ينفي هذا. هل أنا من يحكم؟ ستيلجار نفسه ينفذ أوامري من وقت لآخر، والشيوخ - أحكم الحكماء - يستمعون لي ويكرمونني في مجالس الشورى"

صدر من الحشد صمت مرتبك.
قال بولس: "هل أمي إذن هي من تحكم؟"، وأشار لجيسيكا والتي كانت وسطهم مرتدية ثياب منصبها السوداء.
"ستيلجار وكل قادة القوات الآخرين يطلبون نصيحتها في كل قرار هام تقريبا. تعلمون هذا. لكن هل تقطع السيدة الموقرة الرمال أو تقود الغزوات ضد الهاركونن؟"
تجعدت الجبهات التي يراها بولس بتقطيبات مفكرة، لكن كانت الغمغمات الغاضبة لا تزال موجودة.
فكرت جيسيكا: إنها طريقة خطرة للقيام بالأمر.
لكنها تذكرت أسطوانة الرسالة ومغزاها، ففهمت غرض بولس: اقتحم عمق شكوكهم، ثم تخلص منه، وباقي الأمور ستتبع هذا ولا ريب.
قال بولس: "لا يعترف أي رجل بالقيادة دون التحدي والنزال؟"
صاح أحدهم: "هذا هو العرف المتبع!"
قال بولس: "ما هدفنا؟ أن نزيل رابان - الوحش الهاركوني - من كرسي السلطة، وأن نعيد تشكيل كوكبنا كي يصبح مكانا يمكننا أن نربي فيه عائلاتنا في سعادة وسط وفرة من الماء.. أهذا هو هدفنا؟"
صاح أحدهم: "المهام الصعبة تستلزم قرارات صعبة"
قال بولس بإلحاح: "وهل تُهشم سكينك قبل المعركة؟.. سأقول لكم هذا كحقيقة واقعة، لا أقصد منها التفاخر أو التحدي: لا يوجد هنا رجل - بما فيهم ستيلجار - يستطيع الوقوف ضدي في قتال فردي. وهذا باعتراف ستيلجار نفسه. هو يعلم هذا الأمر، وكلكم تعلمونه أيضا"
ومن جديد تصاعدت الغمغمات الغاضبة من الحشد.
قال بولس: "كثير منكم جربني في ساحات التمرين، وتعلمون أنه ليس فخرا كاذبا. أقول هذا لأنه حقيقة معروفة لنا جميعا، وسأكون أحمقا إن لم أعلم هذا عن نفسي. لقد بدأت أتدرب على هذه الأساليب في سن أصغر منكم، وكان أساتذتي أقوى من أي مدربين رأيتموهم. وإلا فكيف تظنون أني هزمت جيمس في عمر يكون أولادكم فيه لا يزالون يقاتلون معارك مزيفة؟"
فكرت جيسيكا: إنه يستخدم قدرة الصوت جيدا، لكن لن يكفي هذا مع هؤلاء الناس. فإنهم يتمتعون بقدرة جيدة على حجب سيطرة الصوت عليهم. عليه أن يقنعهم بالمنطق أيضا.
قال بولس: "والآن ننتقل لهذا"، ورفع أسطوانة الرسالة ونزع عنها قصاصة الشريط: "أخذنا هذا من مبعوث هاركوني كان يحملها. صحتها لا جدال فيها. إنها موجهة إلى رابان، وتخبره أن طلبه لقوات جديدة مرفوض، وأن حصاده من البهار منخفض كثيرا عن الحصة المطلوبة، وأن عليه أن يعتصر من أراكس المزيد من البهار مستعينا بما يملكه بالفعل من أفراد"
اقترب ستيلجار من بولس.
قال بولس: "كم منكم فهم ما يعنيه هذا؟ ستيلجار فهم الأمر في الحال"
صاح أحدهم: "لقد انقطعت عنهم المعونة"
دس بولس الرسالة والأسطوانة في وشاحه، ومن حول رقبته تناول سلك شيجاواير مجدول ونزع منه خاتما، ثم رفع الخاتم عاليا.
قال: "إن هذا هو ختم أبي الدوقي، وكنت أقسمت ألا أرتديه ثانية إلى أن أكون جاهزا لقيادة قواتي على كل أرض أراكس وأن أطالب به بصفته إقطاعيتي التي من حقي"، ووضع الخاتم في إصبعه، وقبض يده بقوة.

استحوذ على الكهف صمت مطبق.
قال بولس: "من الذي يحكم هنا؟"، ورفع قبضته. "أنا الذي يحكم! أنا من يحكم كل بوصة مربعة من أراكس! إنه إقطاعي الدوقي سواء قبل الإمبراطور أم لم يقبل! لقد منحه لأبي وورثته أنا عن أبي!"
رفع بولس نفسه على أصابع قدميه ثم عاد يقف على عقبيه. فحص الحشد، شاعرا بانفعالهم.
وفكر: على وشك.
قال بولس: "يوجد هنا رجال سيشغلون مناصب هامة على أراكس عندما أنال حقوقي الإمبراطورية هذه. ستيلجار أحد هؤلاء الرجال. لا لأني أرغب في أن أرشيه! ولا كنوع من الامتنان، على الرغم من أني أحد الكثيرين هنا الذين يدينون له بأرواحهم. لا! بل لأنه حكيم وقوي. لأنه يحكم هذه الفرقة بذكائه الخاص لا بمجرد القوانين. أتظنونني غبيا؟ أتظنون أني سأبتر ذراعي اليمنى وأتركها تدمي على أرض هذا الكهف لمجرد أن أوفر لكم بعض السيرك الترفيهي؟"
أدار بولس نظرة حادة في الحشد. "من هنا يجرؤ على قول أني لست الحاكم الشرعي لأراكس؟ أيجب أن أثبت الأمر بأن أدع كل قبيلة من قبائل الفريمن في العِرق بلا قائد؟"
تحرك ستيلجار المجاور لبولس، ونظر له نظرة متسائلة.
قال بولس: "هل أنقص من قوتنا في وقت أقصى احتياجنا لها؟ أنا قائدكم، وأخبركم أنه حان الوقت لأن نتوقف عن قتل أفضل رجالنا وأن نبدأ في قتل أعدائنا الفعليين.. الهاركونن!"
في حركة خاطفة أخرج ستيلجار سكينه الكريسنايف وأشار بها فوق رؤوس المحتشدين وصاح: "فليحيا الدوق بولس-مؤدب!"
امتلأ الكهف بزئير يصم الآذان، تردد صداه في الأرجاء وتكرر. كانوا يهتفون وينشدون بلغتهم: "يحيا الشهداء! Ya hya Chouhada المؤدب! المؤدب! المؤدب! يحيا الشهداء!"
ترجمت جيسيكا هذا لنفسها: "يحيا مقاتلو المؤدب!"
نجح المشهد الذي طبخته هي وبولس وستيلجار فيما بينهم كما خططوا له.
هدأ الصخب ببطء.
عندما عاد الصمت واجه بولس ستيلجار وقال: "اركع يا ستيلجار"
هبط ستيلجار على الإفريز على ركبتيه.
قال بولس: "ناولني الكريسنايف"
أطاعه ستيلجار.
فكرت جيسيكا: ليس هذا ضمن ما خططناه.
قال بولس: "ردد خلفي يا ستيلجار"، واستحضر كلمات تقليد المناصب، كما سمع أباه يستخدمها: "أنا، ستيلجار، أتناول هذا السكين من يدي دوقي"
قال ستيلجار: " أنا، ستيلجار، أتناول هذا السكين من يدي دوقي"
وأخذ النصل الأبيض من بولس.
قال بولس: "وحيثما يأمر دوقي فسأضع هذا النصل"
كرر ستيلجار الكلمات، متحدثا ببطء ووقار.
عندما تذكرت جيسيكا مصدر هذا الطقس طرفت بعينيها لتمنع الدموع، وهزت رأسها. وفكرت: إني عالمة بأسباب هذا الأمر. لا ينبغي أن أجعله يثير مشاعري.

قال بولس: "إني أكرس هذا النصل لمصلحة دوقي ولموت أعدائه طالما دماءنا تتدفق"
كررها ستيلجار خلفه.
قال بولس آمرا: "قبّل النصل"
أطاعه ستيلجار، ثم - تبعا لعادة الفريمن - قبّل ذراع بولس التي يستخدم بها السكين.
وبإيماءة من بولس أغمد النصل ونهض على قدميه.
سرت في الحشد تنهيدة انبهار هامسة، وسمعت جيسيكا الكلمات: "إنها النبوءة.. واحدة من البني-جيزيرت سترشدنا للطريق، وسيدة موقرة ستراه"، ومن موضع أبعد سمعت من يقول: "إنها ترينا عبر ابنها!"
قال بولس: "ستيلجار هو قائد هذه القبيلة. فلا ينسى أحدكم هذا الأمر. إنه يأمركم بصوتي. كل ما يقوله لكم فكأني أنا من قاله"
فكرت جيسيكا: تصرف حكيم. فلا ينبغي أن يفقد قائد القبيلة احترامه بين من يجب عليهم طاعته.
خفض بولس صوته وقال: "ستيلجار، أريد أن يخرج مسافرون صحراويون هذه الليلة وأن نبعث رسائل بالسيلاجو لجمع مجلس شورى عام. بعد أن ترسلهم أحضر تشات وكوربا وعُثيم وضابطين آخرين من اختيارك. أحضرهم لحجراتي للتخطيط للمعركة. يجب أن نكون قد حققنا انتصارا كي نريه لمجلس القادة عندما يحضرون"
أومأ بولس لأمه كي ترافقه، وتقدم هابطا من على الإفريز وخلال الحشد قاصدا الممر الأوسط وحجرات المعيشة المعدة هناك. وبينما كان بولس يخترق الحشد امتدت الأيدي كي تلمسه، ونادته الأصوات.
"سكيني سيمضي أينما يأمره ستيلجار يا بولس-مؤدب! فلنحاربهم قريبا يا بولس-مؤدب! دعنا نبلل أرضنا بدماء الهاركونن!"
عندما شعرت جيسيكا بانفعالات الحشد أحست بالنزعة القتالية لهؤلاء القوم. إنهم في أقصى حالات الاستعداد.
فكرت: إننا نأخذهم وهم في الذروة.
في الحجرة الداخلية أشار بولس لأمه كي تجلس، وقال: "انتظري هنا"، وانحنى عابرا تحت الستائر إلى الممر الجانبي.
كانت الحجرة هادئة بعد ذهاب بولس، هدوء تام وراء الستائر حتى أن الأزيز الخافت للمضخات التي تحرك الهواء داخل السياتش لم يصل صوته لمكان جلوسها.
فكرت: لقد ذهب ليحضر جيرني هاليك. وتعجبت من خليط المشاعر الغريب الذي غمرها. فجيرني وموسيقاه كانا جزءا من الكثير من الأوقات السعيدة على كالادان قبل الانتقال لأراكس.
شعرت وكأن أحداث كالادن حدثت لشخص آخر غيرها. فخلال قرابة الثلاث سنوات منذ ذلك الوقت كانت قد أصبحت شخصا آخر. الاضطرار لمقابلة جيرني أجبرها على إعادة تقييم هذه التغيرات.
استقرت أدوات تقديم القهوة المملوكة لبولس - ذاك الخليط المعدني المحزز المصنوع من الفضة والجاسميوم والذي ورثه من جيمس - على منضدة منخفضة على يمينها. حدقت فيها مفكرة في عدد الأيدي التي لمست هذا المعدن. منذ ما لا يزيد عن شهر قدمت شاني القهوة لبولس منه.
سألت نفسها: وما الذي تقدر هذه المرأة الصحراوية على أن تفعله لدوق سوى أن تقدم له القهوة؟
إنها لا تجلب له سلطة ولا عائلة. فبولس أمامه فرصة كبيرة واحدة فقط.. أن يتحالف مع أسرة قوية من كبار النبلاء، بل ربما مع العائلة الإمبراطورية ذاتها. فهناك أميرات في سن الزواج، وكل واحدة منهن قد دربتها البني-جيزيرت.
تخيلت جيسيكا نفسها تترك ظروف أراكس القاسية وتذهب لحياة السلطة والأمان التي يمكن أن تعيشها بصفتها أم فرد ملكي. رمقت الستائر الثقيلة المعلقة والتي تخفي وراءها صخور هذه الحجرة الكهفية، مفكرة في الطريقة التي وصلت بها إلى

هنا.. راكبة وسط عدة ديدان، والمحفات ومنصات الحمولة مكدسة للأعلى بأشياء ضرورية للحملة العسكرية القادمة.
فكرت جيسيكا: طالما شاني حية فإن بولس لن يفعل ما عليه من واجب. لقد وهبَته ابنا وفي هذا الكفاية.
غمرها شوق مفاجئ لرؤية حفيدها.. الطفل الذي تشبه ملامحه كثيرا ملامح جده ليتو. وضعت جيسيكا راحتيها على وجنتيها وشرعت في أداء التنفس الطقوسي الذي يهدئ المشاعر ويصفي الذهن، ثم انثنت من منطقة الوسط في تمرين تعبدي يهيئ الجسد لتلبية أوامر العقل.
كانت تعلم أن اختيار بولس لكهف الطير هذا كمقر قيادة هو اختيار لا يُعلى عليه. إنه مكان مثالي. وفي الشمال منه يقع 'ممر الريح' الذي ينفتح مؤديا لقرية محمية في منطقة حوض صحراوي محاط بجدران جرف. كانت قرية هامة، موطنا لحرفيين وتقنيين، مركز صيانة لقطاع هاركوني دفاعي كامل.
صدر صوت سعال من خارج ستائر الحجرة. اعتدلت جيسيكا وأخذت نفسا عميقا ثم زفرته ببطء وقالت: "ادخل"
أزيحت الستائر جانبا ووثب جيرني هاليك إلى داخل الحجرة. لم يتوفر لها وقت إلا لرؤية وجهه - بتكشيرته الغريبة - في لمحة خاطفة، ثم صار وراءها، رافعا إياها على قدميها بذراع مفتول العضلات موضوع تحت ذقنها.
قالت بحدة: "جيرني أيها الأحمق، ما هذا الذي تفعله؟"
ثم شعرت بلمسة طرف السكين على ظهرها. ومن موضع هذا الطرف انتشرت قشعريرة مدرِكة. علمت في هذه اللحظة أن جيرني ينوي قتلها.
لماذا؟ عجزت عن التفكير في أي سبب، حيث أنه لم يكن من النوع الذي يتحول لخائن. لكنها كانت متأكدة من نيته. ولمعرفتها بها أخذ عقلها يعمل بعنف. فهو رجل لا يسهل التغلب عليه. رجل يقظ لأي استخدام لقدرة الصوت. يقظ لكل خدعة قتالية.. لكل حيلة مميتة أو عنيفة. إنه أداة قد ساعدت هي بنفسها في تدريبها عن طريق تلميحات واقتراحات مبطنة.
زمجر جيرني قائلا: "كنت تظنين أنك أفلتِّ أيتها الساحرة، هه؟"
وقبل أن تتمكن من إدارة السؤال في عقلها أو أن تحاول الإجابة انفتحت الستائر وولج بولس.
"ها هو يا أم..."
قطع بولس كلامه، محاولا استيعاب توتر المشهد.
قال جيرني: "عليك أن تقف مكانك يا سيدي"
"ماذا..."، وهز بولس رأسه.
بدأت جيسيكا تتكلم فشعرت بضغط الذراع على حلقها يزداد.
قال جيرني: "لن تتكلمي إلا عندما أسمح لك يا ساحرة. كل ما أريده منك هو شيء واحد يجب أن يسمعه ابنك، ومستعد لغرز هذا السكين وإيصاله لقلبك كرد فعل تلقائي عند أول بادرة هجوم مضاد تصدر عنك. صوتك سيظل على نغمة واحدة بسيطة. لن تحركي أو تقبضي عضلات معينة. ستتصرفين بأقصى حذر ممكن كي تمنحي نفسك بضعة ثوان إضافية من الحياة. وأؤكد لك، هذه الثواني هي كل ما تملكين"
تقدم بولس خطوة للأمام: "جيرني يا رجل، ما الذي تـ..."
قال جيرني بحدة: "توقف مكانك! خطوة واحدة إضافية وسأقتلها"
انزلقت يد بولس لمقبض سكينه، وتكلم في هدوء مخيف: "الأفضل لك أن توضح موقفك هذا يا جيرني"
قال جيرني: "لقد أقسمت أن أقتل من خان أباك. أتظن أن بإمكاني أن أنسى الرجل الذي أنقذني من حفرة عبيد الهاركونن، ووهبني الحرية والحياة والشرف.. ومنحني صداقته، والتي أعتبرها أغلى ما أعطاني؟ إن خائنه تحت سكيني الآن.

لا يمكن أن يوقفني أحد من أ..."
قال بولس: "إن ظنك خاطئ تماما يا جيرني"
وفكرت جيسيكا: هذا إذن هو ما في الأمر! يا لها من مفارقة!
قال جيرني: "أنا مخطئ؟ دعنا نسمعها من المرأة ذاتها. وليكن في علمها أني قدمت رشاوي وتجسست وغششت كي أستوثق من هذه التهمة. بل ودفعت بالسيموتا لأحد قادة الحرس الهاركونيين كي أعلم جزءا من الحقيقة"
شعرت جيسيكا بالذراع المحيطة بعنقها ترتخي قليلا، لكن قبل أن نتكلم قال بولس: "الخائن كان يُوي. سأقول لك هذا مرة واحدة فقط يا جيرني. الدليل مكتمل، ولا يمكن التشكيك فيه. يوي هو الفاعل. لا يهمني كيف وصلت لشكوكك هذه - والتي لا يمكن أن تتعدى مجرد الشكوك - لكن إن آذيت أمي..."، ونزع بولس الكريسنايف من غمده ورفع النصل للأمام: "... فسأسفك دمك"
زمجر جيرني قائلا: "لقد كان يوي طبيبا مبرمجا عقليا، يؤتمن على العمل في البيوت الملكية. يستحيل أن يتحول لخائن!"
قال بولس: "أعرف طريقة لإزالة هذه البرمجة"
قال جيرني بإصرار: "الدليل"
قال بولس: "الدليل ليس هنا. إنه في سياتش طبر، بعيدا في اتجاه الجنوب. لكن لو..."
صاح جيرني: "إنها خدعة"، وضاقت ذراعه حول عنق جيسيكا.
قال بولس: "ليست خدعة يا جيرني"، وبدت في صوته نبرة حزن رهيب لدرجة أن الصوت كاد يمزق نياط قلب جيسيكا.
قال جيرني: "لقد رأيتُ الرسالة المأخوذة من العميل الهاركوني. الرسالة أشارت بشكل مباشر ل..."
قال بولس: "أنا أيضا رأيتها. أبي أراني إياها في الليلة التي شرح لي فيها حتمية كونها حيلة هاركونية مقصود منها أن يشك في المرأة التي يحبها"
قال جيرني: "إنك لم..."
قال بولس: "اصمت"، وكان ثبات كلماته مشبعا بنبرة آمرة تفوق كل ما سمعته جيسيكا في أي صوت آخر.
فكرت: إنه يتمتع بالتحكم الفائق.
ارتجفت ذراع جيرني حول رقبتها. تحرك طرف السكين الموضوع على ظهرها في اضطراب.
قال بولس: "ما لم تفعله هو سماعك أمي تنتحب في الليل على دوقها الفقيد. لم تر عينيها ينطلق منهما الشرر عندما تحدث عن قتل الهاركونن"
فكرت: إذن قد سمعني.
أعمت الدموع عينيها.
استمر بولس قائلا: "ما لم تفعله هو تذكّر الدروس التي تعلمتها في حفرة العبيد الهاركونية. إنك تتحدث عن فخرك بصداقة أبي! ألم نتعلم الفرق بين هاركونن وأتريديز بحيث تستطيع شم رائحة الخدعة الهاركونية عن طريق آثارها العفنة؟ ألم نتعلم أن ولاء الأتريديز يُشترى بالحب بينما عملة الهاركونن هي البغض؟ ألم تتمكن من رؤية طبيعة هذه الخيانة على حقيقتها؟"
تمتم جيرني: "لكن.. يوي؟"
قال بولس: "الدليل الذي معنا هو رسالة يوي نفسه لنا، معترفا بخيانته. أقسم لك على هذا بالحب الذي أكنه لك.. حب سأظل أكنه حتى بعد أن أتركك على هذه الأرضية ميتا"
عندما سمعت جيسيكا ابنها تعجبت للوعي الذي هو عليه.. ولرؤية ذكائه الثاقبة.

قال بولس: "لقد كان أبي يتمتع بغريزة فطرية في اختيار أصدقائه. لم يكن يغدق حبه على كثيرين لكنه لم يكن يخطئ أبدا في اختيار من يحبهم. نقطة ضعفه كانت في سوء فهمه للكراهية. فقد ظن أن أي شخص يكره الهاركونن يستحيل أن يخونه"، وألقى نظرة على أمه: "إنها تعلم هذا. لقد نقلت لها رسالة أبي التي تقول أنه لم يشك فيها أبدا"

أحست جيسيكا أنها تفقد سيطرتها على نفسها، فعضت شفتها السفلى. لما رأت الأسلوب المتصلب والرسمي البادي على بولس أدركت كم تكلفه هذه الكلمات. أرادت أن تركض ناحيته، وأن تحتضن رأسه على صدرها كما لم يسبق لها أن فعلت من قبل. لكن الذراع المحيطة بحلقها توقفت عن الارتجاف، وطرف السكين الموضوع على ظهرها كان لا يزال ضاغطا وحادا.

قال بولس: "إن من أشد اللحظات شناعة في حياة الصبي هي عندما يكتشف أن أباه وأمه مخلوقات بشرية تتشارك حبا يستحيل عليه أن يتذوقه بنفس الدرجة. إنها لحظة خسارة.. يقظة تُنبه لحقيقة أن الدنيا هنا وهناك وأننا فيها بمفردنا. وتلك اللحظة تحمل معها شيئا من الحقيقة، فلا تقدر على تجنبها. لقد سمعتُ أبي وهو يتحدث عن أمي. ليست هي الخائن يا جيرني"

استطاعت جيسيكا التحدث فقالت: "جيرني، أطلقني"

لم يكن بالكلمات نبرة آمرة خاصة، ولا حيلة موجهة لوعيه، لكن يد جيرني تهاوت.

عبرت الحجرة إلى بولس ووقفت أمامه، دون أن تلمسه.

قالت: "بولس، إن في هذا الكون يقظات منبهة أخرى. فجأة أصبحت أعي أني قمت باستغلالك وتشكيلك والتلاعب بك بهدف وضعك في مسار اخترته أنا... مسار كنت مضطرة لاختياره - إن كان هذا عذرا - بسبب ما تلقيتُه أنا من تدريب"

ازدردت لعابها فمر بغصة في حلقها، ورفعت بصرها لعيني ابنها: "بولس.. أريدك أن تقوم بشيء من أجل خاطري.. اختر طريق السعادة. امرأتك الصحراوية، تزوجها إن كنت ترغب في هذا. تحدى كل شخص وكل شيء كي تفعل هذا. لكن اختر طريقك بنفسك. فأنا..."

قطعت كلامها، إذ أوقفها صوت الغمغمة المنخفض القادم من ورائها.

جيرني!

رأت عيني بولس تنظران لما وراءها، فاستدارت. كان جيرني واقفا في نفس البقعة، لكنه قد أغمد سكينه، وأزاح الثوب عن صدره كي يكشف اللون الرمادي الأملس لبذلة تقطير من النوع الذي يشتريه المهربون من سكان السياتشات.

غمغم جيرني: "ضع سكينك هنا في صدري. أقول لك اقتلني وقم بإنهاء الأمر. لقد لوثتُ سمعتي. خنت دوقي! أشرف من..."

قال بولس: "قف!"

حدق جيرني فيه.

قال بولس: "أغلق هذا الثوب وتوقف عن التصرف كأحمق. يكفيني ما تعرضت له من حماقة اليوم"

قال جيرني في هياج: "أقول لك اقتلني!"

قال بولس: "إنك تعرفني بشكل أفضل من هذا. أي أبله تظنونني كلكم؟ هل سأضطر للتعرض لهذا مع كل رجل أحتاجه؟"

نظر جيرني لجيسيكا وتحدث في نبرة بائسة متوسلة غير معتادة منه: "إذن افعليها أنت يا سيدتي. اقتليني"

اقتربت منه جيسيكا ووضعت يديها على كتفيه: "جيرني، لماذا تصر على أن يقتل آل أتريديز أحباءهم؟"، وبرفق سحبت الثوب من بين أصابعه وأغلقت القماش وأحكمته على صدره.

تكلم جيرني بشكل متكسر: "لكن.. أنا..."

قالت: "كنت تظن أنك تؤدي خدمة لليتو. ولهذا الأمر أُكرمك"

قال جيرني: "سيدتي"، وهوت ذقنه على صدره، وعصر أجفانه ليغلقها مانعا الدموع.
قالت: "دعنا ننظر لهذا على أنه سوء تفاهم حدث بين أصدقاء"، وسمع بولس في صوتها نبرات التهدئة والضبط. "لقد انقضى الأمر، ويمكننا أن نكون ممتنين أنه لن يمر بنا سوء فهم مثل هذا مرة أخرى"
فتح جيرني عينين تلمعان لما بهما من رطوبة، ونظر لها.
قالت جيسيكا: "إن جيرني هاليك الذي أعرفه كان رجلا بارعا بالنصل وبعزف الباليست. وكان يعجبني رجل الباليست أكثر. ألا يتذكر هذا الجيرني هاليك كيف اعتدت أن أستمتع بسماعه لساعات وهو يعزف لي؟ ألا زالت معك آلة باليست موسيقية يا جيرني؟"
قال جيرني: "معي واحدة جديدة، مجلوبة من كوكب شوسوك. آلة جميلة، عزفها وكأنها أصلية من صنع فاروتا، على الرغم من أنها خالية من التوقيع. عن نفسي أظنها مصنوعة على يد تلميذ من تلاميذ فاروتا قام بـ..."
ثم قطع كلامه وقال: "ما هذا الذي أخبرك به يا سيدتي؟ ها نحن نثرثر عن الـ..."
قال بولس: "ليست ثرثرة يا جيرني"
وعبر الحجرة ليقف جوار أمه وعيناه في عيني جيرني: "ليست ثرثرة، بل شيء يجلب سعادة بين الأصدقاء. سأعتبرها طيبة منك إن عزفت لها الآن. التخطيط للمعركة يمكن أن ينتظر قليلا. ونحن على أية حال لن نبدأ القتال إلا في الغد"
قال جيرني: "سـ... سأحضر آلتي. إنها بالممر"، ودار حولهما ثم خرج من خلال الستائر.
وضع بولس يده على ذراع أمه فوجدها ترتجف.
قال: "لقد انتهى الموقف يا أمي"
ودون أن تدير رأسها رفعت له بصرها ونظرت من جانبي عينيها: "انتهى؟"
"بالطبع. إن جيرني..."
"جيرني؟ آه.. صحيح"، وهبطت ببصرها.
صدر من الستائر حفيف عندما عاد جيرني ومعه الباليست. بدأ يضبطها، متحاشيا أعينهما. كتمت الستائر المعلقة على الحوائط صدى الصوت، فجعلت صوت الآلة ضئيلا وحميميا. قاد بولس أمه لإحدى الوسائد وأجلسها هناك وظهرها لستائر الجدار السميكة.
وفجأة أصابته صدمة لما بدت عليه من سن، مع بوادر تجاعيد الجفاف الصحراوية على وجهها، والجلد المتدلي عند جانبي عينيها المغطاتين بطبقة من الزرقة.
فكر: إنها مرهقة. يجب أن نجد طريقة لنخفف عنها الأحمال.
ضرب جيرني وترا.
نظر له بولس وقال: "عندي.. أمور تستوجب انتباهي. انتظرني هنا"
أومأ جيرني. بدا ذهنه سارحا بعيدا، كما لو أنه يسكن خلال هذه اللحظة تحت سماء كالادان المفتوحة وسحاب كالصوف على الأفق يعد بهطول الأمطار. أرغم بولس نفسه على الاستدارة وخرج عبر الستائر الثقيلة التي تحجب الممر الجانبي. سمع جيرني خلفه يبدأ عزف نغمة فوقف للحظة خارج الحجرة ليستمع للموسيقى المكتومة.
"بساتين وأشجار عنب
وحوريات كواعب
وكأس يتدفق أمامي

لماذا أثرثر عن المعارك
وعن جبال تصبح ترابا؟
لماذا أشعر بهذه الدموع؟
السماوات تنفتح
وتنثر ثرواتها
كل ما تحتاجه يدي هو أن تجمع كنوزها
لماذا أفكر في كمين
وفي سم بكأس منصهر؟
لماذا أشعر بوطأة سنيني؟
أذرع الحب تدعوني
بمباهجها العارية
وتعدني جنة عدن بالنشوة
لماذا أتذكر الندوب
وأحلم بخطاياي القديمة
ولماذا أنام خائفا؟"

ظهر لبولس - من ركن أمامي بالممر - ثوب أحد حملة الرسائل الفدائيين. كانت قلنسوة الرجل ملقاة للخلف وأشرطة ربط بذلة تقطيره محلولة حول عنقه، دليلا على أنه قد جاء لتوه من الصحراء.

أشار له بولس بأن يتوقف وترك ستائر الباب وسار في الممر قاصدا المبعوث. انحنى الرجل ويداه متشابكتين أمامه كما لو كان يؤدي التحية لسيدة موقرة أو سيدينا في سلك الكاهنات.

قال: "يا مؤدب، بدأ القادة في الوصول استعدادا للمجلس"

"بهذه السرعة؟"

"هؤلاء ممن أرسل ستيلجار يستدعيهم من قبل، عندما كنا نظن..."، ثم هز كتفيه.

"فهمت"

ألقى بولس نظرة خلفه ناحية صوت الموسيقى الخافت، مفكرا في الأغنية القديمة التي تفضلها أمه.. مزيج عجيب من النغم السعيد والكلمات الحزينة.

"سيأتي ستيلجار إلى هنا قريبا مع آخرين. أرشدهم للمكان الذي تنتظر أمي فيه"

قال المبعوث: "سأنتظر هنا يا مؤدب"

"أجل.. أجل، قم بهذا"

مر بولس جوار الرجل متجها لعمق الكهف، قاصدا المكان الذي يوجد مثله في كل كهف من هذه الكهوف.. مكان بقرب حوض تخزين الماء. في هذا المكان سيوجد شي-خلود صغير.. مخلوق لا يتعدى طوله الـ 9 أمتار، أعيق نموه وحُبس بإحاطته بأنفاق مائية.

فالصانع، بعد أن يخرج من طور دودة الصانع الصغيرة، يتجنب الماء لأنه يصيبه بالتسمم. وإغراق دودة صانع كان أكبر أسرار الفريمن، لأنه ينتج مادة اتحادهم.. ماء الحياة.. السم الذي لا تقدر على تغييره سوى سيدة موقرة.

كان القرار قد خطر لبولس وهو يواجه التوتر الناتج عن الخطر الذي هدد أمه، إذ لم تظهر له هذه اللحظة - أي قدوم التهديد من جيرني هاليك - في أي مسار مستقبلي من المسارات التي رآها.

فالمستقبل الضبابي - بما فيه من شعور بأن الكون كله يندفع نحو مفترق طرق هائج - كان معلقا من حوله كعالم شبحي.

فكر: يجب أن أراه.

لقد اكتسب جسده قدرا من المناعة ضد البهار مما جعل رؤاه الاستبصارية تقل شيئا فشيئا.. وتبهت بالتدريج.

وبدا له الحل واضحا.

سأغرق الصانع. وسنرى حينئذ إن كنت فعلا الكويزاتس هاديراك القادر على النجاة من الاختبار الذي نجت منه السيدات الموقرات.

الفصل 45

"وحدث في السنة الثالثة من سنوات حرب الصحراء أن رقد بولس-مؤدب وحيدا في كهف الطير، في حجرة داخلية، تحت ستارة كسوة Kiswa معلقة وعليها تصاوير. رقد وكأنه ميت، غارقا في إلهام ماء الحياة، ونفسه قد انتقلت لما وراء حدود الزمن، بسبب السم الذي يمنح الحياة. وهكذا صدقت عليه النبوءة القائلة أن لسان الغيب سيكون حيا وميتا في ذات الوقت"

من كتاب "أساطير أراكس المجمعة"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

برزت شاني من حوض حبانيا الصحراوي في ظلمة ما قبل الفجر، وسمعت الثوبتر - التي أتت بها من الجنوب - تصدر طنينا وهي تبتعد متجهة لمخبأٍ ما في الصحراء الواسعة.

من حولها كانت رفقة الحرس تحتفظ بمسافة بينها وبينهم، منتشرين على صخور السلسلة الجبلية ليكشفوا وجود أية أخطار.. وليمنحوا خليلة المؤدب - أم ابنه البكر - ما طلبته: لحظة تسير فيها بمفردها.

سألت نفسها: لماذا استدعاني؟ لقد أخبرني في السابق أنه علي البقاء في الجنوب مع ليتو الصغير وعاليا.

جمعت عليها ثوبها ووثبت بخفة فوق حاجز صخري، ثم إلى الطريق المتسلق والذي لا يستطيع تمييز وجوده في الظلام إلا من تدربوا على حياة الصحراء. انزلق الحصى تحت قدميها فرقصت خلاله دون أن تلاحظ ما تطلبه هذا من رشاقة.

كان التسلق منعشا، مهدئا المخاوف التي أثيرت في نفسها بسبب صمت الحرس المرافقين وانسحابهم داخل ذواتهم، وبسبب أن إحدى طائرات الثوبتر النفيسة المضنون بها قد أُرسلت إليها.

شعرت بالبهجة الوثّابة داخلها لقرب ملاقاتها لبولس-مؤدب.. حبيبها أصول. قد يكون اسمه يستخدم كصيحة قتالية في البلاد كلها: "المؤدب! المؤدب! المؤدب!"، لكنها كانت تعرفه بصفته رجل آخر له اسم آخر.. والد ابنها.. العاشق الرقيق. من الصخور أعلاها ظهر لها شخص ضخم يومئ لها بالإسراع، فأسرعت الخطى. كانت طيور الفجر تشقشق بالفعل وترتفع صاعدة في السماء. وعلى الأفق الشرقي كانت هناك بقعة من الضوء الخافت تبدأ في الازدياد.

لم يكن الشخص الواقف بالأعلى أحد مرافقيها. تساءلت عندما لاحظت حركاته وتصرفاته المألوفة: أهو عُثيم؟

اقتربت منه فتعرفت - على هدى الضوء المتزايد - ملامح الضابط الفدائي العريضة والمنبسطة، وأن قلنسوته مفتوحة ومرشّح فمه مربوط دون إحكام، كما يفعل المرء أحيانا عندما ينوي الخروج للصحراء لما لا يزيد عن بضعة لحظات.

قال في هسيس: "أسرعي"، وقادها عبر الصدع السري إلى داخل الكهف المخفي.

همس وهو يزيح أمامها غطاء فتحة الباب: "نور الصبح يقترب. فالهاركونن - ليأسهم - بدؤوا يرسلون دوريات لبعض هذه المناطق. لا نجرؤ على المخاطرة بالانفضاح في هذه المرحلة"

ولجا الممر الجانبي الضيق، المدخل المؤدي لكهف الطير. أضيئت كرات إنارة وتجاوزها عثيم وهو يقول: "اتبعيني. وأسرعي" أسرعا عابرين الممر، ثم عبر باب آخر له صمام، فممر آخر، ثم خلال ستائر تؤدي لما كان يستخدم كمختلى للسيدينا عندما كان هذا الكهف كهف استراحة مؤقت.

كانت الأرض مغطاة بسجاجيد ووسائد. والحوائط الصخرية مخفاة وراء ستائر منسوجة، عليها صورة صقر أحمر. وعلى أحد الجوانب كان يوجد مكتب ميداني منخفض متناثرة عليه أوراق تفوح منها رائحة البهار المصنوعة منه. جلست السيدة الموقرة

بمفردها في مواجهة المدخل بالضبط. رفعت بصرها بتلك النظرة الباطنية التي تجعل غير المتمرسين يرتجفون.
ضغط عثيم راحتيه معا وقال: "لقد أحضرت شاني". انحنى وتراجع عبر الستائر.
وهنا فكرت جيسيكا: كيف سأخبر شاني؟
قالت جيسيكا: "كيف حال حفيدي؟"
فكرت شاني: إذن سنتعامل بطقوس التحية الرسمية.
وعادت لها مخاوفها. أين المؤدب؟ لماذا لم يأتِ ليرحب بي؟
قالت شاني: "إنه بخير صحة وسعادة يا أمي. تركته هو وعاليا تحت رعاية هارا"
فكرت جيسيكا: أمي. أجل، يحق لها أن تدعوني بهذا أثناء التحية الرسمية. فقد منحتني حفيدا.
قالت جيسيكا: "سمعت أن هدية من القماش قد أرسلت لكم من سياتش كوانوا"
قالت شاني: "إنه قماش جميل"
"هل أرسلت عاليا معك أية رسائل؟"
"لا رسائل. لكن السياتش يعمل بسلاسة أكبر الآن بعد أن بدأ الناس يتقبلون وضعها المعجز"
تساءلت شاني: لماذا تطيل الأمر بهذه الطريقة؟ حدث أمر عاجل لدرجة أنهم أرسلوا لي طائرة ثوبتر، والآن نقوم بمط الحديث في مجاملات رسمية!
قالت جيسيكا: "علينا أن نقتطع شيئا من القماش الجديد لنصنع منه ملابس لليتو الصغير"
قالت شاني: "كما تحبين يا أمي"، وخفضت بصرها: "هل من أخبار عن المعارك؟"
جعلت وجهها بلا تعابير كي لا ترى جيسيكا الحقيقة.. أن السؤال كان عن بولس-مؤدب.
قالت جيسيكا: "انتصارات جديدة. ورابان أرسل اقتراحات حذرة يعرض عقد هدنة. أعدنا له رسله دون مائهم. بل وقد خفف رابان الضغط على الناس في بعض قرى الحوض. لكنه تأخر في هذا كثيرا، فالناس تعلم أنه يفعل هذا لخوفه منا"
قالت شاني: "وهذا ما توقعه المؤدب"
حدقت في جيسيكا محاولة أن تحتفظ بمخاوفها لنفسها. لقد نطقتُ باسمه لكن لم ترد. لا يستطيع المرء رؤية المشاعر على هذا الحجر المصقول الذي تسميه وجها.. لكنها باردة أكثر من المعتاد. لم هي ساكنة لهذه الدرجة؟ ماذا حدث لحبيبي أصول؟
قالت جيسيكا: "كنت أتمنى لو أننا الآن في الجنوب. كانت الواحات شديدة الجمال عندما رحلنا. ألا تشتاقين ليوم تزدهر فيه الأرض كلها بهذه الطريقة؟"
قالت شاني: "إن الأرض جميلة، هذا حقيقي، لكن بها الكثير من الأحزان"
قالت جيسيكا: "الحزن هو ثمن النصر"
سألت شاني نفسها: هل تجهزني لتقبل الحزن؟
قالت: "هناك الكثير من النساء بلا رجال. كانت هناك علامات غيرة عندما علمن أنه تم استدعائي للشمال"
قالت جيسيكا: "أنا من استدعاكِ"
أحست شاني بقلبها يدق في عنف. أرادت أن تغطي أذنيها بيديها خوفا مما قد تسمعان. ومع ذلك حافظت على صوتها هادئا وقالت: "كانت الرسالة ممهورة بتوقيع المؤدب"
قالت جيسيكا: "أنا من وقعها بهذه الطريقة، في حضور ضباطه. كانت حيلة اضطررنا لها"
وفكرت جيسيكا: إن امرأة بولس هذه شجاعة. مستمرة في المجاملات مع أن الخوف يكاد يطغى عليها. أجل، قد تكون من

نحتاجه الآن.
ثم قالت شاني بنبرة فيها قدر بسيط من الاستسلام للمحتوم: "والآن بإمكانك أن تبوحي بالأمر الذي لا مفر من قوله"
قالت جيسيكا: "نحتاجك هنا لإعانتي على إفاقة بولس"
وفكرت: هاك! قلتها بالطريقة الصحيحة تماما. إفاقة. وهكذا ستعلم أن بولس حي وستعلم أيضا أنه في خطر.. كل هذا في نفس الكلمة.
استغرقت شاني دقيقة واحدة لتهدئ نفسها ثم قالت: "كيف يمكنني المساعدة؟"
رغبت في أن تقفز على جيسيكا وأن تهزها وهي تصرخ: "خذيني إليه"، لكنها انتظرت الإجابة في صمت.
قالت جيسيكا: "أظن أن الهاركونن نجحوا في إرسال عميل بيننا وضع سما لبولس. يبدو هذا كالتفسير الوحيد المناسب. سم غير معتاد. فقد فحصت دمه بأدق الأساليب ولم أجد له أثرا"
دفعت شاني نفسها للأمام على ركبتيها: "سم؟ هل يتألم؟ أيمكنني أن..."
قالت جيسيكا: "إنه غائب عن الوعي. وظائفه الحيوية ضعيفة للغاية لدرجة أنه لا يمكن ملاحظتها سوى بأدق الطرق. إني أرتعد عند التفكير فيما كان سيحدث لو لم أكن أنا من اكتشفه أولا. فإنه يبدو ميتا للعيون غير الخبيرة"
قالت شاني: "عندك أسباب لاستدعائي غير أنه التصرف اللائق. فأنا أعرفك يا سيدتنا الموقرة. ما الذي تظنين أن بإمكاني فعله ولا يمكنك أنت فعله؟"
فكرت جيسيكا: إنها شجاعة ومحببة للنفس و.. حادة الملاحظة. كانت ستصبح بني-جيزيرت ممتازة.
قالت جيسيكا: "شاني، ربما قد يبدو لك هذا صعب التصديق، لكني في الحقيقة لا أعلم بالضبط لماذا أرسلت لاستدعائك. لكنه كان شيئا غريزيا.. حدسا فطريا. جاءتني الخاطرة من تلقاء نفسها: استدعِ شاني"
وللمرة الأولى رأت شاني الحزن على ملامح جيسيكا.. الألم المكشوف وقد غيّر النظرة الباطنية.
قالت جيسيكا: "لقد قمت بكل ما أعرفه. وهذا الكل.. يفوق بكثير ما يظنه الناس عادة عندما يسمعون كلمة 'كل'، حتى أنك ستجدين صعوبة في مجرد تخيله. وعلى الرغم من ذلك.. فشلت"
قالت شاني: "هاليك، رفيقه القديم. أمن المحتمل أنه خائن؟"
قالت جيسيكا: "ليس جيرني"
وتضمنت هاتان الكلمتان حوارا كاملا، ورأت شاني فيهما ما تم من بحث واختبارات.. وذكريات الإخفاقات القديمة التي بدت في هذا الإنكار الصريح.
عادت شاني بظهرها ووقفت على قدميها وسوّت ثوبها المبقع من آثار السفر في الصحراء وقالت: "خذيني إليه"
نهضت جيسيكا ودخلت بين ستائر معلقة على الحائط الأيسر. تبعتها شاني فوجدت نفسها فيما كان في السابق عبارة عن حجرة تخزين، وجدرانها الصخرية مخفاة الآن تحت ستائر سميكة. وعند الجدار البعيد رقد بولس على حشية ميدانية.
أضيء وجهه بكرة إنارة واحدة موضوعة فوقه. كان مغطى حتى صدره بثوب أسود، وذراعاه ممتدان خارجه على جانبيه. بدا أنه بلا ملابس تحت الثوب. أجزاء البشرة المكشوفة بدت شمعية باهتة، ومتصلبة، ولم تظهر عليه أي حركة.
كبحت شاني الرغبة في أن تندفع للأمام وأن تلقي بنفسها عليه. وبدلا من ذلك، وجدت أفكارها تتجه لابنها.. ليتو.
وأدركت في هذه اللحظة أن جيسيكا مرت في السابق بموقف مماثل.. رجلها يهدده الموت، وعقلها يجبرها على التفكير فيما يمكن عمله لإنقاذ الابن الصغير. صنع هذا الإدراك رابطة فجائية بينها وبين السيدة التي تكبرها، فمدت شاني يدها وأمسكت يد جيسيكا. القبضة التي أجابتها كانت قوتها مؤلمة.

قالت جيسيكا: "إنه حي. أؤكد لك أنه حي. لكن الخيط الممسك بحياته رفيع للغاية بحيث يَسهل عدم الانتباه له. يوجد بين القادة من يتمم بالفعل قائلا أن الأم هي من تحدث لا السيدة الموقرة.. أن ابني قد مات فعلا وأني لا أرغب في إعطاء ماءه للقبيلة"
قالت شاني: "منذ متى وهو على هذه الحال؟"
نزعت يدها من يد جيسيكا وتقدمت في الحجرة للأمام.
قالت جيسيكا: "ثلاثة أسابيع. قضيت أسبوعا تقريبا محاولةً إفاقته. ثم حدثت اجتماعات وجدالات.. وتحقيقات. ثم أرسلت لك. الفدائيون يطيعون أوامري، وإلا لما كنت سأستطيع تأخير الـ..."
رطبت شفتيها بلسانها وشاهدت شاني تقترب من بولس.
كانت شاني تقف قربه الآن، هابطة ببصرها للحية الفتية الناعمة المحيطة بوجهه، متتبعة بعينيها خط الجبين المرتفع والأنف الصارمة والعينين المغلقتين.. كانت ملامحه مسالمة تماما في وضعه المتصلب هذا.
قالت شاني: "كيف يتغذى؟"
قالت جيسيكا: "إن متطلبات جسده أصبحت ضئيلة للغاية لدرجة أنه لم يحتاج الطعام حتى الآن"
قالت شاني: "كم عدد من يعلمون بما حدث؟"
"فقط أقرب مستشاريه، وبعض القادة، والفدائيين، وبالطبع من أعطاه السم"
"لا دليل يشير لشخصية من سمه؟"
قالت جيسيكا: "لا، حتى بعد كل التحقيقات الشاملة"
قالت شاني: "وماذا يقول الفدائيون؟"
"يعتقدون أن بولس دخل في إغشاءة دينية، وأنه يجمع قواه المقدسة قبل المعارك النهائية. وهي فكرة قمت بالتشجيع عليها"
نزلت شاني على ركبتيها جوار الحاشية ومالت مقتربة من وجه بولس. شعرت فورا باختلاف في الهواء المحيط بوجهه.. لكنه لم يكن سوى البهار.. البهار الموجود في كل شيء والذي تتخلل رائحته كل حياة الفريمن.
ومع ذلك...
قالت شاني: "إنكما لم تولدا معتادين على البهار مثلنا. هل حققتِ في احتمالية أن جسده قد تمرد على وجود كمية بهار كبيرة في طعامه؟"
قالت جيسيكا: "فحوص ردود الفعل الناتجة عن الحساسية كلها سلبية"
أغلقت عينيها، كي تخفي هذا المشهد وفي نفس الوقت كنتيجة لإدراكها فجأة لما تشعر به من إرهاق. سألت نفسها: منذ متى لم أذق النوم؟ منذ فترة طويلة جدا.
قالت شاني: "عندما تقومين بتغيير ماء الحياة فإنك تفعلين هذا داخل جسدك، باستخدام وعيك الداخلي. هل استخدمتِ هذا الوعي لفحص دمه؟"
قالت جيسيكا: "دم فريمني عادي.. متكيف تماما مع الطعام والحياة هنا"
جلست شاني على عقبيها، وأغرقت مخاوفها تحت أفكارها وهي تفحص وجه بولس. كانت هذه حيلة تعلمتها من مراقبة السيدات الموقرات. فالزمن يمكن جعله في خدمة الذهن، بأن يقوم المرء بتكثيف انتباهه كله.
بعد قليل قالت شاني: "هل يوجد هنا صانع؟"
قالت جيسيكا بشيء من الضجر: "عدة ديدان. لا نكاد نكتفي منهم هذه الأيام. فكل نصر يحتاج مباركة خاصة. وكل طقس

يسبق الغارات بـ..."
قالت شاني: "لكن بولس-مؤدب يتحاشى هذه الطقوس الاحتفالية وينعزل عنها"
أومأت جيسيكا لنفسها، متذكرة أحاسيس ابنها المتأرجحة فيما يتعلق بعقار البهار وما يكثفه من إدراك استبصاري.
قالت جيسيكا: "وكيف علمتِ هذا؟"
"يقال"
قالت جيسيكا في مرارة: "القيل والقال زاد جدا"
قالت شاني: "أحضري لي ماء خام من دودة صانع"
تصلبت جيسيكا للنبرة الآمرة في صوت شاني، ثم لاحظت التركيز العميق الظاهر على الشابة، فقالت: "حالا"
وخرجت من بين الستائر كي تبعث بأحد رجال المياه.
جلست شاني تحدق في بولس. فكرت: لو كان قد حاول القيام بهذا...
إنه شيء قد يقدم عليه فعلا.
ركعت جيسيكا جوار شاني، حاملة إبريقا عاديا من أباريق المعسكر. كانت رائحة السم المميزة قوية في فتحتي أنف شاني.
غمست إصبعا في السائل ووضعته قريبا من أنف بولس.
تجعد جلد مقدمة أنفه بعض الشيء. وببطء بدأت فتحتا الأنف تتسعان.
شهقت جيسيكا.
مست شاني شفة بولس العليا بالإصبع الرطب.
فسحب شهيقا طويلا في تنشج.
قالت جيسيكا: "ما هذا؟"
قالت شاني: "اهدئي. يجب أن تقومي بتحويل كمية صغيرة من الماء المقدس. بسرعة!"
ودون أسئلة - لأنها تعرفت في صوت شاني على نبرة الفهم - رفعت جيسيكا الإبريق على فمها وسحبت رشفة صغيرة.
انفتحت عينا بولس وحدق لأعلى في شاني.
وقال: "ليس من الضروري أن تقوم بتغيير الماء"
كان صوته ضعيفا لكنه ثابت.
جيسيكا - ورشفة السائل على لسانها - وجدت جسدها يسرع محولا السم بطريقة شبه أوتوماتيكية.
وفي حالة الانتعاش الخفيفة التي يمنحها لها الطقس دائما أحست بهالة الحياة في بولس.. إشعاع ينطبع منه على حواسها.
وفي هذه اللحظة فهمت.
قالت دون تفكير: "لقد شربتَ من الماء المقدس!"
قال بولس: "قطرة واحدة. صغيرة للغاية.. مجرد قطرة"
قالت بنبرة حادة: "وكيف سمحت لنفسك بالإقدام على تصرف طائش كهذا؟"
قالت شاني: "إنه ابنك"
حملقت جيسيكا فيها.
ارتسمت على شفتي بولس ابتسامة نادرة، دافئة ومفعمة بالفهم. قال: "أصغ لحبيبتي. استمعي لها يا أمي. فهي تعلم"
قالت شاني: "أي شيء يمكن للآخرين أن يفعلوه فعليه أن يفعله هو أيضا"

قال: "عندما أخذت القطرة في فمي.. عندما أحسست بها وشممت رائحتها.. عندما علمت ما تفعله بي، عندها أدركت أن بإمكاني القيام بالشيء الذي فعلتيه أنت. إن كبار كاهنات البني-جيزيرت يتكلمن عن الكويزاتس هاديراك، لكنهن عاجزات عن مجرد تخمين الأماكن العديدة التي كنتُ فيها. ففي هذه الدقائق القليلة التي..."

قطع حديثه، ناظرا لشاني بتقطيبة حائرة: "شاني؟ كيف وصلتِ إلى هنا؟ من المفترض أنك في... لماذا أنت هنا؟"

حاول أن يرفع نفسه معتمدا على مرفقيه، فدفعته شاني للخلف برفق.

قالت: "أرجوك يا أصول"

قال: "إني أشعر بضعف شديد". وثب بصره في أرجاء الحجرة: "منذ متى وأنا هنا؟"

قالت جيسيكا: "لقد كنت لثلاثة أسابيع في غيبوبة عميقة لدرجة أن شعلة الحياة بدت وكأنها قد هربت منك"

"لكن الأمر لم يستغرق.. لقد تناولتها منذ لحظة واحدة و..."

قالت جيسيكا: "لحظة بالنسبة لك، 3 أسابيع خوف بالنسبة لي"

قال بولس: "لقد كانت مجرد قطرة واحدة، لكني قمت بتحويلها. لقد غيرتُ ماء الحياة"

وقبل أن تستطيع شاني أو جيسيكا أن تمنعاه غمس يده في الإبريق الذي كانتا قد وضعتاه على الأرض جواره، ورفع إلى فمه اليد التي يتساقط منها السائل، وبلع ما في راحة يده.

صرخت جيسيكا: "بولس!"

قبض على يدها وواجهها بابتسامة مخيفة، ثم أرسل بوعيه الإدراكي ليغمرها مندفعا.

لم تكن الرابطة بمثل ما كانت عليه من رقة ومشاركة واحتواء مع عاليا والسيدة الموقرة العجوز في الكهف.. لكنها كانت رابطة فعلا.. حواس مشتركة في الكيان كله. اهتزت لها، وضعفت بسببها، وانكمشت في ذهنها متراجعة، خائفة منه.

قال بصوت مرتفع: "تتكلمين عن مكان لا يمكن أن تدخلوه؟ ذلك المكان الذي لا يمكن للسيدة الموقرة أن تواجهه.. أريه لي"

هزت رأسها، مرعوبة من مجرد الفكرة.

قال آمرا: "أريه لي!"

"لا!"

لكنها لم تقدر على التملص منه. تحت إجبار قوته الرهيبة أغلقت عينيها وركزت على باطنها.. في الاتجاه المظلم.

انساب وعي بولس عبرها وحولها وإلى داخل الظلمة. رأت المكان في لمحة خاطفة ضبابية قبل أن يغلق عقلها نفسه متحاشيا الرعب. ودون أن تعلم السبب ارتجف كيانها كله لِما رأت.. منطقة تهب فيها الريح وتبرق الشرارات.. تنبسط فيها حلقات من النور وتنقبض.. مكان تتدفق فيه صفوف من الأشكال البيضاء المنتفخة فوق وتحت وحول الأنوار، يحركها الظلام والريح من العدم.

فتحت عينيها بعد برهة، ورأت بولس رافعا بصره، يحدق فيها. كان لا يزال قابضا على يدها لكن الرابطة الرهيبة قد انتهت. هدأت من ارتجافها، وترك بولس يدها. كان الأمر وكأن عكازا ما قد أزيل. ترنحت وهي تنهض وتتراجع، وكانت ستقع لو لم تسرع شاني لإسنادها.

قالت شاني: "أيتها السيدة الموقرة؟ ما الخطب؟"

همست جيسيكا: "متعبة. إني متعبة جدا"

قالت شاني: "هاك"، وأعانت جيسيكا على الجلوس على وسادة وظهرها للجدار.

الذراعان القويان الفتيان أعطيا جيسيكا إحساسا جيدا، فتعلقت بشاني.
قالت شاني: "هل رأى ماء الحياة فعلا؟"
وحررت نفسها من قبضة جيسيكا.
همست جيسيكا: "لقد رأى"
كان عقلها لا يزال مضطربا ومائجا بسبب رابطة الاتصال. كان الأمر يشبه أن تطأ يابسة صلبة بعد أسابيع في بحر متلاطم. أحست بالسيدة الموقرة العجوز داخلها - وكل الأخريات - يستيقظن ويسألن: ما كان هذا؟ ماذا حدث؟ أين كان ذلك المكان؟

وخلال كل هذا سرى فيها إدراك أن ابنها كان الكويزاتس هاديراك.. من يقدر على أن يكون في عدة أماكن في نفس الوقت. لقد كان الحقيقة التي خرجت من حلم البني-جيزيرت. ومعرفتها لهذا لم تطمئنها إطلاقا.
قالت شاني: "ماذا حدث؟"
هزت جيسيكا رأسها.
قال بولس: "في كل منا قوة قديمة تأخذ وقوة قديمة تمنح. لا يواجه الرجل صعوبة كبيرة في مواجهة ذلك المكان الموجود داخله والذي تسكنه القوة الآخذة، لكن يكاد يكون من المستحيل عليه أن يرى داخل القوة المانحة دون أن يتغير ويصبح شيئا آخر يختلف عن الرجال. وبالنسبة للمرأة فإن الوضع معكوس"
رفعت جيسيكا بصرها فرأت أن شاني تحدق فيها وهي تستمع لبولس.
قال بولس: "هل تفهميني يا أمي؟"
لم تتمكن سوى من الإيماء.
قال بولس: "هذه الأشياء بالغة القدم داخلنا لدرجة أنها متأصلة داخل كل خلية من خلايا أجسادنا. هذه القوى تقوم بتشكيلنا. بإمكانك أن تقول لنفسك: 'أجل، أفهم كيف يمكن لشيء كهذا أن يكون'، لكن عندما تنظر داخلك وتقف وجها لوجه أمام قوتك الحياتية الخام بلا حماية فسترى هلاكك. سترى أن الأمر بإمكانه أن يتغلب عليك. إن أعظم خطر على المانح هو القوة التي تأخذ. وأعظم خطر على الآخذ هو القوة التي تمنح. فسهولة الانقهار أمام المنح تساوي سهولة الانقهار أمام الأخذ"
قالت جيسيكا: "وأنت يا بني، أأنت ممن يمنحون أم ممن يأخذون؟"
قال: "أنا نقطة الارتكاز. لا يمكنني المنح دون أخذ، ولا الأخذ دون..."
قطع كلامه ناظرا للجدار الذي على يمينه.
أحست شاني بحركة هواء مست خدها، فالتفتت فرأت الستائر يتم غلقها.
قال بولس: "لقد كان عثيم. كان يستمع"
صدّقت شاني الكلمات ومسها شيء من ذلك الاستبصار الملازم لبولس، وعلمت شيئا لم يحدث بعد، وكأنه قد حدث بالفعل.
سيتكلم عثيم عما رآه وسمعه. سينشر الآخرون القصة إلى أن تصبح كالنار في الهشيم بين الناس. سيقولون: بولس-مؤدب ليس كباقي الرجال. لا مجال لمزيد من الشك. إنه رجل، ومع ذلك بإمكانه أن يرى خلال ماء الحياة كما تفعل السيدة الموقرة. إنه بالفعل لسان الغيب.
قالت جيسيكا: "إنك رأيت المستقبل يا بولس. هل ستخبرنا بما رأيت؟"

قال بولس: "ليس المستقبل.. بل رأيت الحاضر"، وأرغم نفسه على الجلوس ولوح لشاني بالبقاء مكانها عندما تحركت لتساعده: "إن الفضاء فوق أراكس مكتظ بسفن النقابة"

ارتعدت جيسيكا للثقة الظاهرة في صوته.

قال بولس: "الإمبراطور الباديشي معهم بنفسه"، ونظر لسقف حجرته الصخري: "ومعه كاهنته المفضلة، كاشفة الأكاذيب، و 5 فيالق ساردوكار. ومعهم أيضا البارون العجوز فلاديمير هاركونن وجواره ظوفر حواط، و 7 سفن ممتلئة عن آخرها بكل جندي استطاع جمعه. كل أسرة من أسر كبار النبلاء لها غزاة يقفون فوقنا.. منتظرين"

هزت شاني رأسها، غير قادرة على الإشاحة ببصرها بعيدا عن بولس. فغرابته، ونبرة صوته عديمة الملامح، والطريقة التي كان يخترقها بنظراته، ملأتها رهبة.

حاولت جيسيكا أن تبتلع ريقها في حلق جاف: "وماذا ينتظرون؟"

نظر بولس لها: "ينتظرون إذن النقابة لهم بالهبوط. فنقابة الفضاء ستهجر على أراكس أي قوات ستقرر الهبوط دون إذن"

قالت جيسكا: "النقابة تحمينا؟"

"تحمينا؟! بل النقابة نفسها هي من تسببت في هذا، عن طريق نشر حكايات عما نفعله هنا، وبتخفيضها أجرة نقل الجنود حتى سمحت لأفقر الأسر النبيلة بأن تكون فوقنا الآن منتظرة أن تنهبنا"

لاحظت جيسيكا أن نبرته ليس فيها أي مرارة، وتعجبت من الأمر. لم يكن بإمكانها أن تشك في صحة كلماته.. فقد كان لكلماته نفس الشدة التي رأتها فيه أثناء الليلة التي كشف فيها المسار المستقبلي الذي أوصلهما للفريمن.

أخذ بولس نفسا عميقا وقال: "أمي، عليك أن تغيري لنا كمية من الماء. نحتاج للعامل الحفاز. شاني، أرسلي فرقة استطلاع.. للعثور على كتلة بهار أوّلي. إن وضعنا كمية من ماء الحياة فوق كتلة بهار أولي، أتعلمين ماذا سيحدث؟"

وزنت جيسيكا كلماته ثم فهمت فجأة مغزى كلامه، فشهقت: "بولس!"

قال: "سيصبح ماء الموت. وسيكون تفاعلا متسلسلا"، وأشار للأرضية: "ناشرا الموت بين ديدان الصانع الصغيرة.. قاتلا طورا من أطوار دورة الحياة التي تشمل البهار وديدان الصانع الكبيرة. سيصبح أراكس خرابا بحق.. بلا بهار ولا صانع"

وضعت شاني يدها على فمها، وقد أسكتتها صدمتها من خطورة الزندقة المتدفقة من بين شفتي بولس.

قال بولس: "من يقدر على تدمير شيء يصبح المتحكم الحقيقي به. ونحن بإمكاننا تدمير البهار"

همست جيسيكا: "وما الذي يعيق النقابة؟"

قال بولس: "إنهم يبحثون عني. فكري في دلالة هذا! أفضل ملاحي النقابة، الرجال الذين يستطيعون استشراف الزمن كي يعثروا على أكثر الطرق الفضائية أمانا كي تسير فيها أسرع سفن الهايلاينر، يبحثون عني كلهم.. وعاجزين عن العثور علي. يا لارتجافهم! إذ يعلمون أني هنا أعرف سرهم!"، ورفع بولس يده الحاوية للسائل: "دون البهار يصبحون عميان!"

استطاعت شاني أن تتكلم أخيرا، فقالت: "لقد قلت أنك ترى الحاضر!"

عاد بولس بظهره للوراء، باحثا في الحاضر المنتشر أمامه، والذي تمتد حدوده حتى المستقبل وإلى الماضي، وهو يقبض على الوعي الإدراكي بصعوبة، إذ بدأت إشراقة البهار في الذبول.

قال: "اذهبا وافعلا ما أمرت به. بدأ المستقبل يصبح ضبابيا أمام النقابة وأمامي. خطوط الرؤية تضيق. كل شيء يركز على مكاننا هذا، حيث يوجد البهار.. حيث لم يجرؤوا على التدخل من قبل.. لأن التدخل سيجعلهم يفقدون ما يجب أن يحصلوا عليه. لكنهم الآن في وضع يائس.. إذ كل المسارات نهايتها مظلمة"

الفصل 46

"وجاء اليوم الذي أصبح فيه أراكس في محور الكون، والعجلة مستعدة للدوران"

من كتاب "يقظة أراكس"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

همس ستيلجار: "انظرا لهذا الشيء!"
كان بولس راقدا جواره داخل شق صخري طولي على حافة الجدار الجبلي، وعيناه مثبتتين على العدسة المجمعة لتليسكوب فريمني. كانت العدسة الزيتية مركزة على سفينة لايتر فضائية صغيرة تقبع تحتهم في الحوض الصحراوي وقد كشفها الفجر للعيون. تلألأ جانب السفينة الشرقي الطويل في ضوء الشمس المباشر، أما الجانب المظلل فكان لا يزال يُظهر فتحات صفراء تبدو منها كرات الإنارة الليلية. وخلف السفينة كانت مدينة أراكين باردة، وتومض تحت ضوء الشمس الشمالية.
كان بولس يعلم أن ما أثار انبهار ستيلجار لم يكن سفينة اللايتر، بل المُنشأة، والتي لم تكن اللايتر سوى قطعتها المركزية الوسطى. معسكر معدني واحد، طوله عدة طوابق، يمتد على دائرة نصف قطرها - بدءا من قاعدة اللايتر - هو ألف متر. كان خيمة مكونة من صفائح معدنية متداخلة.. المأوى المؤقت لخمسة فيالق من الساردوكار وجلالة الإمبراطور الباديشي شدام الرابع.
قال جيرني هاليك من موضعه الذي يجثم فيه على يسار بولس: "عددت فيه 9 طوابق. بلا شك يحوي عددا لا بأس به من الساردوكار"
قال بولس: "5 فيالق"
قال ستيلجار هامسا: "نور الصبح يزداد. لا نحب كشفك لنفسك بهذه الطريقة يا مؤدب. دعنا نرجع الآن لما بين الصخور"
قال بولس: "إني هنا بأمان تام"
قال جيرني: "هذه السفينة مسلحة بأسلحة قاذفة"
قال بولس: "إنهم يظنوننا محميين بدروع. لن يهدروا إحدى طلقاتهم على ثلاثي لم يتم التعرف على هويته، حتى لو رأونا"
أدار بولس التليسكوب كي يفحص الجدار البعيد للحوض، فرأى الجروف الصخرية بما عليها من علامات كالبثور. كانت المنزلقات التي تشير لمواضع قبور العديد من جنود أبيه، فحل عليه إحساس لحظي بمدى موائمة هذا للموقف، حيث أن أرواح هؤلاء الرجال ستطل على هذه اللحظة.
في جميع أرجاء الأراضي المحمية كانت قلاع وبلدات الهاركونن إما قد وقعت بالفعل في أيدي الفريمن أو تم عزلها عن منابع إمدادات الهاركونن، وكأنها سيقان قُطعت عن النبتة وتُركت لتذوى. ولم يبق في يد العدو إلا هذا الحوض ومدينته.
قال ستيلجار: "إن شاهدونا فربما قاموا بغارة جوية من داخل الحصار باستخدام طائرات الثوبتر"
قال بولس: "دعهم يفعلوا. فاليوم عندنا ما يكفي ويفيض من الثوبترات.. ونعلم أن هناك عاصفة تقترب"
ثم أدار التليسكوب للطرف البعيد لمهبط طائرات مدينة أراكين.. للفرقاطات الهاركونية المصطفة هناك، وراية شركة شوم ترفرف في رقة على ساريتها الموضوعة على الأرض تحتهم. وفكر في مدى اليأس الذي أرغم النقابة على السماح لهذين المجموعتين بالهبوط بينما يتم احتجاز كل الباقين.

فالنقابة الآن كرجل يختبر الرمال بإصبع قدمه ليقيس درجة حرارته قبل أن ينصب خيمته.
قال جيرني: "أهناك أي جديد يمكن أن نراه من هذا الموضع؟ علينا أن نحتمي، فالعاصفة آتية"
أعاد بولس انتباهه لخيمة المعسكر العملاقة وقال: "جاؤوا حتى بنسائهم. وأتباعهم وخدمهم. آه يا إمبراطوري العزيز، ما أشد ثقتك في نفسك!"
قال ستيلجار: "يوجد رجال قادمون عبر الطريق السري. ربما عثيم وكوربا قد عادا"
قال بولس: "حسنا يا ستيل، سنعود"
لكنه ألقى حوله نظرة أخيرة عبر التليسكوب، فاحصا الوادي بما فيه من سفن مرتفعة، ومعسكر معدني براق، والمدينة الصامتة، وفرقاطات جنود الهاركونن المرتزقة. ثم انزلق للخلف مستديرا عند منحدر صخري. وحل محله أمام التليسكوب أحد الحرس الفدائيين.
وصل بولس إلى منخفض ضحل يقع على سطح الجدار الجبلي. كان مكانا قطره حوالي الـ 30 متر، وعمقه 3 أمتار تقريبا.. تضريس طبيعي من تضاريس الصخرة التي أخفاها الفريمن تحت غطاء تمويهي نصف شفاف. كانت أجهزة الاتصالات متجمعة حول حفرة في الجدار ناحية اليمين، والحرس الفدائيون متموضعون في أرجاء المنخفض، ينتظرون أمر المؤدب بالهجوم.
برز رجلان من الحفرة المجاورة لأجهزة الاتصالات، وتكلما مع الحرس الواقفين هناك.
نظر بولس لستيلجار وأومأ له في اتجاه الرجلين: "تلقى تقريرهم يا ستيل"
تحرك ستيلجار ليطيع الأمر.
ربض بولس وظهره للصخرة، وتمطى ممددا عضلاته، ثم اعتدل. رأى ستيلجار يعيد إرسال الرجلين عبر الحفرة المظلمة في الصخرة، نخطر له ما سيقومان به من هبوط عبر هذا النفق الصناعي المؤدي لقاع الحوض.
تقدم ستيلجار من مكان بولس.
قال بولس: "ما هذا الأمر بالغ الأهمية لدرجة أنهما لم يطمئنا لإرساله باستخدام سيلاجو؟"
قال ستيلجار: "يوفرون طيورهم لوقت المعركة"، ونظر لأجهزة الاتصال ثم عاد ببصره لبولس: "حتى لو كان شعاعها ضيقا تماما فإنه من الخطأ استخدام هذه الأشياء يا مؤدب. فبإمكانهم أن يعثروا عليك عن طريق تحديد الاتجاه الذي صدرت منه"
قال بولس: "قريبا سينشغلون تماما عن التفكير في العثور علي. ماذا قال الرجال في تقريرهم؟"
"أطلقنا سراح الساردوكار الذين كانوا محتجزين عندنا، قرب منطقة الفجوة القديمة الواقعة في مكان منخفض قرب الحافة، وهم الآن في طريقهم لسيدهم. قاذفات الصواريخ وباقي الأسلحة القاذفة وُضعت في مواضعها. والرجال تم نشرهم كما أمرت. كل الأمور روتينية"
رمق بولس أرجاء التجويف المنخفض، متأملا رجاله على الضوء المرشح المار عبر الغطاء التمويهي.
أحس بالزمن يزحف وكأنه حشرة تقطع طريقا عبر صخرة مكشوفة.
قال بولس: "سيستغرق ساردوكارنا بعض الوقت مشيا على الأقدام قبل أن يتمكنوا من الإشارة لحاملة جنود. هل تتم مراقبتهم؟"
قال ستيلجار: "إنهم تحت المراقبة"
تنحنح جيرني هاليك في مكانه المجاور لبولس: "أليس من الأفضل أن نتوجه لمكان آمن؟"
قال بولس: "لم تعد توجد أماكن آمنة. هل لا زال تقرير الطقس ملائما؟"

قال ستيلجار: "عاصفة عظيمة تقترب. ألا يمكنك الإحساس بها يا مؤدب؟"
وافقه بولس: "الهواء يبدو منذرا فعلا. لكني أحب اليقين النابع من سواري توقع الطقس"
قال ستيلجار: "ستصل العاصفة في غضون الساعة"، وأومأ ناحية الفجوة المطلة على معسكر الإمبراطور والفرقاطات الهاركونية: "ومن بالداخل يعلمون هذا أيضا. فلا توجد ولا ثوبتر واحدة في السماء. كل الأشياء موقوفة ومربوطة. وصلهم تقرير عن الطقس من أصدقائهم الموجودين في الفضاء"
قال بولس: "هل أقدموا على المزيد من الغارات الجوية الاستطلاعية؟"
قال ستيلجار: "لم يحدث شيء منذ هبوطهم الليلة الفائتة. يعلمون أننا هنا. أظن أنهم الآن ينتظرون كي يختاروا لحظتهم المناسبة"
قال بولس: "نحن من سيختار اللحظة المناسبة"
رفع جيرني بصره لأعلى وزمجر: "لو سمحوا لنا"
قال بولس: "هذا الأسطول سيظل في الفضاء"
هز جيرني رأسه.
قال بولس: "ليس أمامهم خيار. فبإمكاننا تدمير البهار، والنقابة لا تجرؤ على المخاطرة بهذا"
قال جيرني: "إن الواقعين في وضع يائس يصبحون أخطر الناس"
قال ستيلجار: "أولسنا يائسين؟"
عبس جيرني في وجهه.
قال بولس: "إنك لم تعش حياتك تحلم بحلم الفريمن. فستيل يفكر في كميات المياه التي أنفقناها على الرشاوي.. في سنين الانتظار التي أضفناها قبل أن يمكن لأراكس أن يزدهر. إنه ليـ..."
عبس جيرني وقال: "آرررغ"
قال ستيلجار: "لم هو مكتئب هكذا؟"
قال بولس: "دائما يكتئب قبل المعارك. إنه نوع المرح الوحيد الذي يسمح جيرني لنفسه به"
انتشرت على وجه جيرني ابتسامة ذئبية بطيئة، فبدت الأسنان بيضاء فوق حافة بذلة تقطيره: "ما يشعرني بالكآبة هو التفكير في أرواح كل هؤلاء الهاركونن المساكين الذين سنتخلص عليهم دون أن ينالوا فرصة الاعتراف بذنوبهم لكاهن"
قهقه ستيلجار: "إنه يتكلم كالفدائيين"
قال بولس: "إن جيرني من مغاوير الموت بالفطرة"
وفكر: أجل. دعهم يشغلوا أذهانهم بالدردشة قبل أن نختبر أنفسنا ضد تلك القوات في الوادي.
نظر للفجوة في الحائط الصخري ثم عاد ببصره لجيرني فوجد أن الشاعر المحارب قد استأنف عبوسه المكتئب.
تمتم بولس: "إن القلق يستنزف القوى. أنت من أخبرني بهذا في الماضي يا جيرني"
قال جيرني: "سيدي الدوق، إن السبب الرئيسي لقلقي هو الأسلحة الذرية. فإن استخدمتَها لتفجير فتحة في الجدار الجبلي فـ..."
قال بولس: "هؤلاء الناس بالأعلى لن يستخدموا أسلحة ذرية ضدنا. لا يجرؤون.. ولنفس السبب الذي لا يجعلهم قادرين على المخاطرة بأن ندمر مصدر البهار"
"لكن الإنذار القانوني المحذر من..."

صاح بولس: "الإنذار القانوني! إن ما يمنع العائلات النبيلة من إلقاء القنابل الذرية على بعضها البعض ليس الالتزام بالإنذار القانوني، بل الخوف. إن نص الميثاق العظيم واضح للغاية: 'استخدام الأسلحة الذرية ضد البشر ستكون عقوبته هي الإفناء الكوكبي'. ونحن سنفجر الجدار الجبلي، لا البشر"

قال جيرني: "إنها نقطة اختلاف دقيقة أكثر من اللازم"

قال بولس: "يعلونا في الفضاء الآن مجادلون في حرفية الألفاظ سيرحبون بقبول أي نقطة. دعنا نتوقف عن الكلام في هذا الأمر"

وأشاح بوجهه وهو يتمنى أن يكون يشعر في قرارة نفسه بهذه الثقة فعلا.

ثم قال بعد برهة: "ماذا عن أهل المدينة؟ هل اتخذوا مواضعهم بالفعل؟"

غمغم ستيلجار: "أجل"

نظر له بولس: "ما الذي يقلقك؟"

قال ستيلجار: "لا أعتقد أن أهل المدن يمكن الثقة بهم ثقة تامة"

قال بولس: "أنا نفسي كنت من سكان المدن فيما مضى"

تصلب ستيلجار واسود وجهه لاحتقان الدم فيه وقال: "يعلم المؤدب أني لم أقصد إطلاقـ..."

"إني أفهم ما قصدته يا ستيل. لكن الاختبار الحقيقي لمعدن الرجل ليس ما تظن أنه سيقوم به، بل ما يقوم به فعلا. إن أهل المدينة هؤلاء فيهم دم فريمني. كل ما في الأمر هو أنهم لم يتعلموا بعد كيفية التحرر من قيودهم. ونحن سنعلمهم"

أومأ ستيلجار وتحدث في نبرة آسفة: "إنها عادات قد تأصلت على مر العمر يا مؤدب. فعلى السهل الجنائزي تعلمنا أن نبغض سكان الحضر"

نظر بولس لجيرني فرآه يدقق في ستيلجار: "أخبرنا يا جيرني، لماذا أرغم الساردوكار أهل المدينة على إخلاء منازلهم؟"

"إنها حيلة قديمة أيها الدوق. أرادوا إرهاقنا باللاجئين"

قال بولس: "لقد مضى وقت طويل منذ كانت حروب العصابات مؤثرة، لدرجة أن الأكابر قد نسوا أساليبها الحربية. لقد فعل الساردوكار شيئا عاد علينا بالنفع. أسروا عدة نساء من أهل المدينة للعبث بهن، وزينوا راياتهم الحربية برؤوس الرجال الذين اعترضوا على هذا. وتسببوا في إنماء حالة من الكراهية المشتعلة في ناس ما كانوا سينظرون في البداية لهذه المعركة القادمة إلا كمجرد فوضى كبيرة عابرة.. وكمجرد تبادل محتمل يتغير فيه السيد بسيد جديد. إن الساردوكار قد جندوا لنا الناس يا ستيلجار"

قال ستيلجار: "تظهر الحماسة فعلا على سكان المدينة"

قال بولس: "إن الكراهية داخلهم طازجة وواضحة. ولهذا السبب سنستخدمهم كقوات صدامية أمامية"

قال جيرني: "عدد قتلاهم سيكون رهيبا"

أومأ ستيلجار موافقا.

قال بولس: "لقد أخبرناهم بالنسب المتوقعة. ويعلمون أن كل ساردوكار سيقتلونه سيكونون قد وفروا علينا التعامل معه. فحقيقة الأمر أيها السادة هي أنهم يملكون هدفا يموتون لأجله. لقد اكتشفوا أنهم شعب. إنهم يستيقظون"

صدرت من المراقب الجالس أمام التليسكوب صيحة تعجب، فانتقل بولس للشق الصخري وقال: "ماذا يحدث هناك؟"

همس المراقب: "اضطراب كبير يا مؤدب، حدث عند تلك الخيمة المعدنية الهائلة. جاءت سيارة صحراوية من عند الحافة الغربية للجدار، وكانت مسرعة وكأنها صقر ينقض على عش لطيور الحجل التي تعيش في الصخور"

قال بولس: "لقد وصل الأسرى الساردوكار"
قال المراقب: "قاموا الآن بإحاطة المهبط كله بدرع طاقة. بإمكاني أن أرى تراقصه في الهواء حتى نهاية ساحة التخزين التي يحتفظون فيها بالبهار"
قال جيرني: "قد علموا الآن شخصية عدوهم الذي يقاتلونه. دع وحوش الهاركونن يرتجفون ويأكلهم الرعب عندما يعلمون أن أحد آل أتريديز لا زال حيا!"
وجه بولس كلامه للفدائي الجالس أمام التليسكوب: "راقب سارية العلم الموجودة فوق سفينة الإمبراطور. إن رفعوا رايتي عليها فـ..."
قال جيرني: "لن يحدث"
رأى بولس العبوس الحائر على وجه ستيلجار، فقال: "إن اعترف الإمبراطور بحقي في الأرض فسيشير لهذا الأمر بأن يستعيد راية أتريديز على أراكس. وعندها سنستخدم الخطة الثانية، ونهجم على الهاركونن فقط، إذ سيتنحى الساردوكار جانبا ويتركونا نحن الاثنين نحل المسألة فيما بيننا"
قال ستيلجار: "ليست عندي خبرة في الأمور الأجنبية هذه. سمعت عنها، لكن من غير المحتمل أن يـ..."
قال جيرني: "لستَ بحاجة للخبرة كي تعرف ماذا سيفعلون"
قال المراقب: "إنهم يرفعون علما جديدا على السفينة العالية. العلم أصفر.. وفي منتصفه دائرة سوداء وحمراء"
قال بولس: "إنه تصرف ماكر بحق. راية شركة شوم"
قال الجندي الفدائي: "نفس الراية التي على السفن الأخرى"
قال ستيلجار: "لا أفهم"
قال جيرني: "تصرف ماكر فعلا. فلو رفَع راية أتريديز كان سيضطر للالتزام بما يعنيه هذا، إذ يوجد الكثير من المشاهدين. وكان بإمكانه أن يرفع على ساريته راية هاركونن.. مما كان سيعتبر إعلانا صريحا. لكن لا، قام برفع راية شوم. وبهذا يخبر الناس فوقنا..."، وأشار جيرني للفضاء: "... أين تقع الأرباح. ما يقوله هو أنه لا يهتم إن كان الموجود هنا أتريدي أم لا"
قال بولس: "كم بقي على موعد ضرب العاصفة للجدار الجبلي؟"
استدار ستيلجار مبتعدا واستشار أحد الفدائيين الموجودين بالتجويف الصخري، ثم لم يلبث أن عاد وقال: "قريبا جدا يا مؤدب. أقرب مما كنا نتوقع. إنها أم العواصف كلها.. بل ربما تزيد في قوتها على ما كنت تريده"
قال بولس: "إنها عاصفتي"، ورأى الانبهار الصامت على وجوه الفدائيين الذين سمعوه: "حتى لو هزت العالم بأكمله فلن تزيد في قوتها عما أريده. هل ستضرب الجدار الجبلي بشكل مباشر؟"
قال ستيلجار: "مع انحراف طفيف لن يتسبب لنا في مشكلة"
اقترب حامل رسالة، قادما من عند الفتحة المؤدية للحوض وقال: "دوريات الساردوكار والهاركونن تتراجع يا مؤدب"
قال ستيلجار: "يتوقعون أن تسكب العاصفة في حوض الوادي الكثير من الرمال بحيث تتعذر الرؤية. ويظنون أننا سنتعرض لنفس المشكلة"
قال بولس: "قل لقناصتنا بأن يوجهوا أسلحتهم لأهدافها قبل أن تصبح الرؤية صعبة. ينبغي أن يصيبوا مقدمة كل واحدة من هذه السفن فور تدمير العاصفة لدروع الطاقة"
خطا إلى جدار التجويف وأزال طية من الغطاء التمويهي ورفع بصره للسماء. على خلفية السماء الداكنة أمكنه رؤية هبات الرمال الملتوية كذيول الأحصنة. أعاد بولس الغطاء مكانه وقال: "ابدأ في إرسال رجالنا للأسفل يا ستيل"

قال ستيلجار: "ألن تذهب معنا؟"
قال بولس: "سأنتظر هنا قليلا مع الفدائيين"
هز ستيلجار كتفيه لجيرني في حركة فاهمة، واتجه للحفرة المفتوحة في الحائط الصخري، وغاب في ظلمتها.
قال بولس: "المفجر الذي سيفجر جانبا من الجدار الجبلي.. سأتركه في يدك يا جيرني. ستفعلها؟"
"سأفعلها"
أشار بولس لأحد ضباط الفدائيين وقال: "عثيم، ابدأ في تحريك دوريات المراقبة بعيدا عن منطقة الانفجار. عليهم أن يخرجوا من هناك قبل أن تهب العاصفة"
انحنى الرجل وتبع ستيلجار.
مال جيرني على الشق الصخري وكلم الرجل الجالس أمام التليسكوب: "ابق انتباهك على الجدار الجنوبي. فسيظل بلا أية دفاعات إلى أن نقوم بتفجيره"
قال بولس آمرا: "أرسل إشارة التوقيت مع أحد السيلاجو"
قال الرجل الجالس أمام التليسكوب: "بعض العربات تتجه إلى الجدار الجنوبي. وبعضهم يستخدم أسلحة قاذفة، كنوع من الاختبار. رجالنا يستخدمون دروع جسدية كما أمرتهم. العربات توقفت"
في الصمت المفاجئ سمع بولس دوامات الريح الشيطانية تدور فوق رأسه.. مقدمة العاصفة. بدأت الرمال تنجرف إلى تجويفهم الصخري من خلال فتحات في الغطاء. أصابت الغطاء هبة ريح فنزعته بعيدا.
لوح بولس لفدائييه بأن يحتموا، ثم اتجه للرجال الجالسين أمام أجهزة الاتصالات قرب فتحة النفق. ظل جيرني جواره.
ربض بولس مقتربا من رجال الإشارات اللاسلكية.
قال أحدهم: "إنها عاصفة العواصف كلها يا مؤدب"
رفع بولس بصره للسماء المظلمة وقال: "جيرني، وجه أمرا لمراقبي الجدار الجنوبي بالتراجع"
اضطر لتكرار الأمر، صائحا كي يُسمع صوته فوق ضوضاء العاصفة المتزايدة. استدار جيرني كي ينفذ الأمر.
ربط بولس مرشح وجهه وأحكم وضع قلنسوة بذلة التقطير. عاد جيرني، فلمس بولس كتفه وأشار للمفجر الموضوع في فتحة النفق خلف رجال الاتصالات. دخل جيرني النفق ثم توقف وإحدى يديه على زناد المفجر، وبصره على بولس.
قال رجل الإشارات اللاسلكية المجاور لبولس: "لا تصلنا أية رسائل. الشوشرة الاستاتيكية زائدة"
أومأ بولس، وأبقى عينه على مؤشر التوقيت القياسي الظاهر أمام رجل الاتصالات. بعد برهة نظر بولس لجيرني ورفع يده وعاد بانتباهه للمؤشر. زحف العداد الزمني دائرا دورته الأخيرة.
صرخ بولس: "الآن!"، وأنزل يده.
ضغط جيرني زناد المفجر.
بدا أن ثانية كاملة قد انقضت قبل أن يشعروا بالأرض من تحتهم تموج وتهتز. أضيف لزئير العاصفة صوت هادر.
ظهر الفدائي المراقب للتلسيكوب جوار بولس، والتليسكوب ممسوك تحت ذراعه، وصاح: "تم اختراق الجدار الجبلي يا مؤدب!.. العاصفة تهاجمهم، وقناصتنا بدؤوا القذف بالفعل"
فكر بولس في العاصفة وهي تندفع عبر الحوض، وما بهذا الحائط الرملي من شحنة استاتيكية دمرت كل حواجز دروع الطاقة في معسكر العدو.
صاح أحدهم: "العاصفة! علينا أن نحتمي يا مؤدب!"

عاد لبولس تعقله، وشعر بإبر الرمل تلدغ وجنتيه المكشوفتين.
فكر: أصبحنا الآن مضطرين لإتمام الأمر للنهاية.
وضع ذراعه حول كتف رجل الاتصالات وقال: "اترك الأجهزة! يوجد المزيد في النفق"
أحس أنه يتم سحبه، وأن الفدائيين يتزاحمون حوله ليحموه. انحشروا في فتحة النفق، شاعرين بما فيه من هدوء نسبي، ثم مالوا عند أحد الأركان ودخلوا حجرة صغيرة بها كرات إنارة فوق الرؤوس وفي نهايتها فتحة نفق آخر. وكان رجل اتصالات آخر يجلس أمام أجهزته.
قال الرجل: "الكثير من الاستاتيكية"
هبت دوامة رملية فملأت الهواء من حولهم.
صاح بولس: "اغلقوا هذا النفق!"
أظهر ضغط السكون المفاجئ أن أمره قد تم تنفيذه.
قال بولس: "ألا زال الطريق الهابط المؤدي للحوض مفتوحا؟"
ذهب أحد الفدائيين ليتقصى ثم عاد وقال: "تسبب الانفجار في سقوط بعض الأحجار، لكن المهندسين يقولون أنه لا زال سالكا. يقومون بتنظيفه باستخدام أشعة ليزر"
صاح بولس: "أخبرهم أن يستخدموا أيديهم! توجد بالأسفل دروع نشطة!"
قال الرجل: "إنهم يتعاملون بحرص يا مؤدب"، لكنه استدار كي ينفذ الأمر.
مر بهم رجال الاتصالات الذين كانوا بالخارج، حاملين أجهزتهم.
قال بولس: "لقد أخبرت هؤلاء الرجال أن يتركوا أجهزتهم!"
قال أحد فدائييه موبخا: "الفريمن لا يحبون التخلي عن أجهزتهم يا مؤدب"
قال بولس: "الرجال الآن أهم من الأجهزة. قريبا إما سيكون عندنا من الأجهزة ما يفوق حاجتنا أو لن نحتاج لأي أجهزة أصلا"
جاء جيرني لجواره وقال: "سمعتهم يقولون أن الطريق للأسفل مفتوح. نحن هنا قريبون من السطح أكثر من اللازم يا سيدي، إن حاول الهاركونن رد الضربة بالمثل"
قال بولس: "إنهم في وضع لا يسمح لهم بالانتقام. فمنذ لحظات اكتشفوا أنهم بلا دروع وأنهم لا يستطيعون مغادرة أراكس على متن السفن"
قال جيرني: "على أية حال فإن مقر القيادة الجديد تم إعداده يا سيدي"
قال بولس: "ليسوا بحاجة إلي وجودي في مقر القيادة بعد. فالخطة ستستمر بدوني. علينا أن ننتظر لـ..."
قال رجل الاتصالات الجالس أمام الأجهزة: "إني أتلقى رسالة يا مؤدب"
هز الرجل رأسه وضغط سماعة الهاتف على أذنه: "تشوش استاتيكي كبيرا"، وبدأ يخربش بالقلم على لوح موضوع أمامه. أخذ يهز رأسه، ثم ينتظر، ثم يستأنف الكتابة.. ثم ينتظر.
عبر بولس إلى جانب رجل الاتصالات. تراجع الفدائيون مفسحين له المكان. هبط ببصره لما كتبه الرجل، فقرأ:
"غارة... على سياتش طبر... أسرى... عاليا (فراغ) عائلات (فراغ) موتى... إنهم (فراغ) ابن المؤدب..."
ومن جديد هز رجل الاتصالات رأسه.
رفع بولس بصره فرأى جيرني يحدق فيه.

قال جيرني: "الرسالة مشوهة بسبب الاستاتيكية. لا يمكن أن نتأكد من..."

قال بولس: "إن ابني قد مات"، وعلم وهو ينطقها أنها حقيقة. "ابني مات.. وعاليا أسيرة.. رهينة"

شعر بفراغ داخله، وكأنه قشرة بلا عواطف. كل ما يلمسه يصيبه الموت والأسى. إنه كمرض يمكن أن ينتشر في الكون كله. كان يشعر داخله بحكمة الرجل المسن.. تراكم خبرات عدد لا يحصى من الحيوات المحتملة. وداخله بدا أن شيئا ما يضحك ويفرك يديه في شغف.

وفكر بولس: ما أقل ما يعرفه الكون عن طبيعة القسوة الحقيقية!

الفصل 47

"ووقف المؤدب أمامهم وقال: مع أننا نعتبر الأسير ميتا، إلا أنها لا زالت حية. لأن بذرتها هي بذرتي، وصوتها هو صوتي. وبإمكانها أن ترى حتى أبعد مناطق الاحتمالات المستقبلية.
أجل، يمتد بصرها حتى وادي الغيب المجهول، بسببي أنا"

من كتاب "يقظة أراكس"، تأليف الأميرة إيرولان
=====

وقف البارون فلاديمير هاركونن - خافضا بصره - في قاعة المقابلات الإمبراطورية.. ذلك السلاملك Selamlik بيضاوي الشكل والموجود داخل خيمة معسكر الإمبراطور الباديشي.
كان البارون قد دقق بنظرات مختلسة في القاعة ذات الجدران المعدنية، وفي نزلائها.. الضباط النواكير Noukkers، والغلمان الخدم، والحرس، وجنود البيت الساردوكاري المصطفين على امتداد الجدران - في وضع الاستراحة العسكري - تحت ما استولوا عليه من رايات حربية دامية وممزقة، والتي كانت الزينة الوحيدة الموجودة بالقاعة.
تصاعدت أصوات من يمين القاعة، فتردد صداها صادرا من ممر مرتفع: "أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق لجلالته!"
خرج الإمبراطور الباديشي شدام الرابع من الممر إلى قاعة المقابلات الرسمية، تتبعه حاشيته. وقف منتظرا إحضار عرشه، متجاهلا البارون، وبدا أنه يتجاهل كل من بالقاعة أيضا. أما البارون فوجد أنه عاجز عن تجاهل شخص الإمبراطور، فتأمله باحثا عن علامة.. عن أي دليل يخبره بغرض هذه المقابلة.
وقف الإمبراطور مشدود القامة، منتظرا.. بجسده النحيل الأنيق، وبذلة ساردوكار رمادية مزينة بالفضي والذهبي. وجهه الرفيع وعيناه الباردتان ذكّرا البارون بالدوق ليتو المتوفى منذ زمن طويل. كانت بهما نفس نظرة الطائر الجارح، إلا أن شعر الإمبراطور كان أحمر، لا أسود، وأغلب هذا الشعر كان مخفيا تحت خوذة بورسيج سوداء وعلى قمتها الشعار الإمبراطوري الذهبي.
جلب الخدم العرش. كان مقعدا ضخما منحوتا بالكامل من قطعة واحدة من كوارتز هاجال.. أخضر مزرق، نصف شفاف، تتخلله خطوط صفراء نارية. وضعوه على المنصة، فارتقاه الإمبراطور وجلس.
انفصلت عن حاشية الإمبراطور امرأة عجوز ترتدي عباءة سوداء قلنسوتها مسحوبة لأسفل لتغطي جبهتها، ثم وقفت خلف العرش ويدها الهزيلة مستندة على الظهر الكوارتز. حدق وجهها من تحت القلنسوة فبدا كصورة هزلية لإحدى الساحرات.. الوجنتان والعينان غائرتان، الأنف طويل، البشرة مبرقشة بالبقع وعروقها بارزة.
هدأ البارون ارتجافه الناتج عن رؤيته لها. فحضور السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم - كاهنة الإمبراطور الكاشفة للأكاذيب - قد كشف أهمية هذا الاستدعاء. أشاح البارون بوجهه عنها وتأمل الحاشية باحثا عن مفتاح يوضح الأمر. كان هناك اثنان من وكلاء النقابة، أحدهما طويل وسمين والآخر قصير وسمين، وعيونهما رمادية غير معبرة. ووسط الأتباع وقفت إحدى بنات الإمبراطور، الأميرة إيرولان.. امرأة يقال أنه يتم تدريبها على أعمق أساليب البني-جيزيرت، وأنه مقدر لها أن تصبح سيدة موقرة. كانت طويلة وشقراء ولها وجه ذو جمال مصقول، وعينان خضراوان تنظران عبره دون أن تلقي له بالا.
"عزيزي البارون"

تنازل الإمبراطور أخيرا ولاحظه. كان الصوت جهوريا ومضبوطا بإتقان، وأفلح في نبذه وتحيته في نفس الوقت.
انحنى البارون انحناءة منخفضة، وتقدم للموضع المفروض، على بعد عشر خطوات من المنصة، وقال: "لقد جئت بناء على استدعائك يا سيدي"
ضحكت الساحرة العجوز قائلة: "استدعاء!"
وبخها الإمبراطور: "ليس هكذا أيتها السيدة الموقرة"، لكنه ابتسم على ما أصاب البارون من ارتباك، وقال: "أولا، عليك أن تخبرني إلى أين أرسلت تابعك ظوفر حواط"
أدار البارون بصره بسرعة يمنة ويسرة، لاعنا نفسه على مجيئه إلى هنا دون حرسه الخاص، حتى إن كانوا بلا كبير فائدة في مواجهة الساردوكار، لكن ربما...
قال الإمبراطور: "حسنا؟"
"لقد رحل منذ 5 أيام، فخامتك"، وألقى البارون نظرة على وكلاء النقابة ثم عاد ببصره للإمبراطور: "كان من المفترض أن يهبط في قاعدة تابعة للمهربين وأن يحاول التسلل لمعسكر المتطرف الفريمني المسمى المؤدب"
قال الإمبراطور: "أمر لا يُصدق!"
نقرت الساحرة كتف الإمبراطور بيدها المخلبية، ومالت للأمام هامسة في أذنه.
أومأ الإمبراطور ثم قال: "خمسة أيام يا بارون. أخبرني، لم لستَ قلقا لغيابه؟"
"لكني قلق فعلا يا سيدي!"
حدق فيه الإمبراطور طويلا، منتظرا. صدرت من السيدة الموقرة ضحكة عالية.
قال البارون: "ما أعنيه يا جلالة الإمبراطور هو أن حواط سيموت خلال عدة ساعات على أية حال"، ثم شرح موضوع السم الكامن والحاجة للترياق.
قال الإمبراطور: "يا لمهارتك يا بارون!.. وأين ابنا أخيك، رابان والشاب فايد-راوثا؟"
"إن العاصفة تقترب، جلالتك. أرسلتهما ليفحصا محيطنا الخارجي، احترازا من أن يقوم الفريمن بالهجوم متخفين تحت ستر الرمال"
قال الإمبراطور: "المحيط"، وخرجت الكلمة من فمه وكأنها تجعده. "لن يكون للعاصفة تأثير كبير داخل هذا الحوض، وحثالة الفريمن هؤلاء لن يقدموا على الهجوم بينما أنا هنا ومعي 5 فيالق من الساردوكار"
قال البارون: "بالتأكيد لن يفعلوا يا جلالة الإمبراطور، لكن لا يلام المرء على الحرص الحذِر"
قال الإمبراطور: "آآه.. اللوم. إذن علي ألا أذكر ما يستهلكه عبث أراكس هذا من وقتي؟ ولا ما ننفقه هنا في جحر الفأر هذا من أرباح شركة شوم؟ ولا حفلات البلاط وشؤون الحكم التي اضطررت لتأجيلها - بل ولإلغائها - بسبب هذا الموضوع الغبي؟"
خفض البارون بصره، وقد أخافه الغضب الإمبراطوري. وأخافته أيضا حساسية موقفه هنا، وحيدا، معتمدا على الميثاق وقوانين حماية النبلاء.
سأل البارون نفسه: هل ينوي قتلي؟.. لا يقدر! خصوصا وباقي كبار النبلاء منتظرين فوقنا، يتشوقون لأي مبرر للتربح من وراء هذه الفوضى الحادثة على أراكس.
قال الإمبراطور: "هل أسرت رهائن؟"
قال البارون: "إنه أمر عديم النفع يا سيدي. فهؤلاء الفريمن المجانين يقيمون جنازة لكل أسير ويتصرفون وكأنه قد مات

بالفعل"
قال الإمبراطور: "ثم؟"
تريث البارون، ناظرا يمينا ويسارا لجدران السلاملك المعدنية، مفكرا فيما يحيط به من خيمة هائلة مصنوعة من معدن الطي. إنها ترمز لثراء غير محدود، حتى أن البارون ذاته كان منبهرا.
فكر: جلب معه الخدم، وتابعي البلاط عديمي النفع، ونسائه ومرافقيهن من مصففي شعر ومصممين، وكل شيء.. كل كائنات البلاط الطفيلية الهامشية. كلهم هنا.. يتملقون، ويدبرون الخطط في خبث.. يتمرغون عابثين في التراب المحلي مع الإمبراطور.. حضروا ليشاهدوه يضع حدا لهذه المسألة، وكي يكتبوا القصائد في وصف المعارك وتمجيد الجرحى.
قال الإمبراطور: "ربما لم تسعى للنوع الصحيح من الرهائن"
فكر البارون: إنه يعلم شيئا.
تجمد الخوف في معدته كالحجر، حتى كاد يشمئز من فكرة الأكل. لكن على الرغم من ذلك كان الإحساس يشبه الإحساس بالجوع، فاتزن عدة مرات وربط جأشه وهو يقف مستعينا بمضادات جاذبيته، وهم بأن يأمر بجلب الطعام له. لكن لا أحد هنا ممن ينفذون أوامره.
قال الإمبراطور: "أعندك أية فكرة عمن يكون هذا المؤدب؟"
قال البارون: "أحد الـ أمة Umma بالتأكيد. مجاذيب الصوفية. متطرف فريمي.. مغامر ديني. يظهرون بانتظام في المناطق الطرفية البعيدة عن الحضارة. جلالتك تعلم هذا"
ألقى الإمبراطور نظرة على كاشفة الأكاذيب ثم عاد يلتفت للبارون عابسا: "ولا تعلم المزيد عن هذا المؤدب؟"
قال البارون: "إنه مجنون. لكن كل الفريمن مجانين بدرجةٍ ما"
"مجانين؟"
"إن قومه يصرخون باسمه وهم يقفزون للمعارك. النساء تلقي بأطفالها علينا ويدفعن بأنفسهن على سكاكيننا كي يفتحوا ثغرة أمام رجالهم للهجوم منها. إنهم مفتقدون لأي.. أي.. لياقة!"
غمغم الإمبراطور: "شيء فظيع فعلا"، ولم تفت نبرته الساخرة على البارون.
"أخبرني يا عزيزي البارون، هل تحققت من حال مناطق أراكس القطبية الجنوبية؟"
حدق البارون في الإمبراطور وقد صدمه تغيير الموضوع: "لكن.. إحم، كما تعلم جلالتك.. المنطقة كلها غير صالحة للسكنى.. عُرضة للرياح والديدان. بل ولا يوجد في تلك الأقاليم أي بهار"
"ألم تصلك أية تقارير من سفن نقل البهار أنه توجد هناك بقع نباتية خضراء"
"لطالما سمعنا مثل هذه التقارير. وفحصنا صحة بعضها.. منذ زمن طويل. شوهدت بضعة نباتات. فقدنا الكثير من الثوبترات. أمر مكلف جدا يا سيدي. إنه مكان لا يبقى الرجال فيه أحياءً لمدة طويلة"
قال الإمبراطور: "هكذا"
وفرقع أصابعه فانفتح على يساره باب خلف العرش. دخل من الباب اثنان من الساردوكار يسوقان أمامهما طفلة بدا أنها في الرابعة من عمرها. كانت ترتدي عباءة سوداء، وقلنسوتها ملقاة للخلف كاشفة - بقرب حلقها - أجزاء بذلة تقطير متدلية.
كان لعينيها زرقة فريمنية، وتحدقان من وجه ناعم مستدير. لم يظهر عليها أي خوف على الإطلاق، وكان بنظرتها شيء جعل البارون يشعر بالقلق دون أن يعلم السبب. حتى الكاهنة البني-جيزيرتية العجوز تراجعت عندما مرت الطفلة بقربها، وأشارت في اتجاهها بعلامة استعاذة. بدا واضحا أن الساحرة العجوز مهزوزة لوجود الطفلة.

تنحنح الإمبراطور وشرع في الكلام لكن الطفلة تكلمت أولا.. صوت رفيع تظهر فيه آثار لثغة ناتجة عن رخاوة سقف الفم، لكنه واضح على الرغم من ذلك.

قالت: "ها هو إذن"، وتقدمت من حافة المنصة: "لا يبدو ذا قيمة، أليس كذلك؟.. مجرد رجل سمين عجوز مذعور، أضعف من أن يقدر على حمل جسده دون الاستعانة بمضادات الجاذبية"

كان تصريحا غير متوقع إطلاقا صدوره من فم طفلة، لدرجة أن البارون أخذ يحدق فيها عاجزا عن الكلام على الرغم من غضبه. وسأل نفسه: هل هي قزمة؟

قال الإمبراطور: "عزيزي البارون.. تعرف على أخت المؤدب"

"أخت الـ...". نقل البارون انتباهه للإمبراطور: "لا أفهم"

قال الإمبراطور: "أنا أيضا أتصرف بحرص حذِر. وصلتني تقارير أن مناطقك القطبية الجنوبية غير المأهولة تظهر عليها آثار نشاطات بشرية"

قال البارون محتجا: "لكن هذا مستحيل! فالديدان.. والرمال متاحة أمامـ..."

قال الإمبراطور: "يبدو أن هؤلاء الناس قادرون على تجنب الديدان"

جلست الطفلة على المنصة جوار العرش، ودلت قدميها من على الحافة، وأخذت تأرجحهما. كانت تتأمل محيطها في تعبير تشع منه الثقة. حدق البارون في القدمين المتأرجحتين، وفي طريقة تحريكهما للثوب الأسود، وفي الخف الذي يبدو تحت القماش مع كل حركة.

قال الإمبراطور: "لسوء الحظ لم أرسل سوى 5 حاملات جنود وبهم قوة هجومية خفيفة، بغرض أسر بعض الأفراد لاستجوابهم. عدنا بصعوبة بالغة ومعنا 3 سجناء وحاملة واحدة. افهم هذا يا بارون.. ساردوكاري كادوا يفنون تماما على يد قوة مكونة في غالبها من نساء وأطفال وشيوخ. هذه الطفلة كانت تقود إحدى المجموعات المهاجمة"

قال البارون: "أرأيت، جلالتك؟! أرأيت طبيعتهم؟!"

قالت الطفلة: "لقد سمحتُ - عن قصد - بأن يتم أسري. لم أرغب في أن أقف أمام أخي واضطر لإخباره أن ابنه قد قُتل"

قال الإمبراطور: "لم ينج من رجالنا سوى حفنة لا غير. نفدوا بجلدهم! أفهمت هذا؟"

قالت الطفلة: "كنا سنتمكن من هؤلاء أيضا، لولا شعلات اللهب"

قال الإمبراطور: "جنودي الساردوكار استخدموا الدافعات النفاثة بحاملاتهم الطائرة كقاذفات لهب. حركة يائسة، وكانت الشيء الوحيد الذي سمح لهم بالهرب ومعهم هؤلاء الأسرى الثلاثة. استوعب هذا الكلام يا باروني العزيز: الساردوكار تم إجبارهم على الانسحاب في ارتباك أمام نساء وأطفال وشيوخ!"

قال البارون منزعجا: "يجب أن نهجم بقوات كبيرة. يجب أن ندمر كل أثر بقي من هـ..."

زأر الإمبراطور صائحا: "اخرس!"

ودفع نفسه للأمام على عرشه: "توقف عن الإساءة لذكائي أكثر من هذا. أتجرؤ على الوقوف مكانك متظاهرا بالبراءة الحمقاء و..."

قالت كاشفة الأكاذيب العجوز: "جلالتك"

لوح لها بأن تصمت: "تقول أنك لا تعلم بأمر النشاطات التي عثرنا عليها، ولا القدرات القتالية التي يتمتع بها هؤلاء الناس!"،

قام الإمبراطور نصف قيام من على عرشه وأكمل: "ماذا تظنني بالضبط يا بارون؟ أحمقا؟"

تراجع البارون خطوتين، مفكرا: إنه رابان. هو من فعل هذا بي. رابان قـ...

قال الإمبراطور بصوت خفيض وهو يعود ليغوص في عرشه: "وهذا النزاع المصطنع بينك وبين الدوق ليتو.. يا لبراعتك في حبك الخدعة!"

قال البارون متوسلا: "جلالتك، ما الذي تـ..."

"اصمت!"

وضعت البني-جيزيرت العجوز يدها على كتف الإمبراطور، ومالت مقتربة منه لتهمس في أذنه.

توقفت الطفلة - الجالسة على المنصة - عن الرفس بقدميها، وقالت: "أخِفه أكثر يا شدام. ليس من المفترض أن أستمتع بهذا، لكني أجد بهجتي للأمر يستحيل كبحها"

قال الإمبراطور: "اصمتي أيتها الطفلة"، ثم مال للأمام ووضع يدا على رأسها ثم حدق في البارون: "هل ممكن هذا فعلا يا بارون؟ أيمكن أنك فعلا بالسذاجة التي تقترحها كاهنتي؟ ألا تتعرف على هذه الطفلة، ابنة حليفك، الدوق ليتو؟"

قالت الطفلة: "إن أبي لم يكن حليفا له أبدا. أبي ميت، وهذا الوحش الهاركوني لم يشاهدني من قبل"

لم يستطع البارون سوى أن يحدق مشدوها، وعندما استطاع الكلام من جديد لم يزد على أن قال بصوت مبحوح: "من؟"

قالت الطفلة: "أنا عاليا، ابنة الدوق ليتو والليدي جيسيكا، وأخت الدوق بولس-مؤدب"

دفعت نفسها من على المنصة، وهبطت لأرضية قاعة المقابلات. "لقد تعهد أخي بأن يضع رأسك فوق سارية رايته الحربية، وأظنه سيفعل"

قال الإمبراطور: "اسكتي أيتها الطفلة"، وغاص بظهره في عرشه ويده على ذقنه، متأملا البارون.

قالت عاليا: "إني لا أخضع لأوامر الإمبراطور"، واستدارت ورفعت بصرها للسيدة الموقرة العجوز وقالت: "هي تعلم هذا"

رمق الإمبراطور كاهنته وقال: "ماذا تقصد؟"

قالت العجوز: "هذه الطفلة رجس! تستحق أمها عقابا يفوق أقسى عقاب في التاريخ. الموت! لا يجب أن يتأخر إنزاله بهذه الطفلة ولا بمن أنجبتها!"

ثم أشارت العجوز بإصبعها لعاليا وقالت: "اخرجي من رأسي!"

همس الإمبراطور: "ت-ب؟"، وأسرع عائدا بانتباهه لعاليا: "يا للأم العظمى!"

قالت العجوز: "إنك لا تفهم الأمر يا جلالة الإمبراطور. ليس تخاطرا تليباثيا. إنها داخل عقلي. إنها كمن سبقني من النساء.. من منحوني ذكرياتهن. إنها تقف في عقلي! يستحيل أن تكون بذلك المكان، لكنها فعلا موجودة!"

قال الإمبراطور: "أي أخريات؟ ما هذا الكلام الفارغ؟"

شدت العجوز قامتها وخفضت يدها: "لقد تفوهتُ بأكثر مما يجب.. لكن تظل الحقيقة هي أن هذه الطفلة - والتي ليست طفلة في الواقع - يجب تدميرها. منذ زمن قديم تم تحذيرنا من مثل هذه المخلوقة، وتعلمنا طريقة منع ولادة كهذه، لكن إحدى أخواتنا خانتنا"

قالت عاليا: "إنك تثرثرين أيتها العجوز.. لا تعلمين كيف حدث الأمر لكنك مستمرة في الثرثرة كأحمق بليد العقل"

أغلقت عاليا عينيها وأخذت نفسا عميقا وحبسته.

أنّت السيدة الموقرة العجوز وترنحت.

فتحت عاليا عينيها وقالت: "هكذا كان الأمر.. حادثة كونية.. وأنت لعبت دورك فيها"

مدت السيدة الموقرة كلتا يديها أمامها، وراحتيها تدفعان الهواء في اتجاه عاليا.

قال الإمبراطور: "ما الذي يحدث هنا؟ أيتها الطفلة، أفعلا بإمكانك إيصال أفكارك لعقول الآخرين؟"

قالت عاليا: "ما هكذا يتم الأمر على الإطلاق. فلا يمكن أن أفكر بذهنك إلا لو كنت مولودة بمثل ذهنك"
تمتمت العجوز: "اقتلها"، وقبضت على ظهر العرش لتسند نفسها: "اقتلها!"
وحدقت العينان الغائرتان في عاليا.
قال الإمبراطور: "صمتا"، ثم دقق في عاليا: "أيتها الطفلة، أبإمكانك التواصل مع أخيك؟"
قالت عاليا: "أخي يعلم أني هنا"
"هل يمكن أن تخبريه أن ثمن الإبقاء على حياتك هو استسلامه؟"
ابتسمت له عاليا في براءة صريحة وقالت: "لن أفعل هذا"
تعثر البارون وهو يتقدم ليقف جوار عاليا، وقال في مناشدة: "جلالتك، لم أكن أعلم أي شـ..."
قال الإمبراطور: "لو قاطعتني مرة أخرى يا بارون فستفقد القدرة على المقاطعة.. للأبد"
أبقى انتباهه مصبوبا على عاليا، متأملا إياها من بين جفنين شبه مطبقين: "لن تفعلي؟ أبإمكانك أن تقرئي في عقلي ماذا سأفعل إن عصيتِ أمري؟"
قالت: "قلت لك بالفعل أني لا أقرأ العقول. لكن لا يحتاج المرء للتليباثي كي يفهم نواياك"
عبس الإمبراطور: "أيتها الطفلة، إن قضيتك ميؤوس منها. فكل ما علي فعله هو أن أحشد قواتي فأدمر هذا الكوكب بحيـ..."
قالت عاليا: "ليس الأمر بهذه البساطة"، ونظرت لرجلي النقابة: "اسألهما"
قال الإمبراطور: "ليس من الحكمة أن تعارضي رغباتي. لا يجب أن تحجبي عني ولو أقل الأشياء"
قالت عاليا: "أخي سيأتي الآن. حتى الإمبراطور نفسه سيرتجف أمام المؤدب، لأن معه قوة الحق والسماء تبتسم مباركة له"
اندفع الإمبراطور ناهضا على قدميه: "لقد طالت هذه المسرحية أكثر من اللازم. سآخذ أخيك وهذا الكوكب وأسحقهما لـ..."
قعقعت القاعة من حولهم واهتزت. انسدل الرمل خلف العرش بشكل مفاجئ، في الموضع الذي كان يربط خيمة المعسكر بسفينة الإمبراطور الفضائية.
الوميض الخاطف والشعور بضغط البشرة المشدودة دل على أن مجال طاقة درعي واسع النطاق قد تم تفعيله.
قالت عاليا: "كما أخبرتك.. أخي قد أتى"
وقف الإمبراطور أمام عرشه، ويده اليمنى مضغوطة على أذنه اليمنى، إذ تخبره سماعة الاستقبال المركبة في هذا الموضع بتقرير عن الوضع. تحرك البارون خطوتين وراء عاليا، ووثب الساردوكار متخذين أماكنهم عند الأبواب.
قال الإمبراطور: "سنتراجع للفضاء ونعيد تنظيم أنفسنا. وأقدم لك اعتذاري يا بارون، فهؤلاء المجانين يهاجمون فعلا متخذين العاصفة كستر لهم. سنريهم إذن الغضب الإمبراطوري بحق"، ثم أشار ناحية عاليا: "ألقوا بجسدها للعاصفة"
وبينما هو يتكلم فرت عاليا متراجعة، متظاهرة بالرعب، وصرخت: "فلتحصل العاصفة على ما تقدر عليه!"
وجرت متراجعة فوقعت بين ذراعي البارون.
صاح البارون: "جلالتك، لقد أمسكتها!.. هل أخلص عليها الآ..... آآآي!"
دفعها على الأرض وقبض بشدة على ذراعه الأيسر.
قالت عاليا: "آسفة يا جدي. لقد قابلتَ جوم-جبار آل أتريديز"
ونهضت على قدميها ورمت من يدها إبرة داكنة.

سقط البارون للخلف، وجحظت عيناه وهو يحدق في جرح أحمر على راحة يده اليسرى.
"أنت.. أنت.."، وتدحرج جانبا في مضادات جاذبيته، فأصبح كتلة لحم متراخية مرفوعة عن الأرض عدة بوصات، ورأسه متدلية وفمه مفغور.
زمجر الإمبراطور قائلا: "إن هؤلاء القوم مجانين. بسرعة! إلى السفن. سنطهر هذا الكوكب من كل..."
لمع شيء على يساره. ارتدت من على الحائط كرة تشبه البرق، وصدرت عنها فرقعة عندما لمست الباب المعدني. انتشرت في السلاملك رائحة عازل محترق.
صاح أحد ضباط الساردوكار: "الدرع! الدرع الخارجي تعطل! إنهم..."
غرقت كلماته وسط زئير معدني إذ ارتجف جدار السفينة خلف الإمبراطور واهتز.
صاح أحد الأشخاص: "لقد دمروا مقدمة سفينتنا بطلقاتهم!"
هاج الغبار في القاعة. وتحت ستاره وثبت عاليا لأعلى وركضت ناحية الباب الخارجي.
استدار الإمبراطور بسرعة وأشار لرجاله ناحية باب طوارئ قد انفتح على مصراعيه في جانب السفينة وراء العرش. أعطى إشارة يد خاطفة لضابط ساردوكار يثب وسط سحابة الغبار، وأمره قائلا: "سندافع عن موقعنا هنا!"
اهتز المعسكر تحت وطأة صدمة أخرى، فانفتحت الأبواب المزدوجة عند طرف القاعة البعيد في فرقعة، سامحة بدخول الرياح المحملة بالرمال وأصوات الصيحات. وسط الضوء ظهر - للحظة قصيرة - شخص صغير في عباءة سوداء.. كانت عاليا المندفعة كالسهم باحثة عن سكين كي تقتل جرحى الهاركونن والساردوكار كما علمها الفريمن.
اندفع جنود الساردوكار وسط سحابة الغبار الخضراء المصفرة، متجهين للفتحة، وأسلحتهم مشهرة، مشكلين نصف دائرة في ذلك الموضع كي يحموا الإمبراطور أثناء تراجعه.
صرخ ضابط ساردوكاري: "أنقذ نفسك يا مولاي! ادخل السفينة!"
لكن الإمبراطور كان يقف الآن وحيدا على منصة عرشه مشيرا للأبواب. كان قد تم تفجير فجوة في خيمة المعسكر عرضها 40 متر، وأصبحت أبواب السلاملك مفتوحة على الرمل المنجرف. خيمت على العالم الخارجي سحابة غبار تهب من على بعد، ملونة وكأنها لوحة. ومن السحابة صدرت فرقعة شحنات برق استاتيكية، وخلال السحابة أمكن رؤية وميض الدروع ومجالات طاقتها تحترق وتنطفئ بسبب شحنات العاصفة.
ماج الوادي بأشخاص يتقاتلون.. ساردوكار.. ورجال مكسوون بالأثواب، يدورون ويقفزون، ويبدو أنهم يهبطون من العاصفة ذاتها.
كان كل هذا إطارا للهدف الذي تشير له يد الإمبراطور.
من بين سحابة الرمال ظهرت كتلة منظمة من الأشكال الوامضة.. منحنيات عظيمة صاعدة، لها سنون كريستالية اتضح بالتدريج أنها أفواه ديدان رمال مفغورة.. حائط ضخم مكون من الديدان.. وعلى كل واحدة فرقة جنود فريمن يمتطونها مهاجمين.
اخترقوا المكان كإسفين يهسهس، وأثوابهم تخفق في الرياح بينما يقطعون ساحة المعركة الحادثة في الوادي. تقدموا متجهين لمعسكر الإمبراطور، بينما وقف الساردوكار مذهولين لأول مرة في تاريخهم، لمرأى هجمة واجهت عقولهم صعوبة في قبولها.
لكن من قفزوا من على ظهور الديدان كانوا رجالا، والنصال اللامعة في هذا الضوء الأصفر المشؤوم كانت أشياء تدرب الساردوكار على مواجهتها، فدفعوا أنفسهم وسط المعركة.
وفي وادي أراكين دار القتال رجلا لرجل، بينما كانت نخبة مختارة من الحرس الساردوكار تدفع الإمبراطور للوراء إلى

داخل السفينة، ثم تحكم غلق الباب عليه، وتقف مستعدة للموت أمام هذا الباب وكأنها جزء من درعه.
تحت صدمة الهدوء النسبي داخل السفينة حدق الإمبراطور في عيون حاشيته المتسعة على آخرها، فرأى كبرى بناته وحمرة الإجهاد ظاهرة على وجنتيها، والكاهنة المسنة واقفة كظل أسود وغطاء رأسها مسحوب على وجهها، ثم عثر أخيرا على الوجوه التي كان يبحث عنها.. رجلي النقابة.
كانا يرتديان اللون الرمادي المميز للنقابة، بلا شارات تزينه، والذي بدا متناسقا مع احتفاظهما بهدوئهما على الرغم مما يثور حولهما من عواطف. لكن أطولهما كان يضع يده على عينه اليسرى. وبينما كان الإمبراطور يراقبه اصطدم شخص بذراع رجل النقابة فتحركت اليد وانكشفت العين. كان الرجل قد فقد إحدى عدستيه اللاصقتين، فبدت العين محدقة بزرقة تامة شديدة، تكاد تجعلها تظهر سوداء.
تقدم أصغر الاثنين من الإمبراطور، مفسحا الطريق بمرفقه، وقال: "لا نعرف كيف سينتهي الأمر"، وأضاف رفيقه الأطول في صوت بارد - بعد أن أعاد وضع يده على عينه -: "لكن هذا المؤدب عاجز أيضا عن معرفة نفس الأمر"
صدمة الإمبراطور للكلمات أفاقته من ذهوله. بجهد واضح كبح ظهور السخرية على لسانه، حيث أن معرفة المحصلة الفورية لما يجري الآن في الوادي لم تكن تتطلب التركيز التوقعي المميز لملاحي النقابة.
وتساءل متعجبا: هل أصبح هذان معتمدين اعتمادا كليا على قدرتهما بحيث فقدا القدرة على استخدام أعينهم وعقولهم؟
قال: "أيتها السيدة الموقرة، علينا أن ندبر خطة"
نزعت القلنسوة عن وجهها وقابلت نظرته بتحديق لا يطرف له جفن. حملت النظرة التي تبادلاها تفاهما كاملا.
لم يبق عندهما سوى سلاح واحد، وكلاهما يعلمه: الخيانة.
قالت السيدة الموقرة: "استدع الكونت فينرنج من حجراته"
أومأ الإمبراطور الباديشي ولوح لأحد مساعديه بأن يطيع هذا الأمر.

الفصل 48

"لقد كان محاربا وصوفيا.. غولا وقديسا.. كالثعلب وكالبريء الساذج.. شهما وقاسيا.. أدنى من الآلهة وأعظم من البشر. لا يمكن قياس دوافع المؤدب بالمعايير التقليدية. في لحظة انتصاره أدرك الفخ المميت الذي كان معدا له، ومع ذلك قبل بتعريض نفسه للخائن.
أيمكن أن نقول أنه فعل هذا بدافع احترامه للعدالة؟ عدالة مَن إذن؟
وتذكر أننا نتحدث الآن عن المؤدب الذي أصدر أوامره بأن تُصنع طبول الحرب من جلود أعدائه.. المؤدب الذي تجاهل - دون أدنى تردد - الأعراف التي يمليها عليه ماضيه بصفته دوق، ولم يزد على أن قال: أنا الكويزاتس هاديراك، هذا في حد ذاته مبرر كاف"

من كتاب "يقظة أراكس"، تأليف الأميرة إيرولان

=====

في ليلة انتصاره انتقل بولس-مؤدب لقصر الحكم بمدينة أراكين، مقر سكنى آل أتريديز عندما وصلوا لأراكس أول مرة.
كان المبنى على حالته التي استعادها رابان، وبدا وكأن المعركة لم تمسه إطلاقا، على الرغم من أن أهل المدينة قد قاموا بنهب بعض الأشياء. بعض أثاث القاعة الرئيسية كان مقلوبا أو محطما.
أسرع بولس الخطى عبر المدخل الرئيسي وخلفه بخطوة سار جيرني هاليك وستيلجار. انتشر أفراد الحرس المرافقون لهما في أرجاء القاعة الكبرى، وقاموا بترتيب المكان وإفساح مساحة نظيفة للمؤدب. بدأت إحدى فرقهم تفتش لتتأكد من عدم وجود أية أشراك مزروعة خفية في المكان.
قال جيرني: "إني أتذكر اليوم الذي جئنا فيه إلى هنا مع أبيك لأول مرة"، وأدار بصره في الأعمدة وفي النوافذ العالية المائلة: "لم يعجبني هذا المكان وقتها، ويقل إعجابي به الآن أكثر. أحد كهوفنا سيكون أأمن"
قال ستيلجار: "تتحدث كفريمني حقيقي"، ولاحظ الابتسامة الباردة التي رسمتها كلماته على شفتي المؤدب. "ألا أعدت النظر في الأمر يا مؤدب؟"
قال بولس: "هذا المكان له رمزية. فرابان كان يعيش هنا. وباحتلالي هذا المكان فإني أثبت نصري كي يستوعبه الجميع. أرسل الرجال في أنحاء المبنى. لا تلمسوا شيئا، احرصوا فقط على التأكد من أنه لم يبق أي رجال تابعين للهاركون ولا أية مصائد مخفية"
قال ستيلجار: "تحت أمرك"، وكانت نبرته - وهو يستدير كي يطيع الأمر - مثقلة بالمعارضة.
أسرع الرجال المسؤولون عن الاتصالات داخلين القاعة بأجهزتهم، وشرعوا في نصبها جوار المدفأة الضخمة. وفي أركان القاعة اتخذ الحرس الفريمني - الذين كانوا تعزيزات تساند من بقي حيا من الفدائيين - أماكنهم. كانوا يتبادلون الغمغمات، وتصدر عنهم الكثير من نظرات الشك. فقد كانوا يعتبرون هذا المكان - لفترة طويلة - مقر العدو، ولم يكن من اليسير عليهم تقبل وجودهم فيه.
قال بولس: "جيرني، ابعث بتشريفة جنود لإحضار أمي وشاني. هل علمت شاني بما حدث لابننا؟"
"تم إرسال رسالة يا سيدي"

"هل يتم إخراج ديدان الصانع خارج منطقة الحوض؟"
"أجل يا سيدي. العاصفة أوشكت على السكون"
قال بولس: "ما مدى التخريب الذي أحدثته العاصفة؟"
قال جيرني: "في طريقها المباشر - على مهبط الطائرات وخلال ساحات تخزين البهار في الخلاء - تدمير هائل. السبب هو المعركة أيضا بالإضافة للعاصفة"
قال بولس: "أتوقع أنها أشياء لن يعجز المال عن إصلاحها"
قال جيرني: "باستثناء الأرواح يا سيدي"، وكانت في صوته نبرة لوم، كما لو أنه يقول: ومتى كان آل أتريديز يقلقون أولا على الأشياء عندما يكون البشر في خطر؟
لكن بولس كان منشغلا تماما بعينه الداخلية والفجوات الظاهرة له في جدار الزمن والتي لا زالت موجودة على امتداد مساره. فخلال كل فجوة كان الجهاد يشتعل في نهاية أروقة المستقبل.
تنهد وعبر القاعة فرأى مقعدا مستندا على الجدار. كان هذا المقعد موجودا في السابق في قاعة الطعام وربما جلس فيه أباه ذاته. لكن في هذه اللحظة لم يكن سوى وسيلة يريح عليها إرهاقه ويخفيه عن الرجال. جلس، ضاما ثوبه حول ساقيه، وفك أربطة بذلة تقطيره عند الرقبة.
قال جيرني: "لا زال الإمبراطور مختبئا داخل حطام سفينته"
قال بولس: "تحفّظ عليه هناك في الوقت الحالي. هل عثروا على آل هاركونن بعد؟"
"لا زالوا يفحصون الموتى"
"وما الجواب الذي وردنا من السفن الموجودة بالأعلى؟"، ورفع ذقنه ناحية السقف.
"لم تردنا منهم إجابة حتى الآن يا سيدي"
أطلقت بولس تنهيدة وعاد بظهره في المقعد، ثم لم يلبث أن قال: "جئني بأحد الساردوكار المأسورين. ينبغي أن نبعث برسالة لإمبراطورنا.. حان وقت التفاوض"
"حسنا يا سيدي"
استدار جيرني ولوح بإشارة من يده لأحد الفدائيين الذي سرعان ما اتخذ موضع حراسة قريب مجاور لبولس.
همس بولس: "جيرني، منذ أن التقينا مجددا لم أسمعك تقول اقتباساتك المناسبة للأحداث"، والتفت فرأى ازدراد جيرني للعابه والتصلب المفاجئ الذي حل بفك الرجل.
قال جيرني: "كما تحب يا سيدي"، وتنحنح ثم قال بصوت خشن: "فانقلب النصر في ذلك اليوم إلى مناحة عند كل الشعب، لأن الشعب سمع في ذلك اليوم من يقول إن الملك مكتئب على ابنه"[25]
أغلق بولس عينيه مجبرا الأسى على الخروج من ذهنه، وجعله ينتظر كما فعل في السابق عند رثاء أبيه. ثم ركز أفكاره على الاكتشافات التي تراكمت هذا اليوم.. المسارات المستقبلية المختلطة، ووجود 'عاليا' الخفي داخل وعيه الإدراكي.
من بين كل استخدامات 'الرؤية الزمنية' كان هذا أغربها على الإطلاق، إذ قد قالت له عاليا: "لقد تقدمتُ وواجهتُ المستقبل كي أضع كلماتي في موضع لن يسمعها فيه أحد سواك. حتى أنت لا تستطيع القيام بهذا الفعل يا أخي. إنها لعبة مثيرة للاهتمام. وبالمناسبة.. لقد قتلتُ جدنا، البارون العجوز الخرف. لم يشعر إلا بأقل قدر من الألم"
ثم صمت. ورأتها حاسته الزمنية تنسحب.

25 سفر صموئيل الثاني 19: 2 (المترجم)

"مؤدب"
فتح بولس عينيه فرأى فوقه منظر لحية ستيلجار السوداء، والعينين الداكنتين تشعان ببريق المعركة.
قال بولس: "عثرتم على جثة البارون العجوز"
حل على ستيلجار صمت مفاجئ، ثم همس: "كيف عرفت؟ لقد عثرنا لتونا على الجثة في كومة المعدن الهائلة تلك والتي بناها الإمبراطور"
تجاهل بولس السؤال إذ رأى جيرني يعود وبصحبته اثنين من الفريمن يسندان ساردوكار أسير.
قال جيرني: "ها هو أحدهم يا سيدي"، وأشار للحرس بأن يوقفا الأسير على بعد خمس خطوات من بولس.
لاحظ بولس أن عيني الساردوكار كانتا تحملان نظرة صدمة مذهولة. ومن أرنبة أنفه إلى جانب فمه كانت تمتد كدمة زرقاء. كان من الفئة الشقراء ذات الملامح المصقولة.. ذلك المظهر الذي بدا أنه مرتبط دائما بالرتب العليا بين الساردوكار، إلا أنه لم تكن توجد أي شارات على سترته الممزقة باستثناء الأزرار الذهبية ذات العلامة الإمبراطورية، وجدائل بنطاله الممزقة.
قال جيرني: "أظن أنه ضابط يا سيدي"
أومأ بولس وقال: "أنا الدوق بولس أتريديز. أتفهم هذا يا رجل؟"
حدق فيه الساردوكار دون أن يتحرك.
قال بولس: "تكلم، وإلا مات إمبراطورك"
طرفت عينا الرجل وابتلع ريقه.
قال بولس ملحا: "من أنا؟"
قال الرجل بصوت مبحوح: "أنت الدوق بولس أتريديز"
بدا لبولس مستسلما أكثر من المتوقع، لكن لا يجب نسيان أن الساردوكار لم يتم تجهيزهم أبدا لشيء مثل ما وقع اليوم. إذ لم يجربوا إلا الانتصارات، وهو شيء - كما أدرك بولس - يمكن أن يصبح ضعفا في حد ذاته. نحى هذه الفكرة جانبا كي يفكر فيها لاحقا كجزء من برنامجه التدريبي.
قال بولس: "عندي رسالة ستحملها للإمبراطور"، وصاغ كلماته حسب النمط العرفي القديم: "إني، بصفتي دوق من أسرة نبيلة، وقريب من أقرباء الإمبراطور، أتعهد ملتزما بضوابط الميثاق. إن تخلى الإمبراطور ورجاله عن أسلحتهم وجاؤوني هنا فإني سأحمي أرواحهم بروحي"
رفع بولس يده اليسرى كي يرى الساردوكار الختم الدوقي وأكمل: "أقسم بهذا"
رطب الرجل شفتيه بلسانه وألقى نظرة على جيرني.
قال بولس: "أجل، لا أحد سوى فرد حقيقي من آل أتريديز بإمكانه أن يحوز ولاء جيرني هاليك"
قال الساردوكار: "سأحمل الرسالة"
قال بولس: "خذه لنقطة عسكرية على الجبهة الأمامية وأرسله"
"حاضر يا سيدي"، وأشار جيرني للحارسين بأن ينفذا الأمر، وتقدمهما.
التفت بولس عائدا لستيلجار.
قال ستيلجار: "وصلت شاني وأمك. شاني طلبت أن تظل بمفردها مع حزنها لبعض الوقت. أما السيدة الموقرة فأرادت البقاء قليلا في الغرفة العجائبية.. ولا أعلم السبب"
قال بولس: "أمي تحن لكوكب قد لا تراه ثانية أبدا. كوكب يهطل فيه الماء من السماء وتنمو النباتات بكثافة بحيث يعجز

المرء عن السير بينها"
همس ستيلجار: "ماء من السماء"
وفي هذه اللحظة رأى بولس أن ستيلجار قد تحول من نائب فريمني إلى مخلوق تابع للسان الغيب.. وعاء للانبهار والطاعة. لقد كان هذا تقليلا قد طرأ على الرجل، وشعر بولس فيه برياح الجهاد الخفية.
وفكر: لقد رأيت صديقا يصبح عابدا.
أدار بولس بصره في القاعة بسبب ما هجم عليه من شعور بالوحدة، ولاحظ كيف أصبح حرسه منضبطين ومتأنقين في حضوره، وأحس بمنافسة خفية مزهوة بينهم، إذ يأمل كل فرد منهم بأن يلحظه المؤدب بنظرة.
فكر: المؤدب الذي تتدفق منه كل البركات.
وكانت أشد الأفكار التي مرت به في حياته مرارة.
إنهم يشعرون بأن علي أن أستولي على العرش. لكن يجهلون أني سأفعل هذا بهدف منع الجهاد من الحدوث.
تنحنح ستيلجار وقال: "رابان أيضا قد مات"
أومأ بولس.
تحرك الحرس الواقفون على اليمين جانبا فجأة، واقفين في وضع انتباه ومفسحين لجيسيكا طريقا. كانت ترتدي عباءتها السوداء، وسارت وكأنها تسرع على رمال، لكن انتبه بولس لما استعاده هذا المنزل فيها من طبع كانت عليه في السابق.. محظية دوق حاكم. كان يشع من شخصيتها بعض حزمها القديم.
توقفت جيسيكا أمام بولس وهبطت له ببصرها وهو جالس. رأت تعبه، وإخفاءه له، لكن لم تشعر نحوه بشفقة. وكأنها قد أصبحت عاجزة عن الشعور نحو ابنها بأي عاطفة.
كانت جيسيكا قد دخلت القاعة الكبرى متسائلة عن سبب عدم مطابقة المكان لما كان عليه شكله في ذاكرتها. ظلت القاعة أجنبية عليها، وكأنها لم تمشِ فيها من قبل، ولا رافقت فيها ليتو الحبيب، ولا واجهت دنكن أيداهو وهو سكران.. ولا، ولا، ولا...
فكرت: ينبغي أن تكون هناك كلمة تضاد 'الأدب' تماما.. الذاكرة التي تقحم نفسها عليك. ينبغي أن تكون هناك كلمة تصف الذكريات التي تحجب نفسها عنك.
قالت: "أين عاليا؟"
قال بولس: "بالخارج، تقوم بما يجب على كل طفل فريمني صالح أن يفعله الآن.. تقتل جرحى الأعداء وتضع علامة على أجسادهم كي تتعرف عليها فرق استعادة الماء"
"بولس!"
قال: "يجب أن تفهمي أنها تفعل هذا بدافع الرحمة. أليس غريبا كيف نسيئ فهم التلازم الخفي بين الرحمة والقسوة؟"
حدقت جيسيكا في ابنها وقد صدمها التغير العميق الذي حدث له. تساءلت: هل موت ابنه هو ما فعل به هذا؟
وقالت: "إن الرجال يرددون حكايات غريبة عنك يا بولس. يقولون أنك تتمتع بكل القدرات المذكورة في الأسطورة.. أنه لا شيء يمكن أن يخفى عليك، وأنك ترى ما لا يستطيع الآخرون رؤيته"
قال: "معقول أن واحدة من البني-جيزيرت تسأل عن الأساطير؟"
قالت معترفة: "لقد كانت لي يد فيما أصبحتَ عليه. لكن لا يجب أن تتوقع مني أن..."
قال بولس: "كيف سيكون حالك لو عشتِ ملايين مملينة من الحيوات؟ هاك شيء من مادة الأسطورة! فكري في كل هذه

الخبرات، والحكمة التي تأتي معها. لكن الحكمة تطفئ الحب بعض الشيء، أليس كذلك؟ وتجعل للكراهية شكلا جديدا. كيف يمكنك التعرف على القسوة إلا بعد أن تغوصي في أعماق كل من القسوة والشفقة؟ عليك أن تخشيني يا أمي. فأنا الكويزاتس هاديراك"

حاولت جيسيكا أن تزدرد لعابها لكن كان حلقها جافا. ثم قالت بعد قليل: "في إحدى المرات السابقة أنكرت أمامي أنك الكويزاتس هاديراك"

هز بولس رأسه: "لا أستطيع إنكار أي شيء بعد الآن"، ورفع نظره لينظر لعينيها: "الإمبراطور ورجاله سيحضرون الآن. سيتم الإعلان عن قدوهم في أي لحظة. قفي بجانبي. أرغب في رؤيتهم بوضوح. فزوجة المستقبل ستكون ضمنهم"

قالت جيسيكا بحدة: "بولس! لا تفعل نفس الغلطة التي ارتكبها أبوك!"

قال بولس: "إنها أميرة. هي مفتاحي للوصول للعرش، ولن يزيد دورها عن هذا أبدا. غلطة؟ أتظنين لأنك قد صنعتيني على ما أنا عليه فسأكون مترفعا عن الشعور بالرغبة في الانتقام؟"

قالت: "حتى من الأبرياء؟"

وفكرت: لا يجب أن يقع في الأخطاء التي ارتكبتها أنا.

قال بولس: "لم يعد هناك أبرياء بعد الآن"

قالت جيسيكا: "قل هذا لشاني"، وأشارت للمر المؤدي لخلفية المسكن.

عندها ولجت شاني القاعة الكبرى، ماشية بين الحرس الفريمني كما لو أنها غير مدركة لوجودهم. كانت قلنسوتها ورأس بذلة تقطيرها ملقاتين للخلف، وكمامة الوجه مزالة للجانب. سارت بانعدام ثقة منكسر وهي تقطع القاعة لتقف جوار جيسيكا.

رأى بولس آثار الدموع على وجنتيها.. إنها تهب الماء للموتى. شعر بالأسى يسري فيه فجأة، لكن وكأنه لا يستطيع الإحساس بهذا الأمر إلا من خلال حضور شاني.

قالت شاني: "لقد مات أيها الحبيب. ابننا مات"

نهض بولس واقفا على قدميه، متحكما بمشاعره بصلابة. مد يده ومس خد شاني، شاعرا برطوبة دموعها.

قال: "لن يوجد له بديل، لكن سيكون لنا أبناء آخرون. أصول هو من يعدك بهذا"

وحركها جانبا برفق، مشيرا لستيلجار.

قال ستيلجار: "أمرك يا مؤدب"

قال بولس: "إنهم قادمون من السفينة.. الإمبراطور ومن معه. سأقف أنا هنا. قم بجمع الأسرى في مكان متسع في منتصف القاعة. سيظلون على مسافة 10 أمتار مني إلا لو أمرتك بشيء مختلف"

"كما تأمر يا مؤدب"

وبينما ستيلجار يستدير كي ينفذ الأمر سمع بولس التمتمات المنبهرة القادمة من الحراس الفريمن: "أرأيت؟ كان يعلم! لم يخبره أحد، لكنه علم!"

كان الآن بالإمكان سماع حاشية الإمبراطور وهي تقترب، وساردوكاره يدندنون بنغمة من نغمات مارشاتهم العسكرية كي يحافظوا على الروح المعنوية. ثم صدرت من عند المدخل أصوات لغط ومر جيرني هاليك بين الحرس، واقترب من ستيلجار كي يتشاور معه، ثم انتقل لجوار بولس وفي عينيه نظرة غريبة.

تساءل بولس: هل سأخسر جيرني أيضا بنفس الطريقة التي خسرت بها ستيلجار؟.. أن أفقد صديقا وأربح مجرد كائن تابع؟

قال جيرني: "ليست معهم أية أسلحة قاذفة. تأكدت من هذا بنفسي"، ورمق أرجاء القاعة فرأى التحضيرات التي أمر بها

بولس.
"فايد-راوثا هاركونن بينهم. هل أعزله عنهم؟"
"دعه"
"ويوجد بعض رجال النقابة أيضا، يطالبون بمعاملة خاصة، ويهددون بحظر تجاري ضد أراكس. أخبرتهم أني سأوصل لك رسالتهم"
"دعهم يهددوا"
قالت جيسيكا من ورائه في هسيس: "بولس! إنه يتحدث عن نقابة الفضاء!"
قال بولس: "سأنزع أنيابهم حالا"
وفكر عندها في النقابة.. في تلك القوة التي تخصصت في شيء لمدة طويلة حتى أصبحت طفيليا، غير قادر على البقاء حيا بشكل مستقل عن الكائن الذي يتغذى عليه. لم يجرؤوا أبدا على امتشاق الحسام.. والآن لم يعودوا قادرين على امتشاقه. كان متاحا لهم الاستيلاء على أراكس عندما أدركوا خطأ التخصص واقتصار ملاحيهم على تناول مزيج المخدر المحفز للمدى الطيفي الإدراكي. كان بإمكانهم فعل هذا، وأن يعيشوا مجدهم لفترة ثم يموتوا. لكن بدلا من ذلك كانوا يعيشون الوجود من لحظة للأخرى.. آملين أن البحار التي يسبحون فيها ستوفر أمامهم جسد مضيف جديد عندما يموت القديم.
إن ملاحي النقابة - حيث أنهم يتمتعون بقدر محدود من القدرة الاستبصارية - قد اتخذوا قرارا مهلكا: دائما كانوا يختارون المسار المستقبلي الواضح والآمن، والذي سيؤدي في النهاية للركود.
فكر بولس: دعهم ينظروا عن قرب لمضيفهم الجديد.
قال جيرني: "وتوجد أيضا سيدة موقرة من البني-جيزيرت تقول أنها صديقة لأمك"
"ليس لأمي صديقات من البني-جيزيرت"
أدار جيرني بصره مرة أخرى في القاعة الكبرى، ثم مال مقتربا من أذن بولس: "ظوفر حواط معهم يا سيدي. لم تتوفر لي فرصة لأقابله على انفراد، لكنه استخدم إشاراتنا اليدوية السرية القديمة ليخبرني أنه كان يعمل مع الهاركونن، وأنه كان يظنك ميتا. وقال أنه يجب تركه معهم"
"تركت ظوفر مع ..."
"هو من أراد هذا. ورأيت أن هذا أفضل. فإن كان بالأمر.. خطب ما.. فإنه سيكون ساعتها محصورا في مكان نتحكم به.. أما إن كان الأمر على العكس، فإننا سنكون قد حصلنا على جاسوس على الجانب الآخر"
خطرت لبولس حينئذ لمحات استبصارية عن الاحتمالات المختلفة لهذه اللحظة.. وفكر في أحد الخطوط الزمنية التي يحمل فيها ظوفر إبرة مسمومة أمره الإمبراطور باستخدامها ضد هذا 'الدوق المبتدئ'.
تنحى حراس المدخل جانبا وشكلوا برماحهم ممرا قصيرا. سُمع في المكان حفيف ملابس، وأقدام تحك في الرمل الذي انجرف بعضه للقصر. تقدم الإمبراطور الباديشي شدام الرابع أمام رجاله داخلا القاعة. كانت خوذة البورسيج التابعة له قد فقدت وبدا الشعر الأحمر واضحا وسط ملابسه المضطربة. كُم سترته العسكرية الأيسر كان ممزقا على طول درز الخياطة المبطنة. ولم يكن يرتدي حزاما ولا يحمل أسلحة، لكن حضوره الطاغي تحرك معه وكأنه فقاعة درع طاقة أفسحت المكان من حوله.
هبط رمح أحد الفريمن ليسد الطريق أمامه، فأوقفه في الموضع الذي أمر به بولس. احتشد الآخرون خلفه، كأنهم مونتاج من الألوان والوجوه المختلطة والمحدقة.
مسح بولس المجموعة ببصره فرأى نساء يخفين آثار نحيب، وأتباعا كانوا قد جاؤوا أصلا كي يستمتعوا بمشاهدة انتصار

الساردوكار من مقاعد المتفرجين الأمامية فأصبحوا الآن واقفين في صمت وقد خنقتهم الهزيمة. رأى بولس عيني السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم، الثاقبتين كعيون الطيور، تحدقان من تحت قلنسوتها السوداء، وجوارها عيني فايد-راوثا هاركونن الضيقتين الماكرتين تختلسان النظرات.

فكر بولس: ها هو أحد الوجوه التي كشفها لي الزمن.

ثم نظر لما وراء فايد-راوثا وقد جذبت انتباهه حركة، فرأى وجها ضئيلا مراوغا كابن عرس لم يره من قبل.. لا في الزمن ولا خارجه. كان وجها شعر بأنه من المفترض أن يكون يعرفه، وحمل هذا الشعور معه شيئا من الخوف.

تساءل: لماذا أخاف من هذا الرجل؟

مال على أمه وهمس: "ذاك الرجل الواقف على يسار السيدة الموقرة، الذي تبدو عليه ملامح الشر.. من هو؟"

نظرت جيسيكا فتعرفت على صاحب الوجه من دفاتر دوقها، وقالت: "الكونت فينرنج. من كان يعيش في هذا القصر قبلنا مباشرة. مخصي جينيا.. وقاتل"

فكر بولس: مرسال الإمبراطور.

وكانت الفكرة كصدمة هزت وعيه الإدراكي، لأنه قد رأى الإمبراطور في مواقف لا حصر لها، منتشرة عبر المسارات المستقبلية المحتملة، لكن لم يظهر له الكونت فينرنج ولا مرة ضمن هذه الرؤى الاستبصارية. وهنا خطر لبولس أنه قد رأى جثته هو عبر امتدادات لا حصر لها في شبكة الزمن لكنه لم ير أبدا لحظة موته.

فتساءل: هل تم منعي من رؤية هذا الرجل لأنه هو من سيقتلني؟

أرسلت الفكرة في ذهنه إحساس شؤم مفاجئ. أجبر نفسه على إزاحة انتباهه بعيدا عن فينرنج ونظر لبقايا جنود وضباط الساردوكار، ولما على وجوههم من مرارة ويأس. انجذب انتباه بولس لحظيا لوجوه متناثرة بينهم هنا وهناك.. ضباط ساردوكار يقيّمون التحضيرات الدفاعية الموجودة بالقاعة، ويخططون ويدبرون لطريقة يمكن بها تحويل الهزيمة لنصر.

ثم وصل انتباه بولس أخيرا لامرأة شقراء فارعة، خضراء العينين، ووجه ذي جمال أرستقراطي، وملامح غطرسة كلاسيكية لم تمسها دموع، ولا يبدو عليها أي انكسار. عرفها بولس دون أن يخبره أحد باسمها.. أميرة ملكية.. تم تدريبها كبني-جيزيرت.. وجه قد أرته له رؤاه الزمنية في مواضع كثيرة: إيرولان.

وفكر: ها هو مفتاحي.

ثم رأى حركة تحدث بين المجموعة المحتشدة، وظهر بينهم وجه وشخص.. ظوفر حواط.. الملامح المسنة المجعدة والشفتان ببقعهما الداكنة، الكتفان المحدبان، ومنظر ضعف الشيخوخة الذي يبدو عليه.

قال بولس: "ها هو ظوفر حواط. دعه يمر بحرية يا جيرني"

قال جيرني: "سيدي!"

كرر بولس: "دعه يمر"

أومأ جيرني.

تقدم حواط في خطوات متثاقلة إذ ارتفع رمح أحد الفريمن من أمامه ثم عاد الرمح لموضعه من ورائه. صوبت العينان الرطبتان النظر لبولس، فاحصتين، مدققتين في التفاصيل.

تقدم بولس خطوة للأمام، وشعر بالحركة المتوترة للإمبراطور ورجاله والمنتظرة لشيء ما.

صوب حواط بصره لما وراء بولس بسرعة وقال العجوز: "ليدي جيسيكا، اليوم فقط علمت بما ارتكبته في حقك من ظن خاطئ. لستِ مجبرة على مسامحتي"

انتظر بولس، لكن أمه ظلت صامتة.
قال بولس: "ظوفر، يا صديقي القديم.. كما ترى، ظهري ليس مدارا ناحية أي باب"
قال حواط: "إن الكون مليء بالأبواب"
قال بولس: "هل صرتُ ابن أبي بحق؟"
قال حواط بصوت مبحوح: "بل أنت الآن أقرب لأن تكون ابن جدك. أسلوبه ونظرته واضحان في عينيك"
قال بولس: "لكني أيضا ابن أبي، لأني أقول لك الآن يا ظوفر أنه بإمكانك أن تطلب مني أي شيء ترغب فيه، لرد جميل السنوات التي خدمت فيها عائلتي. أي شيء ترغب فيه مهما كان. أتريد حياتي مثلا يا ظوفر؟ إنها لك"
وتقدم بولس خطوة ويداه بجانبه، فرأى نظرة الفهم تنمو في عيني حواط.
فكر بولس: لقد أدرك أني أعلم بأمر الخيانة.
قال بولس بصوت يكاد يكون هامسا كي يصل لأذني حواط فقط: "إني أعني ما أقوله يا حواط. إن كنت تريد قتلي فافعلها الآن"
قال حواط: "كل ما أردته هو أن أقف أمامك من جديد يا دوقي"، وانتبه بولس لأول مرة للجهد الذي يبذله العجوز كي يمنع نفسه من السقوط أرضا. مد له بولس يده وأمسك حواط من الكتفين كي يعينه، فأحس بارتجاف العضلات تحت يديه.
قال بولس: "أتشعر بألم يا صديقي القديم؟"
رد حواط بالإيجاب: "يوجد ألم يا دوقي العزيز، لكن المتعة أكبر"
واستدار بين ذراعي بولس نصف استدارة ومد يده اليسرى، رافعا راحتها لأعلى، ناحية الإمبراطور، كاشفا عن الإبرة الدقيقة الممسوكة بين الأصابع، وصاح قائلا: "أترى، جلالتك. أترى إبرة خائنك؟ هل كنت تظن أني أنا - الذي وهب حياته لخدمة آل أتريديز - سأعاملهم الآن بأقل من هذا؟"
ترنح بولس عندما تراخى الرجل بين ذراعيه وشعر بوقوع الموت، وبالارتخاء التام للجسد. أنزل بولس حواط على الأرض برفق، ثم اعتدل وأشار للحراس بأن يحملوا الجثة.
خيم الصمت على القاعة بينما كان يتم تنفيذ أمره. والآن بدت على وجه الإمبراطور نظرة انتظار مميت. العينان اللتان لم تبوحا بأي خوف في الماضي باحتا به أخيرا.
قال بولس: "جلالتك..."، ولاحظ رعدة الاندهاش في الأميرة الملكية طويلة القامة. كانت الكلمة قد تم نطقها بتحكم بني-جيزيرتي، بحيث تحمل كل ما أمكن لبولس أن يضع فيها من درجات الاحتقار والتوبيخ.
فكر بولس: دربتها البني-جيزيرت فعلا.
تنحنح الإمبراطور وقال: "ربما يظن قريبي المحترم أن كل الأمور قد أصبحت على هواه الآن. هذا في الواقع أبعد ما يكون عن الحقيقة. لقد خرقتَ بنود الميثاق العظيم، فاستخدمت أسلحة ذرية ضد..."
قال بولس: "لقد استخدمت الأسلحة الذرية ضد أحد التضاريس الصحراوية الطبيعية. لقد كانت تعترض طريقي بينما كنتُ متعجلا للقائك يا جلالة الإمبراطور، كي أطلب منك تفسير بعض أفعالك الغريبة"
قال الإمبراطور: "هناك أسطول ضخم تابع لأسر كبار النبلاء، في الفضاء فوق أراكس في هذه اللحظة. وبمجرد كلمة مني فسيـ..."
قال بولس: "آه، صحيح، لقد كدت أنسى أمرهم"، وبحث ببصره بين حاشية الإمبراطور إلى أن رأى وجه اثنين من رجال

النقابة، فوجه كلامه لجيرني: "هل هذان هما وكلاء نقابة الفضاء يا جيرني.. السمينان الواقفان هناك ويرتديان ملابس رمادية؟"
"أجل يا سيدي"
قال بولس مشيرا لهما: "أنتما الاثنان. اخرجا من مكانكما على الفور وأرسلا رسائل تأمر هذا الأسطول بالعودة لوطنه حالا. وفيما بعد سيكون عليكما أن تطلبا مني الإذن قبل..."
صاح أطول الاثنين: "النقابة لا تتلقى منك الأوامر!"
واندفع مع زميله ناحية حاجز الرماح، والذي أزيل أمامهما بإيماءة من بولس. تقدم الرجلان ورفع أطولهما ذراعه أمام بولس وقال: "بل أنك غالبا قد أصبحت تحت طائلة حظر اقتصادي لـ..."
قال بولس: "إن سمعت منكما المزيد من هذا الكلام الفارغ فسأصدر الأمر الذي سيدمر كل إنتاج البهار على أراكس.. للأبد"
قال رجل النقابة الطويل: "أأنت مجنون؟"، وتراجع نصف خطوة.
قال بولس: "إذن تعترف أني أملك القدرة على فعل هذا؟"
بدا رجل النقابة محدقا في الهواء للحظة ثم قال: "أجل، بإمكانك فعل هذا. لكن يجب ألا تفعل"
قال بولس وهو يومئ لنفسه "آه. كلاكما من ملاحي النقابة إذن؟"
"أجل!"
قال أقصرهما: "ستكون بهذا تعمي نفسك أيضا، وتحكم علينا جميعا بالموت البطيء. هل عندك أي فكرة ماذا يحدث عندما يتم منع مزيج البهار عن المرء بعد أن يكون قد أدمن عليه؟"
قال بولس: "ستصبح العين التي ترى المسار الفضائي الآمن مغلقة للأبد. وتصبح النقابة عاجزة، والبشر مجرد تجمعات صغيرة منعزلة على كواكبها المعزولة عن بعضها البعض. أتعلم شيئا؟ قد أقوم بالأمر لمجرد النكاية فيكم.. أو لشعوري بالسأم"
قال رجل النقابة الطويل: "دعنا نناقش هذا على انفراد. إني متأكد من إمكانية الوصول لتسوية سـ..."
قال بولس: "أرسل الرسالة لزملائك المحلقين فوق أراكس، إذ بدأت أتعب من هذا الجدال. إن لم يرحل هذا الأسطول الذي فوقنا قريبا فلن تكون هناك حاجة لكلامنا أصلا"، وأشار لرجال اتصالاته الموجودين في ركن القاعة: "بإمكانك أن تستخدم أجهزتنا"
قال رجل النقابة الطويل: "يجب أولا أن نناقش هذا، لا يمكن أن نقوم بالأمر بجـ..."
صاح بولس: "قم بالأمر!.. إن القدرة على تدمير الشيء هي أقصى درجات التحكم به. وقد اعترفتَ أني أملك هذه القدرة. لسنا هنا كي نناقش أو نتفاوض أو نبحث عن حل وسط. ستطيعون أوامري أو ستعانون من العواقب الفورية!"
قال رجل النقابة الأقصر: "إنه يعني ما يقول"، ورأى بولس الخوف يسيطر عليه.
وببطء تقدم الاثنان قاصدين أجهزة الاتصالات الفريمنية.
قال جيرني: "هل سيطيعان؟"
قال بولس: "إنهما يتمتعان بقدر من الرؤية الزمنية المحدودة. وبإمكانهما أن يريا في المستقبل القريب حائطا سدا سيكون عاقبة العصيان. كل ملاح من ملاحي النقابة على متن كل سفينة من السفن الفضائية التي فوقنا بإمكانه أن ينظر للمستقبل ويرى هذا الحائط. سيطيعان"
التفت بولس لينظر للإمبراطور وقال: "عندما سمحوا لك باعتلاء عرش أبيك كان هذا بشرط أنك ستضمن تدفق البهار. وقد

خذلتَهم يا جلالة الإمبراطور. هل تعرف عواقب هذا؟"
"لم يسمح لي أحد بـ..."
صاح بولس: "توقف عن التظاهر بالحماقة. إن النقابة هي كقرية على نهر. يحتاجون الماء لكن كل ما يستطيعونه هو غرف ما يلزمهم. ليس بمقدورهم حجز النهر بسد ولا التحكم به، لأن هذا سيجعل الأنظار تنتبه للمقدار الذي يأخذونه، مما يؤدي في النهاية لدمارهم. تدفُّق البهار هو نهرهم، وأنا بنيت سدا. لكن سدي من النوع الذي لا يمكن تدميره دون تدمير النهر أيضا بالتبعية"
مرر الإمبراطور يده خلال شعره الأحمر، ورمق ظهر رجلي النقابة.
قال بولس: "حتى كاهنتك البني-جيزيرتية، كاشفة الأكاذيب، ترتجف. توجد سموم أخرى يمكن للسيدات الموقرات استخدامها لتنفيذ 'حيلهن السحرية'، لكن بعد استخدامهن لمزيج البهار تفقد كل الأنواع الأخرى فعاليتها عندهن"
جمعت العجوز ثوبها الأسود منعدم الملامح حول جسدها وتقدمت من بين الحشد لتقف أمام حاجز الرماح.
قال بولس: "السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم. مر وقت طويل منذ لقائنا على كالادان، أليس كذلك؟"
نظرت لما وراءه، ناحية جيسيكا، وقالت: "حسنا يا جيسيكا. أرى الآن أن ابنك هو فعلا المنتظَر. وبسبب هذا يمكن مسامحتك حتى على إنجابك لابنتك المسخ"
كظم بولس غضبه المشتعل وقال: "ليست لك سلطة مسامحة أمي على شيء، وهي لم ترتكب خطأً أصلا"
حدقت العجوز في عينيه بثبات.
قال بولس: "جربي استخدام حيلك ضدي أيتها الساحرة العجوز. أين الجوم-جبار؟ حاولي النظر لذلك المكان الذي لا تجرؤين على النظر إليه! ستجديني هناك أحدق فيكِ!"
خفضت العجوز عينيها.
قال بولس بنبرة آمرة: "أليس لديك شيء تقولينه؟"
غمغمت: "لقد رحبتُ بك بين صفوف البشر بصفتك إنسان. لا تلطخ هذا"
رفع بولس صوته قائلا: "انظروا لها يا رفاق! إنها سيدة موقرة من سيدات البني-جيزيرت.. صبورة تعمل لقضية طويلة الأمد. أمكنها أن تنتظر - مع أخواتها - طوال 90 جيل، كي ينجح خليط مناسب من الجينات والبيئة في إنتاج الشخص الوحيد الذي تحتاجه خططهم. انظروا لها! فإنها عرفت الآن أن الـ 90 جيل قد أنتجت فعلا هذا الشخص. فها أنا ذا. لكني.. لن.. أخضع.. لها.. أبدا!"
صرخت العجوز قائلة: "جيسيكا! أسكتيه!"
قالت جيسيكا: "أسكتيه أنت بنفسك"
حدق بولس في المرأة العجوز وقال: "كعقاب على دورك الذي قمتِ به في هذا الأمر فبإمكاني أن آمر بقتلك خنقا"، ثم لما تصلبت في غضب أكمل بحدة: "ولن تستطيعي منعي!.. لكني أظن أن العقاب الأفضل هو أن تعيشي سنوات عمرك عاجزة عن المساس بي وعن جعلي أنفذ ولو أمر واحد مما تشتهي خططك تنفيذه"
قالت العجوز: "جيسيكا، ماذا فعلتِ؟"
قال بولس: "سأمنحك اعترافا بشيء واحد. لقد عرفتن بعض ما يحتاجه الجنس البشري فعلا، لكن لم تفهموه جيدا. تظنون أن بإمكانكن التحكم بالتناسل البشري وأن تمزجن بين قلة مختارة تبعا لخطتكن الكبرى! ما أقل ما تفهمونه عن طبيعة الـ..."
قالت العجوز: "لا يجب أن نتكلم عن هذه الأمور!"

صاح بولس في صوت هادر: "اصمتي!"
وكأن الكلمة - بتحكم من بولس - قد صارت لها كتلة وهي تمر بينهما عبر الهواء.
ترنحت العجوز للخلف فوقعت بين أذرع من يقفون وراءها، ووجهها شاحب من أثر الصدمة بسبب القوة التي سيطر فيها على عقلها.
همست: "جيسيكا، جيسيكا"
قال بولس: "إني أتذكر الجوم-جبار الذي فعلتيه بي. فتذكري أنت ما فعلته أنا بك. فبإمكاني أن أقتلك بمجرد كلمة"
تبادل الفريمن المحيطون بالحشد نظرات فاهمة. ألم تقل النبوءة: "وستحمل كلمته موتا أبديا لمن يقفون ضد الحق"
التفت بولس صابا انتباهه على الأميرة الملكية طويلة القامة، الواقفة جوار أبيها الإمبراطور. وقال - بينما عيناه مصوبتان إليها -: "جلالة الإمبراطور، كلانا يعلم المخرج من هذا المأزق الصعب"
ألقى الإمبراطور بنظرة على ابنته ثم عاد ببصره لبولس: "أتجرؤ؟ أنت! مجرد مغامر بلا عائلة، شخص بلا أي..."
قال بولس: "لقد اعترفتَ بالفعل وقلت من أنا. لقد قلتَ: أيها القريب الملكي. فدعنا نتوقف عن هذا الهراء"
قال الإمبراطور: "إني حاكمك"
ألقى بولس نظرة على رجلي النقابة اللذين كانا يقفان الآن قرب أجهزة الاتصالات وينظران إليه. أومأ له أحدهما بالموافقة.
قال بولس: "بإمكاني إرغامك على الأمر"
جز الإمبراطور على أسنانه: "لن تجرؤ!"
لم يزد بولس على أن حدق فيه.
وضعت الأميرة الملكية يدها على ذراع أبيها وقالت: "أبي". وكانت نبرة صوتها ناعمة كالحرير، ومهدئة للأعصاب.
قال الإمبراطور: "لا تحاولي استخدامك حيلك علي"، ثم نظر لها: "لستِ مجبرة على القيام بهذا يا ابنتي. عندنا أدوات أخرى يمك..."
قالت: "لكنه رجل يستحق أن يكون ابنا لك"
دفعت السيدة الموقرة العجوز نفسها بين الحشد، بعد أن استعادت ضبطها لنفسها، ووقفت جوار الإمبراطور ومالت على أذنه هامسة.
قالت جيسيكا: "إنها تناشده تنفيذ طلبك"
ظل بولس يحدق في الأميرة ذات الشعر الذهبي، ثم تحدث جانبا لأمه: "إنها إيرولان، أكبر أخواتها، أليس كذلك؟"
"أجل"
انتقلت شاني لجانب بولس الآخر وقالت: "أتريدني أن أرحل يا مؤدب؟"
رمقها وقال: "ترحلي؟ لن تفارقي جانبي مرة أخرى أبدا"
قالت شاني: "ليس بيننا رباط يلزمك بشيء"
نظر لها بولس في صمت للحظة ثم قال: "لا تحدثي معي إلا بالحقائق يا حبيبتي سِهايا"، وعندما بدأت تجيبه أسكتها بإصبع على شفتيها: "ما يربطنا لا يمكن حله. والآن راقبي هذه الأحداث بدقة لأني فيما بعد سأريد أن أرى ما دار في هذه القاعة عبر منظار حكمتك"
كان الإمبراطور وكاهنته منشغلين في مناقشة حامية، منخفضة الصوت.
تحدث بولس لأمه: "إنها تقوم بتذكيره بأن جزءا من اتفاقهم يقول بضرورة وضعه إحدى البني-جيزيرت على العرش،

وإيرولان هي من أعدوها لهذا الأمر"
قالت جيسيكا: "كن يخططن لهذا فعلا؟"
قال بولس: "أليس أمرا واضحا؟"
قالت جيسيكا بحدة: "إني أرى الدلالات! غرض سؤالي كان تذكيرك بأنه لا ينبغي أن تعلّمني أشياء قد دربتك أنا عليها أصلا"
ألقى بولس عليها نظرة فرأى على شفتيها شبح ابتسامة باردة.
مال جيرني هاليك مدخلا رأسه بينهما وقال: "إني أذكرك يا سيدي بوجود أحد أفراد عائلة هاركونن ضمن هذه المجموعة"، وأومأ برأسه ناحية فايد-راوثا ذي الشعر الأسود، والذي يقف خلف حاجز رماح على اليسار. "الشخص ذو العينين الضيقتين ناحية اليسار. وجه على درجة من الشر لم أر مثلها. وقد وعدتني في إحدى المرات أني..."
قال بولس: "شكرا لك يا جيرني"
قال جيرني: "إنه الـ نا-بارون.. يعتبر البارون الآن بعد موت العجوز. سيؤدي الغرض الذي أريد أن أفعله فـ..."
"وهل بمقدورك التغلب عليه يا جيرني؟"
"سيدي يمزح بالتأكيد!"
"هذا الجدال بين الإمبراطور وساحرته قد طال أكثر من اللازم، أليس كذلك يا أمي؟"
أومأت موافقة: "فعلا"
رفع بولس صوته وصاح بالإمبراطور: "جلالتك، هل بينكم أحد من الهاركونن؟"
كشف الازدراء الملكي عن نفسه في الطريقة التي استدار بها الإمبراطور لينظر لبولس: "أعتقد أن حاشيتي قد وُضعت تحت حماية تعهدك الدوقي"
قال بولس: "كان سؤالي لمجرد الاستفهام. أريد أن أعلم إن كان هناك واحد من آل هاركونن كجزء من حاشيتك رسميا، أم أن الهاركوني يحتمي فقط وراء أحد التفاصيل الشكلية، بسبب جبنه"
كانت ابتسامة الإمبراطور محسوبة: "كل شخص قبلتُ انضمامه للصحبة الإمبراطورية يعتبر جزءا من حاشيتي"
قال بولس: "لقد تعهدت لك بصفتي دوق، لكن المؤدب هو مسألة أخرى. إذ قد لا يأخذ بتعريفك لمعنى كلمة حاشية. إن صديقي جيرني هاليك يرغب في قتل شخص من آل هاركونن. لو..."
صاح فايد-راوثا: "كانلي!"
واندفع ناحية حاجز الرماح. "أبوك هو من دعا هذا ثأرا يا أتريديز. تصفني أنا بالجبان بينما تختفى أنت بين نسائك وترسل أحد أتباعك ضدي!"
همست الكاهنة العجوز بقوة في أذن الإمبراطور لكنه دفعها جانبا وقال: "كانلي إذن؟ إن للكانلي قواعد صارمة"
قالت جيسيكا: "بولس، أوقف هذا الأمر"
قال جيرني: "سيدي، لقد وعدتني بيوم أنتقم فيه من الهاركونن"
قال بولس: "لقد حصلت على يومك ضدهم بالفعل"، وشعر بإحساس غامر بالمرح أنساه كل شيء آخر. فنزع ثوبه وأزال قلنسوته عن كتفيه وناولهما لأمه ومعهما حزامه وسكين الكريسنايف وبدأ يفك بذلة تقطيره.
شعر الآن بأن الكون يركز على هذه اللحظة.
قالت جيسيكا: "لا داع لهذا. توجد طرق أسهل يا بولس"

خلع بولس بذلته وأخرج الكريسنايف من غمدها الذي تمسك به أمه وقال: "أعلم. سم.. اغتيال.. كل الطرق القديمة المألوفة"
قال جيرني في هسيس: "لقد وعدتني بأن أقتل هاركونيا!"، ولاحظ بولس الغضب العارم الظاهر على وجه الرجل، والطريقة التي برزت بها ندبة الإنكفاين، داكنة وناتئة: "يحق لي أن أطالب بهذا"
قال بولس: "وهل عانيتَ منهم أكثر مما عانيت أنا؟"
قال جيرني بصوت متحشرج: "أختي. سنواتي التي قضيتها في حفرة العبيد..."
قال بولس: "أبي. أصدقائي ورفاقي الطيبون، ظوفر حواط ودنكن أيداهو. سنواتي كهارب بلا رتبة ولا مأوى... وشيء آخر إضافي.. لقد صار الأمر الآن عبارة عن كانلي، وتعلم جيدا - كما أعلم أنا - القواعد التي يجب الالتزام بها"
تراخت كتفا هاليك وقال: "سيدي، إن قام هذا الخنزير بـ... إنه ليس سوى حيوان تدوسه بقدمك ثم ترمي الحذاء لأنه قد تلوث. استدعِ جلادا يعدمه إن لزم الأمر، أو دعني أقم أنا بالأمر، لكن لا تعرض نفسك لـ..."
قالت شاني: "لا يحتاج المؤدب للقيام بهذا الأمر"
نظر لها فرأى في عينيها الخوف عليه، فقال: "لكن يجب على الدوق بولس القيام به"
قال جيرني بصوت مبحوح: "إنه مجرد حيوان هاركوني!"
تردد بولس موشكا على كشف أصله الهاركوني، لكنه توقف لما رأى نظرة أمه الحادة، ولم يزد على أن قال: "لكن هذا المخلوق له صورة البشر يا جيرني، ويستحق منا أن نظنه إنسانا"
قال جيرني: "لو تجرأ ومس منك شـ..."
قال بولس: "من فضلك تنح جانبا"
وازن الكريسنايف في يده ودفع جيرني جانبا برفق.
قالت جيسيكا: "جيرني!"، ولمست ذراع جيرني. "إنه يشبه جده في هذه الحالة المزاجية. فلا تشتت انتباهه. فهذا هو كل ما بإمكانك أن تفعله له الآن"
وفكرت: يا للأم العظمى! إنها لمفارقة فعلا.
كان الإمبراطور يدقق في فايد-راوثا، ناظرا للكتفين العريضين، والعضلات السميكة. ثم عاد ونظر لبولس.. شاب نحيل كحبل مجدول. ليس جافا بنفس درجة جفاف المواطنين المحليين على أراكس، لكن ضلوعه ظاهرة ويمكن عدها، وغائرة في الخاصرة بحيث يمكن متابعة تموج وتجمع العضلات تحت الجلد.
مالت جيسيكا مقتربة من بولس وجعلت مستوى صوتها يصل لأذنيه هو فقط: "هنا أمر واحد فقط يا بني. أحيانا تقوم البني-جيزيرت بتهيئة الأشخاص الخطرين فيزرعن كلمة في أعمق تجاويف عقله باستخدام أساليب المتعة والألم القديمة. الكلمة الصوتية الشائع استخدامها لهذا الغرض هي أورشنور. لو تمت تهيئة هذا الشخص - وهو شيء أظنه قد حدث فعلا - فإن نطق هذه الكلمة قرب أذنه سيرخي عضلاته وسيـ..."
قال بولس: "لا أريد في هذا النزال أي ميزة إضافية خاصة. ابتعدي عن طريقي"
كلمها جيرني قائلا: "لم يفعل هذا؟ أيريد أن يتسبب في مقتله ويتحول لشهيد؟ هل ذلك الهراء الفريمني الديني هو ما يشوش تفكيره المنطقي؟"
أخفت جيسيكا وجهها بين يديها، وقد أدركت أنها لا تفهم تمام الفهم لماذا أقدم بولس على هذا المسار. كان بإمكانها الشعور بالموت يخيم على القاعة، وكانت تعلم أن بولس بعد تغيره كان قادرا على القيام بشيء كالذي اقترحه جيرني. كل موهبة داخلها ركزت على حاجتها لحماية ابنها، لكن لم يكن باستطاعتها فعل أي شيء.

قال جيرني بإصرار: "هل السبب هو ذلك الكلام الديني؟"
همست جيسيكا: "اصمت. وقم بالدعاء"
ارتسمت ابتسامة مفاجئة على وجه الإمبراطور، وقال: "إن رغب فايد-راوثا هاركونن في هذا، وهو أحد أفراد حاشيتي، فإني أعفيه من أي قيود وأعطيه حرية اختيار طريقه الخاص في هذا الأمر"
لوح الإمبراطور ناحية حرس بولس الفدائيين: "أحد الغوغاء التابعين لك معه حزامي ونصلي القصير. إن رغب فايد-راوثا فبإمكانه أن ينزل ضدك ونصلي في يده"
قال فايد-راوثا: "إني أرغب في هذا"، ورأى بولس الابتهاج على وجه الرجل.
فكر بولس: إنه واثق في نفسه ثقة زائدة. وهي ميزة إضافية جاءت بشكل طبيعي لتصب في مصلحتي.. فلن أمانع في استغلالها.
قال بولس: "هاتوا نصل الإمبراطور"، ونظر لهم بينما كانوا ينفذون أمره.
أشار لمكان على الأرض وقال: "ضعوه هناك على الأرض. وأبعدوا الغوغاء التابعين للإمبراطور للخلف بقرب الحائط، ودعوا الهاركوني يقف بحرية"
تنفيذ أمر بولس صاحبه حفيف أثواب وحركة أقدام وأوامر منخفضة الصوت واحتجاجات. ظل رجلا نقابة الفضاء واقفين قرب أجهزة الاتصالات. وعبسا لبولس وحيرتهما واضحة.
فكر بولس: لقد اعتادا على رؤية المستقبل. لكنهما عميان في هذا المكان والزمان.. مثلما أنا أيضا أعمى.
وحاول استشعار رياح الزمن.. الاضطرابات.. مفترق طرق العاصفة الذي ارتكز الآن على هذه اللحظة وهذا المكان. حتى الفرجات الصغيرة كانت مغلقة الآن أمامه. كان يعرف أن الجهاد ها هنا، جنينا. ها هنا وعي الجنس البشري الإدراكي، والذي عرفه في السابق باسم غايته الشخصية الرهيبة.
ها هنا سبب كاف لوجود الكويزاتس هاديراك أو لسان الغيب أو حتى خطط البني-جيزيرت العرجاء.
إن الجنس البشري قد أحس بسباته، وشعر بأن البشرية أصبحت راكدة ولم يعد يفكر سوى في الحاجة الضرورية للمرور بحالة فوضى تسمح للجينات الوراثية بالاختلاط وبأن تبقى الأخلاط الجديدة القوية على قيد الحياة.
كل البشر كانوا أحياء في هذه اللحظة، ككائن واحد لا-واعي، يمر بحالة تشبه الشبق الجنسي تطغى على كل الحواجز. وعلم بولس أن أي جهود يبذلها لتغيير ولو جزء صغير من هذا هي جهود عديمة الفائدة.
كان يظن أنه سيقاوم الجهاد داخله.. لكن الجهاد سيحدث.
ستنطلق فيالقه من على أراكس حتى لو لم يكن هو موجودا. فكل ما كانوا يحتاجونه هو الأسطورة التي أصبح عليها. لقد أراهم الطريق، بل وجعل لهم اليد العليا على نقابة الفضاء ذاتها والتي تحتاج للبهار كي يستمر وجودها.
غمره إحساس بالفشل، ومن بين ثناياه رأى أن فايد-راوثا هاركونن قد نزع الزي الممزق، وخلع كل شيء إلا حزاما قتاليا مدعوما ببطانة معدنية.
فكر بولس: هي لحظة الذروة. بداية من هذه اللحظة سينفتح المستقبل، وتنفصل السحب كاشفة عن المجد. وإن مت هنا فسيقولون أني ضحيت بنفسي كي ترشدهم روحي. وإن عشت، فسيقولون أنه لا يقدر شيء على معارضة المؤدب.
صاح فايد-راوثا مستخدما كلمات طقس الكانلي القديم: "هل الأتريديز جاهز؟"
اختار بولس أن يجيبه على الطريقة الفريمنية: "فلتنكسر سكينك وتتهشم!"
وأشار لنصل الإمبراطور الموجود على الأرض، موضحا أن على فايد-راوثا أن يتقدم ويأخذه.

التقط فايد-راوثا السكين، مبقيا انتباهه على بولس، ثم وازنها في يده لبعض الوقت كي يشعر بثقلها. اشتعلت إثارته، إذ كان هذا قتالا لطالما حلم به.. رجل لرجل، المهارة ضد المهارة، دون تدخل الدروع. كان بإمكانه أن يرى طريق السلطة ينفتح أمامه لأن الإمبراطور بلا شك سيكافئ من يقتل هذا الدوق المشاغب. بل ربما قد تكون المكافأة هي تلك الابنة المتغطرسة، ونصيبا في العرش. وهذا الدوق الفلّاح، هذا المغامر الذي يعيش في بلد متخلفة، يستحيل أن يكون خصما مساويا لهاركوني تم تدريبه على استخدام كل أداة وكل خيانة عبر ألف نزال في الحلبة. بالإضافة إلى أن الفلاح لا يعلم أنه يواجه في هذا الموقف أسلحة أخرى غير السكين.

فكر فايد-راوثا: دعنا نرى إن كانت السموم لا تؤثر فيك!

أدى لبولس التحية بنصل الإمبراطور وقال: "قابل موتك أيها الأحمق"

قال بولس: "هلا تقاتلنا يا ابن العم؟"، وتقدم للأمام بخطوات كخطوات القطط، وعيناه على النصل الذي ينتظره، وجسده رابض لأسفل، وسكينه الكريسنايف البيضاء كاللبن مشهرة للأمام وكأنها امتداد لذراعه.

دار أحدهما حول الآخر وأقدامهما تحك في الأرض، يراقبان بعضهما بعيون متحفزة لاستغلال أقل فرجة تنفتح في دفاع الآخر.

قال فايد-راوثا: "يا لجمال رقصك!"

فكر بولس: إنه من النوع المتحدث. هاك نقطة ضعف أخرى. يتوتر عندما يحل الصمت.

قال فايد-راوثا: "هل تبت من ذنوبك على يد كاهن استعدادا للموت؟"

لكن بولس ظل يدور في صمت.

شعرت السيدة الموقرة العجوز بجسدها يرتجف وهي تشاهد النزال من مكانها بين حشد حاشية الإمبراطور. الشاب الأتريدي دعا الهاركوني بكلمة: ابن العم. وهذا ليس له سوى معنى واحد، أنه يعلم اشتراكهما في السلف.. وهو شيء يمكن فهمه بسهولة حيث أنه الكويزاتس هاديراك. لكن أجبرتها الكلمات على التركيز على الأمر الوحيد الذي كان يهمها هنا.

إن ما يحدث قد يكون كارثة كبرى تحيق بخطة البني-جيزيرت التناسلية.

رأت هنا شيئا قد رآه بولس أيضا.. أن فايد-راوثا قد ينجح في القتل لكن دون أن ينتصر.

ثم كادت تغمرها خاطرة أخرى. أن محصلتين نهائيتين ناتجتين عن هذا البرنامج المكلف وطويل الأمد يواجهان الآن بعضهما البعض في نزال حتى الموت قد يؤدي في نهايته لموت الاثنين.

إن مات الاثنان هنا فلن يبقى سوى ابنة فايد-راوثا غير الشرعية، والتي لا زالت طفلة، مجهولة الصفات، عنصر لم يقاس بعد.. وعاليا، المسخ.

قال فايد-راوثا: "فربما ليس متاحا لك هنا سوى الطقوس الوثنية. أتحب أن تقوم كاهنة الإمبراطور بإعداد روحك لرحلتها الأخروية؟"

ابتسم بولس، دائرا ناحية اليمين، متحفزا، وأفكاره السوداوية قد كتمتها احتياجاته اللحظية.

وثب فايد-راوثا، مراوغا بحركة خادعة من يده اليمنى، بينما انتقلت السكين بسرعة خاطفة ليده اليسرى. تجنبه بولس بيسر، ملاحظا ما باندفاعة فايد-راوثا من تردد ناتج عن التعود على استخدام الدرع. لكنه لم يكن تعودا قويا بنفس الدرجة التي رآها بولس في الآخرين، إذ شعر أن فايد-راوثا قد قاتل من قبل ضد خصوم غير مرتدين لدروع.

قال فايد-راوثا: "هل يهرب الأتريدي أم يبقى ويقاتل؟"

استمر بولس في لفه الصامت، وقد تذكر كلمات أيداهو.. كلمات أثناء تمرين قديم على أرضية التدريب على كالادان: "استغل

اللحظات الأولى في الدراسة. بهذه الطريقة قد تفقد عدة فرص للفوز السريع، لكن لحظات الدراسة تجعل انتصارك مؤكدا. خذ وقتك، وكن متيقنا"

قال فايد-راوثا: "ربما تظن أن هذه الرقصة تطيل حياتك لبضعة لحظات إضافية. حسنا. جميل"

وتوقف عن اللف، واعتدل.

كان بولس قد رأى ما يكفي لعمل تقدير مبدئي. إن فايد-راوثا يتحرك بشقه الأيسر، مقدما الورك الأيمن للأمام كما لو أن حزام القتال المقوى بالمعدن بإمكانه أن يحمي شقه كله. كانت هذه حركات شخص مدرب على الدروع ومعتاد مسك سكين في كل يد من يديه.

أو..

تردد بولس. ربما يكون الحزام به شيء أكثر مما يظهر عليه، إذ بدا الهاركوني واثقا أكثر من اللازم في مواجهة رجل قاد قواته اليوم للانتصار على فيالق الساردوكار.

لاحظ فايد-راوثا التردد فقال: "لماذا تؤخر المحتوم؟ كل ما تفعله هو تأخيري عن إثبات حقي في تملك كرة التراب هذه"

فكر بولس: لو كان الشيء هو سهم ينفتح فإنه إذن مخفي بعناية فائقة، إذ لا تبدو على الحزام أية علامة على العبث به.

قال فايد-راوثا: "لماذا لا تتكلم؟"

استمر بولس في دورانه الفاحص، سامحا لنفسه بإظهار ابتسامة باردة، سعيدا لنبرة القلق البادية في صوت فايد-راوثا، والتي تعتبر دليلا على أن ضغط الصمت يتزايد عليه.

قال فايد-راوثا: "تبتسم؟"، ووثب قبل أن يكمل الجملة.

ولأن بولس كان يتوقع حدوث التردد الطفيف فكاد يفشل في تجنب النصل الذي هوى عليه بسرعة خاطفة، وأحس بطرفه يخدش ذراعه الأيسر. أسكت الألم المفاجئ الذي أحس به في هذا الموضع، وغمر عقله إدراك أن التردد الذي حدث من فايد في البداية كان خدعة.. خدعة مركبة.

إن من أمامه هو خصم يفوق ما كان يتوقعه. سيكون في هذا النزال خدع داخل خدع داخل خدع أخرى.

قال فايد-راوثا: "رجلك ظوفر حواط علمني بعض ما أتمتع به من مهارات. وأعطاني بهذا فرصة سفك أول دم في هذا النزال. من المؤسف أن الأحمق العجوز لم يعش ليرى الأمر بنفسه"

وتذكر بولس ما قاله أيداهو في إحدى المرات: "توقع أن يحدث في القتال أي شيء. وبهذه الطريقة لن تفاجئ أبدا"

ومن جديد عاد الاثنان يحومان حول بعضهما، رابضين لأسفل، وحذرين. رأى بولس الابتهاج يعود لخصمه، فتعجب من الأمر. هل مجرد خدش يمثل شيئا كبيرا للرجل؟

إلا لو كان على النصل سم!

لكن كيف يمكن هذا؟ رجاله هم من تعاملوا مع السلاح، وفحصوه بالأجهزة قبل تمريره لفايد. وهم مدربون بشكل جيد، فصعب أن يفوتهم شيئ واضح كهذا.

قال فايد-راوثا: "تلك المرأة التي كنت تتحدث معها هناك. ضئيلة الحجم. هل لها قدر خاص عندك؟ هل هي كائن أليف تلاعبه ربما؟ هل ستستحق مني عناية خاصة؟"

ظل بولس صامتا، مدققا بحواسه الداخلية، فاحصا دم الجرح، فعثر على بقية مخدر منوم جاء من نصل الإمبراطور.

أعاد ضبط عملية أيضه كي توافق هذا التهديد وتغيّر جزيئات المخدر. لكنه شعر بإثارة ناتجة عن الشك. لقد كانوا مستعدين ووضعوا مخدرا على النصل. منوم. شيء لن ينتبه له شمام السموم، لكنه قوي بما يكفي لإبطاء العضلات التي يمسها.

إن أعدائه عندهم خطط داخل خطط.. خيانات متراكمة.
ومرة أخرى وثب فايد-راوثا، طاعنا.
تجمدت الابتسامة على وجه بولس، وتحرك ببطء خادع كما لو أن المخدر يعوقه، ثم تجنب النصل في اللحظة الأخيرة وقابل الذراع التي تهوي ناحيته مسرعة بطرف سكينه الكريسنايف. انزاح فايد-راوثا جانبا وابتعد، وانتقل نصله ليده اليسرى، وأفصح شحوب فكه عن ألم الحمض في الموضع الذي جرحه فيه بولس.
فكر بولس: دعه يمر بلحظة شكه الخاصة. دعه يظن أنه قد تعرض للسم.
صاح فايد-راوثا: "خيانة! لقد سمني! أشعر بالسم في ذراعي!"
نزع بولس رداء الصمت وقال: "مجرد القليل من الحمض ليرد على المخدر الموجود على نصل الإمبراطور"
ابتسم فايد-راوثا ابتسامة باردة كالتي ابتسمها بولس، ورفع النصل في يسراه بتحية هازئة. وعيناه خلف السكين يشع منهما الغضب.
نقل بولس الكريسنايف ليسراه، كي يماثل خصمه. ومن جديد دارا، متفحصين. بدأ فايد-راوثا يقلل المسافة الفاصلة بينهما، والجا بجانبه، وسكينه مشهرة عاليا، والغضب ظاهر في ضيق عينه وفي تصلب فكه. هجم بحركة خادعة يمينا ولأسفل، فالتحم الاثنان وتصارعت يداهما الممسكة بالسكين، وشد أحدهما الآخر. أجبر بولس جسديهما على الاستدارة يمينا، لحذره من ورك فايد-راوثا الأيمن الذي يظن أن به سهما سينطلق. فكاد لا ينتبه للإبرة التي انفتحت منبثقة من تحت خط الحزام.
ما نبهه للأمر هو انزياح وتغير طرأ على حركة فايد-راوثا. فلت جسده من سن الإبرة بمقدار طفيف لا يكاد يذكر.
على الورك الأيسر!
ذكّر بولس نفسه: خيانة داخل خيانة.
ارتخى مستخدما العضلات التي دربتها بني-جيزيرت، كي ينال من فايد-راوثا ردة فعل لا إرادية، لكن اضطراره لتجنب السن الدقيق المنبثق من ورك خصمه تسبب في ارتباك بولس بقدر كان كافيا لفقدانه توازنه، فوجد نفسه ملقى بقوة على الأرض، وفايد-راوثا فوقه.
همس فايد-راوثا: "أتراها على وركي؟ إنها موتك يا أحمق"
وبدأ يلوي نفسه، مقتربا بالإبرة المسمومة أكثر وأكثر.
"ستتشل عضلاتك فيقوم سكيني بالقضاء عليك. ولن يبق أثر يمكن أن يفحصه أحد!"
شد بولس نفسه، مصغيا في ذهنه لصرخات صامتة، إذ كان أسلافه المحفورون في خلاياه يطالبونه باستخدام الكلمة السرية ليقوم بإبطاء فايد-راوثا، ولينقذ نفسه.
شهق بولس: "لن أقولها!"
فغر فايد-راوثا فمه، وقد تردد للحظة خاطفة، لكنها كانت كافية لأن يجد بولس نقطة توازن ضعيفة في عضلات ساق خصمه، فانعكس وضعهما.
رقد فايد-راوثا تحته جزئيا، ووركه الأيمن مرفوع، وهو عاجز عن الاستدارة بسبب سن الإبرة الضئيل المحشور تحته في الأرضية. لف بولس يده اليسرى وحررها، مستعينا بلزوجة الدم المنبثق من جرح ذراعه، ودفع النصل بقوة مرة واحدة تحت فك فايد-راوثا، فانزلق الطرف واصلا للمخ.
اهتز فايد-راوثا، ثم ارتخى للوراء، وكان جسده لا زال مرفوعا على جانبه جزئيا، بسبب الإبرة المحشورة في الأرض.
دفع بولس نفسه بعيدا وهو يتنفس بعمق كي يستعيد هدوءه، ونهض على قدميه.

وقف أمام الجثة وسكينه في يده، ورفع عينيه بتريث متعمد لينظر عبر القاعة إلى الإمبراطور.
قال بولس: "جلالتك، جنودك قد قلوا واحدا. هلا توقفنا الآن عن المراوغات والتظاهر؟ هلا بدأنا نناقش ما يجب أن يحدث؟ ابنتك زوجة لي وينفتح الطريق أمام أتريديز للجلوس على العرش"
استدار الإمبراطور ونظر للكونت فينرنج. بادله الكونت النظر.. العينان الرماديتان في مواجهة الخضراوين.
انتقلت الفكرة بينهما واضحة، إذ كانت علاقتهما تعود لزمن بعيد بحيث يمكن لأحدهما فهم الآخر بمجرد نظرة.
كان ما يقوله الإمبراطور هو: اقتل من أجلي هذا المبتدئ الطامح. أي نعم الأتريدي شاب ومتعدد المواهب لكنه أيضا مرهق من الصراع الطويل ولن يكن مكافئا لقدراتك أصلا. اطلبه للنزال الآن... إنك تعلم الطريقة. اقتله.
وببطء حرك فينرنج رأسه. التفاتة متباطئة إلى أن صار ينظر لبولس.
قال الإمبراطور في هسيس: "افعلها!"
ركز الكونت على بولس، ناظرا بعينين قد دربتهما زوجته الليدي مارجوت على أساليب البني-جيزيرت، ومدركا للغموض والعظمة الخفية الموجودة بهذا الشاب الأتريدي.
فكر فينرنج: بإمكاني أن أقتله.
وكان يعلم هذا كحقيقة يقينية.
ثم منعه شيء نابع من أعماقه السرية، ورأى - في لمحة خاطفة وغير واضحة - الأفضلية التي يمتاز بها على بولس.. طريقة تخفيه عن الشاب.. خلسة في الشخصية والدوافع تعجز أي عين عن اختراقها.
أما بولس، ولإدراكه لبعض هذا الأمر من الطريقة التي كان يغلي بها مفترق الطرق الزمني، ففهم أخيرا لماذا لم ير فينرنج أبدا في شِباك الاستبصار. إن فينرنج هو أحد "الاحتمالات التي كادت"..
إنه ممن كادوا أن يصبحوا الكويزاتس هاديراك، لكن أعاقه خطأ في ترتيبه الجيني.. خصاء.
فتحولت موهبته للمكر وللانعزال الداخلي.
سرى في بولس عطف بالغ على الكونت.. أول إحساس بالأخوة أحس به على الإطلاق.
قال فينرنج عندما قرأ هذا الشعور في بولس: "جلالتك، أنا مضطر للرفض"
تغلب الغضب على شدام الرابع، فتقدم خطوتين قصيرتين خلال الحاشية وصفع فينرنج بشراسة على فكه.
علا وجه الكونت احتقان أسود، فنظر للإمبراطور مباشرة وتكلم - عن قصد - دون أي انفعال: "لقد كنا أصدقاء يا جلالة الإمبراطور. ما أقوم به الآن نابع عن الصداقة. وسأنسى ضربتك لي"
تنحنح بولس وقال: "كنا نتحدث عن العرش، جلالتك"
استدار الإمبراطور بسرعة وحدق في بولس ثم صاح: "أنا من يجلس على العرش!"
قال بولس: "سيكون لك عرش على سالوسا سيكوندس"
صاح الإمبراطور: "لقد وضعت أسلحتي وأتيت هنا بناء على كلمة شرف منك! أتجرؤ على تهديد..."
قال بولس: "إن حياتك آمنة في حضرتي. فأحد آل أتريديز هو من وعد بهذا. أما المؤدب فيحكم عليك بالبقاء في كوكبك السجني. لكن لا تخف يا جلالة الإمبراطور. فسأقلل قسوة بيئة المكان بكل السلطات التي ستكون تحت يدي. سيصبح بستانا كوكبيا، مليئا بالأشياء الرقيقة"
وبينما أخذ المغزى الخفي لكلمات بولس ينمو في ذهن الإمبراطور نظر عبر القاعة لبولس وقال متهكما: "والآن رأينا الدوافع الحقيقية"

قال بولس: "فعلا"
قال الإمبراطور: "وماذا عن أراكس؟ كوكب بستاني آخر مليء بالأشياء الرقيقة؟"
قال بولس: "إن المؤدب قد أعطى كلمته للفريمن. ستوجد هنا مياه متدفقة مفتوحة للسماء، وواحات خضراء غنية بالطيبات. لكن علينا التفكير في البهار أيضا. ولهذا ستظل هناك مناطق صحراوية على أراكس دائما.. ورياح عنيفة، ومِحن كي يخشوشن الرجال. فنحن الفريمن عندنا حكمة تقول: 'خلق الرب أراكس بهدف تدريب المؤمنين'. ولا يمكن للمرء أن يعارض كلام الرب"
الكاهنة العجوز، كاشفة الأكاذيب، السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم، كانت لها الآن نظرتها الخاصة فيما يتعلق بالمغزى الخفي لكلمات بولس. رأت الجهاد في لمحة، فقالت: "لا تطلق هؤلاء القوم على الكون ليهاجموه!"
قال بولس بنبرة قاطعة: "ستترحمين على أيام وأساليب الساردوكار الرقيقة!"
همست: "لا يمكنك"
قال بولس: "إنك كاشفة للأكاذيب.. فافحصي حقيقة كلماتك"
ثم ألقى نظرة على الأميرة الملكية وعاد ببصره للإمبراطور: "من الأفضل أن ننتهي من الأمر سريعا، جلالتك"
التفت الإمبراطور لابنته بنظرة مصدومة، فمست ذراعه وتكلمت بصوت مهدئ: "لهذا الأمر تم تدريبي يا أبي"
أخذ نفسا عميقا.
غمغمت الكاهنة العجوز: "ليس بمقدورك أن توقف هذا الأمر"
شد الإمبراطور قامته، ووقف متصلبا في مظهره السابق الوقور الذي يتذكره وقال: "من سيتفاوض باسمك يا قريبي؟"
استدار بولس فرأى أمه، وعيناها مثقلتين، تقف مع شاني وسط فرقة من الحرس الفدائيين. اقترب منهم ووقف ناظرا لشاني.
همست شاني: "إني أعرف الأسباب. أصول، إن كان لا مفر..."
لمس بولس وجنتها عندما سمع في صوتها العَبرات المخفية، وهمس: "لا ينبغي أن تخشى حبيبتي سهايا شيئا أبدا"
أنزل ذراعه ووقف في مواجهة أمه: "أنت من سيفاوض باسمي يا أمي. وشاني بجانبك. إنها تتمتع بحكمة وبعينين فاحصتين. وإنها لمقولة صادقة فعلا التي تقول أنه لا يفاوض أحد أفضل من الفريمي. ستنظر عبر عيني حبها لي وفي بالها مصلحة أبناءها المستقبليين وما سيحتاجونه. استمعي لها"
أحست جيسيكا بالحسابات الباردة في عقل ابنها، فكتمت رعدة وقالت: "ما تعليماتك؟"
قال: "حصة الإمبراطور الكاملة في شركة شوم، تقدم لي كدوطة زواج"
"كاملة؟"، وكانت مصدومة بحيث كادت تعجز عن الكلام.
"وأن تنزع عنه أملاكه. ولجيرني هاليك سأريد رتبة إيرل وحصة أسهم في شوم، وأن يكون إقطاع كالادان له. ولكل تابع أتريدي بقي على قيد الحياة ستكون هناك ألقاب وسلطات، دون استثناء حتى أقل الجنود مكانة"
قالت جيسيكا: "وماذا عن الفريمن؟"
قال بولس: "إن الفريمن لي. ما سيتلقونه هو ما سيقوم المؤدب بتوزيعه عليهم. وأول هذا هو تعيين ستيلجار كحاكم أراكس، لكن هذه الأمور يمكن أن تنتظر"
قالت جيسيكا: "وأنا؟"
"أهناك شيء معين ترغبين فيه؟"

قالت وهي تنظر لجيرني: "ربما كالادان. لست متأكدة. لقد أصبحت فريمنية بدرجة كبيرة.. وسيدتهم الموقرة. أحتاج وقتا هادئا وساكنا كي أفكر"

قال بولس: "لك هذا. وكل ما يمكن لي ولجيرني أن نعطيه لك"

أومأت جيسيكا، وقد أحست فجأة بأنها مسنة ومرهقة. نظرت لشاني.

"وماذا للمحظية الملكية؟"

همست شاني: "لا أريد ألقابا ولا أي شيء. أتوسل إليك"

حدق بولس في عينيها، متذكرا فجأة منظرها وهي تحمل ليتو الصغير على ذراعيها.. طفلهما الذي صار ميتا الآن كنتيجة لهذا العنف.

همس: "أقسم لك الآن أنك لن تكوني بحاجة لأي لقب. إن تلك المرأة الواقفة هناك ستصير زوجتي وأنت مجرد محظية بسبب السياسة، ولأنه علينا أن نعقد عرى السلام من هذه اللحظة، وأن تنضم لنا أسر كبار النبلاء المكونة لمجلس اللاندسراد. يجب أن نراعي القواعد المتبعة. لكن هذه الأميرة لن تحصل مني سوى على الاسم. لا طفل مني، ولا لمسة، ولا نظرة حانية، ولا لحظة شهوة"

قالت شاني: "هذا ما تقوله الآن"، ونظرت عبر القاعة إلى الأميرة الفارعة.

همست جيسيكا: "ألا تعرفين طبع ابني جيدا؟ انظري لهذه الأميرة الواقفة هناك في شمم وثقة بالنفس. يقال أن لها تطلعات أدبية. فلنأمل أن تجد العزاء في مثل هذه الأمور، إذ لن يكون عندها غيرها"

وفلتت من جيسيكا ضحكة مريرة: "فكري في الأمر يا شاني.. سيكون لهذه الأميرة الاسم، لكنها ستعيش كأقل من المحظيات.. دون أن تشعر بلحظة رقة واحدة من الرجل الذي ارتبطت به. أما نحن يا شاني - من يقال لنا محظيات - فسيسمينا التاريخ زوجات"

الملاحق

ملحق 1: بيئة كثيب

"عند تجاوز نقطة حرجة معينة في مكان محدود فإن الحرية تتضاءل مع تزايد العدد. ينطبق هذا بنفس الدرجة سواء على بشر موجودين داخل مساحة نظام بيئي كوكبي محدودة أو على جزيئات غاز داخل دورق مغلق. وليس السؤال البشري هو: ما عدد المتوقع بقاؤهم أحياء داخل هذا النظام، بل: ما نوع الحياة الذي سيعيشه من سيبقون أحياء"

باردوت كاينز، الخبير الكوكبي الأول على أراكس

=====

في العادة يكون التأثير الذي يتركه أراكس على ذهن الوافد هو أنه أرض قاحلة بشكلٍ طاغٍ. وقد يظن الغريب استحالة أن يحيا أو ينمو في صحراء هذا المكان أي شيء، وأنها أرض قفر بحق، لم تكن خصبة أبدا ولن تصبح خصبة أبدا.
أما في نظر باردوت كاينز فلم يكن الكوكب سوى تعبير عن الطاقة.. آلة تحركها شمسها. وأن ما يحتاجه الكوكب هو إعادة تشكيله كي يتواءم مع احتياجات الإنسان.
اتجه عقله مباشرة للقطاع السكاني المتنقل بحرية.. الفريمن.
يا له من تحدي! بإمكانهم أن يصبحوا أداة ممتازة! فالفريمن قوة بيئية وجيولوجية تتمتع بإمكانات محتملة لا حد لها.
كان باردوت كاينز في المجمل رجلا بسيطا ومباشرا. على المرء أن يتلص من قيود الهاركونن؟ جميل. فليتزوج إذن امرأة فريمنية. وعندما تنجب لك ابنا فريمنيا فإنك تبدأ به، بـ ليات-كاينز وباقي الأطفال، فتثقفهم بيئيا، وتبتكر لغة جديدة برموز تسلح العقل بحيث يقدر على التلاعب بتضاريس كاملة، وبمناخها، وبحدودها الموسمية، وفي النهاية يخترق أفكار القوة كلها ويصل للإدراك المبهر لفكرة الترتيب.
قال كاينز: "على كل كوكب صالح للبشر يوجد جمال في الحركة والتوازن يمكن إدراكه داخليا. في هذا الجمال بإمكانك أن ترى تأثيرا تثبيتيا ديناميكيا، ضروريا لكل الكائنات الحية. هدفه بسيط: إنتاج - والحفاظ على - أنماط منسقة يزيد تنوعها بالتدريج. فالحياة تحسّن من قدرة النظام المغلق على تحمّل الحياة. فالحياة - كل أنواع الحياة - هي في خدمة الحياة. فالمواد الغذائية الضرورية توفرها الحياة للحياة، وتتزايد وفرتها مع تزايد تنوع الحياة. تنتعش البيئة كلها بالحياة، وتمتلئ بعلاقات، وبعلاقات داخل العلاقات"
كان هذا كلام باردوت كاينز وهو يلقى محاضرة في فصل دراسي بأحد السياتشات السكانية.
لكن قبل المحاضرات كان عليه إقناع الفريمن. ولتفهم كيف حدث هذا عليك أولا أن تدرك ما كان يتعامل به مع أي مشكلة من براءة وتركيز تام على الهدف. لم يكن ساذجا، كل ما في الأمر هو أنه لم يكن يسمح لنفسه بأي مشتتات ذهنية.
كان يستكشف تضاريس أراكس في فترة أصيل حارة، راكبا سيارة فردية، عندما تعثر في مشهد بائس شائع. كان ستة من القتلة الهاركونيين - شاكي أسلحتهم ومدرعين - قد حاصروا 3 شباب من الفريمن في مكان مفتوح يقع وراء الجدار الجبلي قرب قرية ويندساك. في نظر كاينز كانت المعركة هزلية، تمثيل كوميدي لا حقيقة فعلية، إلى أن انتبه إلى أن الهاركونن ينوون قتل الفريمن. عند هذه النقطة كان أحد الشباب قد سقط وشريانه مقطوع، واثنان من القتلة قد سقطوا أيضا، لكن

ما بقي كان لا يزال عبارة عن 4 رجال مسلحين ضد اثنين من المراهقين.
لم يكن شجاعا، كل ما في الأمر هو تمتعه بالحذر وبتركيز تام على أهدافه. لقد كان الهاركونن يقتلون فريمن. كانوا يدمرون الأدوات التي ينوي إعادة تشكيل الكوكب بها!
قام بتشغيل درعه وخاض المعركة فقتل اثنين من الهاركونن بنصل المراوغة قبل أن يدركوا وجوده خلفهما. تحاشى طعنة سيف أحد الاثنين الباقين، وذبح عنق الرجل بحركة Entrisseur متداخلة متقنة، تاركا القاتل الباقي للشابين الفريمنيين، وصب انتباهه كله على إنقاذ الفتى الملقى أرضا.
وفعلا أنقذ الفتى بينما يتم التخلص من الهاركوني السادس.
وهنا ظهرت المعضلة[26]! فلم يعرف الفريمن ماذا سيفعلون مع كاينز.
بالطبع كانوا يعلمون من هو، إذ لا يصل شخص لأراكس دون أن يصل لحصون الفريمن ملف كامل عنه. كانوا يعرفونه: إنه موظف عند الإمبراطور.
لكنه قتل هاركونن!
لو حدث الموقف لكبار بالغين لكانوا هزوا أكتافهم و - بشيء من الندم - أرسلوا روحه لتنضم لأرواح القتلى الستة الساقطين أرضا. لكن هؤلاء الفريمن كانوا شبابا قليلي الخبرة، وكل ما خطر لهم هو أنهم مدينون لهذا الموظف الإمبراطوري بحياتهم.
انتهى الأمر بأن وصل كاينز بعد يومين لسياتش يطل على ممر الريح. بدا له الأمر طبيعيا للغاية. كلّم الفريمن عن الماء، وعن الكثبان التي يثبتها العشب في مكانها، وعن مزارع نخيل مليئة بنخيل التمر، وعن قنوات مائية مفتوحة تتدفق في الصحراء. تكلم وتكلم وتكلم.
كان يثور من حول كاينز جدال لم يره. ماذا سنفعل بهذا المجنون؟ لقد أصبح يعلم مكان سياتش رئيسي. ماذا سنفعل؟
- ماذا عن كلماته.. كلامه المجنون عن جنة على أراكس؟
- مجرد كلام. لقد أصبح يعلم أكثر من اللازم.
- لكنه قتل هاركونن! وماذا عن عبء الماء الذي أثقلنا به؟
- ومنذ متى كنا ندين للإمبراطور بأي شيء؟
- لقد قتل هاركونن.
- باستطاعة أي شخص أن يقتل هاركونن. أنا نفسي فعلتها في السابق.
- لكن ماذا عن هذا الكلام المتعلق بازدهار أراكس؟
- الجواب بسيط: أين الماء اللازم لشيء كهذا؟
- يقول أنه متوفر هنا! بالإضافة إلى أنه أنقذ ثلاثة منا.
- لقد أنقذ 3 من الحمقى وضعوا أنفسهم في طريق قبضة الهاركونن! ثم أنه قد رأى سكاكين الكريسنايف!
كان القرار الضروري معلوما بالفعل قبل التفوه به بساعات. فالـ 'طاو' الذي يجمع السياتش يخبر أعضاءه بما عليهم فعله.. حتى أقسى الضرورات معروف. تم إرسال مقاتل متمرس ومعه سكين مكرّس للقيام بالمهمة. تبعه رجلان من حفظة الماء للحصول على الماء من الجثة.
ضرورة قاسية.
من المشكوك فيه أن يكون كاينز قد انتبه أصلا لمن ينوي إعدامه. كان يتكلم لمجموعة انتشرت حوله على مسافة حذرة. كان

26 في الأصل: Kettle of Sandtrout تعبير مقتبس من تعبير مشابه في الإنجليزية Kettle of Fish، يعني معضلة أو مأزق. (المترجم)

يسير أثناء الكلام، في دائرة صغيرة، مشيرا بيده. تكلم كاينز عن مسطحات مائية مفتوحة.. السير في العراء دون بذلات تقطير.. ماء متوفر في برك للانغماس فيه! برتقال!
واجهه حامل السكين.
قال كاينز: "تنحَ جانبا"، واستمر يتكلم عن مصائد رياح سرية. مر متجاوزا الرجل فصار ظهر كاينز مكشوفا مهيئا لتلقي الضربة الشعائرية.
لا يمكن اليوم أن نعرف ما الذي دار بذهن هذا الرجل المكلف بمهمة الإعدام. هل أصغى لكاينز وآمن بكلامه؟ من يدري؟ لكن ما فعله مسجل. كان اسمه أوليات Uliet، أي 'ليات الأكبر'. مشى أوليات ثلاث خطوات وهوى عمدا على سكينه، فـ "تنحى" فعلا.
انتحار؟ يقول البعض أن شي-خلود هو من دفعه لهذا.
يا له من فأل!
وبدءا من هذه اللحظة كان كل ما على كاينز فعله هو أن يشير قائلا: "اذهبوا إلى هناك"، فتذهب قبائل فريمنية كاملة.
مات رجال، وماتت نساء، ومات أطفال. لكنهم ذهبوا.
عاد كاينز لمهام وظيفته الإمبراطورية، مديرا لمحطات الاختبار البيولوجية. وبدأ الفريمن يظهرون ضمن أطقم المحطات. نظر الفريمن لبعضهم البعض. لقد كانوا يخترقون "النظام".. احتمالية لم ترد على خاطرهم أبدا. بدأت أدوات المحطة تجد طريقها للسياتشات السكانية.. خصوصا المشارط الشعاعية التي استخدمت في حفر أحواض تجميعية تحت الأرض ومصائد رياح مخفية.
وبدأ الماء يتجمع في الأحواض.
اتضح للفريمن أن كاينز لم يكن مجنونا بشكل كامل، بل به مجرد قدر صغير من الجنون يجعله مقدسا. كان واحدا من الأمة Umma، إخوة الأنبياء. رُفعت روح أوليات لمصاف القديسين.. لعرش القضاة السماويين.
كان كاينز - المتصف بالتفكير المباشر والتصميم الشديد - يعلم أن الأبحاث المنظمة بشكل مبالغ فيه لن تنتج شيئا جديدا إطلاقا. فأنشأ وحدات تجريب صغيرة تتبادل البيانات بشكل دوري، لإحداث تأثير تانزلي Tansley سريع، وترك كل مجموعة تسير في مسارها الخاص. كان عليهم أن يراكموا ملايين الحقائق الصغيرة جدا. ولم ينظم إلا اختبارات معزولة، خاطفة ومبدئية، كي تتضح الصعوبات التي تواجههم.
على امتداد الفلاة أُخذت عينات لعمق التربة. وتم رسم خرائط لتوضيح فترات الطقس الطويلة المسماة مناخ.
وجد أنه في منطقة الحزام العريض المحدودة بين خطي الـ 70 درجة الشمالي والجنوبي لم تخرج الحرارة - طوال آلاف السنين - عن نطاق الـ 254-332 درجة مطلقة. وأن لهذا الحزام مواسم إنماء طويلة تتراوح خلالها الحرارة بين 284 و 302 درجة مطلقة: أي "المدى الذهبي" الملائم للكائنات الحية المستوطَنة Terraform.. فور أن يتمكنوا من حل مشكلة المياه.
سأله الفريمن: ومتى سنحلها؟ متى سنرى أراكس جنة؟
أخبرهم كاينز وكأنه مدرس يجيب طفلا سأله عن حاصل جمع 2 و 2: "من 300 إلى 500 سنة"
أي قوم أضعف منهم كانوا سيولولون في رعب. لكن الفريمن تعلموا الصبر على يد رجال يمسكون بالسياط. كانت الفترة أطول قليلا عما توقعوه، لكن كان بإمكانهم جميعا رؤية أن اليوم الموعود سيأتي. شدوا أوشحتهم وعادوا للعمل. وبطريقةٍ ما فإن خيبة الأمل جعلت إمكانية تحقق الجنة واقعية أكثر.
لم يكن الماء هو المشكلة على أراكس، بل الرطوبة. كانت الحيوانات الأليفة منعدمة تقريبا، والمواشي نادرة. وظّف بعض

المهربين حمار الصحراء المستأنس، الكولون، لكن ثمن الماء كان مرتفعا حتى بعد تغطية الحيوان ببذلات تقطير معدلة.
فكر كاينز في إنشاء مصانع اختزال لاستعادة الماء من الهيدروجين والأكسجين المخزنين في الصخور الطبيعية، لكن كلفة الطاقة كانت عالية للغاية. القمتان القطبيتان (بغض النظر عما يمنحاه للسكان الكادحين من إحساس مزيف بوجود أمان مائي) كان ما بهما من ماء يقل كثيرا عن احتياجات مشروعه.. وكانت الظنون قد بدأت تساوره بالفعل عن المكان الحقيقي لوجود الماء.
فعند الارتفاعات الوسطى كان هناك تزايد للرطوبة بمعدل ثابت، وفي رياح معينة. وهناك ذلك المفتاح الرئيسي للغز، موجود في توازن الهواء: 23% أكسجين، 75.4% نيتروجين، 0.023% ثاني أكسيد الكربون.. والباقي غازات ضئيلة أخرى.
كانت هناك نبتة محلية جذرية نادرة تنمو فوق مستوى الـ 2500 متر في الإقليم الشمالي المعتدل. درنة طولها متران تحوي نصف لتر ماء. وبالإضافة لذلك توجد النباتات الصحراوية التي تم توطينها: القوية منها بدت عليها ملامح ازدهار إن تم زرعها في منخفضات مبطنة بمكثفات الندى.
ثم رأى كاينز الغور الملحي.
انحرفت طائرته الثوبتر عن مسارها بسبب عاصفة عندما كان يطير في رحلة بين محطتين في عمق الفلاة. عندما هدأت العاصفة ظهر الغور.. منخفض هائل، بيضاوي الشكل، محور طوله يقترب من الـ 300 كيلو متر. مفاجأة بيضاء لامعة في الصحراء المفتوحة. هبط كاينز، وتذوق سطح الغور الذي مسحته العاصفة.
ملح. عندها تيقن. كان هناك مسطح مائي مفتوح على أراكس.. فيما مضى.
شرع في إعادة فحص أدلة الآبار الجافة التي ظهر بها تدفق مائي هزيل ثم اختفى دون أن يعود أبدا مرة أخرى.
حث كاينز الفريمن - المدرَّبين حديثا كـ ليمنولوجيين (دارسي المياه العذبة) - على أن يبدؤوا العمل. مفتاحهم الأساسي المرشد هو بقايا لمادة جلدية توجد أحيانا ضمن كتلة البهار بعد الهبة الانفجارية. كان هذا يُعزى لـ "سمكة رمال Sandtrout" خيالية في قصص الفولكلور الفريمني. ومع نمو الحقائق وتحولها لأدلة برز مخلوق يفسر هذه البقايا الجلدية.. كائن سابح في الرمال يحجز المياه في جيوب خصبة داخل الطبقات السفلى المسامية تحت خط الـ 280 درجة مطلقة.
يموت "سارقو الماء" هؤلاء بالملايين مع كل هبّة بهار انفجارية. مجرد تغير الحرارة بمقدار 5 درجات بإمكانه أن يقتلهم. القلة التي تنجو تدخل في بيات حوصلي شبه خامل ثم تخرج بعد 6 سنوات كدودة رمال صغيرة (طولها 3 أمتار تقريبا). ومن ضمن هؤلاء لا تنجح سوى قلة في تجنب إخوانهم الكبار وجيوب البهار الأوّلي المائية، ثم تصل لطور النضج وتصبح شي-خلود عملاق. (الماء سام لشي-خلود كما كان يعلم الفريمن منذ زمن طويل عن طريق إغراق نوع الديدان القزمة النادرة الموجودة في منطقة العرق الأصغر كي ينتجوا عقار الطيف الإدراكي المخدر الذي يطلقون عليه اسم ماء الحياة. الدودة القزمة هي نوع بدائي من شي-خلود لا يزيد طوله عن 9 أمتار)
والآن فهموا العلاقة الدائرية: ديدان الصانع الصغيرة إلى كتلة البهار الأولي.. ديدان الصانع الصغيرة إلى شي-خلود.. شي-خلود ينثر البهار الذي يتغذى عليه مخلوقات ميكروسكوبية تسمى العوالق الرملية Plankton.. العوالق الرملية غذاء لشي-خلود، وتنمو وتحفر وتصبح ديدان صانع صغيرة.
نقل كاينز ورجاله انتباههم بعيدا عن هذه العلاقات الكبرى وبدؤوا يركزون على النظام البيئي الصغير. في البداية، المناخ. يصل سطح الرمال غالبا لدرجات حرارة من 344 إلى 350 درجة مطلقة. بالانخفاض لمسافة قدم تحت الأرض يمكن أن تقل الحرارة بمقدار 55 درجة. فوق السطح بقدم تقل الحرارة بمقدار 25 درجة. أوراق النبات أو مناطق الظل يمكن أن تتيح تبريدا إضافيا يصل لـ 18 درجة.

بعد هذا، المواد الغذائية. رمال أراكس في أغلبها نتاج هضم الديدان.. الغبار (المشكلة الحقيقية الموجودة بكل مكان) ينتج عن الزحف السطحي المستمر، حركة "التمليح" الرملية. توجد الحبات الخشنة في جوانب الكثبان البعيدة عن مسار الريح. الجوانب المواجهة لمهب الريح تصبح مضغوطة بشكل ناعم وصلبة. الكثبان القديمة صفراء (متأكسدة)، الكثبان الحديثة تكون بلون صخورها الأم.. غالبا رمادية. الجوانب البعيدة عن مهب الريح في الكثبان القديمة أصبحت مساحات الزراعة الأولى. كان هدف الفريمن الأول هو دورة حياتية للعشب فقير الماء ذي الأهداب الشعيرية الشبيهة بالحُث كي يتخلل ويكسو ويثبّت الكثبان عن طريق حرمان الريح من أكبر أسلحتها: حبات الرمال القابلة للحركة.

تم تخطيط مناطق متكيفة في عمق الجنوب، بعيدا عن المراقبين الهاركونن. الأعشاب المتحولة بالطفرة، قليلة الحاجة للمياه، زُرعت أولا على طول الجوانب البعيدة عن مهب الريح في كثبان مختارة تقف في مسار الرياح الغربية السائدة. عند تثبيت الجانب البعيد عن الريح فإن الجانب المواجه للريح يزداد طوله أكثر وأكثر، فيتم نقل العشب لمسايرة هذا. وبهذه الطريقة نتجت Sifs عملاقة (أي: كثبان طويلة ذات قمم متعرجة) يزيد طولها عن الـ 1500 متر. عندما تصل الكثبان الحاجزة ارتفاعات كافية فإن الجوانب المواجهة للريح يتم زرعها بأعشاب سيفية أقوى. تم ترسيخ و"تثبيت" كل بناء يقف على قاعدة سمكها أكبر 6 مرات من ارتفاعها.

ثم بدؤوا زراعات أعمق: النبتات سريعة الزوال (كبداية: نبتة رِجل الإوز، عشبة سالف العروس، نبتة القطيفة). ثم الوزّال المعيق، والترمس الواطئ، وعريشة الأوكالبتس (النوع المتكيف مع الحياة على مناطق كالادان الشمالية)، وشجرة الطرفاء القزمة، والصنوبر المسنود. ثم النباتات الصحراوية الفعلية: الكانديلا، الساجوارو، بيس-ناجا، الصبار البرميلي.

وحيثما أمكن قاموا بزراعة مريمية الجمل، العشب البصلي، عشب جوبي الريشي، نبتة الفِصة البرية، شجيرة الحمار، فيربينا الرمال، زهرة بريمروز المساء، شجيرة البخور، شجرة الدخان، الشجيرة الزيتية.

وعندها انتقلوا للحياة الحيوانية الضرورية.. المخلوقات الحفارة التي ستفتح التربة وتقوم بتهويتها: الثعلب القطي، الفأر الكنغري، الأرنب الصحراوي، سلحفاة الرمال.. والحيوانات المفترسة اللازمة لإبقاء عددها محكوما: صقر الصحراء، البومة القزمة، النسر، بومة الصحراء.. وحشرات لتملأ المواضع التي يصعب على هؤلاء الوصول إليها: العقرب، الحريش (أُم 44)، العنكبوت البابي، الزنبور القارص، ذبابة الدود.. ثم خفاش الصحراء كي يتحكم في أعداد هذه الحشرات.

وعندها جاءت مرحلة الاختبار الحاسم: نخيل تمر، قطن، شمام، قهوة، أعشاب طبية.. أكثر من 200 نبتة غذائية يجب اختبارها وتكييفها.

قال كاينز: "ما لا يدركه المصابون بالأمية البيئية عن النظام البيئي هو أنه نظام. نظام! والنظم تحتفظ باستقرار انسيابي معين يمكن تدميره بخطوة واحدة خاطئة في أحد المواضع. فالنظام له ترتيب، وتدفق من نقطة لنقطة. لو قام شيء ما بسد مسار هذا التدفق فإن الترتيب ينهار. يمكن لغير المتمرس أن يفوته الانتباه لهذا الانهيار إلى أن يتأخر الوقت جدا. ولهذا فإن أهم وظائف علم البيئة هي فهم العواقب المترتبة على الأفعال"

هل نجحوا في تحقيق نظام؟

ترقب كاينز وقومه، وانتظروا. فهم الفريمن الآن ما كان يعنيه عندما جعل توقعه مفتوحا بحيث يمتد لـ 500 سنة.

وصل تقرير من مزارع النخيل: عند الحواف الصحراوية للمزارع تتسمم العوالق الرملية عند تفاعلها مع أشكال الحياة الجديدة. السبب: عدم توافق بروتيني. تتكون في تلك المناطق مياه سامة ترفض الحياة الأراكسية أن تمسها. أحاطت بالمزارع منطقة قاحلة.. حتى شي-خلود لا يقتحمها.

ذهب كاينز لمزارع النخيل بنفسه.. رحلة طولها 20 دقاق (في محفة، وكأنه جريح أو سيدة موقرة، إذ لم يصبح "راكب

رمال" أبدا). اختبر المنطقة القاحلة (والتي تعالت منها رائحة عفنة) وخرج بعلاوة إضافية.. هدية من أراكس.
إضافة الكبريت والنيتروجين المثبَّت حوّلت المنطقة القاحلة لتربة زراعية غنية صالحة للحياة المستوطنة. يمكن توسيع المزارع حسب الرغبة!
سأله الفريمن: "هل يغيّر هذا من التحديد الزمني؟"
رجع كاينز لمعادلاته الكوكبية. في تلك المرحلة كانت أرقام مصائد الرياح معلومة بشكل جيد. كان سخيا في أرقامه التقريبية، لعلمه أنه ليس بالإمكان إحاطة المسائل البيئية بخطوط أنيقة واضحة. يجب طرح كمية معينة من الغطاء النباتي جانبا كي تستخدم لتثبيت الكثبان في أماكنها، وكمية معينة للاستخدام كمواد غذائية (للبشر والحيوانات)، وكمية معينة لحجز الرطوبة في أنظمة الجذور ولمد المياه للمناطق الجافة المحيطة.
وفي تلك الفترة كانوا قد حددوا مواقع المناطق الباردة المتجولة في الفلاة المفتوحة. يلزم عمل حساب لهذا في المعادلات.
حتى شي-خلود كان له مكان في الحسابات. لا يجب تدميره أبدا، وإلا نفدت ثروة البهار. بالإضافة إلى أن مصنعه الهضمي الداخلي - بتركيزه العالي من الألدهايدات والأحماض - كان مصدرا هائلا للأكسجين. فالدودة المتوسطة (بطول 200 متر تقريبا) تضخ في الغلاف الجوي من الأكسجين ما يعادل 10 كيلو متر مربع من المسطحات الخضراء النامية التي تقوم بعملية تمثيل ضوئي.
وكان عليه أخذ النقابة في الاعتبار. فرشاوي البهار المقدمة للنقابة مقابل منع أقمار الطقس الصناعية ووسائل المراقبة الأخرى من الوجود في سماء أراكس كانت قد وصلت بالفعل مقادير ضخمة.
ولا يمكن تجاهل الفريمن أيضا. خصوصا الفريمن.. بمصائد رياحهم وتوزيعهم غير المنتظم لملكية الأرض حول مصادر المياه.. الفريمن بثقافتهم البيئية الجديدة وبحلمهم بتحويل مساحات هائلة من أراكس - عبر المرور بمرحلة مروج - إلى غطاء من الغابات.
من حساباته خرج رقم. أخبرهم كاينز به.
3 بالمئة. لو استطاعوا جعل 3% من العنصر النباتي الأخضر على أراكس يشارك في تكوين مركبات كربونية فسيحصلون على دورتهم المكتفية ذاتيا.
سأله الفريمن بإلحاح: "لكن متى؟"
"أوه، تقصدون هذا؟.. حوالي 350 سنة"
إذن ما قاله هذا 'الأُمة' في البداية كان حقيقيا.. لن يتحقق الأمر خلال حياة أي شخص يوجد على قيد الحياة حاليا، ولا في حياة 8 أجيال متعاقبة من الأحفاد.. لكنه سيتحقق.
استمر العمل: بناء، زرع، حفر، تدريب أطفال.
ثم مات "كاينز الأمة" Kynes-the-Umma في الانهيار الصخري في منطقة حوض الجص.
عندها كان ابنه ليات-كاينز في التاسعة عشرة.. فريمي كامل وراكب رمال قد قتل ما يزيد عن الـ 100 هاركوني. تمت الموافقة بشكل تلقائي على طلب التعيين الإمبراطوري الذي كان كاينز الأب قد تقدم به باسم ابنه. كان للهيكلة الصارمة للنظام الطبقي في هذه المناسبة هدفها الصحيح. إذ كان الابن مدرَّبا بحيث يخلف أباه.
وبحلول هذا الوقت كان المسار قد رُسم.. تم توجيه الفريمن البيئيين في طريقهم. كل ما كان على ليات-كاينز أن يفعله هو أن يراقب ويكز برفق، وأن يتجسس على الهاركونن.. إلى أن جاء اليوم الذي ابتُلي فيه كوكبه ببطل.

ملحق 2: الديانات

قبل مجيء المؤدّب كان فريمن أراكس يعتنقون ديانة تبدو جذورها المقتبسة من الماومِت ساري Maometh Saari واضحة لكل دارس. تتبّع الكثيرون اقتباساتها الغزيرة من الديانات الأخرى. أشهر مثال هو الترنيمة الموجهة للماء، فهي نسخ مباشر من دليل الطقوس الكاثوليكي البرتقالي، وتدعو طالبةً سحبا مطرية في حين أن أراكس لم يشهد شيئا كهذا أبدا. لكن هناك نقاط اتفاق أعمق بين كتاب العِبر الفريمني Kitab al-Ibar وتعاليم الإنجيل والعلم Ilm والفقه Fiqh.

أي مقارنة بين المعتقدات الدينية السائدة في الإمبراطورية حتى زمن ظهور المؤدب يجب أن تبدأ بالقوى الكبرى التي شكّلت هذه المعتقدات:

1 - أتباع الحكماء الـ 14، والذين كان كتابهم هو الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي Orange Catholic Bible، والذين عبروا عن وجهات نظرهم في "التفاسير" والكتابات الأخرى التي أصدرتها لجنة المترجمين المسكونية (C.E.T).

2 - البني-جيزيرت، واللاتي كن ينكرن في السر أنهن تنظيم ديني، لكن أعمالهن تتم خلف ستار من الطقوس الصوفية الباطنية لا يكاد يمكن اختراقه، وتدريبهن ورموزهن ومنظمتهن وأساليب تدريسهن الداخلية كانت دينية بصورة تكاد تكون تامة.

3 - الطبقة الحاكمة اللا-أدرية Agnostic (بما فيها النقابة) والتي نظرت للدين على أنه مسرح دمى لتسلية الشعب والإبقاء عليه خانعا، والتي كانت تؤمن في المجمل أن كل الظواهر - بما فيها الظواهر الدينية - يمكن اختزالها إلى تفسيرات ميكانيكية.

4 - ما يسمى "التعاليم القديمة"، بما في ذلك جوالة الزِن-سُني Zensunni Wanderers من الحركة الإسلامية الأولى والثانية والثالثة، ونصرانية النافا من كوكب شوسوك، وتنوعات البوذي-إسلام Buddislam كتلك السائدة في لانكفيل وسايكون، والكتب المزجية في الـ Mahayana Lankavatara، والزن هيكيجانشو على كوكب III Delta Pavonis، وزبور Zabur التوراة Tawrah والتلمود الباقيين على سالوسا سيكوندس، وطقس Obeah المنتشر، وقرآن معاذ Muadh Quran والذي ظل علمه وفقهه محفوظين بشكل نقي بين مزارعي أرز الباندي على كالادان، وتجمعات الهندوسية الصغيرة المتفرقة في الكون كله بين عمال كادحين منعزلين، وأخيرا الجهاد البتلري.

وهناك قوة خامسة شكلت المعتقدات الدينية، لكن أثرها شامل وعميق بحيث يحق لنا أن نضعها منفردة.

وهي - بلا شك - السفر الفضائي، والذي يستحق - في أي مناقشة للدين - أن يُكتب بحروف كبيرة هكذا:

السفر الفضائي!

إن حركة البشرية خلال الفضاء العميق وضعت بصمة مميزة على الدين خلال الـ 110 قرن السابقة على الجهاد البتلري. ففي البداية كان السفر الفضائي - على الرغم من انتشاره - غير منظم في المجمل، وبطيئا، ومحفوفا بالمخاطر، وقبل احتكار النقابة للسفر الفضائي كان يتم عن طريق خليط غير متجانس من الأساليب. وكانت الخبرات الفضائية الأولى - والتي تم نقل أخبارها بصورة رديئة وأصبحت عرضة للتحريف الشديد - مثيرا خصبا للتأملات الباطنية.

وعلى الفور أعطى الفضاء للأفكار المتعلقة بالخلق نكهة وإحساسا مختلفين. بل ويمكن رؤية هذا الاختلاف في أكبر الإنجازات الدينية لتلك الفترة. فعبر أجزاء الدين كلها مست الظلمة الخارجية الأحاسيس المقدسة بشيء من الفوضوية.

أصبح الأمر وكأن جوبيتر - وكل صوره المقتبسة عنه فيما بعد - قد تراجع إلى داخل الظلام الأمومي وطغى عليه فيض أنثوي مملوء بالغموض ووجهه كثير الإرعاب.

تشابكت الصيغ القديمة وانعقدت مع بعضها البعض بينما يتم توفيقها مع احتياجات الفتوح الجديدة ورموز الحكم الجديدة.

كان عصر صراع بين شياطين وحشية في جانب وصلوات وابتهالات في الجانب الآخر. ولم ينته الأمر لقرار نهائي واضح.
وخلال تلك الفترة يقال أن سِفر التكوين أعيد تفسيره بحيث يجعل الرب يقول:
"أثمروا وتكاثروا واملؤوا 'الكون' وأخضعوه، وتسلطوا على كل الحيوانات الغريبة والكائنات الحية في الأجواء اللامحدودة، والأرضين اللامحدودة، وتحتها"[27]
كان عصر ساحرات قوتهن حقيقية. ودليل قوتهن واضح في حقيقة أنهن لم يتفاخرن أبدا بقبضهن على الجمر.
ثم جاء الجهاد البتلري.. فوضى استمرت جيلين. انهزم إله المنطق الآلي في نظر العامة، وصعد مفهوم جديد:
"لا يجب استبدال الإنسان"
كان عنف هذين الجيلين وقفة مِهادية لكل البشرية. نظر البشر لآلهتهم وطقوسهم فرأوا أنهما مملوءان بأفظع المعادلات: سيادة الخوف على الطموح.
وفي تردد بدأت قيادات الأديان التي سفك أتباعها دماء المليارات تتقابل لتبادل وجهات النظر. كانت خطوة بتشجيع من نقابة الفضاء - التي كانت قد شرعت في تأسيس احتكارها لكل رحلات السفر بين النجوم - وبتشجيع من طائفة البني-جيزيرت التي كانت تجمّع الساحرات في عصبة واحدة.
ومن تلك الاجتماعات التوفيقية الأولى صدر تطوران رئيسيان:
1 - إدراك أن كل الأديان تشترك في وصية واحدة على الأقل: "لا تشوّه الروح"
2 - لجنة المترجمين المسكونية Commission of Ecumenical Translators
انعقدت لقاءات الـ C.E.T على جزيرة محايدة تقع على كوكب الأرض القديم، المصدر الأصلي للديانات الأم. التقوا متفقين على أنه هناك "جوهر إلهي في الكون". كان هناك ممثل لكل دين يفوق عدد أتباعه المليون، وفي سرعة مدهشة وصلوا لاتفاق على نص هدفهم المشترك:
"اجتمعنا هنا لنزع سلاح رئيسي من أيدي الأديان المتنازعة. هذا السلاح هو زعم امتلاك الوحي الوحيد والحقيقي"
ثم اتضح أن الابتهاج بـ "علامة الاتفاق العميق" هذه قد جاء قبل أوانه بكثير. فلمدة سنة قياسية كاملة كان هذا التصريح هو الشيء الوحيد الذي صدر عن اللجنة. بدأ الناس يذكرون التأخير بمرارة. قام الشعراء المغنون بتأليف أغاني ذكية وساخرة عن الـ 121 "كرانك عجوز معتوه"، إذ أصبح هذا هو لقب المندوبين الشائع. (جاء اللقب من مزحة بذيئة لعبت على الحروف الأولى لـ C.E.T ووصفت المندوبين بأنهم Cranks-Effing-Turners "ملاعين يلفّون أذرع الكرانكات[28]"). إحدى الأغنيات، والتي اسمها "الاسترخاء بني اللون"، يتم إحياءها كل فترة، بل ولا زالت شهيرة حتى اليوم:
"تأمل أكاليل الزهور
والاسترخاء البني
مأساة كل هؤلاء الـ
كرانكات المهاويس
كل هؤلاء الكرانكات!
كسالى.. كسالى جدا
طيلة عمركم

27 إشارة لسفر التكوين، الإصحاح 1، العدد 28 (المترجم)
28 الكرانك: ذراع التدوير. يشير الوصف لصعوبة الدوران وتأخر اللجنة. (المترجم)

لقد قرع الزمن ناقوسه
يا سيدي اللورد ساندوتش!"
تسربت - من وقت لآخر - شائعات من جلسات الـ C.E.T. قيل أنهم يقارنون نصوصهم، و - في تصرف متهور - تسربت أسماء هذه النصوص. مثل هذه الشائعات أدت بصورة حتمية لأعمال شغب معارضة للتوفيق المسكوني، وكما هو متوقع أيضا كان هذا مصدر إلهام لمزح جديدة.
مرت سنتان.. ثلاثة.
توقف أعضاء اللجنة لبرهة كي يقوموا بمراسم ترسيم بعض الأعضاء البدلاء (حيث أن 9 من العدد الأصلي كانوا قد ماتوا)، وأعلنوا أنهم يعملون جاهدين على تأليف كتاب واحد، حاذفين كل "الأعراض المَرَضية" من الماضي الديني.
قالوا: "إننا ننتج أداة حب سيمكن عزفها بكل الطرق"
يستغرب البعض أن هذا التصريح أثار أسوأ موجة عنف ضد اللجنة المسكونية. تم استدعاء 20 مندوبا بأمر من طوائفهم. انتحر أحدهم بأن سرق فرقاطة فضائية وقادها نحو الشمس. يقدّر المؤرخون أن أعمال الشغب أدت لمقتل 80 مليون. أي حوالي 6 آلاف لكل كوكب من الكواكب المشكّلة لعصبة اللاندسراد في ذلك الوقت. وبالنظر للاضطراب الذي ساد ذلك العهد فقد لا يكون العدد مبالغا فيه، مع أن أي ادعاء بأنه دقيق يجب أن يظل هكذا.. مجرد ادعاء. فالتواصل بين الكواكب وقتها كان في أدنى مستوياته.
وبطبيعة الحال استغل الشعراء الموقف أكبر استغلال. ففي مسرحية كوميدية موسيقية مشهورة في تلك الفترة يظهر المندوبون جالسين على شاطئ ذي رمال بيضاء، تحت نخلة، يغنون:
"للرب والنساء وروعة الحب
نتوانى هنا، بلا مخاوف ولا هموم
يا شاعر! يا شاعر! اعزف لحنا آخر
للرب والنساء وروعة الحب!"
ما الشغب والكوميديا إلا أعراض لزمنها، وكاشفة لأمور عميقة. إنها تكشف النغمة السايكولوجية.. الشكوك العميقة.. والكفاح الساعي لشيء أفضل، بالإضافة للخوف من أنه سيكون بلا نتيجة.
كانت السدود الكبرى الكابحة للفوضى في ذلك العهد هي النقابة الوليدة والبني-جيزيرت واللاندسراد، والتي استمرت في عقد اجتماعاتها الدورية التي بدأت منذ 2000 سنة، على الرغم من أشد العقبات.
دور النقابة يبدو واضحا: وفروا مواصلات مجانية لكل نشاطات اللاندسراد والـ C.E.T. دور البني-جيزيرت أشد غموضا. فبلا شك أنهن أحكمن في ذلك الوقت سيطرتهن على الساحرات، واختبروا تأثيرات المخدرات الباطنية، وطوروا تدريب البرانا-بيندو وأسسوا البعثات الإرسالية الوقائية التي تعتبر ذراع الخرافات الأسود. لكنها نفس الفترة التي شهدت تأليف الاستعاذة من الخوف، وجمع الكتاب الأزهر، تلك الأعجوبة البيبليوجرافية التي تحفظ الأسرار العظمى لأقدم العقائد.
ربما ما قاله إنجزلي Ingsley هو أنسب تعليق: "كانت عصورا مليئة بالتناقضات العميقة"
كدحت لجنة C.E.T لـ 7 سنوات تقريبا. ومع اقتراب سنويتهم السابعة قاموا بتهيئة الكون البشري لتوقع إعلان هام. وفي تلك السنوية السابعة كشفوا الستار عن الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي.
قالوا: "هذا كتاب شرف ومعنى. إنه طريقة لجعل البشرية واعية بنفسها بصفتها مخلوق إلهي كامل"
وُصف رجال الـ C.E.T بأنهم أركيولوجيون ينقبون عن الأفكار، ألهمهم الرب لعظمة إعادة الاكتشاف. قيل أنهم أخرجوا

للنور حيوية الأفكار العظيمة التي غطتها رواسب القرون، وأنهم شحذوا الأوامر الأخلاقية النابعة من الضمير الديني.
مع إنجيل الـ O.C قدمت لجنة الـ C.E.T دليل الطقوس، والتفاسير، والتي تعتبر - من نواح كثيرة - عملا أكثر أهمية، لا بسبب قصرها فحسب (أقل من نصف حجم الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي) بل لصراحتها أيضا، ولمزجها بين التواضع وبين الثقة في أن الحق معها.
كانت الافتتاحية عبارة عن مناشَدة واضح أنها موجهة للحكام اللا-أدريين.
"لما لم يجد البشر إجابات على السُنن Sunnan (الـ 10 آلاف سؤال ديني الموجودة في الشريعة Shari-ah) أصبحوا يحتكمون لمنطقهم الخاص. كل البشر يسعون للفهم. وما الدين إلا أقدم وأشرف طريقة حاول البشر بها فهم كون الإله. العلماء التجريبيون يسعون لفهم مشروعية الأحداث. مهمة الدين هي ملائمة الإنسان مع هذه المشروعية"
إلا أنه في خاتمة التفاسير تبدو نبرة صارمة من المحتمل أنها تنبأت بمصيرها.
"الكثير مما سُمي دينا كان يحمل نزعة عدائية لا واعية ضد الحياة. الدين الحقيقي يجب أن يقول أن الحياة مليئة بالمتع المبهجة في نظر الرب.. أن المعرفة دون فعل هي أمر فارغ. على كل البشر أن يفهموا أن تدريس الدين بالقواعد والروتين هو - في غالبه - خدعة. ويمكن بسهولة التعرف على التعاليم الحقيقية. بإمكانك أن تعرفها لأنها تحيي فيك الإحساس الذي يخبرك أنك تعلمها بالفعل من البداية"
كان هناك إحساس غريب بالهدوء عندما بدأت المطابع وناسخات الشيجاواير تدور وانتشر الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي بين الكواكب. رأى البعض في هذا علامة من الرب.. بشارة بالاتحاد.
لكن حتى مندوبي الـ C.E.T أنفسهم كشفوا أن هذا الهدوء متوهم عندما عاد كل منهم لطائفته. ففي غضون شهرين كانت العامة قد أعدمت 18 منهم دون محاكمة، وقبل مرور سنة كان 53 منهم قد تابوا وعادوا لعقيدتهم الأولى.
اتُهم الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي بأنه كتاب أنتجه "غرور العقل". وقيل أن صفحاته ملأى باهتمام كبير بالمنطق يصيب بالإغواء. بدأت تظهر نسخ معدلة متوافقة مع التعصبات الشعبية. اعتمدت هذه النسخ المنقحة على الرمزيات المقبولة (الصليب والهلال والشخشيخة الريشية والـ 12 قديس وبوذا النحيف وما إلى ذلك) وأصبح من الواضح بعد فترة قصيرة أن الخرافات والمعتقدات القديمة لم يتم امتصاصها تحت مظلة التوفيق المسكوني الجديد.
تلقف المليارات من البشر وصف هالوواي Halloway لجهود الـ C.E.T الذي استمر سبع سنوات بأنه مذهب "الحتمية المجرّية Galactophasic Determinism" وفسروا الحروف الأولى G.D بأنها تشير لكلمة "لعنه الإله God-Damned".
رئيس لجنة الـ C.E.T، توري بوموكو، أحد علماء الدين الزن-سني وواحد من الـ 14 مندوب الذين لم يتراجعوا أبدا (والمعروفين تاريخيا بـ الحكماء الأربعة عشر) بدا أنه يعترف أخيرا بأن لجنة المترجمين المسكونية قد أخطأت. فقال:
"ما كان يجب أن نحاول خلق رموز جديدة. كان علينا أن ندرك أنه من غير المناسب أن ندخل الشكوك إلى المعتقد المتعارف عليه، ولا أن نثير الفضول حول الإله. فالبشر يواجهون يوميا عدم الاستقرار المرعب الموجود بكل الأمور البشرية لكننا نترك أدياننا تتصلب أكثر وتصبح محكومة وخانعة ومستبدة. ما هذا الظل المخيم على سبيل الأمر الإلهي؟ إنه تحذير يخبرنا أن المؤسسات تنجح في البقاء، أن الرموز تستمر حتى بعد فقدان معانيها، وأنه لا توجد خلاصة جامعة Summa لكل المعرفة المتاحة"
النبرة اللاذعة ذات الحدين المضمنة في هذا "الاعتراف" لم تفت على نقاد بوموكو، وبعدها بوقت قصير تم إجباره على الهروب للمنفى، وأصبحت حياته معتمدة على وفاء النقابة بتعهدها بالحفاظ على سرية مكانه. يقال أنه مات على كوكب توبيل، مكرما ومحبوبا، وأن كلماته الأخيرة كانت: "يجب أن يظل الدين متنفَسا لمن يقولون لأنفسهم 'لستُ صالحا بالدرجة التي

أرغب أن أكون عليها'. ولا يجب أبدا أن يخدر ويصبح جمعية تجمع الراضين عن أنفسهم"
قد يشعر المرء بالسرور عندما يخطر له أن بوموكو ربما كان فاهما لما في كلماته من نبوءة: المؤسسات تنجح في البقاء.
فبعد هذا بـ 90 جيلا صار الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي والتفاسير متخللين لكل ديانات الكون.
عندما وقف بولس-مؤدب ويده اليمنى على الضريح الصخري الذي يضم جمجمة أبيه (اليمنى الخاصة بالمباركين لا اليسرى الخاصة بالملعونين) اقتبس - كلمة بكلمة - من كتّاب ميراث بوموكو:
"إنكم - يا من انتصرتم علينا - تقولون لأنفسكم أن بابل قد سقطت وأعمالها انهارت. لكني أقول لكم أن الإنسان لا زال معروضا أمام محكمة الاختبار، كل شخص في قفص اتهامه. كل إنسان هو حرب مصغرة"
يقول الفريمن عن المؤدب أنه كان كـ أبي زيد Abu Zide الذي قامت فرقاطته بتحدي النقابة وذهبت في أحد الأيام إلى 'هناك' ثم عادت. في هذا السياق فإن كلمة "هناك" تترجم مباشرة من الميثولوجيا الفريمنية بمعنى أرض الأرواح، عالم المِثال الذي تزال فيه كل القيود.
التناظر بين هذا وبين الكويزاتس هاديراك واضح. فالكويزاتس هاديراك الذي سعت طائفة الأخوات لتكوينه عبر برنامجها التناسلي يعني اسمه 'اختصار الطريق' أو 'من بإمكانه أن يكون في مكانين في نفس الوقت'.
لكن كلا من هذين التفسيرين يتضح نبوعهما مباشرة من 'التفاسير': "عندما يصبح القانون والواجب الديني شيئا واحدا فإن ذاتيتك تطوّق الكون كله"
وقد قال المؤدب عن نفسه: "إني شبكة في بحر الزمن، حر في أن أكسح المستقبل والماضي. إني غشاء متحرك لا يمكن أن تفوته أي احتمالية"
كل هذه الأفكار متماثلة، وتعود للكلمة Kalima رقم 22 في إنجيل الـ O.C حيث يرد النص القائل: "سواء نُطقت الفكرة أم لا فإنها شيء حقيقي وله سلطة على الواقع"
ويمكن أن نرى - بوضوح أكبر - ما يدين به المؤدب للجنة المترجمين المسكونية والزن-سني الفريمني Fremen-Zensunni عندما نفحص تفاسيره المنشورة في "أعمدة الكون" والتي فسرها كهنته، مفوَّضو الكرازة Qizara Tafwid.
المؤدب: "القانون والواجب شيء واحد.. فليكن. لكن تذكّر هذه القيود.. إذ أنك بهذه الطريقة لن تصبح واعيا أبدا بشكل كامل. وستظل مغموسا في الطاو الجمعي. ستظل دائما 'أقل من شخص'"
الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: نص مطابق (في الرؤيا 61)
المؤدب: "يشارك الدين غالبا في خرافة التقدم التي تحمينا من أهوال المستقبل المجهول"
تفاسير الـ C.E.T: نص مطابق (يُرجِع الكتّاب الأزهر Azhar أصل هذا التصريح للمؤلف الديني الذي عاش في القرن الأول، نيشو Neshou، عن طريق إعادة صياغة)
المؤدب: "لو حدث أن طفلا أو شخصا غير مدرَّب أو مجنونا أثار المشاكل فهي غلطة السلطة لأنها لم تتوقع - ولا تجنبت - هذه المشاكل"
الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: "يمكن إرجاع أي معصية - على الأقل جزئيا - لنزعة طبيعية فاسدة هي ظرف تخفيفي مقبول عند الرب" (يعود الكتّاب الأزهر بأصل هذا الكلام للتوراة الساميّة القديمة)
المؤدب: "مد يدك وكل مما أعطاك الرب، وعندما تشبع احمد الإله"
إنجيل الـ O.C: صياغة أخرى لها معنى مطابق. (يرجع الكتّاب الأزهر أصل هذا الكلام - في صياغة مختلفة قليلا - للإسلام الأول)

المؤدب: "الشفقة بداية القسوة"
كتاب العِبر الفريمني: "إن وطأة الإله الشفوق مخيفة. أليس الرب هو من أعطانا الشمس الحارقة (اللات)؟ أليس الرب هو من أعطانا أمهات الرطوبة (السيدات الموقرات)؟ ألم يعطنا الرب الشيطان Shaitan (إبليس Iblis)؟ ومن الشيطان ألم يأتنا أذى السرعة؟"

(هذا هو أصل المقولة الفريمنية: "العجلة من الشيطان". لاحظ أنه مقابل كل 100 سعر حراري ينتج عن النشاط/السرعة فإنه تتبخر من الجسد 6 أوقيات عرق. الكلمة الفريمنية التي تصف العَرَق هي بكاء Bakka أو دموع، والتي يمكن ترجمتها تبعا لإحدى اللهجات بـ: جوهر الحياة الذي يعتصره الشيطان من روحك)

وصف المؤلف كوني-وِل ظهور المؤدب بأنه "جاء في وقته من الناحية الدينية"، لكن التوقيت لم يكن له اعتبار كبير في المسألة. فكما قال المؤدب عن نفسه: "إني هنا، إذن..."

لكنه من الضروري لفهم الأثر الديني للمؤدب ألا تغفل أبدا عن حقيقة معينة: كان الفريمن شعب صحراوي تكيف أسلافهم كلهم مع التضاريس العدائية. ليس من الصعب الاتجاه للفكر الباطني عندما تعيش كل لحظة وأنت تكافح للتغلب على العداء الصريح. فـ "أنت هنا، إذن..."

وعند العيش وسط تقاليد كهذه يصبح العذاب مقبولا.. ربما كعقاب لا واعي.. لكنه مقبول.

ومن المستحسن أن نشير إلى أن طقوس الفريمن تؤدي لتخلص شبه تام من أي شعور بالذنب. ليس سبب هذا بالضرورة هو تطابق قانونهم ودينهم، والذي يجعل العصيان معصية. بل ربما الأقرب للصواب أن نقول أنهم طهروا أنفسهم من مشاعر الذنب بسهولة لأن حياتهم اليومية تطلبت منهم قرارات قاسية (وغالبا مميتة) لو كانت تمت في أرض مريحة أكثر لأثقلت البشر بمشاعر ذنب لا تحتمل.

وهذا في الغالب هو أحد جذور تركيز الفريمن على الخرافات (حتى لو أغفلنا ما نشرته بينهم البعثات الإرسالية). فما المشكلة في النظر لصفير الرمال على أنه نذير شؤم؟ أو أنه عليك عمل علامة القبضة عندما ترى القمر الأول للمرة الأولى؟ إن لحم الإنسان ملكه وماءه ملك لقبيلته.. ولغز الحياة ليس مسألة مستعصية تحتاج حلا، بل هو واقع يعاش. النُذُر تساعدك على تذكر هذا. ولأنك هنا، ولأنك تملك الديانة الحقة، فالنصر لن يفلت من يدك في النهاية.

وكما قالت البني-جيزيرت لقرون في تعليمها قبل أن يخرج الفريمن عن طوعهن: "عندما يمتطي الدين والسياسة نفس العربة، وعندما يكون قائد هذه العربة رجلا مبروكا Baraka، فلا يمكن أن يقف أمامهما شيء"

ملحق 3: تقرير عن دوافع وأهداف البني-جيزيرت

ما يلي هو مقتطف من الخلاصة البحثية التي طلبت الليدي جيسيكا من وكلائها إعدادها بعد أحداث أراكس مباشرة. صراحة هذا التقرير تجعل قيمته تفوق القيمة المعتادة بكثير.

بسبب عمل البني-جيزيرت لقرون وراء ستار مدرسة شبه باطنية أثناء تنفيذ برنامجهن السلالي الانتقائي بين البشر فإننا نميل لمنحهن مكانة تفوق ما يستحقونه. تحليل "اختبارهن العملي" الذي تم في أحداث أراكس يكشف جهل المدرسة العميق بدورها.

يمكن الجدال قائلين أن البني-جيزيرت لم يكن بإمكانهن سوى فحص الحقائق المتوفرة لهن، وأنهن افتقرن لأي وصول مباشر لشخص النبي المؤدب. لكن المدرسة قد تغلبت على عقبات أكبر من هذا، وزللها هنا أعمق.

كان برنامج البني-جيزيرت يهدف لإنتاج شخص أسموه الكويزاتس هاديراك.. مصطلح يعني "من بإمكانه الوجود في عدة أماكن في نفس الوقت". أي في تعبير أبسط، كن يسعين لإنسان له قدرات عقلية تسمح له بفهم واستخدام الأبعاد ذات الرتبة الأعلى. كن يهدفن بمزج السلالات الحصول على سوبر-منتات.. حاسوب بشري له بعض القدرات الاستبصارية الموجودة في ملاحي النقابة.

والآن تأمل هذه الحقائق بدقة:

المؤدب، المولود باسم بولس أتريديز، كان ابن الدوق ليتو، الرجل الذي كانت سلالته موضوعة تحت مراقبة دقيقة لأكثر من ألف سنة. أم النبي، الليدي جيسيكا، كانت ابنة بيولوجية للبارون فلاديمير هاركونن، وحملت علامات جينية كانت أهميتها الفائقة لبرنامج التناسل معلومة لما يقارب الـ 2000 سنة. كانت من البني-جيزيرت في منشئها وتدريبها، وكان من المفترض أن تصبح أداة طيعة في المشروع.

صدر أمر لليدي جيسيكا بأن تنجب ابنة أتريدية. كانت الخطة هي تزويج هذه الابنة بفايد-راوثا هاركونن، ابن أخ البارون فلاديمير، مع احتمالية مرتفعة بأن يتولد من هذا الاتحاد كويزاتس هاديراك. لكن بدلا من ذلك، ولأسباب اعترفت أنها لم تكن واضحة لها تمام الوضوح، عصت المحظية الليدي جيسيكا ما صدر لها من أوامر وأنجبت ابنا.

هذا وحده كان من المفترض أن ينبه البني-جيزيرت لاحتمالية أن متغير غريب قد دخل على خططهن. لكن توجد أيضا إشارات أكثر أهمية تجاهلنها بشكل شبه تام:

1 - في صباه أظهر بولس أتريديز علامات على قدرته على التنبؤ بالمستقبل. وكان معروفا تعرضه لرؤى استبصارية صحيحة وثاقبة وتتعارض مع إمكانية تبريرها تبعا للأبعاد الأربعة.

2 - شهدت السيدة الموقرة جايس هيلين موهيم، مشرفة البني-جيزيرت التي اختبرت إنسانية بولس عندما كان في الخامسة عشرة، أنه احتمل في الاختبار قدرا من الألم يفوق ما تم تسجيله لأي إنسان آخر. إلا أنها لم تركز على هذه النقطة في تقريرها!

3 - عندما انتقلت أسرة أتريديز لكوكب أراكس هتف السكان الفريمن هناك لبولس الشاب بصفته نبي، "الصوت القادم من العالم الخارجي". كانت طائفة البني-جيزيرت تعلم جيدا أن الظروف القاسية على كوكب مثل أراكس، بتضاريسه الصحراوية بالكامل، وبانعدام المسطحات المائية عليه تماما، وبتركيزه على أكثر لوازم الحياة بدائيةً، ستنتج حتما نسبة مرتفعة من الحساسين. إلا أن ردة الفعل الفريمنية هذه والعنصر الواضح المتعلق بتشبع الطعام الأراكسي بالبهار قد فاتا على المراقبات

البني-جيزيرت.
4 - عندما أعاد الهاركون (وجنود الإمبراطور البادیشي الأشداء) احتلال أراكس، قاتلين والد بولس وغالبية الجنود الأتريديين، اختفى بولس وأمه. لكن بعد هذا مباشرة وصلت تقارير عن زعيم ديني جديد بين الفريمن، رجل يسمى المؤدب، وُصف أيضا بأنه "الصوت القادم من العالم الخارجي". وأشارت التقارير بصراحة أنه ترافقه سيدة موقرة جديدة من كاهنات السيدينا "هي من أنجبته". التقارير المتوفرة للبني-جيزيرت ذكرت بكلمات صريحة أن أساطير الفريمن عن النبي تحوي هذه الكلمات: "سيولد من ساحرة بني-جيزيرتية".
(يمكن للمجادل هنا أن يقول أن البني-جيزيرت أرسلن بعثاتهن الإرسالية الوقائية لأراكس قبل هذا بقرون لزرع مثل هذه الأسطورة كحماية احترازية في حالة احتجاز أي من أعضاء المدرسة هناك وكونها في حاجة لمأوى.. وأن أسطورة "صوت العالم الخارجي" هذه كان من الطبيعي تجاهلها لأنها بدت كالخدع البني-جيزيرتية المعتادة. لكن لا يصح هذا إلا في حالة تسليمك بصحة ما فعلته البني-جيزيرت من تجاهل للعلامات الأخرى الدالة على بولس-مؤدب)
5 - عندما ثارت أحداث أراكس قدمت نقابة الفضاء اقتراحات للبني-جيزيرت. لمّحت النقابة إلى أن ملاحيها - الذين يستخدمون عقار بهار أراكس لإحداث استبصار محدود ضروري لإرشاد سفن الفضاء خلال الفراغ - كانوا "قلقين على المستقبل" أو رأوا "مشاكل تلوح في الأفق". لا يمكن أن يعني هذا سوى أنهم شاهدوا مفترق طرق، نقطة التقاء قرارات حساسة لا حصر لها، والمسار بعدها مخفي عن العين المستبصرة. كان هذا دليلا واضحا على أن "قوة ما" تقوم بالتدخل في الأبعاد ذات الرتبة العليا!
(كان بعض البني-جيزيرت يدركن منذ وقت طويل أن النقابة ليس بإمكانها أن تتدخل مباشرة في مصدر البهار الحيوي لأن ملاحي النقابة كانوا بالفعل يتعاملون - بطريقتهم الخاصة قليلة الكفاءة - مع أبعاد الرتبة العليا، على الأقل إلى الحد الذي أخبرهم أن أصغر خطوة خاطئة يقومون بها على أراكس يمكن أن تكون كارثية. كان من المعلوم أن ملاحي النقابة عاجزون عن التنبؤ بأي طريقة يمكن بها فرض تحكمهم على البهار دون إحداث مثل مفترق الطرق هذا. الاستنتاج الواضح هو أن شخصا له سلطة أعلى كان يقوم بفرض سلطته على مصدر البهار، إلا أن البني-جيزيرت فاتتهن هذه النقطة بالكامل!)
عند مواجهة هذه الحقائق يضطر المرء لاستنتاج لا مهرب منه، هو أن سلوك البني-جيزيرت عديم الكفاءة في هذه الحادثة كان نتاج خطة أعلى، لم ينتبهن لها إطلاقا!

ملحق 4: التاريخ الأشرف (مختارات من سير النبلاء)

The Almanak en-Ashraf

SHADDAM IV

شدام الرابع (من 10134 إلى 10202)[29]

الإمبراطور الباديشي، الشخص الـ 81 من سلسلة خلفاء عائلته (آل كورّينو) الذي جلس على عرش الأسد الذهبي. حكم من 10156 (تاريخ موت أبيه - إلرود التاسع - بسم الشومركي) وحتى التنصيب الملكي الذي حدث في 10196 باسم كبرى بناته، إيرولان. عهده مشهور بثورة أراكس، والتي يلقي كثير من المؤرخين بلائمتها على التهاء شدام الرابع باحتفالات البلاط وأبهة المنصب. في أول 16 سنة من حكمه تضاعف عدد مارشالات البورسيج. مخصصات تدريب الساردوكار تناقصت بمعدل ثابت خلال الـ 30 سنة الأخيرة السابقة على ثورة أراكس. كان له 5 بنات (إيرولان، شاليس، وينسيشيا، جوسيفا، روجي) ولم يكن له أبناء ذكور شرعيون. رافقته 4 من بناته في مكان تقاعده. زوجته أنيرول، والتي كانت بني-جيزيرت مجهولة الرتبة، ماتت في 10176.

LETO ATREIDES

ليتو أتريديز (من 10140 إلى 10191)

قريب لآل كورينو من طرف الأم، ويشار له غالبا بلقب الدوق الأحمر. حكم آل أتريديز كالادان كسردار إقطاع طوال 20 جيلا إلى أن أُرغموا على الانتقال لأراكس. مشهور بكونه والد الدوق بولس-مؤدب، الملك الأمة Umma Regent. توجد بقايا الدوق ليتو في "مقبرة الجمجمة" على أراكس. يُعزى موته لخيانة طبيب صك، وهي فعلة مرتبطة بالسردار بارون فلاديمير هاركونن.

LADY JESSICA (Hon. Atreides)

الليدي جيسيكا (المنتسبة شرفيا لـ آل أتريديز) (من 10154 إلى 10256)

ابنة (حسب مراجع البني-جيزيرت) للسردار بارون فلاديمير هاركونن. أم الدوق بولس-مؤدب. تخرجت من مدرسة البني-جيزيرت على والاش 9.

LADY ALIA ATREIDES

الليدي عاليا أتريديز (10191 -)

الابنة الشرعية للدوق ليتو أتريديز ولمحظيته السابقة الليدي جيسيكا. ولدت الليدي عاليا على أراكس بعد 8 شهور تقريبا من موت الدوق ليتو. التعرض الجنيني لمخدر من الطيف الإدراكي هو السبب الذي يقال عادة لتفسير وصف مراجع البني-جيزيرت لها بأنها "الملعونة". مشهورة في التاريخ الشائع بلقب القديسة عاليا أو القديسة عاليا ذات السكين. (لتاريخ مفصل انظر: القديسة عاليا، صيادة مليار كوكب، تأليف باندر أولسون)

---

29 التاريخ خطأ من المؤلف، لأنه يتعارض مع مقدمة الفصل 33 (المترجم)

VLADIMIR HARKONNEN

فلاديمير هاركونن (من 10110 إلى 10193)

معروف بـ البارون هاركونن، لقبه الرسمي هو سردار (أي: حاكم كوكبي) بارون. فلاديمير هاركونن هو الخلف الذكري المباشر لسلالة الباشار أبولورد هاركونن، الذي تم نفيه لجبنه بعد معركة كورينو. تُعزى عودة آل هاركونن للسلطة بشكل عام للبراعة في التلاعب بسوق فرو الحيتان ثم تعزيز هذا فيما بعد بثروة مزيج البهار من أراكس. مات السردار بارون على أراكس خلال الثورة. انتقل اللقب لفترة قصيرة لد نا-بارون، فايد-راوثا هاركونن.

COUNT HASIMIR FENRING

الكونت هازِمير فينرنج (من 10133 إلى 10225)

قريب لآل كورينو من ناحية الأم، كان رفيق طفولة لشدام الرابع. (كتاب تاريخ كورينو المقرصن، الذي كثيرا ما يتم تكذيبه، يروي حكاية مثيرة تقول أن فينرنج كان مسؤولا عن سم الشومركي الذي قضى على إلرود التاسع). كل الروايات تتفق على أن فينرنج كان أقرب أصدقاء شدام الرابع. المهام الإمبراطورية التي نفذها الكونت فينرنج تتضمن منصبه كوكيل إمبراطوري على أراكس خلال فترة حكم الهاركونن هناك، وفيما بعد سردار غيابي لكالادان. رافق شدام الرابع في تقاعده على سالوسا سيكوندس.

COUNT GLOSSU RABBAN

الكونت جلوسو رابان (من 10132 إلى 10193)

كان جلوسو رابان، كونت لانكفيل، أكبر أبناء أخ فلاديمير هاركونن. كان جلوسو رابان وفايد-راوثا رابان (الذي غير اسمه لهاركونن عندما اختير ضمن أهل بيت السردار بارون) ابنين شرعيين لأبولورد، الأخ الأصغر غير الشقيق للسردار بارون. تبرأ أبولورد من اسم الهاركونن وتخلى عن كل حقوقه في اللقب عندما مُنح حكم الإقطاعية الجزئية رابان-لانكفيل. كان رابان اسم عائلة أمه.

قاموس المصطلحات

(مسرد مصطلحات الإمبراطورية)

أثناء دراسة الإمبراطورية، وأراكس، والثقافة المجتمعية الكاملة التي أنتجت "المؤدب"، تظهر العديد من المصطلحات غير المألوفة. زيادة الفهم هي هدف نبيل، ولهذا وضعنا التعريفات والشروح الواردة بالأسفل.

=====

طوائف ومناصب

فضاء وكواكب

تضاريس أراكس

نباتات وحيوانات

مصطلحات ذهنية وعقلية

مصطلحات تقنية وأدوات وعقاقير

مصطلحات من لغة الفريمن ومجتمع أراكس

مصطلحات سياسية

مصطلحات دينية عامة

كتب

كلمات أخرى

BENE GESSERIT

الـ بِني-جيزيِرت

مدرسة قديمة للتدريب العقلي والجسدي، أُنشئت بشكل أساسي لتعليم الطالبات الإناث، بعد أن دمر الجهاد البَتلَري كل ما يوصف بأنه "آلات مفكرة" وروبوتات.

.B.G

اختصار اصطلاحي لاسم البني-جيزيرت، إلا في حالة استخدامه مضافا لتاريخ. عندما يضاف لتاريخ فإنه يعني

Before Guild

ق ن، أي "قبل النقابة"، ويشير للتقويم الإمبراطوري والذي يبدأ من سنة احتكار نقابة الفضاء لعمليات السفر الفضائي.

REVEREND MOTHER

السيدة الموقرة

تقال في الأصل لمشرفات طائفة البني-جيزيرت، عندما تقوم إحداهن بتحويل سم إشراقي داخل جسدها، رافعة نفسها لمستوى إدراكي أعلى. الفريمن تبنوا اللقب ليشير لزعاماتهن الدينية اللاتي حققن إشراقا مماثلا. (انظر: بني-جيزيرت، وماء الحياة)

PROCTOR SUPERIOR

المشرفة العليا

سيدة موقرة من البني-جيزيرت عندما تكون أيضا مديرة لإحدى مدارس البني-جيزيرت. (وصفها الشائع: بني-جيزيرت بصيرة)

TRUTHSAYER

الكاهنة كاشفة الأكاذيب

سيدة موقرة مؤهلة للدخول في "إغشاءة الحقيقة" واكتشاف الكلام الزائف والكاذب.

CAID

قائد

رتبة عسكرية للساردوكار، تمنح للموظف العسكري المكلف بالتعامل مع المدنيين في الغالب. حاكم عسكري لمقاطعة كوكبية كاملة. تفوق رتبة الباشار لكن لا تصل لمارشال البورسيج.

BASHAR

باشار

رتبة عسكرية عند الساردوكار تفوق رتبة العقيد/كولونيل المعتادة بدرجة طفيفة. تم إنشاء الرتبة للحكام العسكريين لمقاطعة كوكبية جزئية. "ضابط باشار" هو لقب مقصور على الاستخدام الحربي.

BURSEG

بورسيج

رتبة مارشال ساردوكار.

CHOAM

شوم

حروف مختصرة لاسم "اتحاد الأشراف للارتقاء التجاري" Combine Honnete Ober Advancer Mercantiles..

مؤسسة تنموية كونية يتحكم فيها الإمبراطور وكبار النبلاء، بينما النقابة والبني-جيزيرت شركاء "صامتون".

FREE TRADERS

التجار الأحرار

وصف شائع للمهربين.

GINAZ, HOUSE OF

آل جِناز

كانوا حلفاء في السابق للدوق ليتو أتريديز. انهزموا في حرب اغتيالات ضد كوكب جرومان.

GUILD

النقابة

نقابة الفضاء. أحد الأعمدة السياسية الثلاثة المحافظة على استمرارية الميثاق العظيم. كانت النقابة ثاني مدرسة تدريب ذهني-جسدي بعد الجهاد البتلري (انظر: بني-جيزيرت). احتكار النقابة للسفر الفضائي وللنقل وللمعاملات البنكية الدولية هو نقطة البدء في التقويم الإمبراطوري.

JUDGE OF THE CHANGE

قاضي التحكيم في فترة التغيير

مسؤول رسمي يقوم المجلس الأعلى لـ اللاندسراد والإمبراطور بتعيينه لمراقبة تغيير ملكية إقطاع أو مفاوضات ثأر كانلي أو حرب اغتيالات رسمية. سلطة القاضي التحكيمية لا يمكن نقضها إلا أمام المجلس الأعلى وفي حضور الإمبراطور.

MENTAT

مِنتات

طبقة من مواطني الإمبراطورية تم تدريبها على إنجاز عمليات عقلية فائقة. "حاسوب بشري".

-Na

الـ نا

بادئة تعني "ولي العهد" أو المنتخَب للمنصب. ولهذا فإن نا-بارون تعني ولي عهد البارونية.

NOUKKERS

النواكير

ضباط من الحرس الإمبراطوري لهم صلة قرابة بالإمبراطور. رتبة تمنح في العادة لأبناء المحظيات الملكيات.

PYONS

العمال الكادحون

فلاحون أو عمال يعيشون على كوكب ما ولا يفارقونه. إحدى الطبقات الدنيا في النظام الطبقي. قانونا هم أوصياء الكوكب.

SARDAUKAR

ساردوكار

جنود الإمبراطور باديشي الأشداء. جاؤوا من بيئة شرسة للغاية لدرجة أنها تقتل ما معدله 6 من كل 13 شخصا قبل أن يصل لسن الحادية عشرة. تدريبهم العسكري يركز على القسوة وعلى المخاطرة بالنفس لدرجة شبه انتحارية. تعلموا منذ الطفولة أن يستخدموا القسوة كسلاح، فيضعفون الخصم بإرعابه. في ذروة سيطرتهم على شؤون الكون كانت براعتهم في المبارزة توصف بأنها تساوي المستوى العاشر لآل جناز، وقدرتهم على استخدام المكر في القتال يدا ليد اشتهر أنها تقارب مستوى خبيرات البني-جيزيرت. أي فرد فيهم يمكن أن يصمد أمام عشرة من جنود اللاندسراد العاديين. بحلول عهد شدام الرابع - وعلى الرغم من كونهم لا زالوا مرعبين - إلا أن قوتهم استنزفت، لثقتهم الزائدة بالنفس، وضعفت هالة الغموض المحيطة بديانتهم الحربية كثيرا بسبب ما طرأ عليهم من شكوك وتهكم.

AL-LAT

اللات

شمس البشر الأصلية. صارت الكلمة تستخدم للإشارة للنجم الرئيسي لأي كوكب.

ARRAKIS

أرّاكِس

الكوكب المعروف باسم: كثيب. ثالث الكواكب بُعدا عن النجم سُهيل Canopus

AMPOLIROS

أمبوليروز

سفينة فضائية تحيط بها أسطورة تشبه ما قيل عن سفينة "الهولندي الطائر".

BELA TEGEUSE

بيلا تيجيوس

الكوكب الخامس للنجم Kuentsing [ألفا الأرنب Alpha Leporis]، ثالث محطة توقف فيها الفريمن الزن-سني خلال تهجيرهم القسري.

FIRST MOON

القمر الأول

أكبر تابعي أراكس حجما، وهو أول ما يطلع خلال الليل. يميزه شكل على سطحه يشبه القبضة البشرية.

SECOND MOON

القمر الثاني

أصغر تابعي أراكس. يميزه شكل الفأر الكنغري الظاهر على سطحه.

CALADAN

كالادان

ثالث كوكب للنجم دلتا كوكبة الطاووس Delta Pavonis. مكان ميلاد بولس-مؤدب.

CHUSUK

شوسوك

رابع كوكب للنجم Theta Shalish. يسمى الكوكب الموسيقي لتميز آلاته الموسيقية. (انظر: فاروتا)

ECAZ

إكاز

رابع كواكب ألفا القنطور Alpha Centauri B. جنة النحاتين. معروف بهذا الوصف لأنه موطن الخشب الضبابي، نبتة يمكن تشكيلها في موضعها بمجرد التفكير البشري.

GAMONT

جامونت

ثالث كواكب النجم Niushe. معروف بثقافته المتحللة والممارسات الجنسية الغريبة.

GIEDI PRIME

جيدي برايم

كوكب النجم (36) Ophiuchi B، موطن آل هاركونن. كوكب مقوماته الحياتية متوسطة، ومستوى التمثيل الضوئي عليه ضعيف.

GRUMMAN

جرومان

ثاني كواكب Niushe. سبب شهرته هو نزاع أسرته الحاكمة (آل موريتاني) مع آل جناز.

HAGAL

هاجال

"كوكب الجواهر"، II Theta Shaowei. فنيت مناجمه في عهد شدام الأول.

HARMONTHEP

هارمونحب

الكاتب إنجزلي يقول أنه اسم كوكب المحطة السادسة في هجرة الزن-سني. يقال أنه كان يدور حول نجم دلتا كوكبة الطاووس ولم يعد له وجود.

IX

إكس

(انظر: ريشيس)

RICHESE

ريشيس

رابع كواكب النجم Eridani A [كوكبة النهر]، ويصنف - مع إكس - كمنتج ممتاز للآلات. مشهور بالأجهزة صغيرة الحجم. (لدراسة مفصلة حول كيفية تجنب ريشيس وإكس للآثار الصارمة المترتبة على الجهاد البتلري، انظر كتاب "الجهاد الأخير"، تأليف سومر وكواتمان)

PORITRIN

بوريترِن

ثالث كواكب النجم Epsilon Alangue. يعتقد الكثير من جوالة الزن-سني أنه موطنهم الأصلي، إلا أنه توجد في لغتهم وأساطيرهم أدلة تشير لأصل كوكبي أقدم بكثير.

SALUSA SECUNDUS

سالوسا سيكوندس

ثالث كوكب للنجم جاما وايِبنج. تم جعله السجن الكوكبي التابع للإمبراطور بعد نقل البلاط الإمبراطوري لـ Kaitain. سالوسا سيكوندس هو موطن آل كورينو الأصلي، وثاني محطة في هجرات جوالة الزن-سني. التقليد الفريمني يقول أنهم كانوا عبيدا على س س لمدة 9 أجيال.

TLEILAX

تليلاكس

الكوكب الوحيد للنجم Thalim. معروف بأنه مركز تدريب منشق للمنتات. وهو مصدر المنتات "المنحرفين".

TUPILE

توبيل

الموصوف بكوكب اللجوء (وفي الغالب هو عدة كواكب) للعائلات النبيلة المنهزمة في الإمبراطورية. موقعه معروف للنقابة فحسب، ولا زال السر محفوظا بتعهد أمان من نقابة الفضاء.

WALLACH IX

والاش 9

الكوكب التاسع لـ Laoujin. مكان المدرسة الأم للبني-جيزيرت.

تضاريس أراكس

ARRAKEEN

أراكين

أول مستوطنة على أراكس. كانت - لفترة طويلة - مقر الحكومة الكوكبية.

EL-SAYAL

السيال

"مطر الرمال". سقوط الغبار بعد أن رفعته عاصفة كوريولس لارتفاعات متوسطة (حوالي 2000 متر). السيال غالبا يجلب الرطوبة لمستوى السطح.

ERG

عرق

منطقة كثبان متسعة. "بحر رمال".

BLED

الفلاة

صحراء واسعة منبسطة.

PAN

الغور

على أراكس، أي منطقة منخفضة تكونت نتيجة لانهيار القاع من تحتها. (على الكواكب ذات الوفرة المائية فإن الغور يشير لمنطقة كانت مغطاة بمسطحات مائية. يعتقد البعض أن أراكس عليه منطقة واحدة على الأقل من هذا النوع، إلا أن الموضوع لا زال محل جدل)

DRUM SAND

رملي طبلي

اندماج الرمال بطريقة معينة بحيث يؤدي أي خبط مفاجئ على سطحه لصوت دق طبول واضح.

DUST CHASM

أخدود غباري

صدع عميق أو منخفض أرضي بصحراء أراكس ملأه غبار لا يظهر اختلافه عما حوله. شرك قاتل، لأن البشر والحيوانات ستغوص فيه وتختنق. (انظر: حوض غباري مَدّي)

SANDTIDE

المد الرملي

لفظ شائع للمد والجزر الغباري. اختلافات العمق التي تحدث لبعض الأحواض المعينة المملوءة بالغبار على أراكس بسبب آثار جاذبية الشمس والقمرين. (انظر: حوض غباري مَدّي)

SINK

حوض

منطقة منخفضة صالحة للسكنى على أراكس تحيطها مرتفعات تحميها من العواصف السائدة.

TIDAL DUST BASIN

حوض غباري مَدّي

أي من المنخفضات الكثيرة الموجودة على سطح أراكس والتي ملأها الغبار على مر القرون والتي شوهدت فيها اختلافات مد وجزر تحدث للغبار (مد رملي)

GRABEN

الوادي

خندق جيولوجي طويل يتكون عندما تغور الأرض بسبب حركات طبقات الصفائح تحتها.

RIMWALL

حافة الجدار

الحافة الثانية العلوية لجروف الحماية الصخرية الطبيعية الموجودة بالجدار الجبلي بأراكس. (انظر: الجدار الجبلي)

SHIELD WALL

الجدار الجبلي

تضاريس جغرافية جبلية في المناطق الشمالية لأراكس، تحمي منطقة صغيرة من قوة عواصف كوريولس الكوكبية.

AKARSO

أكارسو

نبتة، موطنها الأصلي هو كوكب سايكون (الكوكب 70 للنجم Ophiuchi A) تتميز بأوراق تكاد تكون مستطيلة. خطوطها الخضراء والبيضاء تشير لمناطق متوازية يتبادل الكلوروفيل فيها حالتي النشاط والخمول.

CIELAGO

سيلاجو

أي خفاش على أراكس تم تعديله بحيث يصلح لنقل رسائل الترجوم الطيري.

INKVINE

إنكفاين

نبتة زاحفة، موطنها الأصلي جيدي برايم، ويشيع استخدامها كسوط في حظائر العبيد. تترك على الضحايا وشوما بلون البنجر، يستمر ألمها عدة سنوات.

KULON

كولون

الحمار الوحشي لمناطق أعشاب الستب الآسيوية على الأرض عند تكيفه مع بيئة أراكس.

LITTLE MAKER

الصانع الصغير

طور حياة (نصف نبات ونصف حيوان) لدودة رمال أراكس، يعيش في الرمال العميقة. إفرازات ديدان الصانع الصغيرة تقوم بتكوين كتل البهار الأولي.

SANDWORM

دودة الرمال

(انظر: شي-خلود)

MISH-MISH

مشمش

MUAD'DIB

المؤدب

الفأر الكنغري المتكيف مع بيئة أراكس. مخلوق مرتبط - في الميثولوجيا الفريمنية المقدسة لروح الأرض - بشكل يظهر على القمر الثاني للكوكب. يثير إعجاب الفريمن لقدرته على البقاء حيا في الصحراء المفتوحة.

PLENISCENTA

بلينيسينتا

زهرة خضراء غريبة تنمو على إكاز، تتميز برائحتها العطرية الجميلة.

PUNDI RICE

رز باندي

أرز حدثت له طفرة، حبوبه الغنية بالسكر الطبيعي قد تطول لتصل إلى 4 سنتيمترات، منتج التصدير الرئيسي على كالادان.

PORTYGULS

برتقال

SCHLAG

شلاج

حيوان موطنه الأصلي هو كوكب توبيل، تعرض للصيد حتى كاد أن ينقرض، بسبب جلده الرقيق القوي.

SONDAGI

سونداجي

زهرة توليب السرخس الموجودة على توبالي.

ALAM AL-MITHAL

عالم المِثال

عالم الأشباه الباطني والذي تُزال فيه كل الحدود المادية.

ADAB

أدب

ذكرى تقتحم عليك ذهنك رغما عنك.

CANTO and RESPONDU

كانتو وريسبوندو

طقس ابتهالي. جزء من الشريعة العامة النبوئية التي تنشرها البعثات الإرسالية.

BINDU

بيندو

متعلق بالجهاز العصبي البشري، خصوصا تدريب الأعصاب. يستخدم غالبا في المصطلح "تفاصيل البيندو العصبية". (انظر: برانا)

BINDU SUSPENSION

حالة جمود بيندو عصبي

حالة خاصة من الجمود التخشبي. إرادية.

PRANA (Prana-musculature)

برانا (تفاصيل البرانا العضلية)

عضلات الجسد عندما يُنظر لها كوحدات يجب تدريبها أقصى تدريب. (انظر: بيندو)

IMPERIAL CONDITIONING

برمجة عقلية إمبراطورية

أسلوب طورته مدارس الصك الطبية. أقوى برمجة عقلية تمنع الشخص من قتل الآخرين. الخاضعون له توضع لهم علامة وشم - على شكل ماسة - على الجبهة، ومسموح لهم بإطالة شعرهم وأن يجمعوه بحلقة صك فضية.

PYRETIC CONSCIENCE

الجزء الضميري الناري

المستوى العقلي المانع الذي يتأثر بالبرمجة العقلية الإمبراطورية. (انظر: البرمجة العقلية الإمبراطورية)

T-P

ت-ب

اختصار شائع للتخاطر التليباثي.

TRAINING

التدريب

عند استخدام هذه الكلمة الشائعة لوصف البني-جيزيرت يصبح لها معنى خاصا، فتشير للتهيئة العصبية والعضلية (انظر: بيندو وبرانا) التي تصعد بقدرتهما لأعلى مستوى أدائي ممكن في الطبيعة.

TRUTHTRANCE

إغشاءة الحقيقة

حالة إغشاء تشبه التنويم المغناطيسي، تنتج عن أحد العقاقير المخدرة الموصوفة بأنها ضمن "الطيف الإدراكي"، ويتمكن خلالها المشاهد الداخل في الإغشاءة من التعرف على أدق علامات الزيف المتعمد. (لاحظ أن عقاقير الطيف الإدراكي قاتلة في الغالب إلا لو تناولها شخص تعود عليها بالتدريج وأصبح قادرا على تحويل تركيب السم لشيء آخر داخل جسده)

UROSHNOR

أورشنور

أحد تلك الأصوات الكثيرة الفارغة من المعنى والتي تزرعها البني-جيزيرت داخل عقول ضحايا معينين بغرض التحكم بهم. الشخص الخاضع لها يحدث له شلل مؤقت عند سماعه للكلمة.

VOICE

قدرة "الصوت"

مجموعة من التمارين - ابتكرتها البني جيزيرت - تسمح للمتمرس بالتحكم في الآخرين بمجرد انتقاء نبرات صوتية معينة.

WAY, BENE GESSERIT

أسلوب البني-جيزيرت

أي: ملاحظة أدق التفاصيل.

AUMAS/CHAUMAS

أوماس

سم يوضع في الطعام (في الأطعمة الصلبة على وجه الخصوص). يسمى في بعض اللهجات: شوماس.

BARADYE PISTOL

مسدس رش الصبغة

مسدس غبار ذو شحنة استاتيكية، تم تطويره على أراكس ليقوم برش الصبغة لتحديد مساحة رملية كبيرة.

BALISET

باليسِت

أداة موسيقية تساعية الأوتار، متفرعة عن آلة القانون zither، ومضبوطة على سلم شوسوك الموسيقي، ويُعزف عليها بالضرب على الأوتار. الآلة المفضلة للمغنيين الإمبراطوريين.

CRUSHERS

صادمات

مركبات فضائية حربية مكونة من عدة مركبات أصغر تم ربطها ببعضها، ومصممة للسقوط على مواضع العدو لسحقها.

CUTTERAY

المشرط الشعاعي الليزري

نوع قصير المدى من المسدسات الليزرية، يستخدم غالبا كأداة قطع وكمشرط جراحي.

DEW COLLECTORS or DEW PRECIPITATORS

مكثفات الندى

لا تخلط بينها وبين "جامعي الندى". مكثفات الندى هي أجهزة لها شكل البيضة، طولها حوالي 4 سنتيمتر. مصنوعة من الكروموبلاستيك والذي يتحول للون أبيض عاكس عند تعرضه للضوء، ويعود لحالة الشفافية في الظلام. يصبح المكثف سطحا باردا إلى حد ما مما يقوم بتكثيف ندى الفجر عليه. يستخدمها الفريمن لتبطين قيعان حفر زراعية حيث يقوم المكثف بتوفير مصدر مائي ضئيل لكن يعتمد عليه.

CARRYALL

الحاملة الطائرة

مركبة طائرة (يشيع وصفها بـ "الجناح"). أقوى مركبة جوية تستخدم في الأعمال على أراكس. وظيفتها نقل الآلات المستخدمة في تعدين البهار والبحث عنه وتكريره.

CATCHPOCKET

جيب تجميعي

أي جيب بذلة تقطير يتجمع فيه الماء المفلتر ويتم تخزينه.

CHAUMURKY (Musky or Murky in some dialects)

شومركي ("مسكي" في بعض اللهجات)

سم يوضع في المشروبات.
CHEOPS
خوفو
شطرنج هرمي، من 9 مستويات، وهدفه مزدوج: أن تضع الوزير على القمة وأن تحاصر ملك الخصم.
BATTLE LANGUAGE
لغة القتال
أي لغة خاصة، ألفاظها سرية، تستخدم للتواصل الواضح أثناء الحروب.
CONE OF SILENCE
مخروط صمتي
حقل مجال تشويش يحد من انتشار الصوت وأي جسم مهتز، عن طريق تثبيط الاهتزازات بتعريضها لاهتزاز معكوس يختلف تردده 180 درجة.
CORIOLIS STORM
عاصفة كوريولِس
أي عاصفة كبرى على أراكس عندما يقوم دوران الكوكب بتضخيم قوة الرياح التي تهب على الأراضي المنبسطة بحيث تصل لسرعات تقترب من الـ 700 كم/ساعة.
DISTRANS
جهاز الترجوم الطيري
جهاز يدمغ الجهاز العصبي للخفافيش أو الطيور بصورة مؤقتة. عندها تحمل صيحة المخلوق العادية رسالة يمكن فيما بعد فصلها - باستخدام ترجوم آخر - عن هذه الموجة الصوتية الحاملة لها.
DOORSEAL
غطاء الباب
غطاء غلق محكم بلاستيكي متنقل، يستخدم لتأمين الرطوبة في كهوف الفريمن المستخدمة من حين لآخر.
DUMP BOXES
ملقيات حاويات
الاسم الشائع العام لأي حاملة بضائع لها شكل غير مألوف ومزودة بسطوح استئصالية وأنظمة إخماد مضادات الجاذبية. تستخدم لإلقاء المواد من الفضاء إلى سطح الكواكب.
EGO-LIKENESS
الصورة المجسدة
بورتريهات تصدر عن بروجيكتور شيجاواير، بإمكانها إظهار حركات دقيقة يقال أنها توضح جوهر الشخصية.
ELACCA DRUG
مخدر الـ إلاكة
مخدر يصنع عن طريق حرق خشب الإلاكة الحُبيبي الأحمر الموجود على إكاز. تأثيره هو إزالة معظم إرادة الشخص في حفظ حياته. بشرة المخدَّرين تُظهر لون مميز يشبه الجزر. يستخدم غالبا لتهيئة العبيد المصارعين قبل نزولهم للحلبة.

FANMETAL

معدن الطي

معدن يصنع عن طريق إنماء كريستالات الجاسميوم في ألومنيوم متين. مشهور بقوة شد عظيمة بالنسبة إلى الوزن. الاسم مشتق من استخدامه الشائع في الهياكل القابلة للفك والتي يتم فتحها عن طريق فردها كالمروحة.

FILMBOOK

كتاب ميكروفيلم

مطبوع بالشيجاواير ويستخدم في التدريب وحمل نبضات تذكرية.

FILT-PLUG

سدادات الفلاتر الأنفية

مرشح أنفي يوضع أثناء ارتداء بذلة التقطير كي يجمع الرطوبة الخارجة مع هواء الزفير.

FIRE, PILLAR OF

العمود الناري الإشاري

صاروخ ناري بسيط غرضه إرسال الإشارات عبر الصحراء المفتوحة.

FREMKIT

عُدة فريمنية

حقيبة أدوات للبقاء حيا في الصحراء. يصنعها الفريمن.

FRIGATE

فُرقاطة

أكبر سفينة فضاء يمكن إنزالها على أرض كوكب وأن تُقلع كقطعة واحدة.

GLOWGLOBE

كرة إنارة

جهاز للإضاءة محمول على مضادات الجاذبية. طاقته ذاتية (في الغالب عن طريق بطاريات عضوية)

GOM JABBAR

جوم-جبار

الخصم الذي لا يُقهر. إبرة مسمومة معينة مغموسة في ميتا-سيانيد، تستخدمها مشرفات البني-جيزيرت في اختبار لقدرة الوعي البشري قد يتسبب في الموت.

HARVESTER or HARVESTER FACTORY

حاصدة مصنعية

آلة كبيرة للتنقيب عن البهار (غالبا 120 متر × 40 متر) يشيع توظيفها على هبات البهار الوفيرة غير الملوثة بشوائب. (توصف غالبا بـ "الزاحفة" لأن جسمها السائر على مسارات مستقلة يشبه الحشرة)

HEIGHLINER

سفينة هايلاينر

حاملة بضائع كبيرة، جزء من منظومة النقل عند نقابة الفضاء.

HOLTZMAN EFFECT

تأثير هولتزمان

تأثير التنافر السلبي الناتج عن مولد طاقة درعي.

GRIDEX PLANE

شبكة مصفاة

أداة فارزة للمواد باستخدام شحنة متباينة، تستخدم لإزالة الرمل من كتل مزيج البهار. الجهاز جزء من المرحلة الثانية لتكرير البهار.

HUNTER-SEEKER

جهاز الصياد المتتبع

شظية معدنية قنصية مضادة للجاذبية، يتم توجيهها كسلاح عن طريق لوحة تحكم قريبة. أداة اغتيال شائعة.

KINDJAL

خنجر

سيف قصير (أو سكين طويل) ذو حدين، طوله حوالي 20 سم ومقوس قليلا.

LASGUN

مسدس ليزر

جهاز يصدر موجة ليزر مستمرة. أصبح استخدامه كسلاح محدودا بسبب شيوع دروع الطاقة، حيث أن التقاء الشعاع بحقل طاقة ينتج عنه انفجار ناري ذري (هو في الحقيقة اندماج دون-ذري).

KRIMSKELL FIBER or KRIMSKELL ROPE

ألياف/حبال الكريمسكيل

نسيج المخلب، يُنسج من جدائل نبتة الهفوف الموجودة على كوكب إكاز. العقد المصنوعة من الكريمسكيل تضيق أكثر وأكثر - لمقادير محددة مسبقا - إن تم شدها. (لدراسة أوسع انظر كتاب المؤلف هولجانس فونبروك: نبتة إكاز الخانقة)

LITERJON

قِربة لِترية

وعاء سعته لتر واحد، لنقل الماء على أراكس. مصنوع من بلاستيك شديد الكثافة وغير قابل للكسر، وله غطاء عملي.

MATING INDEX

سجل التناسل

سجل البني-جيزيرت الرئيسي لبرنامجهن الخاص بتهجين السلالات البشرية الهادف إلى إنتاج الكويزاتس هاديراك.

MAULA PISTOL

مسدس المولى

مسدس يعمل بالزنبرك لإطلاق سهام مسمومة. مداه يصل إلى 40 متر.

MAKER HOOKS

خطّاف الصانع

الخطاطيف المستخدمة لاقتناص وامتطاء وتوجيه دودة الرمال على أراكس.

MELANGE

مزيج البهار

أهم "بهار" في الكون. مادة لا توجد سوى على أراكس. مشهور بصفاته المضادة للشيخوخة، ويسبب إدمانا خفيفا حين يؤخذ بكميات صغيرة وإدمانا شديدا عند تناوله بكمية تفوق 2 جرام يوميا لكل 70 كيلو من وزن الشخص. (انظر: عيون العباد، ماء الحياة، كتلة البهار الأولي). زعم المؤدب أن البهار هو مفتاح قدراته التنبؤية. ملاحو النقابة يزعمون شيئا مماثلا. سعره في سوق الإمبراطورية وصل أحيانا لـ 620000 سولاريس لكل ديكاجرام.

MINIMIC FILM

شريط ميكروني

سلك شيجاواير قطره ميكرون واحد، يستخدم غالبا لبث بيانات التجسس والتجسس المضاد.

METAGLASS

ميتا-زجاج

زجاج يصنع عن طريق وضع غاز في حرارة عالية مدمجا داخل طبقات من كوارتز الجاسميوم. يتميز بقابليته الكبيرة للشد (السنتيمتر المكعب يمكن أن يصل لمساحة 450 ألف كيلو، وبسمك 2 سم) وبعمله كمرشح يمرر الأشعة بشكل انتقائي حسب المراد.

MONITOR

سفن مراقبة

مركبة فضاء ذات عشرة قطاعات، مزودة بحماية درعية شديدة. تم تصميمها بحيث تنفصل لأجزائها المكونة لها للإقلاع بعد النزول على الكوكب.

OIL LENS

عدسة زيتية

زيت نبتة الهفوف عندما يتم تعليقه في مجال توتري استاتيكي - بواسطة مجال طاقة محيط - داخل أنبوب رؤية، كجزء من نظام يستخدم للتكبير أو للتلاعب بالضوء. وحيث أن كل عنصر عدسي يمكن تعديل كل ميكرون من ميكروناته على انفراد فإن العدسة الزيتية تعتبر ذات أقصى دقة عند التلاعب بالضوء المرئي.

OPAFIRE

جواهر أوبالية

إحدى جواهر كوكب هاجال النادرة.

ORNITHOPTER (commonly: 'thopter)

أورنيثوبتر (الاسم الشائع: ثوبتر)

أي مركبة طائرة قادرة على الطيران بخفق الأجنحة المستمر كالطيور.

PALM LOCK

قفل يدوي

أي قفل أو سدادة يمكن فتحها بلمس راحة اليد البشرية التي تم ربطها بها.

PARACOMPASS

بارا-بوصلة
أي بوصلة تحدد الاتجاه عن طريق الانحراف المغناطيسي المحلي. تستخدم عند توفر الخرائط المناسبة وعندما يكون الحقل المغناطيسي الكلي للكوكب غير مستقر أو عرضة للإخفاء بسبب العواصف المغناطيسية الشديدة.
PENTASHIELD
حاجز طاقة خماسي
حقل مولد درعي خماسي الطبقات مناسب للمساحات الصغير مثل مداخل الأبواب أو الممرات (الدروع المقوية الكبيرة تصبح غير مستقرة بشكل مطرد مع كل طبقة أخرى مضافة) ويكاد يستحيل عبوره على أي شخص غير مرتدي لغلاف طاقة مضبوط على نفس أكواد الدرع. (انظر: باب طاقة احترازي)
PRUDENCE DOOR or PRUDENCE BARRIER
(idiomatically: pru-door or pru-barrier)
باب طاقة احترازي
أي حاجز طاقة خماسي موضوع بغرض إتاحة الهرب لأشخاص معينين عندما يكونون مطارَدين. (انظر: حاجز الطاقة الخماسي)
PLASTEEL
صلب البلاستيل
صلب تم تثبيته بأنسجة سترافيديوم تم دمجها وسط هيكليته الكريستالية.
POLING THE SAND
غرز السواري في الرمال
فن وضع سواري بلاستيكية ونسيجية في خرائب صحراء أراكس المفتوحة ثم قراءة الأنماط التي تخدشها العواصف الرملية على السواري كمفتاح لتوقع الطقس.
PRE-SPICE MASS
كتلة بهار أوّلي
مرحلة النمو البري الشبيه بالفطريات التي تتحقق عندما يغمر الماء إفرازات ديدان الصانع الصغيرة. في هذه المرحلة يكوّن بهار أراكس هبة انفجارية مميزة، تقوم بتبديل المواد الموجودة تحت عمق الأرض مكان المواد الموجودة على السطح أعلاها. هذه الكتلة - بعد تعرضها للشمس والهواء - تصبح مزيج البهار. (انظر أيضا: مزيج البهار، ماء الحياة)
RACHAG
راشاج
منبه شبيه بالكافيين يستخرج من توت أكارسو الأصفر. (انظر: أكارسو)
RECATHS
أنابيب فلترة الإخراج
أنابيب وظائف الإخراج الجسدية، تصل جهاز التخلص من الفضلات البشرية بمرشحات إعادة التدوير في بذلة التقطير.
REPKIT
أدوات إصلاح بذلة التقطير
ضروريات إصلاح واستبدال مكونات بذلة تقطير.

RESIDUAL POISON

سُم كامن

ابتكار يُنسب إلى المنتات بايتر دي فرايز، وفيه يتم تلقيح الجسم بمادة يجب تحييدها عن طريق تناول ترياق بشكل مستمر. منع الترياق - في أي وقت - يؤدي للموت.

SANDCRAWLER

زاحفة رملية

مصطلح عام يصف الآلات المصممة كي تعمل على سطح أراكس في البحث عن وجمع مزيج البهار.

SANDSNORK

أنبوب التنفس الصحراوي

أداة تنفس لضخ هواء السطح إلى داخل خيمة تقطير مغطاة بالرمال.

SAPHO

سافو

مشروب طاقة مستخلص من جذور نبتة تنمو على كوكب إكاز. يشيع استخدامه بين المنتات الذين يزعمون أنه يزيد من قدراتهم العقلية. تظهر على فم وشفتي المتعاطي بقعا حمراء داكنة.

SEMUTA

سيموتا

ثاني مخدر مستخلص بصورة كريستالات من البقايا المحترقة لخشب إلاكة. التأثير - والذي يوصف بأنه نشوة مستمرة سرمدية - يتضاعف مع وجود اهتزازات غير نغمية معينة يقال لها موسيقى السيموتا.

SERVOK

سيرڤوك أوتوماتيكي

ميكانيزم ميقاتي يؤدي مهاما بسيطة. أحد الأجهزة الأوتوماتيكية المحدودة المسموح بها بعد الجهاد البتلري.

SHIELD, DEFENSIVE

درع طاقة دفاعي

مجال طاقة واقي، ناتج عن مولد هولتزمان. هذا المجال يصدر عن الطور الأول لتأثير إبطال المجالات المضادة للجاذبية. الدرع يسمح فقط بمرور أشياء تتحرك بسرعات بطيئة (وتبعا للضبط المختار فإن هذه السرعة تتراوح بين 6 و 9 سم/ث)، ولا يمكن إيقاف تفعيله إلا عن طريق مجال كهربي ضخم الحجم. (انظر: مسدس الليزر)

SHIGAWIRE

سلك شيجاواير

انبثاق معدني يخرج من نبتة زاحفة اسمها Narvi narviium تنمو فقط على سالوسا سيكوندس و III Delta Kaising. يتميز بقابليته الشديدة للمط.

SINKCHART

خرائط

خريطة لسطح أراكس عليها إشارات مرجعية لأكثر مسارات البارا-بوصلة التي يمكن الاعتماد عليها للتنقل بين مأوى

وآخر. (انظر: بارا-بوصلة)

SLIP-TIP

نصل المراوغة

أي نصل رفيع وقصير (غالبا طرفه مسموم) يستخدم باليد اليسرى أثناء القتال بالدروع.

SNOOPER, POISON

شمام السموم

محلل إشعاعي يعمل ضمن طيف الروائح، ومضبوط للكشف عن المواد السامة.

SOLARI

سولاريس

العملة النقدية الرسمية في الإمبراطورية. يعاد تقييم قوتها الشرائية كل ربع قرن في مفاوضات تحدث بين النقابة واللاندسراد والإمبراطور.

SOLIDO

هولوجرام

صورة ثلاثية الأبعاد تخرج من جهاز عارض بروجيكتور يستخدم إشارات مرجعية ملتقطة من 360 درجة ومطبوعة على بكرة شيجاواير. أجهزة عرض الهولوجرام المصنوعة على كوكب إكس تعتبر الأفضل.

SPICE FACTORY

مصنع معالجة البهار

(انظر: زاحفة رملية)

SPOTTER CONTROL

طائرة المراقبة

طائرة أورنيثوبتر خفيفة تكون ضمن مجموعة البحث عن البهار. مكلفة بترأس مهام المراقبة والحماية.

STILLSUIT

بذلة تقطير

لباس يغلف الجسد، تم اختراعه على أراكس. مادته عبارة عن طبقات "ساندوتش" رفيعة تقوم بمهام تبديد الحرارة وفلترة الفضلات الجسدية. الرطوبة المستعادة تتوفر عن طريق أنابيب تخرج من جيوب التجميع.

STILLTENT

خيمة تقطير

مأوى صغير يمكن تصغيره وتكبيره، مصنوع من طبقات رقيقة مصممة لاستعادة الرطوبة التي يتم نفثها داخلها (عن طريق تنفس الموجودين بالخيمة) ثم جمعها كماء صالح للشرب.

STUNNER

صاعق

سلاح قاذف بطيء الطلقات يطلق أسهما مغموسة في السم أو في المخدر. التأثير محدود تبعا لاختلاف ضبط الدرع وللحركة النسبية بين الهدف والقاذف.

SUSPENSOR

مضاد الجاذبية

طور ثاني (قليل الاستهلاك) من مولد مجال هولتزمان. يبطل تأثير الجاذبية إلى حدٍ ما، تبعا للعلاقة بين الكتلة واستهلاك الطاقة.

THUMPER

دقّاق

قضيب قصير له - عند أحد طرفيه - ضاغط يعمل بالزنبرك. الغرض منه هو غرزه في الرمال وجعله يدق كي يستدعي شي-خلود. (انظر: خطافا الصانع)

TROOP CARRIER

حاملة جنود

أي سفينة من سفن نقابة الفضاء تم تصميمها لنقل الجنود بين الكواكب على وجه الخصوص.

VERITE

الڤيريتا

أحد عقاقير إكاز المدمرة للإرادة. تجعل الشخص عاجزا عن الكذب.

WATERCOUNTERS

عملات مائية

حلقات معدنية مختلفة الأحجام، كل منها يدل على كمية معينة من الماء يمكن سحبها من رصيد الماء المخزن في مستودعات الفريمن. للعملات المائية دلائل عميقة تفوق الاستخدام المعتاد للعملات النقدية، خصوصا في مناسبات الولادة والموت أو التقدم للخِطبة.

WATERTUBE

أنبوب

أي أنبوب في بذلة التقطير أو خيمة التقطير يحمل الماء المستعاد إلى جيب تجميعي، أو من الجيب التجميعي للشخص.

WINDTRAP

مصيدة رياح

جهاز يوضع في مسار الريح الغالبة، وقادر على تكثيف الرطوبة من الهواء المار خلاله. يحدث هذا في العادة عن طريق انخفاض واضح وحاد في درجة الحرارة داخل المصيدة.

DUNE MEN

عمال الكثبان

وصف شائع لمن يعملون في التنقيب عن البهار في صحراء أراكس.

SANDMASTER

مشرف على عمليات التنقيب

مشرف عام على عمليات التنقيب عن البهار.

SPICE

البهار

(انظر: مزيج البهار)

SPICE DRIVER

قائد مركبات البهار

أي فرد من عمال الكثبان يتحكم في - ويوجه حركة - الآلات المتحركة على سطح أراكس الصحراوي.

مصطلحات من لغة الفريمن ومجتمع أراكس

ABA

عباءة

ثوب فضفاض ترتديه نساء الفريمن، لونه أسود في الغالب.

ACH

آخ

الاتجاه يسارا. صيحة تقال للرجال المسؤولين عن توجيه مسار الدودة.

DERCH

ديرش

الاتجاه يمينا. صيحة تقال للرجال المسؤولين عن توجيه مسار الدودة.

GEYRAT

جيراط

التقدم للأمام. صيحة تقال للرجال المسؤولين عن توجيه مسار الدودة.

HAIIIII-YOH

هاي يوه!

فعل أمر بمعنى "اتجه!". يقال للمسؤولين عن مهمة توجيه الدودة.

AULIYA

عولِيّا

في ديانة جوالة الـ زِن-سُنّي هي الأنثى الجالسة على يسار الإله، وصيفة الإله.

AYAT

آيات

علامات الحياة. (انظر: برهان)

BURHAN

برهان

أدلة الحياة. (تستخدم غالبا في تعبير شائع "آيات وبراهين الحياة". انظر: آيات)

AQL

عقل

اختبار العقل. في الأصل كانت الكلمة تشير للأسئلة الباطنية السبعة والتي تبدأ بسؤال: "من المفكر؟"

BAKKA

البكّاء

في أساطير الفريمن هو الباكي الذي ينتحب على البشرية كلها.

BAKLAWA

بقلاوة

حلوى سكرية ثقيلة تصنع من شراب التمر.

BARAKA

برَكة

رجل مبارك يتمتع بقدرات سحرية.

BHOTANIJIB

بوتاني جِب

لغة. (انظر: شاكوبسا)

FIQH

فقه

معرفة، التشريع الديني. أحد الأصول شبه الأسطورية لديانة جوالة الزن-سني.

GIUDICHAR

جيوديشار

حقيقة مقدسة. (ترد الكلمة غالبا في التعبير: جيوديشار مانتيني، أي حقيقة أصلية وداعمة كدليل)

MANTENE

مانتيني

الحكمة الباطنة. الدليل الجدلي الداعم، القاعدة المنطقية الأولى. (انظر: جيوديشار)

HOOKMAN

رجل الخطاف

أحد الفريمن معه خطافا صانع ومستعد لاقتناص دودة رمال.

ICHWAN BEDWINE

الإخوان البدو

الأخوة التي تجمع كل الفريمن على أراكس.

IBAD, EYES OF

عيون العِباد

تأثير معتاد ينتج عن التناول المستمر لطعام غني بمزيج البهار، حيث يتحول بياض العين ولون البؤبؤ إلى أزرق داكن. (دليل على إدمان شديد للمزيج)

IBN QIRTAIBA

ابن قرطايبا

أي: هكذا قال الإله. الافتتاحية الرسمية لأدعية الفريمن الدينية. (مقتبسة من الشريعة العامة النبوئية)

IJAZ

إعجاز

نبوءة لا يمكن إنكارها لقوتها. نبوءة ثابتة.

ILM

علم

دراسة العقيدة الدينية. أحد الأصول شبه الأسطورية لإيمان جوالة الزن-سني.

AMTAL or AMTAL RULE

قاعدة الأمتال

قانون شائع على الكواكب البدائية، يتم فيه اختبار الشيء لمعرفة حدوده أو عيوبه. في الاستخدام السائد: الاختبار حتى التدمير.

FREMEN

الفريمن

قبائل أراكس الأحرار، يسكنون الصحراء، وهم بقايا جوالة الزن-سني. (تبعا لما يقوله القاموس الإمبراطوري فهم "قراصنة رمال")

CHAKOBSA

شاكوبسا

ما يقال لها "اللغة المغناطيسية"، والتي اقتبست جزئيا من البوتاني القدماء (بوتاني جِب، حيث جب تعني لهجة). وهي مجموعة من اللهجات القديمة تم تطويرها بسبب الاحتياج للسرية. لكنها في المجمل لغة الصيد التي استخدمها البوتاني، وهم المغتالون المستأجَرون في أولى حروب الاغتيالات.

CRYSKNIFE

كريسنايف

السكين المقدس للفريمن على أراكس. يصنع بطريقتين من أسنان تؤخذ من ديدان الرمال الميتة. الطريقتان هما ما "تم تثبيته" وما "لم يتم تثبيته". السكين الذي لم يتم تثبيت تفاعلاته يتطلب البقاء بقرب الكهرباء المنبعثة من الجسم البشري كي لا يتحلل. أما السكاكين التي تم تثبيتها فتمت معالجتها بغرض تخزينها. طوله حوالي 20 سنتيمتر.

DAR AL-HIKMAN

دار الحكمة

مدرسة الترجمة الدينية والتفسير.

DARK THINGS

طقوس الظلام

وصف شائع للخرافات التي تنتشر كالعدوى، والتي تقوم البعثات الإرسالية بنشرها وسط الحضارات القابلة للتأثر بها.

DEATH TRIPOD

ثلاثي قوائم الموت

في الأصل كان المنصة ثلاثية الأرجل التي يعلق منها منفذو أحكام الإعدام في الصحراء ضحاياهم. لكن في الاستخدام الشائع أصبحت الكلمة تعني الأشخاص الثلاثة الذين يتجمعون في "عصبة ثأر" ويقسمون على تنفيذ انتقام معين.

NAIB

نائب

الشخص الذي أقسم على ألا يقع في يد الأعداء حيا أبدا. وهو قسم تقليدي يأخذه القائد الفريمني.

NEZHONI SCARF

وشاح الأمومة (النيزوني)

الوشاح الذي يتم ارتداؤه على الجبهة تحت قلنسوة بذلة التقطير عندما تنجب المرأة الفريمنية المتزوجة (أو المرتبطة) ابنها الأول.

BI-LA KAIFA

بلا كيف

أي "آمين". (حرفيا: لا حاجة لمزيد من الشرح)

BOURKA

بُرقع

غطاء عازل يرتديه الفريمن في الصحراء المفتوحة.

CHEREM

عصبة الثأر

أخوة تجتمع على الكراهية (بغرض الثأر في الغالب)

ISTISLAH

استصلاح

حكم للصالح العام. لكن غالبا يتم استخدامه كتبرير لإجراء صارم ضروري.

FAI

الفيء

جزية الماء. الضريبة الرئيسية على أراكس.

FEDAYKIN

الفدائيون

مغاوير الموت الفريمن. تاريخيا تعني الكلمة: مجموعة تتكون وتتعهد بتقديم أرواحها لتصحيح وضع خاطئ.

GATHERING

مجلس

يختلف عن "مجلس الشورى العام". اجتماع رسمي لقادة الفريمن ليشاهدوا نزالا سيحدد زعامة إحدى القبائل. (مجلس الشورى العام هو اجتماع للوصول لقرارات تخص كل القبائل)

GHAFLA

الغفلة

انقياد المرء لمشتتات مزعجة. أي أن يصبح هوائيا ولا يمكن الثقة به.

GHANIMA

غنيمة

شيء تم الحصول عليه خلال معركة أو نزال فردي. يشيع استخدام الكلمة للإشارة لتذكار من الحرب يحتفظ به المرء لمجرد استعادة الذكريات.

HAJJ

حج

رحلة مقدسة.

HARJ[30]

هجر

سفر صحراوي، هجرة.

HAJRA

هجرة

رحلة سعي.

HAL YAWM

ها اليوم!

"أخيرا!"، صيحة انفعال عند الفريمن.

HIEREG

مخيم مؤقت (حيرِق)

يقيمه الفريمن على الرمال لفترة مؤقتة.

JUBBA CLOAK

جبة

رداء متعدد الأغراض (يمكن جعله يعكس أو يسمح بمرور الحرارة المشعة، أو تحويله لسرير أرجوحة شبكي أو مسكن). يشيع ارتداؤه على أراكس فوق بذلة التقطير.

KARAMA

كرامة

معجزة. فعل نبع من عالم الأرواح.

KISWA

كسوة

أي شكل أو تصميم مأخوذ من أساطير الميثولوجيا الفريمنية.

LA, LA, LA

لا، لا، لا

صيحة أسى فريمنية. (لا: تعني أقصى إنكار. رفض لا يمكنك تغييره)

LISAN AL-GAIB

لسان الغيب

الصوت القادم من العالم الخارجي. في أساطير الفريمن المنتظرة للمسيح المخلِّص هو نبي من كوكب آخر. تترجم أحيانا بـ واهب الماء. (انظر: المهدي)

---

30 خطأ من المؤلف. وردت الكلمة مرتين فقط في نص الرواية، في الفصل 41، وكانت مكتوبة Hajr، لا Harj (المترجم)

LIBAN

لبان

عند الفريمن فإن اللبان هو ماء بهار عليه دقيق اليوكا. في الأصل، مشروب لبني متخمر.

MAHDI

المهدي

في العقائد الفريمنية المسيحانية هو "من سيقودنا للجنة".

MAKER

الصانع

(انظر: شي-خلود)

SHAI-HULUD

شي-خلود

ديدان الرمال التي تعيش على أراكس، شيخ الصحراء، الشيخ الخالد، الجد الصحراوي. جدير بالملاحظة أن هذا الاسم - عندما يقال بنبرة معينة أو يكتب بحروف كبيرة - فإنه يشير لإله الفريمن الأرضي الذي يتكلمون عنه في خرافاتهم. تنمو ديدان الرمال لأحجام هائلة (شوهدت في الصحراء العميقة أنواع تصل لـ 400 متر) وتعيش لأعمار طويلة إلا لو قتلتها دودة أخرى أو غرقت في الماء، حيث أن الماء سام بالنسبة لهم. أغلب الرمال الموجودة على أراكس يعتقد أنها ناتجة عن نشاطات ديدان الرمال. (انظر: الصانع الصغير)

MAULA

مولى

عبد.

MIHNA

محنة

موسم اختبار شباب الفريمن الراغبين في اكتساب حقوق الرجولة.

MISR

مصر

مصطلح زن-سني تاريخي، فريمني، يسمون به أنفسهم. معناه: القوم.

MUSHTAMAL

مشتمَل

فناء بستان أو ساحة صغيرة ملحقة بالبستان.

MUDIR NAHYA

مدير ناهيا

الاسم الذي أطلقه الفريمن على رابان الوحش (الكونت رابان من لانكيفيل)، ابن الأخ الهاركوني الذي كان الحاكم السردار لأراكس لسنوات طويلة. غالبا تتم ترجمة الاسم إلى: الحاكم الشيطاني.

MU ZEIN WALLAH

مو زين والله!

تعني: ليس خيرا. افتتاحية لعنة فريمنية ضد العدو. صيحة التعجب الأخيرة تأكيدية.

QANAT

قناة

مجرى مائي مفتوح يجري فيه ماء الري تحت ضوابط معينة خلال الصحراء.

QIRTAIBA

قرطايبا

(انظر: ابن قرطايبا)

QUIZARA TAFWID

تفويض الكرازة

كهنة الفريمن بعد ظهور المؤدب.

RAMADHAN

رمضان

فترة دينية قديمة مخصصة للصيام والصلاة. الشهر التاسع من التقويم الشمسي-القمري. يحسبه الفريمن كقطع القمر الأول لخط الزوال للمرة التاسعة خلال دوراته.

RAZZIA

غارة

غزوة من أهدافها الجزئية القرصنة.

RUH-SPIRIT

الروح

في معتقدات الفريمن هي جزء من الشخص متجذر دائما في العالم فوق الطبيعي وقادر على الإحساس به. (انظر: عالم المثال)

SADUS

القديسون

عند الفريمن هم قضاة الحساب السماوي.

SANDRIDER

راكب الرمال

وصف فريمني للقادر على اقتناص وامتطاء دودة الرمال.

SANDWALKER

مسافر صحراوي

أي فرد من الفريمن تدرب على النجاة في الصحراء.

SARFA

الصَرفة

الانحراف عن الرب.

SAYYADINA

سيّدينا

في منظومة الفريمن الدينية هي من تقوم بمساعدة الكاهنة.

SHADOUT

شادوت

الغارفة من البئر. لقب تشريفي عند الفريمن.

SHAITAN

الشيطان

SIETCH

سياتش

عند الفريمن تعني مكان التجمع في أوقات الخطر. ولأن الفريمن قد عاشوا لفترات طويلة في خطر فإن المصطلح أصبح يعني بشكل عام أي مسكن كهفي يقيم فيه أحد مجتمعاتهم القَبَلية.

SIHAYA

سِهايا

عند الفريمن: ربيع الصحراء. وللكلمة مضامين دينية تشير لفترة الإثمار والجنة المستقبلية.

IKHUT-EIGH

إيخوتيه!

نداء باعة الماء على أراكس. الأصل اللغوي مجهول. (انظر: سو-سو-سوق)

SOO-SOO SOOK

سو-سو-سوق!

نداء باعة الماء على أراكس. السوق هو مكان شراء البضائع. (انظر: إيخوتيه)

SUBAKH UL KUHAR

صباح الخير

تحية فريمنية تقول: هل أنت بخير؟

SUBAKH UN NAR

صباح النور

الإجابة التقليدية: أنا بخير، وأنت؟

TAHADDI AL-BURHAN

تحدي البرهان

الاختبار النهائي الذي لا استئناف لحكمه (لأنه في الغالب يأتي بالموت أو الدمار)

TAHADDI CHALLENGE

نزال التحدي

تحدي فريمني عبارة عن قتال حتى الموت. هدفه غالبا هو اختبار مسألة رئيسية.

TAQWA

تقوى

"ثمن الحرية". شيء عظيم القيمة. ما يطلبه الإله من الشخص الفاني (والخوف الذي يبعثه الطلب)

TAU, THE

الطاو

حسب التعريف الفريمني هو اتحاد مجتمع السياتش والذي يزيد منه تناولهم لأطعمة البهار، خصوصا وحدتهم خلال الجنس الجماعي الناتج عن شرب ماء الحياة.

TEST-MASHAD

اختبار الشرف

ULEMA

عالم دين

متخصص في عقائد الزن-سني.

UMMA

أمة

أحد إخوة الأنبياء. (مصطلح للتهكم في الإمبراطورية، يعني أي شخص غريب يميل للتنبؤ بأشياء متطرفة)

USUL

أصول

عند الفريمن: قاعدة العمود.

WALI

ولي (ولد)

صبي فريمني لم يختبر بعد.

WATER BURDEN

عبء ماء (الإثقال بمعروف)

عند الفريمن: التزام لا مفر منه.

WATER DISCIPLINE

ضوابط توفير الماء

تدريب قاس يجعل سكان أراكس مهيئين للحياة عليه دون إهدار للرطوبة.

WATER OF LIFE

ماء الحياة

سم "إشراقي" (انظر: السيدة الموقرة). وبالأخص، هو السائل الذي يخرج مع زفير دودة الرمال لحظة موتها غرقا (انظر: شي-خلود) ثم يتم تغييره داخل جسد سيدة موقرة كي يصبح المخدر المستخدم في جنس الطاو الجماعي بالسياتش. وهو أحد عقاقير "الطيف الإدراكي".

WEIRDING

عجائبي

وصف شعبي لكل ما يتعلق بالباطنية أو السحر.

YA HYA CHOUHADA

يحيا الشهداء

صيحة الفدائيين الحربية. التعبير يمزج بين الزمن الحاضر والاستمرار الأبدي. كلمة الشهداء لها دلالة تشير أيضا للقتال ضد الظلم، وأنهم لا يسعون "لشيء" بل "ضد شيء".

YALI

يالي

المأوى الشخصي للفريمني داخل السياتش.

YA! YA! YAWM

يا! يا! يوم!

إيقاع فريمني منغوم يستخدمونه أثناء الطقوس عميقة الأهمية. يا: للتنبيه اللحظي، يوم: دعوة للتعجل الفوري. غالبا يترجم التعبير بـ "الآن اسمع هذا!"

DEW GATHERERS

جامعو الندى

عمال يجمعون الندى من نباتات أراكس مستخدمين "حاصد ندى" يشبه المنجل.

WATERMAN

حافظ المياه

شخص من الفريمن موكل بمهمة ومسؤولية الواجبات الطقوسية المتعلقة بالمياه وبماء الحياة.

WEATHER SCANNER

كشاف الطقس

الشخص المدرب على أساليب توقع الطقس على أراكس، بما في ذلك القدرة على غرز سواري الرمال وفهم أنماط الرياح المؤثرة عليها.

DICTUM FAMILIA

قانون حماية النبلاء

من قوانين الميثاق العظيم التي تمنع قتل شخص ملكي أو أحد أفراد أسر كبار النبلاء عن طريق خيانة غير رسمية. القانون يحدد الطرق الرسمية لهذا ويضع حدودا لوسائل الاغتيال.

FAUFRELUCHES

النظام الطبقي

قواعد صارمة للتمييز الطبقي تفرضها الإمبراطورية. "هناك مكان متاح لكل رجل، ويجب أن يظل كل رجل في مكانته"

GREAT CONVENTION

الميثاق العظيم

الهدنة الكونية التي يحافظ على استمرار تطبيقها توازن القوى بين النقابة والنبلاء والإمبراطور. قاعدتها الأساسية تمنع استخدام الأسلحة الذرية ضد الأهداف البشرية. كل قاعدة من قواعد الميثاق العظيم تبدأ بهذه الصيغة: "من اللازم طاعة الأعراف".

HIGH COUNCIL

المجلس الأعلى

الدائرة الداخلية في اللاندسراد، مخولة للتصرف كمحكمة عليا تفصل في النزاعات التي تنشب بين عائلة نبيلة وأخرى.

HOUSE

آل

كلمة شائعة لوصف الأسرة الحاكمة لكوكب أو منظومة كوكبية.

HOUSES MAJOR

عائلات كبار النبلاء

المتحكمون في إقطاع كوكبي. رأسماليون يمتد نشاطهم لعدة كواكب.

HOUSES MINOR

عائلات صغار النبلاء

طبقات رأسمالية استثماراتها محصورة على كوكبها فقط. في اللغة الجالاكية تسمى Richece

KANLY

كانلي

نزاع أو ثأر رسميان تحت ضوابط الميثاق العظيم، ينفذان تبعا لحدود ضيقة للغاية. (انظر: قاضي التحكيم). في الأصل كان الهدف من وضع هذه الضوابط هو حماية الأبرياء الذين لا صلة لهم بالنزاع.

PROCES VERBAL

وشاية شفهية

تبليغ شبه رسمي يتهم شخصا بارتكاب جريمة ضد الإمبراطور. قانونا: فعل يقع في مرتبة وسيطة بين اتهام شفهي عابر واتهام رسمي بجريمة.

WAR OF ASSASSINS

حرب اغتيالات

نوع الحرب المحدودة المسموح به تبعا للميثاق العظيم وسلام النقابة Guild Peace. الهدف هو الحد من إصابة الأبرياء المتفرجين. القواعد تصف إعلان النوايا الرسمي وتضع قيودا على الأسلحة الممكن استخدامها.

CORRIN, BATTLE OF

معركة كوريّن

المعركة الفضائية التي أخذ بيت كورينو الإمبراطوري اسمه منها. وقعت قرب النجم سيجما التنين Sigma Draconis سنة 88 ق ن. ورسّخت هيمنة العائلة الحاكمة القادمة من سالوسا سيكوندس.

GREAT REVOLT

الثورة الكبرى

وصف شائع للجهاد البتلري. (انظر: الجهاد البتلري)

JIHAD, BUTLERIAN

الجهاد البتلري[31]

الحرب ضد الحواسيب والآلات المفكرة والروبوتات الواعية. (انظر: الثورة الكبرى). بدأت سنة 201 ق ن، وانتهت 108 ق ن. وصيتها الأساسية لا زالت في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي: لا تصنع آلة تحاكي عقل البشر.

31 في القرن الـ19، سنة 1863، اقترح صموئيل بتلر Samuel Butler في مقال بعنوان (داروين وسط الآلات Darwin among the Machines) أن يتم تدمير جميع الماكينات فورا، لأنها قد تتطور في المستقبل وتسود البشر. في الغالب كان المقال ساخرا، وربما استوحى منه فرانك هربرت اسم الجهاد البتلري. (المترجم)

مصطلحات دينية عامة

GREAT MOTHER

الأم العظمى

الإلهة ذات القرنين، الجانب المؤنث للفضاء (يشيع وصفها بـ "أمنا الفضاء"). الوجه الأنثوي للثالوث ذكر-أنثى-محايد الذي تعتبره الكثير من الأديان داخل الإمبراطورية أنه الكائن العلوي.

JIHAD

جهاد

حرب دينية حماسية.

KHALA

أستعيذ من اسمه!

ابتهال تقليدي لإخماد غضب أرواح مكان قمت بذكر اسمه.

KULL WAHAD

يا واحد الكل!

أي "إني مضطرب لهذا بشدة!". صيغة تعجب يشيع استخدامها في الإمبراطورية. التفسير الدقيق لها يعتمد على السياق. (يقال أن المؤدب رأى في إحدى المرات فرخ صقر صحراوي يخرج من البيضة ويهمس: يا واحد الكل!)

KWISATZ HADERACH

كويزاتس هاديراك (قافز الطريق)

اختصار الطريق. الاسم الذي أطلقته البني-جيزيرت على المجهول الذي يسعون لإيجاد حل جيني له: بني-جيزيرت مذكَّر ستكون لقواه العقلية العضوية القدرة على الوصل بين المكان والزمان.

MISSIONARIA PROTECTIVA

البعثات الإرسالية الوقائية

فرقة تابعة لتنظيم البني-جيزيرت، مهمتها بذر الخرافات المعدية على الكواكب البدائية، وبهذا تتيح للبني-جيزيرت استغلال هذه المناطق. (انظر: الشريعة العامة النبوئية)

PANOPLIA PROPHETICUS

الشريعة العامة النبوئية

مصطلح يشير للخرافات التي تنتشر بالعدوى، والتي تستخدمها البني-جيزيرت لاستغلال المناطق البدائية. (انظر: البعثات الإرسالية)

SHARI-A

الشريعة

جزء من الشريعة العامة النبوئية يمهد لخرافات الطقس الديني. (انظر: البعثات الإرسالية)

SIRAT

صراط

فقرة في الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي تصف الحياة البشرية بأنها رحلة على جسر ضيق (السراط) بحيث تكون "الجنة على يميني والنار على يساري وملك الموت خلفي".

ZENSUNNI

زِن-سُنّي

أتباع فرقة منشقة، انفصلت عن تعاليم ماومِت (الملقب بـ "محمد الثالث") حوالي 1381 ق ن. ديانة الزن-سني مشهورة بتركيزها على الباطن، وعلى العودة لـ "طرق الآباء". أغلب الباحثين يقولون أن الزعيم الأصلي للفرقة كان علي بن أُحَشي، لكن هناك بعض الأدلة تشير لكونه مجرد ناطق بأفكار زوجته الثانية نيساي.

ASSASSINS' HANDBOOK

كتاب دليل الاغتيال

تجميع من القرن الثالث للسموم الشائع استخدامها في حرب اغتيالات. أضيف له لاحقا الأجهزة القاتلة المسموح بها تبعا لسلام النقابة والميثاق العظيم.

KITAB AL-IBAR

كتاب العِبر

كتاب يجمع بين دليل نجاة عملي ودليل ديني، طوره الفريمن على أراكس.

ORANGE CATHOLIC BIBLE

الإنجيل الكاثوليكي البرتقالي[32]

"الكتاب التراكمي". النص الديني الذي أنتجته لجنة المترجمين المسكونيين. يحوي عناصر من أغلب الديانات القديمة، بما فيها الماومت ساري، ومسيحية الماهايا، وكاثوليكية الزن-سني، والتقاليد البوذي-إسلامية. وصيته الكبرى تعتبر: لا تشوّه الروح.

SHAH-NAMA

الشاهنامة

كتاب شبه أسطوري، أول كتب شعب الزِن-سُني المتجول.

32 اختيار المؤلف للون البرتقالي يشير لحزب المذهب البروتستانتي في أيرلندا، الذي كان معاديا للحزب الكاثوليكي. أي لاندماج مستقبلي بين الكاثوليكية والبروتستانتية. (المترجم)

كلمات أخرى

GALACH

اللغة الجالاكية

اللغة الرسمية في الإمبراطورية. خليط أنجلو-سلافي ومعه بقايا قوية من المصطلحات الثقافية التخصصية التي تم تبنيها خلال سلسلة الهجرات البشرية الطويلة.

GARE

هضبة شديدة الانحدار

SELAMLIK

السلاملك

قاعة الاستقبال الإمبراطورية.

COUSINES

أقارب

أقارب أبعد من أبناء العم.

DEMIBROTHERS

أنصاف أشقاء

أبناء المحظيات من أهلك، وتم التأكد من اشتراكهم في الأب.

OUT-FREYN

أجنبي

كلمة جالاكية للأجنبي، أي: ليس عضوا في دائرتك المجتمعية. شخص غير مميَّز.

LEGION, IMPERIAL

فيلق إمبراطوري

10 فرق عسكرية (حوالي 30 ألف رجل)

VAROTA

فاروتا

صانع آلات الباليسِت الموسيقية الشهير. موطنه هو كوكب شوسوك.

عن الترجمة الثانية المختلسة

عندما سمعت أن إحدى دور النشر ستصدر ترجمة جديدة لرواية (كثيب Dune)، تأليف فرانك هربرت، تعجبت.. حيث أن ترجمتي للرواية منشورة منذ سنوات قليلة.

ومع ذلك نشرت الخبر على حسابي على تويتر، وساهمت في الدعاية لها ولغلافها على مواقع إنجليزية، حيث أني من المهتمين بسلسلة كثيب وبعالمها المقتبس جزئيا من التاريخ الإسلامي واللغة العربية.

لكن في يناير 2022 حصلت على نسخة من هذه الترجمة الثانية، فاتضح أن مترجمها (نادر أسامة) اعتمد بصورة واضحة جدا على ترجمتي الأولى، وأنه - ودار النشر الكويتية السعودية (مكتبة كلمات) - أغفلوا ذكر اسمي في المقدمة! بل ولم يشيروا أصلا لوجود ترجمتي المنشورة سنة 2018 !!

وعندما تصفحت ترجمتهم فهمت سبب الإخفاء: ترجمتهم مجرد تعديلات شكلية على ترجمتي الأولى! تقديم وتأخير بعض الكلمات، تحسين مرادفة هنا أو هناك، لكن كل الحلول اللغوية التي ابتكرتها في ترجمتي مسروقة كما هي!

رواية كثيب الإنجليزية منشورة في الستينيات، وهي أهم رواية خيال علمي في اللغة الإنجليزية بشهادة كثير من النقاد، ومع ذلك لم تترجم للعربية طوال هذه السنوات لصعوبتها، ولأنها تستخدم مصطلحات غريبة مبتكرة لا يستطيع المترجم العادي التعامل معها دون دراسة عميقة للنص وللغتين العربية والإنجليزية، ولأنها تستخدم ألفاظا عربية كثيرة بحيث يصعب على المترجم نقلها للعربية مرة أخرى دون أن تتوه في سياق النص المترجم.

كل هذه المشاكل قمت والحمد لله سنة 2018 بحلها. ولهذا تجد مثلا أن بالرواية ألفاظا مثل "الاستبصار"، "ظوفر حواط"، "بذلة التقطير"، تفسير الكويزاتس هاديراك العبري بأنه مرتبط بـ "طي الأرض"، التنبيه على اقتباس المؤلف لمعنى آية قرآنية، الطريقة العجائبية، نواكير، عثيم، قرآن معاذ، إلخ.

وبالإضافة لهذا أجريت حوارا طويلا مع محبي الرواية الأجانب، على موقع (ريديت)، في صورة ما يسمى AMA: Ask Me Anything ، وتكلمت مطولا عن أسلوبي في الترجمة وأسباب اختياراتي.

ثم دخلت في نقاشات على تويتر مع أكاديميين أجانب من عشاق كثيب، وأسفرت نقاشاتنا عن كشف أصول عربية أخرى لكثير من الأسماء والأحداث في الرواية.

ونشرت قائمة بـ 100 كلمة لها أصل عربي في كثيب، فشرحت مثلا اقتباس المؤلف لاسم شي-خلود إما من كلمة شيخ الخلود أو الشيء الخالد، وغيرها من الملاحظات.

وكل هذا مدون على الإنترنت ومتاح للجميع.

فكيف بعد كل هذا تأتي دار كلمات Dar_Kalemat@ والمترجم نادر أسامة Nader0sama@ ويسرقوا كل هذا الجهد دون حتى الإشارة لمصادرهم؟! هل يريدون إقناع القارئ العربي أنهم بدؤوا في الترجمة الثانية من الصفر؟!

أمثلة التشابه - بل وأحيانا التطابق! - بين الترجمتين واضحة. وللأسف هذه السرقة الأدبية لم أكن أتوقعها من مترجم شهير! يبدو أنه لم يقاوم إغراء النقل من الترجمة الجاهزة، ولم يرد إتعاب نفسه بالبدء من البداية بجهد شخصي، خصوصا وأن رواية كثيب بالذات ترجمتها عمل مضني جدا كما أعلم جيدا.

كان عليهم أن يبدؤوا من الصفر، أي من الأصل الإنجليزي، لا أن يعتمدوا على جهد الآخرين بهذا الشكل الفج ثم يتناسوا الاعتراف بمصادرهم!

عندما نُشرت ترجمتي أول مرة سنة 2018 لم يعجبني ما فعلته الناشرة الإماراتية بها من تعديلات، وحذف الهوامش الدينية، ولا التنسيق الإلكتروني السيئ للكتاب (بل وسقط منها فصل كامل!)، ولا حتى الغلاف، لكن العذر هو أنها دار صغيرة، بموارد محدودة، ولها سبق تعريف القارئ العربي بالرواية.

ولهذا عندما كنت أرسل ترجمتي لدور النشر الأخرى، لإقناعهم بشراء حقوق باقي السلسلة من ورثة فرانك هربرت، كنت أرسل نسختي الخاصة الأصلية، قبل ما أصيبت به النسخة المنشورة على موقع أمازون من تحريف وتشويه.

ونسختي الخاصة موجودة على (جوجل درايف) منذ ديسمبر 2019، ولها أيضا نسخة أخرى (بغلاف مقتبس من دعاية الفيلم) موجودة بتاريخ يوليو 2020

https://drive.google.com/file/d/16Pm2dwecdOnhY6arMSh0z75FELpCsgBR

https://drive.google.com/file/d/1u7iFYp342KwJknAfxvHo7sErBrvILNcF

أما نسخة أمازون فرابطها هو https://www.amazon.com/dp/B07KJKW4WY

وحسابي على تويتر هو ArabicSalama@

ومن هذه النسخة - ومن منشوراتي على تويتر - اقتبس المترجم الثاني كل ما أمكنه اقتباسه! حتى الهوامش أخذها!

ومن الطريف أنه لم يفهم بعض ما كان يقتبسه، فنجده مثلا في متن الرواية عارفا بأن كلمة Karama مأخوذة من العربية والثقافة الإسلامية (من: كرامات الأولياء)، ثم في مسرد المصطلحات الملحق بالرواية نجده يقرأها "كارما"، وكأنها يظنها مأخوذة من العقيدة الهندوسية عن الثواب والعقاب في الدنيا!

وهذه عينة صغيرة من التشابهات بين الترجمتين:

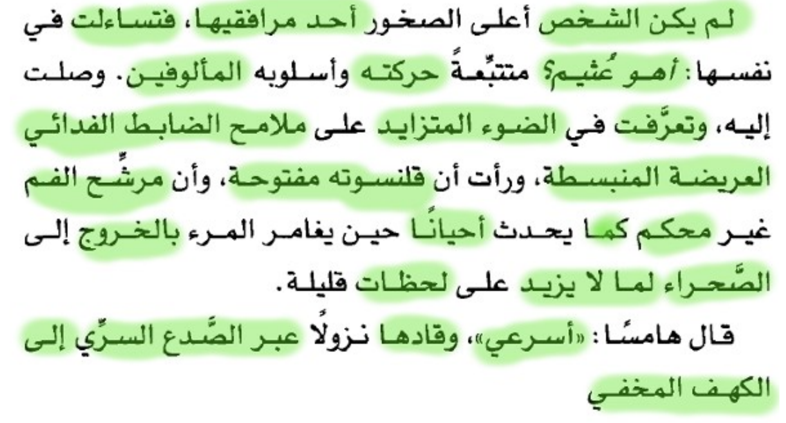
الأصل:

(لم يكن الشخص الواقف بالأعلى أحد مرافقيها. تساءلت عندما لاحظت حركاته وتصرفاته المألوفة: أهو عُثيم؟

اقتربت منه فتعرفت - على هدى الضوء المتزايد - ملامح الضابط الفدائي العريضة والمنبسطة، وأن قلنسوته مفتوحة ومرشّح فمه مربوط دون إحكام، كما يفعل المرء أحيانا عندما ينوي الخروج للصحراء لما لا يزيد عن بضعة لحظات.

قال في هسيس: "أسرعي"، وقادها عبر الصدع السري إلى داخل الكهف المخفي.)

التقليد:


لم يكن الشخص أعلى الصخور أحد مرافقيها، فتساءلت في نفسها: أهو عُثيم؟ متتبِّعةً حركته وأسلوبه المألوفين. وصلت إليه، وتعرَّفت في الضوء المتزايد على ملامح الضابط الفدائي العريضة المنبسطة، ورأت أن قلنسوته مفتوحة، وأن مرشِّح الفم غير محكم كما يحدث أحيانًا حين يغامر المرء بالخروج إلى الصَّحراء لما لا يزيد على لحظات قليلة.

قال هامسًا: «أسرعي»، وقادها نزولًا عبر الصَّدع السرِّي إلى الكهف المخفي

الأصل:

قالت: "تدعوني ربيعك الصحراوي، لكني اليوم سأكون المهماز الذي ينخسك. أنا السيدينا التي ستحرص على أن الطقوس تمت مراعاتها"

بدأ يحكم غلق بذلة تقطيره، وقال: "لقد أخبرتيني في إحدى المرات كلمات من كتاب العِبَر. قلتِ لي: المرأة هي حقلك، فاذهب لحقلك واحرثه"[٢٢]

أجابته موافقة على كلامه: "إني أم ابنك البكر"

وفي الظلمة الرمادية رأى حركاتها تطابق حركاته تماما، تحكم إغلاق بذلة تقطيرها استعدادا للخروج للصحراء.

٢٢ انظر سورة البقرة ٢٢٣: نساؤكم حرث لكم. (المترجم)

التقليد:

قالت: «تدعوني ربيعك الصحراوي، لكنني اليوم الشوكة التي ستنخسك. أنا السَّيَّادينا التي ستراقب وتتأكَّد من اتِّباع الطقوس».

بدأ يحكم ربط بذلة التقطير حول جسده: «لقد تلوتِ عليَّ يومًا كلماتٍ من كتاب العبر تقول: "المرأة حقلك، فاذهب إلى حقلك واحرثه"[1]».

وافقته قائلة: «أنا أُمُّ ابنك البكر».

رأها عبر الظلمة الرمادية تحاكي أفعاله حركةً بحركة، وتحكم

(1) استلهام من القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 223: «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ».

غلق بذلة التقطير على جسدها استعدادًا للخروج إلى الصَّحراء.

***

محمد سلامة المصري